غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المجلد السادس والخمسون

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

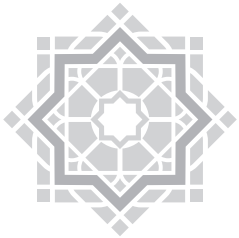
الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

غير مرخصة للطباعة

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي



المجـــور السَّادِس

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ وعُلُومُهَا

١٠٣ الـــــــــرســـــــــول ﷺ
رحـــمـــــة الله للـعـالَـمـيـن

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة



نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

المحور السادس

السُّنَّة النبويَّة وعلومها

١٠٣

الرسـول ﷺ
رحمة الله للعالَمين

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۞ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢ ـ ٥٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۞ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۞ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۞ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٥].



غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يا أيُّها الناس إنَّما أنا رحمة مهداة**». رواه الحاكم.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ خمسًا لم يُعْطَهُنَّ أحدٌ قبلي: نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلَتْ لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيُّما رجلٍ من أُمَّتي أدركته الصلاة فليصلِّ، وأُحِلَّتْ لي المغانم، ولم تحلَّ لأحدٍ قبلي، وأُعْطِيتُ الشفاعة، وكان النبيُّ يُبْعَثُ إلى قومه خاصَّة وبُعِثت إلى النَّاس عامَّة**». متفق عليه.

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ مَثَلي ومَثَلَ الأنبياء من قبلي، كمثلِ رجلٍ بنى بيتًا، فأحسنه وأجمله، إلَّا موضع لَبِنَة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلَّا وُضِعَتْ هذه اللبنة؟**». قال: «**فأنا اللَّبِنَة، وأنا خاتم النبيِّين**». متفق عليه.

عن أنسٍ رضي الله عنه، أنَّ امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسولَ الله، إنَّ لي إليك حاجة. فقال: «**يا أمَّ فلان، انظري أيّ السِّكَك شئتِ حتَّى أقضي لك حاجتك**» فخلا معها في بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها. رواه مسلم.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

(أمَّا بعد)

فكل عالِم مسلم اعتاد النَّاس أن يُطلَّ عليهم مِن خلال كُتُبه المطبوعة، أو مِنْ خلال رسائله ومقالاته، أو من خلال خُطَبه وإطلالاته الأسبوعية والشهرية والموسمية في الجوامع والمجلات والقنوات الإذاعيَّة والتليفزيونيَّة والإلكترونيَّة؛ يتمنَّى من أعماق قلبه أن يكون له كتاب يحدِّث النَاسَ عن رسول الله ﷺ: عن شخصيته ومعالمها وملامحها، وعن تاريخه وأسرته وأهله وأولاده، وعن سِيرته ودَعْوته ومواقفه وأخلاقه، ورسالته الفَذَّة الَّتي حَمَلَها إلى العالَم الكبير، ليُخْرِجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربِّهم إلى صراط العزيز الحميد.

QaradawiBooks.com

وقد بدأت أُمسك بالقلم لأكتب عن الإسلام وأنا طالب بكلية أصول الدِّين، وكتبتُ بعض الرسائل، مثل: رسالة «قطوف دانية»، وكان أوَّل كتاب أؤلفه بطلب من مشيخة الأزهر الشريف بقيادة شيخه الإمام الأكبر محمود شلتوت، وإدارة المدير العام للثقافة الإسلاميَّة: أ.د. محمَّد البهي، وهو كتاب: «الحلال والحرام في الإسلام»، ولم يكن هذا اسمه، بل طُلب مِنِّي أن أكتب: «ما يحل للمسلم وما يحرم عليه»، نظيرًا لما كتبه الحنفيَّة تحت باب «الحظر والإباحة».

وثنَّيت بكتابي: «العبادة في الإسلام»، ثمَّ ثلَّثت بكتابي: «الإيمان والحياة»، ثمَّ بدأت السلسلة تتفرَّع وتتكاثر، حتَّى بارك الله فيها، ودخلتُ في العقيدة وما يتصل بها، وفي الفقه والفتوى والأصول، والدعوة والسلوك، والقرآن والسُّنَّة، والسيرة والتاريخ، والأدب والشعر، والصحوة والحركة، والأمة والعالم، ومجادلة الأقوام الَّذين يناوئون الإسلام، ويحاولون توهين المسلمين، وقد وهب الله لي قلمًا ربَّاني المورد، يستطيع بعون من الله أن يناطحهم ويهزمهم، وأن يضرب فيهم سهامه، ويغمس فيهم رماحه، وأن يعليَ كلمة الحق والخير والرُّشد الَّتي جاء بها الإسلام، ونزل بها القرآن، وشرحتْها سُنَّة خير الأنام، وقام على تنفيذها الصحابة الكرام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

كنتُ أتمنَّى أن أكتب كُتُبًا في الفقه الإسلامي على طريقتي الَّتي اخترتها لنفسي، ولم أبتدعها من عندي، فالحمد لله قد عُصمنا أن نبتدع في الإسلام ما لا أصل له، وتمنيتُ أن أكتب في بعض النواحي والمواضيع بكلِّ ما تحتاج إليه من البيان، والإحاطة بالنصوص الثابتة، والأصول الضابطة، والمقاصد الهادية، والقواعد الحاكمة، الَّتي هدانا

QaradawiBooks.com

إليها القرآن والسُّنَّة، بالأسلوب العلمي الميسَّر المفهوم، الَّذي لا يستعصي على أحد، ولا يصعب فهمه على ذي عقل عادي.

وأحمد الله أن أخرجتُ كتبًا ذات قيمة علمية معتبرة عند أهل العلم والإيمان، ولدى ذوي الأفهام والأقلام، ورجال العلم والإعلام، مثل «فقه الزكاة» و«فقه الجهاد»، وأعداد من كتب العقيدة والملل والنحل، والفقه وأصوله، وكتب الدعوة والتصوُّف، والسياسة الشرعيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة، والتفسير والحديث، والتاريخ والحياة، والأدب والشعر، وغيرها من السلاسل الَّتي أدعو الله ﷻ أنْ ينفع بها النَّاس في كل مكان في مشارق الأرض ومغاربها.

وكم كنتُ خلال هذا كله، أودُّ من كلِّ قلبي: أنْ أكتب كتابًا في سيرة رسولنا الكريم، الَّذي امتنَّ الله به علينا حينما أرسله إلينا، فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. فجعل رسالة محمَّد العالَميَّة الخالدة هي رسالة الرحمة العالَميَّة، الَّتي منَّ الله تعالى بها على «العالَمين».

وكنتُ تصوَّرتُ هذا الكتاب في ذهني، ورتَّبتُ فصوله وعناوينَه، على أن أقدِّمه للعالَم بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري، وأخذتُ له العنوان، وهو: «محمد رحمة الله للعالَمين»، إشارةً إلى الآية القرآنية الكريمة الَّتي تشير إلى رسالة محمَّد إلى العالَم الَّتي نبَّه القرآن الكريم إليها، وهي قوله تعالى خِطابًا لمحمد: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ولكنِّي كتبتُ فصولًا مهمَّة، وكلمات هي من صميم موضوعات الكتاب، ولكنْ لم أتفرَّغ له، وشُغِلتُ بغيره، ولم أنْتَهِ منه، ولله في خَلقه شؤون، يطغى بعضها على بعض، ولا يُنفَّذ منها إلَّا ما قضى الله، في

QaradawiBooks.com

حينه الَّذي قدَّره، وتبقى الأشـياء أمانيَّ، تزخر بها الأنفس، وتنشغل بها الأفكار، ولكن لا تفرض نفسها على عالَم الواقع.

وقد كتب في هذه السـيرة العاطـرة المباركة ربَّما آلاف وعشـرات الآلاف ومئات الآلاف وأكثر من الكُتَّاب، بمختلف اللغات، وكان فيهم المُحْسِنون والمُجِيدون.

وقد رأينا منهم مَن كَتَب باللسـان العربي فأجاد وأفصح، منهم من أطال، ومنهم من أقصر، ومنهم من سرَد سـيرة النبيِّ ﷺ سردًا، ومنهم من حلَّلها تحليلًا، ومنهم من شرحها وبيَّنها، ومنهم من أخذ جانبًا منها ووسَّعه، ونقد وردَّ وفصَّل، ومنهم من اهتم بفترة من فتراتها، ووسَّع فيه، وأحسن ما شاء الله أن يُحسن، ومنهم من نظر فيها كلِّها حَسَبما فتح الله له من أبواب في مناحيهـا المختلفة، الَّتي لم تتـرك ناحية من نواحي الحياة كلِّها إلَّا دخلـت فيها، وكانت النموذج الأعلى والنهج الأرشـد للدعوة والهداية.

ونحن نـرى: أن يأخذ كلُّ كاتب شـرح الله صدره للإسـلام، ونوَّره بالقرآن، من جوانب حياة النبـي ﷺ ما يهتم به عقله، وتَتَّجه إليه إرادته، ويجتمع عليه وجدانه، ويُفتح له فيه ما قد لا يُفتح على غيره.

وقد رأينا الإمام ابن القيِّم في كتابه «زاد المعاد في هَدْي خير العباد» الَّذي كان بحرًا ثَجَّاجًا، وسـراجًا وَهَّاجًا، يتحـدَّث عن حياة النبيِّ ﷺ البشـريَّة والنبويَّـة، المكيَّـة والمدنيَّة، الدعويَّـة والجهاديَّـة، الفرديَّة والجماعيَّـة، العباديَّـة والتعامليَّة، التوجيهيَّة والتشـريعيَّة، السـلميَّة والحربيَّة، ووسَّع في ذلك ما شاء الله له، بما وهبه مِنْ فهمٍ لهذه السيرة، وما فيها من سـننٍ ومواقفَ وأحـكامٍ وآداب، تملأ الآفاق، وتشـغل

QaradawiBooks.com

العقول، وتنوِّر القلوب، وتحيي الضمائر، وتقود الشعوب إلى الخير والهُدى، وتدفع أولي العزم إلى أن يقودوا الأمَّة إلى أهدى الطرق، وأرشد السبل، الَّتي تهدي للتي هي أقوم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقد تناولت أقلام الأعلام من رجال الدعوة الإسلاميَّة في عصرنا الحديث وغيرِهم السيرةَ النبويَّة، كلٌّ بما يتيسَّر له، منهم مَنْ نظر إليها نظرة كلِّيَّة، فمنهم مَن سردها كما فعل شيخنا الإمام محمَّد الغزالي في كتابه: «فقه السيرة»، وقد سار على هذه الطريقة من قبله العلامة الشيخ محمَّد الخضري في كتابه: «نور اليقين»، والدكتور محمَّد حسين هيكل في كتابه: «حياة محمد» ـ الَّذي كتب مقدِّمته الشيخ الإمام محمَّد مصطفى المراغي شيخ الأزهر ـ والدكتور طه حسين في كتابه: «على هامش السيرة»، ثمَّ الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي في كتابه: «السيرة النبويَّة»، وقد كتبها بعد قراءة ما كتبه المستشرقون. وقبله كتب كبار رجال ندوة العلماء كتابًا في السيرة من عدة أجزاء بالأوردية، وكذلك تحدَّث العلامة سليمان الندوي عن السيرة في ثماني محاضرات جمعها في كتابه: «الرسالة المحمَّديَّة». وقد كتب المؤرخ العراقي الكاتب الإسلامي المعروف عماد الدين خليل كتابه في السيرة: «دراسة في السيرة»، وكتب العلَّامة الأزهري الشيخ محمَّد الصادق عرجون كتابه عن سيرة الرسول في أجزائه الأربعة سمَّاه: «محمَّد رسول الله منهج ورسالة»، وكتب محمَّد فريد وجدي عن سيرة الرسول في مجلة الأزهر وقت أن كان رئيس تحريرها عدة مقالات تحت عنوان: «السيرة النبويَّة تحت ضوء العلم والفلسفة»، وكتب الكاتب المسيحي

QaradawiBooks.com

نظمي لوقا كتابه: «محمَّد الرسول والرسالة»، الَّذي تحدَّث فيه عن الرسول في بيته وأسرته.

ومِن الكُتَّاب مَن كتب في السيرة كلِّها على طريقة الأقدمين، كُتَّاب السيرة الأوائل، كسيرة ابن إسحاق الَّتي نقلها ابن هشام في سيرته، وسيرة ابن كثير، وهي جزء من كتابه «البداية والنهاية»، وأعتبر أنَّها تمثل المؤرِّخين من المحدِّثين، ومن هؤلاء الكتاب في عصرنا: المباركفوري في كتابه «الرحيق المختوم».

ومنهم من كتب في بعض زوجاته: مثل خديجة، وعائشة رضي الله عنهما، ومنهم من كتب في بعض أصحابه مثل: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليٍّ رضي الله عنهم. ومنهم من كتب في جزئيَّات منها، يكتب عنها مُجليًا وشارحًا وناقلًا، كما فعل الكاتب الكبير عبَّاس العقَّاد في كتابه «عبقريَّة محمد» الَّذي تحدَّث فيه عن محمَّد القائد والصديق والرئيس والأب والجد، وأمثال ذلك. والَّذي كان مقدمة لكتبه الرائعة في العبقريَّات الإسلاميَّة وغير الإسلاميَّة.

وكان قد عَرَض لي أن أكتب على غرار الشيخ الغزالي في كتابه «فقه السيرة»، ولكنِّي وجدتُ الشيخ رحمه الله كتب كتابًا يعزُّ على امرئ عربيٍّ أن يكتب مثله، كتبه وهو في المدينة المنورة، تشرق عليه الأنوار، وتتجلَّى له الأسرار، ونفع الله به كثيرًا من النَّاس، وأنا منهم. فلم أُحِبَّ أن أعيد كتابه بصيغة أخرى، وقلمه أفضل من قلمي، وقلبه أوسع من قلبي، وأدبه العربي أروع من أدبي.

لكنِّي حذوت حذو العقاد، فقد خطر لي عدَّة جوانب مضيئة في السيرة المحمَّديَّة، تبهر الأبصار، وتملأ القلوب، وتُعجب الألباب،

QaradawiBooks.com

وتُزيِّن لكل العقلاء أن يتزيَّنوا بها، ويتحلَّوا بلآلِئِها، فرأيتُ أنْ أتحدَّث عن خمسة عشر جانبًا من الجوانب المهمة في حياة الرسول ﷺ، وهي:

١ ـ الرسول العابد.

٢ ـ الرسول الزاهد.

٣ ـ الرسول الداعية.

٤ ـ الرسول البليغ.

٥ ـ الرسول المعلِّم.

٦ ـ الرسول المجاهد.

٧ ـ الرسول القائد.

٨ ـ الرسول الإنسان.

٩ ـ الرسول صاحب الذوق السليم.

١٠ ـ الرسول الزوج.

١١ ـ الرسول الأب والجد.

١٢ ـ الرسول ذو الخلق العظيم.

١٣ ـ الرسول ذو العدل والرحمة.

١٤ ـ الرسول رياضي الجسم والروح والفكر.

١٥ ـ الرسول المبعوث إلى العالم.

كل ناحية من هذه النواحي تستحق أن يوقف عندها، وأن يكتب فيها، وأن يُرخى العِنان للأقلام لتكتب وتسطِّر، فنسأل الله أنْ يمدَّنا بمدد منه، وبروح من عنده، وبعدد من جنده، ويحرسنا بعينه الَّتي لا تنام،

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ويكلؤنا في كنفــه الَّذي لا يضام، ويجعــل ما نكتبه نافعًــا لنا ولأبنائنا ولإخواننا ولأمَّتنا الكبرى في المشارق والمغارب، ليحيا به المسلمون، وينتفع به غير المسلمين، آمين.

وآخر دعوانا أنَّ الحمد لله ربِّ العالمين.

الفقير إلى عفو مولاه

يوسف القرضاوي

الخميس ٢٧ صفر ١٤٣٩هـ

الموافق ١٦ نوفمبر ٢٠١٧م

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

الرسول العابد

الله ربُّ العالمين، وخالق الإنسان، وواهب الحياة، وصاحب النعم الكبرى على كل المخلوقات، وأوَّلهم بنو آدم.

لم يكن هذا العالم شيئًا مذكورًا ما شاء الله من القرون والدهور الَّتي لا تُعد ولا تُحصى، ثمَّ أراد تعالى أن يُعرف، فخلق العالم، وإنْ شئت قلتَ: خلق العوالم المختلفة في الأرض وفي السماء، كما قال رسول الله ﷺ: «**كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غيره، وكان عرشُه على الماء، وكتب في الذِّكْر كلَّ شيء، وخلق السماوات والأرض**»[1].

وإنَّما خلق الله الخلق ليتعرَّف النَّاس عليه، ويعترفوا بأنَّه خالق هذه الأكوان الكبيرة، من فوقنا، ومن تحتنا، ومن حولنا، لنعلم أنَّ وراءها خالقًا عظيمًا، عليمًا بما يَخلق، وبمن يَخلق، ومن سيُخلَق، ومن سيَبيد.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والعبادة هي كمال الطاعة مع كمال الحب وكمال التعظيم، وهذا لا يكون إلَّا عن معرفة بقدره، ومعرفة بحقه، ومعرفة بأسمائه

(١) رواه البخاري في بدء الخلق (٣١٩١)، عن عمران بن حُصين.

QaradawiBooks.com

الحسنى، وصفاته العلا، ولهذا قال مجاهد في تفسير قوله: ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ أي: ليعرفون[١].

وهذا صحيح، فمن لم يعرف من يعبده، لم يعبده حقًّا، لعلَّه يعبد غيره وهو لا يعلم، وكم مِن أصحاب الملل والنحل مَن يزعمون أنَّهم يعبدون الله، وحقيقة الأمر أنَّهم ما عرفوا الإلٰه الحقَّ، ولا عبدوا الإلٰه الحقَّ.

ومن ثمَّ جعل القرآن غاية الخلق في آية أخرى هي معرفة الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

فأراد سبحانه من خلق هذه السماوات الكبرى وهذه الأرض العجيبة: أن يعرفه النَّاس، فإنَّما يُعرف الكائن بأثره وعمله وإبداعه، يعرفون وجود خالقهما ومدبِّرهما، وأنَّه ﷻ على كلِّ شيء قدير، وأنَّه أحاط بكلِّ شيءٍ علمًا، فخَلْق هذه السماوات والأرض دليلٌ بارز على قدرته على كلِّ شيء، فما كان ليقدر على أعظم الأشياء في نظرنا، ويعجز عن أقلها، وما كان ليعلم أدقَّ ما يخلقه، ثمَّ يجهل ما هو أقلُّ منه في الدقَّة والإتقان، ولهذا قال: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

خلق سبحانه الأكوان ليُعرف بما له من صفات الكمال والجمال والجلال، كما قال تعالى في ختام السورة الَّتي سُمِّيت باسمه «الرحمن»: ﴿تَبَارَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨]. وقد حدَّثنا عن بعض صفاته

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٥٠٦)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

في بداية سورة الرحمن: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ١ ـ ٩].

أرسل الله محمدًا ﷺ والبشريَّة قد تشعبَّت بهم السبل، وتفرَّقت بهم الطرق، بعيدًا عن الله الحقِّ، واختلفت تصوُّراتهم عن الإلٰه وصفاته، فمنهم من أشرك به غيره، ومنهم مَن زعم حلوله في بشر، وفي غير بشر، ومنهم، ومنهم.

بعثه الله ليُعَرِّف الخلق به، ويدلَّهم عليه، فإذا عرفوه حق المعرفة، علموا أنَّه المستحقُّ للعبادة، وحده لا شريك له، وأنَّ كل ما دونه ومن دونه لا يستحقون عبادة الإنسان، وهم مثله مخلوقون مرزوقون مربوبون.

جاء محمَّد بكتاب من عند الله، يدلُّ البشريَّة على الصراط المستقيم، صراط الَّذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، وأوَّل معالم هذه الطريق: هي معرفة الله الحق بأسمائه وصفاته، فهو رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين. وثاني هذه المعالم: أنَّه سبحانه المستحقُّ للحمد وحده، والمستحق للدعاء وحده، والمستحقّ للعبادة وحده، لا شريك له من بشر أو حجر، أو شمس أو قمر، أو غير ذلك ممَّا توجَّهت إليه البشريَّة بالعبادة والتقديس، وأنَّ الاستعانة ـ خارج الأسباب المعهودة ـ لا تكون إلَّا به سبحانه.

بُعِثَ محمَّد ليُصحِّح مسيرةَ الأديان قبله، بعد أن عَبَدَتْ غيرَ الله، واتَّخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله، واستحالت النصرانية من التوحيد إلى التثليث، واليهودية من التنزيه إلى التشبيه، لذا كان النبي ﷺ

QaradawiBooks.com

يختم رسائله إلى أمراء الأرض وملوكها وأباطرتها، بهذه الآية: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وهذه المعاني مبثوثة في القرآن كلِّه، لكنَّها أُجملت في أوَّل سورة افتُتِح بها المصحف، وطُلِب من المسلم قراءتُها في كلِّ الصلاة، لتظلَّ باقية في عقله وفكره ووجدانه، وهي سورة الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ١ ـ ٧].

هذه السورة الَّتي افترض الله على عباده أن يقرؤوها، وأمر رسولُه أن يكرِّروها في الصلاة، في كل يوم وليلة، سبع عشرة مرَّة على الأقل.

عبادة الرسول ربَّه في شبابه:

لم يكن محمَّد مجرد معلِّم للبشريَّة يعلِّمها كيف تعبد الله، أو مرشد يدلُّهم على سبيل الوصول إليه، بل كان المثل الأعلى والأسوة الحسنة لكل من أراد أن يعبد الله حق العبادة، وأن يتقيه حق التقوى.

وكان محمَّد السابق الأوَّل في طريق الله، الَّذي لا يملك من أراد أن يعبد الله العبادة الحق إلَّا أن يسير خلفه، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

ليس هذا ادعاء محبٍّ، أو تعصُّب تابعٍ لمتبوعه، بل من يقرأ سيرة محمَّد ﷺ، الَّتي نقلت أدق تفاصيل حياته، من يقرؤها بتجرد وإنصاف

QaradawiBooks.com

يجدها كلها شاهدة على هذه الدعوى، ناطقة بأنَّ معرفة محمَّد بالله «لا تسبقها معرفة في الأولين والآخرين، لأنَّها معرفة تنبع من شهود لا يخبو سناه، ولا يغيم ضحاه»[١]، وأنَّ الله لم يعبد في الأرض كما عبده محمَّد ﷺ.

محمَّد ﷺ قبل البَعثة:

بدأ محمَّد ﷺ عبادته لربِّه من قديم، منذ كان شابًّا، قبل أن يأتيه الوحي، ويُكلَّف بالرسالة، لم يكن كأهل الجاهليَّة في زمانه، الَّذين كانوا يسجدون للأصنام، ويجرون وراء هذه الأوهام، يدعونها في الشدائد، ويستشيرونها في المُلِمَّات، ويتقرَّبون إليها بشتَّى القُرَب.

لم يُعرف عنه أنَّه دخل فيما يدخل فيه هؤلاء الرجال الكبار، ولا أُولع بما أولع به الشباب الصغار، بل عُرف منذ طفولته برجاحة عقل فاق بها أقرانه، ولذلك لم يشارك في عبادة وثن لقريش ولا غيرها، ولا دخل في لهو من ملاهي الجاهليَّة، ولا عُرف بما يعرف به الشباب اللعوب الطروب من طيش ومجون، إنَّما عُرف بين قومه بالصدق والأمانة، ورعاية الحُرُمات، وحماية الحقوق، ومقاومة المظالم، مع السيرة العاطرة، والشمائل الباهرة، ولهذا سرعان ما عُرفت هذه الصفات عند القوم، حتَّى سمعت بذلك امرأة من أشراف نساء قريش، ممَّن عُرفن بالمال والغِنى والشرف، فرضي ﷺ أن يعمل في مالها شريكًا بالمضاربة، الَّتي جاءت لخديجة بالمال الوفير، والخير الكثير، وحكى لها مولاها ميسرة ما رآه في محمَّد في أثناء سفره معه في تجارة من خصال تصعب أن تجتمع في غيره، ولا عجب أن تنتهي هذه المشاركة بالمصاهرة،

(١) فن الذكر والدعاء للشيخ محمد الغزالي صـ ٧، نشر دار نهضة مصر، ط١.

QaradawiBooks.com

ويقوم زواج كريم من شاب لم يتزوج بامرأة أكبر منه سنًّا، تزوَّجت ومعها أولاد من غيره.

وكانت نِعْم الزوجيَّة السعيدة، وكانت هي نِعْم الزوجة الصالحة الَّتي بقي معها، وأنجب منها من البنين والبنات.

اختلاؤه في غار حراء ونزول الوحي:

وكان من عادة محمَّد بن عبد الله أن يختلي في رمضان من كل سنةٍ الليالي ذوات العدد في غار حراء في مكَّة، ويتزوَّد بما يكفيه عددَ الأيام الَّتي يبقى فيها، ثمَّ يرجع إلى خديجة فيتزوَّد لمثلها[1].

إلى أن جاءه في يوم من الأيام هـذا المَلَك الَّذي رآه أوَّلًا في نومه في الليل[2]، ثمَّ ظهر له عِيَانًا، يغطُّه ويعانقه، ويقول له: اقرأ. قال: «**ما أنا بقارئٍ**». وكرَّر معه هذا القول، ثمَّ قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥]. ثمَّ تركه.

وعاد محمَّد ﷺ إلى زوجه خديجة، وهو يرتعد، ويقول: «**زمِّلوني، زَمِّلوني**»[3]. أيْ: غطُّوني، غطُّوني، من شـدَّة ما يشـعر به من الرَّوع الَّذي أصابه.

---

(١) إشارة إلى حديث بدء الوحي المتَّفق عليه، الذي رواه البخاري في بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠)، عن عائشة.

(٢) كما في رواية عبيد بن عمير مرسلًا، أنَّه رأى جبريل أولًا في النوم، وقرأ عليه الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، ثم جاءه بعدُ في اليقظة. انظر: سيرة ابن هشام (٢٣٦/١، ٢٣٧)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

(٣) جزء من حديث بدء الوحي السابق.

QaradawiBooks.com

وطمأنته خديجة، وعددت له مآثره، الَّتي عرفتها عنه ممَّا تناهى إلى سمعها من حديث قريش عنه، وما رأته بعينيها في تلك الأعوام الَّتي عاشتها معه، فقالت له: أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنَّك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتَكْسب المعدوم، وتَقري الضيف، وتُعين على نوائب الحقِّ[1].

مُحَمَّد بعد البعثة:

وبدأت مرحلة جديدة من حياة محمَّد العابد، فبعد أن كان يعبد ربه مختليًا في غار حراء بعيدًا عن النَّاس، أُمِرَ بتعبيد البشر إلى ربهم، وبأن يقود البشريَّة التائهة إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد.

وبدأت مرحلة جديدة من ذكر الله والتبتُّل إليه، إمامها وقائدها محمَّد ﷺ، وخلفه كلُّ من آمن به وصدَّقه واتَّبعه، وقد خاطبه القرآن مُعلِمًا إيَّاه بهذه المرحلة الجديدة، والمهمَّة الجديدة، والتكاليف الملقاة فيها على عاتقه لتبليغ رسالة ربه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ فليس هناك مجال للنوم الطويل، ولا لراحة المُترفِين ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ لماذا؟ لِمَ هذا القيام، والقرآن، والصلاة، والترتيل؟ ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٥]. إنَّا سُنلقي عليك كلامًا عظيمًا جليلًا، ذا معانٍ وفيرةٍ غزيرةٍ، والثقل هنا ثقل معنوي، يتعلق بالعقائد والعبادات والأخلاق والمكارم، والدعوة والجهاد.

إنَّ تكاليف هذا القول الموحَى به إليك ثقيلة، ستحملها أنت ومن آمن بك، دعوةً وعملًا وتربية وتزكية، وصبرًا ومصابرة وجهادًا دائمًا.

(١) جزء من حديث بدء الوحي السابق.

QaradawiBooks.com

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا﴾ [المزمل: ٦]. ناشئة الليل هي: ساعاته وأوقاته، والمقصود: أنَّ قيام الليل هو أشـــدُّ مواطَأة بين القلب واللسان، وأجمع على التلاوة والتدبُّر.

هذا بالليل أمَّا بالنهار فـ ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ أي تصرُّفًا وتقلُّبًا في حوائجـــك ومطالب حياتك، وزمانًا طويلًا للقيام بوظائف رســـالتك الدعويَّة والتربويَّة.

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾، أي «أكثـــر من ذكـــره، وانقطع إليه، وتفرَّغ لعبادته إذا فرغت من أشـــغالك، وما تحتاج إليه من أمور دنياك، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ [الشرح: ٧]. أي: إذا فرغت من أشغالك فانْصَب في طاعته وعِبَادَته، لتكون فارغ البال»[(١)].

وقد ظلَّ النبيُّ ﷺ والمؤمنون معه يقومون الليل هذا القيام الطويل، يتعبدون ويتهجَّدون، حولًا كاملًا، حتَّى تورَّمت أقدامهم وتشقَّقت، فأنزل الله عليهم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰۙ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المزمل: ٢٠]. فخفَّف الله تعالى عن الأمَّة، وظل قيام الليل فرضًا على النبي ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٩٧].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢٥٥/٨)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشـــر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وظلَّ رسول الله ﷺ ممتثلًا ما أمره الله تعالى به من قيام الليل، وكان يقومُ مِنَ الليْلِ حتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَماه، فقالت له زوجته عائشة الَّتي تزوَّجها بعد وفاة خديجة وبنى بها بعد هجرته إلى المدينة: لِمَ تصنع هذا، وقد غُفِرَ لكَ ما تقدَّم من ذنبك، وما تأَخَّرَ؟ قال: «**أفلا أحبُّ أن أكون عبدًا شَكورًا؟**»[١].

من الَّذي تُوَجَّه له العبادة؟

كان الرسول الكريم ﷺ يُخاطب أوَّل ما يخاطب العقول لتتحرَّر، وتعلم من هو الَّذي يستحقُّ أن تُوَجَّه له العبادة، وأن تُحنى له الظهور راكعة، والجباه ساجدة، وتتوجه إليه الألسن مسبحة حامدة ﴿**قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ**﴾ [النحل: ٣٦].

أين كان النبيُّ يعبد الله تعالى؟

إنَّ الدين الَّذي دعا إليه أفضل العابدين وخير عباد الله أجمعين، محمَّد ﷺ، لم يحصر عبادة الله والصلاة له ومناجاته والتضرع له في مكان خاصٍّ، بل شرع الإسلام للمسلم أن يعبد الله سبحانه في كل مكان طاهر نظيف، وقد جاء في الحديث: «**وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»[٢].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٣٧)، ومسلم في صفة القيامة (٢٨٢٠).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التيمم (٣٣٥)، ومسلم في المساجد (٥٢١)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

وهكذا كان رسول الله ﷺ، الأرض كلُّها مسجده، والحياة كلُّها ساحةُ عبادة يتقرب فيها إلى ربِّــه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

كان يعبد ربَّه ويدعوه ويذكره في كلِّ مكان: في السوق، حيث ينشغل النَّاس بالدنيا وملذاتها وشواغلها وشــهواتها، وفي البيت، حيث ينشغل النَّاس بالأولاد والأزواج والراحــة، وكان يذكر الله على كل أحيانه، كما قالت أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها[1]. وكان ممَّا أوحى الله إليه وبلَّغه للمؤمنين بــه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

ومن أخصِّ الأماكــن الَّتي كان يعبد فيها ربَّه ويأمــر أتباعه بعمارتها: المسجد، بيت الله، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ۞ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

والمسجد كل أرض حُجزت ووُقفت، لتكون مقصورة على الصلاة، عند الفرائض الَّتي حــدِّدت أوقاتها، قال تعالــى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النســاء: ١٠٣]، وهي الصلوات الخمس كل يوم وليلة: الفجــر والظهر والعصــر والمغرب والعشــاء، كما قــال تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۞ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٧، ١٨].

(١) رواه مسلم في الحيض (٣٧٣)، والبخاري في الأذان تعليقًا قبل حديث (٦٣٤).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد رُبطت هذه الصلوات بمواقيتها من النهار، أو مواعيدها من الليل، حسَب مطلع الشمس ومغربها، لا يجوز أداؤها قبل موعدها، ولا يجوز تأخُّرها عنه، إلَّا لعذر، وإلَّا كان من أخَّرها آثمًا، ليكون المؤمن عابدًا لله في أوقاته كلِّها.

وبالإضافة إلى صلاة الجمعة كلَّ أسبوع: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۞ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩، ١٠].

وكما أنَّ للفرائض موقعها في دين محمَّد دين الإسلام فللنوافل موقعها، والمؤمن الحق لا يضيع فرضًا أبدًا، ولا نفلًا قدر استطاعته، ومن أهمل الفرض من أجل النفل فهو مغرور، ومن أخَّر النفل من أجل الفرض فهو معذور، والسعيد حقًّا من شفع الفريضة بالنافلة، والواجب بالمندوب، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۞ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [هود: ١١٤، ١١٥]. وقال ﷺ: «**إن أوَّل ما يحاسب النَّاس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة. يقول ربنا ﷻ لملائكته ـ وهو أعلم ـ: انظروا في صلاة عبدي أتمَّها أم نقصها؟ فإن كانت تامَّة كُتبت له تامَّة، وإن كان انتقص منها شيئًا قال: انظروا، هل لعبدي من تطوُّع؟ فإن كان له تطوُّع قال: أتمُّوا لعبدي فريضته من تطوُّعه. ثمَّ تؤخذ الأعمال على ذاكم**»[1].

(١) رواه أحمد (٩٤٩٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في الصلاة (٨٦٤)، والحاكم في الطهارة (٣٩٤/١)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

كرَّم الله تعالى المساجد، وهي دور الصلاة الجماعيَّة، الَّتي ترفع نداء التوحيد (الأذان) لتعلن عن عمارة المساجد بالصلوات الخمس كلَّ يوم، وبصلاة الجمعة في المساجد الجامعة كلَّ أسبوع، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]. وقال منوهًا بالمساجد وروَّادها: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

وفي سورة التوبة يقول تعالى أيضًا: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

في سورة البقرة وعيدٌ شديدٌ لمن يسعى في خراب المساجد، بفراغها من المصلِّين الذاكرين لله، يقول سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: ١١٤].

وقد حثَّ النبيُّ ﷺ على بناء المساجد وعمارتها بالعبادة والطاعة في كثير من أحاديثه، منها قوله ﷺ: «**من بنى لله مسجدًا ولو كمِفْحَصِ قَطَاةٍ، بنى الله له بيتًا في الجنَّة**»[1].

والقطاة: طائر صغير في حجم الحمامة، ومفحص قطاة: هو المكان الضيِّق الَّذي تفحص التراب عنه لتبيض فيه. أي مهما بلغ من الصغر والضيق فإنَّ له عند الله بيتًا في الجنَّة.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٥٠)، ومسلم في المساجد (٥٣٣)، عن عثمان بن عفان.

QaradawiBooks.com

وقال: «**صلاةُ الرجلِ في جماعة تزيد عن صلاته في بيته، وصلاتِه في سوقه بضعًا وعشرين درجة، وذلك: أنَّ أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثمَّ أتى المسجد، لا يريد إلَّا الصلاة، ولا يَنْهَزُه إلَّا الصلاة، لم يخطُ خطوةً إلَّا رُفع له بها درجة، وحُطَّ بها عنه خطيئة، حتَّى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون على أحدهم ما دام في مجلسه الَّذي صلَّى فيه، يقولون: اللهمَّ اغفر له، اللهمَّ ارحمه، اللهمَّ تب عليه، ما لم يؤذ فيه، ما لم يُحْدِثْ فيه**»[(١)].

وكان أوَّل شيء فعله النبيُّ ﷺ بعد هجرته إلى المدينة وإقامة المجتمع الإسلامي أن بنى المسجد، وربط المجتمع وأنشطته الثقافيَّة والسياسيَّة والحربية وغيرها به، لتكون الأمة الناشئة مرتبطة بالله وعبادته في كل أنشطتها.

وهو الأمر الَّذي سارت عليه أمَّتُه من بعده، فقد تسابق المسلمون عبر تاريخهم في بناء المساجد، ولا نكاد نجد خليفة أو سلطانًا أو أميرًا إلَّا وقد أنشأ مسجدًا، أو أحيا مسجدًا، أو وسَّع مسجدًا.

وعلَّمنا النبيُّ ﷺ أن يتَّخذ المسلم في بيته الَّذي يعيش فيه مسجدًا ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، يشهد له يوم القيامة عند ربِّه، فعن عائشة قالت: أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدُّور، وأن تُنَظَّف وتُطَيَّب[(٢)]. وروي مثله عن سَمُرة[(٣)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٧٧)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٤٩)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٦٣٨٦)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في الصلاة (٤٥٥)، والترمذي في السفر (٥٩٤، ٥٩٥) مرسلًا وموصولًا، وصحَّح إرساله. وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٤٧٩).

(٣) رواه أحمد (٢٠١٨٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الصلاة (٤٥٦).

QaradawiBooks.com

وعن عِتْبان بن مالك: أنَّه أتى رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، قد أنكرتُ بصري، وأنا أصلِّي لقومي، فإذا كانت الأمطار سال الوادي الَّذي بيني وبينهم، لم أستطعْ أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، ووددتُ يا رسول الله أنَّك تأتيني فتصلِّي في بيتي، فأتخذه مصلى. فقال له رسولُ الله ﷺ: «**سأفعل إن شاء الله**». قال عِتْبان: فغدا رسولُ الله ﷺ وأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله ﷺ، فأذنت له، فلم يجلس حتَّى دخل البيت، ثمَّ قال: «**أين تحبُّ أن أصلِّي من بيتك؟**». قال: فأشرت له إلى ناحية من البيت، فقام رسول الله ﷺ فكبَّر، فقمنا، فصفَّنا، فصلَّى ركعتين ثمَّ سلَّم[1].

ومع هذا ينبغي أن يعمل المسلم مع إخوانه بقدر طاقاتهم على بناء المساجد الجماعيَّة للصلوات، ليرتفع فيها نداء الحقِّ وقتَ كلِّ صلاة: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، أشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حيَّ على الصلاة، حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، حيّ على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إلٰه الله إلَّا الله.

يقوله المؤذن في كل صلاة بصوته العالي الجميل، ويردِّده المسلمون وراءه.

وإذا كانت جماعة في مكان ليس فيه مسجد، جعلوا من مكانهم مسجدًا وأذَّنوا فيه، وأقاموا الصلاة بألفاظ مأخوذة من أذان الصلاة، تؤدَّى بصوت أخفض، وبطريقة أسرع.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٢٥)، ومسلم في الإيمان (٣٣).

QaradawiBooks.com

متى كان النبيُّ ﷺ يعبد الله ﷻ؟

عبادة الرسول ﷺ كانت في كلِّ وقت: في الليل وفي النهار، في العشيِّ والإبكار، في السفر والحضر، في الصحَّة والمرض، في الأمن والخوف، في السلم والحرب، لا يشغله عن الله شاغل، ولا يقطعه عن عبادته قاطع، تنام عيناه ولا ينام قلبه.

صلاة النبي ﷺ في ليله ونهاره:

كان محمَّد رسول الله ﷺ، عابدًا لربِّه بكل أنواع العبادات من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة، فرائض ونوافل، وأوَّل هذه العبادات الَّتي كان يتعبد بها محمَّد ﷺ وأعظمها الصلاة، الَّتي هي عماد الدين، ومحل المناجاة، ومعدن المُصافاة، وأعظم صلواته الَّتي يؤديها هي الصلوات الخمس الفرائض، الَّتي كان لا يشغله عنها شاغل، وقد سئلت عائشة زوج النبي ﷺ: ما كان النبي ﷺ يصنع في البيت؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا سمع الأذان خرج[1].

كان محمَّد ﷺ أعظم ما يكون إيمانًا بربِّه، وخشوعًا له، واتِّباعًا لأمره، ولهَجًا بذكره، وولوعًا بحبِّه، وحياةً لقلبه، وشغفًا بوجدانه، وذكرًا بلسانه، حين يدخل الصلاة بالتكبير، ويذكر الله فيها ويتلو القرآن، يجد فيها نفسه، ويلقى فيها ربَّه، ويعمر فيها قلبه، فهو يعيش في هذه الصلوات الَّتي كانت قُرَّة عينه، ففيها يجد قرة العين، وانشراح الصدر، وسعادة الروح، وكأنه حين يدخل الصلاة، قد دخل الجنَّة، فهي جنة قبل الجنَّة، ولذلك كان يشتدُّ شوقه، ليدخل صلاة الجماعة المحددة المواقيت، حتَّى

(١) رواه البخاري في النفقات (٥٣٦٣).

QaradawiBooks.com

إذا حان وقتها قال لمؤذنه المعروف بلال بن رباح: «**أرِحْنا بها يا بلال!**»[١]. إنَّه يجد فيها راحة نفسه، وسعادة ضميره، ولذا يقول: أرحْنا بها. لا كأولئك الَّذين يقولون بقلوبهم، وإن لم تقلها ألسنتهم: أرِحْنا منها أيها المؤذن أو أيها الإمام. فصلاة هؤلاء همٌّ ثقيل يحمله أحدهم، يريد أن يستريح من حمله.

أمَّا صلاة محمَّد النبي العابد لربه، فهي صلاة الحب، لا مجرد صلاة الطاعة وامتثال الأمر، إنَّه كان يجد فيها غذاء قلبه، وانشراح صدره، وحياة روحه، وقرة عينه، وقد قال ﷺ: «**وجُعِلَت قرَّةُ عيني في الصلاة**»[٢]. وقالت زوجه عائشة: كان رسول الله يحدثنا ونحدِّثه، فإذا حضرت الصلاة، فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه[٣].

أدعيته وأذكاره في صلاته ﷺ:

وكان صلى الله يصلي ويطيل السجود، ويطيل الركوع، ويطيل القيام، ما لم يشقَّ على أصحابه، وله في سجوده وركوعه وما بين التكبيرات أدعية وأذكار تملأ القلب بالخشية والخشوع، وتهز كيان النفس هزًّا، ما أحوجنا أن نقرأها ونحفظها وندعو بها!

---

(١) رواه أحمد (٢٣١٥٤)، وقال: رجاله ثقات لكن اختلف فيه على سالم بن أبي الجعد في إسناده. وأبو داود في الأدب (٤٩٨٦)، وصحَّحه الألباني في المشكاة (١٢٥٣)، عن أبي على رجل من الأنصار.

(٢) رواه أحمد (١٢٢٩٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي في عشرة النساء (٨٨٣٦)، وصحَّح إسناده ابن الملقن في البدر المنير (٥٠١/١)، وحسنه ابن حجر في التلخيص (٢٤٩/٣)، عن أنس.

(٣) قال العراقي في تخريج إحياء علوم الدين صـ ١٧٨: أخرجه الأزدي في الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسلًا «كان النبي ﷺ إذا سمع الأذان كأنه لا يعرف أحدًا من الناس.

QaradawiBooks.com

كان إذا ركع يقول: «**سبُّوح قدُّوس ربُّ الملائكة والروح**»[١]، ويقول: «**اللهمَّ لك ركعتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، خشع لك سمعي وبصري ومُخِّي وعظمي وعصبي**»[٢].

وإذا قام من ركوعه يقول: «**اللهمَّ ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما شئتَ من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحقُّ ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهمَّ لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجَدُّ**»[٣].

وكان إذا سجد قال: «**اللهمَّ لك سجدتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، سجد وجهي للَّذي خلقه وصوَّره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين**»[٤].

وفيما بين السجدتين يقول: «**رب اغفر لي وارحمني، واجبرني وارفعني، وارزقني واهدني**»[٥].

التقرب إلى الله بالنوافل لبلوغ مقام الحب:

ونحن نعلم أن بجوار الفرائض الخمس المقرَّرة على المسلم والمسلمة، وهي: الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء من كل يوم، الَّتي تجعل المسلم دائم الصلة بالله، فلا يخلو ليل ولا نهار من إقام الصلاة

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٧)، وأحمد (٢٤٠٦٣)، عن عائشة.
(٢) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٧١)، وأحمد (٧٢٩)، عن عليّ بن أبي طالب.
(٣) رواه مسلم في الصلاة (٤٧٧)، وأحمد (١١٨٢٨)، عن أبي سعيد الخدري.
(٤) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٧١)، عن عليّ بن أبي طالب.
(٥) رواه أحمد (٢٨٩٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وابن ماجه في إقامة الصلاة (٨٩٨)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١١٠/١): رجاله ثقات. عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

لله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۞ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٧، ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۞ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٤، ١١٥].

بجوار هذه الصلوات المفروضات، رواتب ونوافل يؤدِّيها من أهل الإيمان من تعلو درجاته، فلا يكتفي بما يؤديه النَّاس من الفرائض الَّتي تصل بهم (منزلة القرب)، ثمَّ لا يزالون يترقَّون بالتقرب بالنوافل حتَّى يصلوا إلى (منزلة الحب)، كما روى البخاري في صحيحه: «**من عادى لي وليًّا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ ممَّا افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الَّذي يسمع به، وبصره الَّذي يُبصر به، ويده الَّتي يبطش بها، ورِجْله الَّتي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأُعِيذنَّه**»[(١)].

وقد كان للنبيِّ ﷺ رواتب غير الفريضة يحافظ عليهنَّ، وهي السنن المؤكَّدة، فعن ابن عمر: حفظتُ عن رسول الله ﷺ عشر ركعات: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء في بيته، وركعتين قبل صلاة الفجر[(٢)].

وكان ربَّما صلى قبل الظهر أربعًا، كما روى ذلك عنه بعض أصحابه[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في التهجد (١١٨٠).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٨٢)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٣٠)، عن عائشة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكان محافظتــه على ركعتــي الفجر أكبــر من غيرها مــن النوافل والرواتب، فقد كان لا يتركها هي والوتر في سفر ولا إقامة[١].

وكان له صلوات أخرى لا يحافظ عليها محافظته على تلك الرواتب، كصلاة الضحى، وكصلاة ركعتين أو أربع قبل العصر.

وكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة[٢]. يستمدُّ بها عون الله ومدده.

قيامه لليل:

وكان في ليله ـ كما بيَّنَّا ـ يقوم ناصبًا قدميه لربه، حين يأوي النَّاس إلى فرشــهم ليســتريحوا من تعب النهار، وعناء الأعمال، ومشاغبات النَّاس ومنافســاتهم، حينها يبدأ الحبيب محمَّد ﷺ رحلته في التعبُّد مع مولاه، وقد نزل عليه الأمر الإلٰهي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٥] نادى الله تعالى هذا المزَّمِّل، أيْ المتغطّي بثوبيه من الخوف والرهبة، أن يَــدَعَ التَّزَمُّل والراحــة، ويتزوَّد من مدرســة الليل وقيامه، ومدرسة القرآن وترتيله، ما يُعينه على أداء رسالته، فإنَّ الله سيلقي عليه قولًا ثقيلًا، وعبئًا عظيمًا.

حين ينام النَّاس، ويستغرقون في نومهم، ويحلم كلٌّ منهم بما تنشغل به نفســه، يظل محمَّد ﷺ حيًّا مســتيقظًا مع ربه، يرجــوه حيث يخافه

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٦٩)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٢٤)، عن عائشة. وانظر: زاد المعاد لابن القيم (٤٥٦/١)، نشــر مؤسســة الرســالة، بيــروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) رواه أحمــد (٢٣٢٩٩)، وقال مخرِّجوه: إســناده ضعيف. وأبو داود في قيــام الليل (١٣١٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٠٣)، عن حذيفة بن اليمان.

QaradawiBooks.com

المفرِّطون، ويخافه حيث يجترئ عليه الغافلون، يناديه بما ينادي به ربَّهم المؤمنـــون، ويدعوه بما يدعو به المتوكِّلـــون: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۞ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٤، ٥].

وكثيرًا ما كان يُطيل الثناء على ربِّه من خـــلال ما ينزله الله عليه من كتابه، كما في قولـــه تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۞ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۞ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ۞ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩١ ـ ١٩٤].

ولم تكن متاعب الحياة، ومتاعب الدعوة وهمومها، لتشـــغله عن أن يقوم بالليل لربه، يخلو معه، ويدعوه ويناجيه، ويثني عليه بما هو أهله.

يقف ناصبًا قدميه لله وقوفًا طويلًا لا يســـتطيعه الشباب من أصحابه، يتلو كتاب الله تلاوة تدبر وتفكر ورغَبٍ ورهَبٍ، حكى حذيفة رضي الله عنه قال: صليتُ مع النبيِّ ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثمَّ مضى، فقلت: يُصلِّي بها في ركعـــة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثمَّ افتتح النساء فقرأها، ثمَّ افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسِّلًا، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوُّذ تعوَّذ، ثمَّ ركع، فجعل يقول: «**سبحان ربي العظيم**»، فكان ركوعه نحوًا من قيامه، ثمَّ قال: «**سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد**». ثمَّ قام طويلًا قريبًا ممَّا ركع، ثمَّ سجد فقال: «**سبحان ربي الأعلى**». فكان سجوده قريبًا من قيامه[1].

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٧٢) (٢٠٣).

QaradawiBooks.com

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: صليتُ مع النبيِّ ﷺ ليلة، فلم يزل قائمًا حتَّى هممت بأمر سوء. قيل: وما هممتَ؟ قال: هممتُ أن أقعد وأذرَ النبيَّ ﷺ[1]. لم يصبر على طول قيام رسول الله ﷺ.

دعوته لقيام الليل:

وقد حثَّ النبيُّ ﷺ أصحابه والأمَّة من بعدهم أن يكون لهم نصيبهم من قيام الليل، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أحبَّ الصيام إلى الله صيامُ داود، وأحبَّ الصلاة إلى الله صلاةُ داود عليه السلام، كان ينام نصفَ الليل، ويقوم ثلثه، وينام سُدُسه، وكان يصوم يومًا، ويفطر يومًا**»[2].

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ في الليل لساعةً لا يوافقها رجلٌ مسلمٌ يسأل الله خيرًا من أمور الدُّنيا والآخرة، إلَّا أعطاه الله إيَّاه، وذلك كلَّ ليلة**»[3].

وعن أبي هُرَيْرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أيقظ الرجل أهله من الليل مصليًا، فصلَّى ـ أو صلَّيَا ـ ركعتين جميعًا، كُتبا في الذاكرين والذاكرات**»[4].

ذكر النبيِّ ﷺ ودعاؤه واستغفاره:

ومن أوسع العبادات الَّتي كان النبيُّ ﷺ يتعبَّد بها لربه: عبادة الذكر لله تعالى، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۞

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٣٥)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٧٣).
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٧)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصيام.
(٣) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٥٧)، وأحمد (١٤٥٤٤).
(٤) رواه أبو داود في الصلاة (١٣٠٩)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٣٥)، والنسائي في الكبرى في قيام الليل (١٣١٢)، وابن حبان في الصلاة (٢٥٦٨)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

QaradawiBooks.com

وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]. وقال لرسوله: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨]. وقال: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۞ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٥، ٢٦]. ووصف المؤمنين والمؤمنات بقوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وقال تعالى بعد صلاة الجمعة: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]. وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وذكر الله تعالى تشتمل عليه عبادات الإسلام الكبرى، فالصلاة وهي العبادة اليوميَّة المفروضة على كلِّ مسلم، المُفتتَحة بالتكبير، والمخْتتَمة بالتسليم، تشتمل على أنواع من الذِّكْر من تلاوة القرآن أو سماعه، والتحميد والتكبير، والتهليل والتسبيح، وأدعية لله واستغفار لجلاله وكماله، قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [طه: ١٤].

وقال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، أي أنَّ اشتمال الصلاة على ذِكْر الله أكبر وأعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر.

والحجُّ جعل القرآن أحد هدفيه الرئيسين ذكر الله قال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨] وقال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ

QaradawiBooks.com

وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۞ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۞ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَاسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا ﴾ [البقرة: ١٩٨ ـ ٢٠٠].

وكما كان النبيُّ ﷺ يعبد الله ﷻ في صلواته، كان يعبد الله في دعائه واستغفاره، وذكره وشكره، كما قال تعالى على لسان أخيه سليمان: ﴿أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩].

وكان ﷺ أكثر النَّاس استغفارًا لربه، وكان أصحابه يعدُّون له في المجلس الواحد أكثر من مائة مرَّة يقول: «**ربِّ اغفرْ لي وتبْ عليَّ، إنَّك أنت التوَّاب الغفور**»(١).

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هُرَيْرة: «**والله إنِّي لأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه في اليوم أكثر من سبعين مرَّة**»(٢).

أدعيته الخاصَّة:

وكان ﷺ يناجي ربه بأدعيته الخاصَّة الَّتي لم يُتوجَّه إلى الله بأحرَّ منها عاطفة، ولا بأصدق منها لهجة: «**اللهمَّ أنت ربي، لا إله إلَّا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذُ بك من**

(١) رواه أحمد (٤٧٢٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الصلاة (١٥١٦)، والترمذي في الدعوات (٣٤٣٤)، وقال: حسن صحيح غريب. وابن ماجه في الأدب (٣٨١٤)، عن ابن عمر.

(٢) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

شــر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبــي، فاغفر لي، فإنَّه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت»[١].

ومن اســتغفاراته الَّتي كان يســتغفر بها ربَّه قولُه: «**اللهــمَّ اغفرْ لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلمُ به مِنِّي. اللهمَّ اغفرْ لي هزلي وجِدِّي، وخطئــي وعمدي، وكلّ ذلك عنــدي. اللهمَّ اغفرْ لي ما قدَّمــتُ وما أخَّــرْتُ، وما أســررتُ وما أعلنتُ، أنت المقــدِّم وأنت المؤخِّر، وأنت على كلِّ شيءٍ قدير**»[٢].

«**اللهمَّ أصلحْ لي ديني الَّذي هو عِصْمة أمري، وأصلحْ لي دُنْيَايَ الَّتي فيها معاشــي، وأصلحْ لي آخرتي الَّتي إليها معادي، واجعلِ الحياة زيادةً لي في كلِّ خير، واجعلْ الموتَ راحةً لي من كلِّ شرٍّ**»[٣].

ومن أدعيته ﷺ: «**اللهمَّ إنِّي عبدك، ابــنُ عَبْدِك، ابن أَمَتِكَ، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حُكْمك، عدل فيَّ قضاؤك، أســألك بكلِّ اسمٍ هو لك، سميتَ به نفسَــك، أو أنزلته في كتابِك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو اســتأثرتَ به في علم الغيب عندك، أن تجعل القــرآنَ ربيعَ قلبي، ونورَ صدري، وجلاءَ حزني، وذَهَابَ همِّي**»[٤].

---

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٦)، وأحمد (١٧١١١)، عن شداد بن أوس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٩٨)، ومســلم في الذكــر والدعاء (٢٧١٩)، عن أبي موسى.

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٠)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أحمد (٣٧١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن أبي شــيبة في الدعاء (٢٩٩٣٠)، والبزار (١٩٩٤)، وابن حبان فــي الرقائق (٩٧٢)، والحاكم في الدعاء (٥٠٩/١)، وقال صحيح على شرط مســلم، إن سلم من إرســال عبد الرحمٰن بن عبد الله، عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه. وقال الذهبي: أبو ســلمة لا يدري من هو، ولا رواية له في الكتب الستة. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١٢٩) بعد أن نســبه لأحمد وأبي يعلى والبزار: ورجال =

QaradawiBooks.com

وكان الرسول ﷺ يقنت لربِّه في كلِّ ليلة بكلمات يملؤها الخشوع لله والثناء على الله بما هو أهله، رواها عنه بعض الصحابة: «**اللهمَّ إنَّا نستعينك ونستهديك، ونستغفرك ونتوب إليك، ونثني عليك الخير كلَّه، نشكرك ولا نكفرك، ونخلع ونترك مَن يفجرك، اللهمَّ إيَّاك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونَحْفِد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إنَّ عذابَك الجِدَّ بالكفَّار مُلْحِق**»(١).

وكذلك القنوت الَّذي رواه عنه سبطه الحسن بن علي رضي الله عنهما: «**اللهمَّ اهدني فيمن هديتَ، وعافني فيمن عافيتَ، وتولَّني فيمن توليتَ، وبارك لي فيما أعطيتَ، وقني شرَّ ما قضيتَ، فإنَّك تقضي ولا يُقضى عليك، إنَّه لا يذلُّ من واليتَ، تباركتَ ربَّنا وتعاليتَ**»(٢).

الإمام ابن القيِّم يصف ذِكْرَ النبيِّ ﷺ ربه:

وقد وصف الإمام ابن القيِّم في كتابه: «زاد المعاد في هدي خير العباد» ذكرَ النبيِّ ﷺ لربِّه فقال: «كان النبيُّ ﷺ أكملَ الخَلْق ذِكْرًا لله ﷻ، بل كان كلامُه كلُّه في ذِكر الله وما والاه، وكان أمْرُه ونهيُه وتشريعُه للأمَّة ذِكْرًا منه لله، وإخبارُه عن أسماء الربِّ وصِفاتِه، وأحكامِه وأفعالِه، ووعْدِه

= أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان. وانتهى الشيخ شاكر من بحثه إلى توثيق أبي سلمة، وسلامة الحديث من إرسال عبد الرحمٰن عن أبيه. كما صحَّح الحديث الألباني وأشبع فيه القول في السلسلة الصحيحة (١٩٩)، وذهب مذهبهما الشيخ شعيب في تعليقه على صحيح ابن حبان، ورجع عن ذلك في تعليقه على المسند، وقال: أبو سلمة الجهني لم يتبين لأئمة الجرح والتعديل من هو، فهو في عداد المجهولين. عن ابن مسعود.

(١) رواه ابن أبي شيبة في الدعاء (٣٠٣٣٢)، من دعاء عمر بن الخطاب.

(٢) رواه أحمد (١٧١٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الصلاة (١٤٢٥)، والترمذي في الوتر (٤٦٤)، وقال: حسن. والنسائي في قيام الليل (١٧٤٥).

QaradawiBooks.com

ووعيدِه، ذِكْرًا منه له، وثناؤه عليه بآلائه، وتمجيدُه وحمدُه وتسبيحُه ذِكْرًا منه له، وسؤاله ودعاؤه إياه، ورغبتُه ورهبتُه ذِكرًا منه له، وسكوته وصمتُه ذِكْرًا منه له بقلبه، فكان ذاكرًا لله في كل أحيانه، وعلى جميع أحواله، وكان ذِكْرُه لله يجري مع أنفاسه، قائمًا وقاعدًا وعلى جَنْبه، وفي مشيه وركوبه، ومسيره ونزوله، وظَعنه وإقامته.

الذكر بعد الاستيقاظ أو النهوض من الليل:

وكان إذا استيقظ قال: «**الحمد لله الَّذي أحيانَا بعدما أماتنا وإليه النشور**»[(١)].

وقالت عائشة: كان إذا هَبَّ من الليل، كَبَّر اللهَ عشْرًا، وحَمِدَ اللهَ عشْرًا، وقال: «**سبحان الله وبِحَمْدِه عشرًا، سبحان الملك القدوس عَشْرًا**»، واسْتَغْفَرَ الله عشْرًا، وهَلَّل عشْرًا، ثمَّ قال: «**اللهمَّ إنِّي أعوذ بك منْ ضِيقِ الدُّنيا، وضِيقِ يوم القيامة**». عشْرًا، ثمَّ يستفتح الصلاة[(٢)].

وقالت أيضًا: كان إذا استيقظ من الليل قال: «**لا إله إلَّا أنت سبحانك، اللهمَّ أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهمَّ زِدْنِي عِلْمًا، ولا تُزِغْ قلبي بعد إذ هَدَيْتَنِي، وهب لي من لدنك رحمة إنَّك أنت الوهاب**». ذكرهما أبو داود[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٢٥)، عن أبي ذر.
ومعنى (وإليه النشور) أيْ: البعث يوم القيامة، والإحياء بعد الإماتة، يقال: نشر الله الموتى فنُشروا، أي أحياهم فحيُوا.

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٨٥)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٦٤١)، وحسَّنه الحافظ في نتائج الأفكار (١/١٢٠).

(٣) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٦١)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٦٣٥)، وحسَّنه الحافظ في نتائج الأفكار (١/١١٨).

QaradawiBooks.com

وأخبر أنَّ «**من استيقظ من الليل فقال: لا إلٰه إلَّا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إلٰه إلَّا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم. ثمَّ قال: اللهمَّ اغفر لي، أو دعا بدعاء آخر؛ اسُتجِيبَ له، فإن توضَّأ وصَلَّى، قُبِلَتْ صلاته**». ذكره البخاري[١].

وقال ابنُ عبَّاس عنه ﷺ ليلةَ مبيتِهِ عنده: إنَّه لما استيقظ رفع رأسَه إلى السماء وقرأ العشْرَ الآياتِ الخواتيمَ من سورة «آل عمران»: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...**﴾ [آل عمران: ١٩٠] إلى آخرها[٢]، ثمَّ قال: «**اللهمَّ لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومَن فيهن، ولك الحمد أنت قَيِّم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووَعْدُك الحقُّ، وقولك الحقُّ، ولقاؤك حقٌّ، والجنَّة حقٌّ، والنار حقٌّ، والنبيُّون حقٌّ، ومحمد حقٌّ، والساعة حقٌّ، اللهمَّ لك أسلمتُ، وبك آمنْتُ، وعليك توكَّلْتُ، وإليك أنَبْتُ، وبك خاصَمْتُ، وإليك حاكَمْتُ، فاغفِرْ لي ما قدَّمْتُ وما أخَّرْتُ، وما أسْرَرْتُ وما أعلَنْتُ، أنت إلٰهي، لا إلٰه إلَّا أنت، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم**»[٣].

وقد قالت عائشة رضي الله عنها: كان إذا قام من الليل قال: «**اللهمَّ ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السماوات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة،**

---

(١) في التهجد (١١٥٤)، ورواه أحمد (٢٢٦٧٣)، وأبو داود في الأدب (٥٠٦٠)، والترمذي في الدعوات (٣٤١٤)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٧٨)، عن عبادة بن الصامت. وقوله: «العلي العظيم»، ليس عند البخاري، وإنَّما هو عند ابن ماجه.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٥٧٠)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٣).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٢٠)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٩)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهْدِنِي لما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنك، إنَّك تَهْدِي مَنْ تشاء إلى صراط مستقيم»[(١)].

وربما كان يفتتح صلاتَه بذلك. وكان إذا أوتر، ختم وتره بعد فراغه بقوله: «**سبحان الملك القدوس**». ثلاثًا، ويمُدُّ بالثالثة صوته[(٢)].

ذكر الخروج من البيت:

وكان إذا خرج من بيته يقول: «**باسم الله، توكَّلْتُ على الله، اللهمَّ إنِّي أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ، أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عليَّ**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**مَنْ قال إذا خرج من بيته: باسم الله، توكَّلْتُ على الله، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله. يقال له: هُدِيتَ وكُفيتَ ووُقِيتَ، وتَنَحَّى عنه الشيطان**». حديث حسن[(٤)].

وقال ابن عبَّاس عنه ليلةَ مَبيتِه عنده: إنَّه خرج إلى صلاة الفجر، وهو يقول: «**اللهمَّ اجْعل في قلبي نورًا، واجْعل في لساني نُورًا، واجْعل في سَمْعِي نُورًا، واجْعل في بَصَرِي نُورًا، واجْعل من خَلْفِي**

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٧٠)، وأحمد (٢٥٢٢٥)، وأبو داود في الصلاة (٧٦٧).

(٢) رواه أحمد (١٥٣٦١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والنسائي في الكبرى في قيام الليل (١٤٣٩)، عن أبي بن كعب.

(٣) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٩٤)، والترمذي في الدعوات (٣٤٢٧)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الاستعاذة (٥٤٨٦)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٨٤)، عن أم سلمة.

(٤) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٩٥)، والترمذي في الدعوات (٣٤٢٦)، وقال: حسن غريب. وقال الحافظ ابن حجر فيما نقله عنه ابن علان في الفتوحات الربانية (٣٣٥/١): رجاله رجال الصحيح. وقال الألباني في تخريج الكلم الطيب (٥٩): حسن صحيح. عن أنس بن مالك.

QaradawiBooks.com

نُورًا، ومن أمامي نُورًا، واجْعل من فوقي نُورًا، واجْعل من تحتي نُورًا، اللهمَّ أَعْظِمْ لي نُورًا»[١].

ذكْر دخول المسجد:

وأخرج أبو داود عنه ﷺ أنَّه كان إذا دخل المسجدَ قال: «**أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم. فإذا قال ذلك، قال الشيطان: حُفِظَ مِنِّي سائرَ اليوم**»[٢].

وقال ﷺ: «**إذا دخل أحدُكم المسجدَ فليسلِّمْ على النبيِّ ﷺ، وليَقُلْ: اللهمَّ افتحْ لي أبوابَ رحمتِك. فإذا خرج، فليقل: اللهمَّ إنِّي أسألُكَ من فضلك**»[٣].

وذُكِرَ عنه أنَّه كان إذا دخل المسجد صَلَّى على محمَّد وآله وسلم، ثمَّ يقول: «**اللهمَّ اغفرْ لي ذنوبي، وافتحْ لي أبواب رحمتك**»، فإذا خرج صلى على محمَّد وآله وسلم، ثمَّ يقول: «**اللهمَّ اغفرْ لي ذنوبي، وافتحْ لي أبواب فضلك**»[٤].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣١٦)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٣)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أبو داود في الصلاة (٤٦٦)، وقال النووي في خلاصة الأحكام (٩١٦): حديث حسن، إسناده جيد. وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٤٨٥)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧١٣)، وأحمد (٢٣٦٠٧)، وأبو داود في الصلاة (٤٦٥)، عن أبي حميد أو أبي أسيد الأنصاري.

(٤) رواه أحمد (٢٦٤١٦)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره، دون قوله: «اللهم اغفر لي ذنوبي» فحسن. والترمذي في الصلاة (٣١٤، ٣١٥)، وقال: حديث فاطمة حديث حسن، وليس إسناده بمتصل. وابن ماجه في المساجد والجماعات (٧٧١)، وحسَّنه الحافظ في نتائج الأفكار (٢٨٠/١)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٦٢٥)، عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

ذكره في الصباح وفي المساء:

وكان إذا صلَّى الصُّبح، جَلَس في مُصلَّاه حتَّى تطلع الشمس يذكر الله ﷻ[١].

وكان يقول إذا أصبح: «**اللهمَّ بك أَصْبَحْنا، وبك أَمْسَيْنا، وبك نَحْيا، وبك نموت، وإليك النشور**»[٢] حديث صحيح.

وكان يقول: «**أَصْبَحْنا وأَصْبَحَ الملك لله، والحمدُ لله، ولا إلٰه إلَّا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير. رَبِّ أسألك خيرَ ما في هذا اليوم، وخيرَ ما بعده، وأعوذ بك من شرِّ هذا اليوم، وشرِّ ما بعده، ربِّ أعوذ بك من الكَسَلِ وسُوءِ الكِبَر، ربِّ أعوذ بك من عذاب في النار، وعذاب في القبر، وإذا أَمْسَى قال: أَمْسَيْنا وأمسى المُلْكُ لله...**» إلى آخره[٣].

وقال له أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: مُرْنِي بكلمات أقولهنَّ إذا أصبحتُ وإذا أمسيتُ. قال: «**قل: اللهمَّ فاطرَ السماوات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، ربَّ كلِّ شيء ومليكَه ومالكَه، أشهدُ أن لا إلٰه إلَّا أنت، أعوذ بك من شرِّ نفسي، ومن شرِّ الشيطان وشِرْكِه، وأنْ أقترفَ على نفسي سُوءًا أو أَجُرَّه إلى مسلم**». قال: «**قُلْها إذا أصبحتَ وإذا أمسيتَ، وإذا أخذتَ مضْجعَك**». حديث صحيح[٤].

---

(١) رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٧٠)، وأحمد (٢٠٨٢٠)، عن جابر بن سمُرة.

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٦٨)، والترمذي في الدعوات (٣٣٩١)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٦٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٨٦٨)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٣)، عن ابن مسعود.

(٤) رواه أحمد (٧٩٦١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأدب (٥٠٦٧)، والترمذي في الدعوات (٣٣٩٢)، وقال: حسن صحيح. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقال ﷺ: «**ما من عبدٍ يقول في صباحِ كلِّ يومٍ ومساءِ كلِّ ليلةٍ: باسم الله الَّذي لا يضُرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات، إلَّا لم يضرّه شيء**». حديث صحيح[١].

وقال: «**من قال حين يُصْبح وحين يُمْسِي: رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، كان حقًّا على الله أن يُرْضِيَه**». صحَّحه الترمذي والحاكم[٢].

وقال: «**من قال حين يُصبحُ وحين يُمْسِي: اللهمَّ إنِّي أصبحتُ أُشْهِدُك، وأُشْهِدُ حَمَلَة عَرْشِك وملائكتَك، وجميعَ خَلْقِك، أنَّك أنت الله الَّذي لا إلٰه إلَّا أنت، وأن محمدًا عبدك ورسولك. أَعْتَقَ الله ربعه من النار، وإن قالها مرتين، أعتق الله نصفه من النار، وإن قالها ثلاثًا، أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، وإن قالها أربعًا، أعتقه الله من النار**». حديث حسن[٣].

وقال: «**من قال حين يُصْبح: اللهمَّ ما أَصْبَحَ بي من نعمة أو بأحدٍ من خَلْقِك، فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر. فقد أَدَّى شُكْرَ يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسي، فقد أَدَّى شُكْرَ ليلته**». حديث حسن[٤].

---

(١) رواه أحمد (٤٤٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الأدب (٥٠٨٨)، والترمذي في الدعوات (٣٣٨٨)، وقال: حسن صحيح غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠١٠٦)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٦٩)، عن عثمان بن عفان.

(٢) رواه الترمذي في الدعوات (٣٣٨٩)، وقال: حسن غريب. عن ثوبان. ورواه الحاكم في الدعاء (٥١٨/١)، وصحَّح إسناده. وأحمد (١٨٩٦٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. عن خادم النبي ﷺ.

(٣) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٦٩)، والترمذي في الدعوات (٣٥٠١)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (٩٧٥٣)، وجود إسناد أبي داود النووي في الأذكار (٢١٥)، وقال الحافظ في نتائج الأفكار (٣٧٥/٢): هذا حديث حسن غريب. عن أنس.

(٤) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٧٣)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (٩٧٥٠)، وجود إسناد أبي داود النووي في الأذكار (٢١٦)، وحسَّنه الحافظ في نتائج الأفكار (٣٨٠/٢)، عن عبد الله بن غنام البياضي.

QaradawiBooks.com

وكان يدعو حين يصبح وحين يمسي بهذه الدعوات: «**اللهمَّ إنِّي أسألك العافية في الدُّنيا والآخرة، اللهمَّ إنِّي أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهمَّ استرْ عَوْراتي، وآمِنْ رَوْعاتي، اللهمَّ احفظني من بين يديَّ ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي**». صحَّحه الحاكم[١].

وقال: «**إذا أصبح أحدكم، فليقل: أَصْبَحْنا وأصبح الملك لله ربِّ العالمين، اللهمَّ إنِّي أسألك خير هذا اليوم فَتْحَه ونَصْرَه ونُورَه وبَرْكَتَه وهدايتَه، وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده، ثمَّ إذا أمسى، فليقل مثل ذلك**». حديث حسن[٢].

وقال لرجل من الأنصار: «**ألا أُعَلِّمُك كلامًا إذا قلتَه أذهبَ الله همَّك، وقَضَى عنك ديْنك؟**». قلتُ: بلى يا رسول الله. قال: «**قل إذا أصبحتَ وإذا أمسيتَ: اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الهمِّ والحَزَن، وأعوذ بك من العَجْزِ والكسل، وأعوذ بك من الجُبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدَّيْن وقهر الرجال**». قال: فقلتهنَّ، فأذهب الله همِّي، وقضى عني ديني[٣].

---

(١) رواه في الدعاء (٥١٧/١)، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. ورواه أحمد (٤٧٨٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح رجاله ثقات. وأبو داود في الأدب (٥٠٧٤)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٣٢٥)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٧١)، عن ابن عمر.

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٨٤)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٢)، عن أبي مالك الأشعري.

(٣) رواه أبو داود في الصلاة (١٥٥٥)، عن أبي سعيد الخدري، وفي سنده راوٍ ليِّن الحديث، ولكن المفردات المستعاذ منها ثبتت في الصحاح. عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

وكان إذا أصبح قال: «**أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبيِّنا محمَّد ﷺ، وملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا، وما كان من المشركين**»(١).

ويُذكَرُ عنه ﷺ أنَّه قال لفاطمة ابنتِه: «**ما يمنعكِ أن تسمعي ما أوصيكِ به: أن تقولي إذا أصبحتِ وإذا أمسيتِ: يا حيُّ يا قيومُ، بك أستغيث، فأصلح لي شأني، ولا تكلني إلى نفسي طَرْفةَ عين**»(٢).

ويُذكَر عنه أنَّه كان إذا أصبح قال: «**اللهمَّ إنِّي أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملًا متقبَّلًا**»(٣).

وقال: «**سيِّدُ الاستغفار أن يقول العبد: اللهمَّ أنت ربي، لا إله إلَّا أنت، خَلَقْتَنِي وأنا عبدك، وأنا على عهدِك ووعدِك ما استطعتُ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتك عليَّ، وأبوءُ بذنبي، فاغفِر لي إنَّه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت. من قالها حين يصبح موقنًا بها، فمات من يومه، دخل الجنَّة، ومن قالها حين يمسي موقنًا بها، فمات من ليلته دخل الجنَّة**»(٤).

---

(١) رواه أحمد (١٥٣٦٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (٩٧٤٣)، عن عبد الرحمٰن بن أبزى.

(٢) رواه النسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٣٣٠)، والبزار (٦٣٦٨)، والحاكم في الدعاء (٥٤٥/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين، وصحَّح إسناد النسائي المنذري في الترغيب والترهيب (٩٨٤)، عن أنس.

(٣) رواه أحمد (٢٦٧٣١)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (٩٢٥)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (٩٨٥٠)، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٤١١/٢)، عن أم سلمة.

(٤) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٦)، وأحمد (١٧١١١)، عن شداد بن أوس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

«ومن قال حين يُصْبِحُ وحين يُمْسِي: سبحان الله وبحمده. مائة مرَّة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل ممَّا جاء به، إلَّا أحد قال مثل ما قال، أو زاد عليه»[(١)].

وقال: **«من قال حين يصبح عشر مرات: لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شـــيء قدير. كتب الله بها عشر حسنات، ومحا عنه بها عشر سيئات، وكانت كعدل عشْر رقاب، وأجاره الله يومَه من الشيطان الرجيم، وإذا أمسى، فمثل ذلك حتَّى يصبح»**[(٢)].

وقال: **«من قال حين يصبـــح: لا إله إلَّا الله وحده لا شـــريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. في اليوم مائة مرَّة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومُحِيَتْ عنه مائة سيئة، وكانت له حِرْزًا من الشيطان يومه ذلك، حتَّى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل ممَّا جاء به إلَّا رجل عمل أكثر منه»**[(٣)].

ذكر الله عند لُبس الثوب ونحوه:

كان ﷺ إذا استجدَّ ثوبًا سمَّاه باسمه: عِمامة، أو قميصًا، أو رِدَاء، ثمَّ يقول: **«اللهمَّ لك الحمد أنت كَسَوْتَنِيه، أسألُك خيرَه، وخير ما صُنِعَ له، وأعوذ بك من شرِّه، وشر ما صُنِع له»**. حديث صحيح[(٤)].

---

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة (٢٦٩٢)، وأحمد (٨٨٣٥)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٣٥١٦)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيـــح. والطبراني (١٥٤/٤)، عن أبي أيوب الأنصاري.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٩٣)، ومســـلم في الذكر والدعاء (٢٦٩١)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أحمد (١١٤٦٩)، وقال مخرِّجوه: حســـن. وأبو داود (٤٠٢٠)، والترمذي (١٧٦٧)، وقال: حديث حسن. كلاهما في اللباس، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

ويُذكَر عنه أنَّه قال: «**من لبس ثوبًا، فقال: الحمد لله الَّذي كَسَاني هذا ورَزَقَنِيه من غير حول مني ولا قوة، غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه**»(١).

غير مرخصة للطباعة

ذكر ما يقوله لابس الثوب الجديد:

وصحَّ عنه أنَّه قال لأمِّ خالد لمَّا ألبسها الثوب الجديد: «**أَبْلِي وأَخْلِقِي**» مرتين(٢).

وفي سنن ابن ماجه أنَّه ﷺ رأى على عُمَرَ ثوبًا فقال: «**أجديدٌ هذا أم غسيل؟**». فقال: بل غسيل. فقال: «**البَسْ جديدًا، وعِشْ حميدًا، ومُتْ شهيدًا**»(٣).

دعاؤه عند دخوله إلى منزله:

كان ﷺ يقول إذا انقلب إلى بيته: «**الحمد لله الَّذي كفاني وآواني، والحمد لله الَّذي أطعمني وسقاني، والحمدُ لله الَّذي مَنَّ عليَّ فأفضل، أسألك أن تُجيرني من النار**»(٤).

وثبت عنه ﷺ أنَّه قال لأنس: «**إذا دخَلْتَ على أهلك، فسلِّم؛ يكُنْ بركة عليك وعلى أهلك**». قال الترمذي: حديث حسن صحيح(٥).

---

(١) رواه أبو داود في اللباس (٤٠٢٣)، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (١٢٢/١)، والألباني في صحيح الجامع (٦٠٨٦)، عن معاذ بن أنس.

(٢) رواه البخاري في اللباس (٥٨٤٥)، عن أم خالد بنت خالد.

(٣) رواه ابن ماجه في اللباس (٣٥٥٨)، وأحمد (٥٦٢٠)، وقال مخرِّجوه: رجاله ثقات رجال الشيخين، لكن أعله الأئمة الحفاظ بنكارة. وقال الحافظ في نتائج الأفكار (١٣٦/١ ـ ١٣٨): هذا حديث حسن غريب، ورجال الإسناد رجال الصحيح. ثم قال: بعد أن ذكر إعلال النسائي له: وجدت له شاهدًا مرسلًا أخرجه بن أبي شيبة في المصنف، وأقل درجاته أن يوصف بالحسن. عن ابن عمر.

(٤) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (١٥٨)، عن عبد الله بن عمرو.

(٥) رواه الترمذي في الاستئذان والآداب (٢٦٩٨)، وقال: حسن غريب. عن أنس.

QaradawiBooks.com

وفي السنن عنه ﷺ: «**إذا وَلَجَ الرجل بيته، فليقل: اللهمَّ إنِّي أسألك خير المَوْلِجِ، وخير المَخْرَجِ، باسم الله وَلَجْنا، وعلى الله ربنا توكَّلْنا، ثمَّ ليسلِّم على أهله**»(١).

وفيها عنه ﷺ: «**ثلاثة كلهم ضامِنٌ على الله: رجلٌ خرج غازيًا في سبيل الله، فهو ضامن على الله حتَّى يتوفاه فيُدْخِلَه الجنَّة، أو يرُدَّه بما نال من أجرٍ وغنيمةٍ، ورجل راح إلى المسجد، فهو ضامن على الله حتَّى يتوفاه فيُدْخِلَه الجنَّة، أو يرده بما نال من أجرٍ وغنيمةٍ، ورجل دخل بيته بسلام، فهو ضامن على الله**». حديث صحيح(٢).

وصحَّ عنه ﷺ: «**إذا دخل الرجلُ بيتَه فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مَبِيتَ لكم ولا عَشَاءَ. وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أَدْرَكْتُمُ المبيت. وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء**». ذكره مسلم(٣).

الذكر عند دخول الخلاء:

ثبت عنه في «الصحيحين» أنَّه كان يقول عند دخوله الخلاء: «**اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الخُبُثِ والخبائث**»(٤).

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٩٦)، والطبراني (٢٩٦/٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٨٣٩)، عن أبي مالك الأشعري.

(٢) رواه أبو داود في الجهاد (٢٤٩٤)، والبخاري في الأدب المفرد (١٠٩٤)، وابن حبان في البر والإحسان (٤٩٩)، وقال الأرناؤوط: صحيح. وحسَّن إسناد أبي داود النووي في الأذكار (٥٩). وحسَّن الحديث ابن حجر في نتائج الأفكار (١٧١/١)، عن أبي أمامة الباهلي.

(٣) رواه مسلم في الأشربة (٢٠١٨)، وأحمد (١٥١٠٨)، عن جابر.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (١٤٢)، ومسلم في الحيض (٣٧٥)، عن أنس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وذكر أحمد عنه أنَّه أمر من دخل الخلاء أن يقول ذلك[١].

ويُذكر عنه: «**لا يعجز أحدُكم إذا دخل مَرْفِقَه أن يقول: اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الرِّجْسِ النِّجْسِ[٢]، الخبيثِ المُخْبِث، الشيطانِ الرجيم**»[٣].

ويذكر عنه ﷺ قال: «**ستر ما بين الجن وعَوْرات بني آدم إذا دخل أحدكم الكنيفَ أن يقول: باسم الله**»[٤].

دعاء الخروج من الخلاء:

وكان إذا خرج من الخلاء قال: «**غفرانك**»[٥]. ويُذكر عنه أنَّه كان يقول: «**الحمد لله الَّذي أذهب عني الأذى، وعافاني**». ذكره ابن ماجه[٦].

هديُه ﷺ في أذكار الوضوء:

ثبت عنه ﷺ أنَّه وضع يديه في الإناء الَّذي فيه الماء، ثمَّ قال للصحابة: «**توضَّؤوا باسم الله**»[٧].

---

(١) رواه أحمد (١٩٣٣١)، وقال مخرِّجوه: رجاله ثقات. وأبو داود (٦)، وابن ماجه (٢٩٦)، كلاهما في الطهارة، عن زيد بن أرقم.

(٢) كُسرت نون النجس إتباعا للرِّجْس، انظر: اللسان مادة (ن. ج. س).

(٣) رواه ابن ماجه في الطهارة (٢٩٩)، والطبراني (٢١٠/٨)، وضعفه النووي في خلاصة الأحكام (٣٢٧)، وكذا ابن الملقِّن في البدر المنير (٣٩٣/٢)، عن أبي أمامة.

(٤) رواه الترمذي في السفر (٦٠٦)، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه، وإسناده ليس بذاك القوي. وابن ماجه في الطهارة (٢٩٧)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٥٣)، وقال: هذا إسناد فيه نظر. عن علي بن أبي طالب.

(٥) رواه أحمد (٢٥٢٢٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود (٣٠)، والترمذي (٧)، وحسَّنه، وابن ماجه (٣٠٠)، ثلاثتهم في الطهارة، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٢٣): إسناده صحيح.

(٦) رواه ابن ماجه في الطهارة (٣٠١)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٤٤/١) هذا حديث ضعيف. وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٦٠)، عن أنس.

(٧) رواه النسائي في الطهارة (٧٨)، وابن خزيمة في الوضوء (١٤٤)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وثبت عنه أنَّه قال لجابر رضي الله عنه: «**نادِ بوَضــوء**». فجيء بالماء، فقال: «**خُذْ يا جابر فصُبَّ عليَّ، وقل: باســم الله**». قال: فصَبَبْتُ عليه، وقلت: باسم الله. قال: فرأيت الماء يفورُ من بين أصابعه[١].

وذكر أحمد عنه من حديث أبي هُرَيْرة[٢]، وســعيد بن زيد[٣]، وأبي ســعيد الخدري[٤] رضي الله عنهم: «**لا وضوء لمن لم يذكر اســم الله عليه**». وفي أسانيدها لين»[٥].

عبادته يوم الجمعة:

ليوم الجمعة خصوصية في الإســلام، فهو عيد المسلمين، وقد اهتمَّ به القرآن، وحثَّ المسلمين على أن يتركوا شــواغلهم ويبكِّروا لحضور الجمعة وسماع خطبتها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

وللنبي ﷺ أحاديــث كثيرة في فضل يوم الجمعــة وفي الحث على التبكير لصلاة الجمعة، وســماع خطبتها، أذكر منها طرفًا ممَّا انتقيته من كتاب «الترغيب والترهيب للحافظ المنذري»:

---

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٣٠١٣).

(٢) رواه أحمد (٩٤١٨)، وقال مخرِّجوه: إســناده ضعيف. وأبو داود (١٠١)، وابن ماجه (٣٩٩)، كلاهما في الطهارة، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٥١٤).

(٣) رواه أحمد (١٦٦٥١، ١٦٦٥٢)، وقال مخرِّجوه: إســناده ضعيــف. والترمذي (٢٥)، وقال: قال أحمد بن حنبل: لا أعلم في هذا الباب حديثًا له إسناد جيد. وابن ماجه (٣٩٨)، كلاهما في الطهارة، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣١٩).

(٤) رواه أحمد (١١٣٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في الطهارة (٣٩٧)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣١٨).

(٥) زاد المعاد (٣٥٣/٢ ـ ٣٥٥).

QaradawiBooks.com

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من توضَّأ فأحسن الوضوء، ثمَّ أتى الجمعة فاستمع وأنصت؛ غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وزيادة ثلاثة أيام، ومن مس الحصا فقد لغا**»(١).

وعنه رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفِّراتُ ما بينهن إذا اجتُنبت الكبائر**»(٢).

وعن أبي أيُّوب الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من اغتسل يومَ الجمعة، ومسَّ من طِيبٍ إن كان عنده، ولبس من أحسنِ ثيابه، ثمَّ خرج حتَّى يأتي المسجد، فيركع ما بدا له، ولم يؤذِ أحدًا، ثمَّ أنصت حتَّى يصلِّي؛ كان كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى**»(٣).

وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يغتسلُ رجلٌ يومَ الجمعة، ويتطهَّرُ ما استطاع من الطُّهور، ويدَّهن من دُهنه، ويمسُّ من طيب بيته، ثمَّ يخرج فلا يفرِّق بين اثنين، ثمَّ يُصلِّي ما كُتِب له، ثمَّ يُنصت إذا تكلَّم الإمام، إلَّا غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة الأخرى**»(٤).

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**خيرُ يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق الله آدم، وفيه أُدْخِل الجنَّة، وفيه أُخرج منها**»(٥).

---

(١) رواه مسلم في الجمعة (٨٥٧)، وأحمد (٩٤٨٤).

(٢) رواه مسلم في الطهارة (٢٣٣).

(٣) رواه أحمد (٢٣٥٧١)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وابن خزيمة في الجمعة (١٧٧٥)، والطبراني (١٦١/٤)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١٠٣٠): رواة أحمد ثقات. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٣٨): رجاله ثقات.

(٤) رواه البخاري في الجمعة (٨٨٣)، وأحمد (٢٣٧٢٥).

(٥) رواه مسلم في الجمعة (٨٥٤)، وأحمد (١٠٦٤٥).

QaradawiBooks.com

وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من أفضل أيامِكم يومَ الجمعة، فيه خَلَقَ اللهُ آدم، وفيه قُبِضَ، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا من الصلاة عليَّ فيه، فإن صلاتكم يوم الجمعة معروضة عليَّ**». قالوا: وكيف تعرض صلاتنا عليك، وقد أَرِمْتَ؟ أي: بليت. فقال: «**إنَّ الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجسامنا**»[(١)].

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «**فيها ساعةٌ لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ وهو قائمٌ يُصلِّي يسألُ الله شيئًا إلَّا أعطاه**». وأشار بيده يقلِّلها[(٢)].

«وكان من هديه ﷺ تعظيم هذا اليوم وتشريفه، وتخصيصه بخصائص منها: أنَّه يقرأ في فجره بـ ﴿الٓمٓ﴾ السجدة و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١]، فإنهما تضمَّنتا ما كان وما يكون في يومها.

ومنها: استحباب كثرة الصلاة فيه على النبي ﷺ، وفي ليلته؛ لأن كل خير نالته أمته في الدُّنيا والآخرة، فعلى يديه، وأعظم كرامة تحصل لهم يوم الجمعة؛ فإن فيه بعثهم إلى منازلهم في الجنَّة، وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوها، وقربهم من ربهم يوم القيامة، وسبقهم إلى الزيادة بحسب قربهم من الإمام يوم الجمعة، وتبكيرهم إليها.

---

(١) رواه أبو داود في الصلاة (١٠٤٧)، والنسائي في الجمعة (١٣٧٤)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٠٨٥)، وابن حبان في الرقائق (٩١٠)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. ورواه أيضًا ابن خزيمة في الجمعة (١٧٣٣)، والحاكم في الجمعة (٢٧٨/١)، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي. انظر: جلاء الأفهام صـ ٨١ وما بعدها، وكلام ابن القيم عليه.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢)، كلاهما في الجمعة. انظر: المنتقى (٢٥٦/١ ـ ٢٥٨)، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

ومنها: الاغتسال في يومها، وهو أمر مؤكد جدًّا، ووجوبه أقوى من وجوب الوضوء من مسِّ الذكر والرُّعاف والقيء، ووجوب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير.

ومنها: الطِّيب والسواك، ولها مَزِيَّة فيه على غيره.

ومنها: التبكير، والاشتغال بذكر الله تعالى، والصلاة إلى خروج الإمام.

ومنها: الإنصات للخطبة وجوبًا.

ومنها: قراءة «الجمعة» و«المنافقين» أو «سبِّح» و«الغاشية».

ومنها: أن يلبس فيه أحسن ثيابه.

ومنها: أنَّ للماشي إليها بكلِّ خطوة عمل سنة، أجر صيامها وقيامها.

ومنها: أنَّه يكفر السيئات.

ومنها: ساعة الإجابة.

وكان ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتَّى كأنَّه مُنذِرُ جيش يقول: صبَّحكم ومساكم. وكان يقول في خطبته: «**أمَّا بعد**»[1]، ويُقصِر الخطبة، ويُطيل الصلاة[2]، وكان يعلم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام وشرائعه، ويأمرهم وينهاهم في خطبته إذا عرض له أمر،

(١) رواه البخاري في الجمعة (٩٢٧)، عن ابن عباس.

(٢) وكان يقول: «**إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مَئِنَّةٌ من فقهه، فأطيلوا الصلاة، واقصروا الخطبة**». رواه مسلم في الجمعة (٨٦٩)، عن عمار بن ياسر.

QaradawiBooks.com

كما أمر الداخل وهو يخطب أن يصلي ركعتين[١]، وإذا رأى بهم ذا فاقة من حاجة، أمرهم بالصدقة، وحضهم عليها. وكان يشير في خطبته بإصبعه السبابة عند ذكر الله ودعائه[٢].

وكان يستسقي إذا قحط المطر في خطبته[٣]، ويخرج إذا اجتمعوا، فإذا دخل المسجد، سلم عليهم، فإذا صعد المنبر، استقبلهم بوجهه، وسلَّم عليهم ثمَّ يجلس، ويأخذ بلال في الأذان، فإذا فرغ، قام وخطب، ويعتمد على قوس أو عصا، وكان منبره ثلاث درجات، وكان قبل اتخاذه يخطب إلى جذع[٤]، ولم يوضع المنبر في وسط المسجد، بل في جانبه الغربي، بينه وبين الحائط قدر ممر شاة[٥]، وكان إذا جلس عليه في غير الجمعة، أو خطب قائمًا يوم الجمعة، استدار أصحابه إليه بوجوههم، وكان يقوم فيخطب، ثمَّ يجلس جلسة خفيفة، ثمَّ يقوم فيخطب الثانية، فإذا فرغ منها أخذ بلال في الإقامة.

وكان يأمر بالدنو منه والإنصات، ويخبر أنَّ الرجل إذا قال لصاحبه: أنصت. فقد لغا[٦]، و«**من لغا فلا جمعة له**»[٧].

---

(١) رواه مسلم في الجمعة (٨٧٥)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) رواه مسلم في الجمعة (٨٧٤)، وأحمد (١٧٢٢٤)، عن عمارة بن رُوَيْبة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٩٣٣)، ومسلم في صلاة الاستسقاء (٨٩٧)، عن أنس بن مالك.

(٤) رواه البخاري في المناقب (٣٥٨٣) عن ابن عمر.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري (٤٩٧)، ومسلم (٥٠٩)، كلاهما في الصلاة، عن أبي هريرة.

(٦) متَّفق عليه: رواه البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

(٧) رواه أحمد (٧١٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الصلاة (١٠٥١)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (١٩٤)، عن عليّ بن أبي طالب.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكان إذا صلى الجمعة دخل منزله، فصلَّى ركعتين سُنَّتها[١]، وأمر من صلاها أن يصلِّي بعدها أربعًا[٢].

قال شيخنا [يعني ابن تيمية]: إذا صلَّى في المسجد صلَّى أربعًا، وإن صلَّى في بيته صلى ركعتين»[٣].

عبادته في رمضان[٤]:

وكان النبيُّ ﷺ يُكثرُ من العبادات والطاعات في رمضان ما لا يكثره في غيره، وأوَّل هذه العبادات هو الصوم، الَّذي كتبه الله على هذه الأمة كما كتبه على الَّذين من قبلنا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وقد شرع النبيُّ ﷺ لأُمَّته قيامَ رمضان، فعن أبي هُرَيْرة قال: كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة، ثمَّ يقول: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه**»[٥].

وكان جبريل يدارسه القرآن في رمضان، وكان يكثر فيه من الصدقة والإحسان، وتلاوة القرآن، والصلاة، والذكر، والاعتكاف.

وكان يخصُّه من العبادات بما لا يخصُّ به غيرَه، حتَّى إنَّه ليواصلُ فيه أحيانًا ليوفِّر ساعات ليله ونهاره على العبادة، وكان ينهى أصحابه عن

---

(١) عن ابن عمر أنَّه كان إذا صلى الجمعة انصرف، فسجد سجدتين في بيته، ثم قال: كان رسول الله ﷺ يصنع ذلك. رواه مسلم في الجمعة (٨٨٢) (٧٠)، وأحمد (٦٠٥٦).

(٢) رواه مسلم في الجمعة (٨٨١)، عن أبي هريرة.

(٣) زاد المعاد (٤٢٥/١).

(٤) انظر: زاد المعاد (٣٠/٢ ـ ٨٢).

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في صلاة التراويح (٢٠٠٩)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٥٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الوصال، فيقولون له: إنَّك تواصل؟ فيقول: «**لستُ كهيئتكم، إنِّي أبيت عند ربِّي يُطعمني ويسقيني**»[١].

نهى عنه رحمة للأُمَّة، وأذن فيه إلى السَّحَر[٢].

وكان يُعجِّل الفطر، ويحثُّ عليه[٣]، ويتسحَّر ويحث عليه، ويؤخِّره، ويرغب في تأخيره[٤]، وكان يحضُّ على الفطر على التمر، فإن لم يجده، فعلى الماء[٥].

ونهى الصائم عن الرفث والصخب والسباب وجواب السباب، وأمره أن يقول لمن سابَّه: «**إنِّي صائم**»[٦].

وكان النبيُّ ﷺ يستقبل العشر الأواخر من رمضانَ، بهمَّة عالية، وإقبال شديدٍ على الله، فيُحيي ليلَه، ويوقظ أهله[٧].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٦٤)، ومسلم (١١٠٥)، كلاهما في الصيام، عن عائشة.

(٢) عن أبي سعيد رضي الله عنه، أنَّه سمع النبي ﷺ، يقول: «**لا تواصلوا، فأيكم إذا أراد أن يواصل، فليواصل حتى السحر**». رواه البخاري في الصوم (١٩٦٣).

(٣) عن سهل بن سعد: أن رسول الله ﷺ، قال: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**». متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (١٠٩٨).

(٤) عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الإفطار، وأخروا السحور**». رواه أحمد (٢١٣١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٨٧٥): فيه سليمان بن أبي عثمان، قال أبو حاتم: مجهول.

(٥) عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم يكن رطبات، فتمرات، فإن لم يكن تمرات حسا حسوات من ماء. رواه أحمد (١٢٦٧٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٦٩٦)، وقال: حسن غريب. كلاهما في الصوم.

(٦) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.

(٧) قالت عائشة: كان إذا دخل العشر شدَّ مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله. متَّفق عليه: رواه البخاري في صلاة التراويح (٢٠٢٤)، ومسلم في الاعتكاف (١١٧٤).

QaradawiBooks.com

ويـــا لَفرحة من يقضـــي هذه العشـــر الأواخر خلـــف محمَّد ﷺ في مسجده، وبين أصحابه وأمَّهات المؤمنين!

قال ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتســـابًا غُفِر لـــه ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتســـابًا غُفـــر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر**»[١].

وكان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان[٢]، حتَّى توفَّاه الله ﷻ، وتركه مـــرَّة، فقضاه في شـــوَّال[٣]، واعتكف مرَّة في العشـــر الأول، ثمَّ الأوســـط، ثمَّ العشـــر الأواخر يلتمس ليلة القدر[٤]، ثمَّ تبيَّن له أنَّها في العشر الأواخر.

وقد داوم علـــى الاعتكاف حتَّى لحق بربِّـــه ﷻ، وكان يأمر بخِباءٍ، فيُضرب له في المســـجد يخلو فيه لربِّـــه ﷻ، وكان إذا أراد الاعتكاف صلَّى الفجر، ثمَّ دخل خباءه[٥].

فأمر به مرَّة، فضُرب له، فأمر أزواجه بأخبيتهنَّ فضُربت، فلمَّا صلَّى الفجر، نظر فرأى تلك الأخبية؛ ترك الاعتكاف في رمضان، حتَّى اعتكف العشر الأوَّل من شوال[٦].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصوم (١٩٠١)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٦٠)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٢٠٢٥)، ومسلم (١١٧١)، كلاهما في الاعتكاف، عن ابن عمر.

(٣) رواه مسلم في الاعتكاف (١١٧٢) (٦)، عن عائشة.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتكاف (٢٠٢٧)، ومسلم في الصيام (١١٦٧)، عن أبي سعيد الخدري.

(٥) رواه مسلم في الاعتكاف (١١٧٢)، عن عائشة.

(٦) جزء من الحديث السابق.

QaradawiBooks.com

وكان يعتكف كُلَّ سنةٍ عشرةَ أيام، فلمَّا كان العام الَّذي قبض فيه، اعتكف عشرين يومًا[١].

وكان يعارضه جبريل بالقرآن كلَّ سنة مرَّة، فلمَّا كان ذلك العام عارضه به مرَّتَيْن[٢].

وكان إذا اعتكف دخل قُبَّته وحده، وكان لا يدخل بيته إلَّا لحاجة الإنسان[٣]، ويخرج رأسه إلى بيت عائشة فترجِّله وهي حائض[٤]، وكان بعض أزواجه تزوره وهو معتكف، فإذا قامت تذهب، قام معها يوصلها، وكان ذلك ليلًا[٥].

وكان إذا خرج لحاجته، مرَّ بالمريض وهو في طريقه، فلا يُعرِّج عليه إلَّا أن يسأل عنه[٦].

وبانتهاء رمضان، وانقضاء يوم العيد الَّذي يحرم فيه الصيام، يستقبل النَّاس أيامًا طيِّبة أخرى، يجدِّدون فيها ذكريات رمضان، وهي صيام ست من شوال، الَّتي كان النبي يصومهن، ويحث على صيامهن، كما جاء في الحديث: «**مَن صام رمضان، ثمَّ اتبعه ستًّا من شوال، كان كصيام الدهر**»[٧]. وذلك أنَّ

(١) رواه البخاري في الاعتكاف (٢٠٤٤)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٢٣، ٣٦٢٤)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٥٠)، عن عائشة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتكاف (٢٠٢٩)، ومسلم في الحيض (٢٩٧)، عن عائشة.

(٤) جزء من الحديث السابق.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتكاف (٢٠٣٥)، ومسلم في السلام (٢١٧٥)، عن صفية.

(٦) رواه أبو داود (٢٤٧٢)، والبيهقي (٣٢١/٤)، كلاهما في الصوم، وضعف إسناده النووي في المجموع (٥١٢/٦)، عن عائشة.

(٧) رواه مسلم في الصيام (١١٦٤)، وأحمد (٢٣٥٣٣)، عن أبي أيوب الأنصاري.

QaradawiBooks.com

الحسنة بعشر أمثالها: الشهر بعشرة أشـــهر، والأيام الستة بشهرين، وهذه هي السنة كلها.

صيام النوافل:

وكان النبيُّ ﷺ يتقرَّب إلى الله بصيامٍ غير صيام رمضان، فكان يصوم الستَّ من شـــوال ويأمر بصيامها، كما ذكرنا، وكان يصوم التسع من ذي الحجَّة[١]، خصوصًـــا يوم عرفة الَّـــذي قال فيه النبي ﷺ: «**يكفِّر الســـنة الماضية والباقية**»[٢].

وكان يصوم عاشوراء وأمر بصيامه، قال ابن عبَّاس: لما قدم النبيُّ ﷺ ـ أي المدينة ـ فرأى اليهود تصوم عاشـــوراء فقال: «**ما هذا؟**». قالوا: هذا يوم صالح، نجَّى الله فيه موســـى وبني إســـرائيل مـــن عدوهم، فصامه موسى. فقال: «**أنا أحقُّ بموسى منكم**». فصامه وأمر بصيامه[٣].

ولما كان النبيُّ ﷺ حريصًا على تَمَيُّز الشخصيَّة الإسلاميَّة في كل شيء، وأن يكون للمسلمين استقلالهم عن غيرهم؛ حث على صيام اليوم التاسع، أي مع العاشر، ليتميَّز صيامهم عن صيام أهل الكتاب، فعن ابن عبَّاس قال: لما صام رسول الله ﷺ يوم عاشـــوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسولَ الله، إنَّه يوم تعظِّمه اليهود والنصارى! فقال: «**فإذا كان العامُ المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع**». قال: فلم يأت العام المقبل حتَّى تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ[٤].

---

(١) رواه أحمد (٢٧٣٧٦) وقال مخرِّجوه: ضعيف. وأبو داود (٢٤٣٧)، والنسائي (٢٣٧٢)، كلاهما في الصيام، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٢١٠٦)، عن بعض أزواج النبي ﷺ.

(٢) رواه مسلم في الصيام (١١٦٢)، وأحمد (٢٢٥٣٧)، عن أبي قتادة الأنصاري.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠)، كلاهما في الصيام عن ابن عباس.

(٤) رواه مسلم (١١٣٤)، وأبو داود (٢٤٤٥)، كلاهما في الصيام.

QaradawiBooks.com

وكان ﷺ يُكثر الصيام في شعبان، وربَّما صامه كُلَّه، فقد قالت عائشة: لم يكن النبيُّ ﷺ يصوم في شهرٍ أكثر من شعبان، فإنَّه كان يصومه كله[١].

وفي لفظ: ما كان يصوم في شهر ما كان يصوم في شعبان، كان يصومه إلَّا قليلًا، بل كان يصومه كله[٢].

وكذلك قالت أمُّ سلمة: لم يكن يصوم من السنة شهرًا تامًّا إلَّا شعبان، يصله برمضان[٣].

ولكن روايات أخرى دلَّت على أنَّه لم يكن يصوم شهرًا كاملًا إلَّا رمضان[٤]. فلعلَّ المراد بها: أنَّه لم يكن يواظب على صيام شهر كامل إلَّا رمضان، أمَّا غيره فربَّما أتمَّه، وربَّما أفطر بعضه.

والسرُّ في اهتمامه بصيام شعبان جاء في حديث رواه النسائي، عن أسامةَ بن زيد قال: قلتُ: يا رسولَ الله، لم أَرَكَ تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان! قال: «**ذاك شهرٌ يَغْفُل النَّاس عنه بين رجبٍ ورمضانَ، وهو شهر تُرْفَعُ فيه الأعمال إلى ربِّ العالمين، وأُحبُّ أن يُرفع عملي وأنا صائم**»[٥].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٠)، ومسلم (١١٥٦)، كلاهما في الصيام.

(٢) رواه أحمد (٢٥٣١٨)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والترمذي (٧٣٧)، وقال عقبه: وروي عن ابن المبارك: هو جائز في كلام العرب، إذا صام أكثر الشهر أن يقال: صام الشهر كله. والنسائي (٢١٧٨)، كلاهما في الصوم.

(٣) رواه أحمد (٢٥٥٤٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود (٢٣٣٦)، والترمذي (٧٣٦)، وحسنه، والنسائي (٢١٧٥)، وابن ماجه (١٦٤٨)، جميعهم في الصوم.

(٤) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه الذي رواه البخاري (١٩٧١)، ومسلم (١١٥٧)، كلاهما في الصوم. عن ابن عباس، وفيه: ما صام النبي ﷺ شهرًا كاملًا قط غير رمضان.

(٥) رواه أحمد (٢١٧٥٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي في الصوم (٢٣٥٧).

QaradawiBooks.com

وقد أوصى ﷺ صحابته بصيام ثلاثة أيام من كلِّ شهر[١]، وبالإكثار من صيام شهر الله المحرَّم[٢]، وأوصى ابن عمرو أن يصوم صيام داود، وهو أن يصوم يومًا، ويفطر يومًا، ولا يزيد على ذلك، روى البخاريُّ، عنه أنَّه قال: أُخبر رسول الله ﷺ أنِّي أقول: والله لأصومنَّ النهار، ولأقومنَّ الليل ما عشتُ! فقلت له: قد قلته بأبي أنت وأمي. قال: «**فإنَّك لا تستطيع ذلك، فصمْ وأفطرْ، وقمْ ونمْ، وصمْ من الشهر ثلاثة أيام، فإنَّ الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر**». قلت: إنِّي أطيق أفضل من ذلك. قال: «**فصُم يومًا وأفطر يومين**». قلت: إنِّي أطيق أفضل من ذلك. قال: «**فصمْ يومًا وأفطر يومًا، فذلك صيام داود** عليه السلام، **وهو أفضل الصيام**». فقلت: إنِّي أطيقُ أفضلَ من ذلك، فقال النبي ﷺ: «**لا أفضل من ذلك**»[٣]. وفي رواية: «**لا صومَ فوقَ صوم داود** عليه السلام، **شطر الدهر**»[٤].

وكان يصوم الاثنين والخميس، كما روى ذلك أبو هُرَيْرة[٥] وأسامةُ بن زيد رضي الله عنهم.

وقد سأله أسامة عن سرِّ الحرص على صيامهما، فقال: «**ذانك يومان تُعْرَضُ فيهما الأعمال على ربِّ العالَمين، وأحبُّ أن يُعْرَضَ عملي وأنا صائم**»[٦].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٧٨)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٢١)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الصيام (١١٦٣)، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٦)، ومسلم (١١٥٩) (١٨١)، كلاهما في الصيام.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٨٠)، ومسلم (١١٥٩) (١٩١)، كلاهما في الصيام.

(٥) رواه الترمذي في الصوم (٧٤٧)، وقال: حسن غريب.

(٦) جزء من حديث أسامة السابق.

QaradawiBooks.com

وفي حديث أبي قتادة، أنَّ رسولَ الله ﷺ سئل عن صوم الاثنين، فقال: «**ذلك يومٌ وُلِدْتُ فيه، ويومٌ بُعِثْتُ ـ أو أنزل عليَّ ـ فيه**»[(١)].

وكان ﷺ يصوم ويفطر في سائر الشهور، وعن عائشة وابن عبَّاس: كان يصوم حتَّى نقول: لا يفطر، ويفطر حتَّى نقولَ: لا يصوم[(٢)].

عبادة الزكاة:

ومن العبادات الَّتي جاء بها الإسلام وأمر النبيُّ ﷺ بها أتباعه عبادة الزكاة، وهي عبادة ماليَّة اجتماعيَّة تكافليَّة، إذا أدَّتها الأُمَّة كما ينبغي، لأدَّت إلى علاج مشكلة الفقر، وزواله من معظم الجماعات الإسلاميَّة، الَّتي ما زالت إلى اليوم تشتكي من كثير من نكبات الفقر.

والزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام بعد الشهادتين والصلاة، وقد قرنت كثيرًا بالصلاة في القرآن والسُّنَّة، دلالة على عمق الارتباط بينهما، فقد قرنت بها في كتاب الله ثمانيًا وعشرين (٢٨) مرة.

وقد أمر القرآن بالزكاة إجمالًا، وحذَّر من منعها، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، أمَّا السنة فقد فصَّلت أحكامها، فحدَّدت أنصبتها ومقاديرها، والأموال الَّتي تجب فيها الزكاة، ومتى تجب، وعلى من تجب، إلخ.

وقد حثَّ النبيُّ ﷺ أصحابَه رضوان الله عليهم على إخراج الزكاة، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتى رجلٌ من تميم

(١) رواه مسلم في الصيام (١١٦٢)، وأحمد (٢٢٥٣٧).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٦٩)، ومسلم (١١٥٦)، كلاهما في الصيام.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، إنِّي ذو مالٍ كثيرٍ، وذو أهلٍ ومالٍ وحاضرةٍ، فأخبرني كيف أصنع، وكيف أُنفق؟ فقال رسول الله ﷺ: «**تُخرج الزكاةَ من مالك؛ فإنَّها طُهْرة تُطَهِّرُكَ، وتصلُ أقرباءك، وتعرف حقَّ المسكينِ والجارِ والسائل**»[(١)].

وحذَّرهم من كتمانها ومنعها، كما في حديث أبي هُرَيْرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من رجلٍ لا يؤدي زكاة ماله، إلَّا جُعل يوم القيامة صفائح من نار، يُكوى بها جَنْبُه وجبهته وظهره، في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، حتَّى يُقضى بين النَّاس، ثمَّ يرى سبيله.**

وإن كانت إبلًا إلَّا بُطَحَ لها بقاعٍ قَرْقَر في يومٍ كان مقداره خمسين ألفَ سنة، تطؤه بأخفافها ـ حسبته قال: وتَعَضُّه بأفواهها ـ **يُرَدُّ أَوَّلُها عن آخرها، حتَّى يُقضى بين النَّاس، ثمَّ يرى سبيله، وإن كانت غنمًا فكمثل ذلك، إلَّا أنَّها تنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها**»[(٢)].

وقد جعل الإسلام على الحكومات الإسلاميَّة أن تأخذ من أغنياء المسلمين ما هو واجب عليهم من الزكاة، فقد كان النبي ﷺ يبعث السُّعاة والمصدِّقين يأخذون الزكاة من الأغنياء، ليعطوها للفقراء، فالزكاة من شأنها أن تؤخذ لا أن تُترك للأفراد وحدهم، يؤيِّد ذلك قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. ونرى أن تُعفى أموال الزكاة من دفع الضريبة عليها، على نظام معمول به، بحيث لا يدفع المسلم الواجب عليه مرتين.

---

(١) رواه أحمد (١٢٣٩٤)، وقال مخرِّجوه: رجاله ثقات رجال الشيخين. والحاكم في التفسير (٣٦٠/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٣٣٢): رواه أحمد، والطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه مسلم في الزكاة (٩٨٧)، وأحمد (٧٧٢٠).

QaradawiBooks.com

صدقات النبيِّ ﷺ:

وقد حثَّ النبيُّ ﷺ أصحابه على الصدقات فوق الزكاة المفروضة، وكان ﷺ أجود النَّاس، وكان أجود بالخير من الريح المُرْسَلة[١]، كان يجود بما عنده، ولا يدخر شيئًا إلَّا قوت سنة لنسائه[٢]، وربَّما أتاه السائل فاقترض له ليعطيه[٣]، وكان يُعطي عطاء من لا يخشى الفاقة[٤].

عن زيد بن وهب رضي الله عنه قال: قال أبو ذر: كنتُ أمشي مع النبيِّ ﷺ في حَرَّة المدينة، فاستقبلنا أحدٌ، فقال: «**يا أبا ذرٍّ**». قلت: لبَّيْك يا رسول الله. قال: «**ما يسرُّني أنَّ عندي مثل أُحد هذا ذهبًا، تمضي عليَّ ثالثة وعندي منه دينار، إلَّا شيئًا أرصده لدين، إلَّا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا**». عن يمينه، وعن شماله، ومن خلفه[٥].

ويقول الإمام ابن القيِّم: «كان ﷺ أعظم النَّاس صدقة بما ملكت يده، وكان لا يستكثر شيئًا أعطاه الله تعالى، ولا يستقلُّه، وكان لا يسأله أحد شيئًا عنده إلَّا أعطاه، قليلًا كان أو كثيرًا، وكان عطاؤه عطاءَ من لا يخاف الفقر، وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود النَّاس بالخير، يمينه كالريح المُرْسَلة.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٦)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٨)، عن ابن عباس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في النفقات (٥٣٥٧)، ومسلم في الجهاد (١٧٥٧)، عن عمر.

(٣) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله فقال: «**ما عندي شيء أعطيك، ولكن استقرض حتى يأتينا شيء فنعطيك...**». رواه البزار (٢٧٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٧٧٩): فيه إسحاق بن إبراهيم الحنيني، وقد ضعَّفه الجمهور، ووثقه ابن حبان، وقال: يخطئ.

(٤) رواه مسلم في الفضائل (٢٣١٢)، وأحمد (١٢٠٥١)، عن أنس.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٤٤)، ومسلم في الزكاة (٩٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكان إذا عرض له محتاج آثره على نفسه، تارة بطعامه، وتارة بلباسه.

وكان ينوِّع في أصناف عطائه وصدقته، فتارة بالهبة، وتارة بالصدقة، وتارة بالهدية، وتارة بشراء الشيء، ثمَّ يعطي البائع الثمن والسلعة جميعًا، كما فعل ببعير جابر.

وتارة كان يقترض الشيء، فيرد أكثر منه وأفضل وأكبر، ويشتري الشيء فيعطي أكثر من ثمنه، ويقبل الهدية، ويكافئ عليها بأكثر منها أو بأضعافها، تلطُّفًا وتنوعًا في ضروب الصدقة والإحسان بكل ممكن، وكانت صدقته وإحسانه بما يملكه وبحاله وبقوله، فيُخرج ما عنده، ويأمر بالصدقة، ويحض عليها، ويدعو إليها بحاله وقوله، فإذا رآه البخيل الشحيح دعاه حاله إلى البذل والعطاء، وكان من خالطه وصحبه ورأى هديه لا يملك نفسه من السماحة والندى.

وكان هديه ﷺ يدعو إلى الإحسان والصدقة والمعروف، ولذلك كان ﷺ أشرح الخلق صدرًا، وأطيبهم نفسًا، وأنعمهم قلبًا، فإن للصدقة وفعل المعروف تأثيرًا عجيبًا في شرح الصدر، وانضاف ذلك إلى ما خصه الله به من شرح صدره بالنبوة والرسالة وخصائصها وتوابعها، وشرح صدره حسًّا وإخراج حظِّ الشيطان منه»[1].

الحج آخر عبادات الإسلام:

وهو أحد العبادات الإسلاميَّة المفروضة على المسلم، وأحد أركان الإسلام الَّتي حرص القرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة على تأكيدها، وهي من آخر العبادات الَّتي فرضها الإسلام على أتباعه.

(١) زاد المعاد (٢١/٢، ٢٢).

QaradawiBooks.com

والحجُّ فريضةٌ ورُكن يُؤدِّيه كلُّ مَن استطاع إليه سبيلًا، في العمر مرَّة، وبعدها يكون تطوُّعًا منه.

وهو عبادة بدنيَّة وماليَّة، فإذا كانت الصلاة عبادة بدنيَّة، وكذلك الصيام، والزكاة عبادة ماليَّة، فإنَّ الحجَّ جمع بين الأمرين، فهو عبادة بدنيَّة وماليَّة، يُتعب المسلم فيه بدنه، ويُعاني المشقَّات في سفره، وفي أداء مناسكه، وفي إقامته في مِنًى وعرفات ومزدلفة وغيرها. وفي الطواف والسعي، ومع ذلك عليه أن يبذل ماله، في نفقات السفر إلى مكَّة، والإقامة فيها حتَّى يعود.

وتعتمد مناسك الحج على الحركة الجماعيَّة للحجيج؛ لأن مناسك الحجِّ موقوتة بأيام مُحدَّدة، فالتحرُّك إلى مِنى في يوم التروية (الثامن من ذي الحجة)، والوقوف بعرفة يوم التاسع، والنفير من عرفة إلى مزدَلِفة بعد غروب يوم التاسع، أي ليلة العاشر، ورمي جمرة العقبة وطواف الإفاضة يوم العاشر، ورمي الجمرات يومي الحادي عشر والثاني عشر لمَن تعجَّل.

وكل هذه الأعمال تُؤدَّى في تحرُّك جماعي، يُعتبر عند المسلمين ضربًا من العبادة لله، وسببًا في التقرُّب إليه.

ويعتبر الحجُّ تدريبًا للمسلم على السلم، فهو منهي أن يقتل صيدًا، أو يقطع شجرًا. وتدريبًا على المساواة، فالناس جميعًا يلبسون ثيابًا بيضًا بسيطة متواضعة لا تفرِّق فيها بين غني وفقير ولا بين سوقة وأمير.

ويُعتبر الحج إذا كانت نفقته من حلال، وأُدِّي بإتقان وإخلاص: ميلادًا جديدًا للمسلم، يرجع معه إلى بلده إنسانًا آخر، كما صح في

QaradawiBooks.com

الحديث: «**مَن حجَّ ولم يرفثْ ولم يفسقْ، رجعَ من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه**»[١].

وفي يوم العاشر من ذي الحجة: يقع عيد الأضحى، وهو العيد الثاني للمسلمين، وهو مُرتبط بعبادة الحجِّ، ولذا يسمَّى يوم العاشر: يوم الحجِّ الأكبر.

وقد حج النبي ﷺ حجة واحدة، لم يحج غيرها، في العام العاشر من الهجرة، وخطب في الحجيج أكثر من خُطبة، بيَّن للنَّاس فيها المناسك، وبين الأصول العامَّة للدين، ففي خطبة يوم عرفة أكَّد حقوق الإنسان، قال: «**إنَّ دماءكم وأموالَكم حرامٌ عليكم، كحُرْمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا كلُّ شيءٍ من أمر الجاهليَّة تحت قدميَّ موضوع، ودماء الجاهليَّة موضوعة، وإنَّ أوَّلَ دمٍ أضعُ من دمائنا دمُ ابنِ رَبِيعَةَ بن الحارث بن عبد المُطَّلِب** ـ كان مُسْتَرْضَعًا في بني سعد فقتلته هُذَيْل ـ (لا يطالب أحدٌ بدمٍ ممَّا كان في الجاهليَّة)، **وربا الجاهليَّة موضوعٌ وأوَّل ربًا أضع رِبَانا، ربا العبَّاس بن عبد المُطَّلِب، فإنَّه موضوع كلُّه**». ثمَّ أوصى بالنساء خيرًا فقال: «**اتَّقوا الله في النساء، فإنَّكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله، وإنَّ لكم عليهن ألَّا يُوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإنْ فعلْنَ فاضربوهنَّ ضربًا غير مُبَرِّحٍ، ولهنَّ عليكم رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف**»[٢].

وجاء في يوم النحر فأكَّد هذا أيضًا فقال: «**أيُّ يوم أعظم حرمة؟**». فقالوا: يومنا هذا. قال: «**فأيُّ شهر أعظم حرمة؟**». قالوا: شهرنا هذا. قال:

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠)، كلاهما في الحج، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٥)، كلاهما في الحج، عن جابر.

QaradawiBooks.com

«**أي بلد أعظم حرمة؟**». قالوا: بلدنا هذا. قال: «**فإنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا**»[(١)].

وفي أيَّام التشريق خطب النَّاس خطبة فكان ممَّا قاله فيها: «**يا أيُّها النَّاس، إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، لا فضل لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلَّا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم**»[(٢)]. وهكذا ثبَّت معنى المساواة.

وكانت حجَّة النبيِّ ﷺ يغمرها التواضع لله والافتقار إليه، فعن أنس بن مالك قال: حجَّ رسول الله ﷺ على رحل رثٍّ وعليه قطيفة لا تساوي أربعة دراهم، فقال: «**اللهمَّ اجعله حجًّا لا رياء فيه ولا سمعة**»[(٣)].

وفي الصحيح عن ثُمامة بن عبد الله بن أنس قال: حجَّ أنس على رحْل ولم يكن شحيحًا، وحدَّث أنَّ رسولَ الله ﷺ حج على رَحْل وكانت زاملته[(٤)].

---

(١) رواه أحمد (١٤٩٩٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. عن جابر. وهو متَّفق عليه بنحوه: رواه البخاري في الإيمان (٦٧)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩)، عن أبي بكرة.

(٢) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عمن سمع خطبة النبي ﷺ.

(٣) رواه ابن ماجه في المناسك (٢٨٩٠)، والترمذي في الشمائل (٣٣٥)، تحقيق سيد بن عباس الجليمي، نشر المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م. وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٣٣٧).

(٤) رواه البخاري في الحج (١٥١٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والزاملة: البعير الَّذي يحمل عليه طعامه ومتاعه، وعادة الكبراء أن تكون الزاملة غير الراحلة، ومن تواضعه ﷺ كانت راحلته هي زاملته وعلى رحل متواضع.

وقد اعتمر النبيُّ ﷺ بعد الهجرة أربع عُمَر، ففي حديث أنس رضي الله عنه قال: اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر، كلهن في ذي القعدة، إلَّا الَّتي كانت مع حجته: عمرة من الحديبية في ذي القعدة، وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة، وعمرة من الجِعْرانة، حيث قسم غنائم حُنَيْن في ذي القَعْدة، وعمرة مع حجَّته[1].

كانت عمرة الحديبية في ذي القَعْدة سنة ست من الهجرة، وعمرة القضاء ـ أو عمرة القضيَّة ـ كانت في ذي القعدة سنة سبع من الهجرة، وعمرة الجعرّانة كانت في ذي القعدة سنة ثمان من الهجرة حين رجوعه من الطائف، والعمرة الَّتي كانت مع حجة الوداع، أحرم بها النبيُّ ﷺ في ذي القَعْدة على الصحيح، وأدَّى أفعالها في ذي الحجة؛ لأنَّهم خرجوا من المدينة لخمسٍ بقين من ذي القَعْدة سنة عشر من الهجرة، وقدموا مكَّة في الرابع من ذي الحجَّة.

عبادة الهجرة والجهاد:

ومن العبادات الَّتي أُمر بها النبيُّ ﷺ وصحابته: الهجرة إلى الله، بأن يهجر دار الشرك إلى دار التوحيد، ويهجر المشركين الَّذين حاربوه وقاتلوه، وآذوه وكلَّ من آمن معه في سبيل الله، فلا بدَّ أن تدعهم وديارهم مهاجرًا إلى الله ورسوله، كما قال تعالى في سورة الحج:

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤١٤٨)، ومسلم في الحج (١٢٥٣).

غير مرخصة للطباعة
نسخة ورقية
QaradawiBooks.com

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

ثم يعبد الله تعالى بالجهاد في سبيله، فذلك ذروة سَنام الإسلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ۝ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨].

فأول ما طُلب في هاتين الآيتين هو التعبد المحض: ﴿ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾.

ثم العبادة المتعدِّية إلى الغير بنشر الخير في المجتمع: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

ثم ختمت بالجهاد: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾.

وقد كانت حياة النبيِّ ﷺ ـ خاصَّة بعد هجرته إلى المدينة ـ حلقات متصلة من الجهاد في سبيل الله تعالى، لنشر دينه، وتبليغ كلمته، وإزاحة كل من يحول بينه وبين النَّاس، ومدافعة كل ظالم باغ جبار، ففي عشر سنين غزا النبيُّ ﷺ سبعًا وعشرين غزوة، شارك فيها بنفسه، وبعث نحو ستٍّ وخمسين سريَّة، حتَّى فتح الله لرسوله ما فتح، من البلاد ومن القرى، القريبة والبعيدة، ودخل النبيُّ ﷺ بجيش الفتح مكَّة المكرمة عاصمة الجزيرة العربيَّة الدينيَّة في ذلك الوقت، وكان الفاتحَ الأعظم في ذلك اليوم الأغر، مطأطئًا رأسه لله ﷻ، متواضعًا على ظهر راحلته، لا يذكر في هذا اليوم إلَّا الله وفضله: «**لا إله إلَّا الله وحده، نصر عبده، وأنجز وعده، وهزم الأحزاب وحده**»[1].

(١) رواه أحمد (١٥٣٨٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح. عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ودخل على ابنة عمِّه أمِّ هانئ بنت أبي طالب، فاغتسل وصلَّى ثماني ركعات في بيتها[١]، وسألها: «**هل عندكِ طعام آكله؟**». وكان جائعًا، قالت: فقلت: إن عندي لكِسَـرًا يابسة، وإنِّي لأستحيي أن أقرِّبها إليك، فقال: «**هلمِّيها**». فكسرتها ونثرت عليها الملح، فقال: «**هل من إدام؟**». فقالت: يا رسولَ الله، ما عندي إلَّا شيء من خل. قال: «**هلمِّيه**». قالت: فلمَّا جئته به صبَّه على طعامه، فأكل منه، ثمَّ حمد الله تعالى، ثمَّ قال: «**نعم الإدام الخل، يا أم هانئ، لا يُقْفَرُ بيت فيه خل**»[٢].

أكل الخل في يوم الفتح الأعظم وهو القائد المنتصر.

وسنوسِّع القول عن جهاد النبي ﷺ في فصل «الرسول المجاهد».

العبادات القلبيَّة من الحب والرجاء والخشية لله والتوكُّل على الله:

ومن أهمِّ أنواع العبادة الَّتي كان يتحلَّى بها الرسول الكريم ويحبُّها، ويتقرَّب إلى الله بها، وينشرها بين عباد الله: العبادات القلبيَّة لله، وهي جزء مهم من العبادة، فإن حقيقة العبادة لله أن تخضع له كل الخضوع، وأن تحبه كل الحب، فالعبادة هي غاية الحب لله مع غاية الطاعة والتعظيم له.

وكل ما يدخل في هذين المعنيين، يُرحِّب به الإسلام ويُحبُّه ويُنمِّيه ويباركه. ولذلك كان ﷺ شديدَ الحب لله، كما وصف الله المؤمنين من عباده حين يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٧٦)، ومسلم في صلاة المسافرين (٣٣٦)، عن أم هانئ.

(٢) رواه الطبراني في الصغير (٩٥١)، والحاكم في معرفة الصحابة (٥٤/٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٢٥١): رواه الطبراني في الصغير، وفيه سعدان بن الوليد ولم أعرفه. عن أم هانئ.

QaradawiBooks.com

وبيَّن الرسول الكريم في حديثه الشريف أنَّ منزلة الحبِّ لله ﷻ تُرقِّي مَنْ يصل إليها إلى أعلى المقامات، كما قال تعالى في الحديث القدسي المعروف: «**وما زال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أُحبَّه، فإذا أحببْتُه كنتُ سمعَه الَّذي يسمع به، وبصرَه الَّذي يُبصر به، ويدَه الَّتي يبطش بها، ورجله الَّتي يمشي بها، ولئن سألني لأُعْطِيَنَّه، ولئن استعاذني لأُعِيذَنَّه**»(١).

وكذلك خشية الله وتعظيمه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۞ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١].

قال العلَّامة ابن كثير: «يقول تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ**﴾ أي: هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح، مشفقون من الله خائفون منه، وجِلون من مَكْرِه بهم، كما قال الحسن البصري: إنَّ المؤمن جمع إحسانًا وشفقة، وإنَّ المنافق جمع إساءة وأمْنًا.

﴿**وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ**﴾ أي: يؤمنون بآياته الكونيَّة والشرعيَّة، كقوله تعالى إخبارًا عن مريم عليها السلام: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم: ١٢]، أي: أيقنت أن ما كان، فإنَّما هو عن قَدَر الله وقضائه، وما شرعه الله، فهو إن كان أمرًا فممَّا يحبُّه ويرضاه، وإن كان نهيًا فهو ممَّا يكرهه ويأباه، وإن كان خيرًا فهو حق، كما قال الله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ**﴾ [المؤمنون: ٥٩] أي: لا يعبدون معه غيره، بل يوحِّدونه ويعلمون أنَّه لا إلٰه إلَّا الله أحدًا صمدًا، لم يتَّخذ صاحبة ولا ولدًا، وأنَّه لا نظير له ولا كفء له.

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقولـــه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ أي: يعطون العطاء وهم خائفون ألَّا يتقبل منهم، لخوفهم أن يكونوا قد قصَّروا في القيام بشروط الإعطاء. وهذا من باب الإشفاق والاحتياط.

وقد قرأ آخرون هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[١]، أي: يفعلون ما يفعلون وهم خائفون، وروي هذا مرفوعًا إلى النبيِّ ﷺ أنَّه قرأ كذلك[٢].

والمعنى على القراءة الأولى، وهي قراءة الجمهور: السبعة وغيرهم، أظهر؛ لأنَّه قـــال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]، فجعلهم من السابقين.

ولـــو كان المعنى على القـــراءة الأخـــرى لأوشـــك ألَّا يكونوا من السابقين، بل من المقتصدين أو المقصرين، والله تعالى أعلم»[٣].

وكان الرســـول الكريم أعظم النَّاس عبادة لربه، وخصوصًا من هذه العبادات القلبيَّة؛ لأنَّه يعلم قيمتها، ويقدِّر مكانتها عند الله.

وقد جعل الإمام أبو حامد الغزالي مصنفه وكتابه «الإحياء» في هذه الأخلاق الباطنة الَّتي يراها حقيقة الدين، كما جاء في الحديث الصحيح الَّذي رواه مســـلم: «**إنَّ الله لا ينظر إلى أجسامكم وصُوَركم، ولكنْ ينظرُ إلى قلوبكم وأعمالكم**»[٤].

---

(١) وهي قراءة شاذَّة لا يجوز التعبُّد بها.

(٢) رواه أحمد (٢٤٦٤١)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في التفسير (٢/٢٣٥)، وصحَّح إسناده، وتعقبه الذهبي فقال: يحيى بن راشد ضعيف. عن عائشة.
قلت (المؤلف): وهي قراءة غير عشرية. والقرآن لا يثبت بأخبار الآحاد الصحيحة، فكيف بالضعيفة؟

(٣) تفسير ابن كثير (٥/٤٨٠، ٤٨١).

(٤) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٨٢٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فقد جعل الربع الثالث من «إحياء علوم الدين» في المهلكات، أي: الأخلاق الَّتي تهلك المسلمين إذا لابسوها واتَّبعوها، وأمست هي الَّتي تسوِّل للنفس السير على ما تهوى، وهم إن اتبعوها يتبعون الشيطان الَّذي يضل النَّاس بها، ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

وأمَّا الجزء الرابع من «الإحياء» فخصَّصه للمُنْجيات، وهي الأخلاق الأساسيَّة الَّتي يقوم عليها السَّيْر إلى الآخرة، وتدور حولها حركة الحياة والأحياء، من التوبة والإنابة إلى الله، والإخلاص له، والصِّدق معه، والشكر على نِعَمِه الَّتي لا تُحصَى، والصبر على بلائه، وعلى دعوته وطاعته، والصبر عن معصيته، والشوق إليه ومحبته، والأنس به، والرضا عنه، والإشفاق منه، والخشية منه، والرجاء في رحمته، وعدم اليأس منها، والخشية من عذابه، والأمل فيما عنده، فإنَّه لا يَيْئس من رَوْح الله إلَّا القوم الكافرون، ولا يأمن مكرَ الله إلَّا القوم الخاسرون.

ومن الخصال القلبيَّة المطلوبة: التوكُّل على الله تعالى، والاستعانة به ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].

هذه الذخيرة الحيَّة الهائلة الَّتي يحملها الرسول الكريم بين جَنْبيه، وفيها من الوجدانات الروحيَّة، أو الشحنات النفسيَّة، والشعلات الإيمانيَّة، ما يحرِّك القوى الخفيَّة في الإنسان، ويؤرقه فلا ينام، وتشبعه من الطعام وهو صائم، وقد نهى النبيُّ أصحابه أن يواصلوا صيامهم وهو

QaradawiBooks.com

يواصل، فلمَّا سألوه عن ذلك: إنَّك تنهانا عن الصيام، وتصوم أنت! قال: «**وأيُّكم مثلي؟ إنِّي أبيت يطعمني ربِّي ويَسْقِينِي**»(١).

إنَّ عنده ﷺ قوة روحيَّة، تجعله يشبع دون أن يأكل طعامًا، ويرتوي دون أن يُسقى شرابًا، وهي الَّتي عبَّر عنها الشاعر، فقال:

لها أحاديثُ مِنْ ذِكراكَ تَشغَلُها عَنِ الشَّرابِ وتُلهيهَا عَنِ الزَّادِ(٢)

هذه الطاقة الجوَّانية الإيمانيَّة في النفس الإنسانيَّة، الَّتي لا يتذوَّقُها ولا يحسُّ بها إلَّا المؤمنون، هي الَّتي جعلته ﷺ يطيل القيام والصلاة بالليل والناس نيام، حتَّى تتشقق أو تتورَّم قدماه، وتسأله زوجته عائشة عن سرِّ هذا العناء في قيامه وهجوده، وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ تشير إلى قوله تعالى في أوَّل سورة الفتح: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۞ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۞ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا**﴾ [الفتح: ١ ـ ٣] وكان جوابه صلوات الله وسلامه عليه: «**يا عائشة، أفلا أكون عبدًا شكورًا**»(٣).

كان ﷺ يشعر في أعماقه أنَّ حقَّ ربِّه عليه عظيم، وأنَّه مهما فعل فلن يؤدي حق الله ﷻ، ولن يفي بشكر نعمته.

هذه الطاقة الإيمانية هي الَّتي جعلته يترك زوجه وأحبَّ النَّاس إليه، وبنت صديقه أبي بكر، ويقوم من الليل، ليقف مناجيًا ربه ومولاه الَّذي

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٢٩٩)، ومسلم في الصيام (١١٠٣)، عن أبي هريرة.

(٢) البيت لإدريس بن أبي حفصة كما في زهر الآداب للحصري القيرواني (٥٥١/٢)، نشر دار الجيل بيروت.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٣٧)، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار (٢٨٢٠).

QaradawiBooks.com

اختاره واصطفاه، والَّذي جعل فتاته الصغيرة تظنُّ به أنَّه قام من ليله بعدما ظنها نامت ليزور امرأة من أزواجه غيرها. ومن يا عائشة لو كان محمَّد يريد دنيا يتشوَّق إليها، ويحب أن يقترب منها سواك يا بنت الصِّدِّيق؟!

فعن عائشة قالت: افتقدتُ النبيَّ ﷺ ذات ليلة، فظننتُ أنَّه ذهب إلى بعض نسائه، فتحسَّستُ ثمَّ رجعتُ، فإذا هو راكع أو ساجد يقول: «**سبحانك وبحمدك لا إله إلَّا أنت**». فقلت: بأبي أنت وأُمِّي، إنِّي لفي شأنٍ وإنَّكَ لفي آخر[١].

لقد استغرق محمَّد ﷺ في التأمُّل العالي، ومشى على الأرض بجسده، وقلبه في السماء.

منهج النبيِّ ﷺ في العبادة:

لقد كان رسول الله في مقام العبوديَّة، يَصِل ليلَه بنهاره في عبادة ربه، ويقوم من الليل حتَّى تتورَّم قدماه، كما تقدَّم، أمَّا إذا كان في مقام التعليم والإرشاد فيترفَّق بصحابته، ويدعوهم إلى الأخذ بالأيسر من الأمور ما لم يكن إثمًا، ويُحذِّرهم من التكلُّف والتعمُّق، ويقول لهم: «**خذوا من العمل ما تُطيقون؛ فإنَّ الله لا يَمَلُّ حتَّى تَملُّوا**»[٢].

ويقول لعبد الله بن عمرو وقد شدَّد على نفسه: «**صُمْ وأفطرْ، ونمْ وقمْ؛ فإنَّ لجسدِكَ عليكَ حقًّا، وإنَّ لعَيْنِكَ عليكَ حقًّا، وإنَّ لزوجك عليك حقًّا، وإنَّ لزَوْرك عليك حقًّا**»[٣].

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٥)، والنسائي في التطبيق (١١٣١).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصوم (١٩٧٠)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٨٢)، عن عائشة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥، ١٩٧٦)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصيام.

QaradawiBooks.com

ويشكو إليه حنظلةُ غفلتَه ومداعبتَه أهله، ويحسب ذلك نفاقًا، فيهوِّن عليه ويقول: «**ولكنْ يا حنظلةُ، ساعةً وساعة**». ثلاث مرَّات[١].

وكان ﷺ مع أصحابه إذا ذكروا الدُّنيا ذكَرها معهم، وإذا ذكروا الطعام ذكَره معهم، وإذا ذكروا الآخرة ذكرها معهم، وما طلب من تاجر أن يترك تِجارته، ولا صانع أن يُهمِل صناعته، بل أقرَّهم على أسبابها، ودعاهم إلى إتقانها، وأمرهم بتقوى الله فيها، وكان يتخوَّلهم بالموعظة خشيةَ السآمة عليهم، وكان أحبُّ العمل إليه أدومه وإن قلَّ[٢]، وقال لهم: «**إنَّ هذا الدِّين متين، فأَوغِلوا فيه برفق**»[٣].

دعوته إلى الاعتدال في العبادة:

وكان ﷺ يدعو أصحابه إلى التوسط والاعتدال في عبادتهم، وقد أُمر بالتوسُّط في القراءة في الصلاة الجهرية في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]، أي: بقراءتك.

وأمره الله تعالى بالتوسط في رفع الصوت في الذكر والدعاء: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

---

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٠)، وأحمد (١٧٦٠٩)، عن حنظلة الكاتب.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في اللباس (٥٨٦١)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٨٢)، عن عائشة.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد وجادة (١٣٠٥٢)، وقال مخرِّجوه: حسن بشواهده. والضياء في المختارة (٢١١٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٦): رجاله موثقون، إلَّا أن خلف بن مهران لم يدرك أنسًا.

QaradawiBooks.com

قال ابن كثير: «وهكذا يُسْتَحَبُّ أن يكون الذكر، لا يكون نداء ولا جهرًا بليغًا، ولهذا لما سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦][(١)].

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشْعَرِي قال: رفع النَّاس أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار، فقال لهم النبي ﷺ: «**أيها النَّاس، ارْبَعوا على أنفسكم، فإنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا؛ إنَّ الَّذي تدعونه سميع قريب**»[(٢)»[(٣)].

واشتدَّ على من يُطيل الصلاة في النَّاس، ففي حديث أبي مسعود الأنصاري أن رجلًا جاء إلى رسول الله ﷺ، وقال: إنِّي لأتأخَّر عن صلاة من أجل فلان ممَّا يطيل بنا. فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد ممَّا غضب يومئذ. فقال: «**يا أيُّها النَّاس، إنَّ منكم منفِّرين، فأيُّكم أمَّ النَّاس فليوجز، فإنَّ من ورائه الكبيرَ والضعيفَ وذا الحاجة**»[(٤)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**هلك المُتَنَطِّعون**». قالها ثلاثًا[(٥)]. والمُتَنَطِّعون هم المتعمِّقون الغالون في فهم الدِّين وتطبيقه، بحيث يعسِّرون ولا ييسِّرون، وينفِّرون ولا يبشِّرون.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٤٨٠/٣)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٠٥)، ومسلم في الذكر (٢٧٠٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٥٣٩/٣).

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٥٩)، ومسلم الصلاة (٤٦٦)، عن أبي مسعود الأنصاري.

(٥) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٠)، وأحمد (٣٦٥٥).

QaradawiBooks.com

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يقول: «**لا تُشدِّدوا على أنفسكم فيشدِّد الله عليكم، فإنَّ قومًا شدَّدوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصَّوامع والدِّيارات**»(١).

ودخل النبيُّ ﷺ مرَّة المسجد، فإذا حبلٌ ممدودٌ بين ساريتين فقال: «**ما هذا الحبل؟**». فقالوا: حبلٌ لزينب، فإذا فترت تعلَّقت به. فقال: «**حُلُّوه، ليُصَلِّ أحدُكم نشاطَه، فإذا فتر فلْيَقْعُدْ**»(٢).

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إيَّاكم والغلوَّ في الدّين، فإنَّما أهلك من كان قبلكم الغلوَّ في الدِّين**»(٣).

ولقد كان النبيُّ ﷺ يُيَسِّر على النَّاس في الأحكام، ويبتعد عمَّا قد يكون سببًا لتكليفهم بتكاليف تشقُّ عليهم، كما يتجنَّب أن يفعل شيئًا يكون فيه مشقة وحرج على أمته.

قال: «**لولا أن أشقَّ على أُمَّتي لأمرتهم بالسواك عند كلِّ وُضوء**»(٤).

وقال لبعض أصحابه: «**ما بالكم تأتوني قُلْحًا لا تَسوَّكُون؟ لولا أن أشقَّ على أُمَّتي لفرضتُ عليهم السِّوَاكَ كما فرضتُ عليهم الوضوء**»(٥).

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٩٠٤)، وأبو يعلى (٣٦٩٤)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٣٤٦٨).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٥٠)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٨٤)، عن أنس.

(٣) رواه أحمد (١٨٥١)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وابن خزيمة (٢٨٦٧)، ثلاثتهم في المناسك.

(٤) رواه أحمد (٩٩٢٨)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والنسائي في الكبرى في الصيام (٣٠٣١)، وابن الجارود في الطهارة (٦٣)، وابن خزيمة في الوضوء (١٤٠)، وصحَّحه الألباني في الإرواء (٧٠)، عن أبي هريرة.

(٥) رواه أحمد (١٥٦٥٦)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٢٠): فيه أبو علي الصيقل، قيل فيه: أنَّه مجهول. عن العباس بن عبد المطلب.

QaradawiBooks.com

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لولا أن أشقَّ على أُمَّتي لأمرتهم بتأخير العشاء، وبالسِّوَاك عند كلِّ صلاة**»(١).

وقال: «**لولا أن أشُقَّ على أمَّتي مَا تَخَلَّفتُ عن سَريَّة**»(٢).

وعن عائشة: أنَّ رسولَ الله ﷺ خرج ذات ليلة (أي من رمضان) من جوف الليل، فصلى في المسجد، فصلَّى رجال بصلاته، فأصبح النَّاس فتحدَّثوا، فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه، فأصبح النَّاس فتحدثوا، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ فصلُّوا بصلاته، فلمَّا كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله.. حتَّى خرج لصلاة الصبح، فلمَّا قضى الفجر، أقبل على النَّاس، فتشهد ثمَّ قال: «**أمَّا بعدُ، فإنَّه لم يخفَ عليَّ مكانُكم، لكنِّي خشيتُ أن تُفْرَض عليكم، فتَعْجِزوا عنها**»(٣).

وقالت عائشة رضي الله عنها: خرج النبيُّ ﷺ من عندي وهو مسرورٌ طيِّب النفس، ثمَّ رجع إليَّ وهو كئيب، فقال: «**إنِّي دخلْتُ الكعبة، ولو اسْتقبلتُ من أمرِي ما استدبرْتُ ما دخلْتُها، إِنِّي أخافُ أنْ أكُونَ قَدْ شَقَقْتُ على أُمَّتي**»(٤).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنَّ رسولَ الله ﷺ وقف في حجَّة الوداع بمِنًى لِلنَّاسِ يَسألونه، فجاءه رجلٌ فقالَ: لَمْ أَشعُرْ فحلقْتُ

---

(١) رواه أحمد (٧٣٣٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الطهارة (٤٦)، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (٧١٦/١). وهو متَّفق عليه بلفظ: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك**». رواه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢)، كلاهما في الجمعة.

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٧٥)، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٩٢٤)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦١).

(٤) رواه أحمد (٢٥٠٥٦)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في المناسك (٢٠٢٩)، والترمذي في الحج (٨٧٣)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في المناسك (٣٠٦٤)، وضعفه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٤٧٦/٣).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مصغرة
QaradawiBooks.com

قَبلَ أن أذْبح! فقال: «**اذبحْ ولا حرج**». فجاء آخر فقال: لم أَشْعر فنحرْتُ قبل أن أرمي! قال: «**ارْمِ ولا حرج**». فما سئل النَّبِيُّ صلى الله عليه عن شيء قُدِّمَ ولا أُخِّرَ إِلَّا قال: «**افعلْ ولا حَرَجَ!**»[١].

وقد نهى أصحابه عن كثرة الأسئلة، لئلا تُفرض عليهم فرائض بسبب سؤالهم.

فقد سأله رجل عن الحج: أفي كل عام هو؟ فقال: «**لو قلتُ: نعم؛ لوجبت، ولَمَا استطعتم، ذروني ما تركتكم**»[٢].

وقد دعا ﷺ إلى التيسير، وبيَّن طبيعة هذا الدِّين: «**إنَّ الدِّينَ يُسر، ولن يشادَّ الدّينَ أحدٌ إلَّا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا وأبْشروا...**»[٣].

قال العلامة المناوي في شرحه: ««**إنَّ الدِّينَ يُسْر**». أي: دين الإسلام ذو يسر نقيض العسر، أو هو يسر، مبالغة لشدَّة اليسر وكثرته، كأنَّه نفسه.

«**يُسْرٌ**»، بالنسبة للأديان قبله، لرفع الإصر عن الأمة.

«**ولن يشادَّ**»، أي: يقاوم «**الدِّينَ أحدٌ إلَّا غلبه**»، أي: لا يتعمَّق أحد في العبادة، ويترك الرِّفْق، كالرهبان في الصوامع، إلَّا عجز فغُلِب»[٤] اهـ.

قال ابن المُنَيِّر: «في هذا الحديث عَلَمٌ من أعلام النبوة، فقد رأينا، ورأى النَّاس قبلنا: أن كل متنطِّع في الدين ينقطع»[٥].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٧٣٦)، ومسلم (١٣٠٦)، كلاهما في الحج.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٢٨٨)، ومسلم في الحج (١٣٣٧)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري (٣٩)، والنسائي (٥٠٣٤)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٤) فيض القدير (٣٢٩/٢) نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

(٥) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٩٤/١)، تحقيق محب الدين الخطيب، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال في «الفتح»: «وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنَّه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدِّي إلى المَلال، والمبالغة في التطوُّع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته، كمن بات يصلِّي الليلَ، ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل، فنام عن صلاة الصبح، أي عن وقت الفريضة إلى أن خرج الوقت.

وفي حديث محمَّد بن الأدرع عند أحمد: «**إنَّكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة، وخيرُ دِينِكم أيسرُه**»(١).

وقد يستفاد من هذا الإشارة إلى الأخذ بالرخصة الشرعية، فإنَّ الأخذ بالعزيمة في موضع الرخصة تنطُّع، كمن يترك التيمُّم عند العجز عن استعمال الماء فيفضي به استعمال الماء إلى حصول الضرر»(٢).

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنه: قيل للنبيِّ ﷺ: يا رسولَ الله، أي الأديان أحبُّ إلى الله؟ قال: «**الحنيفيَّة السَّمْحة**»(٣).

وقال لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشْعَرِي لمَّا بعثهما إلى اليمن: «**يَسِّرا ولا تُعسِّرا وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا**»(٤).

وعن عروة الفُقَيمي رضي الله عنه قال: كنَّا ننتظر النبيَّ ﷺ، فخرج يقطر رأسه من وضوء أو غسل فصلّى، فلمّا قضى الصّلاة جعل النَّاس يسألونه: يا رسولَ الله،

(١) رواه أحمد (١٨٩٧١)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٩٨٢): رجاله رجال الصحيح.

(٢) فتح الباري (٩٤/١، ٩٥).

(٣) رواه أحمد (٢١٠٧)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والبخاري في الأدب المفرد (٢٨٧). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٣): فيه ابن إسحاق، وهو مدلس ولم يصرح بالسماع.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣)، كلاهما في الجهاد والسير، عن أبي موسى.

QaradawiBooks.com

أعلينا من حـــرج في كذا؟ فقال رســـول الله ﷺ: «**لا، أيُّها النَّـــاس، إنَّ دينَ الله ﷻ في يسر، إنَّ دينَ الله ﷻ في يسر، إنَّ دينَ اللهِ ﷻ في يُسْر**»[(١)].

وجاء في وصفه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خُيِّرَ النبي ﷺ بين أمرين إلَّا اختار أيسرهما ما لم يأثم، فإذا كان الإثمُ، كان أبعدهما منه، والله ما انتقم لنفسه، في شيء يؤتى إليه قطُّ، حتَّى تُنتهك حرماتُ الله، فينتقمُ لله»[(٢)].

وقال ﷺ: «**إنَّ خيرَ دِينِكم أيسرُه، إنَّ خيرَ دِينِكم أيسرُه**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**إنَّ اللهَ تعالى رَضِيَ لهذه الأمَّة اليسير، وكره لها العسير**»[(٤)].

وعـــن جابر رضي الله عنه أنَّ رســـول الله ﷺ قـــال: «**إنَّ الله لم يبعثنـــي معنِّتًا ولا متعنِّتًا، ولكن بعثني معلِّمًا ميسِّرًا**»[(٥)].

وعن عبد الله بـــن عمرو بنِ العـــاصِ رضي الله عنهما: قال لي رســـولُ الله ﷺ: «**يا عبدَ الله، ألـــم أُخْبَرْ أنَّك تصـــوم النَّهار وتقوم الليـــل؟**». فقلتُ: بلى يا رسول الله. قال: «**فلا تفعل، صُمْ وأفطِر، وقُمْ ونمْ، فإنَّ لجسدك عليك حقًّا، وإنَّ لعينك عليك حقًّا، وإنَّ لزوجك عليك حقًّا، وإن لزَوْرِك عليك حقًّا، وإنَّ بحَسْـــبكَ أن تصوم كلَّ شـــهرٍ ثلاثةَ أيامٍ؛ فإنَّ لك بكلِّ حسنةٍ عَشْـــرَ أَمْثَالها، فإنَّ ذلك صيامُ الدهر كلِّه**». قال عبد الله: فشدَّدتُ، فشُدِّد

---

(١) رواه أحمد (٢٠٦٦٩)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو يعلى (٦٨٦٣)، والطبراني (١٤٦/١٧)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (١٧٤/١).

(٢) رواه البخاري في الحدود (٦٧٨٦).

(٣) رواه أحمد (١٥٩٣٦)، وقال مخرِّجوه: إســـناده حسن. وصحَّح إســـناده ابن حجر في الفتح (١٧٤/١)، عن الأعرابي الذي سمع رسول الله ﷺ.

(٤) رواه الطبراني (٢٩٨/٢٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائـــد (٥٩٢٠): رجال الطبراني رجال الصحيح. عن محجن بن الأدرع.

(٥) رواه مسلم في الطلاق (١٤٧٨)، وأحمد (١٤٥١٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عليَّ. قلتُ: يا رسولَ الله، إنِّي أجد قوةً. قال: «**فصُمْ صيام نبيِّ الله داود** عليه السلام، **ولا تزدْ عليه**». قلتُ: وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام. قال: «**نصف الدَّهْر**».

قال أبو سلمة بن عبد الرحمٰن راوي الحديث عن عبد الله: فكان عبد الله يقول بعدما كَبِر: يا ليتني قبلتُ رخصةَ النبيِّ ﷺ[1]!

وعن جابرٍ قال: خرجنا في سفرٍ، فأصاب رجلًا منَّا حَجَرٌ، فشجَّه في رأسه، ثمَّ احتلم، فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصةً في التيمُّم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصةً وأنت تقدر على الماء. فاغتسل فمات. فلمَّا قدمنا على النبي ﷺ أُخْبِر بذلك، فقال: «**قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنَّما شفاء العِيِّ السؤال. إنَّما كان يكفيه أن يتيمَّم ويَعْصِر** ـ أو يَعْصِب ـ **على جُرحه خرقةً، ثمَّ يمسح عليها، ويغسل سائرَ جسدِه**»[2].

* * *

(١) سبق تخريجه صـ٧٨.

(٢) رواه أبو داود (٣٣٦)، والدارقطني (٧٢٩)، كلاهما في الطهارة، ونقل عن شيخه فيه أبي بكر ابن أبي داود قوله: هذه سنة تفرد بها أهل مكة، وحملها أهلُ الجزيرة. لم يروه عن عطاء عن جابر غيرُ الزُّبير بن خريق، وليس بالقوي. وخالفه الأوزاعي فرواه عن عطاء عن ابن عباس، وهو الصواب. وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣٦٤)، دون قوله: «إنَّما كان يكفيه...».

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الرسول الزاهد

عرفنا الرسول محمَّدًا ﷺ صاحب الرسالةِ العليا، الرسالة العالميَّة، الرسالة الربَّانية، الرسالة الأخلاقيَّة، الرسالة الإنسانيَّة، الرسالة الثقافيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة، الرسالة الخاتمة لكلِّ الرسالات السماويَّة، الرسالة الَّتي جمعت كل ما في الرسالات السابقة من معالم الحق والخير والرشد، ومعاني الثبات على البر وطاعة الله تعالى.

عرفنا حامل هذه الرسالة إلى العالم كلِّه إنسانًا كاملًا، حباه الله بالصفات الَّتي تؤهِّله لحمل الرسالة الخاتمة، فتجلَّى فيه الكمال البشري، فهو العالم العابد المجاهد القائد، إلى آخر هذه الصفات الَّتي يشهد النَّاس لحاملها بالتميُّز، ويتمنَّى كلُّ إنسان أن يتَّصف بها.

وقد هيَّأ الله رسوله ﷺ تهيئةً متكاملةً متوازنةً، شاملةً لكلِّ ما يحتاج إليه النَّاس من مكارم وفضائل ومزايا ومعان سامية، فقد صاغه على يديه، واصْطنعه لنفسه، ليحمل الرسالة العالميَّة الخاتمة، أعظم رسالة يحملها رسول من رسل الله، وقد أمره الله أن يضع نُصب عينيه كلَّ ما تميَّز به مَن قبله من المرسلين من المكرُمات والمعاني السامية السامقة، وقال له: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومن الصفات الخلقيَّة المشرقة والمتميِّزة والمهمَّة في الرسول العظيم صفة الزهد.

والزهد معنًى كبير، يتفوَّق به بعض البشر على بعض، ومن العجيب أنَّه أقرب إلى السلب منه إلى الإيجاب، وإلى الترك منه إلى الأخذ، وإلى التخلِّي منه إلى التحلِّي، ولكن عند التأمُّل نجد هذا السَّلب إيجابًا، وهذا التخلِّي تحليًا، وهذا الَّذي يظنُّه النَّاس حرمانًا هو العطاء نفسه.

هذا هو معنى «الزهد» الَّذي وصف به الصحابة الرسول الأعظم محمدًا ﷺ، ووصفه به التابعون، ووصفه به تلاميذهم في كل العصور.

لم يكن محمَّد ﷺ زاهدًا وحسْب، وإنَّما أرسله الله لينذر أهل القوَّة والجبروت، وأهل الملك والملكوت، من الملوك أصحاب التيجان، ومن الأكاسرة أصحاب البلدان، ومن القياصرة أصحاب الإيوان، ومن كلِّ أصحاب العروش الكبيرة، والزخارف الَّتي تأخذ بالألباب، والشارات والعلائم أن يعرفوا حقيقة هذه الدُّنيا، وأنَّ ما هم فيه سوف يفنى، ويأتي كلُّ واحد منهم ربَّه فردًا، ويخلِّف وراءه كلَّ ما كان يظنُّ في الدُّنيا أنَّه امتلكه، وأنَّه مخلَّد فيه من القصور والضياع والأموال والوجاهة والسلطة.

وأنَّ الدُّنيا بزخارفها وزينتها متاع الغُرور، يُغَرُّ به كلَّ مَنْ لم يتأمَّل حقيقة الدُّنيا، وطبيعة الحياة فيها؛ لأنَّ الإنسان مهما اشتدَّ بدنه لن يأكل من مطاعم هذه الدُّنيا غير ما يملأ المعدة، وماذا تكون المعدة طولًا وعرضًا؟! ولن يلبس إلَّا ما يغطي عورته ويقيه الحرَّ والبرد، ثمَّ يخلِّف كلَّ بهارج الدُّنيا وراءه، وفي الحديث: «**يقول ابنُ آدم: مالي، مالي**». قال:

QaradawiBooks.com

«وهل لك ـ يا ابنَ آدم ـ من مالك إلَّا ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبِستَ فأبليتَ، أو تصدَّقتَ فأمضيتَ؟»[١].

حقيقة الحياة الدنيا:

لذا فقد كان من رسالة محمَّد ﷺ أن يُبَيِّن لمن أخذت الدُّنيا وزخارفها وزينتها وأموالها وشهواتها ولذَّاتها ألبابهم عن التفكُّر في المصير والمآل حقيقةَ الدُّنيا، وأنَّ متعتها قليلة، ولذَّاتها قصيرة، وأموالها فانية، قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

ويضرب القرآن الكريم مثلًا آخر لهذه الدُّنيا وزينتها ولهوها وملاذِّها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

جاء الرسول ﷺ يدعو المترفين المنعَّمين إلى الرغبة فيما عند الله، ويدعو المتجبِّرين الَّذين يريدون أن يملكوا الدُّنيا بكلِّ وسيلة ولو بقهر النَّاس وظلم العباد، يدعوهم إلى الحقِّ والعدل، والخير والرُّشد، وأنَّ ما عند الله خيرٌ للأبرار.

---

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٥٨)، وأحمد (١٦٣٠٦)، عن عبد الله بن الشِّخِّير.

QaradawiBooks.com

جاء ليعلن أن ما عنـد الله خير وأبقى، وأنَّ الدُّنيـا ما هي إلَّا قنطرة للآخرة، وأنَّ الدُّنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

جاءه يومًا مال من البحرين، فتطلعت النفوس، وهرول من هرول مسرعين، ينتظرون أن ينالهم شيء منه، وبدا منهم الحرص على هذا المتاع الأدنى، فانتهزهـا النبي ﷺ فرصة، ليحذِّرهم مـن فتنة الدُّنيا وغرورها، والحـرص على زخارفهـا، فخطب فيهم قائلًا: «**أبشـروا وأمِّلوا، فوالله ما الفقرَ أخشـى عليكم، ولكن أخشى أن تُبسط عليكم الدُّنيا كما بُسـطت على مَن كان قبلكم، فتَنافسـوها كما تَنافسوها، فتُهلككم كما أهلكتهم**»(١).

الزهد الَّذي يدعو إليه محمَّد ﷺ:

لم تكن دعـوة النبي ﷺ إلـى الزهد فـي الدُّنيا دعوة إلـى العزلة والانقطاع، أو إلى حرمان النفس من التمتـع بالطيبات، وإن جاءت من حلال، بل إن كتابه الَّذي أرسله الله به يقول: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۞ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعـراف: ٣١، ٣٢]. ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۞ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٧، ٨٨].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٠١٥)، ومسـلم في الزهـد (٢٩٦١)، عن عمرو بن عوف.

QaradawiBooks.com

فالزهد الَّـذي دعا إليه محمَّـد ﷺ وربَّى عليه أصحابـه زهدٌ قوامه التوازن بين الدُّنيا والآخرة، وبيـن عبادة الله وعمارة الأرض، وتروي لنا كتب الحديث النبوي قصة الرهْط الثلاثة، الَّذين سألوا زوجات النبي ﷺ عن عبادته، فكأنهم تقالُّوها، وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ؟! قد غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر!

قال أحدهم: أمَّا أنا فإنِّي أصلِّي الليل أبدًا، ولا أنام.

وقال الآخر: إنِّي أصوم الدهر أبدًا، ولا أُفطر.

وقال الثالث: أنا اعتزل النساء فلا أتزوَّج أبدًا.

فجاء رسـول الله ﷺ فقال: «**أنتم الَّذين قُلتم كذا وكذا، أمَّا والله إنِّي لأخشـاكم لله وأتقاكم له، لكنِّي أصوم وأفطر، وأصلِّـي وأرقد، وأتزوَّج النساء، فمَن رغب عن سُنَّتي فليس مِنِّي**»[(١)].

ربَّى النبـيُّ ﷺ أتباعه على هذا الاعتدال، فقد كان السـلف الصالح يتناولون الطيبات ولا يتحرَّجون منها، بل كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يذمُّون المباحات ولا يرفضونها.

نعم، خطر المباح إنَّمـا هو من ناحية ما يَعرِض له من التوسُّـع فيه والاشتغال به عن عبادة الله وطاعته، وقلما نرى منغمِسًا في الترف عرَف الله حقَّ معرفته وشكَره حق شكره.

ويؤيِّد هذا ما رُوي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا بعثه إلى اليمن قال له: «**إيَّاك والتنعُّمَ؛ فإنَّ عباد الله ليسوا بالمتنعِّمين**»[(٢)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (٢٢١٠٥)، وقال مخرِّجوه: إسـناده ضعيف. والبيهقي في شعب الإيمان (٥٧٦٦)، =

QaradawiBooks.com

فقصد السبيل ألَّا يُسرِف المرء في الطيِّبات، حتَّى تُفضي به إلى الترف والبَطر والوقوع في الشبهات، وألَّا يشدِّد على نفسه حتَّى يأخذ منه التنطُّع، ويزحف إليه الملل، وكلا الأمرين مجافٍ للحنيفيَّة السمحة، والمنهج الحق الَّذي جاء به الرسول ﷺ، والكيِّس من ساس نفسه وأخذها بالَّتي هي أقوم.

والنبيُّ ﷺ وهو أزهد البشر، وهديه أكمل الهدي، وطريقُه أقْومُ الطرق كان يحب الحلواء والعسل، ويأكل اللحم، ويختصُّ بالذراع، وكانت تُعجِبه، وكان يُستعذَب له الماء، ويُنقَع له الزبيب والتمر، وأخبر أنَّه حُبِّب إليه النساء والطيب، وكان ينهى عن الترهُّب والغلو، حتَّى عدَّ فاعلَهما خارجًا عن سنَّته، وكان ﷺ لا يتكلَّف المفقود، ولا يرفض الموجود الحلال.

إنَّ الزهد الَّذي يدعو إليه محمَّد قوامه التوازن بين حقِّ الجسم وحقِّ الروح، فلا حرمان للجسم يصل إلى حدِّ التعذيب، ولا عبٌّ من الشهوات والملذَّات دون رقيب ولا حسيب.

لقد ربَّى النبيُّ الصحابة على منهج متوازن خلاصته: «اعملْ لدنياك كأنَّك تعيش أبدًا، واعملْ لآخرتك كأنَّك تموت غدًا»[1].

بهذه النظريَّة المزدوجة يستريح الإنسان، ويعمل في دنياه عمل أهل الدُّنيا، يبني ويعمِّر، ويزرع النخيل، وشجر الجوز، والشجر الَّذي يعيش

= وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٨٣٥): رواه أحمد ورواته ثقات. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢١٤٦).

(١) رواه الحارث في مسنده (١٠٩٣) كما في البغية، موقوفًا على عبد الله بن عمرو، وقد شاع بين جمهور المسلمين حتى حسبوه حديثًا، وذلك لموافقته ضمنًا للأصول الإسلامية.

QaradawiBooks.com

عشرات السنين ومئات السنين، ومع هذا يعمل لآخرته كأنَّه يموت غدًا، فما أقــرب الموت! وما أســرع زوال الدنيا! والعاقل مــن يعمل لدنياه، ولا ينســى آخرته، كما قال قوم قارون لقارون: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

ويُعَلِّم القرآن المؤمنين هذا الدعاء الجامع لحســنتي الدارين: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

هذا هو محمَّــد ﷺ، الَّذي ختم الله به النَّبيين والمرســلين؛ لأنَّه هو الشــخصيَّة الَّتي تســتطيع أن تجمع بين المثاليَّة والواقعيَّة، بين الماديَّة والروحيَّة، وبين الدُّنيا والآخرة، ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ربَّى محمَّد أصحابه على رفض الرهبانيَّة والنَّهبانيَّة:

ربَّى محمَّد ﷺ أصحابه على رفض الرهبانيَّــة في الدين، الَّتي تقوم على إغفال الجانب المادي الجســدي في الإنسان، والعمل على تعذيبه وإضعافه، لينمو الجانب الرُّوحي فيه، ويصفو ويقوى كالبرهمية الهندية، والرهبانيَّة المسيحية.

قال رســول الله ﷺ: «**تزوَّجوا، فإنِّي مُكاثر بكــم الأمم، ولا تكونوا كرهبانيَّة النصارى**»[1].

(١) رواه البيهقي في النكــاح (١٢٥/٧)، وقال ابن حجر في التلخيــص الحبير (٢٤٨/٣) فيه محمَّد بن ثابت وهــو ضعيف. وصحَّحــه الألباني فــي صحيح الجامــع (٢٩٤١)، عن أبي أمامة.

QaradawiBooks.com

وعند الطبراني عن عثمان بن مظعون أنَّه قال: يا رسولَ الله، ائذن لي في الاختصاء ـ ليقطع الشهوة الجنسية ـ فقال له: «**يا عثمان، إنَّ الله قد أبدلنا بالرهبانيَّة الحنيفيَّة السَّمْحة**»[١].

وفي الصحيح، أن سعد بن أبي وقَّاص قال: ردَّ رسولُ الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتُّل، ولو أذن له لاخْتَصَيْنا[٢].

رفض الرسول هذه الرهبانيَّة الَّتي تنتزع الفرد من بيئته، وتخلعه من تربته، وتقلعه من جذوره، فيترك أمَّه وأباه وأقاربه وإخوته وجيرانه، ويذهب إلى هذا القفص الصناعي، الَّذي صنعه لنفسه، يسجن نفسه فيه باختياره، لا يفكر في الزواج، ولا في الإنجاب، وهو متطلبات شبابه وحياته، ولا في إعطاء الحياة ما أعطته الحياة، وبعضهم قسا على نفسه أكثر ممَّا كان معتادًا، فحرَّم على نفسه استعمال المياه الَّتي جعلها الله طَهورًا للإنسان وللحياة، فقال منهم من قال: واأسفاه لقد كان من قبلنا يعيشون أعمارهم لا يبُلُّ أطرافه بالماء، ولكنَّنا للأسف أصبحنا في زمن يدخل فيه النَّاس الحمامات[٣].

ودخول الحمامات من البدع الَّتي ابتلاهم بها المسلمون، فصارت في قرطبة وغيرها من مدن الأندلس المسلمة: الحمَّامات العامَّة بالمئات. والمسلمون يُفرض عليهم أن يصلُّوا في اليوم خمس صلوات، وكل صلاة لا بدَّ أن تكون مسبوقةً بالاستنجاء ثمَّ الوضوء، يغسل فيه بالماء الطاهر

(١) رواه الطبراني (٦٢/٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٣٠٨): رواه الطبراني وفيه إبراهيم بن زكريا وهو ضعيف. عن سعيد بن العاص.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٠٢)، كلاهما في النكاح.

(٣) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين صـ ١٥١، نشر مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر.

QaradawiBooks.com

الطهور: الوجه واليدين إلى المرفقين، ويمسح الرأس، ويغسل الرجلين إلى الكعبين، وإن كان جنُبًا فيطَّهَّر بإفاضة الماء على جسده، ويستحب له أن يغتسل للجمعة إن استطاع، وأن يتطيَّب، وأن يستاك، وأن يلبس أحسن ثيابه، ليذهب مع إخوانه في بلدته أو في حيِّه إلى المسجد الكبير، كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١].

يقول الدكتور محمَّد فتحي عثمان في كتابه «القيم الحضاريَّة في رسالة الإسلام»: «ومن آثار حضارة الإسلام المعروفة، إنشاء الحمامات والمغاسل وموارد المياه العامَّة استجابة لأوامر الإسلام في الطهارة والوضوء والغسل، وكان في الجانب الشرقي من بغداد وحده في القرن الثالث الهجري خمسة آلاف حمام، وروى الخطيب البغدادي أنَّه كان في بغداد في عهد المقتدر العباسي (٢٧) ألف حمام، وصلت في عهود أخرى إلى (٦٠) ألفًا.

ويذكر المقريزي أنَّه كان بالفسطاط ألف ومائة وسبعون حمَّامًا، وكان الحمَّام متعدِّدَ الحجرات، وقد رصفت أرضه بالفسيفساء، وبُطِّنت جدرانه بالرخام، وقد أحاطت حجرات الحمَّام بقاعةٍ وُسطى واسعة تتوِّجها قُبَّة تتخلَّلها كُوَّات صغيرة عليها زجاج يَنْفُذ خلاله الضوء»[1].

وكما ربَّاهم على رفض الرهبانيَّة ربَّاهم على رفض «النهبانيَّة».

والنهبانيَّة: أن ينهب الأقوياء القادرون بقوتهم الرأسماليَّة المتمكِّنة، أو بقدرتهم القبليَّة والعصبيَّة المتعاونة فيما بينها على اقتسام الغنائم، أو بقوَّتهم المتحزِّبة المتجمعة على الأفكار المشتركة، لتقاوم من يعارضها، ومن يقف في سبيلها.

(١) القيم الحضارية في رسالة الإسلام صـ ١١٦، الدار السعودية للنشر، ط١.

QaradawiBooks.com

ربَّاهم على حـــبِّ أن تكون الأرض الَّتي خلقهـــا الله مائدةً للجميع، يتقاســـمون خيرَها بالعدل، هـــذا يجلب لها المـــاء، أو يُيسِّـــره لها، أو يســـتخرجه من الأرض بجهده أو بآلته. وهذا يقســـم الأرض قطعًا قطعًا ويهيِّئهـــا للزراعة، وهـــذا يُهيِّئ لها المحـــراث لتُحْرَث، والبَـــذْر لتُبذر، والغرس لتُغْرَس. وما يغرس كالنخل يحتاج إلى وقت معين، لاستكمال الإنبات بعمليَّة التلقيح، وكل هذه النباتات والزروع تحتاج إلى ســـقاية ورعاية، وعزق وتنظيف، وتنقية من أسباب الضرر حتَّى لا يدخل الحقل، فإذا دخل فلا بدَّ أن يطارد.

ولا بدَّ من استمرار رعاية الزرع حتَّى يُحصد، والشجر حتَّى يُثمِر.

ولا بدَّ للنَّاس لكي يطـــرح الله البركة فيما منحهم مـــن نعم، وفيما عملت فيه أيديهم: أن يقتســـموا ثمار هذا الجهد فيما بينهم، لا يفعلون كما كان يفعل الأعيان وأصحاب الأطيان والمصانع الكبرى مع الفلاحين والعمال في مصر، فقد يستأجر الأرض الزراعية الفلاح القادر على زراعة الأرض بأولاده ومواشـــيه، ويتَّفقان على تأجيل الأجر عند الحصاد، ثمَّ يهيِّئ الأرض ببقره وأدواته، ثمَّ يأتـــي بالبذر ليزرع الأرض قطنًا، ويظهر القطن، ويظل أشهُرًا في الأرض مترعرعًا، ثمَّ تأتي الدودة، العدو الأوَّل لزارع القطن، فتلتهم هذه الحقول الخضراء، ويخسر الفلاح جهده وجهد أولاده وأدواته وبهائمه، وتبقى عليه أجرة الأرض كلِّها، أو بعضها إذا كان قد دفع منها شيئًا.

لا يستطيع أحد أن يقول «للباشـــا أو للبنك» مالك الأرض: عِوَضُنا على الله أنا وأنت، أنا خســـرت جهدي وجهد أولادي وبقري وأدواتي، وهو جهد كبير، وأنت خسرت ما كنت تتوقع ممَّا تقبضه، وربنا يعوِّضنا.

QaradawiBooks.com

وإن قيل هذا، فسيرفضه «الباشا»، وسيصم أذنيه عمن يقول له: ارْحم، فإنَّ أرضك لم تعطه شيئًا، ولم يستفد منها. حرام أن تأخذ مالًا من أرض لم تُنتج شيئًا، يكفي الرجل ما خسر من جهده وجهد أبنائه، وجهد بقره وأدواته.

ولكن ما كان أحد يقدر أن يُسمع هؤلاء الملَّاك الكبار هذا، ويُنْصف هؤلاء الزرَّاع الصِّغار.

والفلاح المسكين إن لم يدفع الإيجار المفروض فهو مطالب به، يدفعه على أقساط أعوام.

كان الصحابة يعملون في ظل عدل الإسلام، كل شيء يُقتسم بالعدل، ومن حقِّ المظلوم أن يتظلَّم، ومن حقِّ العامل أن يتكلَّم، ومن حقِّ المصاب أن يتألَّم، ومن واجب المالك أن يقسم بالعدل، ويحكم بالقسط، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

روى البخاري، عن أبي هُرَيْرة: قالت الأنصار للنبيِّ ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: «لا». فقالوا: تكفوننا المؤونة، ونشرككم في الثمرة! قالوا: سمعنا وأطعنا[١].

وروى البخاري مسلم عن أنس: لما قدم المهاجرون من مكَّة المدينة قدموا وليس بأيديهم شيء، وكان الأنصار أهل الأرض والعقار، فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم كل عام ويكفونهم العمل والمؤونة[٢].

---

(١) رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٥).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الهبة (٢٦٣٠)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٧١).

QaradawiBooks.com

وعنه أيضًا قال: دعا النبي ﷺ الأنصار إلى أن يُقطع لهم البحرين، فقالوا: لا إلَّا أن تُقْطَع لإخواننا من المهاجرين مثلها. قال: «**إما لا، فاصبروا حتَّى تلقوني، فإنَّه سيصيبكم بعدي أَثَرَة**»(١).

زهده ﷺ:

لم تكن دعوة النبيِّ ﷺ للزهد كلامًا نظريًّا، من مثل الكلام الَّذي تلوكه الألسن، وتلفظه الشفاه، وإنَّما كانت حياته ﷺ مثالًا عمليًّا على هذا الزهد في الدُّنيا، فقد عاش في كل مراحل حياته مقبلًا على الآخرة، زاهدًا في الدُّنيا، مكتفيًا منها بما يُقيم الأَوَدَ، ويسد الرمق.

يأتيه قادة قريش وهو بمكة مضطهد هو وأصحابه، فيقولون له: يا محمَّد، إنَّا قد بعثنا إليك لنُعذَر فيك، وإنَّا ـ والله ـ ما نعلم رجلًا من العرب أدخل على قومه ما أدخلتَ على قومك، ولقد شتمت الآباء، وعبت الدِّين، وسفَّهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرَّقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلَّا جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنتَ إنَّما جئتَ بهذا الحديث تطلب به مالًا جمعنا لك من أموالنا حتَّى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنتَ إنَّما تطلب به الشرف فينا سوَّدناك علينا، وإن كنتَ تريد به ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الَّذي يأتيك بما يأتيك به رِئِيٌّ تراه قد غلب عليك، بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتَّى نُبرِئك منه، أو نُعذَر فيك، فقال لهم رسول ﷺ: «**ما أدري ما تقولون، ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولًا، وأنزل عليَّ كتابًا، وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا،**

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٧٩٤).

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

فبلغتكم رسالة ربي، ونصحتُ لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به، فهو حظُّكم في الدُّنيا والآخرة، وإن تردُّوا عليَّ أصبر لأمر الله حتَّى يحكم الله بيني وبينكم»[(١)].

لم يكن زهد النبيِّ ﷺ وضيق عيشه موقفًا اضطراريًّا اضطر إليه اضطرارًا، ولم يجد منه بدًّا ولا فرارًا، بل كان اختيارًا منه، وإيثارًا لما عند الله.

روى الإمام أحمد، عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: جلس جبريل إلى النبيِّ ﷺ، فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال له جبريل: هذا الملك ما نزل منذ يوم خُلق قبل الساعة. فلمَّا نزل قال: يا محمَّد، أرسلني إليك ربُّك، أفمَلِكًا نبيًّا يجعلك، أو عبدًا رسولًا؟ قال جبريل: تواضعْ لربِّك يا محمَّد. قال: «**بل عبدًا رسولًا**»[(٢)].

كان ﷺ ينام على حصير ليس تحته غيره، ووسادة حشوُها ليف، وكان لباسه البُرَدَ الغليظة، يمضي الشهر والشهران لا يُوقد في بيته نار، وإنَّما طعامه وطعام أزواجه التمر والماء، وكثيرًا ما كان يبيت طاويًا، ويصبح صائمًا، وكان يعصب الحجر على بطنه من شدَّة الجوع، ولما حُملت إليه الأموال لم يدَّخر منها شيئًا، بل مات ودرعُه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعًا من شعير.

---

(١) السير والمغازي لابن إسحاق صـ ١٩٨، تحقيق سهيل زكار، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م، والسيرة النبويَّة لابن هشام (٢٩٦/١، ٢٩٧).

(٢) رواه أحمد (٧١٦٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو يعلى (٦١٠٥)، وابن حبان في التاريخ (٦٣٦٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٢٠٩): رواه أحمد، والبزار، وأبو يعلى، ورجال الأولين رجال الصحيح.

QaradawiBooks.com

طعام النبي ﷺ وآل بيته رضوان الله عليهم:

لنلق نظرة على حياة النبي ﷺ وحياة أزواجه، كما رواها لنا صحابته رضوان الله عليهم.

والصحابة أعلم النَّاس بما في بيوت النبي ونسائه، حين يصفون، فإنَّما يصفون الحقيقة على ما بها، وننقل هنا بعض ما رووه عن حياة النبي ﷺ، جُلُّه ممَّا انتقيناه من كتاب «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري، مع زيادات وتعليقات وتغيير في الترتيب:

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: ما شبع آل محمَّد ﷺ من طعامٍ ثلاثةَ أيامٍ تباعًا حتَّى قُبض[١].

وفي رواية: قال أبو حازم: رأيت أبا هُرَيْرة يشير بأصبعه مرارًا يقول: والَّذي نفس أبي هُرَيْرة بيده، ما شبع نبي الله ﷺ ثلاثة أيام تباعًا من خبز حِنْطة حتَّى فارق الدنيا[٢].

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يبيت اللَّيَالِي المتتابعة طاويًا وأهله لا يجدون عَشاء، وإنَّما كان أكثر خبزهم الشعير[٣].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إنَّ فاطمة رضي الله عنها ناولت النبي ﷺ كِسْرة من خبز شعير، فقال لها: «**هذا أوَّل طعامٍ أَكَلَه أبوك منذ ثلاثة أيام**».

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٧٤)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٧٦).

(٢) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٧٦) (٣٣).

(٣) رواه أحمد (٢٣٠٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الزهد (٢٣٦٠)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٤٧).

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

رواه أحمد، والطبراني وزاد: فقال: «**ما هذه؟**». فقالت: قرص خبزته، فلم تطب نفسي حتَّى أتيتك بهذه الكسرة. فقال... فذكره[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما شبع آل محمَّد من خبز الشعير يومين متتابعين حتَّى قبض رسول الله ﷺ[٢].

وفي رواية لمسلم[٣] قالت: لقد مات رسولُ الله ﷺ وما شبع من خبزٍ وزيتٍ في يوم واحدٍ مرَّتين.

وفي رواية للترمذي[٤]: قال مسروق: دخلتُ على عائشة، فدعت لي بطعام، فقالت: ما أشبعُ فأشاء أن أبكي إلاَّ بكيت! قلت: لم؟ قالت: أذكر الحال الَّتي فارق عليها رسول الله ﷺ الدُّنيا، والله ما شبع من خبز ولحم مرتين في يوم.

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: أُتي رسول الله ﷺ بطعام سُخْن، فأكل، فلمَّا فرغ قال: «**الحمد لله، ما دخل بطني طعامٌ سُخْنٌ منذ كذا وكذا**»[٥].

وعن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ من الدُّنيا، ولم يشبع هو ولا أهله من خبز الشعير[٦].

---

(١) رواه أحمد (١٣٢٢٣)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. والطبراني (٢٥٨/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٢٣٣): رجالهما ثقات.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٥٤)، وفيه: «من طعام برٍّ ثلاث ليال». ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٧٠).

(٣) في الزهد والرقائق (٢٩٧٤).

(٤) في الزهد (٢٣٥٦)، وقال: حسن.

(٥) رواه ابن ماجه في الزهد (٤١٥٠)، والبيهقي في الصَّداق (٢٨٠/٧)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٤٩٤٢)، وكذا البوصيري في مصباح الزجاجة (٢٢٥/٤): إسناده حسن.

(٦) رواه البزار (١٠٦١)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٤٩٤٥)، وكذا الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٢٣٧).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه: أنَّه مرَّ بقوم بين أيديهم شاةٌ (مصليَّة)[١]، فدعوه، فأبى أن يأكل، وقال: خرج رسول الله ﷺ من الدُّنيا، ولم يشبع من خبز الشعير[٢].

تذكر أبو هُرَيْرة ما كان عليه رسول الله من تقشُّف وصرامة، فترك الطعام وخرج.

وكان خبز رسول الله الَّذي هو أساس مائدته هو الشعير، أمَّا وجوده فلم يكن بالفائض عن الحاجة، ولذا قالت عائشة: ما كان يبقى على مائدة رسول الله من خبز الشعير قليل ولا كثير[٣]. وفي الرواية الأخرى[٤]: ما رُفِعَتْ مائدةُ رسول الله من بين يديه ولديها فَضْلة من طعامٍ قط.

وهذا تقوله عائشة المرأة الَّتي تزوَّجها رسول الله بكرًا، هذه حياتها اليوميَّة مع رسول الله ﷺ، وحياة بقية أزواجه.

وعن عائشة أيضًا، أنَّها قالت لعروة بن الزبير ابن أختها أسماء: إنْ كنَّا لننظر إلى الهلال، ثمَّ الهلال، ثلاثة أهلَّة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار. فقلت: يا خالة، ما كان يُعيِّشكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء، إلَّا أنَّه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، كانت لهم مَنَائحُ، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم، فيسقينا[٥].

---

(١) أي مشويَّة.

(٢) رواه البخاري في الأطعمة (٥٤١٤).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (١٥٦٧)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤٩٤٩): إسناده حسن. وكذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٢٤٠).

(٤) رواها الطبراني في الأوسط (٨٩١).

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في الهبة (٢٥٦٧)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٧٢).

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

والصحابة الَّذين يطوفون برسول الله يدركون حياته هذه وضِيقها، كما قال أبو أُمامة الباهلي: ما كان يفضل من أهل بيت رسول الله ﷺ خبز الشعير[٦].

وعن كعب بن عُجرة رضي الله عنه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ، فرأيتُه متغيِّرًا، فقلتُ: بأبي أنت، ما لي أراك متغيِّرًا؟ قال: «**ما دخل جوفي ما يدخل جوف ذاتِ كبد منذ ثلاث**». قال: فذهبتُ فإذا يهوديٌّ يسقي إبلًا له، فسقيتُ له على كل دلو بتمرةٍ، فجمعت تمرًا، فأتيتُ به النبيَّ ﷺ، فقال: «**من أين لك يا كعب؟**». فأخبرته، فقال النبي ﷺ: «**أتحبُّني يا كعب؟**». قلت: بأبي أنت، نعم. قال: «**إنَّ الفقر أسرع إلى من يُحِبُّني من السيل إلى معادنه**[٧]، **وإنَّه سيصيبك بلاء، فأعدَّ له تِجْفافًا**»[٨]. قال: ففقده النبيُّ ﷺ، فقال: ما فعل كعب؟ قالوا: مريض، فخرج يمشي حتَّى دخل عليه، فقال له: «**أبشرْ يا كعب**». فقالت أمُّه: هنيئًا لك الجنَّة يا كعب! فقال النبيُّ ﷺ: «**من هذه المتألِّيَة على الله عز وجل؟**». قلت: هي أُمِّي يا رسول الله. قال: «**ما يُدريكِ يا أُمَّ كعب؟! لعلَّ كعبًا قال ما لا ينفعه، ومنع ما لا يغنيه**».

قال المنذري: رواه الطبراني[٩]، ولا يحضرني الآن إسناده، إلَّا أن شيخنا الحافظ أبا الحسن رحمه الله كان يقول: إسناده جيِّد.

---

(٦) رواه أحمد (٢٢١٨٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والترمذي في الزهد (٢٣٥٩)، وقال: حسن صحيح.

(٧) المراد به: الفقر الذي يصيب أصحاب الدعوات؛ نتيجة الاضطهاد والمصادرة، والهجرة من الدار والمال، ثمَّ يبوِّئهم الله في الدنيا حسنة، كما وعد.

(٨) التِّجْفاف ـ بكسر التاء وسكون الجيم ـ ما يُجلل به الفرس ليقيه الجراح. والمراد هنا: خذ أهبتك وأعدَّ عُدَّتك لتقابل ما يجيئك.

(٩) في الأوسط (٧١٥٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٢٤٥): إسناده جيد.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وعن أنس بن مالك: أنَّ رسولَ الله ﷺ لم يَجتمع له غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلَّا على ضَفَف[١].

فما كان يَجتمع لديه ﷺ طعام كثير في أي زمن من الأزمان، ولا كان يَشبع من الطعام قط، إلَّا إذا اجتمع عنده ضيوف، فكان ﷺ يتكلَّف إحضار الطعام لضيوفه، ويأكل معهم للمؤانسة وحسن الاستضافة.

ويكمل لنا صورة النبي ﷺ وخشونة عيشه ما رواه سهل بن سعد رضي الله عنه قال: ما رأى رسول الله ﷺ النَّقِيَّ من حين ابتعثه الله تعالى حتَّى قبضه الله، فقيل: هل كان لكم في عهد رسول الله ﷺ مُنخُل؟ قال: ما رأى رسول الله ﷺ مُنخُلًا من حين ابتعثه الله تعالى حتَّى قبضه الله، فقيل: فكيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كُنَّا نطحنه وننفخه، فيطير ما طار، وما بقي ثرَّيناه[٢].

النقي هو الخبز الأبيض الحَوَاري.

ثَرَّيْنَاه: بثاء مفتوحة، وراء مشددة، أي بللناه وعجنَّاه.

هذه الحياة النبويَّة الَّتي ارتضاها النبيُّ ﷺ لنفسه، والَّتي ارتضاها له ربه، سرعان ما تغيَّرت في حياة الصحابة أنفسهم، وكانوا يقيسون حياتهم بحياة الرسول الكريم، لم يكونوا يعرفون المناخل، ولم يكونوا يعرفون

(١) الضَّفَف: الضِّيق والشِّدَّة: أي لم يشبع منهما إلَّا عن ضِيق وقلَّة. قال الهروي: وبعضهم يرويه: على شظف، وهما جميعًا الضيق والشدة. وقيل إنَّ الضَّفَف اجتماعُ النَّاس. يقال: ضَفَّ القومُ يَضُفُّون ضَفًّا وضَفَفًا. أي لم يأكل خُبْزًا ولحمًا وَحْدَه، ولكنْ يأكل مع النَّاس. وقيل الضَّفَف: أن تكونَ الأَكَلَةُ أكثر من مِقْدار الطَّعام، والحَفَف أن تكونَ بمقداره. النهاية في غريب الحديث (ض. ف. ف) (٩٥/٣)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، نشر المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

(٢) رواه البخاري في الأطعمة (٥٤١٣).

QaradawiBooks.com

الدقيق الناعم، وإنَّما يطحنون بالرحى، فيطحنون الشعير، ثمَّ ينفخونه فيطير ما يطير، وما بقي بلوه بالماء، حتَّى يلين، فيعجنونه ويأكلونه.

وربما يقال: إنَّ الشبع من الخبز لم يكن سهلًا لقِلَّته في النَّاس وقتها، لكن حتَّى التمر الَّذي كان قوت النَّاس في بلاد العرب لم يكن موجودًا في بيوت النبي بالكثرة الَّتي تشبعهم.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدَّثكم أنا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم، فلمَّا افتتح رسول الله ﷺ قُريظة أصبنا شيئًا من التمر والوَدَك[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: جئتُ رسول الله ﷺ يومًا، فوجدته جالسًا، وقد عصب بطنه بعصابة، فقلت لبعض أصحابه: لِمَ عصب رسول الله ﷺ بطنه؟ فقالوا: من الجوع. فذهبتُ إلى أبي طلحة، وهو زوج أُمِّ سُلَيم. فقلت: يا أبتاه، قد رأيتُ رسول الله ﷺ عصب بطنه بعصابة، فسألت أصحابه، فقالوا: من الجوع. فدخل أبو طلحة على أمِّي، فقال: هل من شيء؟ فقالت: نعم عندي كِسَر من خبزٍ وتَمَراتٌ، فإن جاءنا رسول الله ﷺ وحده أشبعناه، وإن جاء آخر معه قلَّ عنهم.. فذكر الحديث[٢].

وعن النُّعمان بن بَشير رضي الله عنهما قال: ألستم في طعامٍ وشرابٍ ما شئتم؟ لقد رأيتُ نبيَّكم ﷺ وما يجد من الدَّقَل ما يملأ بطنه[٣].

والدَّقَل: هو رديء التمر، الَّذي يجده النَّاس في كلِّ مكان في بلاد العرب.

---

(١) رواه ابن حبان في الرقائق (٦٨٤)، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي.

(٢) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٤٠).

(٣) رواه مسلم (٢٩٧٧)، والترمذي (٢٣٧٢)، كلاهما في الزهد.

غير مرخصة للطباعة
نسخة خاصة
QaradawiBooks.com

وفي رواية لمسلمٍ[١] عن النُّعمان قال: ذكر عمر ما أصاب النَّاس من الدُّنيا، فقال: لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يظلُّ اليومَ يلتوي، ما يجد من الدَّقَل ما يملأ بطنه.

يصف النَّعمان بن بَشِير أنَّ عمر رضي الله عنه ذكر ما أصاب النَّاس من السَّعة والتكاثر والزينة من الدُّنيا، فذكَّر النَّاس بأن الرسول ﷺ كان يظل طوال اليوم يلتوي من الجوع، لا يجد من دَقَل التمر ـ أي رديئه ـ ما يملأ به بطنه.

وكان الرسول الكريم، كثيرًا ما يبيتُ في بيته بغير مصباح فيه، فقد يوجد المصباح، ولا يوجد الزيت، المادة الأساسيَّة لإيقاد المصباح في ذلك الوقت.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل إلينا آل أبي بكر بقائمة شاة ليلًا، فأمسكتُ، وقطع النبيُّ ﷺ. أو قالت: فأمسك رسول الله وقطعت. قال حميد بن هلال الراوي عن عائشة: فتقول للَّذي تحدِّثه هذا: على غير مصباح.

رواه أحمد، ورواته رواة الصحيح، والطبراني وزاد: فقلت: يا أُمَّ المؤمنين، على مصباح ذاك؟ قالت: لو كان عندنا دُهن مصباحٍ لأكلناه[٢].

نعم، كانوا يُضيئون بالزيوت المصابيح في البيوت وغيرها، وهي من القلَّة بحيث يضطر أهل البيت إلى السراج أو المصباح، ليأخذوا ما فيه ليستعملوه في أطعمتهم، ولذلك تقول أم المؤمنين: لو كان عندنا دهنُ مصباحٍ لأكلناه.

---

(١) في الزهد (٢٩٧٨).

(٢) رواه أحمد (٢٤٦٣١)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والطبراني في الأوسط (٨٨٧٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٢٧٢): رجال أحمد رجال الصحيح.

QaradawiBooks.com

وعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لقد مات رسول الله ﷺ، وما شبع من خبزٍ وزيتٍ في يومٍ واحد مرَّتين[١].

وكان بعض شباب الصحابة يتشوَّقون لأن يأكلوا من مثل الطعام الَّذي كان يُصنع للنبيِّ ﷺ، وكان يقال لهم: لا تشتهونه اليوم!

فعن سَلمى امرأة أبي رافع قالت: دخل عليَّ الحسن بن عليٍّ وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهم، فقالوا: اصنعي لنا طعامًا ممَّا كان يُعجب النبيَّ ﷺ أكْلُه. فقالت: يا بَنِيَّ، إذن لا تشتهونه اليوم. قالت: فقمتُ فأخذت شعيرًا فطحنته ونسفته، وجعلت منه خُبْزة، وكان أُدْمُه الزيت، ونثرت عليه الفُلفل، فقرَّبته إليهم، وقلتُ: كان النبيُّ ﷺ يحبُّ هذا. رواه الطبراني بإسنادٍ جيِّد[٢].

معيشة النبيِّ وأهل بيته:

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال: «**ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟**». قالا: الجوع يا رسول الله. قال: «**وأنا والَّذي نفسي بيده أخرجني الَّذي أخرجكما، قوموا**». فقاموا معه، فأتوا رجلًا من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلمَّا رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلًا. فقال لها رسول الله ﷺ: «**أين فلان؟**». قالت: ذهب يستعذِب لنا الماء. إذْ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه. ثمَّ قال: الحمد لله، ما أحدٌ

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٧٤).

(٢) رواه في الكبير (٢٩٩/٢٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٢٩٢): رواه الطبراني، رجاله رجال الصحيح، غير فايد مولى ابن أبي رافع، وهو ثقة.

QaradawiBooks.com

اليوم أكرم أضيافًا مِنِّي. فانطلق فجاءهم بعِذْق فيه بُسْر وتمر ورُطَب، وقال: كلوا. وأخذ المُدْية، فقال له رسول الله ﷺ: «**إيَّاك والحَلُوب**»[١]. فذبح لهم، فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العِذْق، وشربوا، فلمَّا أنْ شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «**والَّذي نفسي بيده لتُسألُنَّ عن هذا النعيم يوم القيامة**»[٢].

وعن فاطمة رضي الله عنها أنَّ رسولَ الله ﷺ أتاها يومًا، فقال: «**أين ابناي؟**». ـ يعني حسنًا وحسينًا ـ قالت: أصبحنا وليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق. فقال علي: أذهب بهما، فإنِّي أتخوَّف أن يبكيا عليك، وليس عندك شيء! فذهب إلى فلان اليهودي. فتوجَّه إليه النبي ﷺ، فوجدهما يلعبان في (شَربة)[٣]، بين أيديهما فضلٌ من تمر، فقال: «**يا علي، ألا تقْلب ابنيَّ قبل أن يشتد الحر؟**». قال: أصبحنا وليس في بيتنا شيء، فلو جلستَ يا رسول الله حتَّى أجمع لفاطمة فضل تمرات. فجلس رسول الله ﷺ حتَّى اجتمع لفاطمة فضل من تمر، فجعله في خِرْقة، ثمَّ أقبل، فحمل النبي ﷺ أحدهما، وعليٌّ الآخر، حتَّى أقلباهما[٤].

رواه الطبراني بإسناد حسن[٥].

---

(١) توجيه نبوي كريم لحسن الاستهلاك، فإنَّ الشاة التي يُحلب لبنها مصدر منتج ينبغي الإبقاء عليه، ليظل النفع به قائمًا، ويغني عنها غيرها من الشياه التي لا لبن فيها.

(٢) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٣٨)، والترمذي في الزهد (٢٣٦٩).

(٣) الشربة، بسكون الراء: النخلة تنْبُت من النواة. وبفتح الراء: حوض يكون في أصل النخلة وحولها يُملأ ماء لتشربه. وفي مجمع الزوائد: سرية، وهو تصحيف.

(٤) كذا في المصادر، وقد ذكرت المعاجم لغة ضعيفة في قلب وهي أقلب رباعي، وعزتها للحياني. انظر: التاج (قلب).

(٥) في الكبير (٤٢٢/٢٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٢٥٧): إسناده حسن.

QaradawiBooks.com

مائدة النبي ﷺ:

تُرى علـى أيِّ مائدة كان يـأكل النبي ﷺ وأهلـه؟ لا يخطر ببالك موائدُنا الكبيرة الواسعة العالية، وكراسيُّها الفارهة، والمفارش الَّتي توضع عليها، والمناديل الَّتي توضع لكل فرد أمامه، وأنواع الأطباق والصحون والملاعق والشـوكات، وكل ما يضعـه النَّاس ـ حتَّى البسـطاء منهم ـ أمامهم من أدوات الطعام، كل هذا لم يكن شيء منه معروفًا على مائدة النبي الكريم، يـروي لنا أنس صاحب النبي وخادمـه، فيقول: لم يأكل النبي ﷺ على خِوَان حتَّى مات[١].

والخوان: هي المائدة الَّتي تعتمد على ركائز حتَّى تقوم، أشـبه بما نسمِّيه اليوم (الطبلية)، وإنَّما كان النبي يأكل على الأرض.

قال أنس: ولم يأكل خبزًا مرققًا حتَّى مـات[٢]. لم يأكل النبي طوال حياته، الخبز المرقَّق، المصنوع من الدقيق الناعم. وفي رواية: ولا رأى شاة سميطًا بعينه قط[٣].

والشاة السميط؛ أي: الصغيرة السنِّ، الطرية اللحم الَّتي تُشوى بجلدها بعد إزالة شَعرها بالماء الساخن، وهذا يُعَدُّ من فعل المترفين المرفَّهين.

صبر الرسول الكريم على خشونة العيش:

وحكى لنا أنس رضي الله عنه، أنَّ رسـولَ الله ﷺ قال: «**لقـد أُخِفْتُ في الله وما يخاف أحد، ولقـد أُوذيت في الله وما يؤذى أحـد، ولقد أتت عليَّ**

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٥٠).
(٢) جزء من الحديث السابق.
(٣) رواه البخاري في الأطعمة (٥٤٢١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ثلاثون من بين يوم وليلة، وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلَّا شيء يواريه إبط بلال»[١].

والمعنى أن بلالًا كان رفيقي في ذلك الوقت، وما كان لنا من الطعام إلَّا شيء قليل بقدر ما يأخذه بلال تحت إبطه، ولم يكن لنا ظرف نضع الطعام فيه.

وعن عُلَيِّ بن رَبَاح قال: سمعت عمرَو بن العاصي ﷺ يقول: لقد أصبحتم وأمسيتم ترغبون فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه، أصبحتم ترغبون في الدُّنيا، وكان رسول الله ﷺ يزهد فيها، والله ما أتت على رسول الله ﷺ ليلة من دهره، إلَّا كان الَّذي عليه أكثر من الَّذي له. قال: فقال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: قد رأينا رسول الله ﷺ يستسلف.

رواه أحمد[٢] ورواته رواة الصحيح، والحاكم إلَّا أنَّه قال: ما مرَّ به ثلاث من دهره إلَّا والَّذي عليه أكثر من الَّذي له. وقال: صحيح على شرطهما[٣].

ورواه ابن حبَّان في صحيحه[٤] مختصرًا: كان نبيُّكم ﷺ أزهد النَّاس في الدُّنيا، وأصبحتم أرغب النَّاس فيها.

---

(١) رواه أحمد (١٢٢١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والترمذي في صفة القيامة (٢٤٧٢)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة (١٥١)، وابن حبان في التاريخ (٦٥٦٠).

(٢) برقم (١٧٨١٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٢٥٣، ١٨٢٥٤): رجاله رجال الصحيح.

(٣) في الرقاق (٣١٥/٤)، وصحَّحه على شرط البخاري، وقال الذهبي: صحيح، وليس على شرط واحد منهما.

(٤) في التاريخ (٦٣٧٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

QaradawiBooks.com

المسكن النبوي:

كان للنبيِّ ﷺ مسكن في مكَّة، هو دار خديجة رضي الله عنها، أمَّا في المدينة، فلم يكن له قصر كبير، كالَّذي يملكه الأمراء والكبراء في البلاد العربيَّة.

دعنا من القصور الفاخرة الَّتي تملكها أكاسرة الفرس، وقياصرة الرومان، وأباطرة اليونان، وتبابعة اليمن، ومناذرة الشام، وفراعنة مصر، ونجاشيَّة الحبشة، دعنا من هذه الشريحة المترفة كلها، وابحث عن الدُّور الكبيرة الفخمة، ذات الأعمدة الممتدة في الأرض، والصاعدة في السماء، المفروشة بالزرابي المبْثوثة، والفرش المرفوعة، والسرر المرتبة، والسلالم المزخرفة، ممَّا كُنَّا نراه ونحن صبيان من مواريث العُمَد والبكوات والبشوات وكبار الشخصيات في بلاد الريف، وهي أنيقة رشيقة، حولها وبداخلها مجالس مؤثثة بكل المزيّنات المبهرَجات.

ولكن حتَّى هذه الدار لم تكن لرسول الله ﷺ، الَّذي كان في أواخر حياته حاكم العرب، الَّذي يهابه ملوك العالم، وترتعد من سيرته فرائص ذوي التيجان، وأرباب العروش.

كان الرسول في المدينة الَّتي بايعه فيها المهاجرون والأنصار، ومن وافقهم أوَّل الأمر، ولكن لم تكن هناك دار للإمارة أو للحكم، بل كان هناك المسجد، يتلقى فيه الوفودَ والأمراء، ويهيِّئ فيه الجيوش والعِدَد والآلات، وكان لكلِّ واحدة من نسائه حجرة تُنسب إليها: حجرة عائشة، وحجرة زينب بنت جحش، وحجرة أمِّ سلمة، وحجرة حفصة بنت عمر.. وهكذا، صفٌّ متطاول من الحجرات، بعضها بجوار بعض، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ٤، ٥].

QaradawiBooks.com

وهذه الغُـرَف والحجـرات المنزليَّة، الَّتـي يأتي إليهـا الأعراب، فلا يجدون الرسول ﷺ جالسًا، فيسـارعون إلى النداء بصوت جهوري، دون رعاية لمن يكون نائمًا أو مستريحًا وقت القيلولة.

هذه هي الحجرات النبويَّة، وسُـكنى أزواجه، فلم يُؤسَّس لهنَّ بيت كبير له أُسُسُه، وله مدخله، وفناؤه، وله مراحيضه، بل بُنِيَت حجرة لكلِّ زوجة من أزواجه ﷺ أمَّهات المؤمنين، وهي البيوت الَّتي ذُكِرَت في قول الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

أمَّا أثـاث هذه الحجرات وفرشـها فحتَّى ما هو موجـود في بيوت أوساط الناس ـ أو قل: بيوت فقرائهم ـ اليوم لم يكن موجودًا في بيوت النبيِّ ﷺ.

وسـتجد في الأحاديث النبويَّة الصِّحاح والحسـان صـورة لما كان يحتويه البيت النبوي، وفيه من فيه من بنات البيوتات الكبيرة من القبائل العربيَّة، كسودة بنت زمعة، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، الَّتي زوَّجها الله لنبيِّه من فوق سبع سماوات، وحفصة بنت عمر، وصفيَّة بنت حُيَي بن أخطب زعيـم اليهود، وجُوَيْرِية بنت الحارث سـيِّد بني المصطلق، وأم حبيبة بنت أبي سفيان سيِّد قريش في وقته.

كل هؤلاء سيدات تزوَّجنَ من قبل، وهناك بكر واحدة، هي الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق عائشة بنت أبي بكر رضي الله عن الجميع.

انظر إلى بيوت أو حجرات النبي ﷺ خير الخلق وسيِّد البشر، وتأمَّل ما فيها، لتعلـم أنَّ محمدًا لم يكن يريـد الدُّنيا وزينتَهـا، إنَّما يريد الله والدار الآخرة.

QaradawiBooks.com

يصف السهيلي بيوت رسول الله ﷺ فيقول: «وأمَّا بيوتُه عليه السلام، فكانت تسعة، بعضها من جريد مطيَّن بالطين وسقفها جريد، وبعضها من حجارة مرضومة بعضها فوق بعض مسقَّفة بالجريد أيضًا.

وقال الحسن بن أبي الحسن: كنتُ أدخل بيوت النبي عليه السلام وأنا غلام مراهق، فأنال السقف بيدي، وكانت حُجَره عليه السلام أكسيةً من شعر مربوطة في خشب عرعر.

وفي تاريخ البخاري: أن بابه عليه السلام كان يقرع بالأظافر. أي لا حِلَق له»[١].

ويروي في الأدب المفرد عن محمَّد بن هلال أنَّه رأى حُجَر أزواج النبي ﷺ من جريد مستورة «بمُسوح الشَّعر»[٢]. يقول ابن أبي فُدَيك: فسألته عن بيت عائشة فقال: كان بابه من وجهة الشام. فقلتُ: مصراعًا كان أو مصراعين؟ قال: كان بابًا واحدًا، قلت: من أي شيء كان؟ قال: من عَرْعَرٍ أو سَاجٍ[٣].

وعن داود بن قيس قال: رأيتُ الحجرات من جريد النخل مغشاة من خارج بمُسوح الشعر، وأظنُّ عرض البيت من باب الحجرة إلى باب البيت [يعني من الباب الخارجي إلى باب البيت الداخلي] نحوًا من ستٍّ أو سبعِ أذرع، وأحزر البيت الداخل عشر أذرع، وأظن سمكه بين الثمان والسبع نحو ذلك[٤].

---

(١) الروض الأنف للسهيلي (١٦٣/٤، ١٦٤)، تحقيق عمر عبد السلام السلامي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٢) مسوح الشعر: جمع مِسْح بكسر الميم: الكساء من الشعر.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (٧٧٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٦٠١).

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد (٤٥١)، وأبو داود في المراسيل (٤٩٦)، وصحَّح إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد (٣٥٢).
والعرر والساج: نوعان من الشجر.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مرخصة
QaradawiBooks.com

بعض محتويات بيوت النبيِّ ﷺ:

ولنلق نظرة داخل بيوت رسول الله ﷺ وننظر في محتوياتها، وأوَّل ما يقابلنا هو فراش النبيِّ ﷺ الَّذي كان ينام عليه.

روى مسلم في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنَّما كان فراش رسول الله ﷺ الَّذي ينام عليه أَدَمًا حشوه ليف[١].

وعنها رضي الله عنها قالت: كانت وسادة رسول الله ﷺ الَّتي ينام عليها بالليل من أَدَم حشوها ليف[٢].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقد أثَّر في جنبه، قلنا: يا رسولَ الله، لو اتخذنا لك وِطَاءً؟ فقال: «**ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدُّنيا إلَّا كراكب استظلَّ تحت شجرة، ثمَّ راح وتركها**»[٣].

هذا هو فراش محمَّد بن عبد الله: حصير ينام عليه، قد أثَّر في جنبه تأثيرًا واضحًا، بحيث يراه من زاره مثل عبد الله بن مسعود، الَّذي اقترح على الرسول ﷺ أن يلين فراشه بأحسن من الحصير، تخفيفًا عنه، فوعظه بتلك الموعظة الَّتي لا بدَّ لنا أن نتذكرها دائمًا: «**ما أنا في الدُّنيا إلَّا كراكب استظلَّ تحت شجرة، ثمَّ راح وتركها**».

ونستكمل صورة حُجْرة الرسول ﷺ من وصف عمر الدقيق لها كما رواه عنه ابن عباس.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٥٦)، ومسلم في اللباس والزينة (٢٠٨٢).

(٢) رواه أبو داود في اللباس (٤١٤٦)، والترمذي في صفة القيامة (٢٤٦٩)، وقال: حديث صحيح.

(٣) رواه أحمد (٣٧٠٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والترمذي (٢٣٧٧)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٤١٠٩)، كلاهما في الزهد.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: حدَّثنـــي عمر بن الخطاب قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو على حصير. قال: فجلســتُ، فإذا عليه إزاره، وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثَّر في جنبه، وإذا أنا بقبضةٍ من شــعير نحو الصاع، وقَرَظ في ناحية في الغرفة، وإذا إهــاب معلَّق، فابتدرت عيناي (أسرعت بالدمع) فقال: «**ما يُبكيك يا ابنَ الخطَّاب؟**». فقلت: يا نبيَّ الله، وما لي لا أبكي، وهذا الحصير قد أثَّر في جنْبك، وهذه خِزانتك لا أرى فيها إلَّا ما أرى، وذاك كســرى وقيصر في الثمار والأنهار، وأنت نبي الله وصفوته، وهذه خزانتك؟! قال: «**يا ابن الخطَّاب، أمَّا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟!**»[1].

انظر إلى هذه الصورة لغرفة ســيِّد الخلق: ماذا فيهــا من المخزونات والأساسيات: قبضة من الشــعير نحو الصاع، وتحت رأسه وسادة محشوَّة ليفًا، وفوق رأســه إهاب عَطِن، وفي ناحية المشــربة قَرَظ، وإهاب معلَّق، وخزانة ليســت للتُّحف بل لعلهــا لبعض متاع البيت، وليس فيها شــيء، ويقارن عمر بن الخطاب هذه الحياة وحياة كسرى وقيصر، فيعجب ويبكي!

ثياب النبيِّ ﷺ الَّتي توفِّي فيها، وثياب أزواجه:

عــن أبي بُرْدَة بن أبي موســى الأشْــعَرِي رضي الله عنه قــال: أخرجت لنا عائشــةُ رضي الله عنها كســاء ملبَّدًا وإزارًا غليظًا، فقالت: قُبِض رسولُ الله ﷺ في هذين[2]!

والإزار الغليظ، أي: السميك الخَشِن، والكساء الملبَّد؛ أي: المرقَّع.

(١) رواه مسلم في الطلاق (١٤٧٩)، وابن ماجه في الزهد (٤١٥٣).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٨١٨)، ومسلم (٢٠٨٠)، كلاهما في اللباس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد لَبَدت الثوب بالتخفيف ولبَّدته بالتشديد، ويقال للرقعة الَّتي يرقع بها صدر القميص: اللبدة، والرقعة الَّتي يرقع بها قَبُّ القميص: القبيلة.

وتعطينا عائشة رضي الله عنها صورة لثياب أزواج النبي ﷺ، فعنها رضي الله عنها أن رجلًا دخل عليها، وعندها جارية لها عليها دِرْع ثمنه خمسة دراهم، فقالت: ارفع بصرك إلى جاريتي، انظر إليها، فإنَّها تزهو على أن تلبسه في البيت، وقد كان لي منهنَّ درع على عهد رسول الله ﷺ، فما كانت امرأة تُقَيَّن[١] بالمدينة إلَّا أرسلت إليَّ تستعيره[٢].

جهاز السيدة فاطمة ابنة رسول الله:

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لما جهَّز رسول الله ﷺ فاطمة إلى عليٍّ بعث معها بخميل ـ قال عطاء: ما الخميل؟ قال: قطيفة ـ ووسادة من أدم حشوها ليف أو إذخر[٣] وقِرْبة، كانا يفترشان نصف الخَمِيل، ويلتحفان بنصفه[٤].

تَرِكة الرسول بعد وفاته وديونه:

عن عمرو بن الحارث أخي جُوَيْرِية بنت الحارث زوج النبي ﷺ قال: ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا ولا درهمًا، ولا عبدًا ولا أمة، إلَّا بغلته البيضاء الَّتي كان يركبها، وسلاحه، وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة[٥].

---

(١) تُقَيَّن ـ بالبناء للمجهول ـ أي تُزَيَّن للعرس، والتقيين: التزيين.

(٢) رواه البخاري في الهبة (٢٦٢٨).

(٣) الأدم بالتحريك: الجلد، وأراد الفروة. والإذخر بكسر الهمزة والخاء بينهما ذال معجمة ساكنة: الحشيش الأخضر ترعاه النَّعَم، أو نبت طيب الرائحة.

(٤) رواه الطبراني (٥٦٥/١٣)، وابن حبان في مناقب الصحابة (٦٩٤٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده جيد. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢١٨): فيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

(٥) رواه البخاري في المغازي (٤٤٦١).

QaradawiBooks.com

وروى الإمام أحمد، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا ولا درهمًا، ولا شاة ولا بعيرًا، ولا أوصى بشيء[١].

وعنها قالت: تُوفي رسول الله ﷺ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد، إلَّا شطر شعير في رف لي، فأكلتُ منه حتَّى طال عليَّ، فكِلْتُه، ففَنِي[٢].

وعنها أنَّها قالت: تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعًا من شعير[٣].

أحاديث نبويَّة في الزهد:

واقرأ هذه الأحاديث النبويَّة ببصيرة وتدبُّر:

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهمَّ ارزقْ آلَ محمَّد قوتًا**»[٤] وفي رواية: «**كَفَافًا**»[٥].

قال الإمام النووي: «قال أهل اللغة والعربيَّة: القوت: ما يسدُّ الرَّمَق. وفي الحديث فضيلة التقلُّل من الدُّنيا، والاقتصار على القوت منها والدعاء بذلك»[٦].

---

(١) رواه مسلم في الوصية (١٦٣٥)، وأحمد (٢٤١٧٦).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣٠٩٧)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٧٣).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩١٦)، ومسلم في المساقاة (١٦٠٣)، وليس عنده ذكر الوفاة والثلاثين.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٦٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٥٥) (١٢٦).

(٥) رواه مسلم في الزهد (١٠٥٥) (١٩).

(٦) شرح مسلم للنووي (١٤٦/٧)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

«وقال القرطبي: أي ما يَقوتهم ويَكفيهم بحيث لا يشوشهم الجهد، ولا تُرهقهم الفاقة، ولا تذلُّهم المسألة والحاجة، ولا يكون في ذلك أيضًا فضول يخرج إلى الترف والتبسُّط في الدُّنيا والركون إليها»[١].

وعن زيد بن وهب رضي الله عنه قال: قال أبو ذر: كنتُ أمشي مع النبيِّ ﷺ في حَرَّة المدينة، فاستقبلَنا أُحُدٌ، فقال: «**يا أبا ذر**». قلت: لبَّيْك يا رسول الله. قال: «**ما يسرُّني أنَّ عندي مثل أُحُد هذا ذهبًا، تمضي عليَّ ثالثة وعندي منه دينار، إلَّا شيئًا أرصده لدَيْن، إلَّا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا**». عن يمينه، وعن شماله، ومن خلفه[٢].

أي: لا يرضى عليه السلام إلَّا أن ينفقه عن يمينه وعن شماله ومن خلفه.

والمعنى أنَّ النبيَّ ﷺ إذا امتلك ذهبًا بمقدار جبل أُحُد، فسوف يُنفق كل هذا الذهب في التصدق على الفقراء، ولن يُبقي منه دينارًا واحدًا بعد ثلاث ليالٍ، إلَّا شيئًا يتركه لوفاء الديون.

هل كانت خشونة عيش النبي ﷺ عن عوز وضيق ذات يد؟

لم تكن خشونة عيش النبي ﷺ عن عوز أو ضيق يد، فقد امتنَّ الله عليه في سورة الضحى بقوله: ﴿**وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ**﴾ [الضحى: ٨]. أي وجدك فقيرًا قليل المال فأغناك، فلم ترث عن أبيك مالًا، وكنتَ تعمل بجهدك وقوَّتك، فكنتَ ﴿**عَآئِلًا**﴾، أي: فقيرًا، فأغناك الله، بما هيَّأ لك من المضاربة في مال خديجة، ثمَّ أصبحت خديجة ومالها كلُّه بين يديك، ثمَّ رزقناك من الصفات، وهيَّأنا لك من أسباب الخير ما تعلمه.

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١٠٠/٣)، تحقيق محيي الدين مستو وآخرين، نشر دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٤٤)، ومسلم في الزكاة (٩٤) (٣٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وسورة الضحى من أوائل ما نزل من سور القرآن، ولا يمنع ذلك أن يأتي على الرسول أيام يشـد فيها الحجر على بطنه من الجوع، وأخرى أكل فيها أوراق الشجر، كما في أيام المقاطعة الشهيرة في السيرة النبويَّة.

ثم إنَّ الله تعالى فتح له الفتوح، وكان نصيبه من الفيء والغنائم شيئًا طائلًا، خاصَّة بعد فتح خيبر، لكنَّه كان ينفق ما يأتيه في سبيل الله.

يقول القاضي عياض: «انظر سيرة نبيِّنا ﷺ وخُلقه في المال تجده قد أوتي خزائن الأرض ومفاتيح البلاد، وأُحلت له الغنائم، ولم تحلَّ لنبيٍّ قبله، وفُتح عليه في حياته ﷺ بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب، وما دانى ذلك من الشام والعراق، وجُلبت إليه من أخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يُجبى للملوك إلَّا بعضه، وهادته جماعة من ملوك الأقاليم، فما استأثر بشيء منه، ولا أمسك منه درهمًا، بل صرفه مصارفه، وأغنى به غيره، وقوَّى به المسلمين، وقال: «**ما يسرُّني أن لي أُحُدًا ذهبًا يبيت عندي منه دينار إلَّا دينار أرصده لدين**»[(١)].

وأتته دنانير مرَّة، فقسمها، وبقيت منها ستة، فدفعها لبعض نسائه، فلم يأخذه نوم حتَّى قام وقسمها، وقال: «**الآن استرحت**»[(٢)].

ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله[(٣)]. واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته إليه، وزهد فيما سواه، فكان يلبس ما وجده، فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ،

(١) سبق تخريجه صـ١١٨.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٣٧/٢)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

(٣) سبق تخريجه صـ١١٧.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ويقســم على من حضره أقبية الديباج المخوَّصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر، إذ المباهاة في الملابس والتزيُّن بها ليســت من خصال الشرف والجلالة، وهي من سمات النساء، والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه، وكونه لُبس مثله، غير مسقط لمروءة جنسه، ممَّا لا يؤدي إلى الشهرة في الطرفين، وقد ذمَّ الشرع ذلك، وغاية الفخر فيه في العادة عند النَّاس إنَّمــا يعود إلى الفخــر بكثرة الموجود، ووفــور الحال، وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل، وتكثير آلاته وخدمه ومركوباته، ومن ملك الأرض، وجُبِــيَ إليه ما فيها، وترك ذلك زهــدًا وتنزُّهًا، فهو حائز لفضيلــة الماليَّة، ومالك للفخر بهذه الخصلــة ـ إن كانت فضيلة ـ زائد عليها في الفخر، ومُعْرِق في المدح بإضرابه عنها، وزهده في فانيها، وبذلها في مظانِّها»[1].

النبي القائد المنتصر الزاهد يوم فتح مكَّة:

انظر إليه يوم دخل مكَّة الَّتي كانت عاصمة الوثنيَّة العربيَّة يوم الفتح الأعظم، في جيش عدده عشــرة آلاف، جاؤوا إليها فاتحين، وقبل فترة قصيرة كان جيشها وجيوش حلفائها محاصرين للمدينة المنورة، بعدَّتهم وعتادهــم: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۞ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١].

النبي الزاهد الَّذي خرج من مكَّة ليلًا يعود إليها نهارًا، والَّذي غادرها سرًّا يعود إليها جهارًا، والَّذي خرج منها مطارَدًا يعود إليها فاتحًا، والَّذي

(١) الشــفا بتعريف حقوق المصطفى (١/٩٤ ـ ٩٦)، نشــر دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

خرج منها مع صاحبه وحدهما يعــود إليها مع جيش، بل جيش عرمرم، وهو ﷺ فوق راحلته ساجد، أو شبه ساجد، مطأطئًا رأسه، حتَّى إنَّه ليكاد يمسُّ واسطة الرَّحل.

إنَّه أقوى رجل في جزيرة العرب كلها، وليس له إلَّا أن يطأطئ الرأس لربه، وأن يركع ويســجد له، ويقــول: ﴿رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ۞ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء: ٨٠، ٨١].

دخل النبــيُّ الفاتح البيت الحرام والمســجد الحــرام، وفي الكعبة وحولها نحو (٣٦٠) صنمًا، كلها تُعبد من دون الله، فدخل الرسول يطعنها بعود معه، فتخرُّ ساقطة وهو يقول: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء: ٨١].

ويعلن هو وأصحابه التوحيد والتسبيح والتكبير لله: الحمد لله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده.

الهُتاف لله وحــده، والتكبير لله وحده، والتســبيح لله وحده، لا أحد قبله، ولا أحد معه، ولا أحد بعده، فســبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلَّا الله، الله أكبر.

والفضل في هذا النصر كله لله وحده، وهتاف النبي ﷺ ونشيده الدائم في هذا اليوم العظيم والفتح الكبير والنصر المبين: «**لا إلٰه إلَّا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده**»[1].

(١) رواه أبــو داود في الحدود (٤٥٤٧)، وحســنه الألباني في صحيح أبــي داود (٣٨٠٧)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

صلاة الفتح:

وقد سارع النبي الفاتح لينزل من فوق ناقته، ليصلِّي هذه الصلاة الجديدة، الَّتي جاءت في مناسبتها العظيمة مناسبة الفتح الأعظم، ليصلِّي محمَّد الفاتح صلاة الفتح ثماني ركعات، ما أبركهنَّ! وما أعظمهنَّ! وما أتمهنَّ!

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١].

ويخرج النبي من باب المسجد الحرام، ليجد أقرب بيت إليه: بيت ابنة عمِّه أم هانئ بنت أبي طالب، قد طال الجوع به صلوات ربي وسلامه عليه، ودخل البيت ولم يكن فيه من أطايب الطعام ما يليق بالفاتحين العظام، وسأل النبي ﷺ أم هانئ: «**هل عندك من طعام آكله؟**». فقالت: إن عندي لكِسَرًا بائتة، وإنِّي لأستحي أن أقربها إليك. قال: «**هلمِّيها**». فقربتهن وجاءته بمَلْح، فقال: «**يا أم هانئ، هل من إدام؟**». قالت: ما عندي إلَّا شيء من خلٍّ. قال: «**هلمِّيه**». فلمَّا جاءت به مسَّه على طعامه، ثمَّ أكل منه، ثمَّ حمد الله، ثمَّ قال: «**نعم الإدام الخل**»[1].

فاتح مكَّة وسيِّد الجزيرة، لا يجد إلَّا كسرات من خبز وشيئًا من خل، يأكله يوم الفتح!

ما أعظمك يا نبي الله، أيها الفاتح المتواضع، وأنت تغمس لقمتك في صحفتك وتقول: «**نِعم الإدام الخل**»!

(١) سبق تخريجه صـ٧٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

موقفه من طلب أزواجه التوسعة وزيادة النفقة:

واقرأ هذه الآيات العظيمة من سورة الأحزاب، وقد نزلت مؤازرة لرسول الله ﷺ، وقد بدا التذمُّر من أزواجه، وبدأن يتمرَّدن على حياة التقشف الَّتي طالت عليهن، ويسألن النبي ﷺ النفقة، وقد بدا قدرٌ من تحسُّن الحال، وترقيق الظروف، والخروج من هذا الضيق الَّذي عشنه عددًا من السنين، فلا بدَّ من إعلان عامٍّ عن التغيُّر، هذا ما أرادته النسوة، ولم يكن يدرين أن هناك قرآنًا، سينزل من السماء، يناقش ما طلبن من التوسعة في النفقة.

وفي إحدى الليالي أو الأيام جاء هذا الفوج الإلٰهي من الآيات القرآنية النازلة من أعلى عليِّين على محمَّد النبي الأمين، فنزل عليه بها جبريل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۞ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۞ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ۞ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ۞ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ۞ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٨ ـ ٣٤].

هنا استدعى الرسول الكريم أحب نسائه إليه: عائشة بنت أبي بكر، وقال لها: «**إنِّي ذاكرٌ لكِ أمرًا، فلا عليك أن لا تعجلي حتَّى تستأمري أبويك**».

QaradawiBooks.com

قالت عائشة: قد علم أنَّ أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه. قالت: ثمَّ قال: «**إنَّ الله ﷻ قال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]». قالت: فقلت: ففي أيِّ هذا أستأمر أبويَّ؟ فإنِّي أريد اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة. قالت: ثمَّ فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلتُ[١].

تربية رسول الله ﷺ أصحابه على الزهْد في الدنيا:

كان الرسول الكريم حريصًا كلَّ الحرص على تربية أصحابه وترقيتهم في مدارج الكمال، وخصوصًا الَّذين كانوا قريبي العهد برسول الله من المهاجرين والأنصار، الَّذين أثنى الله عليهم في كتابه، فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. وأهم ما عُنِيَ به أن تنعقد نيَّاتهم وعزائمهم على الرغبة في الآخرة والتطلُّع إليها.

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من كانت الدُّنيا همَّه فرَّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدُّنيا إلَّا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيَّته جمعَ الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتتْه الدُّنيا وهي راغمة**»[٢].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٨٥)، ومسلم في الطلاق (١٤٧٥)، عن عائشة.

(٢) رواه أحمد (٢١٥٩٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وابن ماجه في الزهد (٤١٠٥)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢١٢/٤): إسناده صحيح، رجاله ثقات.

QaradawiBooks.com

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «**من جعل الهموم همًّا واحدًا كفاه الله هم دنياه، ومن تَشَعَّبَتْه الهموم**[١] **لم يبالِ الله في أي أودية الدُّنيا هلك**»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الدُّنيا حُلوة خَضِرة، وإنَّ الله تعالى مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتَّقوا الدُّنيا، واتَّقوا النساء**»[٣].

وعن عَمْرة بنت الحارث رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الدُّنْيا حُلوة خَضِرة، فمن أخذها بحقِّها بارك الله له فيها، ورُبَّ متخوِّض في مال الله ورسوله له النَّار يوم القيامة**». رواه الطبراني بإسناد حسن[٤].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الدُّنْيا حُلوة خَضِرة، فمن أخذها بحقِّها بارك الله له فيها، وربَّ متخوِّض فيما اشتهت نفسه، ليس له يوم القيامة إلَّا النار**». رواه الطبراني في الكبير، ورواته ثقات[٥].

---

(١) في المستدرك: شعبت به. والمعنى على كليهما: توزعته الهموم وتقسمت قلبه بين المال والجاه والشهوات وما أكثرها! بخلاف المؤمن الذي جعل همه كله إرضاء الله.

(٢) رواه الحاكم في التفسير (٤٤٣/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي. وفي الرقائق (٣٢٨/٤)، وتعقبه الذهبي: يحيى بن المتوكل ضعفوه. وهو في الموضوعين من طريق يحيى بن المتوكل!

(٣) رواه مسلم في الرقاق (٢٧٤٢)، وأحمد (١١١٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.
والتحذير من الدنيا ومن النساء لا يعني ترك الدنيا أو النساء، فالدنيا مزرعة الآخرة، والنساء شقائق الرجال، وإنَّما يعني اجتناب الافتتان بهما، والاشتغال بهما عن طاعة الله ونصرة دينه، والوقوف عند حدوده.

(٤) لم أقف عليه في الأوسط. رواه في الكبير (٣٤٠/٢٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٨١٢): رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٥) رواه الطبراني في الكبير (٤١٧/١٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٨٠٥): رجاله ثقات.

QaradawiBooks.com

وعن أبي عَسِيب رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ليلًا، فمرَّ بي، فدعاني، فخرجت إليه، ثمَّ مرَّ بأبي بكر رحمه الله، فدعاه، فخرج إليه، ثمَّ مرَّ بعمر رحمه الله، فدعاه، فخرج إليه، فانطلق حتَّى دخل حائطًا لبعض الأنصار، فقال لصاحب الحائط: «**أطعمنا**». فجاء بعِذْق فوضعه. فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه، ثمَّ دعا بماء بارد، فشرب، فقال: «**لتُسألُنَّ عن هذا يوم القيامة**». قال: فأخذ عمر رحمه الله العِذْق، فضرب به الأرض حتَّى تناثر البُسْر، قِبَل رسول الله ﷺ. ثمَّ قال: يا رسولَ الله، إنَّا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة؟ قال: «**نعم، إلَّا من ثلاث: خِرْقة كفَّ بها عورته، أو كِسْرة سدَّ بها جَوْعته، أو جُحْر يدخل فيه من الحر والقُرِّ**». رواه أحمد، ورواته ثقات[(١)].

وعن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ليس لابن آدم حقٌّ في سوى هذه الخصال: بيت يُكِنُّه، وثوب يواري عورته، وجِلْف الخبز، والماءُ**»[(٢)].

وعن أبي عبد الرحمٰن الحُبُلِي قال: سمعتُ عبد الله بن عمرو ابن العاص، وسأله رجل فقال: ألستَ من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأةٌ تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكنٌ تسكنه؟

---

(١) رواه برقم (٢٠٧٦٨)، وقال مخرِّجوه: فيه حشرج، مختلف فيه، وثقه غير واحد... وباقي رجال الإسناد ثقات. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٩٣٥): رواه أحمد، ورجاله ثقات.

(٢) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٤١)، وصحَّحه. والحاكم في الرقاق (٣١٢/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي. وقال الدارقطني في العلل (٢٦٥): وهم فيه (حريث بن السائب)، والصواب: عن الحسن، عن حمران، عن بعض أهل الكتاب.
وجلف الخبز، أي الخبز وحده لا أُدْم معه. وَقِيلَ. الخُبْزُ الغَليظُ اليَابسُ. وقيل: وعاء الخبز. انظر: النهاية في غريب الحديث مادة (ج. ل. ف).

QaradawiBooks.com

قال: نعم. قال: فأنت من الأغنياء. قال: فإنَّ لي خادمًا؟ قال: فأنت من الملوك[١].

وهذا الحديث موقوفٌ على عبد الله بن عمرو، ومثله يعدُّ مرفوعًا معنًى.

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوَّل ما يُحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له: ألم أُصِحَّ لك جسمَك، وأرويك من الماء البارد؟**»[٢].

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: اشتكى سلمان، فعاده سعد، فرآه يبكي، فقال له سعد: ما يُبكيك يا أخي؟ أليس قد صحبتَ رسول الله ﷺ؟ أليس؟ أليس؟ قال سلمان: ما أبكي واحدة من اثنتين: ما أبكي ضنًّا على الدُّنيا، ولا كراهية الآخرة، ولكنَّ رسول الله ﷺ عَهِدَ إلينا عهدًا ما أراني إلَّا قد تَعَدَّيْتَ. قال: وما عَهِدَ إليك؟ قال: عَهِدَ إلينا أنَّه يكفي أحدُكم مثل زاد الراكب، ولا أراني إلَّا قد تعدَّيْت، وأمَّا أنت يا سعد، فاتَّقِ الله عند حكمك إذا حكمت، وعند قَسْمك إذا قسمت، وعند همِّك إذا هممت.

قال ثابت: فبلغني أنَّه ما ترك إلَّا بضعة وعشرين درهمًا مع نُفَيْقةٍ كانت عنده.

رواه ابن ماجه[٣]، ورواته ثقات احتجَّ بهم الشيخان، إلَّا جعفر بن سليمان، فاحتجَّ به مسلم وحده[٤].

---

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٧٩).

(٢) رواه الترمذي في التفسير (٣٣٥٨)، واستغربه. وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٣٦٤)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح، والحاكم في الأشربة (١٣٨/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٣) في الزهد (٤١٠٤)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢١١/٤): هذا إسناد فيه مقال.

(٤) وقال ابن حجر في التقريب (٩٤٢): صدوق زاهد لكنَّه يتشيع.

QaradawiBooks.com

قال الحافظ المنذري: وقد جاء في صحيح ابن حبَّان أنَّ مال سلمان رضي الله عنه جُمِعَ، فبلغ خمسة عشر درهمًا[١].

وفي الطبراني[٢]: أنَّ متاع سلمان بِيع فبلغ أربعة عشر درهمًا.

وعن فَضَالة بن عُبيد أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**طوبى لمن هُدي للإسلام، وكان عيشه كَفافًا وقنع**»[٣].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**قد أفلح من أسلم، ورُزِق كَفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه**»[٤].

الكفاف: الَّذي ليس فيه فضل عن الكفاية.

وعن النُّعْمان بن بَشِير رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «**ما من عبدٍ ولا أمَة إلَّا وله ثلاثة أخلَّاء:**

فخليلٌ يقول: أنا معك فخُذْ ما شئت، ودعْ ما شئت. فذلك ماله.

وخليل يقول: أنا معك، فإذا أتيت باب المَلِك تركتك. فذلك خدمه وأهله.

وخليل يقول: أنا معك حيث دخلتَ وحيث خرجت. فذلك عمله».

رواه الطبراني في الكبير بأسانيد أحدها صحيح[٥].

---

(١) في الرقائق (٧٠٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٢) في الكبير (٢١٤/٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٨٥٧): إسناده جيد، إلَّا أن علي بن بذيمة لم يدرك سلمان، فإن كانت تركته تأخرت فهو متصل.

(٣) رواه أحمد (٢٣٩٤٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الزهد (٢٣٤٩)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في الإيمان (٣٤/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه مسلم في الزكاة (١٠٥٤)، والترمذي (٢٣٤٨)، وابن ماجه (٤١٣٨)، كلاهما في الزهد.

(٥) في الكبير (١١٩/٢١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٨٤٤): رواه الطبراني في الكبير، بأسانيد أحدها صحيح.

QaradawiBooks.com

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَثَل ابنِ آدم ومالِه وأهلِه وعملِه كرجل له ثلاثة إخوة ـ أو ثلاثة أصحاب ـ فقال أحدهم: أنا معك حياتَك، فإذا متَّ فلستُ منك ولستَ مني.**

وقال الآخر: أنا معك، فإذا بلغت تلك الشجرة، فلستُ منك ولستَ مني.

وقال الآخر: أنا معك حيًّا وميتًا».

رواه البزَّار، ورواته رواة الصحيح[١].

وعن أبي هُرَيْرة أيضًا رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول العبد: مالي مالي. وإنَّما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبِس فأبلى، أو أعطى فأقنى، ما سوى ذلك فهو ذاهب، وتاركه للناس**»[٢].

وعن عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ، وهو يقرأ: ﴿**أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ**﴾ [التكاثر: ١][٣]. قال: «**يقول ابنُ آدم: مالي مالي. وهل لك يا ابنَ آدم من مالك إلَّا ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبستَ فأبليتَ، أو تصدَّقتَ فأمضيتَ؟**»[٤].

وعن جابر رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ بالسوق، والناس كَنَفَتَيْه، فمرَّ بجَدي أسكَّ ميتٍ، فتناوله بأذنه، ثمّ قال: «**أيُّكم يحبُّ أنَّ هذا له بدرهم؟**». فقالوا: ما نحب أنَّه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «**أتُحِبُّون أنَّه لكم؟**». قالوا: والله لو كان حيًّا لكان عيبًا فيه؛ لأنَّه أسكُّ، فكيف وهو ميِّت؟ فقال: «**والله للدنيا أهونُ على الله عز وجل من هذا عليكم**»[٥].

---

(١) رواه في مسنده (٨٣٥٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٨٤٧): رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٥٩).

(٣) ومعنى التكاثر: التفاخر بكثرة المال والمتاع، وألهاكم: أي شغلكم.

(٤) رواه مسلم (٢٩٥٨)، والترمذي (٢٣٤٢)، كلاهما في الزهد.

(٥) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٥٧).

QaradawiBooks.com

قوله: كَنَفَتَيْه: أي عن جانبيه.

والأسـك بفتح الهمزة والسين المهملة أيضًا وتشديد الكاف وهو الصغير الأذن.

وعن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كانت الدُّنيا تعدلُ عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء**»(١).

وعن أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ مَطْعم ابن آدم جُعِلَ مثلًا للدنيا، وإن قَزَّحَه وملَّحه، فانظر إلى ما يصير**»(٢).

قوله: قزَّحه ـ بتشديد الزاي ـ هو من القَزْح، وهو التابل، يقال: قَزَحْتُ القِدْر، إذا طرحتَ فيها الأبزار.

وقوله: ملَّحه معروف.

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الدُّنيا ملعونة(٣)، ملعون ما فيها، إلَّا ذكرُ الله، وما والاه، وعالم أو متعلِّم**»(٤).

---

(١) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٢٠)، وقال: صحيح غريب. وابن ماجه في الزهد (٤١١٠)، والحاكم في الرقاق (٣٠٦/٤)، وصحَّحه، وقال الذهبي: زكريا بن منظور ضعَّفوه. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٤٣)

(٢) رواه عبد الله في زوائد المسند (٢١٢٣٩)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وابن حبان في الرقاق (٧٠٢)، والطبراني (١٩٨/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٠٧٥): رواه عبد الله، والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح غير عتي، وهو ثقة.

(٣) المراد باللعن هنا: الذم، فالدنيا مذمومة مبغوضة، لا من حيث ذاتها، بل من حيث إنَّها تُلهي عن ذكر الله والدار الآخرة، بدليل الاستثناء في الحديث.

(٤) رواه الترمذي (٢٣٢٢)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٤١١٢)، كلاهما في الزهد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٠٩).

QaradawiBooks.com

وعن المستورد أخي بني فِهْرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «**ما الدُّنيا في الآخرة إلَّا كما يجعل أحدُكم أصبعه هذه في اليمِّ**». وأشار يحيى بن يحيى بالسبَّابة، «**فلينظرْ بِمَ ترجع؟**»[١].

هذه منزلة الدُّنيا في الآخرة: أن تضع أصبعك في اليمِّ: في البحر الكبير أو في المحيط الأعظم، وأصبعك لا تشرب من الماء شيئًا، فالدنيا لا تنقص من الآخرة شيئًا.

وعن أبي مالكٍ الأشْعَرِي رضي الله عنه أنَّه لمَّا حضرته الوفاة قال: يا معشر الأشعريِّين، لِيُبْلِغ الشاهدُ الغائبَ، إنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**حلوةُ الدُّنيا مُرَّةُ الآخرةِ، ومرُّةُ الدُّنيا حلوةُ الآخرة**»[٢].

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما ذئبان جائعان أُرسلا في غَنَمٍ بأفسدَ لها من حرصِ المرء على المال والشرف**[٣] **لدينه**»[٤].

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ذئبان ضاريان جائعان باتا في زَريبة غنمٍ أغفلها أهلها يفترسان ويأكلان بأسرع فيها فسادًا من حُبِّ المال والشرف في دين المرء المسلم**».

---

(١) رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٥٨).

(٢) رواه أحمد (٢٢٨٩٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والطبراني (٢٩١/٣)، والحاكم في الرقاق (٣١٠/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٨٢٦): رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات.

(٣) يُقصد بالشرف: الجاه والعلو والظهور. ولهذا قيل: حب الظهور كم قصم الظهور! فإذا اجتمع إلى حب الجاه حب المال والحرص عليه كان الفساد العريض لدين المرء المسلم، كما قال الحديث الشريف، وقد أفرده ابن رجب بالشرح فأجاد.

(٤) رواه أحمد (١٥٧٩٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الزهد (٢٣٧٦)، وابن حبان في الزكاة (٣٢٢٨).

QaradawiBooks.com

رواه الطبراني واللفظ له، وأبو يعلى بنحوه، وإسنادهما جَيِّد[١].

وعن كعب بن عِيَاض ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ لكل أمَّةٍ فتنةً، وفتنة أمَّتي المال**»[٢].

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**الدنيا دارُ مَن لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له**».

رواه أحمد، والبيهقيُّ وزاد: «**ومال من لا مال له**». وإسنادهما جيِّد[٣].

تحذير النبيِّ ﷺ صحابته من التنافس على الدنيا:

وعن عمرو بن عوف الأنصاريِّ ﷺ، أنَّ رسولَ الله ﷺ بعث أبا عُبَيْدة بن الجرَّاح ﷺ إلى البحرين يأتي بجِزْيتها، فقدم بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عُبَيْدة، فوافَوْا صلاةَ الفجر مع رسول الله ﷺ، فلمَّا صلَّى رسول الله ﷺ انصرف، فتعرَّضوا له، فتبسَّم رسول الله ﷺ حين رآهم، ثمَّ قال: «**أظنُّكم سمعتم أنَّ أبا عُبَيدة قدم بشيءٍ من البحرين؟**». قالوا: أجلْ يا رسول الله. قال: «**أبشروا وأمِّلوا ما يسرُّكم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُبسط الدُّنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتُهْلِككم كما أهلكتهم**»[٤].

---

(١) رواه أبو يعلى (٦٤٤٩)، والطبراني في الأوسط (٧٧٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٨٣٤): رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن.

(٢) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٣٦)، وقال: حسن صحيح غريب. وابن حبان في الزكاة (٣٢٢٣)، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي. والحاكم في الرقاق (٣١٨/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه أحمد (٢٤٤١٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والبيهقي في شعب الإيمان (١٠١٥٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٠٧٨): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير دُوَيْد وهو ثقة.

(٤) سبق تخريجه صـ٩٠.

QaradawiBooks.com

هذا ما يخشاه الرسول على الأمَّة، ومعنى الأُمَّة الحقيقي ما يجمعها على الدين والإيمان، فهو لا يخاف عليها الفقر، ولكن يخاف عليها الدُّنيا والتنافس فيها.

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أخشى عليكم الفقرَ، ولكنْ أخشى عليكم التكاثر، وما أخشى عليكم الخطأ، ولكن أخشى عليكم التعمُّد**».

رواه أحمد، ورواته محتجٌّ بهم في الصحيح، وابن حبَّان في صحيحه، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم[١].

وعن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الشيطان لعنه الله: لن يسلم مِنِّي صاحب المال من إحدى ثلاثٍ أغدو عليه بهنَّ وأروح: أخْذه من غير حِلِّه، وإنفاقه في غير حَقِّه، وأُحبِّبه إليه فيمنعه من حقِّه**».

رواه الطبراني بإسناد حسن[٢].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّه كان يُعطي النَّاس عطاءهم، فجاءه رجل، فأعطاه ألف درهم، ثمَّ قال: خُذْها، فإنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّما أهلك من كان قبلكم الدينار والدرهم، وهما مهلكاكم**».

---

(١) رواه أحمد (٨٠٧٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وابن حبان في الزكاة (٣٢٢٢)، والحاكم في التفسير (٥٣٤/٢)، ووافقه الذهبي على تصحيحه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٦٧٣): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه في الكبير (١٣٦/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٧٩٧): رواه الطبراني وإسناده حسن.

QaradawiBooks.com

رواه البزار بإسناد جيِّد[١].

وعن أبي سعيدٍ الخُدْري رضي الله عنه قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر، وجلسنا حوله، فقال: «**إنَّ ممَّا أخاف عليكم ما يفتح الله عليكم من زهرة الدُّنيا وزينتها**»[٢].

وعن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: نظر رسولُ الله ﷺ إلى الجوع في وجوه أصحابه، فقال: «**أبْشِرُوا، فإنَّه سيأتي عليكم زمان يُغدى على أحدكم بالقصعة من الثريد، ويُراح عليه بمثلها**». قالوا: يا رسولَ الله، نحن يومئذٍ خير؟ قال: «**بل أنتم اليوم خيرٌ منكم يومئذٍ**».

رواه البزَّار بإسناد جيِّد[٣].

وقد أثمرت تربية النبي ﷺ لصحابته رضوان الله عليهم بإيثار الباقية على الفانية والآخرة على الأولى، وما عند الله على الدُّنيا وما فيها، واقتدوا برسول الله ﷺ المثل الأعلى في الزهد، ولننظر إلى هذه الأحاديث:

الترغيب في اجتياز العقبة الكؤود الَّتي لا يقطعها إلَّا المخِفُّون من الفقراء والمستضعفين:

عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ بين أيديكم عقبة كؤودًا، لا ينجو منها إلَّا كل مخفٍّ**».

---

(١) برقم (١٦١٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٧٤٦): رواه البزار وإسناده جيد.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٤٦٥)، ومسلم (١٠٥٢)، كلاهما في الزكاة.

(٣) برقم (١٩٤١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٢٧٨): إسناده جيد.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

رواه البزار بإسناد حسن[١].

وعن أمِّ الدَّرداء، عن أبي الدَّرداء رضي الله عنهما قال: قلتُ له: ما لكَ لا تطلب ما يطلب فلان وفلان؟ قال: إنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ وراءكم عقبةً كؤودًا لا يجوزها المُثْقِلون**». فأنا أحبُّ أن أتخفَّف لتلك العَقَبة.

رواه الطبراني بإسناد صحيح[٢].

«الكؤود»: هي العقبة الصعبة.

وعن أبي أسماء أنَّه دخل على أبي ذرٍّ، وهو بالرَّبَذة، وعنده امرأة سوداء مُشَنَّعة ليس عليها أثر المحاسن، ولا الخَلوق[٣]. فقال: ألا تنظرون إلى ما تأمرني هذه السويداء؟ تأمرني أن آتي العراق، فإذا أتيت العراق مالوا عليَّ بدنياهم، وإنَّ خليلي ﷺ عهد إليَّ أنَّ دون جسر جهنم طريقًا ذا دَحْض ومَزِلَّة، وإنَّا أن نأتي عليه وفي أحمالنا اقتدار واضطمار أحرى أن ننجو من أن نأتي عليه ونحن مواقير[٤].

---

(١) برقم (٤١١٨)، وقال عقبه: موسى (أي الصغير) رجل من أهل الكوفة، ثقة حدث عنه الناس، وهلال بن يساف مشهور، وما بقي من الإسناد فصحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٩١١): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، غير أسد بن موسى بن مسلم الصغير، وهما ثقتان (كذا). قلت: الصواب (أسد بن موسى، وموسى بن مسلم الصغير).
والمخف من خف حمله، والمراد: من المال ومتاع الدنيا وزينتها. ومقابله: المثقل، وهو المذكور في الحديث بعده.

(٢) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٥٣٠): رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات. ورواه أيضًا الحاكم في الأهوال (٥٧٣/٤، ٥٧٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٣) الخلوق: الطيب.

(٤) المزلة: الزلل، والاقتدار: القدرة على احتمالنا، والاضطمار: أصله الضمور والهزال، وأراد الخفة، وأحرى: أولى، ومواقير: مثقلون.

QaradawiBooks.com

رواه أحمد، ورواته رواة الصحيح[١].

الدَّحْض: بفتح الدال وسكون الحاء، وبفتح الحاء أيضًا، وآخره ضاد، هو الزَّلَق.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الله عز وجل ليحمي عبده المؤمن الدُّنيا وهو يحبُّه، كما تحمون مريضكم الطعام والشراب**»[٢].

وعن رافع بن خَدِيج رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا أحبَّ الله عز وجل عبدًا حماه الدُّنيا، كما يظلُّ أحدكم يحمي سقيمَه الماء**».

رواه الطبراني بإسناد حسن[٣]، ورواه ابن حبان في صحيحه، والحاكم بلفظ من حديث قتادة[٤]، وقال الحاكم: صحيح الإسناد[٥].

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «**اطَّلَعْتُ في الجنَّة، فرأيت أكثرَ أهلِها الفقراء، واطَّلعت في النَّار فرأيتُ أكثرَ أهلها الأغنياء والنساء**»[٦].

مدح النبيِّ ﷺ فقراء المهاجرين:

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**هل تدرون أوَّل منْ يدخل الجنَّة من خلق الله عز وجل ؟**». قالوا: الله ورسوله

(١) برقم (٢١٤١٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٨٨٠): رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه الحاكم في الطب (٢٠٨/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٣) في الكبير (٢٥٢/٤). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٠٥٣): إسناده حسن.

(٤) في الأصل أبي قتادة والتصويب من ابن حبان والمستدرك وهو قتادة بن النعمان.

(٥) رواه ابن حبان في الرقائق (٦٦٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. والحاكم في الرقاق (٢٠٧/٤)، ووافقه الذهبي، ورواه الترمذي أيضًا في الطب (٢٠٣٦)، وقال: حسن غريب.

(٦) متَّفق عليه: رواه البخاري (٦٤٤٩)، ومسلم (٢٧٣٧)، كلاهما في الرقاق.

QaradawiBooks.com

أعلم. قال: «**الفقراء المهاجرون الَّذين تُسدُّ بهم الثغور، وتُتَّقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، فيقول الله ﷻ لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيُّوهم. فتقول الملائكة: ربنا نحن سكَّان سمائك وخِيرَتك من خلقك، أفتأمرُنا أن نأتيَ هؤلاء فنسلِّم عليهم؟ قال: إنهم كانوا عبادًا يعبدوني، ولا يشركون بي شيئًا، وتُسدُّ بهم الثغور، وتُتَّقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء. قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك، فيدخلون عليهم من كل باب: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾** [الرعد: ٢٤]».

رواه أحمد، والبزار، ورواتهما ثقات، وابن حبان في صحيحه[١].

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ حوضي ما بين عَدَن إلى عَمَّان، أكوابه عدد النجوم، ماؤُه أشدُّ بياضًا من الثلج وأحلى من العسل، وأكثر النَّاس ورودًا عليه فقراء المهاجرين**». قلنا: يا رسولَ الله، صفهم لنا. قال: «**شُعْث الرؤوس، دُنس الثياب، الَّذين لا ينكحون المتنعِّمات، ولا تفتح لهم السُّدُد، الَّذين يُعطُون ما عليهم، ولا يُعطَون ما لهم**».

رواه الطبراني، ورواته رواة الصحيح[٢]، وهو في الترمذي وابن ماجه بنحوه[٣].

---

(١) رواه أحمد (٦٥٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده جيد. والبزار (٢٤٥٧)، وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٤٢١). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٨٨٦): رواه أحمد والبزار والطبراني، ورجالهم ثقات.

(٢) في الكبير (٩٩/٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٨٨٩، ١٧٨٩٠): رجال الصحيح.

(٣) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٤٤)، وقال: حديث غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٣٠٣).

QaradawiBooks.com

السُّدد: جمع سُدّة. والمراد: أبواب الأمراء والكبراء.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**يدخل فقراء أمتي الجنَّة قبل أغنيائهم بأربعين خريفًا**». فقيل: صفهم لنا؟ قال: «**الدَّنِسة ثيابهم، الشَّعِثة رؤوسهم، الَّذين لا يؤْذن لهم على السُّدَّات، ولا ينكحون المنعَّمات، تُوَكَّل بهم مشارق الأرض ومغاربها، يعطون كل الَّذي عليهم، ولا يعطون كل الَّذي لهم**».

رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورواته ثقات[١].

الحديث وما قبله يصوِّر أناسًا مشغولين بغيرهم عن أنفسهم، وبمخبرهم عن مظهرهم، وبواجباتهم عن حقوقهم. ولهذا وُصفوا بأنَّهم: «**يُعطُون الَّذي عليهم، ولا يُعْطَون الَّذي لهم**». وقد جاء في حديث البخاري: «**طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه مغبرة قدماه**»[٢] فقد شغله الجهاد عن ترجيل الشعر ونظافة قدميه، ولا يفهم من هذه الأحاديث بحال أنَّ السُّنَّة ضد النظافة أو التجمل.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كنتُ عند رسول الله ﷺ يومًا، فطلعت الشمس، فقال: «**يأتي قومٌ يومَ القيامةِ نورُهم كنور الشمس**». قال أبو بكر: نحن هم يا رسول الله؟ قال: «**لا، ولكم خيرٌ كثير، ولكنَّهم الفقراء المهاجرون الَّذين يُحشرون من أقطار الأرض**». فذكر الحديث.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٣١٥/١٢)، وفي الأوسط (٣٤٧٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٨٩٢): رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات.

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٨٦، ٢٨٨٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

رواه أحمد والطبراني، وزاد، ثمَّ قال: «**طوبى للغرباء**». قيل: مَن الغرباء؟ قال: «**أناس صالحون قليلٌ في ناسٍ سوء كثير، مَنْ يعصيهم أكثر ممَّن يطيعهم**».

وأحد إسنادي الطبراني رواته رواة الصحيح[١].

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**التقى مؤمنان على باب الجنَّة: مؤمن غنيٌّ، ومؤمن فقير، كانا في الدُّنيا، فأُدخل الفقير الجنَّة، وحُبس الغني ما شاء الله أن يُحبَس، ثُمَّ أدخل الجنَّة، فلقيه الفقير فقال: يا أخي، ماذا حبسك؟ والله لقد حُبستَ حتَّى خفتُ عليك. فيقول: يا أخي، إنِّي حُبست بعدك محبسًا فظيعًا كريهًا، ما وصلت إليك حتَّى سال مني من العرق ما لو ورده ألف بعير كلها أكلُه حَمْضُ النبات، لصدرت عنه رِوَاء**».

رواه أحمد بإسنادٍ جيِّد قويٍّ[٢].

الحمض: ما مَلُحَ وأَمَرَّ من النبات.

قال الحافظ المنذري: وقد ورد من غير ما وجه، ومن حديث جماعة من الصحابة عن النبيِّ ﷺ: أنَّ عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه يدخل الجنَّة حبوًا لكثرة ماله. ولا يسلم أجودُهَا من مقال، ولا يبلغ منها شيء بانفراده

---

(١) رواه أحمد (٦٦٥٠)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والطبراني في الأوسط (٨٩٨٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١٩١): فيه ابن لهيعة وفيه ضعف. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٦١٩).

(٢) برقم (٢٧٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٩١٣): رواه أحمد، وفيه دويد غير منسوب، فإن كان هو الذي روى عنه سفيان، فقد ذكره العجلي في كتاب الثقات، وإذا كان غيره لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح غير مسلم بن بشير وهو ثقة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

درجة الحسن[١]، ولقد كان ماله بالصفة الَّتي ذكر رسول الله ﷺ: «**نِعْم المال الصالح للرجل الصالح**»[٢]. فأنَّى تنقص درجاته في الآخرة، أو يَقْصُر به دون غيره من أغنياء هذه الأمة؟! فإنَّه لم يرد هذا في حقِّ غيرِه، إنَّما صحَّ سَبْقُ فقراءِ هذه الأُمَّة أغنياءهم على الإطلاق، والله أعلم.

وعن أسامة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**قمتُ على باب الجنَّة، فكان عامَّة من دخلها المساكين، وأصحاب الجَدِّ محبوسون[٣]؛ غير أنَّ أصحاب النَّار قد أُمر بهم إلى النَّار، وقمت على باب النَّار، فإذا عامَّة من دخلها النساء**»[٤].

أكابر النَّاس عند الرسول الفقراء والمستضعفون:

إذا أردت أن تعرف من هي الطبقات المقرَّبة من رسول الله، والمحبَّبة إليه، والمعظَّمة لديه، فاعلم أنَّهم الفقراء والمستضعفون من الناس.

اقرأ هذه الأحاديث:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللهمَّ أحيني مسكينًا، وتوفَّني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين[٥]، وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدُّنيا وعذاب الآخرة**»[٦].

---

(١) انظر: الترغيب والترهيب للمنذري (٦٦/٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

(٢) رواه أحمد (١٧٧٦٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والحاكم في البيوع (٢/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (١٩)، عن عمرو بن العاص.

(٣) الجد: الحظ والسعادة. محبوسون: أي لم يؤذن لهم بعد في دخول الجنة.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٩٦)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٦).

(٥) المسكنة هنا لا تعني الفقر، فقد استعاذ بالله من شره في أكثر من حديث، وإنَّما تعني التواضع والبعد عن بريق المظاهر المادية.

(٦) رواه ابن ماجه في الزهد (٤١٢٦)، والحاكم في الرقاق (٣٥٨/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه =

QaradawiBooks.com

وعن عائذ بن عمرو رضي الله عنه، أنَّ أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عنق عدوِّ الله مأخذَها. فقال أبو بكر رضي الله عنه: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبيَّ ﷺ فأجاره، فقال: «**يا أبا بكر، لعلك أغضبتَهم، لئن كنتَ أغضبتَهم لقد أغضبتَ ربَّك**». فأتاهم أبو بكر، فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي[(١)].

وعن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: أوصاني رسولُ الله ﷺ بخصال من الخير: أوصاني ألَّا أنظر إلى من هو فوقي، وأنظر إلى من هو دوني، وأوصاني بحبِّ المساكين، والدنوِّ منهم، وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت... الحديث[(٢)].

وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأهل الجنَّة؟ كل ضعيف مستضعَف، لو يقسم على الله لأبرَّه. ألا أخبركم بأهل النَّار؟ كلُّ عُتُل جوَّاظ مُسْتَكْبِر**»[(٣)].

العُتُلُّ ـ بضم العين والتاء وتشديد اللام ـ هو الجافي الغليظ.

= الذهبي، وأسرف ابن الجوزي فذكره في الموضوعات (١٤٠/٣)، قال ابن حجر: وليس كذلك، فقد صحَّحه الضياء في (المختارة). وقال مرة أخرى: وكأنه أقدم عليه لما رآه مباينًا للحال التي مات عليها المصطفى ﷺ، لأنَّه كان مكفيًّا. كذا في فيض القدير (١٠٢/٢)، وصحَّح الألباني في صحيح الجامع (١٢٦١)، ولعل من صحَّحه صحَّحه لشواهده، عن أنس وعائشة، وعبادة بن الصامت.

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٥٠٤)، وأحمد (٢٠٦٤٠).

(٢) رواه أحمد (٢١٤١٥)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وابن حبان في البر والإحسان (٤٤٩)، والطبراني (١٥٦/٢)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢١٦٦).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩١٨)، ومسلم في الجنة وصفتها (٢٨٥٣).

QaradawiBooks.com

والجوَّاظ ـ بفتح الجيم وتشديد الواو وآخره ظاء معجمة ـ هو الضخم المختال في مشيته، وقيل: القصير البَطِين[١]، وقيل: الجموع المنوع.

وعن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**احتَجَّت الجنَّة والنار، فقالت النار: فيَّ الجبَّارون والمتكبِّرون. وقالت الجنَّة: فيَّ ضعفاءُ المسلمين ومساكينُهم.**

فقضى الله بينهما: إنَّك الجنَّة رحمتي أرحم بك من أشاء، وإنَّك النَّار عذابي أعذِّب بك مَنْ أشاء، ولكليكما عليَّ ملؤها»[٢].

وبيَّن لنا الرسول الكريم قيمة أناس يراهم النَّاس، فتعجبهم أجسامهم، وهم بالموازين الحسيَّة ثقال، ولكنَّهم عند الوزن الحقيقي خفاف.

روى أبو هُرَيْرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة**»[٣].

وأحيانًا يبيِّن لصحابته وللأمة بعدهم تمايز النَّاس في القِيَم عند الله وعند رسوله، يتمثَّل ذلك فيما يشاهده النَّاس من أشخاص، كما روى البخاري وغيره عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: مرَّ رجل على النبي ﷺ، فقال لرجل عنده جالس: «**ما رأيك في هذا؟**». قال: رجل من أشراف النَّاس، هذا والله حريٌّ إن خطب أن يُنكَح، وإن شفع أن يُشفَّع. فسكت

(١) البطين: ذو البطن الكبيرة.

(٢) رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٤٧).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٢٩)، ومسلم في صفات المنافقين (٢٧٨٥).

QaradawiBooks.com

رسول الله ﷺ، ثُمَّ مرَّ رجل، فقال رسول الله ﷺ: «**ما رأيك في هذا؟**». فقال: يا رسولَ الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا أحرى إن خطب ألَّا يُنكح، وإن شفع ألَّا يشفَّع، وإن قال ألا يُسمع لقوله. فقال رسول الله ﷺ: «**هذا خيرٌ من ملءِ الأرضِ مثل هذا**»[1].

الإسلام لا يقيس النَّاس بأموالهم أو بمظاهرهم فإنَّ الله لا ينظر إلى الصور، ولكن ينظر إلى القلوب والأعمال، ولهذا حرص النبي ﷺ أن يؤكد هذه الحقيقة في أكثر من حديث بهذا الأسلوب التربوي العملي، تثبيتًا له في الأذهان والضمائر.

والرسول المعلم معنيٌّ بصاحبه أبي ذَرّ ـ وبغيره من الصحابة رضوان الله عليهم ـ يريد ألَّا تبهره المظاهر البراقة عن حقيقة النَّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذَرٍّ، أترى كثرةَ المالِ هو الغِنَى؟**». قلت: نعم، يا رسولَ الله. قال: «**فترى قلَّة المال هو الفقر؟!**». قلت: نعم، يا رسول الله. قال: «**إنَّما الغنى غنى القلب، والفقر فقرُ القلب**». ثمَّ سألني عن رجلٍ من قريش قال: «**هل تعرف فلانًا؟**». قلت: نعم، يا رسول الله. قال: «**فكيف تَراه؟**». أو: «**تُراه؟**»[2]. قلتُ: إذا سأل أُعطي، وإذا حضر أُدخل. قال: ثمَّ سألني عن رجل من أهل الصُّفَّة، فقال: «**هل تعرف فلانًا؟**». قلت: لا والله، ما أعرفه يا رسولَ الله، فما زال يُجلِّيه ويَنعته حتَّى عرفته، فقلت: قد عرفته يا رسولَ الله، قال: «**فكيف تَراه؟**». أو «**تُرَاهُ؟**». قلت: هو رجلٌ مسكينٌ من أهل الصُّفَّة. فقال: «**هو خير من طِلَاعِ[3] الأرض من الآخر**». قلت:

---

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٤٧).

(٢) تراه الأولى بفتح التاء، والثانية بضم التاء، والمعنى بضمها: كيف تظنه؟.

(٣) طِلاع الأرض ـ بكسر الطاء بزنة كتاب ـ ملؤها، أي أنَّه خير من ملء الأرض ناسًا مثل ذلك، وقد عبَّر بملء الأرض في الحديث التالي.

QaradawiBooks.com

يا رسولَ الله، أفلا يُعطى من بعض ما يُعطى الآخر؟ قال: «**إذا أُعطي خيرًا فهو أهله، وإذا صُرِف عنه فقد أُعطي حسنة**»[١].

وعنه ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**انظرْ أرفعَ رجلٍ في المسجد**». قال: فنظرتُ، فإذا رجل عليه حُلَّة، قلت: هذا. قال: قال لي: «**انظرْ أوضعَ رجلٍ في المسجد**». قال: فنظرت، فإذا رجل عليه أَخْلاق[٢]. قال: قلت: هذا. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**لَهَذا عند الله خير يوم القيامة من ملءِ الأرض مثل هذا**».

رواه أحمد بأسانيد رواتها محتجٌّ بهم في الصحيح، وابن حِبَّان في صحيحه[٣].

وكان ﷺ كما يُعلِّم فقراء أصحابه، يعلِّم كبار أصحابه، حتَّى لا يغترُّوا بأنفسهم، كما ترى مع سعد بن أبي وقَّاص ﷺ، فعن مصعب بن سعد قال: رأى سعد ﷺ أنَّ له فضلًا على من دونه، فقال رسول الله ﷺ: «**هل تُنصرون وترزقون إلَّا بضعفائكم؟**»[٤].

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (١١٧٨٥)، وابن حبان (٦٨٥)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، كلاهما في الرقائق.

(٢) أخلاق: ثياب رثة خَلِقة.

(٣) رواه أحمد (٢١٣٩٦)، وقال مخرِّجوه: صحيح على شرط الشيخين. وابن حبان في الرقائق (٦٨١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٨٨١): رواه أحمد بأسانيد ورجالها رجال الصحيح، وقال أيضًا (١٧٩٢٧): رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط بأسانيد، ورجال أحمد وأحد إسنادي البزار والطبراني رجال الصحيح.

(٤) يشير الحديث إلى قضية اجتماعية مهمة، وهي أنَّ الفئات الضعيفة من العمال والفلاحين والحرفيين ونحوهم هم عدَّة النصر في الحرب، وعدَّة الإنتاج في السلم. وهذا بعض ما يفهم من «تنصرون وترزقون» في الحديث.

QaradawiBooks.com

رواه البخاري، والنسائي، وعنده: فقال النبي ﷺ: «**إنَّما تُنْصَرُ هذه الأُمَّة بضعيفها: بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»[١].

وعن أبي الدَّرْدَاء رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**ابْغُونِي ضعفاءَكم، فإنَّما تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم**»[٢].

هذه حقيقة اجتماعيَّة يلمسها الَّذين يتأمَّلون في حقيقة العاملين في المجتمعات، وأنَّ المجتمعات لا تقاس بما يغُرُّ ويُغري، وأنَّ الَّذين يُقدِّرون حقيقة القوى في المجتمعات يتبيَّن لهم أنَّ القوَّة الَّتي تُفتح لها بلاد الأعداء، وتنتصر عند الحرب هم الضعفاء ـ أو القوى الضعيفة ـ الَّذين هم العمود الحقيقي للمجتمع.

وعن واثلةَ بن الأسقع رضي الله عنه قال: كنتُ في أصحاب الصُّفَّة، فلقد رأيتُنا وما منَّا إنسان عليه ثوب تامٌّ، وأخذ العرق في جلودنا طُرُقًا من الغبار والوَسَخ؛ إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**ليُبْشِرْ فقراءُ المهاجرين**». إذ أقبل رجل عليه شارة حسنة، فجعل النبيُّ ﷺ لا يتكلَّم بكلام إلَّا كلَّفته نفسه أن يأتي بكلام يعلو كلامِ النبيِّ ﷺ، فلمَّا انصرف قال: «**إنَّ الله عز وجل لا يحبُّ هذا وضَرْبه، يلوون ألسنتهم للنَّاس ليَّ البقر بلسانها المرعى، كذلك يلوي الله عز وجل ألسنتهم ووجوههم في النَّار**». رواه الطبراني بأسانيد أحدها صحيح[٣].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٩٦)، والنسائي (٣١٧٨)، كلاهما في الجهاد.

(٢) رواه أبو داود (٢٥٩٤)، والترمذي (١٧٠٢)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٣١٧٩)، جميعهم في الجهاد. وحسَّن إسناد أبي داود النووي في خلاصة الأحكام (٣٠٨٣).

(٣) في الكبير (٧٠/٢٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٨٩٩): رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح.

QaradawiBooks.com

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**رُبَّ أشعثَ أغبر، مدفوعٍ بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرَّه**»[١].

إنَّ قيمة النَّاس عند الله ليست بمنزلتهم عند النَّاس، فكم من أناسٍ لا يُؤْبه لهم في صورهم ولا في ملابسهم ولا في أبدانهم، شُعْث غُبْر ذوو أطمار، لهم عند الله مقام عظيم.

وعن ثوبانَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من أمَّتي من لو جاء أحدكم يسأله دينارًا لم يُعْطِه، ولو سأله درهمًا لم يعطِه، ولو سأله فَلسًا لم يعطه، ولو سأل الله الجنَّة أعطاها إيَّاه، ذي طِمْرين، لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبرَّه**».

رواه الطبراني، ورواته محتجٌّ بهم في الصحيح[٢].

منهج الصحابة في الزهد:

كان الصحابة حول النبيِّ ﷺ، يتعلَّمون من نبيِّهم ومعلِّمهم محمَّد ﷺ ذلك التوازن بين الزهد في الدُّنيا وإيثار الآخرة، وفي الوقت نفسه عمارة الدُّنيا وقيادتها وإصلاحها، فلم يكونوا رهبانيين كما كان النصارى الَّذين وصف الله نِحلتهم، فقال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

ولم يكونوا عبيدًا للدنيا، تستعبدهم بزينتها وفتنتها، وخمرها وميْسرها، ونسائها وفتياتها، وما فيها من ربًا واحتكار، وأكل لأموال

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٢٢)، عن أبي هريرة.

(٢) في الأوسط (٧٥٤٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٩٢٠): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح.

QaradawiBooks.com

النَّاس بالباطل، وخلع لأضراس الطبقات الضعيفة الَّتي تبذل في الأرض قواها، تعمل وتزرع، وتغرس الأشجار والنخيل، ولا تأكل إلَّا النَّوى، ولا تحصد إلَّا الشوك، أمَّا الرُّطَب والتمر والثمر وأوراق النبات اليانعة الخضراء فلا يأكله إلَّا النهَّابون، الَّذين يتَّصفون بخُلُق «النهبانيَّة».

رفض الصحابة هذه الحياة الَّتي تعمل ولا تقبض، وتزرع ولا تحصد، وتغرس ولا تجْني، وتعطي ولا تأخذ، ودعوا إلى عمل مشترك، يشترك فيها صاحب المال بماله، وصاحب الجهد بجهده، بهذا تتعاون رؤوس الأموال، مع جهود العمَّال، مع تنظيم المنظمين، لإعطاء جهد مشترك، ينتج ثمرةً للجميع، بحيث لا يأخذ القويُّ الثمرة ويترك الضعفاء شبه معدمين، لا حول لهم ولا قوة، إنَّما العدل أن يقتسموا الثمرة بينهم، وأن يكون بينهم قدر مشترك بمثل ما يقدمه كل منهم.

الإخاء بين المهاجرين والأنصار: ابن عوف وابن الربيع نموذجًا:

هذا المجتمع الَّذي طفق الرسول محمَّد يُربِّيه على يديه، ومع أصحابه القُدامى والجُدُد، أو أهل مكَّة وأهل المدينة، أو بالاسم الجديد: المهاجرون والأنصار، كما قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨ ـ ١٠]. المهاجرون والأنصار ومن يخلفهم في مُهمَّتهم، ويدعون لمن كانوا

QaradawiBooks.com

أسسًا في هذا الخير الَّذي هيَّأه الله لهم: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾.

انظر إلى نموذج واحد من نماذج المهاجرين: هذا عبد الرحمٰن بن عوف أحد المقرَّبين من أصحاب محمَّد من المهاجرين، كان من التُّجَّار المعروفين في مكَّة، ولكنَّ الهجرة حرمته من كل ما يملك من عقار وأرض وشجر و«دكاكين»، ليخرج بنفسه وما يقدر أن يحمله مهاجرًا في سبيل الله، ودخل إلى المدينة، وعقد النبي له عقد مؤاخاة مع أخيه الأنصاري سعد بن الربيع أحد أغنياء الأوس، وكان الأوسيون والخزرجيون يتنافسون على كفالة المهاجرين والمؤاخاة معهم؛ لأنَّهم أقل منهم عددًا، وهم أهل البلدة.

ولذلك استبشر سعد بإخاء عبد الرحمٰن، وقال له سعد: يا أخي، إنِّي من أكثر الأنصار أموالًا، فتعال أشاطرك مالي، وعندي زوجتان، انظر إلى أوقعهما في قلبك أُطلِّقها لك، فإذا استوفت عدَّتها تزوَّجتها، وعندي داران، تسكن إحداهما وأنا أسكن الأخرى.

انظر هذا الإيثار العظيم من سعد بن الربيع، الَّذي قابله عفاف وترفُّع من عبد الرحمٰن بن عوف قال له: يا أخي، بارك الله لك في مالك، وفي أهلك وفي دارك، إنَّما أنا امرؤ تاجر، فدلُّوني على السوق[1].

هكذا قابل عبد الرحمٰن إيثارَ أخيه سعد بن الربيع بالمال والدار والمرأة، بتعفُّف كريم، ودعا له أن يجزيَه الله خيرًا، وأن يبارك له في أهله، ويبارك له في داره، ويبارك له في ماله، وما عليهم إلَّا أن يدلُّوه

(١) رواه البخاري في البيوع (٢٠٤٨)، عن عبد الرحمٰن بن عوف.

QaradawiBooks.com

على الســوق، فهي الَّتي يعرفها، وعاش عمره فيها، فعرَّفوه ما يجب أن يعرفه عن السوق، وأرشدوه بما لا بدَّ له فيها.

ودخل عبد الرحمٰن الســوق، وكانت تُســمَّى «ســوق بني قَيْنُقاع»، إحدى قبائل اليهود الثلاثة المنتشرة في المدينة حول المدينة.

ودخل الرجل العربي القرشــي المهاجر إلى هذا الســوق الجديدة بخبرته وحنكته الَّتي اكتســبها في مكَّة من قومــه، ودخل هذا المجتمع الجديــد، وما هــي إلَّا أيام لم تطــل حتَّــى دخــل عبد الرحمٰن على الرسول ﷺ مضمَّخًا بالمسك والطِّيب، وعليه الثياب الدالَّة على أنَّ هناك جديدًا، فلمَّا سأله الرسول ﷺ عن حاله عرف أنَّه تزوَّج من جديد، فقال له: «**أَوْلِمْ ولو بشاة**»[1].

وبدأ عبد الرحمٰن يتوسَّــع في البيع والشراء وسائر المعاملات، حتَّى كانت له قدم راسخة في مساعدة الضعفاء من المسلمين، وفي مســاندة الجيش الإســلامي، وفي كل ما يحتاجه المسلمون عندما تظهر الحاجات، وعندمــا تبرز الأزمات في أيام الرســول وفي أيام الخلفاء الراشدين.

وعندما تُوفِّي ترك وراءه ثروة من الذهــب، كانت تقطع بالفؤوس، وصولحت إحدى نسائه الأربع على نصيبها من التركة ـ وهو ربع الثُّمُن (٣٢/١) فكان (٨٠٠٠٠) ثمانين ألفًا من الدنانير[2].

(١) جزء من الحديث السابق.

(٢) البداية والنهاية (٢٥٥/١٠، ٢٥٦)، تحقيق عبد الله بن عبد المحســن التركي، نشــر دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

صور لزهد الصحابة وصبرهم:

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه: أنَّه أصابهم جوع وهم سبعة. قال: فأعطاني النبي ﷺ سبع تمرات لكلِّ إنسانٍ تمرة.

رواه ابن ماجه بإسناد صحيح[١].

وعن محمَّد بن سيرين رضي الله عنه قال: إن كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ يأتي عليه ثلاثة أيام لا يجد شيئًا يأكله، فيأخذ الجِلْدة فيشويها فيأكلها، فإذا لم يجد شيئًا أخذ حجرًا فشدَّ صلبه.

رواه ابن أبي الدُّنيا في كتاب الجوع[٢] بإسناد جيد.

وعن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه قال: إنِّي لأوَّل العرب رمى بسهم في سبيل الله، ولقد كنَّا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلَّا ورق الحُبْلة، وهذا السَّمُر، حتَّى إن كان أحدنا ليضع كما تضع الشاة، ما له خِلْط[٣].

الحُبْلة ـ بضمِّ الحاء، وإسكان الباء ـ: شجرٌ له شوك.

والسَّمُر ـ بفتح السين، وضم الميم ـ كلاهما من شجر البادية.

ليضع كما تضع الشاة أراد أن نجوهم كان يخرج بعسر، ليبسه من أكلهم ورق السمر، وعدم الغذاء المألوف.

وعن أبي بَرْزة رضي الله عنه قال: كُنا في غَزاة لنا، فلقينا أناسًا من المشركين، فأجهضناهم عن مَلَّة لهم، فوقعنا فيها، فجعلنا نأكل منها، وكنا نسمع في

(١) في الزهد (٤١٥٧)، وأحمد (٧٩٦٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٢) برقم (٦١). ورواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٦٦٩٤).
(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٥٣)، ومسلم في الزهد (٢٩٦٦).

QaradawiBooks.com

الجاهليَّة أنَّه من أكل الخبز سَمِن، فلمَّا أكلنا ذلك الخبز، جعل أحدنا ينظر في عِطْفيه هل سمن؟

رواه الطبراني، ورواته رواة الصحيح[١].

أجهضناهم: أي أزلناهم عنها وأعجلناهم. والمَلَّة: الرماد الحار الَّذي يدفن فيه الخبز لينضج. أراد الخبز الَّذي في المَلَّة.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله ﷺ، وأمَّر علينا أبا عبيدة رضي الله عنه نلتقي عِير قريش، وزودنا جرابًا من تمر لم نجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة، فقيل: كيف كنتم تصنعون بها؟ قالوا: نمصُّها كما يمصُّ الصبي، ثمَّ نشرب عليها من الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصيِّنا الخَبَط[٢]، ثمّ نبلُّه فنأكله.. فذكر الحديث[٣].

وعن خالد بن عُمَيْر الحديث قال: خطبنا عُتْبة بن غَزْوان رضي الله عنه، وكان أميرًا بالبصرة، فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: أمَّا بعدُ، فإنَّ الدُّنيا قد آذنتْ بصُرْم، وولَّت حَذَّاء، ولم يبق منها إلَّا صُبابةٌ، كصبابة الإناء يتصابُّها صاحبُها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخيرِ ما بحضرتكم، فإنَّه قد ذُكر لنا أنَّ الحجر يُلقى من شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عامًا لا يُدرك لها قعرًا، واللهِ لتُمْلَأَنَّ، أفعجبتم؟ ولقد ذُكِرَ لنا أن ما بين مِصْراعين من مصاريع الجنَّة مسيرة أربعين عامًا، وليأتينَّ عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، ولقد رأيتُني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ

(١) وكذلك قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٢٨٣، ١٨٢٨٤). ورواه الحاكم في قسم الفيء (١٣٤/٢)، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(٢) الخبط ـ بفتح الخاء والباء جميعًا ـ ورق الشجر.

(٣) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٣٥).

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

ما لنا طعام إلَّا ورق الشجر، حتَّى قرحت أشداقنا، فالتقطتُ بُرْدة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك، فاتَّزرت بنصفها، واتزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منَّا أحد إلَّا أصبح أميرًا على مصر من الأمصار، وإنِّي أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيمًا، وعند الله صغيرًا[١].

آذنت ـ بمد الألف ـ أي: أعلمت.

بصُرْم ـ هو بضم الصاد، وإسكان الراء ـ بانقطاع وفناء.

وحَذَّاء ـ هو بحاء مفتوحة، ثمَّ ذال مشددة ممدودًا ـ يعني سريعة.

والصُّبابة ـ بضم الصاد ـ هي البقية اليسيرة من الشيء.

ويتصابُّها ـ بتشديد الباء ـ أي: يجمعها.

والكظيظ ـ بفتح الكاف، وظاءين ـ هو الكثير الممتلئ.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: لو رأيتَنا ونحن مع نبيِّنا ﷺ لحسبت أنما ريحُنا ريح الضأن، إنَّما لباسنا الصوف، وطعامنا الأسودان: التمر والماء.

رواه الطبراني في الأوسط، ورواته رواة الصحيح[٢]، وهو في الترمذي وغيره، دون قوله: إنَّما لباسنا. إلى آخره[٣].

وعن خبَّاب بن الأرتِّ رضي الله عنه قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنا مَن مات لم يأكل من أجره شيئًا،

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٦٧).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (١٩٤٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٢٩٣): رجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه أحمد (١٩٦٥٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في اللباس (٤٠٣٣)، والترمذي في صفة القيامة (٢٤٧٩)، وابن ماجه في اللباس (٣٥٦٢).

QaradawiBooks.com

منهم مصعب بن عمير، قُتل يوم أحد، فلم نجد ما نكفِّنه به إلَّا بُردة إذا غطَّينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطَّينا رجليه خرج رأسُه، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطِّي رأسه، وأن نجعل على رجليه من الإذْخِر، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يَهدُبها[١].

البردة: كساء مخطَّط من صوف، وهي النمرة.

وأينعت ـ بياء بعد الهمزة ـ أي: أدركت ونضجت.

يهدبها ـ بضم الدال وكسرها، بعدها باء ـ أي: يقطعها ويجنيها.

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: لقد رأيتُ سبعين من أهل الصُّفَّة ما منهم رجل عليه رداء: إما إزارٌ، وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم، منها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن تُرى عورته[٢].

وعن يحيى بن جَعْدة قال: عاد خبَّابًا ناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: أبشر يا أبا عبد الله ترِدُ على محمَّد ﷺ الحوض، فقال: كيف بهذا؟ ـ وأشار إلى أعلى البيت وأسفله ـ وقد قال رسول الله ﷺ: «**إنَّما يكفي أحدُكم كزاد الراكب**». رواه أبو يعلى، والطبراني بإسناد جيد[٣].

وقد قال الحافظ المنذري بعد أن ذكر ما ذكرناه من أحاديث عن زهد الصحابة: ولو بسطنا الكلام على سيرة السلف وزهدهم لكان من ذلك مجلدات، لكنَّه ليس من شرط كتابنا، وإنَّما أملينا هذه النبذة استطرادًا؛

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٩١٣)، ومسلم في الجنائز (٩٤٠).

(٢) رواه البخاري في الصلاة (٤٤٢).

(٣) رواه أبو يعلى (٧٢١٤)، والطبراني (٧٧/٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٨٥٤): رواه أبو يعلى والطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير يحيى بن جعدة، وهو ثقة.

QaradawiBooks.com

تبرُّكًا بذكرهم، وإشارة لما تركنا من سيرهم، والله الموفِّق من أراد، لا رب غيره، ولا إلٰه سواه.

الرسول.. الداعية ﷺ

محمد رسول الله، هو خير رسل الله، ادَّخره الله تعالى ليكون آخر من يحمل رسالةً من الله تعالى إلى العالم، يبلِّغهم فيها آخر ما يحبُّه الله منهم، وآخر ما يأمرهم به، وما ينهاهم عنه: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

آخر الأنبياء:

ولهذا كان محمَّد بن عبد الله العربي القرشي ﷺ هو آخر الأنبياء، خُتمت النبوة به، كما قال الله في كتابه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ولكون محمَّد ﷺ ختم الله به أنبياءه ورسله، جعله كأنَّه ممثلهم جميعًا، يحمل خلاصة صفاتهم، وأهم هذه الصفات هي الدعوة، أو صفة الداعية، فالله قد أرسل الرسل جميعًا مبشِّرين ومُنذِرين، ومعنى ﴿مُّبَشِّرِينَ﴾: أي يدعون النَّاس إلى الإيمان بالله وحده ربًّا، وبالإسلام الكامل لله دينًا، وبنبيِّهم المبعوث لهم رسولًا من الله، ليس لأي رسول منهم طلب خاص لنفسه، أو لأسرته، أو لقومه، إنَّما يريد أن يُنهض مدعويه إلى الله، ويرفع عنهم الأثقال والأعباء الَّتي كلَّفتهم بها العقائد الوثنيَّة، والديانات الشركيَّة.

QaradawiBooks.com

دعوة الرسول إلى التوحيد:

يصف الأستاذ الإمام محمَّد عبده رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٠٥م) دعوة رسول الله ﷺ فيقول: «أرأيتَ كيف نهض وحيدًا فريدًا يدعو النَّاس كافة إلى التوحيد، والاعتقاد بالعلي المجيد، والكل ما بين وثنية متفرِّقة ودهرية وزندقة.

نادى في الوثنيِّين بترك أوثانهم، ونبذ معبوداتهم، وفي المشبِّهين المنغمسين في الخلط بين اللاهوت الأقدس وبين الجسمانيات بالتطهر من تشبيههم، وفي الثنويَّة بإفراد إلٰه واحد بالتصرف في الأكوان، ورد كل شيء في الوجود إليه، أهاب بالطبيعيين ليمدُّوا بصائرهم إلى ما وراء حجاب الطبيعة، فيتنور سر الوجود الَّذي قامت به، صاح بذوي الزعامة ليهبطوا إلى مصافِّ العامَّة في الاستكانة إلى سلطان معبود واحد هو فاطر السماوات والأرض، والقابض على أرواحهم في هياكل كل أجسادهم، تناول المنتحلين منهم لمرتبة التوسط بين العباد وبين ربهم الأعلى فبيَّن لهم بالدليل، وكشف لهم بنور الوحي أن نسبة أكبرهم إلى الله كنسبة أصغر المعتقدين بهم، وطالبهم بالنزول عمَّا انتحلوه لأنفسهم من المكانات الربانية إلى أدنى سُلَّم من العبوديَّة، والاشتراك مع كل ذي نفس إنسانيَّة في الاستعانة برب واحد يستوي جميع الخلق في النسبة إليه، لا يتفاوتون إلَّا فيما فضَّل به بعضهم على بعض من علم أو فضيلة...

دعا الإنسان إلى معرفة أنَّه جسم ورُوح، وأنَّه بذلك من عالَمين متخالفين، وإن كانا ممتزجين، وأنَّه مطالَب بخدمتهما جميعًا، وإيفاءُ كلٍّ منهما ما قررت له الحكمة الإلٰهيَّة من الحق.

QaradawiBooks.com

دعا النَّاس كافَّة إلى الاستعداد في هذه الحياة لما سيلاقون في الحياة الأخرى، وبيَّن لهم أن خير زاد يتزوَّده العامل هو الإخلاص لله في العبادة، والإخلاص للعباد في العدل والنصيحة والإرشاد.

قام بهذه الدعوة العظمى وحده، ولا حول له ولا قوة، كل هذا كان منه، والناس أحبَّاء ما ألفوا، وإن كان خسران الدُّنيا وحرمان الآخرة، وأعداء ما جهلوا وإن كان رغد العيش وعز السيادة ومنتهى السعادة.

كل هذا والقوم حوالَيْه أعداءُ أنفسهم وعبيدُ شهواتهم، لا يفقهون دعوته، ولا يعقلون رسالته، عُقدت أهداب بصائر العامَّة منهم بأهواء الخاصَّة، وحُجبت عقول الخاصَّة بغرور العِزَّة عن النظر في دعوى فقيرٍ أميٍّ مثله، لا يرون فيه ما يرفعه إلى نصيحتهم والتطاول إلى مقاماتهم الرفيعة باللوم والتعنيف.

لكنَّه في فقره وضعفه كان يقارعهم بالحجة، ويناضلهم بالدليل، ويأخذهم بالنصيحة، ويزعجهم بالزَّجْر، وينبِّههم للعِبَر، ويحوطهم مع ذلك بالموعظة الحسنة، كأنَّما هو سلطان قاهر في حكمه، عادل في أمره ونهيه، أو أب حكيم في تربية أبنائه، شديد الحرص على مصالحهم، رؤوف بهم في شدته، رحيم في سلطته.

ما هذه القوَّة في ذلك الضعف؟ ما هذا السلطان في مَظنة العجز؟ ما هذا العلم في تلك الأميَّة؟ ما هذا الرشاد في غمرات الجاهليَّة؟

إن هو إلَّا خطاب الجبروت الأعلى، قارعة القدرة العظمى، نداء العناية العليا.

ذلك خطاب الله القادر على كل شيء، الَّذي وسع كل شيء رحمة وعلمًا.

QaradawiBooks.com

ذلك نداء أمـــر الله الصادع يقـــرع الآذان، ويشـــقُّ الحُجُب، ويمزق الغُلف، وينفذ إلى القلوب، على لسان من اختاره لينطق به، واختصَّه به وهو أضعف قومه، ليقيم من هـــذا الاختصاص برهانًا عليـــه بعيدًا عن الظِّنَّة، بريئًا من التهمة، لإتيانه على غير المعتاد بين خلقه.

أيُّ برهان على النبوة أعظم من هذا؟ أمِّيٌّ قام يدعو الكاتبين إلى فهم ما يكتبون وما يقرؤون، بعيدٌ عن مدارس العلم صاح بالعلماء ليُمحِّصوا ما كانوا يُعلِّمون، في ناحية عن ينابيع العرفان جاء يرشد العرفاء، ناشئ بين الواهمين هبَّ لتقويم عوج الحكماء، غريب في أقرب الشعوب إلى سذاجة الطبيعة، وأبعدها عن فهم نظام الخليقة، والنظر في سننه البديعة، أخذ يقرِّر للعالم أجمع أصول الشريعة، ويخط للسعادة طرقًا، لن يهلك سالكها، ولن يَخلُص تاركها.

ما هذا الخطاب المُفحِم؟ ما ذلك الدليل المُلجم؟ أأقول: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ [يوسف: ٣١]؟ لا، لا أقول ذلك، ولكن أقول كما أمره الله أن يصف نفسه: إن هو بشر مثلكم يوحى إِلَيه، نبي صدَّق الأنبياء، ولكن لم يأتِ في الإقناع برسالته بما يُلهي الأبصار أو يُحيِّر الحواس، أو يُدهش المشاعر، ولكن طالب كل قوة العمل فيما أُعِّدت له، واختصَّ العقل بالخطاب، وحاكم إليـــه الخطأ والصواب، وجعل في قوة الكلام وسلطان البلاغة وصحة الدليل مبلغ الحجة وآية الحق الَّـــذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٢]»[1].

(١) الأعمال الكاملة للشـــيخ محمد عبده، جزء الإصلاح الفكري والتربوي والإلٰهيات، رسالة محمد ﷺ صـ ٤٥٧ ـ ٤٥٩، نشر دار الشروق، ٢٠٠٩م.

QaradawiBooks.com

تصحيح الأديان الكتابية:

وكما دعا خاتم الأنبياء محمَّد ﷺ إلى توحيد الله الواحد الأحد الفرد الصمد، فإنَّ الله أرسله مصحِّحًا للأديان الكتابية الَّتي بُعث بها الأنبياء الكبار: موسى والمسيح عيسى بن مريم وغيرهما من أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، والَّتي حرَّفها أتباعها، وخلطوا حقَّها بالباطل، وشابوا توحيدها الخالص بالوثنيَّة المضلَّة، وغيَّروا دين الله الَّذي جاء لتحرير عباد الله من عبادة الطاغوت، واتباع الشهوات، وظلم الضعفاء من النَّاس، وإباحة حرمات النَّاس وحرياتهم ليستعبدها الطغاة، وقد ولدت الناسَ أمهاتُهم أحرارًا.

ولقد رأينا الكُفَّار والمشركين في حديث القرآن عنهم، وعن مجادلتهم لأهل الإيمان، ومجادلة أهل الإيمان لهم، رأيناهم دائمًا أهل قسوة وجحود، وأهل باطل وجمود، يناضلون عن باطلهم، ويلتمسون دائمًا لأهل الحق من أتباع الرسل العثرات والأخطاء.

الدعوة هي مهمة المرسلين جميعًا:

مع أنَّ رسل الله الكرام وأتباعهم دائمًا يقفون الموقف الأكرم، الَّذي يجعل مَن عنده بقية من رشد يوقن أنَّهم هم الناطقون بالحق، وهم الداعون إلى الخير، وهم المنادون بالرُّشد.

من يتدبَّر القرآن، يجد لسان حال الأنبياء وأتباعهم مع أقوامهم: لماذا تبتعدون عنَّا ونحن نقترب منكم؟ ولماذا تبغضونا ونحن نُكِنُّ لكم كل حب، ونتمنَّى لكم كل خير ورشد؟! كما قال تعالى على لسان مؤمن آل يس: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۞ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى

QaradawiBooks.com

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ۞ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ۞ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۞ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس: ٢٠ ـ ٢٧].

والذي يقرأ في القرآن الكريم قصة نوح مع قومه، يجده عليه السلام عرض على قومه التوحيد الَّذي جاء به آدم وبنوه، لكنَّهم نسوه بتطاول العهد وتقادم الزمن، فأبوا ما جاء به، فلبث فيهم ألف سنة إلَّا خمسين عامًا، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۞ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۞ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۞ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۞ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۞ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۞ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۞ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۞ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۞ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۞ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۞ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۞ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ۞ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ۞ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۞ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ۞ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ۞ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۞ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۞ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ [نوح: ٢ ـ ٢٨].

QaradawiBooks.com

وكذلك كان هود مع قومه عاد، وصالح مع قومه ثمود، وكذا كان إبراهيم وشعيب وموسى وعيسى، وكل أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

كان كل الأنبياء دعاة إلى الله، وظيفتهم هي الوظيفة الَّتي كلف الله بها آخرهم محمدًا ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ۝ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٨].

محمد خاتم رسل الله:

والقرآن هو الكتاب المُقَدَّس الَّذي جاء به محمَّد ﷺ من عند الله، والَّذي وصفه سبحانه بأنه: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، هذا الكتاب يعلِّم محمدًا ﷺ أوَّل ما يعلمه أنَّه رسول من عند الله، يدعو الخلق إلى صراط الله المستقيم، فأوَّل سورة بُدِئ بها المصحف الشريف، الَّتي هي بمنزلة المقدمة للقرآن، الَّذي هو دستور الله لخلقه، فهي أم الدستور الرباني، أم الكتاب، هذه السورة تعلِّم النَّاس أن يطلبوا من الله أنْ يهديهم «الصِّراط المستقيم»، الَّذي لا يزيغ، ولا ينحرف يمينًا ولا شمالًا، ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧].

هذه سبيلي:

عرف الرسول ﷺ من القرآن العظيم سبيله الَّتي يعينه الله تعالى ليسير عليها ويوضِّحها للناس، ويبين للنَّاس أوائلها وأواخرها، وفرائضها

QaradawiBooks.com

ونوافلها، وأحبَّاءها الحريصين عليها، وأعداءها الصادِّين عنها. فقال تعالى في سورة يوسف ـ وهي سورة مكيَّة ـ مبيِّنًا مهمة الرسول الكريمة: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

أشارت هذه الآية الكريمة باسم الإشارة الواضح ﴿هَٰذِهِۦ﴾ وليس غيرها ﴿سَبِيلِىٓ﴾، هذه هي الطريق الخاصَّة بي، والَّتي لا يستطيع أحد معي أو بعدي أن يدَّعي أنَّه مبعوث بها من الله رب العالمين غيري، فما هذه السبيل اللائحة الواضحة الَّتي لا يوجد ما هو أوضح منها؟ وضَّحها القرآن في كلمات بيِّنة، يشرق منها النور، وتتدفَّق منها البلاغة، وتتنزل منها الحكمة.

اسمع إلى الكلمات: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ هذه الجملة القصيرة البليغة تحمل معنيين كبيرين:

المعنى الأول: الدعوة إلى الله، لا إلى طاغوت، ولا إلى شريك، ولا إلى قريب، ولا إلى حاكم، ولا إلى متسلِّط من البشر يقدِّم له النَّاس أي معنًى من معاني الخضوع أو الذلِّ، ولا إلى قوميَّة من القوميَّات، ولا وطنيَّة من الوطنيات، وإنَّما أدعو إلى هذا الإلٰه الواحد الأكبر الأعظم، فهو أعظم أو أكبر من كلِّ شيء، أدعو إلى عبادته سبحانه، وإلى توحيده، وإلى رفض كل من سواه وما سواه.

ولهذا كانت أوَّل آية في صدر المصحف: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]. وثاني آية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هو وحده مالكهم وسيدهم وراعيهم ومربِّيهم.

QaradawiBooks.com

والكلمة الثانية في هذه الجملة هي قوله: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾. والكلمة مكمِّلة للجملة الأولى ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾، فهي دعوة إلى الله، ولكنها ليست دعوة مطموسة ولا مظلمة ولا على عمًى، ولكنها دعوة نيِّرة، ودعوة مشرقة، ودعوة على بصيرة؛ لأنَّها دعوة قامت على النور من أوَّل يوم.

الداعي الأوَّل إليها هو الله تعالى الَّذي سمَّى نفسه نور السماوات والأرض، كما قال تعالى في سورة النور: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [النور: ٣٥].

والنبي الَّذي أرسل بها هو أنور الخلق ﷺ: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾ [المائدة: ١٥] فالنور في الآية هو رسول الله ﷺ.

والرسالة الَّتي أرسل بها ـ وهي القرآن ـ نور، قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ [التغابن: ٨]. ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٧٤].

وقد حدَّد الله وظيفةَ النبيِّ ﷺ بقوله: ﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]. هذه الدعوة على بصيرة؛ لأنَّ كل ما جاءت به يهدي إليه النور: ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة: ١٦].

والنبيُّ الَّذي يتلقَّاها يحيط به النور، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٧٤].

QaradawiBooks.com

وكان الرسول يدعو ربَّه بدعاء النور، فيخيَّل إليك من كثرة النور الَّذي يشيع من دعائه، ويتناثر على من حوله أنَّنا الَّذين نتلو الدعاء، ونتوسل به إلى الله تعالى أناس مغمورون في أنوار الله وبركاته ورحماته: «**اللهمَّ اجعل في قلبي نورًا، وفي لساني نورًا، وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، ومن بين يديَّ نورًا، ومن خلفي نورًا، ومن فوقي نورًا، ومن تحتي نورًا، واجعل لي في نفسي نورًا، وأَعْظِم لي نورًا**»[1].

﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ إن دعوتي ليست دعوة غامضة، ولا عمياء، ولا صعبة الفهم، بل هي دعوة الفطرة، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

بعض من يقرأ هذه الجملة يقرؤها هكذا: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ثمَّ يقف، ويبدأ الجملة التالية بقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ وهذا تمزيق للكلام الرباني؛ لأنَّ الآية القرآنية مرتبة ترتيبًا حكيمًا، مِن قِبَل مُنزلها والمتكلِّم بها، يتجاوب معها مرتِّل القرآن الَّذي اجتمع عقله وقلبه ولسانه على إعطاء المعنى حقَّه، وتوزيعه على العبارات: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ولا أدري أي سبب يجعلنا نقطع السياق في الآية، فنجعل الدعوة إلى الله، كأنها مقطوعة عن الدعوة على بصيرة، ولا حاجة إلى ذلك؛ فالدعوة وداعيها الأوَّل ومن يحملها معه، الجميع على بصيرة.

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٣.

QaradawiBooks.com

ثم قال تعالى في ختام الآية: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وهو تنزيه لله تعالى عما لا يليق به، ممَّا تتردد به الأذهان، أو تلتبس به الشكوك، أو ترتاب معه العقول، وهو سبحانه منزَّه عن ذلك بريء منه.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ نفي الإشراك عن النبيِّ ﷺ، ونفي الشريك لله تعالى، وهو الواحد الَّذي لا يقبل أيَّ لون من ألوان الشرك في عبادته، أو في نيته، أو في أي جهة من الجهات: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾:

ومن الآيات الكريمة في قرآننا الكريم: ما جاء في أواخر سورة النحل في خطاب الرسول أولًا، ثمَّ كل من يصلح له الخطاب بقوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

وهذه الآية الكريمة المكيَّة من آيات سورة النحل، والصحيح أنَّ كلَّ آيات السورة مكيَّة النزول؛ لأنَّها كلَّها تتحدَّث عن نعم الله تعالى الكبرى الَّتي يبرز فيها فضله على عباده، والَّتي تشمل نعمة الخلق للسماوات والأرض والنجوم والأفلاك، وكل ما حولنا من نبات وإنسان وحيوان، وأنهار وبحار وغيرها. بدأ ذلك في أوَّل السورة، وفي وسطها، وفي كثير من آياتها، حتَّى سمَّاها بعض السلف كابن عبَّاس: سورة النِّعم.

وتتدرَّج الآيات في التعريف بالنعم إلى التعريف بالمنعم، ولا شك أن ما اهتمَّ به القرآن من نِعم عظيمة، لا يستطيع أحد أنْ ينكر فائدتها

QaradawiBooks.com

العظيمة الَّتي لا يجحدها النَّاس في الغرب أو الشـــرق، في الشمال أو في الجنوب.

وأول هذه الآية خطاب مـــن الله ﷻ يأمر بالدعوة: ﴿ ٱدۡعُ ﴾، والدعوة بلاغ واضح موجه إلى المخاطبين في قوة، وهو أمر ودعوة إلى الرسول المحمَّل من الله تعالى بالرسالة الأخيرة إلى البشر، الرسالة الَّتي بُعث بها الأنبياء، ونزلت بها الكتب، وحملها بعد الرسل خلفاؤهم ووارثوهم.

هي الرســـالة الَّتي امتدَّت طولًا حتَّى شـــملت آباد الزمن، وامتدت عرضًا حتَّى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقًا حتَّى اســـتوعبت شؤون الدُّنيا والآخرة، كما وصفها الإمام حسن البنا.

والرســـول محمَّد يؤْمـــر بهذا الأمـــر ﴿ ٱدۡعُ ﴾، ومعـــه كلّ من يفهم الخطاب ويقدر على تحمُّله، ويصلح أن يُكلَّف به.

ولكن إلامَ يدعو؟

قلنا: إنَّه يدعو إلى الله، كما دعا إليه كلُّ الأنبياء والرسل في كلِّ الأمم وكلِّ العصور، ولكن هذا يحتاج إلى شـــرح لتحديد مفهوم هذه الرسالة الهائلة الكبيرة، حتَّى نعرف نحن أتباع الرسل، الَّذين حُمِّلنا أن نعمل مع الرســـل، ونعمل بعد الرســـل، ونعمل بعد أصحاب الرسل ومن اتبعهم بإحسان بوضوح معنى الدعوة إلى الله، فالمقصود بالدعوة إلى الله تعالى: الدعوة إلى ســـبيله. كما قال تعالى في الآية الَّتـــي معنا: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ وسبيل الله هو الطريق الموصِّل إليه، والله تعالى لا يصل إليه أحد من الخلق، بحيث يقترب من الله العظيم قربًا ماديًّا حســـيًّا مكانيًّا، فهذا تصور لا يليق؛ فـــالله ليس بمـــادي، ولا تحكمه المـــادة، ولا قوانينها،

QaradawiBooks.com

ولا تؤثر فيه بأيِّ وجه من الوجوه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والدعوة إلى سبيل الله دعوة إلى طريقه ومنهجه، حتَّى تَبين للنَّاس حقيقةُ هذا الدِّين، وأصوله وفروعه، وواجباته وسننه ومستحبَّاته، وما يحل وما يحرم وما يكره، وما الَّذي ينبغي أن يكون عليه من يؤمن بهذا الدين من الأخلاق الظاهرة والباطنة.

وهذه الدعوة موجَّهة إلى كل البشر من لدن رسول الله ﷺ إلى قيام الساعة، وهؤلاء تختلف معارفهم وبيئاتهم وطبائعهم، منهم العالم ومنهم الأميُّ، ومنهم البدوي ومنهم الحضري، ومنهم العاطفي ومنهم العقلاني، ويتفاوتون في مقدار الفهم والقدرة على التعلم، هناك شخصيات حباها الله بما لم يعط لغيرها، من القدرة على الفهم والربط والاستنتاج، كما أنَّ هناك من العلم ما لا يتاح إلَّا لأهله، لا تحسنها العامة، ولا تفهمها إن عرضت عليه. المهم أنَّ الدعوة إلى الله هي دعوة النَّاس كل النَّاس إلى سبيله سبحانه كل حسب استعداده وحسب ما يلائمه.

لذا فبعد أن أمر الله محمدًا ﷺ ومن معه بالدعوة إلى سبيل ربه ـ أي: إلى منهجه الَّذي لا يُوصِّل إلى الحق وإلى الخير وإلى الرشد غيره ـ حدَّد له الآلات والوسائل الَّتي سيستخدمها في هذه الدعوة، فقال: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

الدعوة الَّتي أمر الله بحملها «ادعُ» أمر ـ أيضًا ـ أن تكون بثلاث طرائق، أو ثلاث وسائل:

QaradawiBooks.com

• **الأولى: وسيلة الحكمة**، والحكمة كلمة قرآنية ذكرها القرآن في سياقات خاصة، ومدح تعالى أصحابها فقال: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وقال تعالى عن لقمان الَّذي اشتهر بين النَّاس بالحكمة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

وقد بعث الله نبيَّه محمدًا لتتعلم أُمَّته منه كتاب الله، وتبلغه إلى النَّاس، ويعلمهم مع الكتاب الحكمةَ ويزكيهم، وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين.

ولقد وضح هذا المعنى في القرآن حين ذكر في ثلاث سور أربع مرَّات:

قال تعالى في سورة البقرة على لسان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

وقال في سورة آل عمران: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

QaradawiBooks.com

وفي سورة الجمعة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

• هناك من النَّاس عقليُّون، يقتنعون بعقولهم، كالَّذين وصفهم الله تعالى في قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. وهم الَّذين أمر الله رسوله أن يدعوهم بالحكمة.

• وهناك أناس عاطفيون، تحركهم العواطف والمشاعر، وهم الَّذين أمر الله نبيهم أن يدعوهم بالموعظة الحسنة، الوسيلة الثانية للدعوة، والَّتي عطفها القرآن على الوسيلة الأولى وهي الحكمة.

وهذان الصنفان هم من الموافقين، الَّذين يستجيبون للدعوة، إذا أحسن الداعي دعوتهم: أولو الألباب الَّذين غلب عليهم العقول الحكيمة، وأهل الموعظة الحسنة ممَّن غلبت عليهم العواطف الطيِّبة!

• وهناك صنف ثالث من المدعوين، لهم معتقدات مخالفة، تسيطر على عقولهم وعواطفهم، لكنَّهم في الوقت نفسه لم يناصبوا الدعوة العداء، وإن لم يقبلوها، وهم الَّذين أمر الله نبيه أن يدعوهم بوساطة «المجادلة الحسنة»، كما قال سبحانه في القرآن: ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

فهؤلاء لا يجوز أن يُحارَبوا ويُوضَعوا مع أهل السلاح، الَّذين اضطروا أهل الإسلام إلَّا أن يقفوا لهم مقاومين لعدوانهم، مدافعين ضد طغيانهم، لوقوفهم في وجه الدعوة، ومحاربتهم لها بالباطل.

أمَّا هؤلاء أهل الجدال بالَّتي هي أحسن، فهم وإن كانوا كفَّارًا في الأصل، لكنَّهم يريدون أن يعرفوا من نحن؟ وماذا نريد منهم؟ ولماذا

QaradawiBooks.com

نرفض شـــركهم ووثنيتهم؟ والقرآن يقدِّر منهم هذا الموقف الَّذي خرج عـــن العنف المتعصِّـــب، أو عـــن التعصُّـــب العنيف، واســـتمع إليهم، وحاورهم، ورد شبهاتهم، وأسمعهم ما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

ومن هنا كانـــت عبارة القرآن عنهـــم عبارة رقيقـــة، كأنَّما تلاطفهم، وتقترب منهم، ليســـمعوا ما عندنا من حقٍّ، ويفضوا إلينا ما عندهم من باطل، ونحن نحاول أن نردَّ باطلهـــم بحقِّنا، وما في جاهليَّتِهم من زيفٍ بما عندنا مـــن منهجِ ربِّنا الحـــقِّ، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وقد أمر القرآن نبيَّه أن يجادلهم بالَّتي هي أحسن، وقد كان يمكن أن يأمره بأن يجادلهم بطريقتهم نفسها، فإن لانوا لان معهم، وإن خشنوا له خشـــن لهم. لكن القرآن جفا هذا الموقف الَّذي ينبئ عن حُمُوشـــة في الصدر، وخشونة في الطبع، وأبى إلَّا أن نكون الأشرح صدرًا، والأوسع قلبًا، والأحســـن فؤادًا، وكلُّ إناء ينضح بما فيه، والله يحب من المؤمنين أن يكونوا أبدًا محسنين.

نماذج من دعوته ﷺ:

ولننظر إلى هذه النماذج من ســـيرة إمام الدعـــاة وخير المبلغين عن الله ﷺ، لنرى حكمته في الدعوة، وتقديمه الأهـــم على المهم، والرفق واللين لمن يحتاجهما، على الشدة والغلظة، والسماحة على الانتصاف، وحب هداية الخلق على دواعي الانتقام، وهو في ذلك كله يعالج الأدواء بالدواء الأنسب، والعلاج الأنفع.

ولنرى أنَّ دعوة النبيِّ لم تكن دعوة نظريَّـــة بيانيَّة فقط، وإنَّما كانت دعوة نظريَّـــة وعمليَّة، فأخلاق الداعية من الحـــرص على هداية الضالِّ،

QaradawiBooks.com

وتعليم الجاهـــل، والأخذ بيد المتعثِّـــر، مع الرفق والليـــن، كانت هذه الأخلاق يراها الصحابة في مواقف النبيِّ ﷺ اليوميَّة.

عن عائشـــة رضي الله عنها قالت: قال لي رســـول الله ﷺ: «**لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت، ثمَّ لَبَنَيْتُه على أســـاس إبراهيم** عليه السلام**، فإن قريشًـــا استقصرتْ بناءَه، وجعلتُ له خَلْفًا**»(١).

ومعنى «**جعلتُ له خَلْفًا**»: يعني بابًا من خلفـــه يخرج منه النَّاس إذا دخلوا البيت من وجهه.

وفي رواية أخـــرى: «**لولا أنَّ قومـــك حديثٌ عهدُهم فـــي الجاهليَّة فأخاف أن تنكر قلوبهم، لنظرتُ أن أُدْخِل الجَـــدْر في البيت، وأن أُلْزِق بابه بالأرض**»(٢).

والجدر أي الجدار، والمقصود حجر إسماعيل.

يرى ﷺ أنَّ الجاهليَّة قد غيَّرت وبدَّلت في صميم بناء الكعبة، فكان يريد أن يهدم الكعبـــة، ويُدخل فيها الحجر، ويعيد بناءها على أســـس إبراهيم عليه السلام، لكنَّه خشـــي أن تتغير قلوب بعض النَّاس، لقرب عهدهم بالجاهليَّة، فينكروا ما صنع، خصوصًا أن ما غيره المشركون، لا يمس عقيدة من العقائد الَّتي جاء بها الإســـلام، ولا يغض من قداسة الكعبة بيت الله.

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قـــال: بعث النبيُّ ﷺ خيلًا قِبَـــل نَجْدٍ، فجاءت برجل من بني حَنِيفة، يقال له ثُمَامَة بن أُثال، فربطوه بسارية من سواري

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٥٨٥)، ومسلم (١٣٣٣) (٣٩٨)، كلاهما في الحج.

(٢) رواه مسلم في الحج (١٣٣٣) (٤٠٥)، عن عائشة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ، فقال: «**ما عندكَ يا ثمامة؟**». فقال: عندي خير يا محمَّد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن كنتَ تريد المال فسَل منه ما شئت. فتُرِك، حتَّى كان الغد، ثمَّ قال له: «**ما عندك يا ثمامة؟**». قال: ما قلتُ لك، إن تُنعم تُنعم على شاكر. فتركه حتَّى كان بعد الغد، فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**». فقال: عندي ما قلتُ لك. فقال: «**أطلقوا ثُمامة**». فانطلق إلى نَخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثمَّ دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، يا محمَّد، والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغضُ إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهُك أحبَّ الوجوه إليَّ، والله ما كان من دينٍ أبغضَ إليَّ من دينك، فأصبح دينُك أحبَّ الدِّين إليَّ، والله ما كان من بلدٍ أبغضَ إليَّ من بلدك، فأصبح بلدُك أحبَّ البلاد إليَّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشَّره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلمَّا قدم مكَّة قال له قائل: صَبَوْتَ؟! قال: لا، ولكن أسلمتُ مع محمَّد رسول الله ﷺ، ولا والله، لا يأتيكم من اليمامة حبَّةُ حِنْطة، حتَّى يأذن فيها النبي ﷺ[1].

وتتجلَّى هذه العظمة الخلقيَّة ورُوح الداعية الحريص على مَدْعُوِّه في تعامله مع معاوية بن الحَكَم السُّلَمي الَّذي روى قصَّته الإمامان أحمد ومسلم:

فعن معاوية بن الحَكَم السُّلَمي قال: بينا أنا أصلِّي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجلٌ من القوم، فقلتُ: يرحمك الله! فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثُكل أُمِّياه، ما شأنكم تنظرون إليَّ؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلمَّا رأيتهم يصمتونني لكنِّي سكتُّ، فلمَّا صلَّى

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٣٧٢)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٦٤). والنجل هو: الماء الجاري القليل.

QaradawiBooks.com

رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلِّمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله، ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني. قال: «**إنَّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام النَّاس، إنَّما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**». أو كما قال رسول الله ﷺ، قلت: يا رسولَ الله، إنِّي حديث عهد بجاهليَّة، وقد جاء الله بالإسلام، وإنَّ منَّا رجالًا يأتون الكُهَّان. قال: «**فلا تأتهم**». قال: ومنا رجال يتطيَّرون. قال: «**ذاك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصُدَّنَّهم**». قال قلت: ومنا رجال يخطُّون. قال: «**كان نبيٌّ من الأنبياء يخطُّ، فمن وافق خطَّه فذاك**».

قال: وكانت لي جارية ترعى غنمًا لي قِبَل أُحُد والجُوَّانية، فاطلعت ذات يوم، فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسَف كما يأسفون، لكنِّي صككتها صكَّة، فأتيتُ رسول الله ﷺ، فعظَّم ذلك عليَّ. قلت: يا رسولَ الله، أفلا أعتقها؟ قال: «**ائتني بها**». فأتيته بها، فقال لها: «**أين الله؟**». قالت: في السماء. قال: «**من أنا؟**». قالت: أنت رسول الله. قال: «**أعتقها، فإنَّها مؤمنة**»[(١)].

وعن أنس بن مالك: بينما نحنُ في المسجد مع رسول الله ﷺ، إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب الرسول ﷺ: مَهْ مَهْ (كلمة زجر). قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تُزْرِموه، دعوه**». فتركوه حتَّى بال، ثمَّ إنَّ رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «**إنَّ هذه المساجد لا تَصلُحُ لشيء من هذا البول ولا القذر، إنَّما هي لِذِكْر الله ﷻ أو الصَّلاة وقراءة القرآن**». قال: فأمر رجلًا من القوم، فجاء بدلو من ماء فشنَّه عليه[(٢)].

---

(١) رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٧)، وأحمد (٢٣٧٦٢).

(٢) رواه مسلم في الطهارة (٢٨٥)، وأحمد (١٢٩٨٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد رواه الترمذي وغيره، عن أبي هُرَيْرة قال: دخل أعرابي المسجد والنبي ﷺ جالس، فصلَّى، فلمَّا فرغ قال: اللهمَّ ارحمني ومحمَّدًا، ولا ترحم معنا أحدًا.

فالتفتَ إليه النبيُّ ﷺ، فقال: «**لقد تَحجَّرتَ واسعًا**». فلم يلبث أن بال في المسجد، فأسرع النَّاس، فقال النبي ﷺ: «**أهريقوا عليه سَجْلًا من ماءٍ أو دلوًا من ماء**». ثمَّ قال: «**إنَّما بُعثتم مُيَسِّرين، ولم تُبعثوا مُعسِّرين**»[1].

ومعنى: «**لا تُزْرموه**». أي: لا تقطعوا عليه بولته، وداووا الأمر بما في وُسعكم. وعلاجه ميسور، وهو أن يصبوا عليه دلوًا من ماء، تزيل رائحة البول ثمَّ تجف بالشمس والهواء.

ومن الأخلاقيات النبويَّة الدعويَّة العالية: ما رواه أبو أُمامة الباهلي عن فتًى شابٍّ جاء إلى الرسول الداعية المربِّي المعلِّم، يستأذنه في ارتكاب الزنى، ولم يكد يسمعه الصحابة الكرام الَّذين أدَّب الإسلام عقولهم وضمائرهم وألسنتهم، حتَّى ثاروا لطلبه الغريب، ولكن الرسول ظلَّ يحاوره ويعلمه حتَّى أمسى الشاب لا يلتفت إلى شيء من الحرام.

عن أبي أُمامة قال: إنَّ فتى شابًّا أتى النبيَّ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، ائذن لي بالزنى! فأقبل القوم عليه، فزجروه، وقالوا: مه، مه. فقال: «**ادنُه**». فدنا منه قريبًا. قال: فجلس قال: «**أتحبُّه لأمِّك؟**». قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «**ولا النَّاس يحبُّونه لأمهاتهم**». قال: «**أفتحبُّه لابنتك؟**». قال: لا والله يا رسولَ الله، جعلني الله فداءك. قال: «**ولا النَّاس يحبونه لبناتهم**». قال: «**أفتحبُّه لأختك؟**». قال: لا والله، جعلني الله

(١) رواه أحمد (٧٢٥٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود (٣٨٠)، والترمذي (١٤٧)، وقال: حسن صحيح. كلاهما في الطهارة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مرقمة
QaradawiBooks.com

فداءك. قال: «**ولا النَّاس يحبُّونه لأخواتهم**». قال: «**أفتحبُّه لعمَّتك؟**». قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «**ولا النَّاس يحبُّونه لعمَّاتهم**». قال: «**أفتحبُّه لخالتك؟**». قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «**ولا النَّاس يحبُّونه لخالاتهم**». قال: فوضع يده عليه وقال: «**اللهمَّ اغفرْ ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجه**». قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[١].

ورضي التعامل مع الأعراب بمكارم الأخلاق، وبمحاسن الطباع، مع جفائهم وغلظتهم.

فعن أنس بن مالك قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْدٌ نَجْراني غليظُ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجَبذَه بردائه جبْذَة شديدة، حتَّى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثَّرت بها حاشية البُرْد من شدَّة جَبْذَتِه، ثمَّ قال: يا محمَّد، مُرْ لي من مال الله الَّذي عندك، فالتفت إليه رسولُ الله ﷺ، ثمَّ ضحك، ثمَّ أمر له بعطاءٍ[٢].

ونستمع هنا إلى ما رواه حبر الأمة ابن عبَّاس حين نزل قوله تعالى في مكَّة المكرمة: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وما واجه به محمَّد الأقربين والأبعدين.

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: «**يا بني فِهْر، يا بني عَدِيٍّ...**». لبطون قريش، حتَّى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «**أرأيتَكم لو أخبرتُكم**

(١) رواه أحمد (٢٢٢١١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والطبراني (١٦٢/٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٤٣): رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣١٤٩)، ومسلم في الزكاة (١٠٥٧).

QaradawiBooks.com

أنَّ خيلًا بالوادي تريد أن تُغير عليكم، أكنتم مصدِّقي؟». قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلَّا صدقًا. قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**». فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾[1].

وبعد ذلك ظلَّ رسولُ الله ﷺ يعمل ويدعو ويقابل المؤمنين، وينظم الأمور، حتَّى ذهب إلى المدينة دار الهجرة الجديدة، فأوَّل ما بنى فيها المسجد، الَّذي كان المشروع الأوَّل للمجتمع المسلم بعد الهجرة، وفي المسجد ظلَّ الرسول يدعو ويُعلِّم ويُنظِّم.

عن أبي هُرَيْرة: أنَّ رسولَ الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل، فصلَّى، فسلم على النبي ﷺ، فردَّ وقال: «**ارجعْ فصَلِّ، فإنَّك لم تُصَلِّ**». فرجع يُصلِّي كما صلَّى، ثمَّ جاء فسلَّم على النبيِّ ﷺ، فقال: «**ارجعْ فصلِّ، فإنَّك لم تُصَلِّ**». ثلاثًا، فقال: والَّذي بعثك بالحقِّ ما أُحسِن غيره، فعلِّمني، فقال: «**إذا قمت إلى الصلاة فكبِّر، ثمَّ اقرأْ ما تيسَّر معك من القرآن، ثمَّ اركع حتَّى تطمئنَّ راكعًا، ثمَّ ارفع حتَّى تعتدل قائمًا، ثمَّ اسجد حتَّى تطمئنَّ ساجدًا، ثمَّ ارفع حتَّى تطمئنَّ جالسًا، وافعل ذلك في صلاتك كلها**»[2].

والداعية لا يدَعُ موقفًا إلَّا استثمره لصالح الدعوة، حتَّى ينتصر الحقُّ على الباطل، وتعلو كلمةُ الله.

عن جابر، أنَّ رسولَ الله ﷺ أتى العالية، فمرَّ بالسوق، فمرَّ بجَدْيٍ أسَكَّ ميت، فتناوله، فرفعه، ثمَّ قال: «**بِكَم تحبُّون أنَّ هذا لكم؟**». قالوا:

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٧٠)، ومسلم في الإيمان (٢٠٨).
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٥٧)، ومسلم في الصلاة (٣٩٧).

QaradawiBooks.com

ما نحبُّ أنَّه لنا بشـــيء، وما نصنع به؟! قال: «**بكـــم تحبُّون أنَّه لكم؟**». قالوا: والله لو كان حيًّا لكان عيبًا فيه أنَّه أســـكُّ، فكيف وهو ميت؟ قال: «**فواللهِ لَلدُّنيا أهونُ على اللهِ من هذا عليكم**»[١].

الرسول ﷺ في كلِّ المواقف يتعرَّض للســـؤال، وعليه الإجابة، وإن يكن أعرابيًّا جافيًا ثائر الرأس، وهو أبدًا يُيسِّر ولا يعسِّر، ويُبشِّر ولا ينفِّر.

فهذا الرجل الأعرابي الَّذي يســـأل الرســـول عن فرائضه الأساسيَّة، وأعلن الرجل في النهاية أن لن يزيد عليها ولن ينقص منها، وحلف على ذلك، وأعلن الرسول قائلًا: «**أفلح إن صدق**»، فدلَّ هذا الحديث على أنَّه من أهل الجنَّة إن شاء الله.

عن طلحةَ بن عُبَيْد الله قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس، يُسْمَع دُوِيُّ صوته ولا يُفقه ما يقول، حتَّى دنا، فإذا هو يسأل عن الإســـلام، فقال رســـول الله ﷺ: «**خمسُ صلواتٍ في اليوم والليلة**». فقال: هل علـــيَّ غيرها؟ قـــال: «**لا، إلَّا أن تَطَوَّعَ**». قال رســـول الله ﷺ: «**وصيام رمضان**». قال: هل علـــيَّ غيره؟ قـــال: «**لا، إلَّا أن تَطَوَّع**». قال: وذكر له رســـول الله ﷺ الزكاة. قال: هل عليَّ غيرها؟ قـــال: «**لا، إلَّا أن تَطَوَّع**». قال: فأدبر الرجل، وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. قال رسول الله ﷺ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَق**»[٢].

عن أنـــسٍ: أنَّ نبـــيَّ الله ﷺ كتب إلى كســـرى، وإلى قيصـــر، وإلى النجاشي، وإلى كُلِّ جبَّار يدعوهم إلى الله تعالى، وليس بالنجاشي الَّذي صلَّى عليه النبي ﷺ[٣].

---

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٥٧)، وأحمد (١٤٩٣٠). والأسكُّ: صغير الأذن.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١)، كلاهما في الإيمان.

(٣) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٧٤).

غير مرخصة للطباعة
نسخة خاصة
QaradawiBooks.com

وهكذا ظلَّ طوال حياته، يدعو إلى الله كلَّ النَّاس، كلَّ الشعوب، وكلَّ الملوك من الأباطرة والقياصرة والأكاسرة.

عن معاذ بن جبلٍ قال: بعثني رسولُ الله ﷺ قال: «**إنَّك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فادعُهم إلى شـــهادة أن لا إلٰه إلَّا الله، وأنِّي رسولُ الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كلِّ يومٍ وليلة، فإن هم أطاعوا لذلــك، فأَعْلِمْهم أنَّ الله افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ في فقرائهم**»[(١)].

عن نصر بن عاصم، عن رجلٍ منهم: أنَّه أتى النبيَّ ﷺ فأسلم على أنَّه لا يصلي إلَّا صلاتين، فقبل ذلك منه[(٢)].

عن أنس، أنَّ رســول الله ﷺ قال لرجلٍ: «**أسلم**». قال: أجدني كارهًا. قال: «**أسلم، وإن كنتَ كارهًا**»[(٣)].

عن وهبٍ قال: سألتُ جابرًا عن شأن ثَقِيفٍ إذ بايعتْ. قال: اشترطتْ على النبيِّ ﷺ أن لا صدقةَ عليها ولا جهاد. وأنَّه سمع النبيَّ ﷺ بعد ذلك يقول: «**سيتصدَّقون ويجاهدون إذا أسلموا**»[(٤)].

عن عائشة رضي الله عنها، أنَّها قالت للنبيِّ ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يوم أحد؟ قال: «**لقد لقيتُ من قومك ما لقيتُ، وكان أشدَّ ما لقيتُ**

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٩٦)، ومسلم في الإيمان (١٩).
(٢) رواه أحمد (٢٠٢٨٧)، وقال مخرِّجوه: رجاله ثقات. وابن أبي شيبة في مسنده (٩٩٥).
(٣) رواه أحمد (١٢٨٦٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والبزار (٦٥٦٣)، وأبو يعلــى (٣٨٧٩)، وقال الهيثمي في مجمــع الزوائــد (٩٥٨٣): رواه أحمد وأبو يعلى، ورجالهما رجال الصحيح.
(٤) رواه أحمد (١٤٦٧٣، ١٤٦٧٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في الخراج (٣٠٢٥).

QaradawiBooks.com

منهم يوم العقبة، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد يَالِيلَ بن عبد كُلَال، فلم يُجبني إلى ما أردت، فانطلقتُ وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفِقْ إلَّا وأنا بقَرْن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إنَّ الله قد سمع قول قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئتَ فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلَّم عليَّ، ثمَّ قال: يا محمَّد. فقال: ذلك فيما شئتَ، إن شئتَ أن أطبق عليهم الأخشبين!». فقال النبيُّ ﷺ: «بل أرجو أن يُخْرِج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا»[1].

مُمَيِّزات دعوة محمَّد عن غيرها من الدعوات:

تميَّزت دعوة النبيِّ ﷺ عن غيرها من الدعوات سواء الأرضيَّة الوضعيَّة أو الدينيَّة السماويَّة بمميزات عدَّة:

- **دعوة ضاربة في أعماق التاريخ:**

كانت الدعوة الَّتي حمَّلها الله ربُّ العالمين لرسوله الأخير محمَّد بن عبد الله العربي دعوة تاريخيَّة، حمَلها كلُّ الرسل الَّذين بعثهم الله إلى أقوامهم في أزمنة مختلفة وبلاد مختلفة، كلهم دعوا النَّاس إلى عبادة رب واحد، هو الخالق الأعلى، والربُّ الأعظم، وأن يجتنبوا عبادة الطاغوت، أي: كل ما يُعبد من دون الله، ويسبِّب الطغيان والتعدِّي على حقوق النَّاس وحرياتهم، كما ذكر الله تعالى في القرآن: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٣١)، ومسلم في الجهاد (١٧٩٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• **دعوة هداية:**

وهذه الدعوة المشتركة لأنبياء الله ورسله، هي دعوة هداية، من الحق إلى الخلق، تهديهم إلى الصراط المستقيم، صراط الله الَّذي له ما في السماوات وما في الأرض، لا تخضع لأيِّ مخلوق بشريٍّ أو مَلَكيٍّ أو جنِّيٍّ أو حيوانيٍّ أو نباتيٍّ، أو غير ذلك ممَّا عبده النَّاس، فضلُّوا عن ربهم الَّذي خلقهم، وأنعم عليهم من فوقهم ومن تحتهم، وعن أيْمَانهم وعن شمائلهم.

دعاهم رسول الله إلى أن يجرِّدوا أنفسهم من العبوديَّة لغير الله، ومن اتِّباع غير رسول الله الَّذي بعثه الله إليهم، وأن يدعوا النَّاس إلى الحرية الحقيقية، فلا يُستعبدوا لغير الله، ولا يشركوا به أحدًا من مخلوقاته. كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

ودعاهم إلى ألَّا يسجد أحدٌ لأحد، مهما كان نصيبه من المال، أو قدره من العلم، أو مكانه من الفضل، فكل النَّاس سواسية كأسنان المُشْط الواحد، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي إلَّا بالتقوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣].

ودعا الجميع أن يتخلَّقوا بالأخلاق الفاضلة، المقدورة للجميع، والَّتي بها يرقى الجميع، والَّتي اتصف بها رسولهم الأعظم محمَّد، الَّذي أثنى الله عليه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: ٤]، فما أعظم الثناء! وما أعظم المُثْنِي! وما أعظم المُثْنَى عليه!

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقالت عائشة زوجته رضي الله عنها في وصف هذه الكلمة: كان خُلُقه القرآن[١]. أي: من أراد أن يعرف أخلاق محمَّد وفضائله الربانية والإنسانيَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة وغيرها، فليقرأْ القرآن، ليعرف تفاصيل أخلاق محمَّد.

• **دعوة عالميَّة:**

وكانت هذه الأخلاق الَّتي دعا إليها محمد: أخلاقًا عالميَّة، ودعوة عالميَّة، لم تكن لأمَّة دون أمَّة، أو شعب دون شعب، إنَّما هي رسالة للبشر، أيًّا كانوا، في الشرق أو الغرب، من العرب أو من العجم، من البيض أو من السود، من الأغنياء أو من الفقراء، ولذلك أعلن من أوَّل يوم: أن رسالته عالميَّة، لكل النَّاس، ولكل الأجناس، كما وضَّح ذلك في قرآنه، وهو كلام ربه الأوَّل الَّذي يضيء للنَّاس المعاني الأولى، والمعالم الأولى، والفرائض الأولى، والمحرَّمات الأولى. ولذلك كثر في كتابه المبين (القرآن): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾، وكثر نداؤه ﷺ: يا عباد الله. وقال تعالى في كتابه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فهي رسالة رحمة عالميَّة، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

قال العلَّامة أبو الأعلى المودودي رحمه الله (ت: ١٩٧٩م): «إنَّ محمدًا ﷺ هو الوحيد من بين جماعة الأنبياء وهداة الأديان قام بدعوى أن رسالته لبني البشر كلهم ما دام لهم وجود على وجه الكرة الأرضية، كما أنَّ ذلك عين ما حصل فعلًا، أرسل الرسائل في حياته إلى ملوك الأرض وعظماء

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأحمد (٢٤٦٠١).

QaradawiBooks.com

الأمم، وانتهت دعوته إلى كل ناحية من نواحي الأرض، وإلى كلِّ أُمَّة من أممها. وهذه ميزة لمحمَّد ﷺ لا يشاركه فيها أحد غيره. فمن الأنبياء وهداة الأديان من لم يقم بدعوى العالميَّة، ولا قُدِّرت لدعوته أصلًا، ومنهم من قدرت لدعوته العالميَّة، ولكنَّه بنفسه ما قام بدعواها، ولا بذل شيئًا من الجهد في تحقيقها.

إذن فإنَّ محمدًا ﷺ هو الوحيد الَّذي قام بدعوى العالميَّة وبذل لتحقيقها الجهود، وأخيرًا نالها فعلًا»[1].

وقد أعلن محمَّد أنَّ القرآن الَّذي أنزله الله عليه تبيان لكل شيء وهدًى ورحمة وبشرى للمسلمين، كما قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

• **دعوة موجهة إلى النَّاس كافة:**

هذه الدعوة الربانيَّة القرآنيَّة المحمَّديَّة العالميَّة الوسطيَّة المجدِّدة والمزكِّية، مطلوب منها أن توجه أعلامها بأنوارها وهدايتها إلى النَّاس كافة:

أ. **إلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها**، أيًّا كان موقعهم في شرق أو غرب، وأيًّا كانت لغتهم العربيَّة أو غيرها، وأيًّا كانت مذاهبهم، وأيًّا كان قربهم من القرآن والسُّنَّة أو بُعدهم عنهما أو عن واحد منهما.

ب. **إلى أهل الكتاب** الَّذين عرفوا رسالات السماء من قبل، وإن كانت رسالاتهم قد نُسخت بالرسالة الأخيرة، رسالة محمَّد ﷺ، وعملت

(١) الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لأبي الأعلى المودودي صـ ١٨٩، نشر دار الخلافة للطباعة والنشر.

QaradawiBooks.com

فيها أيدي النَّاس بطول الزمـــن، فحرَّفت العقائد، وأدخلت في العبادات ما ليس منهـــا، وأخرجت منها ما هو من صُلبهـــا، وبدَّلت من الأخلاق الَّتـــي حثت عليهـــا الأديـــان ما بدَّلـــت. وهذا ما نـــراه فـــي الديانتين الســـماويتين، والكتابين الإلٰهيين، اللذين أُنزلا على موسى وعيسى بن مريم، وهمـــا: اليهودية والنصرانيـــة. وقد ناداهما الله تعالـــى في قرآنه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

جـ. **إلى المشركين أو الوثنيِّين**، الَّذين عبدوا الأصنام، أو عبدوا البشر، أو عبدوا الحيوانـــات أو النباتـــات، أو الأفلاك من الشـــمس أو القمر أو النجوم، أو ما شاء البشر أو شـــاء لهم الشيطان أن يعبدوا من دون الله، فقد رأينا هـــؤلاء عبدوا بوذا، وهو بشـــر مثلهم. ومنهم من عبـــدوا البقرة الَّتي تعطيهم الحليب من ضرعها، ولا يعبدون الجاموســـة وهي أعظم عطاء من البقرة وأكبر قوة منهـــا، كما لا يعبدون الثور البقـــري، وهو أعظم قوة من الأنثى، ولولا ماء الثور ما حملت الأنثى، ولا كان لها تلك المكانة عندهم.

وهناك الَّذين يعبدون الفروج من الرجال أو من النســـاء، وهناك من يعبدون الشياطين، إلى آخر أنواع العابدين والمعبودين وما أكثرهم!

د. **وإلى الملحدين الجاحدين**، بكلِّ المعاني الدينيَّة وما يتفرَّع منها. ويكفي أنَّهم ينكرون الإلٰهيَّة وكل ما تفرع منها.

ويقول بعضهم: ممَّا انطلى على البشر الأغبياء أنَّهم اعتقدوا أنَّ هناك آلهة كثيرة فـــي الأرض يعبدها النَّاس، وهناك أخرى في الســـماء أو في الســـماوات يعبدها آخرون. وهـــم يعتقدون أنَّ كل الآلهـــة الَّتي يتَّخذها

QaradawiBooks.com

النَّاس في هذه الأرض إنَّما هي من مخترعاتهم، وأنَّه لا يوجد في هذا الكون إلَّا الأشياء الَّتي تستطيع أن تتصل بها بطريقة مادية مُحَسَّة: تستطيع أن تمسَّه بإحدى يديك، أو تذوقه بلسانك، أو تسمعه بأذنيك، أو تراه بعينيك، أو تشمه بأنفك، أو تتعرف عليه بأية حاسة عندك.

هؤلاء الملاحدة، ومثلهم الشُّكَّاك واللاأدريُّون، والذين يقولون: نحن شاكُّون، ولكنا لسنا متأكدين من هذا الشك، فإن هذه مشكوك فيها. خافوا إن تشبثوا بالشك وتمسَّكوا به أن يصبح حقيقة! وهناك تصير حجة عليهم، وهم لا يقبلون أن تكون هناك حجة واحدة.

تحت هؤلاء يدخل كل اللادينيين، الَّذين لا إلٰه لهم، ولا آخرة لديهم، ولا نبيَّ لهم، فهم يعيشون كما يعيش الحيوان من الأنعام وأمثالها، ممَّن ليس لهم همٌّ إلَّا ملء البطن، وإذا شعرت بالرغبة في الجسد أبدت لهم ما يدلُّ على ذلك، فقرَّبوها من ذلك الثور ليقضي منها حاجته، وإذا كانت الأنعام أو الحيوانات في حياة جماعيَّة تقضي حاجتها حسبما يحلو لهم.

قال الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله تعالى: «إنَّ من خصائص رسالة محمَّد ﷺ الَّتي بدأ الإيحاء بها إليه في غار حراء أنَّها جاءت **رسالة عالميَّة عامَّة** تبارك الَّذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

QaradawiBooks.com

ويقول بعض الناس: كيف تكون رسالة واحدة للنَّاس أجمعين مع اختلاف بلدانهم، وتباين أوطانهم وعاداتهم وألسنتهم ولغاتهم؟ إن هذا إغراق في الخيال ومجاراة للوهم. ويقول الواقع: لا وربي.. إنَّه لَحَقٌّ، فها هي ذي كل ثمرات العلم، ونتائج الاختراع والكشف، واتجاهات الأمم والشعوب والدول والحكومات، وسرعة طرق المواصلات، وتقارب أطراف الأرض، حتَّى إنَّ الراكب للطائرة ليفطر في أمريكا، ويتغدى في لندن ويتعشَّى في الهند، وتشابك مصالح النَّاس، وانتشار وسائل الثقافة المشتركة والمعرفة الموحدة بالمذياع والصحف والبرق.. كل أولئك ممَّا يهيئ الدُّنيا لهذه الوحدة، ويُجهِّز البشريَّة لهذه الغاية، ويجمع الأمم على ما أراد القرآن أن يجمعهم عليه، وليَعْلَمُنَّ نبأه بعد حين، وصدق الله العظيم: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

• **دعوة خالدة باقية:**

وإنَّ من خصائص هذه الرسالة كذلك أنَّها جاءت **رسالة خالدة باقية**، ختمت بها الرسالات، وانتهت بها النبوات، وانقطع بها وحي السماء إلى الأرض: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وكانت تلك نتيجة طبيعية لبلوغ الإنسانيَّة رشدها، وتيسير وسائل التفكير والتدبير والتنفيذ أمامها، وتسخير الأرض والسماوات وما فيهن لها.

ويقول بعض الناس: إنَّ هذا لعجيب! وكيف يتسنَّى لرسالة واحدة أن تساير العصور، وتماشي الأزمان، مع تطور العلوم والمعارف، وترقِّي الأذهان والمدارك، وتعدُّد حاجات النَّاس باتساع العمران، واختلاف الأزمان؟

QaradawiBooks.com

وتقول شريعة الإسلام الحنيف: إنَّ ربَّ النَّاس أعلم بشأنهم وأعرف بمقتضيات أزمانهم، ولهذا وضع لهم شـريعته على أسلوب من السَّعَة والمرونة يندفع معه الحرج، وتتجدد فيه الأحكام بتجدُّد الليالي والأيام، بل الأجيـال والأعـوام، وتحدث للنَّـاس أقضية بقـدر ما أحدثوا من الفجور، ويجد العقل في كل موطن أمامه أوسـعَ مدًى للبحث والنظر وتقليب الأمور، «**فمن أصاب فلـه أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد**»[(١)]، فالكلُّ مأجور.

ولقد صدَّق الواقع ذلك فعلًا؛ إذ امتدَّت الدولة الإسلاميَّة من شرق الأرض إلى غربها، ودخل النَّاس فيهـا أفواجًا، واطمأنُّوا تحت حكمها، فلم يضق بهم ذرعها، ولم يتجمَّد أمامهم شرعها، ووجد كلٌّ فيها الخيرَ والبرَّ، واهتدى بها سواء السبيل»[(٢)].

فهذه رسالة الله تعالى الدائمة إلى البشريَّة كلها إلى أن تقوم الساعة، كل ما يطلب فيها من تجديـد وإصلاح وإعادة التـوازن، وإعطاء القيم الدينيَّة والخُلُقية حقَّها، كل هذا من داخلها، وبأدواتها الأصلية، وبأيدي أبنائها وروَّادها وعلمائها، الَّذين يعطونهـا ما أخذوا منها، وينهضون بها لتتجدَّد باسـتمرار، وخصوصًا في كل مائة عام. كما في الحديث الَّذي رواه أبو داود وغيـره عن أبي هُرَيْرة مرفوعًـا: «**إنَّ الله تعالى يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سنة من يجدِّد لها دينها**»[(٣)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٣٥٢)، ومسلم في الأقضية (١٧١٦)، عن عمرو بن العاص.

(٢) من تراث الإمام البنا، الكتاب الخامس، عظات وأحاديث منبرية صـ ١٨١ ـ ١٨٣، نشـر دار الدعوة الإسكندرية، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٣) رواه أبـو داود في الملاحـم (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسـط (٦٥٢٧)، والحاكم في الفتن =

QaradawiBooks.com

وقد أعلن محمَّد ﷺ أنَّ دعوته ورسالته هذه العالميَّة في هدايتها هي الأخيرة والخاتمة، فليس بعدها رسالة دينيَّة مبعوثة من الله، ولذا قال تعالى في كتابه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وأعلن محمَّد ﷺ في أحاديثه الصحيحة المتكاثرة أنَّه آخر الرسل، وخاتم الأنبياء، فلا نبي بعده، يقول ﷺ: «**أنا الخاتم فلا نبيَّ بعدي**»[(١)]. وقال: «**إنَّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجلٍ بنى بيتًا، فأحسنه وأجمله، إلَّا موضعَ لبنة من زاوية، فجعل النَّاس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلَّا وُضِعت هذه اللبنة!**». قال: «**فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيِّين**»[(٢)].

وهذا ما صدَّقه الواقع، فقد مضت أربعة عشر قرنًا من الزمان، لم تظهر فيها دعوة يمكن أن تُسمع، تدَّعي أنَّها جاءت بدين جديد بعد دين الإسلام.

ثمار الدعوة المحمَّديَّة

لقد أينعت دعوة النبيِّ ﷺ في حياته، وظلت دعوته شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكُلها كل حين بإذن ربها، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨].

= والملاحم (٥٢٢/٤)، وسكت عنه ولكن نقل تصحيحه المناوي في فيض القدير (٢٨١/٢)، فلعله سقط من المطبوع، وسكت عنه الذهبي.

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي في الفتن (٢٢١٩)، وقال: صحيح. كلاهما في الفتن، عن ثوبان.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٣٥)، ومسلم في الفضائل (٢٢٨٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وكما قال المسيح عيسى بن مريم: «كلُّ شجرة جيدة تصنع أثمارًا جيدة، وأمَّا الشجرة الردية فتصنع أثمارًا رديَّة. لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارًا رديَّة، ولا شجرة رديَّة أن تصنع أثمارًا جيدة. كل شجرة لا تصنع ثمرًا جيدًا تُقطَع وتُلقَى في النار. فإذن من ثمارهم تعرفونهم»(١).

وأول هذه الثمرات الَّتي أثمرتها الدعوة النبويَّة أنَّها رفعت قيمة الإنسان، وأعلنت أنَّه المخلوق المكرَّم المفضل المستخلف لله في الأرض، المصوَّر في أحسن صورة وأحسن تقويم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [التغابن: ٣]، ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

كان كثير من النَّاس قبل الإسلام وثنيين يعبدون الشجر والحجر والشمس والقمر، والعجل والبقر، وهناك من عبد النار، وعكس هؤلاء طائفة عبدوا الماء، وعرفت البشريَّة من عبدوا الخيل، ومن عبدوا الجن، كما قال تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤١].

ومعنى ذلك أنَّ الإنسان في نظر هؤلاء الوثنيين أقل من الحجر، وأقل من الشمس والنجوم، وأقل من الحيوانات، وأقل من الأحجار، وهذه المعبودات جعلها عابدوها في مقام السيد، وجعلوا أنفسهم وأتباعهم في مقام العبد الذليل.

(١) إنجيل متَّى (٧/١٧ ـ ٢٠).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال ابن إسحاق يصف حال العرب قبل بعثة النبي ﷺ: واتَّخذ أهل كلِّ دار في دارهم صنمًا يعبدونه، فإذا أراد رجل منهم سفرًا تمسَّح به، وإذا قدم من سفر تمسَّح به، فيكون آخر عهده به وأوَّل عهده به[١].

وقال أبو رجاءٍ العطاردي: كنا نعبد الحجر في الجاهليَّة، فإذا وجدنا حجرًا هو أحسن منه نُلقي ذلك ونأخذه، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا جُثْوة من تراب، ثمَّ جئنا بالشاة فحلبناه عليه، ثمَّ طُفْنا به[٢].

وكذلك قال عمرو بن عبسة: كنت امرأً ممَّن يعبد الحجارة؛ فينزل الحي ليس معهم إلٰه، فيخرج الرجل منهم، فيأتي بأربعة أحجار، فينصب ثلاثة لقِدْره، ويجعل أحسنَها إلهًا يعبده، ثمَّ لعلَّه يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل، فيعتزله، ويأخذ غيره[٣].

تُرى أي هوان أصاب الإنسان وأي ضلال لَحِقَه حتَّى ركب هذه الأضاليل؟

ولما فتح رسول الله ﷺ مكَّة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنمًا، فجعل يطعن بسيفه في وجوهها وعيونها ويقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، وهي تتساقط على رؤوسها، ثمَّ أمر بها فأخرجت من المسجد وحرقت[٤].

جاءت دعوة محمَّد لتقول لهؤلاء الوثنيين: إنَّ الشمس والقمر والنجوم ما هي إلَّا كواكب مسخرات بأمره تعالى، لا يجوز أن ينحني لها

(١) السيرة النبويَّة لابن هشام (٨٣/١).

(٢) رواه البخاري في المغازي (٤٣٧٦).

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (٢١٧/٤).

(٤) انظر: إغاثة اللهفان لابن قيم (٩٧٢/٢)، تحقيق محمد عزير شمس، نشر دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٢هـ.

QaradawiBooks.com

الصلب راكعًا، أو يخرَّ من أجلها الوجه ساجدًا، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وكلُّ ما يُدْعَى من دون الله في الأرض أو السماء، هو مخلوق عاجز لا قدرة له، محتاج لا قيام له بذاته، ضعيف لا يقوى على حماية نفسه ولا غيره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۞ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤]، ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

حتى القوم الَّذين كانوا قريبي العهد بالكتب السماوية والنبوات الهادية ـ وهم اليهود والنصارى ـ ضلُّوا طريق التوحيد، وزحفت عليهم الوثنيات، فأفسدت عليهم دينهم.

فاليهود فسد تصورهم للألوهية، ونسبوا إلى الله ما لا يجوز أن يُنسب إليه من صفات النقص، فهو ـ تعالى عما يقولون ـ يجهل ويندم ويتعب ويُصارع ويُصرعَ إلى آخر ما في أسفار العهد القديم، ورأوا أنفسهم فوق البشر، وأنَّهم شعب الله المختار.

والنصارى غزتهم الوثنيَّة، فتسرَّب دين المسيح من بين أيديهم، كما يتسرَّب الماء من بين الأصابع! والمؤسف حقًّا أن ديانة المسيح الحقَّة لم

QaradawiBooks.com

تكد تعيش على سلامتها وتوحيدها إلَّا فترة قصيرة جدًّا، وانتهوا إلى تلك العقيدة العجيبة: الإيمان بالله الواحد الأب، وبالربِّ يسوع المسيح ابن الله! إلٰه حق من إلٰه حق! تجسد من رُوح القدس وصار إنسانًا وحُمل به ثمَّ ولد من مريم البتول، وأَلِمَ وشُج وقُتل وصُلب ودُفن، إلخ.

وهكذا أصبحت النصرانية مزيجًا من الخرافات اليونانية، والوثنيَّة الرومية، والأفلاطونية المصرية.

والمهم أنَّ القوم عبدوا المسيح الَّذي كان من أشد النَّاس عبادة لله واعترافًا بعبوديته لربِّه! واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وأسرف المسيحيون في عبادة القديسين والصور المسيحية، كما يقول «سيل» ـ مترجم القرآن إلى الإنجليزية ـ عن نصارى القرن السادس[1].

جاءت دعوة الإسلام لتصحِّحَ المسير، وتُحَرِّر الإنسان من العبوديَّة للإنسان، فأسقطت كلَّ الآلهة المزيَّفين الَّذين قدَّسهم النَّاس، واتخذوهم أربابًا من دون الله أو مع الله، سواء كانوا من رجال الدِّين أم من رجال الدُّنيا والسلطان، كما قال تعالى في شأن أهل الكتاب: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وكانت الآية الَّتي ختم بها الرسول الكريم رسائله إلى قيصر والمقوقس والنجاشي، وغيرهم من أمراء النصارى قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

---

(١) Sale's Translation, p. 62 (1896).

QaradawiBooks.com

وكانت هذه الكلمة ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إيذانًا بميلاد جديد للبشريَّة، فلا يتأله بعضهم على بعض، ولا ينحني بعضهم لبعض، ولا يسجد بعضهم لبعض، ارتفعت الجباه، فلا تسجد إلَّا لخالقها، واستقامت الظهور فلا تركع إلَّا لبارئها، وعز النَّاس فلا يذلون إلَّا لله الواحد القهار.

الله وحده هو الَّذي تتجه إليه القلوب راجية خائفة، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وهو الَّذي تمتد إليه الأيدي والألسن سائلة ضارعة، وهو الَّذي يملك وحده العطاء والمنع، والخفض والرفع، والحياة والموت.

وهو وحده الَّذي يملك حق التشريع المطلق للبشر، بحكم خلقه إياهم، وإمدادهم بالنعم الَّتي لا تحصى، فهو الَّذي يملك أن يحرِّم عليهم، وأن يحل لهم، فهو الَّذي (له الحكم)، و(له الخلق والأمر)، ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

فخلاصة الدعوة المحمَّديَّة أن كل الكون مسخر للإنسان، والإنسان عبد لله. وأن مقام الإنسان هو السيادة على المخلوقات[1].

كانت لهذه النظرة للكون وللإنسان أثرها في أنَّها جعلت الحضارة الإسلاميَّة تفتح أقفال الكون بالتجربة والمشاهدة، وما وصلت الحضارة الغربية اليوم إلى القمة في تسخير الكون، فذلك بسبب أنَّها أخذت هذا المعنى عن الحضارة الإسلاميَّة وقد اعترف بذلك أساطين الحضارة الغربية من أمثال «دريبر» في كتابه عن «النزاع بين العلم والدين»،

(١) الرسول لسعيد حوى (١٥٠/٢)، ط١، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

QaradawiBooks.com

و«غوستاف لوبون» في «حضارة العرب»، و«جورج سارتون» في «تاريخ العلم والدين»، و«بريفولت» في «بناء الإنسانيَّة» وغيرهم ممَّن أثبتوا بالأدلة التاريخيَّة اكتشاف المسلمين للمنهج العلمي التجريبي قبل أن تعرفه أوروبا بقرون. وأن علماء المسلمين لهم فضل السبق بذلك قبل «بيكون» وغيره.

* * *

نسخة مجانية
غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الرسول البليغ

لم تكن معجزة النبي الخاتم ﷺ من جنس معجزات الأنبياء من قبله، الَّتي كانت في مجملها خوارق حسية كونية، وهي معجزات عظيمة بلا شك، فقد اقتضت الحكمة الإلٰهيَّة أن تكون معجزته ﷺ معجزة أدبيَّة عقليَّة معنويَّة، لتكون باقية على مر الدهر، تمضي الأيام والسنون والأعوام والدهور والأعصار، وهي حيَّة باقية، فتناسب الرسالة الخاتمة الخالدة، هذه المعجزة هي القرآن، الكتاب العزيز الَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، لذا قال تعالى عنه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وفي صحيح البخاري، عن النبيِّ ﷺ قال: «**ما من الأنبياء من نبيٍّ إلَّا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنَّما كان الَّذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»[1].

تحدَّى الله بهذا الكتاب العرب وهم أرباب اللسان، وفرسان الفصاحة البيان، أن يأتوا بمثله، فعجزوا، فطلب منهم عشر سُوَر مفتريات يدانون بها القرآن، فغُلِبوا، فطلب منهم أن يأتوا بسورة من مثله، فانقطعوا.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٤٩٨١)، ومسلم في الإيمان (١٥٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

كان الرسول الكريم إذا أوحي إليه هذا الكتاب وهو بين أصحابه، يرون ما يعانيه من شدَّة الوحي وثِقَله، قال زيد بن ثابت: أُنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي، فكادت تَرُضُّ فَخذي[١].

قالت عائشة: ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشديد البرد، فَيَفْصِمُ عنه وإنَّ جبينه ليتفصَّدُ عرقًا[٢].

وفي المسند عن عائشة قالت: إن كان ليُوحَى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته، فتضرب بِجِرَانِها[٣].

ويحكي هو عن نفسه مجيبًا بعض أصحابه حينما سأله: كيف يأتيكَ الوحيُ؟ قال: «**أحيانًا يأتيني في مثلِ صَلْصَلة الجرس، وهو أشدُّه عَلَيَّ، فَيَفْصِمُ عني، وقد وَعَيْتُ عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي المَلَكُ رجلًا، فيكلِّمُني، فأعِي ما يقول**»[٤].

وبعد أن يرتفع عنه الوحي ينقل لصحابته كلامًا غير كلام البشر العادي، له رونقه الخاص، ومعانيه الخاصَّة، وأسلوبه الخاصُّ، بحيث يشهد من يعرف العربيَّة وأساليبها في الكلام من شعر ونثر ومرتجل ومنمَّق بأن هذا القرآن أعلى وأسمى وأرفع من هذا كله، حتَّى قال بعض المشركين المكذبين لمحمد ﷺ: والله إن لهذا الكلام لحلاوة، وإن عليه

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٥٩٢).

(٢) رواه البخاري في بدء الوحي (٢).

(٣) رواه أحمد (٢٤٨٦٨)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٩٣٧): رجاله رجال الصحيح.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٢)، ومسلم في الفضائل (٢٣٣٣)، عن عائشة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمُغْدِق، وإنَّه يعلو ولا يُعلى[١]. إنَّه ليس من كلام الجن، ولا من كلام البشر.

وقد رأينا بعض الغربيِّين في عصرنا يسمع خُطبًا مُطْنَبة لبعض خطبائنا الحاذقين، فتمر فيها استشهادات بآيات من القرآن الكريم، فإذا بهؤلاء الأجانب يشهدون بفطرتهم أن هذا الكلام له رُوح غير روح هذا الكلام.

وكان هذا القرآن الَّذي شغل الدُّنيا كلها بما جاء به، ممَّا حيَّر الحليم، وأعجز الحكيم، وأفحم العليم؛ هو المعجزة الكبرى لهذا الرسول الأخير للعالم من عند الله، وهو أكبر من كل ما جاء به المرسلون على اختلاف العصور.

وكان من الإعجاز الإلٰهي في شأن محمَّد ﷺ: أنَّه اختاره (أميًّا) لا يقرأ ولا يكتب، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۞ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ۞ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [العنكبوت: ٤٨ ـ ٥٠].

وكان محمَّد ﷺ الَّذي ينزل عليه هذا الكتاب من ربه، متأثرًا به، فكلامه كأنَّه تنزيل من التنزيل، أو قبسٌ من نور الذكر الحكيم. ومن يتتبَّع كلامه هذا يجده غير القرآن من غير شك، ولكنَّه يجد له به صلة، وله منه نور، ورُوح يسري في حروفه، فتجد فيه من السمات ما تجعله قمة البلاغة الَّتي يستطيعها البشر.

---

(١) رواه الحاكم في التفسير (٥٠٦/٢)، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، والبيهقي في دلائل النبوة (١٩٨/٢)، وجود إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ ٣٢٤، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

ونحن باعتبارنا عربًا مشغولين بالقرآن العربي، وبالبيان العربي، وبالأدب العربي، وبالشعر العربي، وبالنثر العربي، وبكل ما قاله العرب من الرسائل والقصص والمقامات والمخاطبات والأمثال، إلخ؛ نحن نعرف أنَّ هناك فرقًا بين كلامنا مهما كانت بلاغته وبيانه وبين القرآن الكريم، فليس هناك مجال لأيِّ خلط بين هذا الكلام الإلٰهي وبين الكلام البشري الَّذي يجيء به سيِّد البشر وسيِّد متكلِّميهم محمَّد بن عبد الله ﷺ.

يقول شوقي:

يا أَفْصَحَ النَّاطقيـنَ الضَّادَ قاطبةً حديثُكَ الشَّهدُ عند الذَّائقِ الفَهِمِ
حلَّيتَ من عَطَلٍ جِيـدَ البَيَانِ به فـي كلِّ منتَثِرٍ في حُسْـنِ مُنتَظِمِ
بِـكُلِّ قـولٍ كَريـمٍ أَنـتَ قائلُه تُحيِـي القلوبَ وَتُحيِي مَيِّـتَ الهِمَمِ[1]

جوامع الكلم:

وممَّا امتازت به بلاغته ﷺ، واعتبر من الخصائص النبويَّة، الَّتي ذكرها علماء السيرة عنه ﷺ في جملة ما منَّ الله به عليه، واختصَّه به: جوامع الكلم.

والمراد به: الكلمات القليلة الحروف، المتضمِّنة لمعاني كبيرة، وهي كثيرة مبثوثة في كلامه الشريف، مثل:

- «**إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى**»[2].

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٩٧/١)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر بن الخطاب.

QaradawiBooks.com

- «**ليس الخبرُ كالمعاينة**»[١].
- «**إذا لم تستحِ فاصنعْ ما شئت**»[٢].
- «**من حُسن إسلامِ المرءِ تركه ما لا يَعْنِيه**»[٣].
- «**أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا**»[٤].
- «**الحياء لا يأتي إلَّا بخير**»[٥].
- «**إنَّ الله لا يملُّ حتَّى تملُّوا**»[٦].
- «**إنَّ الله لا ينظر إلى أجسامكم وصوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم**»[٧].
- «**بئس مَطِيَّةُ الرجلِ: زعموا**»[٨].

---

(١) رواه أحمد (١٨٤٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح، رجاله ثقات: رجال الشيخين. وابن حبان في التاريخ (٦٢١٣)، والحاكم في التفسير (٣٢١/٢)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس.

(٢) رواه البخاري في الأدب (٦١٢٠)، عن أبي مسعود الأنصاري.

(٣) رواه الترمذي في الزهد (٢٣١٧)، واستغربه، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٩١١)، وحسَّنه النووي في الأربعين (١٢)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أحمد (٢٤٦٧٧)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح لغيره. والترمذي في الإيمان (٢٦١٢)، وقال: صحيح. عن عائشة.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١١٧)، ومسلم في الإيمان (٣٧)، عن عمران بن حُصين.

(٦) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٠)، ومسلم (٧٨٢)، كلاهما في الصيام، عن عائشة.

(٧) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٨٢٧)، عن أبي هريرة.

(٨) رواه أحمد (١٧٠٧٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. وأبو داود في الأدب (٤٩٧٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٦٢)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٨٦٦)، عن أبي مسعود البدري.

QaradawiBooks.com

- «خيرُ النِّكاح أيسرُه»[١].
- «خيرُ الصَّدَاق أيسرُه»[٢].
- «إنَّ خيرَ دِينِكم أيسرُه»[٣].
- «أفضلُ الصدقةِ ما أبقت غِنًى»[٤].
- «اليدُ العُلْيا خيرٌ من اليد السفلى»[٥].
- «الناسُ مَعَادن»[٦].
- «دعْ ما يَريبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ»[٧].
- «إنَّ لصاحب الحق مقالًا»[٨].
- «الدين النصيحة»[٩].

غير مرخصة للطباعة

(١) رواه أبو داود (٢١١٧)، وابن حبان (٤٠٧٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. كلاهما في النكاح، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٨٤٢)، عن عقبة بن عامر.

(٢) رواه الحاكم في النكاح (١٨١/٢)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٧٩)، عن عقبة بن عامر.

(٣) سبق تخريجه صـ٨٤.

(٤) رواه البخاري في النفقات (٥٣٥٥)، وأحمد (٧٤٢٩)، عن أبي هريرة.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٣٤)، كلاهما في الزكاة، عن حكيم بن حزام.

(٦) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٤٩٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٢٦)، عن أبي هريرة.

(٧) رواه أحمد (١٧٢٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في صفة القيامة والرقائق (٢٥١٨)، وقال: صحيح. والنسائي في الأشربة (٥٧١١)، وصحَّح إسناده الحافظ في التغليق (٢١١/٣)، وصحَّحه الألباني في الإرواء (١٢)، عن الحسن بن علي.

(٨) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوكالة (٢٣٠٦)، ومسلم في المساقاة (١٦٠١)، عن أبي هريرة.

(٩) رواه مسلم في الإيمان (٥٥)، وأحمد (١٦٩٤٠)، عن تميم بن أوس.

QaradawiBooks.com

ـ «**إنَّ الدين يُسر، ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلَّا غلبه**»[١].

ـ «**يسِّروا، ولا تعسِّروا، وبشِّروا، ولا تنفِّروا**»[٢].

ـ «**ربَّ صائم ليس له من صيامه إلَّا الجـوع، وربَّ قائم ليس له من قيامه إلَّا السهر**»[٣].

ـ «**السفر قطعةٌ من العذاب**»[٤].

ـ «**إنَّ الظلم ظُلُمات يوم القيامة**»[٥].

ـ «**إنَّ الصبر عند الصدمة الأولى**»[٦].

ـ «**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**»[٧].

ـ «**إنَّ الشيطان يجري من ابنِ آدم مجرى الدم**»[٨].

ـ «**إنَّ الشاهد يرى ما لا يرى الغائب**»[٩].

---

(١) رواه البخاري في الإيمان (٣٩)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٤)، عن أنس.

(٣) رواه أحمد (٨٨٥٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده جيد. وابن ماجه (١٦٩٠)، والحاكم (٤٣١/١)، كلاهما في الصوم، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٠١)، عن أبي هريرة.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الحج (١٨٠٤)، ومسلم في الإمارة (١٩٢٧)، عن أبي هريرة.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٤٧)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٧٩)، عن ابن عمر.

(٦) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٣٠٢)، ومسلم (٩٢٦)، كلاهما في الجنائز، عن أنس بن مالك.

(٧) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٧)، وأحمد (٦٥٦٧)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٨) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتكاف (٢٠٣٨)، ومسلم في السلام (٢١٧٥)، عن صفية بنت حيي.

(٩) رواه أحمد (٦٢٨)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والبزار (٦٣٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٧٣٢): رواه البزار، وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس، ولكنَّه ثقة، وبقية رجاله ثقات، =

QaradawiBooks.com

- «إنَّ أخوف ما أخاف على أُمَّتي كل منافق عليم اللسان»[١].
- «قل: آمنت بالله ثمَّ استقم»[٢].
- «خير النَّاس أنفعهم للناس»[٣].
- «في كل ذات كبد رطبة أجر»[٤].
- «خيرُكم خيرُكم لأهلِه»[٥].
- «الكلمةُ الطيِّبةُ صدقةٌ»[٦].
- «كلُّ معروفٍ صدقةٌ»[٧].
- «تبسُّمك في وجه أخيك صدقة»[٨].

= وقد أخرجه الضياء في أحاديثه المختارة على الصحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٢٨)، عن علي.

(١) رواه أحمد (١٤٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. والبزار (٣٠٥)، وأبو يعلى في معجمه (٣٣٤)، ووثق رجاله الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٨٦)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٠١٣)، عن عمر بن الخطاب.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٣٨)، وأحمد (١٥٤١٦)، عن سفيان بن عبد الله الثقفي.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٥٧٨٧)، والقضاعي في الشهاب (١٢٣٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٨٩)، عن جابر.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٦٦)، ومسلم في السلام (٢٢٤٤)، عن أبي هريرة.

(٥) رواه الترمذي في المناقب (٣٨٩٥)، وقال: حسن صحيح. والدارمي (٢٣٠٦)، وابن حبان (٤١٧٧)، كلاهما في النكاح، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٨٥)، عن عائشة.

(٦) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٨٩)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٩)، عن أبي هريرة.

(٧) رواه البخاري في الأدب (٦٠٢١)، عن جابر.

(٨) رواه الترمذي في البر والصلة (١٩٥٦)، وقال: حديث حسن غريب. والبخاري في الأدب =

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

ـ «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل»[١].

ـ «من صمت نجا»[٢].

ـ «البيِّنة على المدَّعي، واليمين على من أنكر»[٣].

ـ «رُبَّ حامل فقه إلى مَنْ هو أفقه منه»[٤].

ـ «ربَّ مبلَّغ أوعى من سامع»[٥].

ـ «هلك المتنطعون»[٦].

ـ «الطَّهور شطر الإيمان، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء»[٧].

= المفرد (٨٩١)، وابن حبان في البر والإحسان (٥٢٩)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح. عن أبي ذر الغفاري.

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٥٠)، وقال: حسن غريب. والحاكم في الرقائق (٣٠٧/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٣٣٥)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٦٤٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي في صفة القسامة (٢٥٠١)، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلَّا من حديث ابن لهيعة. وصحَّحه الألباني في الجامع الصحيح (٦٣٦٧)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه البيهقي في الدعوى والبينات (٢٥٢/١٠)، وحسنه النووي في الأربعين النووي، الحديث الثالث والثلاثون، وحسنه ابن حجر في فتح الباري (٢٨٣/٥)، وأصل الحديث في الصحيحين: «لو يُعْطَى الناس بدعواهم لادَّعى ناس دماء رجال وأموالهم، ولكن اليمين على المدعى عليه». رواه البخاري في التفسير (٤٥٥٢)، ومسلم في الأقضية (١٧١١)، عن ابن عباس.

(٤) رواه أحمد (٢١٥٩٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وقال: حسن. كلاهما في العلم، عن زيد بن ثابت.

(٥) رواه البخاري في الحج (١٧٤١)، عن أبي بكرة. وقد روي هذا الحديث عن عدد من الصحابة.

(٦) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٠)، وأحمد (٣٦٥٥)، عن ابن مسعود.

(٧) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، وأحمد (٢٢٩٠٢)، عن أبي مالك الأشعري.

QaradawiBooks.com

- «أحبُّ الأديان إلى الله الحنيفيَّة السمحة»[١].

- «من غش فليس منا»[٢].

- «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[٣].

- «المؤمن من أمنه النَّاس على دمائهم وأموالهم»[٤].

- «إنَّما المسكين المتعفِّف»[٥].

- «إنَّما أنا رحمة مهداة»[٦].

- «إنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّم صالحَ الأخلاق»[٧].

- «إنَّما بُعثتم ميسِّرين، ولم تُبعثوا معسِّرين»[٨].

- «أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قَلَّ»[٩].

---

(١) رواه أحمد (٢١٠٧)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والبخاري في الأدب المفرد (٢٨٧)، والطبراني (٢٢٧/١١)، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٠١)، وأحمد (٧٢٩٢)، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠)، كلاهما في الإيمان، عن عبد الله بن عمرو.

(٤) رواه أحمد (٨٩٣١)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. والترمذي (٢٦٢٧)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٤٩٩٥)، وابن حبان (١٨٠) ثلاثتهم في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٥٣٩)، ومسلم في الزكاة (١٠٣٩) (١٠٢)، عن أبي هريرة.

(٦) رواه الحاكم في الإيمان (٣٥/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٠)، عن أبي هريرة.

(٧) رواه أحمد (٨٩٥٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح وهذا إسناد قوي. والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، عن أبي هريرة.

(٨) رواه البخاري في الوضوء (٢٢٠)، عن أبي هريرة.

(٩) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٦٤)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٨٣)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

- «**نِعْم المال الصَّالح للمرء الصَّالح**»[١].
- «**خير النَّاس من طال عمره، وحَسُن عمله**»[٢].
- «**تَعِس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة**»[٣].

الكنايات في كلام النبي ﷺ:

اقرأ هذه الكنايات في أحاديث النبي ﷺ، ما أجملها وما أروعها!

«**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنَّة**»[٤].

وما بين لحييه: كناية عن اللسان، وما بين رجليه: كناية عن الفرج.

وفي حديث امرأة رفاعة القرظي: «**حتَّى تذوقي عُسَيْلَتَه ويذوقَ عُسَيْلَتَكِ**»[٥]. وهو كناية عن الجماع.

«**ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرًا...**»[٦]. وهذا كناية عن عدم القَبول من الله تعالى.

---

(١) رواه أحمد (٧٤٤٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في المناقب (٣٦٦١)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في المقدمة (٩٤)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٧١٨)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٠٤١٥)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. والترمذي في الزهد (٢٣٣٠)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في الجنائز (٣٣٩/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، عن أبي بكرة.

(٣) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٨٦، ٢٨٨٧)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٧٤)، عن سهل بن سعد.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٣٩)، ومسلم في النكاح (١٤٣٣)، عن عائشة.

(٦) رواه ابن ماجه في إقامة الصلاة (٩٧١)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١١٩/١): إسناده صحيح ورجاله ثقات. وابن حبان في الصلاة (١٧٥٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والطبراني (٤٤٩/١١)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

«**إنَّ من أعظم الفِرى: أن يُري الرجلُ عينَه ما لم تَرَ**»[١]. وهو كناية عن الكذب في الرؤيا في المنام.

«**في كُلِّ كَبِـدٍ رطْبةٍ أجرٌ**». جاء ذلك في حديث الرجل الَّذي سـقى كلبًا، فشـكر الله له، فغفر له، فعجب الصحابة من ذلك الجزاء العظيم، وقالوا: أئنَّ لنا في البهائم لأجرًا يا رسـول الله؟ قال: «**نعم، في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبة أجرٌ**»[٢]. ورطوبة الكبد هذه كناية عن الحيـاة، فكأنه قال: في كل كائن حيٍّ يُحسَنُ إليه أجر.

«**إنْ تقرَّب إليَّ بشبرٍ تقرَّبت إليه ذراعًا، وإن تقرَّب إلي ذراعًا تقرَّبتُ إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هَرْوَلَة**»[٣]. وهو كناية عن سرعة القبول. فمن تقرَّب إلى الله وإلى محبَّتِه بعمل يوصله إلى الله بمقدار شبر، تقرَّب الله إلى عبده بما يساوي ذراعًا، ولو تقرَّب بما يساوي ذراعًا، تقرَّب إلى عبده بما يساوي باعًا.. إلخ الحديث.

«**ذاك رجل بال الشـيطان في أذنيـه**»[٤] لمن نام حتَّـى طلعت عليه الشمس، وهو كناية عن تسلط الشيطان عليه.

«**اشـتكت النَّار إلى ربها فقالت: ربِّ أكل بعضـي بعضًا، فأذن لها بنَفَسَيْن: نَفَس في الشـتاء ونَفَس في الصيف، فأشدُّ ما تجدون من الحرِّ، وأشـدُّ ما تجدون من الزمهرير**»[٥]. تصوير لشدَّة الحر على أنَّها نَفَس من

(١) رواه البخاري في المناقب (٣٥٠٩)، وأحمد (١٦٩٨٠)، عن واثلة بن الأسقع.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٠٠.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٠٥)، ومسلم في التوبة (٢٦٧٥)، عن أبي هريرة.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في التهجد (٣٢٧٠)، ومسـلم في صلاة المسـافرين (٧٧٤)، عن ابن مسعود.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٦٠)، ومسلم في المساجد (٦١٧)، عن أبي هريرة.

غير مراجعة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

أنفاس جهنم، كما يصوِّر الزمهرير على أنَّه نَفَس آخر من أنفاسها، وجهنم تحوي من ألوان العذاب، أشد الحرارة، وأشد الزمهرير!

«**المؤمنُ يأكل في مِعًى واحد، والمنافق ـ أو الكافر ـ يأكل في سبعةِ أَمْعَاء**»[١].

أمعاء المسلم وأمعاء الكافر واحدة، ولكن الحديث النبوي يصوِّر الكافر الَّذي يأكل بشهوة وشره، كأنَّه يأكل في سبعة أمعاء، في حين أنَّ المؤمن مثل كل النَّاس لا يأكل إلَّا في مِعًى واحد.

«**اعلموا أنَّ الجنَّة تحت ظلال السيوف**»[٢]. الجهاد أقرب الطرق إلى جنة الله تعالى، ولذلك كان أقرب النَّاس إلى الجنَّة المجاهدون.

«**الزمْها؛ فإنَّ الجنَّة عند رِجْلها**»[٣]. أي: الزم أمك، فإنَّ الجنَّة في طاعتها والخضوع لها.

التشبيهات النبويَّة:

وكذلك تجد التشبيهات النبويَّة في غاية الوضوح وقوة التأثير، واقرأ هذه الأحاديث:

«**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضًا**». وشبَّك بين أصابعه[٤].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٩٤)، ومسلم في الأشربة (٢٠٦٠، ٢٠٦١)، عن ابن عمر.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٢٨١٨)، ومسلم (١٧٤٢)، كلاهما في الجهاد والسير، عن عبد الله بن أبي أوفى.

(٣) رواه أحمد (١٥٥٣٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي (٣١٠٤)، وابن ماجه (٢٧٨١)، والحاكم (١٠٤/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الجهاد، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٨٥)، عن معاوية بن جاهمة السلمي.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

«**ترى المؤمنين في توادِّهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إن اشتكى عضوٌ تداعى له سائر الأعضاء بالحمَّى والسهر**»[١]. الحياة الاجتماعيَّة بين الروابط والجماعات كالحياة الماديَّة بين الأفراد، تسري بينهم بالتماسك والتعاضد.

«**إنَّما النَّاس كالإبل المائة، لا تكاد تجدُ فيها راحلة**»[٢].. كما أنَّ الإبل المائة لا تجد فيها راحلة كذلك الرجال المائة لا تجد فيهم فردًا فذًّا إمامًا يُقْتدى به.

«**يوشك أن تدَاعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلةُ على قصعتها**». قالوا: أمن قلَّة نحن يومئذٍ، يا رسول الله؟ قال: «**بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غُثاء كغثاء السيل**»[٣].

عامَّة المسلمين كثير، ولكنَّهم غثاء كغثاء السيل، ولكنَّ المهمَّ القليلُ الخالص.

«**صنفان من أهل النَّار لم أرَهما: قومٌ معهم سياطٍ كأذناب البقر، يضربون بها النَّاس، ونساء كاسيات عاريات، مُمِيلات مائلات، رؤوسهن كأسنمةِ البُخْت المائلة، لا يدخلْنَ الجنَّة، ولا يجدْنَ ريحَها، وإنَّ ريحها ليوجدُ من مسيرة كذا وكذا**»[٤].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٩٨)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٤٧)، عن ابن عمر.

(٣) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

(٤) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨)، وأحمد (٨٦٦٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

من أهل النَّار الَّذين لم يشـــهدهم الرســـول بعينه: صنف من الرجال الجلَّادين الَّذين يستخدمون الكرابيج لتعذيب البشر. وصنف من النساء مُمِيلات مائلات، كاسيات عاريات.

«**إنَّ من الشجر شجرةً لا يسقط ورقها، وإنَّها مَثَل المسلم، فحدِّثوني ما هـــي؟**». فوقع النَّاس في شـــجر البوادي، قـــال ابن عمر: ووقع في نفسي أنَّها النخلة، فاســـتحييت، ثمَّ قالوا: حدِّثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «**هي النخلة**»[(١)].

النخلة أشبه شيء بالإنسان المسلم، الَّذي لا يصدر منه إلَّا خير، فهي تنتج البلح والرُطَب والتمر وتعطـــي القَحْف والجريد والخوص والنوَى تعلف به الدواب، فكل شيء في النخلة يستفاد منه.

«**إنَّ للإســـلام ضوءًا ومنارًا كمنار الطريق**»[(٢)]. الإســـلام هدًى ومنار، كمنار الطريق، توضع عليه المعالم، ويرمز لـــه بالعلامات، حتَّى يكون واضحًا للناس، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥].

«**رأيتم لو أنَّ نهرًا بباب أحدكم يغتســـل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شـــيء؟**». قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «**فذلك مَثَل الصلوات الخمـــس يمحو الله بهـــنَّ الخطايا**»[(٣)]. فهـــذه الصلوات الخمس مثل هذه الأنهار الَّتي يغتسل النَّاس فيها.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦١)، ومســـلم في صفة القيامة (٢٨١١)، عن عبد الله بن عمر.

(٢) رواه الحاكم في الإيمان (٢٠/١)، وصحَّحه على شرط البخاري.. أمَّا سماع خالد بن معدان، عن أبي هريرة فغير مستبعد. وقال الذهبي: غير مستبدع؛ لقي خالد أبا هريرة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخـــاري في مواقيت الصلاة (٥٢٨)، ومســـلم في المســـاجد (٦٦٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الأمثال النبويَّة:

ويدخل في هذه التَّشبيهات: الأمثال النبويَّة، فهي لون ممَّا يسمِّيه علماء البلاغة: الاستعارة التمثيلية.

ـ «مثلي ومَثَل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلَّا موضع لبنة من زاوية، فجعل النَّاس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلَّا وُضعت هذه اللبنة؟». قال: «فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيِّين»[(١)].

ـ «مَثَلُ الجليسِ الصالح والجليس السوء، كمثل صاحب المِسْكِ وكِيرِ الحدَّاد، لا يَعْدِمُك من صاحب المسك إمَّا تشتريه أو تجد ريحه، وكيرُ الحداد يحرق بدنك، أو ثوبك، أو تجدُ منه ريحًا خبيثة»[(٢)].

ـ «مَثَلُ القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضُهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الَّذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذِ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم، نجوا، ونجوا جميعًا»[(٣)].

ـ «مَثَلُ ما بعثني الله به من الهُدى والعلم، كمَثَل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقيَّة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها النَّاس، فشربوا وسقوا وزرعوا،

---

(١) سبق تخريجه صـ١٨٦.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢١٠١)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٢٨)، عن أبي موسى.

(٣) رواه البخاري في الشركة (٢٤٩٣)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

وأصابت منها طائفة أخرى إنَّما هي قيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنبت كلأً، فذلك مَثَلُ من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به، فعَلِم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الَّذي أُرْسلتُ به»[(١)].

ـ «مَثَلُ أُمَّتي مَثَل المطر: لا يُدرى أوَّله خيرٌ أو آخِره»[(٢)].

المجازات والاستعارات:

وفي البيان النبوي عبارات بليغة مبتكرة غير مسبوقة، لم ينطق بها أحد من العرب قبله ﷺ، مثل:

ـ «فإنَّ فساد ذات البَيْن هي الحالقة»[(٣)].

ـ «حَمِيَ الوَطِيس»[(٤)].

ـ «جِيفَةٌ بالليلِ، حمارٌ بالنَّهار»[(٥)].

ـ «دَبَّ إليكم داءُ الأمم من قبلكم: الحَسَدُ والبغضاء»[(٦)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧٩)، ومسلم في الفضائل (٢٢٨٢)، عن أبي موسى.

(٢) رواه أحمد (١٢٤٦١)، وقال مخرِّجوه: حديث قوي بطرقه وشواهده. والترمذي في الأمثال (٢٨٦٩)، وقال حسن غريب. عن أنس بن مالك.

(٣) رواه أحمد (٢٧٥٠٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الأدب (٤٩١٩)، والترمذي في صفة القيامة (٢٥٠٩)، وقال: صحيح. وابن حبان في الصلح (٥٠٩٢)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤١٤)، عن أبي الدرداء.

(٤) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٧٥)، عن عباس.

(٥) رواه ابن حبان في العلم (٧٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبيهقي في الشهادات (١٩٤/١٠)، عن أبي هريرة.

(٦) رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

QaradawiBooks.com

- «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل»[١].

- «ألا إنَّ سلعة الله غالية، ألا إنَّ سلعة الله هي الجنَّة»[٢].

- «لتتبعُنَّ سَنَنَ مَن قَبْلَكم شِبْرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتَّى لو سلكوا جُحْرَ ضَبٍّ لسلكتموه»[٣].

- «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنَّة»[٤].

- «الحَجَرُ الأسود من الجنَّة»[٥].

- «الفرات والنيل كلٌّ من أنهار الجنَّة»[٦].

- «الخيلُ معقودٌ بنواصيها الخير»[٧].

المقابلة:

ومن الأساليب النبويَّة في البلاغة ما نجده مأثورًا واضحًا في الكلام النبويِّ المبين، من المقابلات بين بعضه وبعض كما يلاحظه كل من يهتم بقراءة هذا الكلام أو بسماعه.

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٠١.

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (١١٩٥)، ومسلم في الحج (١٣٩٠)، عن عبد الله المازني.

(٥) رواه أحمد (١٣٩٤٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. عن أنس.

(٦) رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٣٩)، وأحمد (٧٨٨٦)، عن أبي هريرة.

(٧) متَّفق عليه: رواه البخاري في فرض الخُمس (٣١١٩)، ومسلم في الإمارة (١٨٧٣)، عن عروة البارقي.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ـ «اللهمَّ أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك»[١].

ـ «اللهمَّ أصلحْ لي ديني الَّذي هو عصمةُ أمري، وأصلح لي دنيايَ الَّتي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي الَّتي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كلِّ خير، واجعل الموت راحةً لي من كلِّ شرٍّ»[٢].

فهنا نجد عدَّة مقابلات: بين الدِّين والدُّنيا والآخرة، ووظيفة كل واحد منها وأهميته... بين الحياة والموت، بين الخير والشرِّ.

ـ «ما أنزل الله داء إلَّا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله»[٣] قابل هنا بين الداء والشفاء، وبين العلم والجهل.

ـ «الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما أمورٌ متشابهاتٌ لا يعلمهنَّ كثيرٌ من النَّاس»[٤].

ـ «اللهمَّ بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيِني ما علمتَ الحياة خيرًا لي، وتوفَّني إذا كانت الوفاة خيرًا لي. اللهمَّ أسألك خشيتَك في الغيب والشهادة، وكلمة الإخلاص في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع»[٥].

---

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٦)، وأحمد (٢٥٦٥٥)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٠)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (٣٥٧٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والحاكم في الطب (٣٩٩/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحايا (٣٤٣/٩)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥١).

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

(٥) رواه أحمد (١٨٣٢٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والنسائي في السهو (١٣٠٥)، وابن حبان في الصلاة (١٩٧١)، عن عمار بن ياسر.

QaradawiBooks.com

ـ «اللهمَّ اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهمَّ اغفر لي هزلي وجدي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي.

ـ «اللهمَّ اغفر لي ما قدمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، أنت المقدِّم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير»[(١)].

ـ «اللهمَّ اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلَّا أنت، واصرفْ عَنِّي سيِّئها، لا يصرف عَنِّي سيِّئها إلَّا أنت»[(٢)].

ـ «يا عبادي، كلُّكم ضالٌّ إلَّا من هديته، فاستهدوني أهدِكم، يا عبادي، كلُّكم جائع إلَّا من أطعمته، فاستطعموني أُطْعِمْكُمْ، يا عبادي، كلُّكم عارٍ إلَّا من كسوته، فاستكسوني أَكسِكم، يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضُرِّي فتضرُّوني، ولن تبلغوا نفعي، فتنفعوني، يا عبادي، لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجِنَّكم كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي، لو أنَّ أوَّلكم وآخرَكم وإنسكم وجنَّكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا»[(٣)].

فهنا نجد المقابلة بين الضلال والهداية، وبين العري والكسوة، وبين الضر والنفع، وبين الأوَّل والآخر، والإنس والجنِّ، والتُّقى والفجور، والزيادة في الملك، والنقص منه، وهي مقابلات منطقيَّة.

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٨.

(٢) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٧١)، وأحمد (٨٠٣)، عن على بن أبي طالب.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٧)، وأحمد (٢١٣٦٧)، عن أبي ذر.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

السجع غير المتكلَّف:

ـ «اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن عملٍ لا يُرفع، ومن دعاء لا يُسمع»(١).

ـ «اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق»(٢).

ـ «تعوَّذوا بالله من جَهد البلاء، ودَرَك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء»(٣).

ـ «أعيذك بكلمات الله التامَّة، من كلِّ شيطانٍ وهامَّة، ومن كلِّ عينٍ لامَّة»(٤).

آخر حديث ختم به البخاري جامعه الصحيح: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(٥).

ـ «إنَّ الله حرَّم عليكم: عقوقَ الأمهات، ووأدَ البنات، ومنعًا وهاتِ، وكرِه لكم: قِيلَ وقالَ، وكثرةَ السؤال، وإضاعةَ المال»(٦).

---

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٢)، وأحمد (١٩٣٠٨)، عن زيد بن أرقم.

(٢) رواه أبو داود في الصلاة (١٥٤٦)، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٧١)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٣٣٢)، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في القدر (٦٦١٦)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٧)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٧١)، عن ابن عباس.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٥٦٣)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٤)، عن أبي هريرة.

(٦) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاستقراض (٢٤٠٨)، ومسلم في الأقضية (٥٩٣)، عن المغيرة بن شعبة.

QaradawiBooks.com

عن أبي هُرَيْرة أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يقول: «**لا إلٰه إلَّا الله وحده، أعزَّ جُنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده**»(١).

مفاهيم وتفسيرات جديدة لكلمات قديمة:

من مهمَّة الرسول الداعية: أنَّه يرشد إلى مفاهيم لها أهميَّة بالغة في تفسير بعض الكلمات الَّتي شاع بين النَّاس استخدامها في غير هذا المفهوم، فهو يوجِّه إلى تلك المفاهيم ويعطيها اهتمامًا خاصًّا، مثل قوله:

ـ «**ليس الشديد بالصُّرَعة، إنَّما الشديد الَّذي يملك نفسه عند الغضب**»(٢).

ـ «**ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض، إنَّما الغنى غِنَى النفس**»(٣).

ـ «**ليس المسكينُ الَّذي يطوف على النَّاس، تردُّه التمرة والتمرتان، واللقمة واللقمتان، إنَّما المسكين الَّذي لا يجد غنًى يُغنيه، ولا يُفطن له فيُتصدَّق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس**»(٤).

عن أبي هُرَيْرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «**أتدرون من المُفْلس؟**». قالوا: المفلس فينا ـ يا رسول الله ـ من لا درهم له ولا متاع. قال: «**المُفْلس من أُمَّتي يوم القيامة من يأتي بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم عِرْض هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وضرب هذا، فيُقْعَد، فيقتصُّ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه، أُخِذَ من خطاياهم فطرح عليه، ثمَّ طرح في النار**»(٥).

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤١١٤)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٤).
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١١٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٠٩)، عن أبي هريرة.
(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٤٦)، ومسلم في الزكاة (١٠٥١)، عن أبي هريرة.
(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٤٧٩)، ومسلم (١٠٣٩) كلاهما في الزكاة، عن أبي هريرة.
(٥) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٨١)، وأحمد (٨٨٤٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وعن أنسٍ قال رسول الله ﷺ: «**انصرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا**». قالوا: يا رسولَ الله، ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟! قال: «**تمنعه من الظلم، فذلك نصرك له**»(١).

«**ألا أُخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة: إذا نظر إليها سرَّته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته**»(٢).

ومن ذلك: تفسير كلمة «الصدقة» بما يجعلها تشمل كل عمل لخدمة المجتمع ونفع النَّاس، فعن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه: أن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للنبيِّ ﷺ: يا رسولَ الله، ذهب أهل الدُّثُور بالأجور، يصلُّون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدَّقون بفضول أموالهم. قال: «**أوَليس قد جعل الله لكم ما تصدَّقون؟ إنَّ لكم بكلِّ تسبيحة صدقة، وكل تكبيرةٍ صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة**». قالوا: يا رسولَ الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتُم لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»(٣).

وروى الشيخان عن أبي موسى، عن النبيِّ ﷺ قال: «**على كلِّ مسلم صدقة**». قالوا: يا رسولَ الله، فإن لم يجد؟ قال: «**يعمل بيده، فينفع نفسه، ويتصدَّق**». قالوا: فإن لم يستطع، أو لم يفعل؟ قال: «**يُعين ذا الحاجة**

---

(١) رواه البخاري في الإكراه (٦٩٥٢)، عن أنس.

(٢) رواه أبو داود في الزكاة (١٦٦٤)، وأبو يعلى (٢٤٩٩)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٣٦٣)، عن ابن عباس.

(٣) رواه مسلم في الزكاة (١٠٠٦)، وأحمد (٢١٤٧٣).

غير مرخصة للطباعة
نسخة خاصة
QaradawiBooks.com

الملهوف». قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «**فليأمر بالمعروف**». قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «**فليُمسك عن الشرِّ، فإنَّه صدقة**»(١).

الأجوبة الحاسمة:

من ذلك قوله لمن قال له: قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل أحدًا بعدك. قال: «**قل: آمنت بالله، ثمَّ استقمْ**»(٢).

وقوله لمن قال له: إنَّ شرائع الإسلام كثُرت عليَّ، فبابٌ نتمسك به جامع. فقال: «**لا يزال لسانك رطْبًا من ذكر الله**»(٣).

ومن ذلك قوله للأعرابي الَّذي قال له: يا رسولَ الله، علِّمني شيئًا يُدخلني الجنَّة، فقال: «**لئن أقصرت الخطبةَ لقد أعرضت المسألة، أعتق النَّسَمة، وفُكَّ الرَّقَبة**»(٤).

وعن معاذ بن جبل قال: كنتُ مع رسول الله ﷺ في سفر، فأصبحت يومًا قريبًا منه، قلت: يا رسولَ الله، أخبرني بأمر يقرِّبني من الجنَّة ويباعدني من النار. قال: «**لقد سألتَ عن عظيمٍ، وإنَّه ليسير على من يسَّره الله عليه: تعبد الله لا تشركُ به شيئًا، وتقيمُ الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجُّ البيت**». ثمَّ قال: «**ألا أدلُّك على أبواب الخير؟ الصوم**

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٢)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٨).

(٢) سبق تخريجه صـ٢٠٠.

(٣) رواه أحمد (١٧٦٨٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الدعوات (٣٣٧٥)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الأدب (٣٧٩٣)، والحاكم في الدعاء (٤٩٥/١)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن عبد الله بن بسر.

(٤) رواه أحمد (١٨٦٤٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح رجاله ثقات. وابن حبان في البر والإحسان (٣٧٤)، والحاكم في المكاتب (٢١٧/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن البراء بن عازب.

QaradawiBooks.com

جُنَّة، والصدقة تُطفئ الخطيئة كما يُطفئ المـاء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل». ثمَّ تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: ١٦] حتَّى بلغ ﴿يَعْمَلُونَ ﴾ [السـجدة: ١٧]، ثمَّ قال: «**ألا أخبرك برأس الأمـر وعموده وذِروة سـنامه؟**». قلت: بلى، يا رسـول الله. قال: «**رأسُ الأمر الإسلام، وعمودُه الصلاة، وذروة سَـنامه الجهاد**». ثمَّ قال: «**ألا أخبرك بمِلاك ذلك كله؟**». قلت: بلى يا رسـول الله. فأخذ بلسـانه، قال: «**كُفَّ عليـك هذا**». قلت: يا نبي الله، وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلَّم به؟ فقال: «**ثكلتك أمُّك، وهل يكُبُّ الناسَ في النَّار على وجوههم، أو على مناخرهم إلَّا حصائدُ ألسنتهم**»[(١)].

وعن أبي موسى: سئل رسول الله ﷺ: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل حَمِيَّة، والرجل يقاتل ليُرَى مكانه: فأيُّهم في سبيل الله؟ فقال: «**مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله**»[(٢)].

وعن ربيعة بن كعبٍ الأسلمي قال: كنتُ أبيتُ مع رسول الله ﷺ، فأتيته بوَضوئه وحاجته، فقال لي: «**سلْ**». فقلتُ: أسألُكَ مرافقتَكَ في الجنَّة. قال: «**أوَغير ذلك؟**». قلت: هو ذاك. قال: «**فأعنِّي على نفسكَ بكثرةِ السجود**»[(٣)].

الحوارات الرائعة:

ومـن الأدوات الَّتي كان يسـتخدمها النبي ﷺ فـي تحقيق بلاغته، وتأثيره بها في الأنفس والعقول، أن يسـتخدمَ الحوار مع طوائف النَّاس

(١) رواه أحمد (٢٢٠١٦)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الإيمان (٢٦١٦)، وقال: حسـن صحيح. وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٣)، والحاكم في التفسـير (٤١٢/٢، ٤١٣)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، عن معاذ بن جبل.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨١٠)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٤).

(٣) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٩)، وأبو داود في قيام الليل (١٣٢٠).

QaradawiBooks.com

وفئاتهم، ليسألهم كثيرًا ليجيبوا بما يجب أن يجيب هو، وأحيانًا يدعوهم ليسألوا ويجيب هو بما ينبغي أن يجيب.

من ذلك: قوله: «**ألا أُنَبِّئكم بأكبر الكبائر؟**». ثلاثًا. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**». وجلس وكان متكئًا فقال: «**ألا وقولُ الزُّور**». فما زال يكررها حتَّى قلنا: ليته سكت[١]!

«**ألا أخبركم بأفضلَ من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟**». قالوا: بلى. قال: «**إصلاح ذات البين**». قال: «**وفساد ذات البين هي الحالقة**»[٢].

«**أيُّكم يحبُّ أن يغدو إلى بُطحانَ أو العقيق، فيأتي كلَّ يومٍ بناقتين كَوْماوين زَهْراوين، فيأخذهما في غير إثم، ولا قطع رحم؟**». قال: قلنا: كلُّنا يا رسولَ الله يحبُّ ذلك. قال: «**فلأن يغدو أحدكم إلى المسجد، فيتعلَّم آيتين من كتاب الله خيرٌ له من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث، وأربع خير من أربع، ومن أعدادهنَّ من الإبل**»[٣].

وعن معاذ بن جبل قال: كنتُ رِدْف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلَّا مُؤْخِرة الرَّحْل، فقال: «**يا معاذَ بن جبل**». قلت: لبَّيْك رسول الله وسعديك. ثمَّ سار ساعة، ثمَّ قال: «**يا معاذَ بن جبل**». قلت: لبَّيْك رسول الله وسعديك. ثمَّ سار ساعة، ثمَّ قال: «**يا معاذَ بن جبل**». قلت: لبَّيْك رسول الله وسعديك. قال: «**هل تدري ما حقُّ الله على العباد؟**». قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنَّ حقَّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**». ثمَّ سار ساعة قال: «**يا معاذَ بن جبل**». قلت: لبَّيْك رسول الله

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٤)، ومسلم في الإيمان (٨٧)، عن أبي بكرة.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٠٩.

(٣) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٨٠٣)، وأحمد (١٧٤٠٨)، عن عقبة بن عامر.

QaradawiBooks.com

وسعديك. قال: «**هل تدري ما حقُّ العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟**». قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**ألَّا يعذِّبَهم**»[١].

وقد لا يكون الحوار بالسؤال، ولكن بإلقاء عبارة ظاهرها غريب عليهم، وشأنها أن تغيِّر أفكارهم، وتحفزهم على التساؤل عن معناها.

مثل قوله ﷺ: «**سبق درهمٌ مائة ألف درهم!**». فقال رجل: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: «**رجلٌ له مال كثير، أخذ من عُرْضِه مائة ألف درهم تصدَّق بها، ورجلٌ ليس له إلَّا درهمان، فأخذ أحدهما، فتصدَّق به**»[٢].

ومثل قوله: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن!**». قالوا: منْ هو يا رسول الله؟ قال: «**من لا يأمن جارُه بوائقَه**»[٣].

ومثل ذلك قوله في الحديث الَّذي ذكرناه قبل: «**انصرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا**».

وهذه كانت عبارة سائدة في الجاهليَّة: أن ينصر المرء ابن قبيلته على القبيلة الأخرى، ولا يسأل: هل هو محقٌّ أو مُبْطِل، مظلوم أو ظالم؟! بل هو كما قال الشاعر:

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ ... في النَّائِبَاتِ على ما قَالَ بُرْهَانَا[٤]

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٥٦)، ومسلم في الإيمان (٣٠).

(٢) رواه أحمد (٨٩٢٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. والنسائي (٢٥٢٧)، وابن حبان (٣٣٤٧)، والحاكم (٥٧٦/١)، وصحَّحه، ثلاثتهم في الزكاة، عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري في الأدب (٦٠١٦)، عن أبي شريح.

(٤) البيت لرجل من بني العنبر يُقَال لَهُ قريط بن أنيف. انظر: شرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزي (٥/١)، نشر دار القلم، بيروت.

QaradawiBooks.com

فلما قال الرسول الكريم هذه الجملة للصحابة، استغربها الصحابة، وقالوا: يا رسولَ الله، ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟! قال: «**تأخذ فوق يديه، أو تمنعه من الظلم، فذلك نصرك إيَّاه**»[١]. فأعطى النصر معنًى جديدًا، وهو منع أخيك من الظلم، فأنت بذلك تنصره على نفسه الأمَّارة بالسوء، وعلى شيطانه الَّذي يوسوس له بالشر، وعلى كل من يعاونه على الشر.

ومثل ذلك قوله: «**إذا التقى المسلمان بسيفيْهِما، فالقاتل والمقتول في النار**». قالوا: يا رسولَ الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «**إنَّه كان حريصًا على قتل صاحبه**»[٢].

التقسيمات الحكيمة:

ومن روائع البلاغة النبويَّة: تلك التقسيمات المنطقية الحكيمة العجيبة، الَّتي لم تُعهد من أحد قبله، وهو ﷺ ينطق بها على البديهة، بغير إعداد ولا تحضير.

ومن تتبع الأحاديث النبويَّة القولية يجد مئات منها، ثنائية، أو ثلاثية، أو رباعية، أو خماسية، أو سداسية، أو سباعية، أو ثمانية، أو تساعية، إلخ، من ذلك:

قوله ﷺ: «**خَصلتان** ـ أو خَلتان ـ **لا يُحافِظ عليهما عبدٌ مسلم إلَّا دخل الجنَّة، هما يسير، ومن يعمل بهما قليل، يسبِّح في دُبُرِ كلِّ صلاة عشرًا، ويحمد عشرًا، ويكبِّر عشرًا، فذلك خمسون ومائة باللسان، وألف**

(١) رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٤٤)، عن أنس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣١)، ومسلم في الفتن (٢٨٨٨)، عن أبي بكرة.

QaradawiBooks.com

وخمسمائة في الميزان، ويكبِّر أربعًا وثلاثين إذا أخذ مضجعه، ويحمد ثلاثًا وثلاثين، ويسبِّح ثلاثًا وثلاثين، فذلك مائة باللسان، وألف في الميزان»[(١)].

ـ «صنفان من أهل النَّار لـم أرهما: قومٌ معهم سـياط كأذناب البقر يضربون بها النَّاس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنَّة، ولا يجدن ريحها، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[(٢)].

ـ «ثلاث مهلكات وثـلاث منجيات، فأما المهلكات: فشـحٌّ مطاع، وهوًى متَّبع، وإعجاب المرء بنفسـه. والثلاث المنجيات: تقوى الله في السـرِّ والعلانية، وكلمة الحقِّ في الرضا والسـخط، والاقتصاد في الغنى والفقر»[(٣)].

ـ «ثلاث لا يؤخَّرْن: الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت، والأيِّم إذا وجدت لها كُفْؤًا»[(٤)].

---

(١) رواه أحمد (٦٩١٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأدب (٥٠٦٥)، والترمذي في الدعوات (٥٠٦٥)، وقال: حديث حسن صحيح. والنسائيُّ في السهو (١٣٤٨)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (٩٢٦)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه مسلم في اللباس (٢١٢٨)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه البزار (٦٤٩١)، والطبراني في الأوسط (٥٤٥٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٣): رواه الطبراني في الأوسـط، وفيـه ابن لهيعة ومن لا يعرف. وحسَّـنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٠٣٩)، عن أنس بن مالك.

(٤) رواه أحمد (٨٢٨)، وقال مخرِّجوه: إسـناده ضعيف. والترمذي فـي الجنائز (١٠٧٥)، وقال: حديث غريب، وما أرى إسناده بمتصل. والحاكم في النكاح (١٦٢/٢)، وقال: حديث غريب صحيح. ووافقه الذهبي، وتعقبه ابن حجر في التلخيص الحبير (٢٩٨) فقال: غلط الحاكم فيه غلطًا فاحشًـا، وإنَّما رواه ابن وهـب، عن سـعيد بن عبد الله الجهني، لا عن سـعيد بن عبد الرحمٰن الجمحي، وهو مجهول. وضعَّفه الألباني فـي الضعيفة (٥٧٥١)، عن على بن أبي طالب.

QaradawiBooks.com

ـ «ثلاث من الفواقر: إمام إن أحسنتَ لم يشكر وإن أسأتَ لم يغفر، وجار السوء إن رأى خيرًا دفنه وإن رأى شـرًّا أذاعه، وامرأة إن حضرتك آذتك وإن غبت عنها خانتك»[(١)].

ـ «أربع من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه واحدة منهن، ففيه خصلة من النفاق حتَّى يدعها: إذا حدَّث كـذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[(٢)].

ـ «أربع في أمتي من أمر الجاهليَّة لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»[(٣)].

ـ «أربعٌ من السـعادة: المرأة الصالحة، والمسـكن الواسـع، والجار الصالح، والمركب الهنيء»[(٤)].

ـ «إنَّما الدُّنيا لأربعةِ نفرٍ: عبد رزقه الله مالًا وعلمًا، فهو يتَّقي فيه ربَّه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًّا، فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالًا، فهو صادق النيَّة، يقول: لو أنَّ لي مالًا لعملتُ بعمل فلانٍ، فهو بنيَّته، فأجرهما سـواء. وعبد رزقه الله مالًا، ولم يرزقه علمًا، يخبط فـي ماله بغير علـم، ولا يتَّقي فيـه ربَّه، ولا يصـل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًّـا، فهذا بأخبـثِ المنازل. وعبد لـم يرزقه الله مالًا

---

(١) رواه الطبرانـي (٣١٨/١٨)، وقال المنذري في الترغيب والترهيـب (٣٨٧٣): رواه الطبراني بإسناد لا بأس به. والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٦٠): فيه محمد بن عصام بن يزيد، ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه، وبقية رجاله وثقوا. عن فضالة بن عبيد.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨)، كلاهما في الإيمان، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه مسلم في الجنائز (٩٣٤)، وأحمد (٢٢٩٠٤)، عن أبي مالك الأشعري.

(٤) رواه ابن حبان في النكاح (٤٠٣٢)، وقال الأرناؤوط: إسـناده صحيح على شرط البخاري. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٨٢)، عن سعد بن أبي وقاص.

QaradawiBooks.com

ولا علمًا، فهو يقول: لو أنَّ لي مالًا لعلمتُ فيه بعمل فلان، فهو بنيَّته، فوزرُهما سواءٌ»[١].

ـ «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت»[٢].

ـ «اغتنمْ خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»[٣].

ـ «خمسُ خصالٍ إذا ابتليتم بهن، وأَعوذ بالله أَن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتَّى يُعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأَوجاع الَّتي لم تكن مضت في أَسلافهم الَّذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلَّا أُخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلَّا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلَّا سلط الله عليهم عدوًّا من غيرهم، فأَخذوا بعض ما في أَيديهم، وما لم يحكم أَئمتهم بكتاب الله، ويتحرَّوا فيه ما أَنزل الله، إلَّا جعل الله بأْسهم بينهم»[٤].

---

(١) رواه أحمد (١٨٠٣١)، وقال مخرِّجوه: حسن. والترمذي في الزهد (٢٣٢٥)، وقال: حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٣٥)، عن أبي كبشة الأنماري.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦)، كلاهما في الإيمان، عن ابن عمر.

(٣) رواه النسائي في الكبرى في المواعظ (١١٨٣٢)، والحاكم في الرقاق (٣٠٦/٤)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧)، عن ابن عباس.

(٤) رواه ابن ماجه في الفتن (٤٠١٩)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٤٠/٤)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١٠٦)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

ـ «اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنَّة: اصْدُقُوا إذا حدَّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغُضُّوا أبصاركم، وكفُّوا أيديكم»(١).

ـ «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه: إمام عادل، وشابٌّ نشأ في عبادة الله، ورجلٌ ذكرَ الله في خلاء ففاضت عيناه، ورجل قلبه معلَّق في المسجد، ورجلان تحابَّا في الله، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها قال: إنِّي أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتَّى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه»(٢).

ـ «**اجتنبوا السبع الموبقات**». قالوا: يا رسولَ الله، وما هي؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس الَّتي حرم الله إلَّا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»(٣).

أدعية النبي وخطبه وقصصه:

والأدعية النبويَّة والخطب النبويَّة المأثورة كخطب الجمع والعيدين والحج، كلها مثال للبلاغة العالية.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٧٥٧)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره، وابن حبان في الإسراء (٢٧١)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح. والحاكم في الحدود (٣٥٨/٤)، وصحَّح إسناده، وقال الذهبي: فيه إرسال (أي الانقطاع بين المطلب وعبادة)، وقال في اختصاره للبيهقي (١٠١٨٦): إسناده صالح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٧٠٩): رواه أحمد، والطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات إلَّا أنَّ المطلب لم يسمع من عبادة. وحسنه الألباني في الصحيحة (١٤٧٠). عن عبادة بن الصامت.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٦٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٣١)، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٦٦)، ومسلم في الإيمان (٨٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وكذلك القصص النبوي، وأهمه ما ورد في الصحيحين، كحديث توبة من قتل تسعة وتسعين نفسًا حتَّى أكمل المائة[١]، وحديث الأعمى والأبرص والأقرع[٢]، وحديث الدابة[٣]، وحديث أصحاب الأخدود[٤] وغيرها.

الألفاظ الملائمة للمعاني:

مثل الألفاظ الرقيقة للمعاني المحبَّبة، والألفاظ الخشنة لمقابلها، على سنة القرآن في اختيار الألفاظ الهائلة للقيامة، مثل الطامَّة والصاخَّة والحاقَّة.

ومن أبرز ما يذكر هنا: ألفاظ مثل: جَعْظَري، جوَّاظ، صخَّاب في الأسواق، لأهل النار.

وفي الأذكار والدعوات يختار الألفاظ السهلة، والعبارات الرقيقة.

الأفكار المترابطة:

ومن ألوان البلاغة الرائعة في الأحاديث النبويَّة: ما يلمسه الدارس فيها من المعاني والأفكار المترابطة، والمتسلسلة تسلسلًا منطقيًّا فطريًّا، يأخذ بعضها بحُجز بعض، ويمهد السابق للاحق.

خذ لذلك حديث ابن عبَّاس في بعث معاذ بن جبل إلى اليمن:

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٠)، ومسلم في التوبة (٢٧٦٦)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦٤)، ومسلم في الزهد (٢٩٦٤)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٣٠٠٥)، عن صهيب.

(٤) جزء من الحديث السابق.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، أنَّ النبـــيَّ ﷺ بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن، فقال: «**ادعهم إلى شـــهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنِّي رســـول الله، فـــإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهـــم أنَّ الله قد افترض عليهم خمس صلـــوات في كل يوم وليلة، فإنْ هم أطاعوا لذلك، فأعلمهـــم أنَّ الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم**»[(١)].

وخذ حديث: «**والله ما الفقر أخشـــى عليكم، ولكن أخشى أن تُبسط الدُّنيا عليكم كما بُسطت على مَن كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتُهلككم كما أهلكتهم**»[(٢)].

«**اللهمَّ أحيني مسكينًا، وتوفَّني مسكينًا، واحشرني في زُمْرة المساكين**»[(٣)].

قول القاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ) في أوجه بلاغة النبيِّ ﷺ:

ويلخص لنا القاضي المالكـــي عياض بن موســـى اليَحْصُبي أوجه البلاغة والفصاحة في كلام ســـيِّد الخلق ﷺ فيقول: «أمَّا فصاحة اللسان وبلاغة القول، فقد كان ﷺ من ذلك بالمَحَـــلِّ الأفضل والموضع الَّذي لا يُجهل، سلاســـة طبع، وبراعـــة مَنْزِع، وإيجاز مقطـــع، ونصاعة لفظ، وجزالة قـــول، وصحَّة معان، وقلَّة تكلُّف، أُوتـــي جوامع الكلم، وخُصَّ ببدائع الحِكَم، وعلَّم ألسنة العرب، فكان يخاطب كلَّ أمَّة منها بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها في منزع بلاغتها، حتَّى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله»[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه صـ١٧٧.

(٢) سبق تخريجه صـ٩٠.

(٣) سبق تخريجه صـ١٤٠.

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/٧٠).

QaradawiBooks.com

أرباب البلاغة يشهدون بتقدم النبي ﷺ على العالمين في بلاغته:

ويجدر بنا هنا أن نذكر شهادة اثنين من أرباب البلاغة وفرسان القول، وهما العلامة الأديب المتبحِّر صاحب الفنون أبو عثمان الجاحظ، وأديب العربيَّة والإسلام مصطفى صادق الرافعي.

قال الجاحظ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٥هـ) بعد أن ذكر من كلام رسول الله ﷺ ما لم يسبقه إليه عربي، ولا شاركه فيه أعجمي، ولم يُدَّع لأحدٍ، ولا ادَّعاه أحد، ممَّا صار مستعملًا ومثلًا سائرًا[1]، قال: «وأنا ذاكر بعد هذا فنًّا آخر من كلامه ﷺ، وهو الكلام الَّذي قلَّ عددُ حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلُّف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التعقيب؟! واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشيَّ، ورغب عن الهجين السُّوقي، فلم ينطق إلَّا عن ميراث حكمة، ولم يتكلَّم إلَّا بكلام قد حفَّ بالعصمة، وشُيِّد بالتأييد، ويسِّر بالتوفيق.

وهو الكلام الَّذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته.

لم تسقط له كلمة، ولا زلَّت به قدم، ولا بارت له حجَّة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذُّ الخُطَب الطِّوال بالكلم القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم إلَّا بما يعرفه الخصم، ولا يحتجُّ إلَّا بالصدق،

(١) من مثل: يا خيل الله اركبي.. مات حتف أنفه.. لا تنتطح فيه عنزان.. الآن حمي الوطيس.. إلخ ما ذكره الجاحظ.

QaradawiBooks.com

ولا يطلب الفَلَج إلَّا بالحق، ولا يستعين بالخِلَابة، ولا يستعمل المُوَاربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يُسهب ولا يحصر. ثمَّ لم يسمع النَّاس بكلام قط أعمَّ نفعًا، ولا أقصد لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنًى، ولا أبين في فحوى، من كلامه ﷺ»[1].

وقال مصطفي صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ) عن البلاغة النبويَّة: «هذه هي البلاغة الإنسانيَّة الَّتي سجدت الأفكار لآيتها، وحَسَرت العقول دون غايتها، لم تُصنَع، وهي من الإحكام كأنها مصنوعة، ولم يُتَكلَّف لها، وهي على السهولة بعيدةٌ ممنوعة.

ألفاظ النبوَّة يعمرها قلب متَّصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي، ولكنها جاءت من سبيله، وإن لم يكن لها منه دليل، فقد كانت هي من دليله! مُحكمَة الفصول، حتَّى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفضول، حتَّى ليس فيها كلمة مفضولة.

وكأنما هي في اختصارها وإفادتها نبضُ قلب يتكلم، وإنَّما هي في سموها وإجادتها مظهر من خواطره ﷺ.

إن خرجت في الموعظة قُلْتَ: أنين فؤاد مقروح. وإن راعت بالحكمة قلتَ: صورة بشريَّة من الروح، في مَنزع يلين فينفر بالدموع، ويشتد فينزو بالدماء، وإذا أراك القرآنُ أنَّه خطاب السماء للأرض، أراك هذا أنَّه كلام الأرض بعد السماء»[2].

(١) البيان والتبيين للجاحظ (١٣/٢، ١٤)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبويَّة للرافعي صـ ١٩٣، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٨، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الرسول المعلِّم

من الشعر الجميل، الَّذي كنا نحفظه ونُردِّده في صغرنا، باعتباره يمثل قيمة غالية من قيمنا الحضاريَّة والإسلاميَّة: هذه الأبيات الَّتي قالها أمير شعراء العرب أحمد شوقي يُحَدِّث الأُمَّة فيها عن دور المُعَلِّم[1]:

قُمْ للمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلَا ... كادَ المعلِّمُ أن يكونَ رسولًا
أَعَلِمْتَ أشرفَ أو أجَلَّ من الَّذي ... يبني ويُنشِئُ أنفسًا وعُقُولَا
سُبحانكَ اللهمَّ خيرَ معلِّمٍ ... علَّمتَ بالقلمِ القرونَ الأُولى
أرسلتَ بالتوراةِ موسى هاديًا ... وابنَ البتُولِ فعَلَّمَ الإِنْجِيلَا
وفجَرتَ ينبوعَ البيانِ محمدًا ... فسقى الحديثَ، وناولَ التَّنْزِيلَا

وقبلنا زملاء أسبق منَّا بقليل أو كثير، ممَّن اشتغلوا بمهنة التعليم، وكانوا لها أوفياء، وكانوا بها أعزَّاء، كانوا يُحفِّظون لطلابهم شعر شوقي في المعلِّم، وأشعارًا أخرى للأقدمين والمُحْدَثين، ويُحَفِّظونهم من حكم الحكماء، وروائع البلغاء، ما يملأ عقل الطالب ووجدانه بأقوال أهل العلم والحكمة، وأولي اللُّب والثقافة والتربية، ورائع الشعر والقوافي عن العلم وأهميته، والمعلم ودوره.

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١/١٨٠، ١٨١).

QaradawiBooks.com

وكل هذا من أثر الإنـــارة القرآنيَّة والإطلالـــة النبويَّة، على الأمة في التنويه بالمعلِّم، وما ينبغي أن يكون له من شأن في المجتمع، وخصوصًا بين الشباب.

وقد نقلوا عن أهل الأدب قولهم:

ما الفضلُ إلا لأهـــلِ العلمِ إنَّهُمُو على الهُدَى لمَنِ اســـتهدى أدِلَّاءُ
وَقدرُ كلِّ امرئٍ ما كان يُحْسِـــنُه والجاهلـــونَ لأهلِ العِلْـــم أَعْدَاءُ
ففُـــزْ بعلْـــمٍ ولا تَطْلُبْ بـــه بَدلًا فالنَّاسُ موتى وأهـــلُ العلمِ أحياءُ[1]

وقد لاحظوا على الإســـكندر الأكبر أنَّه يحترم معلِّمه أكثر من أبيه، فسُـــئل في ذلك، فقال: إنَّ أبي ســـبب حياتي الفانية، ومعلِّمي ســـبب حياتي الباقية[2].

وفي هذا يقول الشاعر العربي[3]:

فذاك مربِّي الرُّوح، والروحُ جوهرٌ وهذا مربِّي الجسمِ، والجسمُ كالصَّدَفْ

وقد بيَّنتْ السُّـــنَّة النبويَّة فضل التعلُّم وآدابه وحدودَه، وبيَّنتْ فضل التعليم ومنزلتـــه، وما يجب له من شـــروط، وما ينبغي لـــه من آداب، واهتمت بالمعلِّم ورفعته مكانًا عليًّا.

---

(١) الأبيات في ديوان الإمام علي بن أبي طالب صـ ٧، جمع عبد العزيز الكرم، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

(٢) انظر: شـــرح مقامات الحريري لأبي عباس الشُّريشي (٣٩٧/٣)، نشـــر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م ـ ١٤٢٧هـ.

(٣) ذكره بلا نسبة الميهي الشيبيني على شرح الستين المسألة من الفروض الواجبة على مذهب الشافعي للرملي صـ ٥، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

QaradawiBooks.com

يقول ﷺ: «**خيركُم من تعلَّم القرآنَ وعلَّمه**»[١].

وقد اهتمت السُّنَّة بالقيم التعليميَّة أو التربويَّة الأصيلة الَّتي يحسبها بعض النَّاس من ثمار هذا العصر، أو من السلع المستوردة من أوروبا وأمريكا، شأن بقية السلع الماديَّة الأخرى.

وسنتحدَّثُ عن أهمِّ هذه القيم أو المبادئ الَّتي فصَّلها القرآن، وفصَّلتها السُّنَّة، وعُنِيَ بها الصحابة وسلف الأمة، عسى أن تعود للأجيال الجديدة الثقة بدينها وتراثها ومعارفها، ويعرفوا من حياتهم وفكرهم ما هو أصيلٌ وما هو دخيل، وعسى أن يسيروا على ما سار عليه أوائلهم من النهوض بالعلم، وإعلاء صرح التربية على تقوى من الله ورضوان.

لسنا وإنْ عظُمت أوائلُنا ... يومًا على الآباء نتَّكلُ
نبني كما كانت أوائلُنا ... تبني، ونفعلُ مثلما فعلوا[٢]

١ ـ العناية بالمعلم والتنويهُ بقدره:

وأولى هذه القيم الأصيلة: العناية بشأن المعلِّم، والإشادة بمنزلته والتنويه بمكانته، فهو يقوم مقام رسول الله ﷺ في هداية الخلق إلى الحق، وتعليمهم ما ينفعهم في أولاهم وأخراهم.

وعادة ما يتحدَّث العلماء عن وجوب توقير المعلم وإكرامه في فصل «أدب العلم والتعلُّم»، فكل ما يحيط بتفاصيل عمليَّة التعليم، وحمل أثقالها إلى الأجيال إنَّما يصبُّ في النهاية في جانب المعلِّم.

---

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٢٧)، عن عثمان بن عفان.

(٢) من شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. انظر: الكامل للمبرد (١٣٢/١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

إنَّ المعلم هو العنصر الفعَّال في عمليَّة التعليم، فعلى قدر ما يحمل في رأسه من علم وفكر، وما يحمل في قلبه من إيمان برسالته، ومن محبَّة لتلاميذه، وما أُوتي من موهبة وخبرة في حُسن طريقة التعليم، يكون نجاحه وأثره في أبنائه وطلابه.

وكثيرًا ما كان المعلم الصَّالح عِوَضًا عن ضعف المنهج وضعف الكتاب، وكثيرًا ما كان هو المنهج والكتاب معًا.

ومن هنا كانت عنايةُ النبيِّ ﷺ بالمعلِّم، وتنويهه برسالته، وما لها من شأن عند الله، وعند المخلوقات كلها، فهو مشغول بمهمَّته، وهي مشغولة بالاستغفار له.

يقول رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله وملائكته، وأهل السماوات والأرض، حتَّى النَّمْلة في جُحْرها، وحتَّى الحوت، ليصلُّون على مُعلِّمي النَّاس الخير**»(١).

وأيُّ فضل أعظم من أن تشتغل هذه المخلوقات المُبرَّأة من الذنوب في السماء والأرض بالصلاة والدعاء لمن يعلِّم النَّاس الخير؟!

ويقول ﷺ: «**لا حسدَ إلَّا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فَسلَّطه على هلَكَته في الحقّ، ورجل آتاه الله الحكمةَ فهو يقضي بها ويُعلِّمها**»(٢).

والحسد هنا معناه: الغبطة. أي: وكيف لا يُغبط الغني الشاكر، والعالم المعلِّم؟

---

(١) رواه الترمذي في العلم (٢٦٨٥)، وقال حديث حسن صحيح غريب. والطبراني (٢٣٤/٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٨٣٨)، عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧٣)، ومسلم في صلاة المسافرين (٨١٦)، عن عبد الله بن مسعود.

QaradawiBooks.com

ويكفي المعلم فضلًا أنَّ له أجرًا بمقدار من ينتفع بعلمه، ويهتدي به من النَّاس، قَرُبوا أو بعُدوا، قلُّوا أو كثُروا.

يقول ﷺ: «**من دلَّ على خير فله مثلُ أجر فاعله**»(١).

ويقول ﷺ: «**من دعا إلى هـدًى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتَّبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»(٢).

وإذا كان ﷺ يقول: «**لأنْ يهديَ الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حمْر النَّعَم**»(٣). فكيف بمن هدى الله به أفرادًا وجماعات يؤْجر كلما أُجروا؟

وروى أبو موسى عنه ﷺ قال: «**مثل ما بعثني الله به من الهُدى والعلم كمَثَل غيث أصاب أرضًـا، فكان منها طائفة طيِّبة قبلـت الماء، فأنبتت الكلأ والعشـب الكثير. وكان منها أجادب أمسـكت الماء، فنفع الله بها النَّاس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا. وأصاب طائفة أخرى إنَّما هي قيعان، لا تُمسك ماء ولا تُنبت كلأً. فذلك مثل من فَقُه في دين الله تعالى، ونفعه ما بعثني الله به، فعلِم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًـا، ولم يقبل هدى الله الَّذي أُرسلتُ به**»(٤).

والحديث يُشـبِّه علمَ النبوة بالغيث، بجامع الإحياء في كلٍّ منهما، فالغيثُ يُحيـي الأرض بعد موتها، والعلمُ يحيـي العقول والقلوب بعد جهلها، الَّذي هو موت لها.

---

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٩٣)، وأحمد (١٧٠٨٤)، عن أبي مسعود الأنصاري.

(٢) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٤)، وأحمد (٩١٦٠)، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢١٠)، ومسـلم في فضائـل الصحابة (٢٤٠٦)، عن سهل بن سعد.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧٩)، ومسلم في الفضائل (٢٢٨٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وشأنُ النَّاس مع العلم والهُدى كشأنِ الأرض مع الغيث والمطر:

• فهناك أرض طيِّبة تشرب الماء فتحيا به، وتُنبت الكلأ والعشبَ الكثير، ويشبهها مِن حَمَلة العلم مَن جمَعوا بين الرواية والدراية من العلماء الدعاة المعلِّمين، فهم ينتفعون ويَنفَعُون.

• وهناك أرض تحفظ الماء، كأنَّما هي أحواض مبنيَّة لمنع الماء أن يتسرَّب ويذهب سُدًى، فهي تمسكه ليشرب منه من يشرب، أو يسقي ويزرع. ويشبهها من أهل العلم الرواة الحَفظَة النَّقَلة، الَّذين يحملون العلم لغيرهم، وإن لم يكن لهم فيه كبير فهم أو استنباط.

• وأرض ثالثة سَبِخة رديئة، لا تنتفع بالماء لنفسها، ولا تُمسكه لغيرها. ويُشبهها أولئك الَّذين أعرضوا عن العلم والهدى، فلا ينتفعون ولا يُنفِعُون، ولا يحفظون ولا يفهمون، فلا هم في أهل الرواية ولا في أهل الدراية[1].

فالعالم العامل المعلِّم هو وارث النبوَّة حقًّا.

وقد رُوي عن المسيح عليه السلام قوله: من علِم وعمِل وعلَّم فذلك يُدعى عظيمًا في ملكوت السماوات[2].

وكان السلف إنَّما يُسمُّون الرجل «ربَّانيًّا» إذا عَلِم وعَمِل بعلمه وعلَّم غيره، إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

(١) لابن القيم كلام جيد في هذا الحديث في كتابه مفتاح دار السعادة (١/١٦٢ ـ ١٦٥) فليراجع، تحقيق عبد الرحمٰن بن حسن بن قائد، نشر دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٢هـ.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (١/١٠) قال: وقال عيسى عليه السلام. نشر دار المعرفة، بيروت.

QaradawiBooks.com

وحَسْبُ المعلِّم شرفًا وفضلًا أنَّ رسول الله وخِيرَته من خلقه سمَّى نفسه معلِّمًا، فعن عبد الله بن عمرو: أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ بمجلسين في مسجده: أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه، والآخر يتعلَّمون الفقه ويعلِّمونه، قال: «**كِلا المجلسين على خير، وأحدهما أفضلُ من صاحبه، أمَّا هؤلاء فيدعونَ الله، ويرغبون إليه، فإنْ شاء أعطاهم، وإنْ شاء منعهم، وأمَّا هؤلاء فيتعلَّمون الفقه والعلم، ويعلِّمون الجاهل، فهؤلاء أفضل. وإنَّما بُعِثتُ معلِّمًا**». ثمَّ جلس فيهم[١].

وقد ضُعِّف سند هذا الحديث، ولكن يشهد له الحديث الصحيح الَّذي رواه مسلم: «**إنَّ الله لم يبعثني معنِّتًا ولا مُتعَنِّتًا، ولكن بعثني معلِّمًا مُيسِّرًا**»[٢].

بل يشهد له القرآن ذاتُه، فقد وصف الله تعالى نبيَّه ﷺ في أربع آيات بأن من وظيفته الأساسيَّة أن يعلم أمته الكتاب والحكمة، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]. وقد ذكرنا بقية الآيات قبل.

٢ ـ تكافل المجتمع في تعليم أبنائه:

وينبغي لمن علِم علمًا أن يبدأ بتعليمه لأقرب النَّاس إليه، ثمَّ منْ يليهم، ثمَّ منْ بعدهم وهكذا، كما يبدأ في النفقة بمن يعول.

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٢٩)، والدارمي (٣٦١)، كلاهما في المقدمة، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٤٤)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه مسلم في الطلاق (١٤٧٨)، وأحمد (١٤٥١٦)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

وعن عليٍّ رضي الله عنه في قولــه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]، قال: علِّموا أهليكم الخير[١].

وقال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

ويأتي بعد حقِّ الأهل والولد والأقارب: حــقُّ الجيران، وللجار في الإســلام حقٌّ أكيد على جاره، أوصى به جبريــل النبيَّ ﷺ، وأوصى به النبيُّ أصحابه، وما زال يوصيهم حتَّى ظنوا أنَّه سُيورِّثه[٢].

وبعد الأهل والولد يأتــي حق الخدم وإن كانوا رقيقًا، فينبغي لســيد البيت ألا يبخل بتعليمهم ما لهم وما عليهم، فقد أصبحوا جُزءًا من الأسرة بالولاء، إنْ أحسنوا فلأنفسهم ولها، وإنْ أساؤوا فعلى أنفسهم وعليها.

روى البخاري في باب تعليم الرجل أَمَته وأهلَه، حديث أبي موســى أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ثلاثــةٌ لهم أجران: رجل من أهــل الكتاب آمن بنبيه، وأدرك النبيَّ ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه. فله أجران، وعبد مملوك أدَّى حق الله تعالى وحقَّ ســيِّده، فله أجران، ورجل كانت له أَمَةٌ فغذَّاها، فأحســن غِذَاءها، ثمَّ أدَّبها فأحسن أدبها، ثمَّ أعتقها وتزوَّجها فله أجران**»[٣].

والأجر الأوَّل لصاحب الأمَة إنَّما هو على حُسْــن تأديبها وتعليمها، والأجرُ الثاني إعتاقها وتزوُّجها.

وقد انتهت هذه الوصايا النبويَّة المؤكدة إلى جوار ما في القرآن بأن

(١) رواه الحاكم في التفسير (٤٩٤/٢)، صحَّحه على شرطهما، ووافق الذهبي. موقوفًا.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري الأدب (٦٠١٥)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٢٥)، عن ابن عمر.
(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٩٧)، ومسلم في الإيمان (١٥٤).

QaradawiBooks.com

جعلت كل مجموعة سكنيَّة ـ قرية من القرى أو حيٍّ من الأحياء ـ وحدة مترابطة متكافلة في السـرَّاء والضرَّاء، في المجال الماديِّ، وفي المجال المعنويِّ على السَّواء.

ففي المجال الماديِّ أو الاقتصاديِّ يأبى النبيُّ ﷺ أن يقبل في محيط أهل الإيمان من ينعم بالخير والرخاء لنفسـه مغفلًا أمر جيرانه، فيقول: «**ليس بمؤمن** ـ وفي رواية: **ليس منَّا ـ من بات شـبعان وجارُه إلى جَنْبه جائعٌ وهو يعلم**»[1].

وفي المجال العقليِّ أو المعنويِّ، يفرض على الجيران الَّذين رُزقوا حظًّا من العلم، ألَّا يَدَعوا جيرانهم الَّذين لم يتح لهم أن يسـتنيروا بنور العلم، دون أن يُفقِّهوهم، ويؤدُّوا إليهـم زكاة علمهم، كما يؤدُّون إليهم زكاة أموالهم.

وقد رُوِيتْ في ذلك قصة جديرة أن تُسجَّل وتروى:

عن علقمة بن سـعد بن عبد الرحمٰن بن أبزى، عـن أبيه، عن جده قال: خطب رسـول الله ﷺ ذات يوم، فأثنى على طوائف من المسلمين خيرًا، ثمَّ قـال: «**ما بال أقـوام لا يُفقِّهـون جيرانَهـم، ولا يعلِّمونهم، ولا يعظونهم، ولا يأمرونهم، ولا ينهونهم؟ وما بال أقوام لا يتعلَّمون من جيرانهـم، ولا يتفقَّهـون ولا يتَّعظـون؟! والله ليُعلِّمَـنَّ قـومٌ جيرانَهم ويُفقِّهُونَهم ويعظونهم ويأمرونهم ويَنْهَوْنَهم، وليتعلَّمنَّ قومٌ من جيرانهم ويتفقَّهون ويتَّعظون أو لأُعاجلنَّهم العقوبة**».

(١) رواه البخاري فـي الأدب المفـرد (١١٢)، وأبو يعلى (٢٦٩٩)، والطبرانـي (١٥٤/١٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٥٥): رجاله ثقات. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٤٩)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

ثمَّ نزل، فقال قوم: مَنْ ترونه عنى بهؤلاء؟ قال: الأشعريين، هم قوم فقهاء، ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب، فبلغ ذلك الأشعريِّين، فأتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسولَ الله، ذكرتَ قومًا بخير، وذكرتنا بشرٍّ، فما بالنا؟

فقال: «**ليُعلِّمَنَّ قومٌ جيرانهم وليعظُنَّهم وليأمرُنَّهم وليَنهَوُنَّهم، وليتَعلَّمَنَّ قوم من جيرانهم ويتَّعظون ويتفقهون أو لأُعاجلنَّهم العقوبة في الدنيا**». فقالوا: يا رسولَ الله، أَنُفطِّنُ غيرنا؟ فأعاد قولَه عليهم، فأعادوا قولهم: أَنُفطِّنُ غيرنا؟ فقال ذلك أيضًا، فقالوا: أمهلنا سنة. فأمهلهم سنة ليُفقِّهوهم ويُعلِّموهم ويعظوهم، ثمَّ قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة: ٧٨][1].

ويعلق المرحوم الدكتور مصطفى السباعي على هذا الحديث، فيقول:

«إنَّك لترى في هذا الحديث من الحقائق ما يجدر التنبيه إليها:

١ ـ فالرسول عليه السلام لم يُقرَّ قومًا على الجهالة بجانب قوم متعلِّمين.

٢ ـ واعتبر بقاء الجاهلين على جهلهم وامتناع المتعلِّمين عن تعليمهم عصيانًا لأوامر الله وشريعته.

٣ ـ واعتبر ذلك أيضًا «عُدوانًا» و«منكرًا» يوجبان اللعنةَ والعذاب.

(١) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (١١١٨) من طريق الطبراني، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٤٨): رواه الطبراني في الكبير، وفيه بكير بن معروف، قال البخاري: ارم به. ووثقه أحمد في رواية، وضعفه في أخرى. وقال ابن عدي: أرجو أنَّه لا بأس به. وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٩٧).

QaradawiBooks.com

٤ ـ وأعلن الحرب والعقوبة على الفريقين حتَّى يُبادروا إلى التعليم والتعلُّم.

٥ ـ وأعطاهم لذلك مُهْلة عام واحد للقضاء على آثار الجهالة فيما بينهم.

٦ ـ ولئن كانت الحادثة قد وردت بشأن الأشعريِّين العلماء وجيرانهم الجهلاء، فإنَّ الرسول أعلن ذلك المبدأ بصفة عامة، لا بخصوص الأشعريين وحدهم، بدليل أنَّ الأشعريين لما جاؤوا يسألونه عن سرِّ تخصيصهم بهذا الإنكار كما فهم النَّاس، لم يقل لهم: أنتم المرادون بذلك، بل أعاد القول العام الَّذي سلف ثلاث مرات دون أن يخصِّصه بالأشعريين، إشعارًا بأنَّ القضية قضيَّة مبدأ عام غير مخصوص بفئة ولا عصر معين»[1].

٣ ـ الترحيب بالمتعلِّم والبشاشة له:

ومن القيم التربويَّة الجليلة: ما سنَّه الرسول ﷺ للمعلِّم من آداب ينبغي أن تراعى مع المتعلِّم حتَّى يؤتي التعليم أحسنَ الثمرات.

وأوَّل آداب المعلِّم مع المتعلِّم: أن يهشَّ له ويبشَّ في وجهه، ويظهرَ له البِشْر والابتهاج، ويُعلن عن الترحيب به، حتَّى تزولَ عنه الوحشة، وتنحلَّ من نفسه العُقدة، عقدة الخوف من المعلم، والرهبة من العلم.

وهذا ما كان يفعله النبيُّ ﷺ وأصحابه من بعده.

عن قَيْس بن كَثِير قال: قدم رجل من المدينة إلى أبي الدرداء رضي الله عنه وهو بدمشق، فقال: ما أقدمك يا أخي؟ قال: حديثٌ بلغني أنَّك تحدِّث

(١) اشتراكية الإسلام صـ ٥٩، نشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط ٢، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م.

QaradawiBooks.com

به عن رسول الله ﷺ. قال: أمَا قدمتَ لتجارة؟ قال: لا. قال: ما قدمتَ إلَّا في طلب هذا الحديث؟ قال: نعم. قال: فإنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنَّة، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإنَّ العالم ليستغفر له مَن في السماوات ومَن في الأرض حتَّى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء، إنَّ الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، إنَّما وَرِثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر**»[(١)].

وعن صفوان بن عسَّال المرادي رضي الله عنه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو في المسجد مُتَّكئ على بُرْد له أحمر، فقلتُ له: يا رسولَ الله، إنِّي جئتُ أطلب العلم. فقال: «**مرحبًا بطالب العلم، إنَّ طالبَ العلم تَحفُّه الملائكة بأجنحتها، ثمَّ يركب بعضهم بعضًا حتَّى يبلغوا السماء الدُّنيا، من محبَّتهم لما يطلب**»[(٢)].

وهكذا كان موقف صفوان مِمَّن يجيئه يطلب منه العلم ويسمع الحديث، فهو يُرحِّب به، ويُبشِّره بما بَشَّره به من قبل النبي ﷺ.

---

(١) رواه أحمد (٢١٧١٥)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، كلاهما في العلم، وابن ماجه في المقدمة (٢٢٣)، وابن حبان في العلم (٨٨)، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (٧٠٣): وصحَّحه ابن حبان والحاكم وغيرهما، وحسنه حمزة الكتاني، وضعَّفه غيرهم بالاضطراب في سنده، لكن له شواهد يتقوى بها. عن أبي الدرداء.

(٢) رواه أحمد (١٨٠٩٨)، وقال مخرِّجوه: حسن. والطبراني (٥٤/٨)، وابن حبان في الطهارة (١٣٢١)، والحاكم في العلم (١٠٠/١، ١٠١)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٥٠): رجال الطبراني رجال الصحيح.

QaradawiBooks.com

وكان أبو سعيد إذا جاءه طلاب العلم قال: مرحبًا بوصيَّة رسول الله ﷺ[١].

ودَرَج الصحابة ومَن بعدهم على قَبول وصيَّته ﷺ، في الترحيب بالمتعلِّمين وتكريمهم وإعانتهم أدبيًّا وماديًّا على الاستمرار في طلبهم للعلم.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول إذا رأى الشباب يطلبون العلم: مرحبًا بينابيع الحكمة، ومصابيح الظُّلَم، خُلْقان الثياب، جُدُد القلوب[٢]، حِلْس البيوت، ريحان كل قبيلة[٣]!

وكان أبو حنيفة يكثر مجالسة طلبته ويخصُّهم بمزيد الإكرام، وصنوف العناية في التكريم.

وكان البويطي يُدنيهم ويُقرِّبهم ويحضُّهم على الاشتغال، ويعاملهم بأشرفِ الأحوال[٤].

٤ ـ الرِّفق بالمتعلِّم والحُنوُّ عليه:

ومن أدب المعلِّم في الإسلام: أن يرفق بالمتعلِّم ويأخذ بيده، ويعاملَه معاملة الأب لولده، مقتديًا بالمعلم الأول، رسولِ الله ﷺ الَّذي وصفه الله

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢٤٩)، والترمذي في العلم (٢٦٥٠)، وضعَّفه، والحاكم في العلم (٨٨/١)، وقال: هذا حديث صحيح ثابت لاتفاق الشيخين على الاحتجاج بسعيد بن سليمان وعباد بن العوام والجريري، ثم احتجاج مسلم بحديث أبي نضرة فقد عددت له في المسند الصحيح أحد عشر أصلًا للجريري ولم يخرجا هذا الحديث الذي هو أول حديث في فضل طلاب الحديث ولا يعلم له علة، فلهذا الحديث طرق يجمعها أهل الحديث، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد، وأبو هارون ممن سكتوا عنه. وقال الذهبي: على شرط مسلم ولا علة له.

(٢) وهي القلوب التي لم يشبها شيء من تلك الأهواء، والتلون في الدين.

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢٥٧).

(٤) فيض القدير (١١٧/٤).

QaradawiBooks.com

بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، والَّذي وصف نفسه فقال: «**إنَّما أنا لكم مثلُ الوالد لولده**»(١).

وأهم ما يميِّز علاقة الأبوة بالبنوة هي صفة الرحمة والرفق والحُنو، وهذا ما ينبغي أن يحسَّ به التلميذ من أستاذه، فيشعر بحبِّه له، وحرصه على نجاته وسعادته في الأولى والآخرة.

وينبغي للمعلم أن يغرس الحبَّ والأخوَّة بين طلابه، كما يغرس الأبُ المحبَّةَ بين أبنائه، حتَّى يحب بعضهم بعضًا، ويعاون بعضهم بعضًا، ويعطف بعضهم على بعض، ولا يتباغضوا ويتحاسدوا. وكذلك كان علماء السلف في علاقاتهم بتلاميذهم.

يقول أمير المؤمنين في الحديث، سفيان الثوري: والله لو لم يأتوني لأتيتُهم في بيوتهم! يعني أصحاب الحديث(٢).

وقال الربيع بن سليمان: قال لي الشافعي: يا ربيع، لو قدرت أن أطعمك العلم لأطعمتك إيَّاه(٣).

وقال الربيع: كان الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُملي علينا في صحن المسجد، فلحقته الشمس، فمرَّ بعض إخوانه، فقال: يا أبا عبد الله، في الشمس؟ فأنشأ الشافعي يقول(٤):

أهينُ لهم نفسي لأُكرمَهم بها ولن تُكرَمَ النفسُ الَّتي لا تُهِينُها

(١) رواه أحمد (٧٣٦٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. وأبو داود (٨)، والنسائي (٤٠)، وابن ماجه (٣١٣)، وابن حبان (١٤٣١)، أربعتهم في الطهارة، عن أبي هريرة.

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٧٥٢).

(٣) المصدر السابق (٧٥٣).

(٤) المصدر السابق (٧٥٥).

QaradawiBooks.com

ومن دلائل هذا الرفق: أن يتبنَّى رُوح التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير، وهذا ما أوصى به النبي مَنْ بعثه من أصحابه معلِّمين وهُداة وقُضاة، مثل: معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري، فقد قال لهما وقد بعثهما إلى اليمن: «**يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا**»[١]. قال الحافظ في «الفتح» في شرحه لهذا الحديث: «وفي الحديث: الأمر بالتيسير، والرفق بالرعيَّة، وتحبيبُ الإيمان إليهم، وتركُ الشدَّة لئلَّا تنفر قلوبهم؛ ولا سيَّما فيمن كان قريبَ العهد بالإسلام، أو قارب حدَّ التكليف من الأطفال، ليتمكَّن الإيمان من قلبه، ويتمرَّن عليه.

وكذلك الإنسان في تدريب نفسه على العمل، إذا صدَقت إرادته لا يُشدِّد عليها، بل يأخذها بالتدريج والتيسير، حتَّى إذا أنِست بحالةٍ داومت عليها، نقلها لحالٍ آخر، وزاد عليها أكثر من الأولى، حتَّى يصل إلى قدر احتمالها، ولا يُكلِّفها بما لعلَّها تعجز عنه»[٢].

وفي حديث آخر: «**علِّموا، ويَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنفِّروا، وإذا غضب أحدكم فليسكتْ**»[٣].

وفي آخر: «**علِّموا ولا تعنِّفوا، فإنَّ المعلِّم خيرٌ من المُعنِّف**»[٤].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣)، كلاهما في الجهاد والسير، عن أبي موسى.

(٢) فتح الباري (١٦٣/١٣).

(٣) رواه أحمد (٢١٣٦)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والبخاري في الأدب المفرد (٢٤٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٤٨): فيه ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٣٧٥)، عن ابن عباس.

(٤) رواه الطيالسي (٢٦٥٩)، والبيهقي في المدخل إلى السنن (٦٢٧)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢٨٦/٢)، قال ابن مفلح في الآداب الشرعية (٢٢٤/١): حميد [وهو ابن أبي سويد] له مناكير تكلم فيه ابن عدي وغيره. وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (٧٠٩): ولكن من =

QaradawiBooks.com

وذلك أنَّ الله يريد بهم اليُسر، ولا يريد بهم العُسر، وهو يحبُّ الرفقَ في الأمر كلِّه، ويَجزي على الرفق ما لا يَجزي على العنف، وما دخل الرفق في شيء إلَّا زانه، ولا دخل العنف في شيء إلَّا شانه. وأحقُّ الأشياء بالرفق: التعليم، فعلى العلماء ـ كما قال الماوردي ـ ألا يعنِّفوا متعلمًا، ولا يحتقروا ناشئًا، ولا يستصغروا مبتدئًا، فإن ذلك أدعى إليهم، وأعطف عليهم، وأحث على الرغبة فيما لديهم(١).

وكان النَّبيُّ ﷺ أرفقَ النَّاس بالمتعلِّمين، وأبعدهم عن التَّشديد والتعسير، والفظاظة والغلظة، وهذا ما نوَّه به القرآن من أخلاقه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وكان الرجلُ يأتي من البادية، ويخاطبه باسمه مُجرَّدًا، ويُناديه من بُعْد، ويُكلِّمه بجفوة، وأحيانًا يستوقفه في الطريق، فيسع هذا كله بحلمه وحسنِ خُلقه، ويجيبه عمَّا سأل، وأكثر ممَّا سأل! وقد يهُمُّ أصحابُه به، أو يثورون في وجهه، فيُهدِّئ ﷺ من ثورتهم، ويُسَكِّنُ من غضبهم.

عن أبي أيُّوب رضي الله عنه، أنَّ أعرابيًّا عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفره، فأخذ بخطام ناقته ـ أو بزمامها ـ ثمَّ قال: يا رسول الله ـ أو يا محمَّد ـ أخبرني بما يُقرِّبني من الجنَّة، ويُباعدني عن النار. قال: فكفَّ النبيُّ ﷺ، ثمَّ نظر في أصحابه، ثمَّ قال: «**لقد هُدي**». قال: «**كيف قلت؟**». فأعادها،

= شواهده حديث ابن عباس: «علموا وبشروا ولا تعسروا». رواه أحمد وغيره، بل في صحيح مسلم عن أبي موسى أنَّ النبي ﷺ لما بعثه ومعاذًا إلى اليمن قال لهما: «يسِّرا ولا تعسِّرا، وعلِّما ولا تنفِّرا».

(١) فيض القدير (٣٢٨/٤). وهو في أدب الدنيا والدين للماوردي صـ ٨٤، نشر مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

فقال النبيُّ ﷺ: «**تعبدُ الله ولا تشــرك به شــيئًا، وتقيــم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم. دعِ النَّاقة**»[١].

وســيأتي مزيد من صور الرفق في إشــفاق النبــيِّ المعلِّم ﷺ على المخطئ.

وقد تثار هنا قضية الضرب واستخدام العصا في التعليم، وقد انتشر في ســنِّ طفولتنا وطفولة من قبلنا قولهم: عصا المعلِّــم أو المُقرئ من الجنَّة! وخصوصًا بالنسبة للصغار.

والتربويُّون في عصرنا ينكرون الضرب على الإطلاق.

والواقع أنَّ الضرب في الأصل ينبغي أن يُمنع؛ لأنَّه ينافي الرفق الَّذي تحدثنا عنه، وقدوتنا في هذا معلِّمنا الأوَّل رسول الله ﷺ، فقد روت عنه عائشة: أنَّه ما ضرب بيده شيئًا قط: لا امرأةً، ولا خادمًا، ولا دابَّة[٢].

ولم يَرِد عنــه أنَّه ضرب فيمن ضرب تلميــذًا أو طالبَ علمٍ يريد أن يتعلَّم.

ولم يشرع الإســلام ضرب الصغار إلَّا في موضع واحد جاء به في الحديث في تعويد الأبنــاء الصلاة قبل البلوغ، حتَّى يشــبُّوا على أدائها ورعايتها: «**مروهم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين**»[٣].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٦)، ومسلم في الإيمان (١٣).

(٢) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٢٨)، وأحمد (٢٤٠٣٤)، عن عائشة.

(٣) رواه أحمد (٦٦٨٩)، وقال مخرِّجوه: إســناده حســن. وأبو داود في الصلاة (٤٩٥)، وحسن إسناده النووي في خلاصة الأحكام (٢٥٢/١)، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (٢٣٨/٣). عن عبد الله بن عمرو.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهنا نلحظ أنَّه لم يُجز الضرب في سنِّ الطفولة المبكرة، بل بعد سنِّ العاشرة، ولم يجزه إلَّا بعد الأمر والدعوة والترغيب مدَّةَ ثلاث سنين.

وإنَّما شُرع الضرب في هذه الحال لإشعار الولد بجِديَّة الأمر، وحرص الأب، وأهمية المطلوب منه، وعدم التهاون فيه، فإن بعض الآباء قد يكتفي بكلمة عابرة يقولُها للولد: صَلِّ يا بني. ثمَّ لا يحاسبه بعد ذلك صلَّى أم لم يُصلِّ، استجاب لأمر أبيه أم جعله دَبْر أُذنيه.

وكما أنَّ الأب الحازم لا يرضى أن يُهمل ابنه أمره في شؤون الدُّنيا، فأحرى به أن يكون هذا موقفه مع ولده في شأن الدين، بل هو أهم وأولى.

ومنزلة المعلم منزلة الأب، فيجوز له ما يجوز للأب في بعض الأحيان، على أن يكون هذا استثناء من القاعدة الأصلية، وأن يكون ذلك ضرورة تقدَّر بقدرها.

وكما قال ﷺ في شأن الأزواج: «**لن يضرب خياركم**»، فهذا يقال للآباء والمعلمين أيضًا: «**لن يضرب خياركم**»(٤).

٥ ـ الإشفاق على المُخطئ:

ويتجلَّى الرفق كل الرفق في إشفاق النبي المعلِّم على المخطئ. فالخطأ لا يوجب مقابلة المخطئ بالعنف والقهر، أو التَّشنيع عليه، أو السُّخرية به، فإنَّ هذا قد يؤدِّي به إلى إذلال نفسيَّته، وتحطيم شخصيَّته، وهذا ضربٌ من القتل المذموم دينًا وخلقًا، أو يؤدِّي إلى الإصرار على

(٤) رواه الحاكم (١٩١/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي (٣٠٤/٧)، كلاهما في النكاح، عن أم كلثوم بنت أبي بكر.

QaradawiBooks.com

الخطأ، والتَّمادي في الباطل، والتَّحدِّي للحق، دفاعًا عن نفسه وتسويغًا للغلط، وكلا الأمرين شديدُ الخطر، عظيم الضرر.

ولا ريب أنَّ أعظم نموذجٍ للرفق بالمتعلمين إذا أخطؤوا هو رسول الله ﷺ، فهو خير من يُقدِّر الظروف، ويراعي الأحوال، ويسع النَّاس جميعًا، حتَّى ذلك الأعرابي الجلف الَّذي لم يخجل أن يبول في ركن من المسجد أمام النَّاس، فلم يُغلظ عليه، وقابله بما ينبغي لمثله من الرفق واللين.

الأعرابي الَّذي بال في المسجد:

روى مسلم في «صحيحه» عن أنس قال: بينما نحنُ في المسجد مع رسول الله ﷺ، إذْ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب الرسول ﷺ: «مَهْ مَهْ». كلمة زجر. قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزْرموه، دعوه**». فتركوه حتَّى بال، ثمَّ إنَّ رسول الله ﷺ دعاه، فقال له: «**إنَّ هذه المساجد لا تَصلُحُ لشيءٍ من هذا البول ولا القذر، إنَّما هي لِذِكْر الله ﷻ، أو الصَّلاة وقراءة القرآن**».

قال: فأمر رجلًا من القوم، فجاء بدلو من ماء فشنَّه عليه[1].

وروى الترمذي عن أبي هُرَيْرة قال: دخل أعرابيٌّ المسجد والنبيُّ ﷺ جالس، فصلى، فلمَّا فرغ قال: اللهمَّ ارحمْني ومحمَّدًا، ولا ترحم معنا أحدًا، فالتفت إليه النبيُّ ﷺ، فقال: «**لقد تَحجَّرتَ واسعًا**». فلم يلبث أن بال في المسجد فأسرع النَّاس، فقال النبي ﷺ: «**أهريقوا عليه سجلًا من ماء**». أو «**دلوًا من ماء**». ثمَّ قال: «**إنَّما بُعثتم مُيسِّرين، ولم تُبعثوا مُعسِّرين**»[2].

---

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٨٥)، عن أنس.

(٢) سبق تخريجه صـ١٧٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

راعى الرسول الكريم بداوة الرجل ونشأتَه وظروفَ حياته، فلم يستجب لثورة أصحابه وهياجهم عليه، وَعرَّفهم أنَّ علاج الأمر سهلٌ في مسجد لم يكن مفروشًا إلَّا بالحصباء، وهو صَبُّ دلْوٍ من ماء، ثمَّ نَبَّههم على طبيعة رسالتهم الَّتي كُلِّفوا حمْلها للناس، وهي التيسير لا التعسير.

شابٌّ يطلب الإذن بالزنى!

عن أبي أمامة: أنَّ فتًى من قريش جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، ائْذن لي في الزنى؟ فأقبل القوم عليه وزجروه، فقال ﷺ: «**ادْنُه**». فدنا، فقال: «**أتحبُّه لأمِّك؟**». قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: «**ولا النَّاس يحبونه لأمَّهاتهم**». ثمَّ قال له مثل ذلك في ابنته وأخته وعمته وخالته، وفي كل ذلك يقول: «**أتحبه هكذا؟**». فيقول: لا والله، جعلني الله فداك، فيقول ﷺ: «**ولا النَّاس يحبُّونه**». ثمَّ وضع يده عليه وقال: «**اللهمَّ اغفر ذنبَه، وطهِّر قلبَه، وحصِّن فرجه**». فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء[1].

فهذا شاب عارمُ الشهوة، ثائرُ الغريزة، صريحٌ في التعبير عن نوازعه إلى حدِّ الإغراب والإثارة، ورغم غرابة طلبه الَّذي أثار الجالسين عليه، لم يكن منه ﷺ إلَّا أن لقيَه بهذا الرفق العجيب، والحوار الهادئ، الَّذي يحمل المنطق المقنع، والرُّوح المُحبَّب، ثمَّ أنهى هذا الحوار بلمسة حنان على صدر الفتى المُتوقِّد، ومع اللمسة دعوات خالصات لله تعالى أن يغفر للفتى ويطهِّره ويُحصِّنه، فإذا هو يخرج من مجلس الرسول الكريم، كأنَّما كان هذا اللقاء لنار شهوته بردًا وسلامًا.

(١) سبق تخريجه صـ١٧٤.

QaradawiBooks.com

ولا تظنُّ أيها القارئ الكريم أنَّ هذا الأثر الَّذي تركه موقف النبي ﷺ في نفْس الشابِّ من هدوء نَفْس، وإعراض عن الزنى الَّذي كان يتوق إليه ويرغب فيه، كان معجزةً خارقة للنبيِّ ﷺ، ولا تتكرر لغيره إلَّا من باب الكرامات وخوارق العادات! كلَّا؛ فإنَّ أيَّ معلم ربَّاني الوجْهة، نبويَّ الطريقة، يقْتدي برسول الله ﷺ في سلوكه، قولًا وعملًا وروحًا، سيجد بتوفيق الله تعالى نفسَ الأثر، أو قريبًا منه، وَفْقًا لسُنَّة الله تعالى.

وأوْلى المخطئين بالإشفاق من كان خطؤه عن جهلٍ أو غفلة أو ضعف، وبخاصَّة من أخطأ لأول مرَّة، مثل الأعرابي الَّذي بال في المسجد، والشابِّ القرشي السابق ذكرهما.

الرفق بالمُصِرِّين على المعصية:

ولكنَّ قارئ السُّنَّة يجده ﷺ يسعُ بحلمه ورفقه من أصرَّ على الخطأ والمعصية نتيجة ضعف إرادته، وغلبة عادته، استبقاء له في دائرة الإيمان، وفي حظيرة المؤمنين، وتنبيهًا له بحُسن المعاملة على سوء صنيعِه، عسى أن يستيقظ ضميره، فيتوب من زلته، وينهض من سقطته.

وهل نجد مثلًا في هذا المجال أوضح من قصة ذلك الصحابيِّ المعروف الَّذي ما اشتهر باسمه، والَّذي وُلع بالخمر إلى حدِّ الإدمان، ولم يردَعْه أن ضُرب فيها غير مرَّة، حتَّى قال بعض الصحابة يومًا، وقد ضاق صدره بكثرة ما قُبض عليه في هذه الجريمة: ما له لعنه الله؟ ما أكثر ما يُؤْتى به! وهنا تَتَجلَّى الرحمة المحمديَّة، والرِّفق النبوي الرفيع، فيقول: «**لا تكن عونًا للشيطان على أخيك**»[1]، أو:

(١) رواه البخاري في الحدود (٦٧٨١)، عن أبي هريرة. بلفظ: «لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم».

QaradawiBooks.com

«**لا تكونوا عوْنًا للشيطان على أخيكم**»[١]. وفي رواية: «**لا تلعنه، فإنَّه يحبُّ الله ورسوله**»[٢].

تَنْبيهُ المخطئ على خطئه:

وإيَّاك أنْ تحسب أخي القارئ أنَّ الرفق بالمخطئ يعني السكوت على خطئه والإغضاء عنه، وفي هذا إقرار للخطأ، بل تشجيع وإشاعة له.

كلَّا، فالرِّفق بالمخطئ والإشفاق عليه لا ينافي تنبيهه على خطئه، بل زَجْره عنه بالرفق المناسب لظروف المخطئ ومدَى خطَئه ونوعه ودوافعه، وإرشاده إلى الصواب والوضع الصحيح بالَّتي هي أحسن، ولهذا رأيناه ﷺ بعد أن ترَك الأعرابيَّ يبول في المسجد دون أن تُقطع عليه بولته، وبعد أنْ أمر بصبِّ دلْو من ماء عليه، وبعد أنْ قال لأصحابه ما قال: «**إنَّما بُعثتم مُيَسِّرين، ولم تبعثوا معسِّرين**». دعاه، فقال له: «**إنَّ هذه المساجد لا تصلحُ لشيءٍ من هذا البول ولا القذَر، إنَّما هي لذكر الله** ﷻ، **والصلاة وقراءة القرآن**»، وفي هذا ـ كما يقول الإمام النووي ـ الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير إيذاء[٣].

وكذلك حين دعا الأعرابيُّ فقال: اللهمَّ ارحمني ومحمَّدًا ولا ترحم معنا أحدًا. نبَّهه النبيُّ ﷺ برفق إلى أنَّه ضيَّق واسعًا، حين قصر طلب الرحمة له وللرسول دون غيرهما، مع أنَّ رحمته تعالى وسعت كل شيء. ولهذا قال له: «**لقد تَحَجَّرت واسعًا!**».

---

(١) رواه أحمد (٤١٦٨). وقال مخرِّجوه: حسن بشواهده. عن ابن مسعود.

(٢) رواه البخاري في الحدود (٦٧٨٠)، عن عمر بن الخطاب. بلفظ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت إنَّه يحب الله ورسوله».

(٣) شرح النووي لمسلم (١٩١/٣)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد يكون هـذا التنبيـه أو الإرشـاد أو الزَّجْر من بـاب التعريض لا التصريح، وبالتعميـم لا بالتخصيص، ويدرك المخطئ حين يسـمع اللفظ العام أنَّـه المقصود مثل: «**ما بال أقوام يفعلـون كذا وكذا؟**». مثل ما ذكروه في قصَّة مَنْ هاجر من مكَّة إلـى المدينة من أجل امرأة يهواها وأطلق عليه بعـض الصحابة: مُهاجر أم قيس[1] وقالوا: إنَّه كان سـببًا في ورود الحديث المشهور: «**إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسـوله فهجرتُه إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها فهجرتُه إلى ما هاجر إليه**»[2].

التنبيه على الخطأ في غاية الرفق «زادك الله حرصًا ولا تعد»:

وطَوْرًا يكون التنبيه على الخطأ غايةً في الرِّفق، ورعاية الشعور، كما في قصَّة أبي بَكْرة حين دخل المسجد، والنَّبيُّ ﷺ في الركوع، فكبَّر من أوَّل المسجد وركع، وظلَّ يمشي راكعًا حتَّى وصل الصف. وكان ينبغي ألا يكبِّر ويدخل في الصلاة حتَّى يصل إلـى الصف، ولا يُصلِّي منفردًا خلف الصف، فلمَّا بلغ رسـول الله ﷺ فعله، قال له هذه الكلمة الطيِّبة: «**زادك الله حرصًا ولا تعد**»[3].

فهذه الجملة الموجَـزة تتضمَّن دعاءً ونهيًا: ففـي الدعاء تقدير لنُبْل الدافع الَّذي دفع الصحابي الكريم إلـى ما فعل، وهو الحِرص على ألا تفوته الركعة في الجماعة مع النبيِّ عليه السلام. وفي النهي إشـعار له بخطئه، لئلا يتكرر منه مرَّة أخرى، دون أن يقول له: قد أخطأت.

---

(١) رواه الطبراني (١٠٣/٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائـد (٢٥٨٠): رجاله رجال الصحيح. وقال ابن حجر في فتح الباري (١٠/١): إسناده صحيح على شرط الشيخين. عن ابن مسعود.

(٢) سبق تخريجه صـ١٩٦.

(٣) رواه البخاري في الأذان (٧٨٣)، عن أبي بكرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الرفق بالجديد على الإسلام ومجتمعه:

وعن معاوية بن الحكم السُّلَمي قال: بينما أنا أصلِّي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم! فقلتُ: واثُكل أمَّاه! ما شأنكم تنظرون إليَّ؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم.. فلمَّا رأيتُهم يُصمِّتونني، لكنِّي سكتُّ.

فلما صلَّى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي! ما رأيتُ معلِّمًا قبله ولا بعده أحسنَ تعليمًا منه، فوالله ما كَهَرني (أي: ما نهرني)، ولا ضربني، ولا شتمني. قال: «**إنَّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام النَّاس، إنَّما هي التَّسبيح والتَّكبير وقراءة القرآن**». فقلتُ: يا رسولَ الله، إنِّي حديث عهد بجاهليَّة، وقد جاء الله بالإسلام، وإنَّ منَّا رجالًا يأتون الكهان؟ قال: فلا تأتهم. قلتُ: ومنا رجال يتطيَّرون (يتشاءمون) قال: «**ذاك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يَصُدَّنَّهُم**»[1]. أي عن وجهتهم.

فهذا الأعرابي القُحُّ، الحديث العهد بالإسلام، يدخل الصلاة ويتصرَّف فيها كأنَّما هو في مجلس من مجالس القوم: يشمِّت العاطس، ويكلِّم من حوله، ويردُّ على من أنكر عليه، والصحابة يرون هذا منه وينبِّهونه بنظرات أعينهم، وحركات أيديهم، وهو لا ينتبه إلى خطئه، حتَّى فرغ من صلاته، وحكوا للنبيِّ ﷺ ما صنعه في صلاته.

وهنا تتجلَّى روح المعلِّم الحقِّ، وأسلوبه الرفيق الرقيق في معالجة الخطأ وتنبيه المخطئين، وتعليم المبتدئين. وهو ما لحظه هذا الرجل الأُمِّي البسيط بنور فطرته، وعبَّر عنه بعباراته القوية البليغة: «بأبي هو وأمي، ما رأيت معلِّمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كَهَرَني، ولا ضربني ولا شتمني».

(١) رواه مسلم في المساجد (٥٣٧)، وأحمد (٢٣٧٦٥)، عن معاوية السلمي.

QaradawiBooks.com

كل ما فعلــه ﷺ: أنَّــه نبَّهَه على خطئــه دون أن يقول لــه: أخطأت وأســأت، ولم تعرف للصلاة قدرَها، ونحو ذلك من العبارات القاسية. إنَّما بَيَّن له حقيقة الصلاة وما لا يليق من القول أنْ يَدخل فيها: «**إنَّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شــيء من كلام النَّاس، إنَّما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**». وكذلك يجب أن يكون المعلِّمون الصادقون.

موقف الرسول مع نسائه في قصة تخييرهن المعروفة:

وفي قصة تخيير نسائه ﷺ الَّتي نزل بها القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]. أقبل النبيُّ ﷺ على نســائه يَعرض عليهــن ما أمره الله به من التخيير، وبدأ بعائشة رضي الله عنها، فعرَض عليها أن تختار أحد أمرين: إمَّا اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة ـ على ما في ذلك من الكفاف، وحياة التَّقشُّف والزهد، وخشونة العيش ـ وإما الدُّنيا وزينتَها؛ فلها حقُّ المتعة والسَّراح الجميل، وطلب إليها أن تتَريَّث في الأمر، وألا تقطع فيه برأيٍ حتَّى تشاور أبويها!

وهنا قالت عائشة في حسْم ويقين: أفيك أسْتأمر أبويَّ يا رسول الله؟ بل أختار اللهَ ورسوله والدارَ الآخرة!

ثم غلبت الطبيعة البشريَّة النَّســويَّة على عائشة، فطلبت منه عليه الصلاة والسلام أَلَّا يخبر أحدًا من نسائه بما اختارته حتَّى لا يُؤثِّر موقفها في موقفهنَّ، كأنَّما تريدُ لهنَّ جميعًا أن يخترن الدُّنيا وزينتها، وتنفرد هي بهذه المزيَّة، ويخلو لها وجه النبي ﷺ!

وهنا يتجلَّى المعنــى التربوي الكبيــر في موقفه عليه الصلاة والسلام حيــن قال لها: «**يا عائشة، إنَّ الله لم يبعثني مُعنِّتًا ولا مُتعنِّتًا، ولكن بعثني معلِّمًا مُيسِّرًا**»[1].

(١) رواه مسلم في الطلاق (١٤٧٨)، وأحمد (١٤٥١٦)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

فلم يُقر الصِّدِّيقةَ بنت الصِّدِّيق على نزعتهـا تلك، وبيَّن لها وظيفتَه الَّتـي لا يتركها ولا تتركه، وهي: أنَّـه معلِّم، ومعلِّم مُيسِّـر، غير مُعنِّت ولا متعنِّت.

قال المُناوي: «فيه إشـعار بأنَّ من دقائق صناعـة التعليم: أن يزجر المعلم المتعلِّمَ عن سوء الأخلاق باللطف، والتعريض ما أمكن من غير تصريح، وبطريـق الرحمة من غير توبيخ، فـإنَّ التَّصريح يهتك حجاب الهيبـة، ويُورث الجرأة علـى الهجوم بالخلاف، ويهيـج الحِرص على الإصرار. ذكره الغزالي»[(١)].

زجر عائشة في بعض المواقف لحاجة:

غير أننا نجد النَّبيَّ ﷺ، يزْجر عائشـة نفسـها على خطأ ارتكبته في موقف آخـر، وكان الزجر بطريقـة فيها لون من الشـدَّة يغاير ما ذكرناه سـابقًا. وذلك أنَّها اعتـدت على حقِّ ضـرَّة من ضرائرها مـن أمَّهات المؤمنين، فقد قالت للرسول ﷺ: حسْبك من صفيَّة كذا وكذا. قال بعض الرواة تعني: قصيرة. فقال: «**يا عائشـة، لقد قلتِ كلمـة لو مُزِجت بماء البحر لمَزَجَتْه**»[(٢)].

يعني: أنَّ هذه الكلمة أو هذه الإشـارة الَّتي لـم تصل إلى التَّصريح الكامل جديرةٌ بـأن تُعكِّر بحرًا، على عمقه وسَـعَته، هذا مع أنَّها أحبُّ نسائه إليه ﷺ.

---

(١) فيض القدير (٥٧٣/٢). وانظر كلام الغزالي في الإحياء (٥٧/١).

(٢) رواه أحمد (٢٥٥٦٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٤٨٧٥)، والترمـذي في صفة القيامة (٢٥٠٢)، وقال: حسـن صحيح. وصحَّحـه الألباني في تخريج الحلال والحرام (٤٢٧)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

اشتداد النكير على ما يبدو انحرافًا في الاتجاه:

وأحيانًا يشتدُّ النكير ويعلو الصوت بالتنديد والغضب، في غير إسفاف ولا إسراف، وذلك حين لا يكون الخطأ مجرَّد خطأ في سلوك جزئيٍّ فرديٍّ، بل يمثِّل بداية انحراف في الاتِّجاه، وفي المنهج، كقوله لعُمر حين رأى معه بعض كتب أهل الكتاب المحرَّفة: «**أمتهوِّكون** ـ أي: أمتَحيِّرون ـ **فيها يا ابنَ الخطَّاب؟ واللهِ لو كان موسى حيًّا ما وَسِعه إلَّا أنْ يتبعني**»[(١)].

ونحو ذلك لمَّا شكا إليه بعض أصحابه أنَّه يتأخَّر عن الجماعة لما يجد من تطويل الإمام بهم، قال أبو مسعود الأنصاري راوي هذا الحديث: فما رأيتُ النبيَّ ﷺ في موعظة أشدَّ غضبًا من يومئذٍ، فقال: «**يا أيُّها النَّاس، إنَّ منكم مُنفِّرين، فمن صلَّى بالناس، فلْيُخفِّف، فإنَّ فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة**»[(٢)].

اشتداد الإنكار حين يكون الانحراف جماعيًّا:

وتشتدُّ اللهجة بالإنكار أكثر وأكثر حينما يتمثل هذا الانحراف في جماعة أو تكتل، كقوله ﷺ حينما تَنَادى الأوس: يا لَلْأوس! وتَنادى الخزرج: يا لَلْخزرج! «**أبدعوى الجاهليَّة وأنا بين أظهركم؟!**»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (١٥١٥٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والدارمي في المقدمة (٤٤٩)، وأبو يعلى (٢١٣٥)، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٣٤/١٣): رجاله موثقون إلَّا أن في مجالد ضَعْفًا. عن جابر بن عبد الله.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٠٢)، ومسلم في الصلاة (٤٦٦).

(٣) رواه الطبري في التفسير (٥٦/٦)، وانظر: تفسير ابن كثير (٩٠/٢)، وروح المعاني للألوسي (٢٣٢/٢)، تحقيق علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

QaradawiBooks.com

وقوله للثلاثة الَّذين قرَّر أحدهم قيام الليل كلِّه، والثاني صيام الدهر كلِّه، والثالث اعتزال النساء أبدًا: «**أمَّا إنِّي أخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنِّي أقوم وأنام، وأصوم وأُفطر، وأتزوج النساء، فمن رغِب عن سنَّتي فليس مني**»[(١)].

ومثل ذلك ما رواه عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه: أنَّه ﷺ سمع قومًا يتمارون في القرآن، فقال: «**إنَّما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتابَ الله بعضه ببعض، وإنَّما نزل كتاب الله يُصدِّق بعضُه بعضًا، فلا تكذِّبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم فَكِلوه إلى عالمه**»[(٢)].

وفي بعض الروايات: أنَّه خرج على أصحابه، وهم يختصمون في القدر، فكأنَّما يُفقأ في وجهه حبُّ الرُّمَّان من الغضب، فقال: «**بهذا أُمِرْتم، أو لهذا خُلِقْتم! تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم**»[(٣)].

وإنَّما أغضبه ﷺ التدافع والمِراء في القرآن، وضربُ آياته بعضِها ببعض، فإنَّ هذا بداية فتنة في الفكر والعقيدة لا يعلمها إلَّا الله، لأنَّ القرآن أنزله الله ليحكم بين النَّاس فيما اختلفوا فيه، ويجمعهم على كلمة سواء، فإذا أصبح هو مجالًا للتنازع والمراء والاختلاف فقد أصبح محتاجًا إلى حاكم آخر يحسم النزاع، ويُصفِّي الخلاف، وهذا مبتدأُ تمزُّق الأمم، وشيوع الانحرافات والأهواء والبدع، وهذا ما أهلك الأمم من

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (٦٧٠٢)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وعبد الرزاق في جامع معمر (٢٠٣٦٧)، والطبراني في الأوسط (٢٩٩٥).

(٣) رواه أحمد (٦٦٦٨)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٨٥)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٤/١): إسناده صحيح، رجاله ثقات.

QaradawiBooks.com

قبل، وهو خليقٌ أن يهلك هذه الأمة من بعد، ومن ثَمَّ كان غضبه وزجْره ﷺ.

غير مرخصة للطباعة

٦ ـ تشجيع المُحسن والثناء عليه:

وإذا كان من المبادئ النافعة الَّتي انتهجها النبي المعلِّم ﷺ في التعليم والتربية، تسديد المخطئ، والأخذ بيده في رفق، فإنَّ ممَّا يكملها تشجيعه من أصاب وأحسن، والإشادة بإحسانه، والثناء عليه، ليزداد نشاطًا في الخير، وإقبالًا على العلم والعمل، ويضيف إحسانًا إلى إحسان، وهكذا كان ﷺ.

كان أبو موسى الأشْعَرِي حَسن التلاوة للقرآن، فقال له النبي ﷺ: «**لقد أُوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**»[(١)]. يعني بآل داود: داود نفسه.

وقال له يومًا: «**لو رأيتَني وأنا أستمعُ لقراءتك البارحة!**». (أي: لسرَّك ذلك) فقال أبو موسى: يا رسولَ الله، لو أعلم أنَّك تسمعه لحَبَّرتُهُ لك تحبيرًا[(٢)].

وعن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذر، أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟**». قلتُ: ﴿**ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ**﴾ (يعني الآية المعروفة بآية الكرسي). فضرب في صدري وقال: «**ليَهْنِكَ العلمُ أبا المنذر**»[(٣)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٤٨)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٩٣)، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) حبَّر بمعنى حسَّن، والمراد بالحديث تحسين الصوت. والحديث رواه أبو نعيم الأصبهاني في مستخرجه (١٨٠٣)، والبيهقي في الصلاة (١٢/٣).

(٣) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٨١٠)، وأحمد (٢١٢٧٨).

QaradawiBooks.com

ومن قرأ كتاب المناقب أو الفضائل في صحيح البخاري، أو صحيح مسلم، أو غيرهما من كتب الحديث، يجد نصوصًا جمَّة، تحمل الثناء على أفراد أو جماعات من أصحاب النبيِّ ﷺ.

ولم يكن النبيُّ ﷺ يُلقي ما يقوله من كلمات الثناء اعتباطًا، أو مجاملة، بل كانت تقديرًا لمن يستحق التقدير، وتكريمًا لمن هو أهلٌ للتكريم، كما أثنى على أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وغيرهم من كبار الصحابة في مواقف شتَّى.

وقال لسعد بن أبي وقَّاص يوم أحد: «**ارْمِ فداكَ أبي وأمي**»[(١)].

وقدِم أهل اليمن على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلًا يعلِّمنا السُّنَّة والإسلام، قال فأخذ بيد أبي عبيدة، فقال: «**هذا أمين هذه الأُمَّة**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**خُذوا القرآن من أربعة: من ابن أمِّ عبد ـ يعني ابن مسعود ـ ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة**»[(٣)].

وأثنى على أبي هُرَيْرة لمَّا سأله: مَنْ أسعدُ الناسِ بشفاعتك يوم القيامة[(٤)]؟

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٠٥)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤١١)، عن علي بن أبي طالب.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في أصحاب الرسول (٣٧٤٤)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤١٩)، عن أنس بن مالك.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٨٠٨)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٦٤)، عن عبد الله بن عمرو.

(٤) رواه البخاري في العلم (٩٩)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة عليه
QaradawiBooks.com

وفي حديث اشتهر عنه، ذكر عددًا من أصحابه، كلٌّ بأبرز ما يميِّزه من فضائل، قال: «**أرحم أُمَّتي بأُمَّتي أبو بكر، وأشدُّهم في الله عمر**». وفيه: «**وأقضاهم عليٌّ، وأفرضهم** (أي: أعلمهم بالفرائض وهي المواريث) **زيد، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل...**»[(١)].

وهكذا كان يُنوِّه بأقدار الفضلاء من أصحابه، وبذوي المواهب المتميِّزة منهم، ليعرف النَّاس ذلك لهم، ويأخذوا عنهم، وينتفعوا بهم.

وقد ذمَّ النبي ﷺ في حديث له صنفًا من الأئمة إنْ أحسنتَ لم يشكر، وإنْ أسأتَ لم يغفر[(٢)]. وهذا إذا كان مذمومًا في الرؤساء، فهو كذلك مذموم في المعلِّمين.

إشادة المعلم بمواقف تلاميذه والتنويه بالمتميِّزين منهم:

وكذلك ينبغي لكلِّ معلم راشد أن يقتدي بمنهج النبي ﷺ فيشيدَ بالمواقفِ الحسنة لتلاميذه، ويُنوِّهَ بكلِّ من له موهبةٌ أو قدرة، ليُنمِّي فيهم الطموح والتفوُّق، ولينبِّه الآخرين على فضلهم، فينافسوهم في الخير إن استطاعوا، أو يعترفوا لهم بالفضل إن عجزوا. وإن كلمة تقدير

---

(١) رواه أحمد (١٣٩٩٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في المناقب (٣٧٩١)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في المقدمة (١٥٤)، والحاكم في معرفة الصحابة (٤٢٢/٣)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر في الفتح (٩٣/٧): وإسناده صحيح إلَّا أنَّ الحفاظ قالوا: إنَّ الصواب في أوله الإرسال، والموصول منه ما اقتصر عليه البخاري. يعني (وإن لكل أمة أمينًا وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٢٢٤)، عن أنس.

(٢) رواه الطبراني (٣١٨/١٨)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢٥٣/١)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٧٣): رواه الطبراني بإسناد لا بأس به. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٦٠): رواه الطبراني وفيه محمد بن عصام بن يزيد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه، وبقية رجاله وثقوا. عن فضالة بن عبيد.

QaradawiBooks.com

وتكريم من أستاذ له قدر في شأن أحد تلاميذه، قد تصنع منه بتوفيق الله تعالى نابغة من نوابغ العلم.

ومن طلاب العلم مَـن أُوتي الموهبة والـذكاء، والقدرة على الفهم والتحليل والتحصيل، ولكن تنقصه الثقة بالنفس، والأملُ في الغد، فما أحوجه إلى كلمة من أستاذ مرشد تنفعه وترفعه!

ذكر يوسف بن يعقوب ابنُ الماجِشـون أنَّه كان هو وأخ له وابن عم يطلبون العلم عند ابن شـهاب الزهري، فقال لهم: لا تحقروا أنفسـكم لحداثة أسـنانكم، فإنَّ عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل، دعا الفتيان فاستشارهم، يبتغي حدَّة عقولهم[1].

٧ ـ التدرُّج في التعليم:

ومن المبادئ الَّتي حرص عليها الرسول المعلم في جميع المجالات ـ وخصوصًا مجالات التربية ـ وجاءت بها السُّنَّة القوليَّة والعمليَّة: التَّدرُّج في التعليم.

وهذا واضح في جانب التكليف والتشـريع، فقد كان التكليف في العهد المكي مقصورًا على أحكام العقيدة ومكارم الأخلاق، ثمَّ فُرِضت الصلاة بصورتها الحالية قُبَيْل الهجرة، وكانت في أوَّل الأمر ركعتين ثمَّ أُقرَّت في السفر وزِيدَت في الحضر.

وفي المدينة فُرِضت بقية الفرائض، وحُـرِّم الخمر والربا وغيرهما، كل ذلك بمنهـج تدريجيٍّ حكيم يسـهِّل على المكلَّفيـن امتثال الأمر واجتناب النهي في غير حرَج ولا إعنات.

(١) رواه البيهقي في آداب القاضي (١١٣/١٠).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهكذا كان الرسول الكريم يعلِّم أصحابه: أن يأخذوا بسُنَّة (التَّدرُّج) الَّتي هي سُنَّة الله في الحياة والوجود كله، فهي سُنَّة كونيَّة، وسُنَّة شرعيَّة.

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا بعث معاذًا إلى اليمن قال: «**إنَّك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فادْعهم إلى شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنِّي رسول الله، فإنْ هم أطاعوك لذلك، فأعلِمْهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإنْ أطاعوك لذلك، فأعلِمْهم أنَّ الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فتردّ على فقرائهم**»[(١)].

فقوله: «**تأتي قومًا من أهل الكتاب**». كالتوطئة للوصية، ليستجمع همَّته عليها، لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون مخاطبتهم كمخاطبته الجُهَّال من عَبَدَة الأوثان[(٢)].

ثم أمره أنْ يبدأ دعوتَه بأمر العقيدة، فيدعوهم إلى الشهادتين، لأنهما باب الدخول في الإسلام، وأصل الدين كلِّه، ولا تقبل عبادة ولا عمل بغير الإقرار بهما والإذعان لهما.

فإنْ هم أطاعوا لذلك ورضوا بالله ربًّا، وبمحمَّدٍ رسولًا، أعلمهم بالفريضة اليوميَّة والعبادة العمليَّة الأولى، الَّتي هي الرباط الدائم بين الإنسان وربه، والفيصل الفارق بين المسلم والكافر، وهي الصلاة عمود الإسلام.

فإن هم عرفوا ذلك واستجابوا له، أعلمهم بالفريضة العمليَّة الثانية ـ وهي شقيقة الصلاة في القرآن والسُّنَّة، والرباط الاجتماعي والاقتصادي بين المسلمين بعضهم وبعض ـ وهي الزكاة، قنطرة الإسلام. وهكذا ينبغي أن تكون الدعوة ويكون التعليم.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٧٧.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٣٥٨/٣).

QaradawiBooks.com

التدرُّج ذو شقَّين:

والتدرج ذو شقَّين: شقٌّ يتعلق بالكمّ، وشقٌّ يتعلق بالكيف:

الشقُّ المتعلِّق بالكم:

فالأوَّل يعني: أنْ يُعطى المتعلِّم من العلم المقدارَ الملائمَ له، ولا يكثر عليه الأستاذ، ويحمِّله ما لا يطيق، فينوء به، ويضيِّعُه كلُّه، فهو يريد أن يعطيَه الكثير دفعة واحدة، فيضيع بذلك الكثير والقليل. والعلم متين كالدين، فيجب أن يوغَل فيه برفق، فإنَّ المنبتَّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى.

وفي هذا أوصى الزهري تلميذه يونس بن زيد، فقال: يا يونسُ، لا تُكابرْ العلم، فإنَّ العلم أوْدِيَةٌ، فأيُّها أخذتَ فيه قطع بك قبل أن تَبْلُغَهُ، ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة، فإنَّ من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة! ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي[١].

الشقُّ المتعلِّق بالكيف:

والشيء الثاني في التدرُّج: هو ما يتعلَّق بالكيف والنوع؛ على أنْ يبدأ الأستاذ مع طلابه بالجَليِّ من العلم قبل الخَفيّ، والبسيط قبل المركّب، وبالخفيف قبل الثقيل، والجُزئيّ قبل الكلِّي، وبالعملي قبل النظريّ.

ومن الحِكَم المأثورة: الرَّبَّاني الَّذي يُربِّي النَّاس بصغار العلم قبل كباره[٢].

---

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٦٥٢).

(٢) صحيح البخاري (٢٤/١).

QaradawiBooks.com

والمراد بصغار العلم: ما وضح من مسائله، وبكباره: ما دقَّ منها. وقيل: يعلمهم جزئيَّاته قبل كليَّاتــه، أو فروعه قبل أصوله، أو مقدِّماته قبل مقاصده[١].

والمهــمُّ ألَّا يبدأ المعلم تلاميــذَه بدقائق العلم، وعويص مســائله، فيغرقَهم في بحر عميق لا يســتطيعون النجاة منه، بل يبدؤهم بالأسهل والأيْسر؛ لأنَّ الشــيء إذا كان في ابتدائه سهلًا حُبِّبَ إلى من يدخلُ فيه، وتلقّاه بانبساط، وكانت عاقبته غالبًا الازدياد منه، بخلاف ضدِّه[٢].

وهكذا كانوا يكتبون لكلِّ مرحلة فــي الطلب ما يليق بها، فالمبتدئ غير المتوسط غير المنتهي.

وكذلك ينبغي أن تُراعى مراحل العمر، فيُعطي للصبي غير ما يُعطى للمراهق، غير ما يُعطــى للناضج، وهذا ما يحرص عليــه رجال التربية اليوم في وضع المناهج، وفي تأليف الكتب.

٨ ـ رعاية الفروق الفرديَّة:

ومن منهج النبي ﷺ في التعليم وقيمــه الأصيلة الَّتي قرَّرها: مراعاة الفروق بين النَّاس بعضهم وبعض: الفروق الفرديَّة، أو البيئيَّة، أو النَّوعيَّة. فليس كل ما يصلح لشــخص يصلح لآخر، وليــس كل ما يصلح لبيئة يصلح لأخرى، وليس كل ما يصلح لفئة أو جنس يصلح لغيرها، وليس كل ما يصلح لزمن يصلح لسائر الأزمنة والعصور.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٦٢/١).

(٢) المصدر السابق (١٦٣/١).

QaradawiBooks.com

والمعلِّم الموفَّق هو الَّذي يُعطي كل إنسان ـ فردًا أو جماعة ـ من العلم ما يلائمُه ويصلح له، وبالقدر الَّذي يصلح به، وفي الوقت الَّذي ينتفع به.

وكان معلم البشريَّة الأوَّل هو خير المراعين لهذا الجانب، نظرًا وتطبيقًا.

ومن الأدلَّة على اعتبار هذه الفروق ومراعاتها بالفعل عدَّة أمور:

١ ـ اختلاف وصاياه ﷺ باختلاف الأشخاص الَّذين طلبوا منه الوصيَّة.

٢ ـ اختلاف أجوبته وفتاواه عن السؤال الواحد باختلاف أحوال السائلين.

٣ ـ اختلاف مواقفه وسلوكه باختلاف الأشخاص الَّذين يتعامل معهم.

٤ ـ اختلاف أوامره وتكليفاته باختلاف مَنْ يُكلِّفهم من الأشخاص واختلاف قدراتهم.

٥ ـ قَبولُه من بعض الأفراد موقفًا أو سلوكًا لا يقبله من غيره لاختلاف الظروف.

اختلاف وصاياه ﷺ باختلاف الأشخاص الَّذين طلبوا منه الوصيَّة:

وفي البند الأول: نجد أناسًا عديدين سألوه ﷺ أن يوصيهم، إمَّا مطلقًا، وإما مقيَّدًا بما يُقرِّبهم إلى الجنَّة ويُبعدهم عن النار، أو نحو ذلك من العبارات الجامعة، فأوصاهم بوصايا مختلفة.

• فبعضهم قال له: «**تعبدُ الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيمُ الصَّلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرَّحم**»[1].

(١) سبق تخريجه صـ٢٤٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• وبعضهم قال له: «**اتَّق الله حيثما كنت، وأتْبع السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالق النَّاس بخُلق حسن**»[١].

• وبعضهم قال له: «**قل: آمنت بالله، ثمَّ استقم**»[٢].

• وبعضهم قال له: «**لا تغضبْ**»[٣] ولم يزد على ذلك.

وهكذا كان يراعي ﷺ حال المستوصي، ويعطي كلَّ واحد ما يراه أحوج إليه. فشأنه مع السائلين كالطبيب مع المرضى، يعطي كل واحد من الدواء ما يناسبه.

اختلاف أجوبته وفتاواه عن السؤال الواحد باختلاف أحوال السائلين:

وفي البند الثاني: نجده ﷺ يُسأل: أي العمل أفضل؟ أو أي الإسلام أفضل؟ فنراه يجيب هذا بغير ما يجيب به ذاك.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: سألتُ رسول الله ﷺ: أيُّ الأعمال أحب إلى الله؟ فقال: «**الصلاة على وقتها**». قلتُ: ثمَّ أي؟ قال: «**بر الوالدين**». قلتُ: ثمَّ أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»[٤].

وعن رجل من خثعم رضي الله عنه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو في نفر من أصحابه، فقلتُ: أنت تزعم أنَّك رسول الله؟ قال: نعم. قال: قلت: يا رسولَ الله، أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ قال: «**الإيمان بالله**». قلتُ: يا رسولَ الله، ثمَّ مَهْ؟

---

(١) رواه أحمد (٢١٣٥٤)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح. وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧)، عن أبي ذر.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٣٨)، وأحمد (١٥٤١٦)، عن سفيان بن عبد الله الثقفي.

(٣) رواه البخاري في الأدب (٦١١٦)، عن أبي هريرة.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٢٧)، ومسلم في الإيمان (٨٥).

QaradawiBooks.com

(أي: ثمَّ ماذا؟) قال: «**ثم صلة الرَّحِم**». قال: قلت: يا رسولَ الله، ثمَّ مَهْ؟ قال: «**ثمَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...**» الحديث[١].

ولا تفسير لهذا الاختلاف في الجواب مع اتِّحاد السؤال، إلَّا مراعاة أحوال السائلين، وما بينهم من فروق يجب اعتبارها.

ولما سأله النساء عن الجهاد قال: «**لكُنَّ أفضل الجهاد: حجٌّ مبرور**»[٢].

وفي صحيح البخاري، عن أبي موسى قال: قالوا: يا رسولَ الله، أيُّ الإسلام أفضل؟ قال: «**من سلِم المسلمون من لسانِه ويده**»[٣].

وفيه عن عبد الله بن عمرو: أنَّ رجلًا سأل النبيَّ ﷺ: أيُّ الإسلام خير؟ قال: «**تُطعم الطعام، وتَقْرأ السلام على مَنْ عرفت ومَن لم تعرف**»[٤].

والسؤال الثاني: كالأول وإن اختلفت الألفاظ، لكن الجواب ليس واحدًا. كما قلنا من اختلاف أحوال السائلين أو السامعين، فالجواب في السؤال الأوَّل وجَّه العناية إلى تحذير من خشي منه الإيذاء بيدٍ أو لسان، فأرشد إلى كفِّهما عن الأذى. وفي الثاني كان الاهتمام بترغيب من رجَا فيه النفعَ العام بالفعل والقول، فأرشده إليهما! وخصَّ الخصلتين المذكورتين بالتنويه لمسيس الحاجة إليهما في ذلك الوقت، لما كانوا فيه من الجَهد والفاقة، ولمصلحة تأليف القلوب[٥].

---

(١) رواه أبو يعلى (٦٨٣٩)، وجود إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٧٩٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٤٥٤): رجاله رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاحي وهو ثقة. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٦).

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٨٤)، عن عائشة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (١١)، ومسلم (٤٢)، كلاهما في الإيمان.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩) كلاهما في الإيمان.

(٥) فتح الباري (٥٦/١).

QaradawiBooks.com

وأوضح مـــن ذلك اختلاف الجواب عن الســؤال الواحد، في قضية واحدة، في مجلس واحد.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنَّا عند النبي ﷺ، فجاء شابٌّ فقال: يا رسولَ الله، أُقبِّلُ وأنا صائم؟ فقال: «**لا**».

فجاء شيخ، فقال: يا رسولَ الله، أُقبِّلُ وأنا صائم؟ فقال: «**نعم**». فنظر بعضنا إلى بعض! فقال رســول الله ﷺ: «**قد علمتُ نظــرَ بعضكم إلى بعض، إنَّ الشيخ يملك نفسه**»[1].

وهذا من الأدلة الشَّــرعيَّة لما قــرَّره العلماء من تغيُّــر الفتوى بتغيُّر الأحوال.

اختلاف مواقفه وسلوكه باختلاف الأشخاص الَّذين يتعامل معهم:

وفي البند الثالث: نجده ﷺ يعامــل الأعراب القادمين من البادية بما لا يعامل به أصحابــه الَّذيــن رُبُّوا في حجْــر النبــوة، ويغتفر لأولئك ما لا يغتفر لهؤلاء، ويتألَّف قلوب «مُســلِمة الفتح»، وزعماء القبائل بما لا يصنع مثله مع المهاجرين والأنصار!

ويعامل أصحابه أيضًا على منازلهم وطبائعهم، فهو يغطِّي فخِذيه أو ساقيه، ويُسوِّي ثيابه عند دخول عثمان عليه، ولم يفعل ذلك مع أبي بكر وعمر، مُراعيًا طبع الحياء في عثمان قائلًا: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟**».

(١) رواه أحمد (٦٧٣٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والخطيب في الفقيه والمتفقه (٤٠٨/٢)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٦٠٦).

QaradawiBooks.com

وقد لاحظت عائشة ذلك، فقالت: يا رسولَ الله، ما لي لم أرَك فزعت لأبي بكر وعمر كما فزعت لعثمان؟ فقال: «**إنَّ عثمان رجلٌ حَيِيٌّ، وإنِّي خشيت إنْ أذِنت له على تلك الحال ألا يبلغ إليَّ في حاجته**»[١].

وإذا دخل عليه كريم قوم أكرمه، وإذا دخل عليه سفيهٌ أو شرِّير داراه بطلاقة الوجه أو بكلمة طيِّبة ـ دون مداهنة أو مدح بالباطل ـ تألُّفًا له، واتِّقاءً لشرِّه.

ويُحدِّث معاذًا ببعض المبشِّرات فيمن مات على التوحيد، ولا يأذن له بأنْ يبشِّر بها جمهور النَّاس مخافةَ أن يتَّكلوا[٢].

اختلاف أوامره وتكليفاته باختلاف مَن يُكلِّفهم من الأشخاص واختلاف قدراتهم:

وفي البند الرابع: نجده ﷺ يُكلِّف كل إنسان، بما يقدر عليه، وما يليق به، وما يلائم حاله.

ففي حدَث كحدث الهجرة إلى المدينة والاختفاء في غار حراء، نراه ﷺ يكلِّف عددًا من الأشخاص بعددٍ من المهمَّات المتنوِّعة، كلٌّ فيما يناسبه، فأبو بكر كلف رفقته بعد تكليفه إعداد الرواحل، وعليٌّ كُلِّف المبيتَ في مكانه ﷺ احتمالًا لأيِّ خطر، وأسماء بنت أبي بكر كُلِّفت ما يليق بها من حمل الطعام والأخبار إلى رفيقَي الغار، وعبد الله بن أبي بكر، وعامر بن فَهيرة، كلٌّ منهما له دوره.

---

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٢)، وأحمد (٢٥٣٣٩)، عن عائشة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢٨)، ومسلم في الإيمان (٣٢)، عن أنس بن مالك.

QaradawiBooks.com

وهكذا نجده ﷺ يُوَلِّي خالد بن الوليد وعمرو بن العاص على بعض السرايا الحربيَّة، على حين كلَّف حسان بن ثابت بأن يدافع عنه أمام هجاء الشعراء من قريش بسلاح الشعر الَّذي هو أشدُّ عليهم من وقع الحسام في غبش الظلام[١]، ولم يُجِب أبا ذر إلى طلبه حين سأله أن يولِّيه، لما يعرف من صرامته وحدَّة طبعه[٢].

قَبولُه من بعض الأفراد موقفًا أو سلوكًا لا يقبله من غيره لاختلاف الظروف:

وفي البند الخامس: نجده ﷺ يقبل من بعض الأعراب الاقتصار على أداء الفرائض، حتَّى قال له بعضهم: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. فقال ﷺ: «**أفلح إن صدق**»[٣].

وفي حديث: «**مَنْ سرَّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنَّة فلينظر إلى هذا**»[٤]. على حين لم يقل ذلك لغيره من أصحابه المهاجرين والأنصار.

وهذا هو موقف المُربِّي الحق، والمعلِّم المرشد من طلابه وأصحابه أن يُراعي ظروفهم، وقدراتهم العامَّة والخاصَّة، وأحوالَ كل فئة منهم، بل كل واحد منهم ليعالجه بما يناسبه، فلا يكلِّم الصغير بما يكلِّم به الكبير، ولا يُخاطِب الفتاة بما يخاطب به الفتى، ولا يُعطي العوامَّ ما يعطيه

---

(١) كما في الحديث المتَّفق عليه: عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن بن عوف، أنَّه سمع حسان بن ثابت الأنصاري، يستشهد أبا هريرة: أنشدك الله، هل سمعت النبي ﷺ يقول: «**يا حسان، أجب عن رسول الله ﷺ، اللهم أيِّدْه بروح القدس**». قال أبو هريرة: نعم. رواه البخاري في الصلاة (٤٥٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٨٥).

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٢٥)، وأحمد (٢١٥١٣)، عن أبي ذر الغفاري.

(٣) سبق تخريجه صـ١٧٦.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٧)، ومسلم في الإيمان (١٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

للخواصِّ، ولا يُكلِّف الذكيَّ ما يكلِّف به الغبـــي، ولا يأمر البدويّ بما يأمر به الحضريَّ، بل يعطي لكلِّ متعلِّم على قدره وقدرته.

ومن العجز ـ بل الإثم ـ أن يبثَّ المعلِّم كل ما عنده لكلِّ من يجده دون تمييز بين مَن يفهم ومَن لا يفهم، وبين من ينتفع بما يســمع ومن يتضرَّر به.

وفي الحديث: «**كفى بالمرء إثمًا أنْ يُحدِّث بكل ما سمع**»[١].

وهذا ما حذَّر منه علمــاء الصحابة رضوان الله عليهــم، يقول عليٌّ: حَدِّثوا النَّاس بما يعرفون، أتحبون أنْ يُكذَّب اللهُ ورسولُه[٢]؟!

ويقول ابن مسعود: ما أنتَ بمُحدِّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلَّا كان لبعضهم فتنة[٣].

وليس هذا من كتمان العلم، بل من حُسْن إنفاقه في محلِّه، وإعطائه لمن هو أهله، ولكلِّ مقام مقال، ولكلِّ علم رجال.

ومن الحكم المأثــورة: لا تعطــوا الحكمة لغير أهلهــا فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم[٤].

والمقصود: أنَّ المعلم طبيب يداوي القلوب والعقول بما يناســبها، وليس كل دواء يصلح لكل داء.

---

(١) رواه مسلم في المقدمة (١٠/١)، وأبو داود في الأدب (٤٩٩٢)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في العلم (١٢٧).

(٣) رواه مسلم في المقدمة (١١/١).

(٤) إحياء علوم الدين (٣٧/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٩ ـ الاعتدال وعدم الإملال:

ومن المبادئ المرعيَّة في التعليم والمقتبسة من هدي النبوة: الاقتصاد في التعليم، والاعتدال في قدر ما يُلقي من الموعظة والمعلومات، في زمانه، وفي نوعه، حتَّى لا يؤدِّي الإكثار إلى الإملال.

روى البخاري بسنده عن أبي وائل قال: كان عبد الله ـ يعني ابن مسعود ـ يُذكِّر النَّاس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمٰن، لودِدْتُ أنَّك ذكَّرتنا كل يوم؟ قال: أما إنَّه يمنعني من ذلك أنِّي أكره أنْ أُمِلَّكم، وإنِّي أتخوَّلكم (أي: أتعهدكم) بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخوَّلنا بها، مخافةَ السآمة علينا[١].

وروى البخاري أيضًا عن عكرمة: أنَّ ابن عبَّاس قال: حَدِّث النَّاس مرَّة في الجمعة، فإن أبيتَ فمرَّتين، فإن أكثرتَ فثلاثًا. ولا تُمِلَّ النَّاس هذا القرآن، ولا أُلْفِيَنَّك تأتي القوم وهم في حديث من أحاديثهم فتُمِلَّهم، ولكن أنْصت، فإذا أمروك فحدِّثهم وهم يشتهون[٢].

وكان ابن مسعود يقول: إنَّ للقلوب لنشاطًا وإقبالًا، وإنَّ لها تولية وإدبارًا، فحدِّثوا النَّاس ما أقبلوا عليكم[٣].

وقال الحسن البصري: كان يقال: حدِّث القوم ما أقبلوا عليك بوجوههم، فإذا التفتوا فاعلم أنَّ لهم حاجات[٤].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧٠)، ومسلم في صفات المنافقين (٢٨٢١).
(٢) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٣٧).
(٣) رواه الدارمي في المقدمة (٤٦٢).
(٤) المصدر السابق (٤٦٣).

QaradawiBooks.com

ومعنى هذا: أنَّ على المعلِّم ـ كما على الداعية والمحدِّث ـ أن يُراعي الطاقةَ النفسيَّة للناس، فإنَّ من يستمع أو يتعلم وهو كارهٌ لا يستفيد ممَّا يتلقَّاه، فهو يسمع بأذنه، ولا يعي بقلبه. وكما أنَّ للإنسان طاقةً بدنيَّة محدودة يجب أن تُراعى، فلا يحمل من الأثقال الماديَّة ما لا يطيق، فكذلك طاقته النفسيَّة.

وعلى هذا الأساس يجب أن توضع مناهج التعليم وتؤلَّف كتبه، وتُحدَّد مقرراته بحيث يُقبل المتعلِّمون على العلم وهم نشيطون راغبون.

ومن حُسن الطريقة في التعليم: أن يدخل المعلِّم على درسه بعض المروِّحات عن النفس من المُلَح، أو الطرائف أو الأشعار، حتَّى لا تسأم النفوس وتمل القلوب، وكان النبي ﷺ يمزح ولا يقول إلَّا حقًّا[١].

وقد رُويت عنه ألوان من الدعابة الحلوة الَّتي تُدخل على القلوب الأنس بلا إسفاف ولا إسراف[٢].

وقال علي: أَجِمُّوا هذه القلوب، وابتغوا لها طرائف الحكمة، فإنَّها تملُّ كما تمل الأبدان[٣].

وعنه أيضًا: رَوِّحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإنَّ القلب إذا أُكره عَمِيَ[٤].

وفي هذا اللون من ترويح الأنفس فائدتان:

---

(١) رواه أحمد (٨٤٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. والترمذي في البر والصلة (١٩٩٠)، وقال: حسن. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٧٢٦)، عن أبي هريرة بلفظ: «إنِّي لا أقول إلَّا حقًّا». قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله. فقال: «إنِّي لا أقول إلَّا حقًّا».

(٢) روت كتب السُّنَّة من ذلك أكثر من واقعة. وينظر كتابي: فقه اللهو والترويح.

(٣) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٧١٩)، وابن عبد البر في جامع العلوم (٦٥٩).

(٤) إحياء علوم الدين (٣٠/٢).

QaradawiBooks.com

الأولى: مطاردة السآمة، وإزالة آثار ما يصيب البدن من كلل، والنفسَ من ملل، نتيجة مواصلة الدَّأب والتكرار اليومي الرتيب، وهو ما أشار إليه الإمام علي فيما ذكرناه من قوله رضي الله عنه، وفيه يقول الشاعر[١]:

النَّفْسُ تسأمُ إن تطاولَ جِدُّها فاكشفْ سآمةَ جِدِّها بمزاحِ

والثانية: تنشيط النفس لمواصلة السعي إلى الجد، ومعاناة البحث عن الحقيقة مهما تكن مشقَّة الطريق إليها. وفي هذا قال أبو الدرداء: إنِّي لأستجمّ نفسي بالشيء من اللهو ليكون أقوى لها على الحقِّ[٢].

ولكن ينبغي هنا مراعاة أمرين:

الأول: ألَّا يكون في هذه الملح والطُّرف تجاوز أو إسفاف، ممَّا لا يليق بمجلس العلم وأهله، فمجلس العلم ليس مسرحًا أو ملهًى.

الثاني: أن تكون بالقدر المناسب، بحيث يكون الجد هو الأصل والقاعدة، وهذه هي الاستثناء، فإنَّ كلَّ شيء إذا زاد عن حدِّه انقلب إلى ضده، حتَّى العبادة قد كُره الغلو فيها، فكيف بالمباح؟! وكيف باللهو منه؟ وفي هذا جاء عن عليٍّ رضي الله عنه قوله: أعْطِ الكلام من المَزْح بمقدار ما تعطي الطعام من المِلْح[٣].

١٠ ـ استغلال المواقف العمليَّة للتربية والتوجيه:

ومن المبادئ التربويَّة الَّتي ورَّثتها لنا سُنَّة نبيِّنا ﷺ وسيرته: استغلال المواقف الواقعيَّة، والتصرُّفات العمليَّة الَّتي تقتضي موقفًا تعليميًّا معيَّنًا،

(١) هذا البيت لعلي الجارم، كما في ديوانه صـ ١٩٦، ط ١، نشر دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٦م.
(٢) إحياء علوم الدين (٣٧٦/٤).
(٣) اللطائف والظرائف للثعالبي صـ ١٥١، نشر دار المناهل، بيروت.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

وإلقاء توجيه تربوي خاص؛ ليأخذ المتعلِّمون منه درسًا إيجابيًّا لا يُنسى، وذلك لارتباطه بالواقع المشاهَد، وصلته بمناسبةٍ لابَسها النَّاس وعايشوها، فهنا ترسخ في الذهن وتثبت في القلب، ولا تحتاج إلى تطويل أو تكرار.

وهكذا كان الرسول العظيم، لا يدع فرصة من هذه الفرص، الَّتي يتيحها القدر للنَّاس في حياتهم؛ تمُرُّ دون أن يجعل منها درسًا بليغًا، وموعظةً مؤثِّرة، كثيرًا ما تدمع منها العيون، وتوجل لها القلوب.

ومَنْ منَّا يجهل موقفه يوم أهمَّ قريشًا أمرُ المرأة المخزوميَّة الَّتي سرقَت، وعَزَّ عليهم أن تُنفَّذ فيها عقوبة القطع الَّتي أمر الله بها في كتابه للسارقة وللسارق ﴿بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨].

ولجؤوا إلى أسامة بن زيد حِبِّ رسول الله وابنِ حِبِّه، يُشفعِّونه في هذا الأمر الخطير: أن يعفي المرأة من حدِّ القطع، ويقبل منها أيَّ غرامة أو عقوبة أخرى، ناسين أنَّ العاطفة شيء، وإقامة حدِّ الله شيء آخر. فكان لا بدَّ من درس مبدئي يُثبت معنى المساواة في العقوبات، كما هي ثابتة في كل التكاليف، ويُزيل أوهام الفوارق الطبقيَّة بين الناس: أشرافٍ وعامَّة، ويعلن في قوَّة أنَّ شرع الله يسود الجميع ويحكم الجميع، وكلمته هي العليا، وكل كلمة عداه هي السفلى.

هنا جاء الدرس التربويُّ في حينه وموضعه، فسمعته الآذان، وفقهته العقول، ووعته القلوب: «**أتشفعُ في حدٍّ من حدود الله يا أسامة؟ إنَّما أهلك من كان قبلكم أنَّهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايْم الله لو أنَّ فاطمة بنت محمَّدٍ سرقت لقطعتُ يدَها**»[1]!

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٥)، ومسلم في الحدود (١٦٨٨)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

ومن نسي فلن ينسى موقفه ﷺ يوم مات ابنه إبراهيم، واتفق أن كسفت الشمس في اليوم نفسه، وكانت مناسبةً ليقول قائلون: إنَّها كسفت لموت ابن رسول الله، وكان مثل هذا الاعتقادِ رائجًا في الجاهليَّة: انكساف الشمس أو القمر لموتِ عظيم من العظماء.

ولو كان ﷺ من أولئك الَّذين يَبْنون لأنفسهم ولأسرهم عظمة زائفة عن طريق الدَّجَل والمبالغات، لسكت على هذا القول، الَّذي يوافق ما كان معروفًا عند النَّاس، ولكنَّه انتهز الفرصة ليُصحِّح المفاهيم، ويطارد الخرافة، ويُقرِّر الحقيقة العلمية النافعة، وقال في وضوح مؤمن، وفي إيمان واضح: «**أيُّها النَّاس، إنَّ الشمسَ والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموتِ أحدٍ ولا لحياته**»(١).

وقدم يومًا إلى رسول الله ﷺ جماعة من عرب مضر، فقراء بدت عليهم الفاقة والحاجة، وتألم الرسول لمَّا رآهم على هذه الحالة، فدخل ثمَّ خرج، فأمر بلالًا فأذَّن وأقام فصلَّى، ثمَّ خطب يحثُّ النَّاس على الصدقة على هؤلاء ولو بشقِّ تمرة.

وهنا سبق بالفضل رجل من الأنصار ـ بعد أن أمسك النَّاس ـ وجاء بصُرَّة كادت كفه تَعْجِزَ عنها، بل قد عَجَزَتْ، وكانت بدايةً طيِّبة، وأسوةً حسنة.

قال جرير راوي الحديث: ثمَّ تتابع النَّاس، حتَّى رأيتُ كومَيْن من طعامٍ وثياب، حتَّى رأيتُ وجه رسول الله ﷺ يتهلَّل كأنَّه مُذْهَبة.

وعندئذٍ كان المقام مناسبًا للتنويه بمن يبدأ في عمل خيرٍ يقتدي

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١)، كلاهما في الكسوف، عن عائشة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

النَّاس به فيه. فقال رسول الله ﷺ: «**منْ سنَّ في الإسلام سُنَّة حَسنة فله أجرُها، وأجرُ مَن عمل بها مِن بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سُنَّة سيِّئة فعليه وزْرها ووزْر مَن عمل بها مِن بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»(١).

وبهذا يرتبط العلم بالحياة، ويتَّصل الدرس بالواقع، ولا يعيش المعلِّم مع الكتب وحدها بعيدًا عمَّا تمرُّ به الحياة من أحداث.

١١ ـ استخدام الوسائل المُعينة:

ومن المبادئ التربويَّة الأصيلة في سنَّة الرسول المعلم: أن يستعينَ المعلم بكل وسيلة بصريَّة أو سمعيَّة متاحة، ممَّا يساعد على إيضاح الحقيقة المقصودة.

ومن المعروف أنَّ البيئة لم تكن تساعد على توفير هذه الوسائل، والرسول ﷺ نفسُه أمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب، ولكن الَّذي يهمُّنا هنا هو تقرير المبدأ والفكرة أولًا، وتطبيقها في الحدود المتاحة ثانيًا.

وهنا نجد بعض الأمثلة البيِّنة للدلالة على ما نقول:

يروي ابن مسعود فيقول: خطَّ رسولُ الله ﷺ خطًّا بيده، ثمَّ قال: «**هذا سبيل الله مستقيمًا**». وخطَّ عن يمينه وشماله، ثمَّ قال: «**هذه السُّبل، ليس منها سبيل إلَّا عليه شيطان يدعو إليه**». ثمَّ قرأ: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ**﴾ [الأنعام: ١٥٣](٢).

---

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٧)، وأحمد (١٩١٥٦). عن جرير بن عبد الله.

(٢) رواه أحمد (٤١٤٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي في الكبرى في التفسير (١١١١٠)، وابن حبان في المقدمة (٦)، والحاكم في التفسير (٣١٨/٢)، وصحَّح إسناده على شرطهما، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

فترى في هذا الحديث أنَّ النَّبيَّ ﷺ يُفسِّر لأصحابه الوصيَّة الأخيرة من الوصايا العشر في سورة الأنعام، ولكنَّه لم يقتصر على تفسيرها بالكلام المجرَّد، بل استعمل لذلك ما هو ميسور له وهو الرَّمْل، يخطُّ عليه بيده بدل اللوح، وهو هنا يرسم صِراط الله المذكور في الآية الكريمة في صورة خطٍّ مستقيم، ولهذا قال: «**هذا سبيل الله مستقيمًا**»، ويرسم السُّبل الأخرى الَّتي حذَّرت الآية من اتِّباعها في صورة خطوط متعرِّجة عن يمين الخط الأوسط المستقيم وشماله، ثمَّ يشير إليها قائلًا: «**هذه السبل، ليس منها سبيل إلَّا عليه شيطان يدعو إليه**». ثمَّ يختم هذا التوضيحَ العمليَّ بقراءة الآية الكريمة، فتقع أعظم موقع في نفس السامع المشاهِد وعقله. فهنا اشتراك البصر مع السَّمع في استيعاب معنى الآية، وفهم مراد الله تعالى منها.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّ رسول الله مرَّ بالسوق، والناس كنفتيه، (أي: عن جانبيه) فمرَّ بجَدْيٍ أسَكَّ (أي: صغير الأذن) ميِّت، فتناوله بأذنه، ثمَّ قال: «**أيُّكم يحبُّ أنَّ هذا له بدرهم؟**». فقالوا: ما نحبُّ أنَّه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «**أتحبُّون أنَّه لكم؟**». قالوا: والله لو كان حيًّا كان عيبًا فيه؛ لأنَّه أسكُّ، فكيف وهو ميِّت؟! فقال ﷺ: «**فوالله لَلدنيا أهونُ على الله عز وجل من هذا عليكم**»[1].

فانظر كيف بيَّن النَّبيُّ ﷺ المفهوم الَّذي أراد إيصاله إلى أصحابه، مستخدمًا هذه الوسيلة العجيبة من الوسائل المُعينة. إنَّها وسيلة لم يشترها، ولم يصنعها، ولم يتكلَّف أو يفتعِل في الاستعانة بها! إنَّها وسيلة يراها النَّاس، ويمرُّون بها كثيرًا، ولكن النبي ﷺ أراد أن يتَّخذ منها أداةً لتوضيح قيمة الدُّنيا الَّتي يتهافت النَّاس ـ بل يقتتلون ـ عليها.

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٥٧)، وأحمد (١٤٩٣٠).

QaradawiBooks.com

إنَّ هذا الـدرس في تفاهة الدُّنيـا عند الله تعالى ـ بجـوار الآخرة ـ لا يمكن أن يُمْحى من الذهن أو يُنْسـى من الذاكرة، لارتباطه بالجَدْي الأسكِّ الميت، وبمسلك النَّبيِّ ﷺ وهو يأخذ بأذنه ويسألهم: أيُّكم يحبُّ أنَّ هذا له بدرهم؟ ويسـألهم حتَّى يقرِّر لهم الحقيقة المرادة في النهاية: «**والله لَلدُّنيا أهونُ على الله من هذا عليكم**».

وغير هذا كثير ممَّا استخدمه النَّبيُّ ﷺ وسيلة إيضاح أو وسيلة مُعينة على غرس القيمة الدينيَّة والخُلقيَّة أو العقليَّة الَّتي يحرص على تعليمها.

ومن الأسـاليب المعينة على الفهـم والاسـتيعاب، المُثبِّتة للمعنى المطلوب: **أسـلوب الإشـارة الحسـيَّة الَّتي يرتبط فيها المعقول بشيءٍ ملموس.**

وكان النبي ﷺ كثيرًا ما يستخدم هذا الأسلوب لتنبيه الغافل، وتثبيت المنتبه، ومن أمثلة ذلك:

قوله في الحديث الَّذي رواه مسـلم وغيره: «**التقوى هاهنا**»، وأشار إلى صدره ثلاث مرات[(١)].

فهذه الإشارة إلى الصدر في بيان حقيقة التقوى ومحلها، أبلغُ كثيرًا من قوله: التقوى محلها القلب، فهذه كلمة قد تمرُّ على الكثيرين دون أن يُلقوا لها سمعًا، أو يلقون سمعًا ولا يستحضرون مع السمع قلبًا.

ومثله حديث جابر عند مسـلم: «**بُعثت أنا والساعةَ كهاتين**». وأشارَ بأصبعيه: السبَّابة والوُسطى، وفرَّق بينهما[(٢)].

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧٢٧)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الجمعة (٨٦٧)، وأحمد (١٤٤٣١).

QaradawiBooks.com

فهذه الإشارة بأصبعيه في بيان قُرْب مبعثه من الساعة، لها من الوقع في النفس غير ما يقوله: «بُعثتُ قُرب الساعة».

وكذلك حديث البخاري وغيره: «**أنا وكافلُ اليتيم في الجنَّة هكذا**». وأشار بالسبَّابة والوسطى وفَرَّج بينهما[١].

فهذه الإشارة توضِّح المراد من الحديث الشـريف بأكثر ممَّا تعطيه عبارة معتادة مثل: كافل اليتيم قريبٌ من الرسول في الجنَّة.

ومن ذلك: حديثه لمعاذ بن جبل حين أوصاه بجملة وصايا، ثمَّ قال له: «**ألَا أدلُّك على ملاك ذلك كلِّه؟**». قال: بلى. قال: «**كُفَّ عليك هذا**». وأشار إلى لسانه[٢].

إنَّ هذه الإشارة الحسيَّة إلى اللسان تجعل معاذًا، وكل من حضر هذا القول لا ينسـى أهمية اللسـان، وآفاته الَّتي تكبُّ النَّاس في النَّار على مناخرهم.

وكل هذه الأمثلة بدَت الإشارة فيها إلى جزء من كيان المعلِّم نفسه: صدرًا، أو يدًا، أو لسانًا.

ومن ذلك ما رواه البخاري، عن سهل بن سـعد رضي الله عنه قال: مَرَّ رَجُلٌ على النبيِّ ﷺ، فقال لرجل عنده جالس: «**ما رأيك في هذا؟**». قال: رجل من أشـراف النَّاس، هذا والله حَرِيٌّ إن خطب أن يُنكَح، وإن شـفع أن يُشَفَّع، فسكت رسول الله ﷺ، ثمَّ مَرَّ رجل، فقال رسول الله ﷺ: «**ما رأيك في هذا؟**». فقال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حريٌّ

(١) رواه البخاري في الطلاق (٥٣٠٤)، وأبو داود في الأدب (٥١٥٠)، سهل بن سعد.
(٢) سبق تخريجه صـ٢١٧.

QaradawiBooks.com

إن خطب ألَّا يُنكَح، وإن شفع ألَّا يُشفَّع، وإن قال ألَّا يُستمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا**»[١].

١٢ ـ تَخيُّر أحسن الأساليب:

ومن أدب التَّعليم ومبادئه في السُّنَّة النبويَّة: **تخيُّر أفضل الطرائق وأرفق الأساليب، وأقربها إلى عقل المتعلِّم وقلبه، وأحسنها وقعًا في سمعه وبصره**؛ وذلك لتساعد المعلم على حُسن توضيح ما يُريد إعطاءه من العلم لتلاميذه، وحُسْن تثبيته في أذهانهم وأنفسهم.

ومَنْ دَرَس السُّنَّة، وعاش في كتب الحديث رأى من الأساليب التربويَّة، واستخدام الوسائل المعينة ما يحسب جمهور المشتغلين بالتربية أنَّه شيء غريب عن تراث الإسلام.

فقد يستخدم ﷺ الطريقة الإلقائيَّة في خطبته للعامَّة في الجُمع والعيدين ونحوها، فهذا ما يقتضيه المقام.

ولكنَّه مع هذا لا يدعها تمرُّ خطبة إلقائيَّة بحتة، بل يُطعِّمها بعناصر تعليميَّة خاصَّة تشدُّ الأبصار، وتجْذب الانتباه، وتدعُو إلى التركيز.

وحسبنا أن نذكر هنا أشهر خطبه ﷺ، وهي خطبة حجَّة الوداع الَّتي ألقاها في أكبر جمع حاشد عرفته جزيرة العرب في تلك العصور في يوم النحر بمِنًى.

فحين أراد أن يُبيِّن لهم حُرمة الدماء والأعراض والأموال لم يسق هذا المبدأ الخطير مساقًا تقريريًّا إلقائيًّا كما يفعل كثيرٌ من الخطباء في

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٤٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

خطبهم، والزعماء في بياناتهم، وإنَّما بدأهم بالسؤال الَّذي يُحرِّك الشوقَ ويثير الانتباه.

يروي أبو بكرة أنَّه ﷺ قعد على بعيره وأمسك بخطام البعير، ثمَّ قال: «**أيُّ يوم هذا؟**». فسكتْنا حتَّى ظننَّا أنَّه سيُسمِّيه سوى اسمه. فقال: «**أليس يوم النحر؟**». قلنا: بلى.

قال: «**فأيُّ شهر هذا؟**». فسكتنا حتَّى ظننّا أنَّه سيسمِّيه بغير اسمه، فقال: «**أليس بذي الحجَّة؟**». قلنا: بلى.

ثم سألهم عن البلد أيضًا فسكتوا، ثمَّ بَيَّن لهم أنَّه البلد الحرام، ثمَّ قال: «**فإنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ كحُرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**»[(١)].

قال القرطبي في شرح مسلم: «سؤاله ﷺ عن الثلاثة، وسكوتُه بعد كل سؤال منها كان لاستحضارِ فهومهم، وليُقبلوا عليه بكليَّتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه، ولذلك قال بعد هذا: «**فإنَّ دماءكم...**». مبالغة في بيان تحريم هذه الأشياء»[(٢)].

ومناط التشبيه في قوله: «**كحُرمة يومكم هذا**» وما بعده: ظهوره عند السامعين؛ لأنَّ اليوم والشهر والبلد كان ثابتًا في نفوسهم، مُقرَّرًا عندهم؛ بخلاف الدماء والأموال والأعراض، وكانوا في الجاهليَّة يستبيحونها، فبيَّن لهم أنَّ تحريم دمِ المسلم ومالِه وعرضه أعظم من تحريم البلد والشهر واليوم[(٣)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٧)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩). انظر الفتح (١٥٨/١).

(٢) المفهم (٤٧/٥).

(٣) فتح الباري (١٥٩/١).

QaradawiBooks.com

والمقصود هنا أنَّه ﷺ لم يسْــرُد خطبته سَرْدًا، ولم يُلقِ بيانه إلقاءً رتيبًا يثير الملل، ويبعث على النوم، بل حرَّك بأسئلته العقول، وأشرك المخاطَبين معه، فاشرأبَّت إليه الأعناق، وَرَنَتْ له الأبصار، وأنصتَت له الآذان.

وفي ختام خطبته يُشــهدهم على أدائه الأمانة وتبليغه الرسالة، بهذا الأسلوب نفسه:

«**ألا هل بلغت؟**». فتَجاوبت معــه الأصوات من كل جانب: أن نعم. قال: «**اللهُمَّ فاشهد، فليبلِّغ الشاهد منكم الغائب**».

ومن الأساليب الناجحة في التأثير والإقناع: **التشبيهُ وضرب الأمثال** بحيث يظهر المعقول في صورة المحسوس، والغامض البعيد في صورة الواضح القريب.

والدارس للســنة يجدها حافلةً بالعديد من التَّشبيهات والأمثال الَّتي تمثل ذِروة البلاغة البشــريَّة وقمَّة الروعة الأدبيَّة. والرســولُ ﷺ في هذا يقتدي بالقرآن الكريم في تشبيهاته وأمثاله.

وفي «الجامع الصغير» للسيوطي فقط نجد اثنين وأربعين (٤٢) مثلًا، وكل واحد منها كأنَّما هو معلم يشرح ويُوضِّح ويقرِّب.

يكفي أن أذكر نماذج قليلة منها:

«**مَثَل الَّذي يُعلِّم النَّاس الخير وينســى نفســه، مَثَــل الفتيلة، تضيء للناس، وتحرق نفسها**»[1].

(١) رواه الخطيب في اقتضاء العلم العمــل (٧١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٦٩): رواه الطبراني في الكبير، وفيه محمد بن جابر الســحيمي، وهو ضعيف لسوء حفظه واختلاطه. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٣٧)، عن أبي برزة.

QaradawiBooks.com

«**مثل المؤمن مثل النَّحلة: إن أكلتْ أكلت طيِّبًا، وإن وضعتْ وضعت طيِّبًا، وإن وقعتْ على عود لم تكسره**»[١].

«**مثل المنافق كمثل الشـاة العائرة** (المتردِّدة المتحيِّرة) **بين الغنمين: تعير إلى هذه مرَّة، وإلى هذه مرَّة، لا تدري أيهما تتبع**»[٢].

«**إنَّما مثلي ومثـل النَّاس كمثل رجل اسـتوقد نـارًا، فلمَّا أضاءت ما حوله جعل الفراش، وهذه الدوابّ الَّتي تقع في النَّار يقَعْنَ فيها، فجعل الرجل يَزَعُهنَّ، ويَغلبْنـه فيقتحمن فيها، فأنا أخـذ بحُجَزكم عن النَّار، وأنتم تقتحمون فيها**»[٣].

ولم يذكر السيوطي في «الجامع» أمثالًا أخرى مشهورة، منها ما في الصحيحين:

«**مثل القائم علـى حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم اسـتهَموا على سـفينة...**» الحديث[٤]. ومنها: «**مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأتمَّه وأحسنه...**» الحديث[٥]. ولهذا سـمَّاه «الجامع الصغير»؛ لأنَّه لم يقصد منه الاستيعاب.

ومن الأساليب المؤثرة في الأنفس والعقول كذلك: **أسلوب القصَّة**، ولذا عُنيَ بـه القرآن، وقصَّ علينا من أنباء الرسـل، وأخبـار المؤمنين

(١) رواه أحمد (٦٨٧٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والطبراني (٥٩١/١٣)، وقال الهيثمي في مجمـع الزوائد (١٨١٢١): رجاله رجال الصحيح غير أبي سـبرة، وقـد وثقه ابن حبان. عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه مسلم في صفات المنافقين (٢٧٨٤)، وأحمد (٥٠٧٩)، عن عبد الله بن عمر.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٨٣)، ومسلم في الفضائل (٢٢٨٤)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه البخاري في الشركة (٢٤٩٣)، عن النعمان بن بشير.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٣٥)، ومسلم في الفضائل (٢٢٨٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وصراعهم مع أهل الكفر والطغيان، ما يُثبِّت الفؤاد، ويدفع ريب المرتابين، ويهدي الحائرين، ويزيد الَّذين اهتدوا هُدًى.

وكذلك استخدام الرسول القصَّة في تبيين قيم ومعانٍ معينة وتثبيتها، مثل: بيان أثر الإخلاص في نجاة الإنسان من المهالك كما في قصَّة الثلاثة أصحاب الغار[١].

ومثل بيان أثر الشكر في بقاء النعمة وكفر النعمة في زوالها كقصَّة الأعمى والأبرص والأقرع[٢].

ومثل بيان عاقبة الرحمة ولو كانت لحيوان أعجم مثل الكلب، كما في قصة الَّذي سقى كلبًا يلهث من شدَّة العطش فشكر الله له فغفر له[٣]. إلى غير ذلك من القصص المنشورة في كتب الحديث، وقد جمعها عدد من الباحثين.

١٣ ـ إثارة الانتباه بالسؤال والحوار:

وما أكثر ما استخدم الرسول المعلم الطريقة الاستنباطيَّة لاستخراج الحقيقة العلميَّة المنشودة من أفواه المتعلمين، أو على الأقل تفتيح أذهانهم لتلقّيها بعد تَشوُّق النفوس لها، وتطلُّع العقول إلى معرفتها. وذلك عن طريق طرح السؤال عليهم ليجيبوا عنه إن استطاعوا أو يسمعوا الإجابة الصحيحة منه ﷺ.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧٤)، ومسلم في الرقاق (٢٧٤٣)، عن ابن عمر.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٢٥.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغضب (٢٤٦٦)، ومسلم في السلام (٢٢٤٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ذكر الإمام البخاري في «صحيحه» بابًا بعنوان (باب طرحِ الإمام المسألة على أصحابه؛ ليختبر ما عندهم من العلم)، وأخرج فيه حديث عبد الله بن عمر: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إِنَّ من الشجر شجرة لا يَسقُط ورقها، (أي: لا في الشتاء ولا الصيف)، وَإِنها مثل المسلم، فحدِّثُوني: ما هي؟**». قال: فوقعَ الناسُ فِي شجرِ البَوَادِي. قَال عبد الله: ووقعَ فِي نَفسِي أَنها النخلة، ثمَّ قالوا: حدِّثْنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «**هي النخْلة**»[(١)].

فها هو عليه السلام لم يُلق عليهم هذه الحقيقة إلقاءً تقريريًّا: أنَّ المسلم مثل النخلة، بل أراد أن يستثير دفائن ما عندَهُم، ويلفتهم إلى ملاحظة ما حولهم، ويشركهم معه في البحث. وبهذا لا يصبح المتعلِّم مُجرَّد جهاز تسجيل ينفعل ولا يفعل، ويتلقَّى ولا يفكر، بل هو كائن حيٌّ عاقل يبحث ويفكِّر، ويحاور ويناقش، ويخطئ ويصيب.

وذكر ابن كثير في تفسيره حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيُّ الخلق أعجب إليكم إيمانًا؟**». قالوا: الملائكة. قال: «**وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم؟**». قالوا: فالنبيون. قال: «**وما لهم لا يؤمنون والوحيُ ينزل عليهم؟**». قالوا: نحن. قال: «**وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟**». قال: فقال رسول الله ﷺ: «**ألا إنَّ أعجب الخلق إليَّ إيمانًا لَقَوم يأتون من بعدكم، ويجدون صحفًا فيها كتاب يؤمنون بما فيها**»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٠٧.

(٢) رواه الحسن بن عرفة في جزئه (١٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥٣٨/٦)، والخطيب في شرف أصحاب الحديث صـ٣٢. قال ابن كثير في تفسيره (١٦٧/١): قال أبو حاتم الرازي: المغيرة بن قيس البصري منكر الحديث.

قلت (ابن كثير): ولكن قد روى أبو يعلى في مسنده (١٦٠)، وابن مردويه في تفسيره، =

QaradawiBooks.com

فلم يذكر لهم الرسول ﷺ ما يريد بيانه لهم إلَّا بعد هذا الحوار الممتع، وطرح السؤال، ومناقشة الأجوبة حتَّى إذا تشوَّقت النفوس إلى معرفة الحقيقة جاءت على لسانه ﷺ ناصعةً جليَّة.

وممَّا كان يستخدمه ﷺ للتشويق وإثارة الانتباه: **أن يسألهم عن معاني بعض الألفاظ المعروفة معانيها عندهم**، فيجيبوه بما يعرفونه من معانيها المشتهرة بينهم. فإذا فعلوا بادر إلى تفسيرها لهم بإعطائها المدلولَ الجديد الَّذي يريده. وهو في الغالب مدلول مجازيٌّ قد لا يلتفتون إليه، ولكنَّه عند النبي ﷺ أحق أن يفهم من اللفظ.

وذلك كقوله لأصحابه يومًا: «**ما تعدون الصُّرَعَة فيكم؟**». قالوا: الَّذي لا تصرعه الرجال. قال: «**ليس ذلك، ولكن الَّذي يملك نفسه عند الغضب**»[(١)].

ومثل ذلك قوله: «**أتدرون من المفلس؟**». قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «**المفلس من أمَّتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة. ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيتْ حسناته قبل أن يُقْضَى ما عليه أُخذ من خطاياهم، فَطُرحت عليه، ثمَّ طُرح في النار**»[(٢)].

= والحاكم في مستدركه (٨٥/٤)، من حديث محمد بن أبي حميد، وفيه ضعف، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر، عن النبي ﷺ، بمثله أو نحوه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقد روي نحوه عن أنس بن مالك مرفوعًا [رواه البزار (٧٢٩٤)، وقال: غريب من حديث أنس].

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٠٨)، وأبو داود في الأدب (٤٧٧٩)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٨١)، وأحمد (٨٨٤٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ونحو هذا أن يلقي إليهم عبارة يُستنكر ظاهرها ليسألوا عن المراد منها، فيأتي الجواب مُصَحِّحًا المفهوم الخطأ لها، فيتمكَّن المعنى من النفس فضل تمكُّن.

وفي هذا جاء الحديث الصحيح المشهور: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**». وكانت هذه كلمة متداولة في الجاهليَّة العربيَّة أشبه بالمثل السائر، دلالة على الانتصار للعصبيَّة، ودفاع كلِّ امرئ عن قومه، على حقٍّ كانوا أو على باطل. ولأجل هذا حين قال النبيُّ ﷺ هذه الكلمة وقفوا منها موقف الدهشة والاستغراب، فالإسلام قد جاء بالعدل المطلق، ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ [المائدة: ٨]، وبرِئ من العصبية بكل ألوانها، فكيف يُقرُّ الرسول الَّذي جاء بالهدى ودين الحق هذه الكلمة الجاهليَّة؟ ولا عجب أن بادر الصحابة رضي الله عنهم بالسؤال والاستفهام قائلينَ: يا رسولَ الله، ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟!

فقال ﷺ: «**تمنعُه من الظلم؛ فذلك نصرٌ له**»[1].

فهذا تعديلٌ أساسيٌّ في مفهوم النُّصرة للأخ والقريب، فإنَّ إعانته على الظلم، وتأييده في الباطل معناه: جرُّه في الدُّنيا إلى كوارث وفي الآخرة إلى النار، أمَّا منعه من الظلم فهو إبْعادٌ له عن الشيطان، وتقْريبٌ له من الرَّحمن، وزحزحةٌ له عن النار، وإدْناءٌ له من الجنَّة. ولهذا كان هذا هو النصر الحقيقي له.

---

(١) سبق تخريجه صـ٢١٥.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولكن هــذا المعنى الكبير لو ألقــي إليهم تقريرًا ما اســتثار اليقظة الفكرية الَّتي واجه بها الصحابة الكلمةَ المشهورة، وجعلتهم يعجبون من ظاهرها، وينكرونه، ويسألونه عن المراد حتَّى يفهموا ويقتنعوا.

ويدخل في هذا الباب بعض العبارات الَّتي كان يلقيها الرسولُ المعلِّم بصورة تشدُّ الانتباه شــدًّا، كمثل قوله يومًا عند أصحابه: «**والله لا يؤمن! والله لا يؤمن! والله لا يؤمن!**»، هكذا بصيغة القسم، وبالتكرار الَّذي يفيد التأكيد أيضًا، وبضمير الغائب الَّذي لا يعود على مذكور أو أحد معروف. فالفعل المنفي «**لا يؤمن**» لا يُعرف منْ فاعلُــه. ولهذا قال الصحابة حين سمعت هذه الجملة العجيبة المكرَّرة: يا رسولَ الله، لقد خاب وخسر! من هذا؟! فقال عليه صلوات الله وسلامه: «**من لا يأمن جارُه بوائقَه**»[1].

ألا ما أعظم الفرق بين تأثير هذه الجملة: «**لا يؤمِنُ منْ لا يأمن جارُه بوائقَه**»، حين تُذكــر جملة تقريريَّة خبريَّة كالمعتــاد، وبين تأثيرها حين ذُكرت بالصورة الَّتي ذكرها النبيُّ ﷺ.

والمهم بعد ذلك كله: أن يكون المعلِّمُ مؤمنًا بمهنته، مُحبًّا لرســالة العلم، راغبًا في الارتقاء بتلاميذه، شاعرًا بأبوَّته لهم وبُنوَّتهم له، حريصًا على أن يبلغ ما في نفوســهم، وأن يبلِّغهم ما في نفســه، متفنِّنًا في بيان ذلك بكل طريقة ميسورة، ولو بالكلمة بشرط أن تكون مُبينةً مُشرقة.

وكذلك كان ﷺ حريصًا على أن يبين عما في نفسه أبلغ الإبانة، وأن يُفهَم عنه ما يريد، ولا يدع سامعه حتَّى يفهم عنه.

---

(١) رواه البخاري في الأدب (٦٠١٦)، وأحمد (٧٨٧٨) عن أبي شريح رضي الله عنه. قال ابن حجر في فتح الباري (١٠/٤٤٣): وذكره المنذري في ترغيبه بلفظ: قالوا: يا رسول الله، لقد خاب وخسر، من هو؟ وعزاه للبخاري وحده، وما رأيته فيه بهذه الزيادة، ولا ذكرها الحميدي في الجمع.

QaradawiBooks.com

أعان على ذلك أسلوبه البليغ في القول الَّذي بلغ قمَّة البيان البشري في إصابة المعنى وحُسن التعبير، وموافقة المقال للمقام. كما أعانه طريقته الحَسنة في الأداء، الَّتي تختلف من شخص لآخر، ومن ظرف إلى ظرف.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان كلام رسول الله ﷺ كلامًا فصْلًا يفهمه كل من يسمعه[١].

وعن أنس: أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا تكلَّم بكلمة أعادها ثلاثًا حتَّى تُفهم عنه[٢].

وكان أصحابه الَّذين تلقوا عنه، واقتبسوا من مشكاته، يسيرون على هَدْيه في تعليم الخلق، وهدايتهم إلى الحقّ، والافتنان في الأساليب الَّتي تُعينهم على الوفاء بما يقصدون من إنارة الألباب وتزكية الأنفس.

وأكتفي بهذه الصورة الحيَّة من صُور التعليم الذكي أبدعها فكر الصحابي المفترَى عليه أبي هُرَيْرة رضي الله عنه.

فعن أبي هُرَيْرة: أنَّه مرَّ بسوق المدينة، فوقف عليها، فقال: يا أهل السوق، ما أعجزَكم؟ قالوا: وما ذاك يا أبا هُرَيْرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يُقسَّم وأنتم هنا؟ ألا تذهبون فتأخذونَ نصيبكم منه؟ قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد، فخرجوا سراعًا، ووقف أبو هُرَيْرة لهم حتَّى رجعوا، فقال لهم: ما لكُم؟ فقالوا: يا أبا هُرَيْرة، قد أتينا المسجد، فدخلنا فيه، فلم نرَ فيه شيئًا يُقْسم! فقال لهم: وما رأيتم في المسجد أحدًا؟ قالوا:

(١) رواه أحمد (٢٦٢٠٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. أبو داود في الأدب (٤٨٣٩)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠١٧٣)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٠٩٧).

(٢) رواه البخاري في العلم (٩٥).

QaradawiBooks.com

بلى، رأينا قومًا يصلون، وقومًا يقرؤون القرآن، وقومًا يتذاكرون الحلال والحرام! فقال لهم: وَيْحكم! فذاك ميراث محمَّد ﷺ[١].

فأكرم بمدرسةٍ خرَّجت مثل هؤلاء العلماء المعلمين!

قال العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدَّة رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ١٩٩٧م)**: «أثبتَ التاريخ أنَّ رسولَ الله ﷺ كان معلِّمًا وأيَّ معلم؟ فنظرة يسيرة إلى ما كانت عليه البشريَّة قبل رسول الله ﷺ، وإلى ما آلَتْ إليه البشريَّة بعد رسالته، تُعطينا أوضحَ شاهدٍ ودليلٍ على ثبوت ذلك.

وإذا لاحظنا النماذج المعلِّمة الهادية من النوع الإنساني، الَّتي شاهدتها البشريَّة بعد الرسول المعلِّم ﷺ رأيناها تدلُّ أقوى الدلالة على عِظم هذا المعلِّم المربِّي الكبير، الَّذي تَتقاصَرُ أمامَه أسماء كلِّ الكبار الَّذين عُرِفوا وذُكروا في عالَم التعليم والتربية وتاريخِهما.

فأيُّ معلِّم من المربِّين تخرَّج على يديه عددٌ أوفَرُ وأهدى من هذا الرسول الكريم، الَّذي تخرَّج به هؤلاء الأصحاب والأتباع؟ فكيف كانوا قبلَه؟ وكيف صاروا بعده؟! إن كل واحد من هؤلاء الأصحاب دليلٌ ناطق على عِظَم هذا المعلِّم المربِّي الفريد الأوحد. وهذا يُذكِّرنا بكلمةٍ طيبةٍ جدًّا لبعض الجَهابذة الأصوليين، يقول فيها: لو لم يكن لرسول الله ﷺ معجزةٌ إلَّا أصحابه، لَكَفَوْه لإثبات نبوته»[٢].

* * *

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٤٢٩)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (١٣٨)، وكذا الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٠٥)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٣).

(٢) الرسول المعلم صـ ١٣، ١٤، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الرسول المجاهد

من حقِّ النبـــيِّ الكريم ﷺ أن نتذكر دائمًا ســـيرته، وأن نذكر غيرنا بها، لنرتبط جميعًا بالنبيِّ ﷺ، وبالرســـالة الَّتي أرسل بها من عند الله تعالى، في تطبيقها الأســـمى والأعلى وهو رسول الله ﷺ، الَّذي عاش لهذه الرسالة، يجاهد في سبيل تبليغها ونشرها وإعلاء كلمتها.

والذي ينظر في ســـيرته ﷺ يرى حياته كلها من أوَّل البعثة، حتَّى أتاه اليقين، جهادًا متواصلًا في سبيل الدعوة إلى الله، فإنَّه كما قال ابن القيِّم: «كمَّل مراتب الجهاد كلها، وجاهد في الله حقَّ جهاده، وشـــرع في الجهاد من حين بُعث إلى أنْ توفَّاه الله ﷻ، فإنَّه لما نزل عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ [المدثر: ١ ـ ٤]، شمَّر عن ساق الدعوة، وقام في ذات الله أتمَّ قيام، ودعا إلى الله ليلًا ونهارًا، وســـرًّا وجهرًا. ولما نزل عليه: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، صدع بأمر الله لا تأخذه فيه لومة لائم، فدعا إلى الله الصغير والكبير، والحـــر والعبد، والذكر والأنثى، والأحمر والأســـود، والجنَّ والإنس. ولما صدع بأمر الله، وصرَّح لقومه بالدعوة، وناداهم بسبِّ آلهتهم، وعيب دينهم: اشـــتدَّ أذاهم له، ولمَن استجاب له من أصحابه، ونالوه بأنواع الأذى. وهذه ســـنة الله ﷻ فـــي خلقـــه، كمـــا قـــال تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣]، وقال:

QaradawiBooks.com

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۞ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣]، فعزَّى سبحانه نبيه بذلك، وأنَّ له أُسوة بمَن تقدَّمه من المرسلين.

وعزَّى أتباعه بقوله: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۞ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۞ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٢ ـ ٦]»[(١)].

وهو جهاد مستمر لم ينقطع يومًا، حتَّى دخل النَّاس في دين الله أفواجًا، وترك أمته على المحجة البيضاء، والطريق الواضحة المستقيمة.

مراتب جهاده:

وقد ذكر الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتحدث عن حياة النبي ﷺ في كتابه «زاد المعاد» للجهاد ثلاث عشرة مرتبة[(٢)]: جهاد النفس أربع مراتب، وجهاد الشيطان مرتبتان، وجهاد الكفار أربع مراتب، وجهاد الظالمين والمبتدعين والفسقة ثلاث مراتب[(٣)].

وكان رسول الله ﷺ إمام المجاهدين وقدوتهم ومقدمهم والأسوة الحسنة لهم في هذه المراتب كلها.

---

(١) زاد المعاد (١١/٣، ١٢).

(٢) انظر تفصيل هذه المراتب في كتابنا: فقه الجهاد (١٥٥/١) وما بعدها، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٤، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

(٣) انظر: زاد المعاد (٥/٣ ـ ١٢).

QaradawiBooks.com

النبي ﷺ جاهد نفسه في سبيل الله:

جاهد نفسه في سبيل الله ليكون خُلقه القرآن كما وصفته عائشة رضي الله عنها[١]، وهو أحقُّ من تحقَّق فيه قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]!

لم يُعرف عنه أنَّه دخل فيما يدخل فيه أهل الجاهليَّة، لم يسجد لصنم، ولم يشرب خمرًا، ولم يشارك في لهو الجاهليَّة[٢]، بل كان إنسانًا صُنع على عين الله، واصطنعه الله لنفسه، واصْطفاه من بين خلقه، فَرُبي تربية خاصَّة، أدَّبه ربُّه فأحسنَ تأديبه، وعلَّمه فأكمل تعليمه، وأعدَّه للرسالة العظمى، ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٦، ٧]

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها حين سألها سعد بن هشام بن حكيم: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خُلق رسول الله ﷺ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: فإن خُلق نبي الله ﷺ كان القرآن. رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦).

(٢) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما هممت بقبيح ممَّا كان أهل الجاهلية يهمون به، إلَّا مرتين من الدهر، كلتيهما يعصمني الله منهما، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في أغنام أهله يرعاها: انظر غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان، قال: نعم، فخرجت، فجئت أدنى دار من دور مكة، سمعت غناء، وضرب دفوف، ومزامير، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فلان تزوج فلانة. رجل من قريش تزوج امرأة من قريش، فلهوت بذلك الغناء، وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلَّا حر الشمس، فرجعت، فقال: ما فعلت؟ فأخبرته، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ففعل، فخرجت، فسمعت مثل ذلك، فقيل لي مثل ما قيل لي. فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلَّا مس الشمس، ثم رجعت إلى صاحبي. فقال: فما فعلت؟ قلت: ما فعلت شيئًا». قال رسول الله ﷺ: «فوالله ما هممت بعدها بسوء ممَّا يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته**». رواه ابن حبان في التاريخ (٦٢٧٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والحاكم في التوبة والإنابة (٢٤٥/٤)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. من طريق محمد بن إسحاق. وقال ابن حجر في المطالب العالية (٤٢١٢): رواه محمد بن إسحاق في السيرة، وهذه الطريق حسنة جليلة... وهو حديث حسن متصل، ورجاله ثقات.

QaradawiBooks.com

هداه الله ليعدَّه ليكون الرسول الأعظم، ليكون حامل الرسالة العامَّة الخالدة إلى البشريَّة إلى أن تقوم الساعة.

جاهد نفسه في الله، وجاهد شيطانه، حتَّى أسلم شيطانه، يقول النبي ﷺ: «**ما منكم من أحد، إلَّا وقد وكل به قرينه من الجن**». قالوا: وإياك؟ يا رسول الله؟ قال: «**وإياي، إلَّا أنَّ الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلَّا بخير**»[1]. حتَّى الشيطان استجاب له وأطاعه، وأصبح لا يأمره إلَّا بخير، فصار الشيطان رمز الغواية والشر ينبوعًا من ينابيع الخير والهداية في نفْس رسول الله ﷺ.

جهاد في كل ميدان وبكل سلاح:

وكما جاهد النبي ﷺ نفسه في الله، وجاهد شيطانه في الله، وجاهد المشركين والمنافقين كما أمره ربه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣، التحريم: ٩]. جاهد الكفار بنفسه، وجاهدهم بماله، وجاهدهم بلسانه، وجاهدهم بيده، بكلِّ أنواع الجهاد. قال الله تعالى له، وهو في مكَّة في سورة الفرقان: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ [الفرقان: ٥١، ٥٢]. أي بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾، وهو: جهاد الدعوة والبيان والتبليغ عن الله سبحانه تعالى.

لم تكن مجابهة المجتمع الجامد بالأمر السهل:

ولم تكن هذه المواجهة أمرًا سهلًا، بل إن مجابهة مجتمع وثني مصرٍّ على الوثنيَّة، مقتنع بما كان عليه الآباء والأجداد، كما قال تعالى:

(١) رواه مسلم في صفة القيامة والجنة والنار (٢٨١٤)، وأحمد (٤٣٩٢)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]. وكانت مجابهة هذا المجتمع الجامد أمرًا شاقًّا عسيرًا.

هذا المجتمع الجامد الَّذي وقف على التقليد الأعمى للآباء والأجداد حينما يقول لهم: إن آلهتكم الَّتي تعبدون من دون الله، ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ٢٣]، إنَّها لا تبصر ولا تسمع، ولا تعطي ولا تمنع، ولا تضر ولا تنفع، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٤، ١٩٥]! يغلقون عقولهم فلا يعقلون، ويغلقون أعينهم فلا يبصرون، ويغلقون آذانهم فلا يسمعون، ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: ٥].

وظلَّ رسول الله ﷺ ثلاثةَ عشر عامًا يدعوهم إلى الله تعالى لا يكفّ: دعاهم ليلًا ونهارًا، وسرًّا وجهارًا، كان يدعو في بداية الدعوة سرًّا، وبعد ثلاث سنوات من بدء الوحي أمره الله أن يصدع بما أُمِرَ به، مبلِّغًا رسالة ربه، ولا يبالي بالمشركين الَّذين يقفون في وجهه، ويصدُّون عن سبيله، فأنزل عليه: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٤ ـ ٩٦].

عن ابن عبَّاس لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: «**يا بني فهر، يا بني عدي**»، لبطون

QaradawiBooks.com

قريش، حتَّى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو. فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أنَّ خيلًا بالوادي تريد أنْ تغير عليكم أكنتم مصدقي؟!**». قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلَّا صدقًا. قال: «**فإني نذير لكم بيد يدي عذاب شديد**». فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا. فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١][1].

معركة بين الرسول ﷺ وقومه:

قامت معركة بين الرسول وقومه في مكَّة، حول الأصول الأولى لدعوته، بدأ الرسول الكريم يدعو إلى التوحيد، وهم يدعون إلى الوثنيَّة. يدعو إلى عبادة الله وحده، وهم يدعون إلى الأصنام. يدعو إلى الحق، وهم متمسكون بالباطل. يدعو إلى الجنَّة، وهم يدعونه إلى النار. ولكنَّه ﷺ ظلَّ متمسكًا بعُرى دعوته، لم يتزحزح قِيد شعرة عن هذه الدعوة، حاولوا أن يغروه بالمال، بالمنصب، بالملك، بالسيادة، ولكنَّه رفض ذلك كلَّه.

جاءه عتبة بن ربيعة، يتحدَّث بلسان قريش، ويعرض عليه أمورًا يحرص عليها طلاب الدُّنيا لعلَّه يقبلها أو يقبل بعضها، ويتنازل عن دعوته الَّتي أقضت مضاجعهم، وقال له فيما قال: إن كنتَ تريد يا ابن أخي فيما جئتَ من هذا الأمر الَّذي فرَّق جماعتنا مالًا، جمعنا لك من أموالنا حتَّى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد ملكًا ملَّكناك علينا، وإن كنت تريد شرفًا سوَّدناك علينا، حتَّى لا نقطع أمرًا دونك.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري التفسير (٤٧٧٠)، ومسلم في الإيمان (٢٠٨).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فلما فرغ من عرضه، قال له النبيُّ ﷺ: «**أفرغتَ يا أبا الوليد؟**». قال: نعم. فتلا عليه رسول الله ﷺ أوائل سورة فصلت إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]. فما إنْ سمعها الرجل، حتَّى خُيِّل إليه أنَّ الصاعقة تكاد تنزل عليه وعلى قومه فقال: أنشدك الله والرحم يا ابن أخي أن تكف عن هذا[١].

قريش تقاطع محمدًا وأصحابه مقاطعة اقتصاديَّة واجتماعيَّة:

رفض محمَّد ﷺ المال والجاه والملك، وكل ما يتطلع إليه النَّاس، لأنَّه ما كان يريد مالًا ولا جاهًا ولا دنيا، إنَّما كان يريد أن يبلغ دعوة ربه إلى النَّاس، هذا ما يريده، ما كان يريد الدُّنيا، لو أراد الدُّنيا لقبل ما عرضه هؤلاء. وظلَّ يكافح، ويصبر على الأذى، هو وأصحابه؛ حتَّى قررت قريش أنْ تقاطع محمدًا، وتقاطع أصحابه، وتقاطع من يحميهم ويدافع عنه، مثل أبي طالب عمّه، الَّذي قدر الله أن يظل على دين قومه، وكانت هذه حكمة الله ليحميه بجاهه.

قرَّروا أن يقاطعوا هؤلاء مقاطعة اقتصاديَّة واجتماعيَّة، أي لا يبيعوا لهم، ولا يشتروا منهم، ولا يزوِّجوهم، ولا يتزوَّجوا منهم! وحُوصروا في شِعْب يسمَّى شِعْبَ أبي طالب، دخله المسلمون كافَّة، ودخله معهم بنو هاشم وبنو المطَّلب مسلمهم وكافرهم، المسلم دخله باسم الإسلام، والكافر دخله عصبيَّة لمحمَّد، ولمن معه من بني قومه، وأصيب المسلمون بابتلاء شديد نتيجة هذه المقاطعة، حتَّى سمع بكاء صبيانهم من بعيد من الجوع، وأكل المسلمون أوراق الشجر، حتَّى دميت

(١) رواه ابن أبي شيبة في المغازي (٣٧٧١٥)، وأبو يعلى (١٨١٨)، والحاكم في التفسير (٢٥٣/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٠٢/٢)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

أشداقهم، وجُرحت أفواههم، حتَّى فرّج الله تبارك وتعالى عنهم، بعد نحو ثلاث سنوات، هيَّأ الله رجالًا حركتهم نخوة العرب من أجل الرسول وأصحابه، ومن أجل بني هاشم وبني المطَّلب، وطلبوا نقد الصحيفة الظالمة القاطعة الجائرة، الَّتي تعاهدوا فيها على مقاطعة هؤلاء القوم، وعلَّقوها في جوف الكعبة، وشقُّوا هذه الصحيفة[١].

عام الحزن:

ولكن النبيَّ المجاهد ﷺ بعد أن انتهى من هذه المحنة، دخل في محنة أخرى، فَقَدَ عمَّه أبا طالب الَّذي كان سندًا له في الخارج، وفقد زوجته خديجة الَّتي كانت سندًا له في الداخل، وسُمِّي هذا العام: عام الحزن، وآذاه قومه بما لم يكونوا يقدرون على إيذائه به أيام عمه أبي طالب، واشتدوا في إيذائه وإيذاء أصحابه، حتَّى قال رسول الله ﷺ: «**ما زالت قريش كاعةً حتَّى تُوُفِّي أبو طالب**»[٢].

كاعة: جمع كائع، وهو الجبان، أي أنَّهم كانوا يجبنون على إيذاء رسول الله ﷺ في حياته، فلمَّا مات اجترؤوا عليه.

رحلة الطائف:

واضطر ﷺ أن يخرج من مكَّة، ويذهب إلى مكان آخر؛ عسى أن يجد فيه قلوبًا متفتحة، وآذانًا صاغية، فذهب إلى الطائف، أقرب المدن إلى مكَّة، وإلى أهله من بني ثقيف، وظلَّ في الطائف نحو عشرة أيام،

(١) للمزيد من تفاصيل قصة الصحيفة الجائرة، وأحداث شعب أبي طالب وما تخلل هذه الفترة من أحداث، انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢/٨٠ ـ ٨٥)، والروض الأنف للسهيلي (٣/١٧٤)، وزاد المعاد (٣/٢٦ ـ ٢٨).

(٢) رواه الحاكم في تواريخ المتقدمين (٢/٦٢٢)، وصحَّحه على شرط الشيخين، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

لا يجد كبيرًا ولا شريفًا إلَّا عرض عليه دعوته، ولكنَّهم آذوه أشدَّ الإيذاء، وقابلوه أسوأ مقابلة، ولم يجد عندهم ما يمكن أن يقدِّم شيئًا لهذا الدين الجديد، بل سلَّطوا عليه سفهاءَهم وصبيانهم، وجلسوا صفَّين عن يمين وشمال، يرمونه بالحجارة حتَّى دميت قدماه، ومعه مولاه زيد بن حارثة يدافع عنه، حتَّى شُجَّ رأسه، ودمي قدماه، وقوبل بهذه المقابلة الغليظة[١]، وقال له بعضهم: ألم يجد الله في جزيرة العرب غيرك حتَّى يرسلك؟! وقال له آخر: إن كنت صادقًا فأنت أكبر من أنْ أكلمك! وإن كنت كاذبًا فأنت أحقر من أنْ أكلمك! فلن أكلمك صادقًا أو كاذبًا[٢].

وعاد ﷺ من هذه الرحلة، كسير الخاطر، حزين القلب، وشكا إلى ربه تعالى شكواه الأسيفة الرقيقة الحزينة: «**اللهمَّ إنِّي أشكو إليك ضعف قوَّتي، وقلَّة حيلتي، وهواني على النَّاس، يا أرحمَ الراحمين، أنت ربُّ المستضعفين، وأنت ربِّي، إلى من تكلني؟! إلى بعيدٍ يتجهَّمني؟ أم إلى عدوٍّ ملَّكْتَه أمري؟ إن لم يكن بك غضبٌ عليَّ فلا أبالي، ولكنَّ عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الَّذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمرُ الدُّنيا والآخرة، من أن يحلَّ عليَّ غضبك، أو ينزل بي سخطك، لك العُتْبى حتَّى ترضى، ولا حول ولا قوة إلَّا بك**»[٣].

---

(١) انظر: زاد المعاد (٢٨/٣).

(٢) القصة ذكرها ابن هشام في سيرته (٤١٩/١)، وابن حبان في السيرة النبويَّة (٩١/١)، نشر الكتب الثقافية، بيروت، ط ٣، ١٤١٧هـ. وانظر: الروض الأنف (٢٤/٤)، وعيون الأثر (١٥٥/١)، نشر دار القلم، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٣٤٥/٢)، نشر دار التراث، ط ٢، ١٣٨٧هـ. والحديث رواه الطبراني في الكبير (٧٣/١٣)، وفي الدعاء (١٠٣٦)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٨٣٩)، وقال الهيثمي (٩٨٥١): فيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١١٨٢)، عن عبد الله بن جعفر.

QaradawiBooks.com

بعد المحنة منحة:

وقد أكرمه الله الرحمن الرحيم بعد ذلك بأن أسلم على يديه في هذه الرحلة عدَّاس خادم بستان عتبة وشيبة ابني ربيعة[1]، وأسلم على يديه النفر من الجنِّ، الَّذين ذكروا في سورتي الأحقاف والجنِّ، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۞ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣١]. وقوله: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۞ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢]. كأن الله تعالى يقول له: إذا أعرض عنك الإنس، فلقد أقبل عليك الجن!

ثمَّ عوَّضه برحلة أفضل من هذه الرحلة، فكان الإسراء به ﷺ إلى المسجد الأقصى، ثمَّ من المسجد الأقصى عُرج به إلى السماوات العلا، إلى سدرة المنتهى.

الجهاد الكبير طوال ثلاثة عشر عامًا:

عاش رسول الله ﷺ طوال ثلاثة عشر عامًا في مكَّة؛ يجاهد جهاد التبليغ والبيان، وجهاد الصبر والاحتمال على ما يلقى من الأذى، وفي ذلك نزل قول الله تعالى في أوائل سورة العنكبوت: ﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ

(١) سيرة ابن هشام (٤٢١/١)، والسيرة النبويَّة لابن حبان (٩١/١).

QaradawiBooks.com

﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۞ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۞ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۞ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٦].

هذا الجهاد كان جهاد الاحتمال والصبر والمثابرة في ذات الله، وفي سبيل الله، وفي سبيل الدعوة إلى الله وتبليغ دينه.

ظل محمَّد ثلاثة عشر عامًا في مكَّة، يدعو النَّاس إلى ربهم، وينفر من عبادة الأصنام، ومن عبادة الطواغيت، ويدعو إلى احترام آدمية النَّاس، والاعتراف بحقوقهم، كلهم لآدم، وآدم من تراب.

أنت أيًّا كنت أخي، وأنا أخوك، من الطين خُلِقنا، وعلى الطين نمشي، ومن الطين نأكل ونشرب، وإلى الطين نصير وندفن: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

الهجرة إلى المدينة:

ثم أذن الله له بالهجرة إلى المدينة، بعد أنْ بايعه الأنصار من الأوس والخزرج بيعتين: بيعة العقبة الأولى، وبيعة العقبة الثانية، وعاهدهم وعاهدوه على أن يهاجر إليهم، وعلى أن يمنعوه ممَّا يمنعون منه نساءهم وذراريَّهم وأنفسهم[1].

وهاجر رسول الله ﷺ من مكَّة إلى المدينة بعد أن تمالأت قريش على قتله، لكن الله جعل من بين أيديهم سدًّا، ومن خلفهم سدًّا، فأغشاهم فهم لا يبصرون، ووقف وهو خارج من مكَّة ينظر إليها

(١) رواه أبو نعيم في الدلائل (٢٢٧)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤٥٤/٢)، عن عروة بن الزبير.

QaradawiBooks.com

ويقول: «**والله، إنَّك لأحبُّ بلاد الله إلى الله، وأحبُّ بلاد الله إليَّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما خرجت**»[1]. هكذا قال لها.

هاجر المسلمون، ثمَّ هاجر الرسول إلى المدينة، كما حكت آية الهجرة في سورة التوبة: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

وفي المدينة بدأ عهد جديد، بعد عهد الصبر والمصابرة، والثبات والنيَّة على القيام بالدعوة مهما يكن من أذًى ومن عناد.

كان الرسول الكريم في هذه المدينة يعدُّ رجاله للمرحلة القادمة، وقد علم طبيعتها وروحها ممَّا نزل عليه من قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٣٩ ـ ٤١]. فكان لا بدَّ أن تتهيَّأ الأمة لإعداد شبابها ورجالها الَّذين أمدَّهم الله بالقوة، وأن يكونوا على حذر من عدوِّهم، وأنْ يتهيؤوا بكل

(١) رواه أحمد (١٨٧١٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. والترمذي في المناقب (٣٩٢٥)، وقال: حسن صحيح غريب. وابن ماجه في المناسك (٣١٠٨)، عبد الله بن عدي بن الحمراء.

QaradawiBooks.com

قوة، لإقامة المجتمع المسلم الَّذي يعمل حتَّى يمكنه الله في الأرض على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

تهيئة المدينة لإقامة المجتمع المسلم الجديد على الصلاة والإخاء والجهاد المتواصل:

كانت «المدينة» دارًا للإسلام، وبدأ النبيُّ ﷺ وصحابته يبنون المسجد النبوي أوَّل مشروع للدولة الجديدة، ليعلن أنَّها دولة تريد أن تعبد الله وحده، فليس معقولًا أن يكون لمناة واللات والعُزَّى وهبل وغيرها دُورها وكهَّانها وعبَّادها وحُراسها وأموالها، ولا يكون لرب السماوات والأرض بيته ومسجده الَّذي تقام فيه شعائره، ويجتمع فيه عباده، ويتعارف فيه رجاله ونساؤه وشبابه.

ثم إنَّ الرسول قد أقام عقد الأخوة بين أبناء الإسلام، بين المهاجرين والأنصار، فكل أنصاري يحاول أن يكسب مهاجرًا يؤاخيه، ويتعاملان كأنهما من أب واحد، وأم واحدة. وكانت القصة الَّتي أصبحت الرمز للإخاء والإيثار قصة عبد الرحمٰن بن عوف وسعد بن الربيع[1].

ثم كانت الصحيفة الَّتي جمعت بين المسلمين من المهاجرين والأنصار وبين اليهود، الَّذين يعيشون بقبائلهم في المدينة وحولها، فلم تكن هذه المدينة للمسلمين وحدهم، بل لهم ولكل من يتحالف معهم، ويضع يده في أيديهم، وبهذا مدَّ الرسول يده لكلِّ يهود المدينة بقبائلهم الثلاث الكبرى: بنو قينقاع، وبنو النَّضير، وبنو قريظة. وأصبحت المدينة الجديدة بدينها الإسلام وتجاوره اليهودية، وبينهما عهد مشترك

(١) القصة رواها البخاري في مناقب الأنصار (٣٧٨٠)، عن عبد الرحمٰن بن عوف.

QaradawiBooks.com

على التكافل والدفاع عن دولتهم الناشئة، وبهذه القوى المتحالفة على الحق، المتعاونة على البر والتقوى، المستعدة لقبول من ينضم إليها، وطنًا لكل ساكنيها.

مرحلة الجهاد المسلح:

وبعد أن انتقل النبي ﷺ إلى مهجره الجديد، إلى دار الإسلام الجديدة، إلى قاعدة الإسلام الصلبة، إلى المدينة الَّتي نوَّرها قدومه ﷺ، وحوله المهاجرون والأنصار، بدأت مرحلة جديدة من الجهاد: إنَّه الجهاد المسلح، إنَّه الجهاد بالسيف، إنَّه الجهاد بملاقاة الأعداء الَّذين أحاطوا به من كل جانب، فقد رمتهم العرب عن قوس واحدة، كما قال أبي بن كعب: لمَّا قدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة[1].

كل العرب تجمَّعوا عليهم، ووقفوا ضدهم، اجتمع الباطل كلُّه بخيله ورجِلِه اجتمعوا على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه، وكان عليهم أن يعدوا العُدَّة لملاقاة عدو الله وعدوهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وأعدَّ النبيُّ ﷺ ما استطاع لهذا الجهاد الدامي وهذه المرحلة الشديدة والقاسية من مراحل الدعوة إلى الله تعالى، وكان هو في مقدمة المجاهدين.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧٠٢٩)، والحاكم في التفسير (٤٠١/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٢٣٧): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات. عن أبي بن كعب.

QaradawiBooks.com

هيَّأه الله ليكون المجاهد الأول:

وقد هيَّأ الله له أسباب الجهاد، وأسباب القيادة حتَّى يكون المجاهد الأول، فقد حباه الله بعدة الجهاد، فكان عنده الجسم القوي، وليس الجسم المترف الَّذي قال فيه الشاعر[١]:

خَطَراتُ النَّسيمِ تجرحُ خدَّيـ ـه ولمسُ الحريرِ يُدمي بَنانَه

بل تعوَّد النبيُّ ﷺ الخشونةَ: رعى الغنم لأهل مكَّة[٢] واشتغل بكدِّ يمينِه وعَرَقِ جَبِينِه!

الله هيَّأه لهذا، هيَّأه ليتلقى الحياة بخيرها وشرها، ويجربها بحلوها ومرِّها، شاء الله أن يموت أبوه وهو في بطن أمه، وأن تموت أمه وهو في السادسة من عمره، وأن يموت جده سيِّد مكَّة، وهو في الثامنة من عمره، ليلاقي الحياة ويقاسيها، بما فيها من ألوان الألم والعذاب، ويكسب قُوته بنفسه، ليس كأولاد الذوات، وأولاد الأسر الكبيرة، وهو من أسرة كبيرة، ولكن أباه لم يترك له مالًا، أبوه مات في العشرين من عمره لم يكوِّن ثروة، وكان عمه أبو طالب كثير العيال، وليس عنده مال كثير، فشاء الله أن يجابه الحياة بنفسه، ويعمل بنفسه، ويرعى الغنم، ويتعلَّم في جوِّ البادية، وجوِّ الصحراء، وجوِّ المراعي.

---

(١) البيت لشهاب الدين الأعزازي، كما في نفح الأزهار في منتخبات الأشعار لشاكر بن مغامس البتلوني صـ ٩، تحقيق إبراهيم اليازجي، نشر المطبعة الأدبية، بيروت، ط ٣، ١٨٨٦م.

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله نبيًّا إلَّا رعى الغنم». فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة». رواه البخاري في الإجارة (٢٢٦٢).

QaradawiBooks.com

هكذا أراد الله لنبيه ﷺ أن ينشأ هذه النشأة، ويعيش على أقل القليل، على ما خشُن من العيش، على ما قلَّ من الطعام والشراب، ولذلك كان جسمه مُعدًّا للجهاد في سبيل الله، كان جسمًا قويًّا، حتَّى إنَّ أحد المصارعين المعروفين، واسمه رُكانة أراد أن يصارعه ﷺ، وجعل إذا غلب محمدًا يأخذ منه شاة، وإذا غلبه هو أعطاه شاة، ولكن النبي ﷺ صارع ركانة فصرعه، ثمَّ تنازل له عن الشاة وقال له: «**ما كنَّا لنجمعَ عليك أن نَصرعك ونُغرمك، خذْ غنمك**»[(١)]، ودخل الرجل في الإسلام.

وكان النبيُّ ﷺ يركب الفرس مُعْرَوْرِيًا لا سرج عليه ولا لجام[(٢)]. وكانت نفسه شجاعة لا تعرف الخوف إلَّا من الله تعالى، ولذلك يقول فارس الإسلام علي بن أبي طالب: كنَّا إذا احمر البأس، ولقي القومُ القومَ، اتَّقينا برسول الله ﷺ، فما يكون منَّا أحد أدنى من القوم منه[(٣)].

ويقول: لقد رأيتني يوم بدر، ونحن نلوذ بالنبي عليه السلام، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد النَّاس يومئذ بأسًا[(٤)].

هكذا كان ﷺ: جسم قويّ، ونفس شجاعة لا تخاف، بل كان يتمنَّى أنْ

(١) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (٢٠٩٠٩)، عن عبد الله بن الحارث.

(٢) كما في حديث أنس، المتَّفق عليه، قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: «لن تراعوا لن تراعوا». وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج في عنقه سيف فقال: «لقد وجدته بحرًا» أو «إنَّه لبحر». رواه البخاري في الأدب (٦٠٣٣)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٧).

(٣) رواه أحمد (١٣٤٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والنسائي في الكبرى في السير (٨٥٨٥)، والحاكم في تقسيم الفيء (١٤٣/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه أحمد (٦٥٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وابن أبي شيبة في السير (٣٣٢٨١).

QaradawiBooks.com

يقتل في سبيل الله ويقول: «**لولا أن أشقَّ على أمَّتي، ما قعدت خلف سرية أبدًا**»(١). وكان يقول: «**والذي نفسي بيده، وددت أنِّي أقاتل في سبيل الله، فأقتل، ثمَّ أحيا، ثمَّ أقتل، ثمَّ أحيا، ثمَّ أقتل، ثمَّ أحيا، ثمَّ أقتل، ثمَّ أحيا**»(٢).

وقد غزا النبي ﷺ سبعًا وعشرين غزوة، حضرها بنفسه، وبعث بضعة وخمسين سرية من أصحابه.

وكان ﷺ موصول القلب بالله، والقلب الموصول بالله لا يخاف أحدًا إلَّا الله، كان إذا دخل المعركة استعان بالله تعالى، وقال: «**اللهمَّ إنَّا نجعلك في نحورهم، ونعوذُ بك من شرورهم**»(٣)، «**اللهمَّ منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازمَ الأحزاب؛ اهزمهم وانْصرنا عليهم**»(٤). كان يقوِّي أصحابه بهذه الأدعية الَّتي تشدُّ أزرهم، وتقوي ظهرهم.

هكذا كان ﷺ، كان مُعدًّا ليقود الجهاد في سبيل الله، كان متمرسًا على الحرب، وأدوات الحرب كلها، وكان يغري أصحابه بذلك ويحرضهم على ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ [الأنفال: ٦٥] فكان يحرِّضهم وهو أسوة لهم، كان يتقلد السيف، ويلبس الدرع والخوذة، الدرع على صدره، والخوذة على رأسه، ويتترَّس

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣٦)، ومسلم في الجهاد (١٨٧٦)، عن أبي هريرة.

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) رواه أحمد (١٩٧٢٠)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وأبو داود في الصلاة (١٥٣٧)، والنسائي في الكبرى في السير (٨٥٧٧)، والحاكم في الفيء (١٤٢/٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين وأكبر ظني أنهما لم يخرجاه. ووافقه الذهبي، عن أبي موسى الأشعري.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري (٢٩٦٥، ٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٢)، كلاهما في الجهاد والسير، عن عبد الله بن أبي أوفى.

QaradawiBooks.com

بالتُّرس، ويحمل الرمح والقوس العربيَّة، ويرمي بالنَّبل، قاتل وقَتَل، قتل أبيَّ بن خلف في غزوة أحد، حينما أراد أن يقتل رسول الله ﷺ فقال له: «**بل أنا أقتلك**». فضربه فأصيب، ولما رجع إلى مكَّة قيل له: لا بأس عليك، الجرح يسير، فقال لهم: إن محمدًا قال: سأقتلك، فوالله لو بصق عليَّ لقتلني[1].

يقول الماوردي: «إنَّه لم يشهد حربًا فيها أفزاع إلَّا صابر حتَّى انجلت عن ظفر أو دفاع وهو في موقفه لم يزُل عنه هربًا، ولا انحاز منه رغبًا، بل ثبت بقلب آمِن، وجأش ساكن.

قد ولَّى عنه أصحابُه يومَ حنين، حتَّى بقي بإزاء جمع كثير وجم غفير في تسعة من بيته وأصحابه، على بغلة مسبوقة إن طُلِبت، غير مستعدة لهَرَب ولا طلب، وهو ينادي أصحابه، ويُظهر نفسه ويقول: «**إليَّ عباد الله، أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابن عبد المُطَّلِب**»[2]. فعادوا أشذاذًا وأرسالًا، وهوازن تراه، وتُحجم عنه، فما هاب حرب من كاثره، ولا انكفأ عن مصاولة من صابره، وقد عضده الله تعالى بأنجاد وأنجاد، فانحازوا وصبر، حتَّى أمده الله بنصره، وما لهذه الشجاعة من عديل.

ولقد طرق المدينةَ فزع، فانطلق النَّاس نحو الصوت، فوجدوا رسول الله ﷺ قد سبقهم إليه، فتلقوه عائدًا على فرس عُرْي لأبي طلحة الأنصاري، وعليه السيف، فجعل يقول: «**أيها النَّاس، لم تراعوا، لم**

(١) راجع: السيرة النبويَّة لابن هشام (٨٤/٢)، والطبقات الكبرى (٤٦/٢)، وتاريخ الطبري (٥١٩/٢).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦)، كلاهما في الجهاد والسير، عن البراء بن عازب.

QaradawiBooks.com

تراعوا». ثمَّ قال لأبي طلحة: «**إنا وجدناه بحرًا**»[١]. وكان الفرس يبطئ، فما سبقه فرس بعد ذلك، وما ذاك إلَّا عن ثقة من أنَّ الله تعالى سينصره، وإن دينه سيظهره تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]. وتصديقًا لقول رسوله ﷺ: «**زُويت لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ مُلك أُمَّتي ما زُوِي لي منها**»[٢]. وكفى بهذا قيامًا بحقه وشاهدًا على صدقه»[٣].

هكذا كان النبي ﷺ، أعدَّه الله ليجاهد في سبيله، فعاش عُمُره في المدينة عشر سنوات، في السنة الأولى كانت هناك مناوشات بينه وبين القبائل من حول المدينة، وكان عليه أن يرسل السرايا من أصحابه لتؤمِّن ما حول المدينة، وكان على هؤلاء الأعراب إما أن يستجيبوا فيعاهدوا النبي ﷺ، وإما أن يؤدبهم؛ لأنَّه يستعد لمعركة قادمة، يعلم أنَّها آتية لا ريب فيها، ثمَّ كانت غزوة بدر، وكانت غزوة أحد، وكانت غزوة الأحزاب، وكانت الحديبية، وكانت غزوة خيبر، وكان فتح مكَّة، وكانت معركة الطائف، ومعركة حنين، تسع غزوات كبرى، من سبع وعشرين غزوة حضرها النبي ﷺ، فضلًا عن أربع وخمسين أو خمس وخمسين سرية؛ بعثها النبي ﷺ من أصحابه إلى جهات شتى.

هذا الدِّين لم يأتِ إلينا عفوًا صفوا:

هذه الحرب الطويلة، جعلت كل بيت في المدينة يقدِّم شهيدًا أو أكثر، ما من دار من الدُّور ولا أسرة من الأسر، إلَّا وقدَّم شهيدًا أو أكثر

(١) سبق تخريجه صـ٣٠٦.

(٢) رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٨٨٩)، وأحمد (٢٢٣٩٥)، عن ثوبان.

(٣) أعلام النبوة صـ ٢٣٠، ٢٣١، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.

QaradawiBooks.com

من الشـــهداء، هذا الدين الَّذي ننعم به اليوم، ونستظل بظله الوارف، لم يأت إلينا عفـــوًا صفوًا، لم يأت إلينا غنيمة باردة، ولا لقمة ســـائغة، لقد بُذلت فيه الجهود، وأريقت فيه الدماء، وأزهقت فيه الأرواح، وقدِّمت في سبيل نصرته التضحيات.

جبهات المواجهة والقتال:

كان ﷺ وأصحابه يحاربون في عدة جبهات: الجبهة الوثنيَّة في مكَّة وفي جزيرة العرب، والجبهة اليهودية الَّتي غدرت برسول الله ﷺ ونقضت عهده، وهناك جبهة أخرى متربِّصة أرادت أن تغزو النبي قبل أن يغزوهم، فغزاهم هو قبل أن يغزوه، الروم النصارى الَّذين بعث إليهم سرية مؤْتة، وغزاهم بنفسه في تبوك.

وكان هناك الفرس الَّذين يقفون من قريب في دولة فارس، الَّتي هي إحدى الدولتين الكبريين في العالم، تتنازع السيادة على العالم مع الروم.

وكان هناك جبهة داخلية أخطر من هؤلاء جميعًا هي جبهة المنافقين الَّذين يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۞ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨ ـ ١٠].

هذه الجبهات جميعًا واجهها رسول الله ﷺ، فكيف واجهها وانتصر عليها؟!

يقول الإمـــام الماوردي وهـــو يبين فضائـــل أفعالـــه ﷺ: «الخصلة السادسة: انتصابه لجهاد الأعداء، وقد أحاطوا بجهاته، وأحدقوا بجَنَباته، وهو في قُطْب مهجور، وعدد محقور، فـــزاد به من قُلٍّ، وعز به من ذُل،

QaradawiBooks.com

وصار بإثخانه في الأعداء محذورًا، وبالرعب منه منصورًا، فجمع بين التصدِّي لشرع الدين حتَّى ظهر وانتشر، وبين الانتصاب لجهاد العدو حتَّى قهر وانتصر، والجمع بينهما مُعْوِز إلَّا لمن أمدَّه الله بمعونته، وأيَّده بلطفه، والمُعوز مُعْجِز»[1].

النبي ﷺ ربَّى أمَّة المجاهدة في سبيل الحق:

اقتضت حكمة الله أن يكون النبي ﷺ هو النبي الخاتم، الَّذي ختم الله برسالته الرسالات، ونسخ دينه الأديان، وأنزل الله عليه الكتاب بالحق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

لذا فقد حُمِّلت هذه الأمة مع رسولها إبلاغ دعوة الله ودينه إلى العالمين، كما قال تعالى في سورة يوسف: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

وكُلِّفت الأمة من بعده بالجهادَ في سبيل الحق والخير والعدل، وحرية كل إنسان في اختيار دينه، وأن تأخذ بيد البشريَّة إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والانتهاء عن المنكرات، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

ربَّى النبيُّ ﷺ أصحابه والأمة من بعدهم على أنَّهم لا بدَّ أن يمثلوا القوَّة الَّتي تدافع عن الحق، واليد الَّتي تحامي عن العدل، وألَّا ييئسوا

(١) أعلام النبوة صـ ٢٣٠.

QaradawiBooks.com

أبدًا، وأنَّ المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، وأنَّه يجب على أهل الإيمان أن يملكوا القوة، حتَّى لا يستسلموا لجبابرة الأرض، الَّذين فغروا أفواههم، وشحذوا أضراسهم، لابتلاع آخرين، فقال القرآن للمؤمنين يشحذ هممهم من أجل استنقاذ المستضعفين: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

يُعلِّم الإسلام أتباعه أنَّه لا بدَّ أن تقولوا لأباطرة الشر والاستكبار: لن نسلِّم لكم، نحن أقوى منكم، نحن لسنا جبابرة مثلكم، ولكن معنا قوة أقوى منكم، هي قوَّة الإيمان الَّتي تأبى علينا أن نركع إلَّا لله، أو أن نسجد لغيره، مهما كان بغيه وطغيانه.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

والفتنة: تعني اضطهاد النَّاس وتعذيبهم من أجل عقيدتهم.

﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ١٣].

رباهم القرآن الَّذي أرسل به النبي المجاهد ﷺ أن من استشهد في سبيل الله والحق والخير لن يموت أبدًا: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

وأن من سقط صريعًا بين الصفين من أجل إعلاء كلمة الله والانتصار

QaradawiBooks.com

للمظلومين يفتح له في الحال أبـواب الجنَّة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧١].

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۞ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٧، ١٥٨].

وعن أنـس رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ما أحد يدخـل الجنَّة يحب أن يرجع إلى الدُّنيا، وأن له ما على الأرض من شيء إلَّا الشهيد، فإنَّه يتمنَّى أن يرجع إلى الدُّنيا فيقتل عشـر مرات، لما يرى مـن الكرامة**»[(١)]. وفي رواية: «**لما يرى من فضل الشهادة**»[(٢)].

وكان القرآن ينزل غضًّا طريًّا وفق الأحداث الَّتي يمر بها المسلمون، يصحِّح لهم، ويصوِّب أخطاءهم، ويهذِّب نفوسـهم، ويقاوم في نفوسهم كل تباطؤ أو تكاسل أو خوف، ليكونوا كما أراد الله منهم أُمَّة الجهاد.

أحاديث النبي ﷺ الَّتي تحثُّ على الجهاد:

وأقدم هنـا بعضًا من الأحاديـث الَّتي انتقيتها من كتـاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، لنرى كيف ربَّى النبي ﷺ أصحابَه وأمتَه من بعدهم على أنَّهم أُمَّة مجاهدة في سبيل الله تعالى:

عن أبي ذَرّ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسـولَ الله، أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «**إيمانٌ بالله، وجهاد في سبيله...**» الحديث[(٣)].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨١٧)، ومسلم في الإمارة (١٨٧٧) (١٠٩).
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٩٥)، ومسلم في الإمارة (١٨٧٧) (١٠٨).
(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في العتق (٢٥١٨)، ومسلم في الإيمان (٨٤).

QaradawiBooks.com

عن سهل بن سعد رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**رباط يوم في سبيل الله خير من الدُّنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنَّة خير من الدُّنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله، أو الغدوة، خير من الدُّنيا وما عليها**»(١).

عن زيد بن خالد الجُهَني رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**من جهَّز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزا**»(٢).

وعن سهل بن حُنَيْف رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**»(٣).

وعن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات فيه جَرَى عليه الَّذي كان يعمل، وأُجري عليه رزقه، وأمن من الفتَّان**»(٤).

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**»(٥).

أخلاقيات النبي ﷺ في الجهاد:

لم تكن معاملة النبي ﷺ مع الخلق تختلف باختلاف أحواله سلمًا وحربًا، ولا باختلاف من يتعامل معهم من أتباعه أو أعدائه أو أوليائه، بل

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩٢).
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٤٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٩٥).
(٣) رواه مسلم في الإمارة (١٩٠٩)، وأبو داود في الصلاة (١٥٢٠).
(٤) رواه مسلم في الإمارة (١٩١٣)، والترمذي في فضائل الجهاد (١٦٦٥)، والنسائي في الجهاد (٣١٦٧).
(٥) رواه الترمذي في فضائل الجهاد (١٦٣٩)، وقال: حسن غريب. وصحَّحه الألباني في صحيح الترمذي (١٣٣٨).

QaradawiBooks.com

كانت معاملته مع الجميع تنبع من معيار واحد، وهو المعيار الخُلُقي الَّذي يسوِّي في التعامل بين العدو والصديق، وفي حالتي الرضا والغضب، والسلم والحرب، وهو الكمال الَّذي بلغه النبي ﷺ بلا ريب.

ولذلك عامل أعداءه كما يعامل أولياءه: عدلًا في الحكم، وصدقًا في التعامل. وهذا ما لم تكد تعرفه الإنسانيَّة في أوقات الحروب، إلَّا في رسول الله ﷺ الَّذي جعله الله على الصراط المستقيم وبعثه رحمة للعالمين.

وتبرز جوهر الأخلاق العظيمة في معاملات الأعداء، في التفرقة بين المحاربين وغير المحاربين، وعدم التمثيل بالقتلى، والوفاء بالعهد وعدم الخيانة، وعدم الإفساد في الأرض، وإعطاء الأمان لمن طلبه في أثناء الحرب، والنهي عن الغلول، وحسن معاملة الأسرى.

التفرقة بين المحاربين وغير المحاربين:

لقد حدَّد القرآن الكريم القتال وحصره مع الَّذين يقاتلون فقط كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

ومن ثمَّ كانت الأوامر والتوجيهات تصدر من النبي ﷺ لقادة جيشه بقتال من يقاتلهم دون غيرهم.

فعن أنس بن مالك، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**انطلقوا باسم الله وبالله، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلًا صغيرًا، ولا امرأة، ولا تغلُّوا، وضُمُّوا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا إنَّ الله يحب المحسنين**»[(١)].

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٦١٤)، وابن أبي شيبة في الفضائل (٣٣٧٩٠)، والبيهقي في السير (٩٠/٩)، وقال عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الوسطى (٤٢/٣، ٤٣): خالد بن الفزر ليس بقوي. وضعَّفه الألباني في ضعيف أبي داود (٤٥٠)، وحسَّن عوَّامة إسناد أبي داود في تعليقه على المصنف.

QaradawiBooks.com

وعن بُرَيْدة الأَسْلَمِيِّ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرًا على جيش، أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا، ثمَّ قال: «**اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا...**»[(١)]. وفي رواية: «**اغزوا بسم الله، وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، لا تغُلُّوا، ولا تغدروا، ولا تجبنوا، ولا تقتلوا وليدًا، ولا امرأة، ولا شيخًا كبيرًا، وإذا حاصرتم أهل قرية أو حصن فلا تعطوهم ذمة الله وذمة رسوله، ولكن أعطوهم ذممكم وذمم آبائكم؛ فإنَّكم إن تَخْفِروا بذممكم وذمم آبائكم خير لكم من أن تخفروا بذمة الله ﷻ وذمة رسوله ﷺ**»[(٢)].

وقد نهى النبي ﷺ عن قتل الخدم في المنازل؛ لأن هؤلاء لا يحاربون، ونهى عن قتل الصغار من الأطفال، ونهى مشددًا عن التعرُّض للنساء، ولما رأى جُثَّة امرأة في القتلى غضب منهم، وعاتبهم ونادهم ولامهم، فيقول رباح بن ربيع: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة غزاها، وكان على المقدِّمة خالد بن الوليد، فمر رباح وأصحاب رسول الله ﷺ على امرأةٍ قتيلٍ ممَّا أصاب المقدِّمة، فوقفوا عليها ينظرون، يتعجبون من خَلْقها، حتَّى أتى رسول الله ﷺ على ناقة له، ففرجوا عن المرأة، فوقف رسول الله ﷺ ينظر إليها، فقال: «**ما كانت هذه لتقاتل!**». ثمَّ نظر في وجوه القوم، فقال لأحدهم: «**الحق خالدًا، فقل له: لا تقتل ذريَّة ولا عسيفًا**»[(٣)]، والعسيف: الأجير في البيت أو المزرعة.

---

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٣١).

(٢) رواه الطبراني في الصغير (٣٤٠).

(٣) رواه أحمد (١٥٩٩٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٢٦٦٩)، وابن ماجه (٢٨٤٢)، والحاكم (١٢٢/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الجهاد. عن رباح بن الربيع.

QaradawiBooks.com

عدم التمثيل بالقتلى:

عرف النَّاس من قديم في الحروب تجاوزات شتَّى، منها: المُثْلة، ويراد بالمُثْلة: الانتقام من العدو بعد موته بتشويه جُثَّته، وقطع بعض أجزاء من جسده، مثل الأذن والأنف والذَّكَر وغير ذلك، وقد يُخرج بعض أعضائه الداخلية مثل القلب أو الكبد. كلُّ هذا ليشفي غيظه من خَصمه، مع أنَّه قد مات واستراح منه، ولكن الإنسان لظلمه وجهله لم يكفِه موت خصمه، حتَّى ينكِّل به.

وقد جاء النبي ﷺ بمنهاج لم تعرف البشريَّة قبله مثله، وهو النهي عن المُثْلَة وحرَّمها، كما ثبت ذلك بأحاديث شتَّى.

ففي حديث بُريدة في صحيح مسلم، أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقول لقوَّاده: «**اغزوا ولا تغلُّوا ولا تغدِروا ولا تمثِّلوا...**»[(١)].

وروى مالك معنى ذلك عن عمر بن عبد العزيز، الَّذي كتب إلى عامل من عُمَّاله: أنَّه بلغنا أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا بعث سرية، يقول لهم: «**اغزوا باسم الله... ولا تغلُّوا ولا تُمثِّلوا**»[(٢)].

وروى أبو داود في كتاب الجهاد (باب النهي عن المُثْلَة)، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعفُّ النَّاس قِتْلةً: أهلُ الإيمان**»[(٣)]. ومعنى هذا: أنَّهم يعفُّون عن الانتقام من الموتى، والتمثيل بأعضائهم وجُثثهم، فهذا يتنافى مع عفَّة أهل الإيمان وأخلاقهم المُثْلى.

---

(١) سبق تخريجه صـ٣١٦.

(٢) رواه مالك في الجهاد (١٦٢٨) تحقيق الأعظمي.

(٣) رواه أحمد (٣٧٢٨)، وقال مخرِّجوه: حسن. وأبو داود في الجهاد (٢٦٦٦)، وابن ماجه في الديات (٢٦٨٢)، وابن حبان في الرهن (٥٩٩٤).

QaradawiBooks.com

وقد ذاق النبي ﷺ من مرارة المثلة بجثث أصحابه؛ فرأى بعينيه ذلك بعد الغزوة الثانية غزوة أحد الَّتي قُتل فيها سبعون من خِيرة صحابته، ومنهم عمه حمزة بن عبد المُطَّلِب.

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ وقف على حمزة بن عبد المُطَّلِب حين استُشهد، فنظر إلى منظرٍ لم ينظر إلى منظر أوجع للقلب منه ـ أو قال: لقلبه منه ـ ونظر إليه، وقد مُثِّل به، فقال: «**رحمة الله عليك، إن كنت ما علمتُ لوصولًا للرحم، فعولًا للخيرات، والله لولا حزن مَنْ بعدك عليك، لسرني أن أتركك حتَّى يحشرك الله من بطون السباع** ـ أو كلمة نحوها ـ **أمَّا والله على ذلك لأُمَثِّلن بسبعين كمُثْلَتِك**». فنزل جبريل عليه السلام على محمَّد ﷺ بهذه السورة، وقرأ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ...﴾ [النحل: ١٢٦] إلى آخر الآية، فكَفَّر رسول الله ﷺ وأمسك عن ذلك[(١)].

الوفاء بالعهد وعدم الخيانة:

لقد رفع النبي ﷺ في حروبه مبدأ وخلقًا رفيعًا كان دائمًا ما يحث عليه، ويعد غير المتخلق به فيه صفة من صفات النفاق، وهو الوفاء بالعهود، فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومَن كانت فيه خصلة منهنَّ كانت فيه خصلة من النفاق حتَّى يَدَعَها: إذا حدَّث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»[(٢)].

(١) رواه البزار (٩٥٣٠)، والطبراني (١٤٣/٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠١٠٤): رواه البزار، والطبراني، وفيه صالح بن بشير المزني وهو ضعيف.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨)، كلاهما في الإيمان.

QaradawiBooks.com

وقال عليه الصلاة والسلام من حديث ابن مسعود: «**لكلِّ غادر لواءٌ يوم القيامة، يُعرَف به، يقال: هذه غَـدْرة فلان**»[١]، ومـن حديث ابن عمـر: «**إذا جمع الله الأوَّلين والآخرين يوم القيامة: يُرفع لكلِّ غادر لـواء، فقيل: هذه غدرة فلان بن فلان**»[٢].

وفي حديث أبي سعيد الخدري: «**لكلِّ غادرٍ لواءٌ عند استه**»[٣].

وقد أمر النبـي ﷺ أصحابـه: أن يحترموا عهودهـم واتفاقاتهم مع الآخرين في السلم وفي الحرب على السَّواء، وكان من وصاياه ﷺ لقادة الجيوش وأمراء السـرايا الوصية الَّتـي ذكرناها: «**لا تغُلُّـوا ولا تغدروا ولا تُمثِّلوا**»[٤].

وقد استثنى القرآن من المشـركين الَّذين برئ منهم الله ورسوله، ونبذ إليهم على سـواء، مَن كان له عهد مؤقَّت بمدَّة، فيُوفي له عهده إلى مُدَّته، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

واسـتثنى الَّذين عاهدوا الرسـول والمؤمنين عند المسجد الحرام: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧].

بل وجدنا القرآن يُقدِّم مَن كان بيننا وبينهم ميثاق من غير المسلمين، على إخواننا من المسلمين، الَّذين ليسوا في دار الإسلام، ولا يخضعون

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجزية (٣١٨٦)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٦).
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري الأدب (٦١٧٧)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٥).
(٣) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٣٨)، وأحمد (١١٣٠٣).
(٤) سبق تخريجه صـ٣١٦.

QaradawiBooks.com

لحكم المسلمين، فلم يطلب منَّا أن ننصرهم على مَن عاهدونا، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ﴾ [الأنفال: ٧٢]، فاعتبر رباط العهد والميثاق مقدَّمًا على رباط الدين، إذا لم ينضمَّ إليه الإقامة في دار الإسلام.

جواز نقض العهد في حالة واحدة:

ولم يُجِز الإسلام نبذ العهد إلَّا في حالة واحدة: أن ينقضه الطرف الآخر، أو يخاف منه الخيانة في عهده، وقد ظهرت أمارات ذلك في قوله أو عمله، وفي هذه الحالة ينبذ إليه عهده على طريق علني سويٍّ صريح لا خداع فيه، ولا يجوز أن ينقض عهده خُفية منه، فيفاجأ بنقضه، وهذا ما قرَّره القرآن الكريم بوضوح حين قال: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

عدم الإفساد في الأرض:

لقد نهى القرآن الكريم عن الإفساد في الأرض بعد أن أصلح الله خلقتها على الوجه المطابق لمنافع الخلق والموافق لمصالح المكلَّفين، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

وقال سبحانه في معرض الذمِّ يصف بعض الأشرار: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

وقال على لسان ملكة سبأ عن طبيعة الملوك الفاتحين: ﴿إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

QaradawiBooks.com

وذمَّ اليهود بقوله: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

ويتمثل الإفساد في الأرض بقطع أسباب الحياة فيها، وتخريب ما يحتاج إليه النَّاس، ممَّا لا ضرورة في الحرب إليه. وذلك مثل: قطع الشجر، وتحريق المزارع، وهدم المنازل، وتخريب العامر، وتلويث مياه الشرب، ونحو ذلك ممَّا تفعله بعض الجيوش، نكايةً بأعدائها، وانتقامًا منهم، وإن لم تكن بهم حاجة إليها.

ومن هنا كان يوصي النبي ﷺ أصحابه بعدم فعل شيء يحدث في أرض الله فسادًا وإفسادًا، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان نبي الله ﷺ إذا بعث جيشًا من المسلمين إلى المشركين قال: «**انطلقوا باسم الله...**»، فذكر الحديث، وفيه: «**ولا تقتلوا وليدًا طفلًا، ولا امرأة، ولا شيخًا كبيرًا، ولا تغوِّرُنَّ عينًا، ولا تعقرن شجرة، إلَّا شجرًا يمنعكم قتالًا أو يحجز بينكم وبين المشركين، ولا تمثلوا بآدمي ولا بهيمة، ولا تغدروا، ولا تغلوا**»[(١)].

وهو منهج الإسلام الَّذي ربَّى النبي ﷺ أصحابه عليه، فهذا خليفة النبي ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق يوصي قائد جيشه: وإنِّي موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبيًّا، ولا كبيرًا هرمًا، ولا تقطعن شجرًا مثمرًا، ولا تُخَرِّبَنَّ عامرًا، ولا تَعْقِرَنَّ شاة ولا بعيرًا إلَّا لمأكُلَة، ولا تحرِقَنَّ نخلًا ولا تُغَرِّقَنَّه، ولا تغلل، ولا تجبن[(٢)].

---

(١) رواه البيهقي في السير (٩٠/٩)، وقال: في هذا الإسناد إرسال وضعف وهو بشواهده مع ما فيه من الآثار يقوى.

(٢) رواه مالك في الجهاد (١٦٢٧) تحقيق الأعظمي، والبيهقي في السير (٨٩/٩).

QaradawiBooks.com

إعطاء الأمان لمن طلبه أثناء الحرب:

هناك جيوش لا تعرف إلَّا الاجتياح، ولا يقر لها قرار إلَّا بإفناء عدوهم عن آخرهم، وهي لا تتوقف مهما كثر القتلى واستسلم العدو.

ولكن النبي محمدًا ﷺ كان يعطي الأمان لمن طلبه أثناء الحرب وبعدها، وقد أمره ربه بذلك؛ فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

وهذا الخلق لم يكن موجودًا أبدًا في عصره، ولا في العصور الَّتي تلته إلَّا بين المسلمين، حتَّى مؤتمر لاهاي ١٨٩٩م، الَّذي تضمن نصًّا يناشد قادة الجيوش الحربية بقبول الأمان وإعطائه لمن طلبه.

التوقف عن الحرب إذا توقف العدو:

الحرب في شريعة النبي محمَّد ﷺ وسيلة وليست غاية، فإذا أعلن العدو التوقف عن القتال، أو استسلامه أو انسحابه ولم يبقَ مجال للحرب؛ عندئذ أُمِر المسلمون أن يتوقفوا عن القتال، يقول تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

وتوقف الحرب بين المسلمين وأعدائهم بانسحاب الأعداء أو استسلامهم فضلٌ من الله تعالى يذكره في معرض الامتنان على المسلمين، كما قال الله تعالى في غزوة الأحزاب، وقد قرر المشركون الرحيل، والرجوع من حيث أتوا، دون أن يُحقِّقوا أيَّ هدف ممَّا كانوا خطَّطوا له.

وفي هذا يقول القرآن: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

QaradawiBooks.com

فهذا التعليق القرآني ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾، يبيِّن أن هذه نعمة عظيمة من الله تعالى للمؤمنين: أن ردَّ أعداءهم عنهم، ولم يحققوا هدفهم من غزوتهم، وأنَّ الله كفاهم القتال، وأراحهم من تبعاته وآثاره.

فلم يكن النبي ﷺ متعطشًا للدماء، بل كان مدافعًا هو وصحابته معه عن دين استُبيحت حرماته، وطُرد أتباعه من وطنهم، وصُودرت أموالهم، وغُزُوا في عُقر دارهم.

وفي غزوة الحديبية يعقب القرآن على ما تم من صلح بين الرسول والمشركين، فينزل فيه «سورة الفتح» وفيها يقول الله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، فيقول الصحابة: أفَتْح هو يا رسول الله؟ فيقول: «**نعم**»[(١)].

ويمتن الله على المسلمين بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤].

فانظر كيف امتنَّ على المؤمنين بكف أيديهم عن المشركين، كما كف أيدي المشركين عنهم، وفي هذا دلالة على أنَّ السلام في ذاته نعمة يذكرها لهم في معرض الامتنان.

النَّهْي عن النُّهبة والغلول:

ومن أخلاق النبيِّ ﷺ الحربيَّة النهي عن النُّهبة والغلول، فقد ربَّى النبي محمَّد ﷺ جنوده على تحرِّي الحلال، والعفَّة عن الحرام في مآكلهم ومشاربهم، فلا يدخلون في بطونهم لقمة من سُحت، اتِّكالًا على أنَّ الجهاد يكفِّر عنهم سيئاتهم.

---

(١) رواه أحمد (١٥٤٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الجهاد (٢٧٣٦)، وابن أبي شيبة في المغازي (٣٨٠٠٢)، والحاكم في قسم الفيء (١٣١/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وضعَّفه الألباني في ضعيف أبي داود (٥٨٧)، عن مجمع بن جارية.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد شدد ﷺ في النهي عن «النُّهبة» و«الغُلول». يقول الإمام ابن القيِّم في بيان هديه ﷺ في الغزو:

«وكان ينهى في مغازيه عن النُّهبة والمُثْلَة، وقال: «**مَن انتهَبَ نُهبةً فليس منَّا**»[١]. وأمر بالقدور الَّتي طُبخت من النُّهْبَى فأُكفئت»[٢].

وذكر أبو داود، عن رجل من الأنصار قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فأصاب النَّاس حاجة شديدة وجَهد، وأصابوا غنمًا، فانتهبوها، وإنَّ قدورنا لتغلي إذ جاء رسول الله ﷺ يمشي على قوسه، فأكفأ قدورنا بقوسه، ثمَّ جعل يرمِّل اللحم بالتراب، ثمَّ قال: «**إنَّ النُّهبة ليست بأحلَّ من الميتة**»، أو «**إنَّ الميتة ليست بأحلَّ من النُّهبة**»[٣].

وكان ينهى أن يركب الرجل دابَّةً من الفيء، حتَّى إذا أعجفها، ردَّها فيه، وأن يلبس الرجل ثوبًا من الفيء حتَّى إذا أخلقه، ردَّه فيه[٤]، ولم يمنع من الانتفاع به حال الحرب. وكان يُشدِّد في الغُلول جدًّا، ويقول: «**هو عارٌ ونارٌ وشَنَار على أهله يوم القيامة**»[٥].

---

(١) رواه أحمد (١٩٩٢٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والترمذي (١١٢٣)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٣٣٣٥)، كلاهما في النكاح، وابن ماجه في الفتن (٣٩٣٧)، عن عمران بن حصين. والنهب: الأخذ على وجه العلانية والقهر. والنهبة بالفتح: مصدر، وبالضم: المال المنهوب.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الشركة (٢٤٨٨)، ومسلم في الأضاحي (١٩٦٨)، عن رافع بن خديج.

(٣) رواه أبو داود في الجهاد (٢٧٠٥)، وابن أبي شيبة في البيوع والأقضية (٢٢٧٦٢)، والبيهقي في السير (٦١/٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٥٤)، عن رجل من الأنصار.

(٤) رواه أحمد (١٦٩٩٧)، وقال مخرِّجوه: صحيح بشواهده. وأبو داود في النكاح (٢١٥٩)، وابن حبان في السير (٤٨٥٠)، عن رويفع بن ثابت الأنصاري.

(٥) رواه ابن ماجه في الجهاد (٢٨٥٠)، والبزار (٢٧١٤)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٧٣/٣): هذا إسناد حسن، عيسى بن سنان القسملي مختلف فيه، وباقي الإسناد ثقات. وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٣٠٠)، عن عبادة بن الصامت.

QaradawiBooks.com

ولما أصيب غلامه مِدعَم قالوا: هنيئًا له الجنَّة. قال: «**كلا والَّذي نفسي بيده، إنَّ الشملة الَّتي أخذها يوم خيبر من الغنائم لم تُصبها المقاسم، لَتَشتعلُ عليه نارًا**». فجاء رجل بشراك ـ أو شراكين ـ لما سمع ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «**شِراك ـ أو شراكان ـ من النَّار**»[١].

وقال أبو هُرَيْرة: قام فينا رسول الله ﷺ فذكر الغُلول وعظَّمه، وعظَّم أمره، فقال: «**لا أُلفينَّ أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثُغاء، وعلى رقبته فرس له حَمْحَمة، يقول: يا رسولَ الله، أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتُك. وعلى رقبته صامت، فيقول: يا رسولَ الله، أغثني. فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا، قد أبلغتُك. أو على رقبته رقاع تَخْفِق، فيقول: يا رسولَ الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتُك**»[٢].

وقال لمَن كان على ثَقَله وقد مات: «**هو في النَّار**». فذهبوا ينظرون فوجدوا عباءة قد غلَّها[٣].

وقالوا في بعض غزواتهم: فلان شهيد، وفلان شهيد، حتَّى مرُّوا على رجل، فقالوا: وفلان شهيد. فقال: «**كلَّا، إنِّي رأيتُه في النَّار في بُردة غلَّها أو عباءة**». ثمَّ قال رسول الله ﷺ: «**اذهبْ يا ابنَ الخطَّاب، اذهبْ فنادِ في النَّاس: إنَّه لا يدخل الجنَّة إلَّا المؤمنون**»[٤].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٣٤)، ومسلم في الإيمان (١١٥)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٧٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٣١)، عن أبي هريرة. والثغاء: صوت الشاة، والحمحمة: صوت الفرس عند العلف وهو دون الصهيل، والصامت: الذهب والفضة. وقوله: «رقاع تخفق»، أي: تقعقع وتضطرب، والمراد بها الثياب التي غلها.

(٣) رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٧٤)، عن عبد الله بن عمرو.
والثقل بفتح الثاء والقاف: العيال، وما يثقل حمله من الأمتعة.

(٤) رواه مسلم في الإيمان (١١٤)، وأحمد (٢٠٣)، عن عمر.

QaradawiBooks.com

وتوفي رجل يـــوم خيبر، فذكروا ذلك لرســـول الله ﷺ فقال: «**صلُّوا على صاحبكم**». فتغيَّرت وجوه النَّـــاس لذلك، فقال: «**إنَّ صاحبكم غلَّ في ســـبيل الله شـــيئًا**». ففتشـــوا متاعه، فوجدوا خَرَزًا من خَـــرَز يهود لا يساوي درهمين[(١)].

وكان إذا أصاب غنيمة أمر بلالًا فنادى في النَّاس، فيجيئون بغنائمهم، فيخمِّسه، ويقسِّمه، فجاء رجل بعد ذلك بزمام من شعر، فقال رسول الله: «**سمعتَ بلالًا نادى ثلاثًا؟**». قال: نعم. قال: «**فما منعك أن تجيء به؟**». فاعتذر، فقال: «**إنِّـــي لن أقبله حتَّى تكـــون أنت الَّـــذي توافيني به يوم القيامة**»[(٢)(٣)].

وإنَّما شدَّد عليه هذا التشديد، ليرتدع هو وأمثاله عن الطمع في المال العام، وليحرص كلُّ واحد منهم على أن يُؤدِّي هذا المال في وقته، ليُوزَّع على أهله قبل أن يتفرَّقوا.

حسن معاملة الأسرى:

الإسلام يوجب معاملة الأســـرى معاملة إنســـانيَّة، تحفظ كرامتهم، وترعى حقوقهم، وتصون إنســـانيتهم، ويعتبر القرآن الأسير من الفئات الضعيفة الَّتي تستحق الشفقة والإحسان والرعاية، مثل المسكين واليتيم

(١) رواه أحمد (٢١٦٧٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده محتمل للتحسين. وأبو داود في الجهاد (٢٧١٠)، والنســـائي في الجنائز (١٩٥٩)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٤٨)، وضعَّفه الألباني في ضعيف أبي داود (٥٧٩)، عن زيد بن خالد.

(٢) رواه أحمد (٦٩٩٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الجهاد (٢٧١٢)، وابن حبان في الســـير (٤٨٠٩)، والحاكم في الجهاد (١٢٧/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٥٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) انظر: زاد المعاد (٩٥/٣ ـ ٩٨).

QaradawiBooks.com

في المجتمع. وقد كثرت عناية القرآن والسُّنَّة بهما. يقول تعالى في وصف الأبرار المرضيين من عباده، المستحقِّين لدخول جنته، والفوز بمرضاته ومثوبته: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

ويخاطب الله نبيه محمدًا ﷺ في شأن أسرى بدر فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

فهو يأمره أن يخاطبهم بما يلين قلوبهم، ويجذبهم نحو الإسلام.

وقد ظهرت هذه المعاملة الحسنة من النبي ﷺ تجاه الأسرى في كل ما يتعلق بشؤون حياتهم من الغذاء والملبس وحسن القول والرعاية، ولم يعرف في تاريخ الإنسانيَّة أحد كان محسنًا إلى أسراه ورفيقًا بهم كما عرف رسول الله ﷺ كما تدل على ذلك وقائع كثيرة منها:

قصة أسر ثُمَامة بن أُثَال الحنفي سيِّد أهل اليمامة، فعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ خيلًا قِبَل نَجْد، فجاءت برجل من بنى حَنِيفة يقال له: ثمامة بن أُثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ، فقال: «**ما عندك يا ثُمَامة؟**». فقال: عندي خير يا محمَّد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تُنْعِمْ تُنْعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسلْ منه ما شئت. فتُرِكَ حتَّى كان الغد، ثمَّ قال له: «**ما عندكَ يا ثُمَامَة**». فقال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر. فتركه حتَّى كان بعد الغد، فقال: «**ما عندكَ يا ثُمَامَة؟**». قال: عندي ما قلت لك. فقال: «**أطلقوا ثُمَامَة**». فانطلق إلى نَجْلٍ قريبٍ من المسجد، فاغتسل، ثمَّ دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله،

QaradawiBooks.com

يا محمَّد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليَّ، والله ما كان من دين أبغض إلى من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إليَّ، والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إليَّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشَّره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلمَّا قدم مكَّة قال: له قائل: صبوتَ؟ قال: لا والله، ولكن أسلمتُ مع محمَّد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبَّة حنطة حتَّى يأذن فيها النبيُّ ﷺ[1].

فانظر كيف كان أثر هذه المعاملة الكريمة في قلب ذلك الأسير، فقد انقلب من ذروة العداوة إلى قمة الصداقة، بفضل تلك العناية الحانية والقول الكريم، وما كان له أن ينقلب إلى ذلك الحال وقد ذاق ألم الأسر ومرارة المذلة وهو سيِّد قومه، إلَّا بفضل تلك المعاملة الحسنة.

وهكذا كانت معاملة رسول الله ﷺ لأسراه دائمًا؛ يحسن إليهم، ويفتح لهم باب الحوار والمناقشة حتَّى يقتنعوا بالإسلام ويخالط بشاشة قلوبهم فيسلموا طائعين.

وفي غزوة بني قريظة بعد أن مكَّنه الله تعالى من رقابهم وساقهم إلى المدينة لينفِّذ فيهم حُكْم الله تعالى الَّذي حَكَمَ به حليفهم سعد بن معاذ رضي الله عنه بعد أن اختاروه حَكَمًا في هذه القضية، أنزل رسول الله ﷺ الأسرى في دار أسامة بن زيد وأمر لهم بأحمال تمر فباتوا يكدُمونها كدم الحُمر.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٣٧٢)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٦٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال لأصحابه: «**أحسنوا إسارهم وقيِّلوهم واسقوهم، حتّى يبردوا، فتقتلوا من بقي، لا تجمعوا عليهم حرَّ الشَّمس وحرَّ السِّلاح**». وكان يومًا صائفًا فقيَّلوهم وسقوهم[١].

وإنَّما كان قتلهم بسبب خيانتهم للنبيِّ ﷺ بعد عهدهم معه، سنفصل القول في ذلك فيما بعد.

ولم يقتصر إحسان النبيِّ ﷺ على الإطعام والرفق في المعاملة، بل تعداه أيضًا إلى الكساء والإكرام، وقد شهدت بذلك وقائع كثيرة من معاملاته الكريمة.

لما جيء بالسفَّانة ابنة حاتم الطائي أسيرة، وقالت لرسول الله: يا رسول الله: هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليَّ مَنَّ الله عليك. قال: «**من وافدك؟**». قالت: عدي بن حاتم. قال: الفارُّ من الله ومن رسوله؟ قالت: ومضى رسول الله ﷺ، فلمَّا كان في اليوم الثالث: قال رسول الله ﷺ: «**فإنِّي قد فعلت، ولا تعجلي بخروج حتَّى تجدي من قومك من يكون لك ثقة، حتَّى يبلغك إلى بلادك، ثمَّ آذنيني**». فلمَّا جاء مَن أثق فيه مِن قومي، جئت رسول الله ﷺ، فقلت: قد جاءني من قومي من لي ثقة وبلاغ. قالت: فكساني رسول الله ﷺ وحملني، وأعطاني نفقة، وخرجت معهم حتَّى قدمت الشام[٢].

فانظر إلى مبلغ إكرام النبي ﷺ لهذه الأسيرة حيث أعتقها من غير فداء، وأكرمها بالكساء والنفقة الَّتي تبلغها مقصدها، ثمَّ اطمأنَّ على سلامتها ببعثها مع مَن تثق به مِن قومها، وهكذا يكون الإكرام.

---

(١) رواه الواقدي في المغازي (٥١٤/٢)، نشر دار الأعلمي، تحقيق مارسدن جونس، بيروت، ط ٣، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣٢١/١).

QaradawiBooks.com

ولما كانت الغاية من أخذ أسرى الحرب، هي إضعاف شوكة العدو عن استمراره في مواصلة عدوانه على دولة الإسلام وجماعة المسلمين أناط الله تعالى الحكم فيهم بإمام المسلمين، لينظر في أمرهم بما يوافق المصلحة العليا لحماية دولة الإسلام ورعايتها، فيحكم فيهم طبقًا لتلك المصلحة مِنْ مَنٍّ بفداءٍ أو غيره، أو قتل، أو سبي كما قال الله ﷻ: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمَّد.٤].

والنبي ﷺ وهو الإمام الأعظم، والقاضي الأحكم، والنبي الملهم، قد كان ينظر في أسرى الحرب طبقًا لما يراه من الصالح العام لدولة الإسلام والمسلمين، فكان تارة يمن بالفداء، أو بغير فداء، وتارة يقتل إذا كان الأسير من أكابر المجرمين، أو بتعبير عصرنا من مجرمي الحرب، وربَّما يسترق عملًا بما كان سائدًا في عصره، كل ذلك بحسب ما يراه من المصلحة العليا، والهدف الأسمى النافع في الحال والمآل، وهو بذلك ينفذ تعليمات القرآن، ويظهر لأمته تطبيق أحكامه وآدابه وتشريعاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الرسول القائد

شمول الأسوة والقدوة في حياة رسول الله ﷺ:

سيرة رسول الله ﷺ سيرة جامعة شاملة، يجد كل إنسان فيها موضعًا للقدوة، فقد جمع الله فيه مكارم الأنبياء والمرسلين قبله، فقد قال سبحانه له بعد أنْ سرد عليه عددًا من الرسل المقربين عند الله بلغ ثمانية عشر رسولًا: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٢١].

ومن هنا جعله الله أسوة وإمامًا للمؤمنين ليقتدوا به فيهتدوا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وحياة النبي ﷺ ليست الحياة الرتيبة الَّتي سارت على وتيرة واحدة بل هي حياة ثرية تعددت فيها جوانب القدوة والأسوة، ومن فضل الله على عباده أن جعل في سيرته الجامعة متَّسعًا لكلِّ أنواع الاقتداء في مراحل الحياة المختلفة، وجوانبها المتنوعة. فالشاب والشيخ، والعزب والمتزوج، وذو الزوجة الواحدة وصاحب الأكثر من زوجة، والأب والجد، والحاكم والمحكوم، والغني والفقير، والمسالم والمحارب، والمنتصر والمنكسر، كلٌّ يجد في حياته وسيرته مجالًا للقدوة.

QaradawiBooks.com

يجد الإنسان المسلم في سيرة محمَّد ﷺ ما يقتدي به، وذلك لأنَّه صاحب الرسالة الشاملة، الرسالة العامَّة الخالدة الَّتي امتدت مكانًا وزمانًا وإنسانًا[1].

خذ مثلًا: المقاتل المحارب في حربه وقتاله لا يستطيع أن يجد في سيرة المسيح عليه السلام مكانًا للاقتداء؛ لأنَّ المسيح لم يحمل سيفًا، ولم يقاتل عدوًّا، ولم يدخل في معركة، ولم يسالم، ولم يحارب.

والحاكم في حكمه لا يستطيع أن يجد فيه مجالًا للأسوة؛ لأنَّ المسيح لم يحكم!

والغني في غناه لا يستطيع أن يجد فيه مجالًا للأسوة؛ لأنَّ المسيح لم يملك مالًا قط.

والزوج مع زوجته لا يستطيع أن يجد فيه مجالًا للقدوة؛ لأنَّ المسيح لم يتزوَّج، وكذلك الأب والجد!

الفقير لا يستطيع أن يتعلم ما ينبغي عليه في فقره من حياة سليمان بن داود عليه السلام؛ فقد كان ملكًا رسولًا أوتي من الملك ما لا ينبغي لأحد من بعده.

ولكن رسول الله ﷺ يستطيع كل إنسان إذا بحث في سيرته أن يجد فيها موضعًا للأسوة، فقد سالم وحارب، وعاش فترةً محكومًا وفترةً حاكمًا، وعاش في الفقر وعاش في الغنى، وعاش في ضيق وعاش في سعة، وكان صاحب زوجة واحدة فترة من حياته، وتزوَّج عدة نساء فترة

(١) من الخصائص المميزة لشريعة الإسلام: خصيصة الشمول، وقد كتب فيها العلماء، ولنا في ذلك إسهامات منها: الخصائص العامة للإسلام وشمول الإسلام، طبعته مكتبة وهبة القاهرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أخرى، ومن زوجاته صغيرة السـن، ومنهن الكبيرة، ومنهن من تزوَّجها بكرًا، ومنهنّ من تزوَّجها ثيِّبًا، وكان له أولاد، وكان له أحفاد، منهم من عاش، ومنهم من مات.

كان ﷺ العابد والزاهـد، والصابـر والرحيم، والمربِّـي والمعلِّم، والمفتـي والقاضي، والحاكم وقائد الجيوش، والـزوج والأب والجد.. استوعبت شـخصيته جوانب الحياة جميعًا كما استوعبت رسالته شؤون الدُّنيا والآخرة.

وكانت حياته تطبيقًا عمليًّا للقيم الَّتي بُعث بها ودعا إليها، فقد جسَّد الله فيه الإسـلام، وجعله مثالًا حيًّـا لتعاليمه، وكان ـ كمـا قالت أمنا عائشة ـ خُلُقه القرآن. وكانت سيرته وهديُه هما التطبيق العملي لأحكام القرآن وشرائعه.

القائد الأعلى للأُمَّة:

ومن جوانب القدوة في حياة النبيِّ ﷺ جانب القيادة، فالنبيُّ ﷺ هو إمام الأمة وقائدها، وهبه الله من الصفـات ما يجعله جديرًا بالقيادة، من كمال الأخلاق ورجاحة العقل وحسن السياسـة والصبر وقوة الاحتمال والسكينة النفسية في أشد حالات الخطر، وبعد النظر، وحب أتباعه له، وإيمانهم بما يدعـو إليه.. إلى آخر ما تحتاجه القيـادة من صفات، وقد أوتي من كل ذلك النصيب الأوفر والأكمل.

كان هو القائد الأعلى للأمة الإسـلاميَّة الناشـئة الفتية، الَّتي رمتها العرب عن قوس واحدة، وعاداها النَّاس في المشرق والمغرب من أجل هذا الدين الجديد، الَّذي جاء يعلن تحرير الإنسـانيَّة كلها من أن تخضع

QaradawiBooks.com

لغيـــر الله، فلا تألُّه من أحد على أحد، ولا عبوديَّـــة من أحد لأحد: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

لقد أعلن الإسلام تحرير البشريَّة، ولذلك وقف الأباطرة والأكاسرة والقياصرة والمتجبرون في الأرض، والمستكبرون هنا وهناك؛ ضد هذه الدعوة الجديدة، وكان لا بدَّ لمحمـــد ﷺ، وللمؤمنين معه: أن يواجهوا هذا الطغيان في كل العالم.

لقد اســـتطاع في (٢٣) ســـنة هي عمر دعوته أن يجمـــع الناسَ من شـــتاتٍ، ويحييهم من موات، ويهديهم من ضلالةٍ، ويعلِّمَهم من جهالة، وأن يُربِّي جيلًا حمل هذا الدين في العالمين شرقًا وغربًا، فكانوا كما قال الله تعالـــى: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

يقول الأستاذ الأديب توفيق الحكيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي لمن أراد أن يدرك سرَّ عظمة النبي أن يتخيل رجلًا وحيدًا فقيرًا تمكنت من قلبه عقيدة فنظر حوله فإذا النَّاس كلهم في جانب، وإذا هو بمفرده في جانب. هو وحده الَّذي يدين بدين جديد، بينما الدُّنيا كلها: أهله وعشـــيرته، وبلده وأمته، والفرس والروم والهند والصين وكل شـــعوب الأرض لا يرون ما يرى، ولا يشـــعرون له بوجود. هذا موقف النبيِّ، وهذا موقـــف العالم: رجل

QaradawiBooks.com

عاطل من كل قوة وسلاح، إلَّا مضاء العزيمة وصلابة الإيمان، أمام عالم تدعمه قوة العدد والعدة، وتؤازره حرارة عقيدة قديمة شب عليها وورثها عن أسلافه، واتخذت لها في قرارة نفسه وأعماق تاريخه جذورًا ليس من السهل اقتلاعها على أوَّل قادم؛ فالنبي هو ذلك القادم الَّذي يريد أن يقتلع تلك الجذور ويضع مكانها غرسًا جديدًا. والعالم القديم هو ذلك السادن القوي لتلك الشجرة العتيدة، يذود عنها وتأبى كرامته أن يفرط في ورقة منها. إنَّها إذن (مبارزة) بين فرد أعزل، وبين عصر بأسره يزمجر غضبًا: عصر زاخر بأسلحته ورجاله، وعقائده وفقهائه، وعلمائه ومشاهيره، وتقاليده وماضيه، ومجده وتاريخه، هذه المبارزة الهائلة العجيبة من يستطيع أن يقدم عليها غير النبي ﷺ»[1].

لا تجوز التضحية بالرجال والجنود من أجل عمل جنوني:

في مكَّة بدأ محمَّد ﷺ الدعوة وحده، فشرع ينذر أقرب النَّاس إليه، ويُبلِّغهم رسالة ربه، فآمن به السابقون الأولون: أبو بكر من الرجال، وعليّ من الصبيان، وزيد بن حارثة من الموالي، بعد خديجة الَّتي كانت أوَّل مَن آمن به على الإطلاق.

ودخل بدعوة أبي بكر عدد من السابقين: عثمان بن عفان، وعبد الرحمٰن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجرَّاح، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص.

وبدأ الإسلام ينتشر بالدعوة الفردية بين القليلين من أهل مكَّة، وربَّما خارجها، دون ضجيج ولا إعلان، ودعا رسول الله ﷺ أهله وعشيرته من

(١) من مقال سر العظمة، من مجلة الرسالة، العدد (٢٤٦)، صـ ٢١ ـ ٣٠، ١٩٣٨م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بني عبد مناف، وبعد ثلاث سنوات من بدء الوحي أرادَ عليه السلام أن يُبلِّغ الجماعة دعوته جِهارًا، كما أمره الله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

وجمعهم عند الصفا، وبلَّغهم أنَّه رسول الله إليهم خاصَّة، وإلى النَّاس كافة، وهزأ به عمه أبو لهب، وقال له: تبًّا لك! ألهذا جمعتنا؟! ونزل فيه وفي زوجه قول الله تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۞ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۞ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ [المسد: ١ ـ ٥]. وبدأت المعركة مع قريش، وهي معركة غير متكافئة، رسول الله وأصحابه القليلون، ليس معهم غير القرآن يتلونه ويُبلِّغونه، وقريش معها القوَّة والبطش والجبروت والإيذاء.

ظلَّ الرسول الكريم يجاهدهم بالقرآن، يتلو عليهم آياته، ولا سيما الآيات الَّتي تهدِّدهم وتردُّ عليهم، وتهاجم باطلهم وطغيانهم، مثل سورة الهمزة: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۞ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ۞ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ﴾ [الهمزة: ١ ـ ٣]، ومثل ما جاء في سورة القلم: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۞ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۞ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۞ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۞ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۞ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ٨ ـ ١٣]، وفي آخر السورة نفسها: ﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ۞ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥]. وما جاء في سورة المدثر: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ۞ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ۞ وَبَنِينَ شُهُودٗا ۞ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا﴾ [المدثر: ١١ ـ ١٤]. وما جاء في سورة المزمل: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ۞ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ۞ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١١ ـ ١٣].

QaradawiBooks.com

والمشـركون إزاء هذه الحملات القرآنية لا يجـدون حُجَّة، إلَّا أن يصبُّوا سياط العذاب على المؤمنين، وكان أصحابه عليهم الرضوان يأتون إليه في مكَّة يشـكون إليه ممَّا ينالهم من أذى المشركين: هذا مضروب، وهذا مشجوج، وهذا مجروح، ويقولون له: ائذن لنا أن ندافع عن أنفسنا يا رسـولَ الله، فيقـول لهـم: ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ٧٧].

فعن ابن عبَّـاس رضي الله عنهما، أنَّ عبد الرحمٰن بن عـوفٍ وأصحابًا له، أتوا النبي ﷺ، فقالوا: يا نبي الله، كنا في عز ونحن مشركون، فلمَّا آمنَّا صرنا أَذِلَّة. فقال: «**إنِّي أُمِرْتُ بالعفو، فلا تقاتلوا القوم**». فلمَّا حوَّله إلى المدينة، أمره بالقتال، فكفُّوا، فأنزل الله تبـارك وتعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ ...﴾[1].

كان غاية ما عنـده أن يأمرهم بالصبر وأن يذكرهـم بما تعرَّض له أتباع الأنبياء قبله، ويبين لهم ما ينتظرهم من مستقبل مشرق في الدُّنيا قبل الآخرة.

روى البخاري، عـن خبَّاب بـن الأرتِّ قال: أتيـتُ النبيَّ ﷺ وهو متوسد بُردة، وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: ألا تدعو الله؟ فقعد وهو محمرٌّ وجهه، فقال: «**لقد كان من قبلكم ليمشط بمِشَـاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصـب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مَفْرِق رأسه، فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن**

(١) رواه النسـائي (٣٠٨٦)، والحاكم (٦٦/٢)، كلاهما في الجهاد، وصحَّحه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

دينـــه. ولَيُتِمَّـــنَّ الله هـــذا الأمر، حتَّـــى يســـير الراكب من صنعـــاء إلى حضرموت، ما يخاف إلَّا الله، والذئب على غنمه»[١].

ومرَّ ﷺ على عمَّار بن ياســـر وأبويه وهم يعذبون، فلم يملك إلَّا أن يقول لهم: «**صبرًا آل ياسر، فإنَّ موعدكم الجنَّة**»[٢].

الحرص على الأتباع:

لم يشأ النبيُّ ﷺ أنْ يُعَذِّيهم بالحماس، وأن يقول لهم: هيَّا بنا نخرج في عمليَّة فدائيَّة، نكســـر الأصنام الثلاثمائة والســـتين حول الكعبة، لم يفعل ذلك؛ لأنَّه لو فعل ذلك لكانت عمليَّة انتحارية، سيكسرون بعض الأصنام؛ ثمَّ تُكسر رؤوسهم هم، وتبقى الأصنام.

ما قيمة أن تكسر الصنم ثمَّ يأتي غدًا أو بعد غد صنم مثله؟! الأصنام حجارة ينحتها نحَّات، فإذا كُسر الصنم اليوم ولم يُكسر في رأس صاحبه، فسرعان ما يأتي بصنم بدل الصنم، ولذلك لم يكسر ﷺ الأصنام، وبقيت هذه الأصنام إلى يوم الفتح، حتَّى إنَّ النبـــي ﷺ في عُمْرة القضاء طاف بالبيت في السنة السابعة من الهجرة، وهذه الأصنام موجودة، ولم يمسَّها بسوء، لم يأت الأوان بعد.

وهذا درس يعلِّمنا أن كل شيء بأوان وأجل مسمَّى، وأنَّه لا يجوز التضحية بالرجال والجنود من أجل عمـــل جنوني، لا يقدِّم ولا يؤخِّر في النهاية.

---

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٥٢).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (١٥٠٨)، والحاكم في معرفة الصحابة (٣٨٣/٣)، وصحَّحه على شرط مســـلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٥٩٢): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح، غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم، وهو ثقة. عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

ومن حسن قيادة محمَّد ﷺ أنَّه كان حريصًا على جنده، حينما أذن الله بالجهاد ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، كان هناك دور آخر، هذا الدور الآخر اندمج فيه محمَّد القائد ﷺ بجنوده وأنصاره، فكان كواحد منهم.

يقول شيخنا محمَّد أبو زهرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كُتب القتال على محمَّد عليه الصلاة والسلام ومن معه، وهو كُره لهم، لأنّ الدعوة الإسلاميَّة لا بدَّ أن تأخذ طريقها، وأن ترد الاعتداء حتَّى يكون الدين لله، وتستقيم القلوب، ولا تكون الفتنة، والإكراه على ترك الهداية، والوقوع في الغواية، بعد أن منَّ الله تعالى عليهم بالحق والإيمان، وما كان أهل الإيمان ليستخذَوْا ويستكينوا ويهنوا عن نصرته، ولذلك أُذِنَ لهم في القتال، كما قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

كان لا بدَّ من القتال جهادًا في سبيل الله، ولنصرة الحق، وكان لا بدَّ أن يكون محمَّد عليه الصلاة والسلام الموجه له في كل ميادينه، والموجِّه له في كل نواحيه وضروبه، ما كان محمَّد عليه الصلاة والسلام القائد الَّذي يحارب بغيره، فَيُوجّه إلى الميدان، ولا يتوجَّه هو إليه، بل كان يتجه هو إليه ليكون القدوة الحسنة في كلِّ أمر يدعو إليه، لا يضنُّ بنفسه، ولا يستأثر بالراحة، ويترك غيره يعمل، بل يكون في أوَّل العاملين المتَّقين.

وكان على رأس المجاهدين، جاء في كتاب «الشفا» للقاضي عياض ما نصه: «قد حضر عليه الصلاة والسلام المواقف الصعبة، وفرَّ الكُمَاة والأبطال عنه غيرَ

QaradawiBooks.com

مرَّة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يُدبر ولا يتزحزح، وما من شجاع إلَّا وقد أُحصيت له فرَّة، وحُفظت عنه جولة سواه عليه الصلاة والسلام»[(١)].

«ولقد فهم بعض النَّاس من قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤] أنَّ رسولَ الله ﷺ مأمور بأن يقاتل المشركين إذا واجهوه ولو كان وحده، وذلك الأمر الخاص به الَّذي كُلِّفه، وقد فهمه أولئك المفسرون من قوله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ﴾.

ومهما تكن دلالة ذلك النص فإنَّ النبيَّ ﷺ حمل عبء الجهاد ودخول الميدان بنفسه، من غير ضن بها، وكان أصبر أصحابه في الجهاد، فما فر قط من صفوف القتال... ولو تولَّى عنه كلُّ من حوله»[(٢)].

سمات القائد الفذِّ الموفَّق من سيرة رسول الله ﷺ:

القيادة والسيادة ليست بالأمر السهل الهين، بل تتطلب من القائد صفات وسمات يجب أن يتحلى بها، كما قال أبو الطيِّب[(٣)]:

لَا يُدْرِكُ المَجْدَ إِلَّا سيِّدٌ فَطِنٌ ... لِمَا يَشُقُّ على السادات فعَّالُ

لولا المشقَّةُ ساد النَّاسُ كُلُّهمو ... الجودُ يُفْقِرُ والإقدامُ قتَّالُ

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١١٤/١).

(٢) خاتم النبيين (٢٣٢/١، ٢٣٣)، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٥هـ.

(٣) انظر: الدر الفريد وبيت القصيد لأيدمر المستعصمي (١٦/٩)، تحقيق د. كامل سلمان الجبوري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م، والبيتان في قصيدته التي يمدح بها أبا شجاع فاتكًا مطلعها: لا خيل عندك تهديها ولا مال. انظر: ديوان المتنبي صـ ٤٨٦ ـ ٤٩٠، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

والناظر في سيرة رسول الله ﷺ، يستطيع بكل سهولة استخلاص السمات الَّتي ينبغي أن يتسم بها كل قائد، يطلب أن يكون فذًّا فردًا بين أقرانه، وقبل ذلك يطلب التوفيق من الله تعالى.

١ ـ أن يكون كواحد منهم:

القائد الفذ الموفَّق هو الَّذي لا يكون هناك بينه وبين جنوده هُوّة ولا فجوة، هكذا كان محمَّد ﷺ، كان يعيش فيهم كواحد منهم، إذا جاعوا فهو أوَّل من يجوع، وآخر من يشبع، إذا ضحَّوا فهو أوَّل من يبذل، وآخر من يستفيد، كان كواحد منهم.

في غزوة بدر كان مع المسلمين سبعون بعيرًا، وهم مائة وبضعة عشر رجلًا، سبعون بعيرًا يتعاقبونها، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كنَّا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، كان أبو لُبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسولِ الله ﷺ. قال: وكانت عَقَبَةُ رسولِ الله ﷺ. قال: فقالا: نحن نمشي عنك. فقال: «**ما أنتما بأقوى مِنِّي، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما**»[(١)]. يعني: أنا قوي على المشي، وأريد أن أشارككم في الأجر.

هكذا كان ﷺ، واحدًا منهم، يشاركهم كل شدَّة وضيق، يجوعون فيجوع معهم، ويربط الواحد منهم الحجر على بطنه فيربط رسول الله ﷺ الحجرين.

عن أبي طلحة قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع، ورفعنا عن بطوننا عن حَجَرٍ حجر، فرفع رسول الله ﷺ عن حَجَرَيْن[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٣٩٠١)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي في الكبرى (٨٧٥٦)، وابن حبان (٤٧٣٣)، كلاهما في السير، والحاكم في الجهاد (٩١/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٢٢٥٧)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٧١)، واستغربه. والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩٩٤)، وقال =

QaradawiBooks.com

لم يميِّز نفسه ولا أهل بيته عنهم بشيء، بل كان يحيا وأهل بيته كأفقر أهل المدينة، تأتيه ابنته فاطمة وزوجها الإمام عليٌّ رضي الله عنهما، وقد جاءه سبي من إحدى الغزوات، فقال عليٌّ: يا رسولَ الله، واللهِ لقد سنوت حتَّى اشتكيت صدري. وقالت فاطمة: قد طحنتُ حتَّى مَجَلَتْ يداي، وقد جاءك الله بسبيٍ وسَعَة فأخدمنا. فقال رسول الله ﷺ: «**والله لا أعطيكما وأدعُ أهل الصُّفَّة تُطوى بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكنِّي أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم**»(١).

٢ ـ أن يشاورهم في الأمر:

وكان من أسباب توفيق النبيِّ ﷺ في قيادته أنَّه كان كثير المشاورة لجنوده وأصحابه، ما كان يقطع أمرًا من أمور الحرب أو السلم دونهم.

في غزوة بدرٍ استشار النَّاس النبيَّ ﷺ قبل الغزوة، واستشار في أثناء الغزوة، واستشار بعد الغزوة، وقال أبو هُرَيْرة وغيره: ما رأيتُ أحدًا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ(٢).

استشارهم قبل الغزوة ليطمئنَّ على أنَّهم يدخلون المعركة راضين مطمئنِّين، فقد خرجوا يطلبون عيرًا لقريش آتية من الشام، لكنَّها أفلتت، وعلمت قريش بما حدث، فخرجوا بقضهم وقديدهم بطرًا ورئاء النَّاس،

= العراقي في تخريج الإحياء صـ ٨٤٢: ورجاله كلهم ثقات. وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٤١٣)، وقال في الصحيحة: الحديث حسن بمجموع الطرق (١٦١٥).

(١) رواه أحمد (٨٣٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٩١١): رواه أحمد وفيه عطاء بن السائب، وقد سمع منه حماد بن سلمة قبل اختلاطه، وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه أحمد (١٨٩٢٨)، والبيهقي في الجزية (٢١٨/٩)، وقال الحافظ في الفتح (٣٤٠/١٣): رجاله ثقات إلان منقطع.

QaradawiBooks.com

فقال النبي ﷺ: «**أشيروا عليَّ أيها الناس**». فقام أبو بكر، وتكلَّم وأحسن، وقام عمر، فتكلَّم وأجاد، وقام المقداد بن الأسود، وقال: والله يا رسولَ الله، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، بل نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا؛ إنَّا معكما مقاتلون. فقال له: «**أحسنت**»[(١)].

كل هؤلاء من المهاجرين، وكان يريد أن يسمع رأي الأنصار، وهم أصحاب الدار وأصحاب الأغلبية، وقد بايعوا النبي ﷺ على نصرته ممَّن يقصده في المدينة، وليس على أن يسير بهم إلى العدو خارجها، ففهم سعد بن معاذ المراد، وقال له: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «**أجل**». قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فو الَّذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منَّا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنَّا لصُبُر في الحرب، صُدُق في اللقاء. لعلَّ الله يريك منَّا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله. فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشَّطه ذلك، ثمَّ قال: «**سيروا وأبشروا، فإنَّ الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنِّي الآن أنظر إلى مصارع القوم**»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري في المغازي (٣٩٥٢)، عن ابن مسعود.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٦١٥/١). وأشار إلى هذه المشورة مسلم في «صحيحه» لكنَّه جعل المتحدث سعد بن عبادة؛ فعن أنس: أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقال سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نُخيضها ـ الإبل فلم يكن معهم سوى فرسين ـ البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا... رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٧٩)، وأحمد (١٣٢٩٧).

QaradawiBooks.com

ونزل المشركون بالعُدوة القصوى ممَّا يلي مكَّة، ونزل النبيُّ ﷺ وأصحابه بالعُدوة الدُّنيا ممَّا يلي المدينة عند أدنى ماء بدر، وهنا يتقدَّم الحُباب بن المنذر الأنصاري إلى النبيِّ ﷺ باقتراح يقول فيه: يا رسولَ الله، أرأيت هذا المنزل: أمنزلٌ أنزلكَهُ الله، ليس لنا أن نتقدَّمه ولا أن نتأخَّر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟! قال: «**بل هو الرأيُ والحربُ والمكيدة**». قال: يا رسولَ الله، إنَّ هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتَّى نأتيَ أدنى ماء من القوم فننزله، ثمَّ نغوِّر ما وراءه من القُلَب[1]، ثمَّ نبني عليه حوضًا، فنملأه ماء، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد أشرتَ بالرأي**»[2]. وأخذ بما أشار به عليه الحُباب.

واقترح عليه سعد بن معاذ بناءَ عريش له فقال: ألا نبني لك عريشًا فتكون فيه، وننيخ لك ركائبك؟ ونلقى عدونا، فإن أظهرنا الله عليهم وأنجزنا، فذاك أحب إلينا، وإن تكن الأخرى فتجلس على ركائبك، وتلحق بمن وراءنا من قومنا، فقد والله تخلف عنك أقوام ما نحن لك بأشد حبًّا منهم، لو علموا أن نلقى حربًا ما تخلفوا عنك، يوادُّونك وينصرونك. فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له به[3].

وبعد المعركة استشار أبا بكر وعمر في الأسرى واختلف رأيهما، فقال: «**لو اتَّفَقْتما على رأي ما خالفتكما**»[4]، ولكنهما اختلفا، فآثر رأي

---

(١) جمع قليب، وهي البئر.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٦٢٠/١)، والطبقات الكبرى (١٥/٢).

(٣) رواه الواقدي في المغازي (٤٩/١)، وابن هشام في سيرته (٦٢٠/١، ٦٢١)، والطبري في تاريخه (٤٤٠/٢).

(٤) رواه أحمد (١٧٩٩٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٣٥٥): رواه أحمد، ورجاله ثقات إلَّا أن ابن غنم لم يسمع من النبي ﷺ.

QaradawiBooks.com

أبي بكر في أن يُبقي على هؤلاء الأسرى، ويقبل الفداء منهم، ليستعين به المسلمون[١].

وكذلك شاور في غزوة أُحد، فلمَّا رأى الأكثريَّة وجلُّهم من الشباب تؤْثر الخروج للقاء العدو، ولا تنتظره حتَّى يدخل المدينة، فيُحاربه أهلها كلُّهم، حتَّى النساء والصبيان، فنزل عند رغبتهم، ودخل ليلبس عُدَّة الحرب، وكأنهم لاموا أنفسهم، أنْ أنْزلوا رسولَ الله على رأيهم، فقالوا: لعلَّنا استكرهناك يا رسولَ الله، إنْ شئتَ بقيتَ في المدينة! فقال: «**ما كان لنبيٍّ لبس لأْمته أن يضَعَهَا حتَّى يحكمَ اللهُ بينه وبين أعدائه**»[٢]. وبهذا علَّمهم ضرورة الحزم، وعدم التردُّد، وكثرة القيل والقال، كما قال له ربه تعالى: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وفي غزو الأحزاب لما بلغه تحزب غطفان وقريش وحلفاؤهم لمهاجمة المدينة، فاستشار أصحابه، فقال سلمانُ الفارسي: يا رسولَ الله، إنَّا إذ كنا بأرض فارس وتخوَّفْنا الخيل خندقنا علينا، فهل لك يا رسولَ الله أن نُخندق؟ فأعجب رأي سلمان المسلمين، وأخذ به النبيُّ ﷺ[٣].

---

(١) حديث مشاورة النبي ﷺ في أسرى بدر رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٦٣)، عن ابن عباس، عن عمر، قال: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: **ما ترون في هؤلاء الأسارى؟** فقال أبو بكر: يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله ﷺ: **ما ترى يا ابن الخطاب؟** قلت: لا. والله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكنِّي أرى أن تُمَكِّنَّا فنضرب أعناقهم، فَتُمَكِّنَ عليًّا من عَقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان نسيبًا لعمر فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت...

(٢) رواه أحمد (١٤٧٨٧)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والدارمي في الرؤيا (٢٢٠٥)، والنسائي في الكبرى في التعبير (٧٦٠٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٠٥٧): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عن جابر بن عبد الله.

(٣) رواه الواقدي في المغازي (٤٤٥/٢). وانظر: تاريخ الطبري (٥٦٦/٢).

QaradawiBooks.com

وجاءه الحارث الغطفاني فقـال: يا محمدُ، ناصفْنا تمر المدينة، وإلا ملأناها عليك خيلًا ورجالًا. قال: «**حتى استأمر السُّعود**». سعد بن عبادة وسعد بن معاذٍ، فشاورهما، فقالا: لا والله ما أعطينا الدنيَّة من أنفسنا في الجاهليَّة، فكيف وقد جاء الله بالإسلام[1]؟

هكذا كان رسول الله ﷺ يشـاور في أموره حتَّى يستبين له الصواب، وحتَّى يستريح أتباعه والجنود معه: أنَّهم مشاركون في قرار الحرب، أنَّهم يحاربون برأيهم، أنَّهم لا يجبرون على شيء لا يعرفون له أولًا من آخر، هكذا كان ﷺ، فكان نعم القائد حقًّا. كان يشـاور أصحابه، ويستفيد من خبرة أهل الخبرة، وينزل على آرائهم.

٣ ـ أن يعرف خصائص جنوده وقدرات عدوه:

والقائد الموفَّق هو الَّذي يعرف جنوده، ويعرف خصائصهم، يعرف أن هذا يصلح لكـذا وهذا يصلح لكـذا، فيضع كلًّا فـي موضعه. ويعرف أعـداءه: يعرف نقاط قوتهـم، ونقاط ضعفهم، يحـاول أن يتفادى نقاط القوة، وأن يستفيد من نقاط الضعف.

لقد عـرف النبي ﷺ خصائـص أصحابه، فوضـع كلًّا في المكان اللائق به.

عن أنس بن مالك، عن النبيِّ ﷺ قال: «**أرحمُ أُمَّتي بأُمَّتي أبو بكر، وأشـدُّهم في دين الله** ـ وفي رواية: في أمر الله ـ **عمـر، وأصدقهم حياءً**

(١) رواه البزار (٨٠١٧)، والطبراني (٢٨/٦)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣١٣٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠١٤١): رواه البزار، والطبراني... وفيهما محمد بن عمرو، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

عثمان، وأفرضُهم (أعلمهم بالفرائض وهي المواريث) **زيدُ بن ثابت، وأقرؤهم لكتاب الله أُبَيُّ بن كعب، وأعلمُهم بالحلال والحرام معاذُ بن جبل، ألا وإنَّ لكلِّ أُمَّة أمينًا، وإنَّ أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»**[(١)].

وقال: «**خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود**» فبدأ به، «**وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأُبيِّ بن كعب**»[(٢)].

لم يضع النبيُّ ﷺ حسَّانَ ولا أبا هُرَيْرة في مكان خالد أو زيد بن حارثة، ولم يضع أبا ذرٍّ في مكان عمرو بن العاص، وإن كان أبو ذرٍّ أحبَّ إليه، وأعزَّ عليه، وآثر لديه.

ولمَّا سأله أبو ذر أن يُوَلِّيه على بعض أعماله، قال له بصراحة: «**إنَّك ضعيف، وإنَّها أمانة، وإنَّها خزي وندامة يوم القيامة، إلَّا من أخذها بحقها، وأدَّى الَّذي عليه فيها**»[(٣)].

فهذا توجيهه ﷺ لأبي ذرٍّ، وهو الَّذي قال فيه: «**ما أقلَّت الغبراء، ولا أظلَّت الخضراء، أصدق لهجة من أبي ذرٍّ**»[(٤)].

واستخدم حسان بن ثابت فيما يحسنه وهو الشعر انتصارًا لله ولرسوله، فقال: «**اهجُهم** ـ أو هاجِهم ـ **وجبريل معك**»[(٥)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٥٩.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٠٨)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٦٤)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه مسلم في الإمارة (١٨٢٥)، عن أبي ذر.

(٤) رواه أحمد (٧٠٧٨)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في المناقب (٣٨٠١)، وقال: حسن. وابن ماجه في المقدمة (١٥٦)، عن عبد الله بن عمرو.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢١٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٨٦)، عن البراء.

QaradawiBooks.com

وأرسل النبي ﷺ عَمْرًا قائدًا في سريَّة ذات السلاسل وهو حديث عهد بإسلام، ويقول في خالد: «**نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد، وسيف من سيوف الله سلَّه الله ﷻ على الكُفَّار والمنافقين**»[(١)].

وكان لا يؤخر صاحب الموهبة بسبب سنِّه، بل وجدناه يولِّي كثيرًا من الشباب، ويكلِّفهم بالمهام الكبار، فيرسل مصعب بن عُمَيْر إلى المدينة داعيًا إلى الله، ليعلِّم من أسلم مِنَ الأنصار الإسلام، ويدعو مَن لم يسلم إلى الإسلام.

ويبعث معاذًا إلى اليمن، قاضيًا ومعلمًا، ويوصيه قائلًا:

«**إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله. فإن هم أجابوك لذلك، فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم في أموالهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم، لترد على فقرائهم**»[(٢)].

ويأمر زيد بن ثابت بتعلُّم العبرانيَّة قراءة وكتابة، ليستغني به عن الوسطاء من اليهود، وبخاصة أنَّهم غير مأمونين. قال زيد: أمرني رسول الله ﷺ، فتعلَّمت له كتاب يهود بالسريانيَّة وقال: «**إنِّي والله ما آمنُ يهودَ على كتابي**». فما مرَّ لي نصف شهر حتَّى تعلَّمته وحذقته، فكنت أكتب له إليهم، وأقرأ له كتبهم[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (٤٣)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح بشواهده. والطبراني (١٠٣/٤)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٣٨٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٨٧٥): رواه أحمد والطبراني بنحوه ورجالهما ثقات. عن أبي بكر الصديق.

(٢) سبق تخريجه صـ١٧٧.

(٣) رواه أحمد (٢١٦١٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في العلم (٣٦٤٥)، والترمذي =

QaradawiBooks.com

وقبل موته يؤمِّر أسامةَ بن زيد على بعثه الَّذي بعث به لمحاربة الروم، ويعقد له اللواء بيديه[١].

وهكذا كان رسول الله ﷺ، يعرف مواهب أصحابه وفضائلهم، ويضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

وكان بقدر ما يعرف قوته وما عنده وبقدر ما يعرف مواهب أصحابه كان يعرف أحوال أعدائه وقوتهم ومَن منهم من الحمائم ومَن منهم من الصقور.

في غزوة بدر يقول عن عتبة بن ربيعة: «**إن يكن عند أحد من القوم خيرٌ فهو عند صاحب الجمل الأحمر، إن يُطيعوه يرشدوا**». وكان عتبة يأمر قريشًا بالرجوع ويقول: أطيعوني، ولا تقاتلوا هؤلاء القوم، فإنَّكم إن فعلتم لم يزل ذاك في قلوبكم، ينظر الرجل إلى قاتل أخيه وقاتل أبيه، فاجعلوا فيَّ جُبنها وارجعوا[٢].

وقال: «**إنِّي قد عرفت أنَّ ناسًا من بني هاشم وغيرهم قد أُخرجوا كُرْهًا، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدًا من بني هاشم، فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله، ومن لقي العبَّاس بن عبد المُطَّلِب فلا يقتله، فإنَّه إنَّما أُخرج مستكرهًا**»[٣].

= في الاستئذان (٢٧١٥)، وقال: حسن صحيح. وعلَّقه البخاري في «صحيحه» (٧١٩٥) بصيغة الجزم.

(١) رواه الواقدي في مغازيه (١١١٩/٣)، وابن هشام في سيرته (٦٥٠/٢)، والطبري في تاريخه (١٨٦/٣).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المغازي (٣٧٨٣٣)، والبزار في كما في كشف الأستار (١٧٦٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٩٥٤): رواه البزار، ورجاله ثقات. عن ابن عباس.

(٣) رواه البيهقي في دلائل النبوة (١٤٠/٣، ١٤١)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

ولم تكن معرفة النبيِّ ﷺ بأعدائه تلك المعرفة الآنية، وإنَّما كانت معرفته معرفة مستقبلية، تستشرف المستقبل، وتُحسِن تصوره، فبعد أن رد الله الكافرين من قريش وغطفان ومن تحالف معهم بغيظهم لم ينالوا خيرًا، أدرك النبي ﷺ أنَّ هذا الحلف لن يتجمع مرَّة أخرى وأنَّ قوة القوم بدأت في الخوار، فقال قولته المشهورة: «**الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم**»(١). قال ابن إسحاق: فلم تعد قريش بعد ذلك، وكان رسول الله ﷺ يغزوهم بعد ذلك حتَّى فتح مكَّة(٢).

وفي صلح الحديبية لما أرسلت قريش سهيل بن عمرو قال ﷺ: «**لقد سهُل لكم من أمركم**»(٣). وقال: «**لقد أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل**»(٤).

وكان النبيُّ ﷺ يستعين بالعيون الَّذين ينقلون له أخبار المشركين في تعرف أخبارهم وتجهيزاتهم(٥)، وكان يبعث الطلائع والعيون، وكثيرًا ما كان يورِّي بالجهة الَّتي يريد أن يذهب إليها حتَّى لا يتسرَّب الخبر إلى

(١) رواه البخاري في المغازي (٤١١٠)، عن سليمان بن صُرَد.

(٢) سيرة ابن هشام (٢/٢٥٤).

(٣) رواه البخاري في الشروط (٢٧٣١)، عن المسور بن مخرمة، ومروان.

(٤) السيرة النبويَّة لابن هشام (٢/٣١٦).

(٥) كما فعله النبي ﷺ في بدر، فعن أنس: أنَّ النبي ﷺ بعث بسيسة عينًا ينظر ما صنعت عير أبي سفيان. رواه مسلم في الإمارة (١٩٠١)، وأبو داود في الجهاد (٢٦١٨).
وقال النووي في شرح مسلم: هكذا هو في جميع النسخ بسيسة بباء موحدة مضمومة، وبسينين مهملتين مفتوحتين، بينهما ياء مثناة تحت ساكنة، قال القاضي: هكذا هو في جميع النسخ قال: وكذا رواه أبو داود وأصحاب الحديث. قال: والمعروف في كتب السيرة بسبس بباءين موحدتين مفتوحتين بينهما سين ساكنة، وهو بسبس بن عمرو، ويقال: ابن بشر، من الأنصار من الخزرج، ويقال: حليف لهم. قلت (النووي): يجوز أن يكون أحد اللفظين اسمًا له والآخر لقبًا. انظر: شرح مسلم (١٣/٤٤)

QaradawiBooks.com

أعدائه، ليباغتهم فيجبرهم على التسليم بأقل الخسائر الممكنة، ولم يصرح بغزوة غزاها إلَّا غزوة تبوك[١]؛ لأن هذه كانت غزوة لها خصوصية، كانت غزوة إلى الروم أكبرِ قوة ضاربة في الأرض، إذ بعد انتصارهم على الفرس، صاروا أعظم قوة في العالم.

وقد سمع النبي ﷺ أنَّهم يريدون أن يغزوه في المدينة، وكما يقولون: الضربة الأولى نصف المعركة، فأراد أن يغزوهم قبل أن يغزوه، كان هذا من حسن قيادته، وحسن سياسته الحربية: لا ينتظر حتَّى يدخل أعداؤه عليه داره.

وقد سميت هذه الغزوة بـ(غزوة العسرة)؛ لأنَّها كانت في شدَّة الحَر، وفي أيام جني الثمار، كل ذلك مع طول الطريق، وقوة الروم وحلفائهم، ولذلك رأينا المنافقين انتحلوا أعذارًا كثيرة ليتخلفوا ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٨١].

٤ ـ عبقريَّة القيادة والخبرة الحربيَّة:

كان ﷺ خبيرًا في الحرب! وقد شارك صغيرًا في الحرب بين هوازن وقريش، وقال: «**كُنْتُ أنَبِّلُ على أعمامي**». أي أردّ عنهم نَبْلَ عدوِّهم، إذا رموهم بها. وشارك وهو ابن عشرين سنة في حرب الفجار، الَّتي كانت بين قريش ومن حالفها من كنانة وبين قيس عيلان[٢].

---

(١) يشير إلى كلام كعب بن مالك في قصة توبته، قال: ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلَّا ورَّى بغيرها. متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٤١٨)، ومسلم في التوبة (٢٧٦٩).

(٢) سميت هذه الحرب بحرب الفجار لما استُحل فيها من حرمات، ووقعت هذه الحرب بين =

QaradawiBooks.com

وكان لنشـــأة النبي ﷺ وكمال عقله ووفور شـــجاعته ونجدته وذكائه التام، أثرها الكبير في تنمية هذه الخبـــرة الحربية، والمقدرة التامة على قيادة المعارك الكبرى.

«لم يكن النبيُّ رجلًا مقاتلًا يطلب الحـــربَ للحرب، أو يطلبها وله مندوحة عنها، ولكنَّه مع هذا كـــان نعم القائد البصير إذا وجبت الحرب ودعته إليها المصلحة اللازمة، يعلم من فنونها بالإلهام ما لم يعلمه غيره بالدرس والمرانة، ويصيب في اختيار وقته وتسيير جيشه وترســـيم خططه إصابة التوفيق وإصابة الحساب وإصابة الاستشارة، وقد يكون الأخذ بالمشورة الصالحة آية من آيات حسن القيادة تقترن بآية الابتكار والإنشاء؛ لأنَّ القيادة الحســـنة هي القيادة الَّتي تستفيد من خبرة الخبير كما تستفيد من شـــجاعة الشجاع، وهي الَّتي تجند كل ما بين يديها من قوى الآراء والقلوب والأجسام وقد كانت غزوة بدر هي التجربة الأولى للنبيِّ عليه السلام فـــي إدارة المعارك الكبيرة، فلم يأنف أن يستمع فيها إلى مشورة الحباب بن المنذر حين اقترح عليه الانتقال إلى غير المكان الَّذي نزل فيـــه، ثمَّ وعى من تجربة واحدة ما قلَّ أن يعيَه القادة المنقطعون للحرب من تجارب شتى، فلو تتبع حروبه عليه السلام ناقد عســـكري من أســـاطين فـــن الحرب فـــي العصر

= قريش ومن معهم من كنانة وبين هوازن. وســـببها أن عروة الرحال بن عتبة بن هوازن أجار لطيمة ـ الجمال التي تحمل الطيب والبز والتجارة ـ للنعمان بن المنذر إلى ســـوق عكاظ، فقال البراض بن قيس بن كنانة: أتجيرها على كنانة؟ قـــال: نعم؛ وعلى الخلق، فخرج بها عروة، وخرج البراض يطلب غفلته حتى قتله، وعلمت بذلك كنانة فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم، ثم بلغهم الخبر، فاتبعوهم، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، فاقتتلوا حتى جاء الليل، ودخلوا الحرم، فأمسكت عنهم هوازن، ثم التقوا بعد هذا اليوم أيامًا، وعاونت قريش كنانة. للمزيد انظر: سيرة ابن هشام (١٨٤/١ ـ ١٨٦).

QaradawiBooks.com

الحديث، لِيقترح وراء خططه مقترحًا أو ينبِّه إلى خطأ؛ لأعياه التعديل»[١].

وقد كتب كثير من العسكريين المسلمين عن العبقريَّة الحربية للنبيِّ ﷺ، من هؤلاء اللواء العراقي محمود شيت خطاب في كتابه «الرسول القائد»، واللواء المصري محمَّد جمال الدين محفوظ في كتابه «العسكريَّة الإسلاميَّة ونهضتنا الحضاريَّة»، وكتب في ذلك غيرهما من العسكريين.

وقد قارن الأستاذ عبَّاس العقَّاد في كتابه «عبقريَّة محمد» بين محمَّد ﷺ وبين نابليون، وأثبت بالدليل والبرهان أنَّ محمدًا ﷺ كان أقوى في قيادته، وأفضل من نابليون في حروبه، وبعد أن يتتبع العقَّاد غزوات النبي ﷺ ويبين مظاهر العبقريَّة فيها يقول: «إن عبقريَّة محمَّد في قيادته لعبقريَّة ترضاها فنون الحرب، وترضاها المروءة، وترضاها شريعة الله والناس، وترضاها الحضارة في أحدث عصورها، ويرضاها المنصفون من الأصدقاء والأعداء»[٢].

ويستشهد اللواء الركن محمَّد جمال محفوظ بحكم التاريخ دليلًا صادقًا على عبقريَّة القيادة النبويَّة فيقول:

«١ ـ لقد حققت العسكريَّة الإسلاميَّة الهدف الإستراتيجي وهو تأمين الدعوة وقيام الدولة الإسلاميَّة وتوفير الأمن والاستقرار لها لكي تؤدي رسالتها السامية لخير البشريَّة وقد بلغت عمليات القتال أكثر من ستين عمليَّة قاد منها الرسول ﷺ بنفسه ثمانيًا وعشرين غزوة وقد واجه

(١) عبقرية محمد ضمن موسوعة عباس محمود العقاد (٤٩/٢)، نشر دار الكتب العربي، بيروت، ط١، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

(٢) المصدر السابق (٧٠/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المسلمون في هذه الغزوات وهم قلَّة في العدد والعدة في هذه العمليات أكثر من عدو، فقد حاربوا المشركين واليهود والروم.

٢ ـ ارتفعت الكفاءة القتاليَّة لجيش المسلمين في مجال الرماية والتسليح والتركيب التنظيمي والقوة الضاربة حتَّى أصبحت تضارع كفاءة جيوش الدول العظمى المعاصرة لها وهي فارس وبيزنطة وذلك كما يلي:

أ ـ فقد كان مستوى المسلمين في الرمي في بادئ الأمر أقل من مستوى الفرس الَّذين وصفهم الرسول لأصحابه فقال: «**هم أكثر منكم رمية**». فعمل الرسول على رفع مستواهم في الرمي ـ وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة ـ حتَّى استحقُّوا أن يسموا بحقٍّ «رماة الحِدَق» أي أنَّ الرامي منهم إذا أراد تصويب سهمه نحو عين عدوه لم يخطئها.

ب ـ أضاف المسلمون إلى أسلحة قتالهم أسلحة جديدة لم تكن لديهم من قبل، وهي أسلحة الحصار ودك الحصون وهي المنجنيق والعرَّادات والدبابات، فقد أرسل الرسول ﷺ بعثة من اثنين من المسلمين إلى جرش (في الشام) فتعلما صنعة هذه الأسلحة. وقد استخدم المنجنيق فعلا في حصار خيبر والطائف.

ج ـ زادت قوة الفرسان في التركيب التنظيمي لجيش المسلمين، حتَّى بلغت الثلث من مجموع قوته وذلك خلال زمن قصير لم يتجاوز سبع سنوات فبعد أن كانت قوة الفرسان في أوَّل معركة وهي بدر لا تكاد تُذْكَر (فَرَسان اثنان) قفزت إلى عشرة آلاف فارس في جيش قوامه ثلاثون ألف مقاتل في آخر معركة وهي تبوك. وبذلك لحق جيش الإسلام في هذا المجال بالإستراتيجية الفارسية والبيزنطية الَّتي كانت تجعل من

QaradawiBooks.com

الفرسان ـ كما هو ثابت في التاريخ الحربي وتطور الحرب ـ القوَّة الضاربة في جيوشها»[١].

٥ ـ أن يكون قويَّ الجسم قويَّ النفْس شجاعًا:

كان ﷺ قوي الجسم، قوي النفس، يقول جابر: إنَّا يوم الخندق نحفر، فعرضت كُدْيَةٌ، شديدة، فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كُدْيَةٌ، عرضت في الخندق، فقال: «**أنا نازل**». ثمَّ قام وبطنه معصوب، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا، فأخذ النبيُّ ﷺ المِعْوَلَ، فضرب، فعاد كثيبًا أَهْيَلَ[٢].

وكان يمشي فكأنما يتحدَّر من جبل، وينحط من صَبَب[٣]، ويرفع قدمه فيرفعها تقلعًا كأنَّما ينشط بجملة جسمه[٤].

و«كان عليه السلام يصرع الرجل القويَّ[٥]، ويركب الفرس عاريًا فيُرَوِّضه على السير[٦]، ويداعب من يحبُّ بالمسابقة في العدو، قالت عائشة رضي الله عنها خرجت مع النبيِّ ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم. فقال ﷺ: «**تقدَّموا**». فتقدَّموا، ثمَّ قال: «**تعالي حتَّى أسابقك**». فسابقته

---

(١) العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية للواء ركن محمد جمال الدين محفوظ، صـ ١٣، ١٤.

(٢) رواه البخاري في المغازي (٤١٠١).

(٣) رواه أحمد (٧٤٦)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في المناقب (٣٦٣٧)، وقال: حسن صحيح. وابن حبان في المناقب (٦٣١١)، وقال الأرناؤوط: صحيح. والحاكم في تواريخ المتقدمين (٦٠٥/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن علي.

(٤) جزء من حديث طويل رواه الترمذي في المناقب (٣٦٣٨)، وقال: إسناده ليس بمتصل. وابن أبي شيبة في الفضائل (٣٢٤٦٥)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترمذي (٧٤٨)، عن علي بن أبي طالب.

(٥) سبق تخريجه صـ٣٠٦. وفيه: «ما كان لنا أن نصرعك ونأخذ غنمك».

(٦) عن أنس رضي الله عنه: استقبلهم النبي ﷺ على فرس عري ما عليه سرج في عنقه سيف. رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٦٦).

QaradawiBooks.com

فسبقته، فسكت، حتَّى إذا حملت اللحم، وكنا في سفرة أخرى قال ﷺ للناس: «**تقدَّموا**». فتقدَّموا ثمَّ قال: «**تعالي أسابقك**». فسابقته، فسبقني، فجعل ﷺ يضحك ويقول: «**هذه بتلك**»[(١)]. وهذا بعد أن قارب السِّتِّين»[(٢)].

يقول العقَّاد معلِّقًا: «إنَّها لَمسابقة تنمُّ على فُتوَّة الرُّوح فوق ما نَمَّت عليه من فُتُوَّة الأوصال»[(٣)].

ونعني هنا بقوَّة النَّفْس شجاعته ﷺ وأنَّه لا يخاف إلَّا الله، لا يخاف الموت، أمَّا قوة النفْس بصفة عامة، فسنتناولها في فصل النبيِّ الإنسان.

كانت شجاعة النبيِّ ﷺ وقوَّته في الحقِّ وفي إعلانه، منبعها يقينه بأنَّ كلَّ شيء بأجلٍ عند الله، لا يستطيع أحد أن يميتك قبل يومك ولا قبل ساعتك، كما قال تعالى: ﴿**فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [الأعراف: ٣٤]، ﴿**وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا**﴾ [المنافقون: ١١].

كان هذا اليقين يملأ قلب رسول الله ﷺ، وكان على ثقة بموعود الله له أن عاصمه وحافظه وناصره، قال تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ**﴾ [المائدة: ٦٧].

يقول جابر بن عبد الله: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قِبَل نَجْد، فأدركَنا رسولُ الله ﷺ في وادٍ كثير العِضَاه (شجر ذو شوك)، فنزل

---

(١) رواه أحمد (٢٤١١٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الجهاد (٢٥٧٨)، وابن ماجه في النكاح (١٩٧٩)، وابن حبان في السير (٤٦٩١)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٣١)، عن عائشة.

(٢) عبقرية محمد ضمن موسوعة عباس محمود العقاد (١٥٢/٢).

(٣) المصدر نفسه.

QaradawiBooks.com

رسول الله ﷺ تحت شجرة، فعلَّق سيفه بغصن من أغصانها. قال وتفرَّق النَّاس في الوادي يستظلون بالشجر. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ رجلًا أتاني وأنا نائم، فأخذ السيف، فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلَّا والسيف صَلْتًا في يده، فقال لي: من يمنعُك منِّي؟**». قال: «**قلت: الله. ثمَّ قال في الثانية: من يمنعك مني؟**». قال: «**قلت: الله**». قال: «**فشام السيفَ** (يعني أغمده) **فها هو ذا جالس**». ثمَّ لم يعرض له رسول الله ﷺ[1].

وقد ذكرنا موقفه يوم حُنَيْن بعد أن فرَّ الجيش ولم يبقَ معه إلَّا نفر قليل، وهو ينادي ويقول:

«**أنا النبيُّ لا كذبْ أنا ابنُ عبدِ المُطَّلِبْ**»[2]

كانت هذه الشجاعة تملأ قلب النبي ﷺ حتَّى قبل بعثته، يقول شيخنا محمَّد أبو زهرة: «والنبيُّ عليه الصلاة والسلام قبل البعثة كان المثل الكامل للشجاعة المعنويَّة، الَّتي لا تهاب المخالفة في الحقِّ، فقريش كلها كانت تسجد للصنم، ومحمد عليه الصلاة والسلام لم يسجد لصنم قط، وكان يجابه بذلك قريشًا، ولا يبالي، وكانوا يحلفون باللات والعُزَّى ومناة الثالثة.. إلى آخر الأسماء الَّتي سمَّوها، وما أنزل الله تعالى بها من سلطان، وكان هو يرد من يطلب منه الحلف بها، فيقول: إنَّه يكرهها. وما يكون ذلك إلَّا من شجاع قوى الإيمان بما يعتقد ويؤمن، فيختلف مع بائع في الثمن، فيطلب منه الحلف باللَّاتِ والعُزَّى، فيرد محمَّد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ردًّا قويًّا، بأنَّه يكره هذه الأسماء، فيقبل الرجل قوله من غير يمين لروعة إيمانه وشجاعته في هذا الإيمان.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤١٣٤، ٤١٣٥)، ومسلم في الفضائل (٨٤٣).

(٢) سبق تخريجه صـ٣٠٨.

QaradawiBooks.com

وإنَّه في رحلته إلى الشام وهو في الخامسة والعشرين كان شجاعًا في نفسه وفكره وقلبه عندما منع رجال القافلة الَّتي أعطته زمامها من أن يسابقوا رجال قافلة أخرى، واجه من معه بذلك المنع غير هياب ولا وجل، ثمَّ خالف طريق الأخرى، وسار في طريق أخرى ليمر بقبر أمه بالأبواء، ويستعبر عليه العبرات، إذ كان لأول مرَّة زاره، وكان في وعي عند موتها، إذ كان في السادسة من عمره، ومع ذلك وصل قبل القافلة، وكان قد اختار الطريق الَّذي ظنه من معه وعرًا، وظنه هو مسلوكًا، وكان مستقيمًا، لأنَّه وصل قبل القافلة المسرعة من غير مسابقة.

وإنَّ هذا الخبر في ذاته يدلُّ على قدرة تدبيره للأمور، وتعرف لأقرب الطرق للوصول إلى الهدف، ويدلُّ على رفق بمن معه، والابتعاد عن المسابقات غير المثمرة إلَّا التعب، وعلى كمال الرفق بمن في صحبته، كما يدل على شجاعة نادرة، وقوة احتمال كاملة.

ولقد كان شجاعًا في أقصى درجات الشجاعة عندما قَبِلَ أن يكون الحكم بين قبائل العرب في وضع الحجر الأسود، فقد تقدم وهو يعلم أنَّ الحاكم لا يرضى كل من يحكمونه، ولكنَّه بتوفيق الله تعالى أرضاهم جميعًا[1].

وهكذا كان محمَّد ﷺ شجاعًا قبل البعثة يقول الحق ولا يخشى لومة لائم، ويجاهر به غير مستهين بمن يقاومه، بل راض بأن ينطق بالحق، وحسْبه ذلك وكفى»[2].

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١٩٧/١).

(٢) خاتم النبيين (٢٢٩/١، ٢٣٠).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٦ ـ لا يستخفُّه النصرُ إذا انتصر، ولا تزلزله الهزيمة إذا انكسر:

القائد الفذُّ، هو الَّذي لا يستخفُّه النصر إذا انتصر، ولا تزلزله الهزيمة والانكسار إذا انكسر، وهو ما يسميه أهل العسكريَّة: **الاتِّزان الانفعالي**، وإن كنت أحبَّ التعبير القرآني، وهو السكينة، الَّتي كانت تتنزَّل على النبيِّ ﷺ في أشدِّ المواقف صعوبة، تلك المواقف الَّتي تطيش فيها الأحلام، وتبلغ القلوب الحناجر، ويظن النَّاس بالله الظنون.

وهذا ما رأيناه في حياته ﷺ، انكسر جيشه في غزوة أُحُد حينما خالف الرماة أمره: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَابَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢، ١٥٣]، بعد أن رأوا النصر في أوَّل الأمر، خالفوا أمره، وتركوا الجبل الَّذي قال لهم الرسول ﷺ: «**لا تتركوه ولو رأيتمونا تخطَفُنا الطير**». ولكنَّهم قالوا: إنَّما كان يريد في حالة الهزيمة، والآن المسلمون قد انتصروا، فتركوا أماكنهم، وقائدهم الَّذي عيَّنه الرسول يقول لهم: اذكروا وصية النبيِّ ﷺ، ولكن الغنائم سال لعابهم إليها، لعاعة[1] الدُّنيا أسالت لعابهم، فتركوا الجبل، ونزلوا ليأخذوا من الغنائم، وكشفوا ظهرهم، فأدرك هذا الأمر قائد

(١) اللعاعة: نبت ناعم في أول ما ينبت، وهي: الكلأ الخفيف رُعي أو لم يُرع، وهي: ما بقي في السقاء وفي الإناء. انظر: النهاية في غريب الأثر (٥٠٧/٤)، ولسان العرب (ل.ع.ع).

QaradawiBooks.com

الخيَّالة في جيش المشركين: خالد بن الوليد، الَّذي لم يكن قد أسلم بعد، فانتهز الفرصة، والتفَّ على المسلمين من الخلف، وأعمل فيهم السيف، وجُرح وجه النبي الكريم ﷺ، وكُسرت رَبَاعِيَتُه، وهُشمت البيضة على رأسه، وأشيع أنَّ النبيَّ ﷺ قد قتل، ففتَّ ذلك في عَضُدهم، وأدخل الوهن على عدد منهم، فَفَرُّوا، وقد لقي هؤلاء الفارِّين بعضُ الثابتين من الصحابة، فسألوهم، فقالوا: مات رسولُ الله ﷺ! فقالوا: ولماذا لا تموتون على ما مات عليه رسولُ الله؟!

وفي هذا الموقف يقول أبو سفيان: أفي القوم محمد؟ ثلاث مرات، فنهاهم النبي ﷺ أن يُجيبوه. ثمَّ قال: أفي القوم ابن أبي قُحافة؟ ثلاث مرات. ثمَّ قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات. ثمَّ رجع إلى أصحابه فقال: أمَّا هؤلاء فقد قُتِلوا، فما ملك عمر نفسه، فقال: كذبتَ والله، يا عدو الله! إنَّ الَّذين عددتَ لأحياء كلُّهم، وقد بقي لك ما يسوؤك! قال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مُثْلة، لم آمر بها ولم تَسُؤْني.

ثم أخذ يرتجز: اعْلُ هُبَل، اعْلُ هُبَل!

لكن النبي ﷺ يظل صامدًا مستمسكًا بعقيدته، فيقول لأصحابه: «**ألا تجيبونه؟**». قالوا: يا رسولَ الله، ما نقول؟ قال: قولوا: «**الله أعلى وأجلُّ**». قال: إنَّ لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم. فقال النبي ﷺ: «**ألا تجيبونه؟**». قالوا: يا رسولَ الله، ما نقول؟ قال: «**قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم**»[1].

قدَّر الله أن يسقط من أصحابه سبعون شهيدًا في أُحد، من أمثال عمِّه أسد الله وأسد رسوله، حمزة بن عبد المُطَّلِب، ومصعب بن عمير،

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٣٩)، عن البراء بن عازب.

QaradawiBooks.com

وأنس بن النضر الَّذي لـــم يعرفه أحد من أهله لكثـــرة ما أُصيب به من ضربات السيوف وطعنات الرماح، ورميات الســـهام، حتَّى عُدَّ فيه نحو ثمانين جراحة في جسده، ولم تعرفه إلَّا أخته بعلامة في بنانه[١].

ولكن ذلـــك لم يفُتَّ فـــي عضد رســـول الله ﷺ، ولـــم ييأس ولم يستســـلم، ولم تخِرْ قواه، بل نجده فـــي اليوم التالي يأمـــر أصحابه أن يتهيَّؤوا لقتال المشركين، في موقعة تســـمى حمراء الأسد، فقد بلغه أن أبا ســـفيان ومن معه قد ندمـــوا أنَّهم لم يدخلوا المدينـــة ويُجهزوا على المسلمين، وعزموا على أن يرجعوا.

فلما بلغ رســـول الله ذلك، أمر أصحابه أن يخرجوا، ولا يخرج إلَّا من كان في أحد، مهما كان به من جراح، فخرج النَّاس بجراحاتهم الَّتي لا تزال تنزف، وقد خلد القرآن ثبات من خرج مع النبيِّ ﷺ وصمودهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٢، ١٧٣][٢].

وقد ذكرنا غير مرَّة موقفه ﷺ يوم حُنَيْنٍ بعد أن فرَّ جُلُّ الجيش ولم يبق معه إلَّا عدد قليل، وهو ما ذكره القرآن في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٢٥، ٢٦].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٠٥)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٣)، عن أنس بن مالك.

(٢) رواه النسائي في الكبرى في التفسير (١١٠١٧)، عن ابن عباس. وانظر: سيرة ابن هشام (١٠٢/٢، ١٠٣، و١٢١).

QaradawiBooks.com

ونقول هنا: في هذا اليوم العصيب كان ثباته ﷺ، الَّذي بَهَر الأبصار، وخَلَب الألباب، وفي ذلك روى البخاري ومسلم عن أبي إسحاق، أنَّ رجلًا قال للبراء بن عازب رضي الله عنهما: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حُنين؟ قال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر، إنَّ هوازن كانوا قومًا رُماة، وإنَّا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا، فأقبل المسلمون على الغنائم، فاستقبلونا بالسهام، فأما رسول الله، فلم يفر، فلقد رأيتُه وإنَّه لعَلَى بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان (ابن الحارث بن عبد المُطَّلِب) آخِذٌ بلجامها، والنبي ﷺ يقول: «**أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابن عبد المُطَّلِب**»[1].

إنَّ محمَّدًا ﷺ بما منحه الله من قوة اليقين وقوة الإيمان لا يزعزعه ولا يزلزله انكسار لجيشه، وفي المقابل ولا تستخفُّه نشوة النصر.

كثيرًا ما انتصر؛ ولكنَّه لم يعجب بنفسه، ولم يغترَّ بجيشه! أعظم انتصار حقَّقه هو نصر فتح مكَّة، الفتح الأعظم الَّذي أصبح به سيِّد الجزيرة، دانت مكَّة عاصمة الوثنيَّة العربيَّة، دانت للإسلام، ودخلها فاتحًا، وكسر الأصنام، وحطَّم الأوثان برمحه، وهو ينكسها على وجهها ويقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

خرج محمَّد من مكَّة مطاردًا وعاد إليها فاتحًا، خرج منها ليلًا، وعاد إليها نهارًا، وخرج هو وصاحبه خِفيَة، وعاد هو وجيوشه معلنين: الله أكبر.

إنَّها مكَّة الَّتي آذاه أهلها، وكذبوه، وآذوه، وعذبوا أصحابه، واضطروهم للهجرة للحبشة ثمَّ للمدينة، وقاطعوه هو ومن آمن به ومن

(١) سبق تخريجه صـ٣٠٨.

QaradawiBooks.com

له به صلة في شعب أبي طالب، وأخرجوه بعد أن تآمروا على قتله، ولم يكتفوا بهذا، بل حاربوه الحرب في إثر الحرب، وألبوا عليه القبائل، ومنعوه وأصحابه من العمرة، واشترطوا عليه للصلح شروطًا قاسية، قبلها رغم ما فيها، ثمَّ هم بعد ذلك الَّذين نقضوا العهد الَّذي وضعوا هم شروطه بإعانتهم بكرًا على خزاعة أحلافِ النبي ﷺ!

ها هو يدخل مكَّة منتصرًا فاتحًا، ولا مقاومة لأهلها تذكر، وها هم سادتها وقادتها في قبضته، مصيرهم هو كلمة يقولها بلسانه، أو إشارة يشيرها بإصبعه.

ويأخذ هذا المشهد بلبِّ سعد بن عبادة زعيم الخزرج وحامل راية الأنصار، فيقول لأبي سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذلَّ الله قريشًا. فلمَّا حاذاه رسول الله ﷺ في كتيبته، شكا إليه أبو سفيان قال: يا رسولَ الله، ألم تسمع ما قال سعد؟ قال: «**وما قال؟**». قال: كذا وكذا. فاستنكر رسول الله ﷺ مقالة سعد. وقال: «**كذب سعدٌ يا أبا سفيان، اليوم يومُ المَرْحَمة، اليوم يوم يُعَظِّم الله فيه الكعبة، اليوم يوم تكسى فيه الكعبة، اليوم يوم أعزَّ اللهُ فيه قُرَيْشًا**».

وأرسل إلى سعد، فنزع منه اللواء، ودفعه إلى ابنه قيس بن سعد[1].

ويستشعر النبيُّ ﷺ نعمة هذا النصر العظيم، فيزداد خشوعًا لربه، وخضوعًا لعظمته، واستكانة لعزته، يقول أنس: دخل رسول الله ﷺ مكَّة يوم الفتح وذقنُه على رَحْله مُتخشِّعًا[2].

(١) مغازي الواقدي (٨٢٢/٢)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٥٩٧/٢)، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(٢) رواه الحاكم في المغازي (٤٧/٣)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

وعن أبي مسعودٍ أنَّ رجلًا كلَّم رسول الله ﷺ يوم الفتح فأخذته الرِّعْدة، فقال: «**هوِّن عليك، فإنَّما أنا ابن امرأةٍ من قريش تأكلُ القَدِيد**»[(١)].

ويدخل النبي ﷺ مكَّة، لم يُناد أحد من الجيش: عاش محمَّد، أو يحيا محمَّد. كما يفعل مع الفاتحين المنتصرين، ولكن كان الهُتاف باسم الله وحده: «**لا إلٰه إلَّا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده**»[(٢)].

ثمَّ إنَّ النبيَّ ﷺ يدخل الكعبة فيكبّر في نواحيها، ثمَّ يخرج إلى مقام إبراهيم ويصلى فيه، ثمَّ يشرب من زمزم، ويجلس في المسجد، والناس حوله، والعيون شاخصة إليه ينتظرون ما هو فاعل بمشركي قريش، الَّذين آذوه وأخرجوه من بلاده وقاتلوه، ولكن هنا تظهر مكارم الأخلاق، ومن يقاتل للمبدأ ممَّن يقاتل للقيادة أو الدُّنيا، فيقول عليه السلام: «**يا معشر قريش، ما تظنون أنّي فاعلٌ بكم؟**». قالوا: خيرًا، أخٌ كريمٌ، وابن أخٍ كريم. فقال عليه السلام: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[(٣)].

ودخل على ابنة عمِّه أم هانئ بنت أبي طالب، وكان بيتها بجوار المسجد، فصلى ثماني ركعات لله عزَّ وجلَّ[(٤)]، يسميها العلماء: صلاة الفتح[(٥)]،

---

(١) رواه ابن ماجه في الأطعمة (٣٣١٢)، والحاكم في المغازي والسير (٤٧/٣)، وصحَّحه على شرطهما ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٦٧٧)، عن أبي مسعود.

(٢) سبق تخريجه صـ١٢١.

(٣) ذكره ابن هشام في السيرة النبويَّة (٤١٢/٢)، عن ابن إسحاق: فحدثني بعض أهل العلم.

(٤) إشارة إلى حديث عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، قال: ما حدثنا أحد أنَّه رأى النبي يصلي الضحى غير أم هانئ، فإنها قالت: إنَّ النبي دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثماني ركعات، فلم أر صلاة قط أخف منها، غير أنَّه يتم الركوع والسجود. متَّفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٧٦)، ومسلم في صلاة المسافرين (٣٣٦).

(٥) قال ابن القيم: ثم دخل رسول الله ﷺ دار أم هانئ بنت أبي طالب؛ فاغتسل، وصلى ثماني =

QaradawiBooks.com

شكرًا لله واعترافا بمنته. ثمَّ قال: «**هل عندك طعام آكله؟!**». وكان جائعًا. فقالت: إن عندي لكسرًا يابسة، وإنِّي لأستحي أن أقربها إليك. فقال: «**هلمِّيها**». فكسَّرتها ونثرت عليها الملح. فقال: «**هل من إدام؟**». فقالت: يا رسولَ الله، ما عندي إلَّا شيء من خل. قال: «**هلميه**». فلمَّا جاءته به، صبَّه على طعامه، فأكل منه، ثمَّ حمد الله تعالى، ثمَّ قال: «**نِعْمَ الإدامُ الخلُّ يا أم هانئ، لا يَفْقُر بيتٌ فيه خل**»[1].

محمَّدٌ الفاتح الأعظم فاتح جزيرة العرب، وسيِّد الجزيرة في يوم الفتح، ماذا يأكل؟ يأكل خبزًا جافًّا مغموسًا بالخلِّ! لم تذبح له الذبائح، ولم تقم له الاحتفالات؛ لكن اكتفى بهذا، وقال: «**نِعْمَ الإدامُ الخَلُّ**».

لقد عرَف النَّاس كثيرًا ممَّن يرفعون شعارات المبادئ والعقائد، يتمسكون بها قبل أن يتمكَّنوا ويحكموا وينتصروا، فإذا حكموا وانتصروا تبخَّرت هذه المبادئ العذبة، وارتدُّوا على أعقابهم القَهْقَرى، وأصبحت هذه المبادئ حبرًا على ورق، أو كلامًا أجوف.

ولكنَّ الرسول ﷺ الَّذي نادى بالعدل والمساواة من أوَّل يوم وهو في مكَّة، لم يتخلَّ عنهما لحظة واحدة، فها هو يأخذ بعِضادتي الكعبة، ويعلن في قريش أهل الحسَب والنَّسَب، وأصحاب العزَّة والفَخَار، فيقول: «**يا معشرَ قريش، إنَّ الله قد أذهب عنكم نخوةَ الجاهليَّة، وتَعَظُّمَها بالآباء، النَّاس لآدم، وآدم من تراب**».

= ركعات في بيتها، وكانت ضحى، فظنها من ظنها صلاة الضحى، وإنَّما هذه صلاة الفتح، وكان أمراء الإسلام إذا فتحوا حصنًا أو بلدًا؛ صلوا عقيب الفتح هذه الصلاة، اقتداء برسول الله ﷺ. وقي القصة ما يدل على أنَّها بسبب الفتح شكرًا لله عليه، فإنها قالت: ما رأيته صلاها قبلها ولا بعدها. انظر: زاد المعاد (٣٦١/٣).

(١) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (٥٤/٤)، عن أم هانئ.

QaradawiBooks.com

ثم تلا هذه الآيــة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣][(١)].

٧ ـ يعفو وقتما ينفع العفو، ويقسو حين لا تنفع إلَّا الشدَّة:

كان النبي القائد ﷺ يعرف متى يعفو ويســامح، ومتى يقسو ويشتد، وكان يضــع العفوَ في موضعــه، ويضع العقاب فــي موضعه، وهذا من ملكات القيادة الَّتي ينبغي أن يتصف بها كل قائد: أن يُشــدِّد حين ينبغي التشديد، ويُيسِّــر حين ينبغي التيســير، وأن يأخذ باللين والرفق مع مَن يستحقُّ ذلك، ويأخذ بالغلظة والعنف مع مَن يستحقُّها.

وقد قال تعالــى للنبــيِّ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة: ٧٣، والتحريم: ٩]، وقال في علاقته بالصحابة: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال أبو الطيِّب[(٢)]:

وَوَضْعُ النّدَى في مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا مُضِرٌّ، كوضعِ السَّيْف في موضع الندى!

وقد ذكرنا قريبًا موقفه من أهل مكَّة بعــد أن فَتَحها، هؤلاء الفراعنة الجبابرة العتاة، الَّذين طالما آذوه، وآذوا أصحابه، ثلاثة عشــر عامًا في مكَّة، وقاتلوه في المدينة ثمانية أعوام، وشهروا عليه السيوف، وفعلوا به ما فعلوا، اليوم يلين كلامهم، اليوم يتكلمون بلغة الضعيف. يقولون: نظن بك خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم. فماذا قــال ﷺ؟ أكان يحمل ضغينة لهم في صدره من طول ما أوذي منهم؟ انتقم لما فعلوا؟!

(١) سيرة ابن هشام (٤١٢/٢). ورواه أحمد (٨٧٣٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الأدب (٥١١٦)، والترمذي في المناقب (٣٩٥٥)، وحسَّنه، عن أبي هريرة بدون ذكر الآية.

(٢) ديوانه صـ ٣٧٢.

QaradawiBooks.com

لقد نسي ذلك كله، وقال هذه الكلمة التاريخيَّة الرائعة، الَّتي سجَّلها التاريخ بحروف من ذهب، قال: «**يا أهلَ مكَّة، اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء** ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]»[1].

قال ما قاله يوسف من قبل لإخوته حينما آذوه وأهانوه! عفا عن أهل مكَّة إلَّا أفرادًا معدودين يعتبرون ـ بلغة عصرنا ـ من مجرمي الحرب.

ولكنَّه في موقف آخر لم يعف؛ وهو موقفه من بني قُرَيْظة لم يعف عنهم، لماذا؟

لأنَّها لم تكن المرة الأولى لليهود، إنهم قبل ذلك نقضوا عهده في بني قينقاع، ونقضوا عهده في بني النَّضير، الَّذين نزلت فيهم أوائل سورة الحشر، ثمَّ هؤلاء نقضوا عهدهم نقضًا مريبًا، كانت قريش وغطفان قد أقبلت على المدينة تريد أن تستأصل شأفة المسلمين، أن تُبيد خضراءهم، كان المراد إبادة وتصفية نهائية للمسلمين، هذه الجيوش الهائلة الجرّارة الَّتي قدمت من هنا وهناك، أرادت أن تتخلص من محمَّد ودعوته مرَّة واحدة، فجاؤوا وهاجموه في عقر داره.

وكان من حُسن قيادة النبي ﷺ: أن استشار أصحابه، فأشار عليه سلمان بحفر خندق، ولم يكن هذا من شأن العرب، وحفر الخندق ليحول بين فرسان قريش وحلفائها، وبين اقتحام البلدة ودخول المدينة بالقوة.

وكان النبي ﷺ قد عاهد اليهود أن يساعدوه، ويكونوا معه بالسلاح وبالمال ضد أي مغير أو مهاجم للمدينة، اتفاقية دفاع مشترك، ولكن هؤلاء لم يفعلوا ذلك!

(١) سبق تخريجه صـ٣٦٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وليتهم اقتصروا على عدم تنفيذ المعاهدة! ولكنَّهم أعلنوا انضمامهم إلى المغيرين إلى المهاجمين، إنَّها خيانة من أعظم الخيانات في التاريخ.

وقد سجَّل القرآن موقف المؤمنين في هذا الحصار الجائر حينما قال: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠].

وصدق الأستاذ العقَّاد إذ يقول: «وينبغي أن يسأل الناقدون أنفسهم بعد هذا: ماذا كان مصير المسلمين لو ظفرت بهم الأحزاب؟

فالقضاء الَّذي قضاه النبي في بني قريظة عدل وحكمة وصواب، وما من أحد يقضي غير ذلك القضاء وهو مؤتمن على مصير أمة يرحمها من غدر أعدائها، ومن لددهم في خصومتها، ومن استباحتهم كل منكر في التربص والوثبة بعد الوثبة عليها.

وإن حملة تأديبية واحدة من حملات العصور الحديثة يحملها قوم مسلحون على قوم عزل، يذودون عن أوطانهم وحقوقهم، لفيها من البطش والتعذيب ما لم يحدث قط نظير له في عقاب بني قريظة، ولا في جميع الحروب الَّتي نشبت بين النبي ﷺ وبين أعداء له ولدينه، هم المتفوقون عليه في العدد والثروة والسلاح.

إن عبقريَّة محمَّد في قيادته لعبقريَّة ترضاها فنون الحرب، وترضاها المروءة، وترضاها شريعة الله والناس، وترضاها الحضارة في أحدث عصورها، ويرضاها المنصفون من الأصدقاء والأعداء»[1].

(١) عبقرية محمد ضمن موسوعة عباس محمود العقاد (٧٠/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ثم إنَّ الموقف في ذلك الوقت كان مختلفًا عن موقف فتح مكَّة، موقف فتح مكَّة كان الرسول قد ثبَّت أقدامه، وانتصر في عدة معارك، وأصبح الأمر مستتبًّا له إلى حدٍّ كبير، أمَّا في هذا الوقت، فالعفو هنا معناه أن يقول اليهود: خدعنا محمدًا، وأخذنا منه العفو. فالجريمة عظيمة، والوقت في غاية الخطر، لو صدقتْ نبوءتهم، وتحققت أحلامهم لقضي على الإسلام قضاءً مبرمًا، فالجريمة كانت عُظمى، والوقت كان وقتًا خَطرًا.

أمر آخر أنَّ طبيعة العرب غير طبيعة اليهود، العربي إذا عفوت عنه اعتبر أنَّك ملكته بعفوك، واعتبر ذلك منّة منك، يحفظها لك طول عمره، أمَّا اليهودي فلو عفوت عنه يقول: خدعته وضحكت عليه، وسأعود لمثلها بعد. وهذا ما حدث: حُيي بن أخطب فرَّ من بني النَّضير، ولكنَّه لم يسكت، ظل يؤلِّب العرب. وهذه الغزوة نفسها شارك في التأليب لها حُيَي بن أخطب، حتَّى أثاروا المشركين ليهاجموا الرسول ﷺ في عقر داره[1]. وهذه الطبيعة في اليهود قد ذكرها القرآن في قوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

وقد أشار القرآن ـ أيضًا ـ إلى نقض بني قريظة المستمر للعهود المُبرمة

(١) عن عثمان بن يهوذا أحد بني عمرو بن قريظة، عن رجال من قومه قالوا: كان الذين حزبوا الأحزاب؛ نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل، وكان من بني النضير حُيَي بن أخطب، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وأبو عمار، ومن بني وائل حي من الأنصار من أوس الله وَحْوَحُ بن عمرو، ورجال منهم خرجوا حتى قدموا على قريش، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، فنشطوا لذلك. رواه البيهقي في الجزية (٢٣٢/٩)، وانظر: السيرة النبويَّة لابن هشام (٢١٤/٢).

QaradawiBooks.com

بينهم وبين المسلمين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ۞ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥ ـ ٥٧].

نقل المفسِّرون عن ابن عبَّاس أنَّه قال: هم قريظة، فإنَّهم نقضوا عهد رسول الله ﷺ، وأعانوا عليه المشركين بالسلاح في يوم بدر، ثمَّ قالوا: أخطأنا، فعاهدهم مرَّة أخرى، فنقضوه أيضًا يوم الخندق[١].

وفي الحديث المتَّفق عليه عن ابن عمر: أن يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله ﷺ، فأجلى رسول الله ﷺ بني النضير، وأقر قريظة ومنَّ عليهم، حتَّى حاربت قريظةُ بعد ذلك، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلَّا أن بعضهم لحقوا برسول الله ﷺ، فآمنهم وأسلموا[٢].

قال الإمام النووي: «وكانت قريظة في أمان، ثمَّ حاربوا النبي ﷺ، ونقضوا العهد، وظاهروا قريشًا على قتال النبي ﷺ. قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا﴾ [الأحزاب: ٢٦]»[٣].

ولذلك لم يكن يتصوَّر أن يعفو النبي ﷺ عن بني قريظة، كان لا بدَّ أن يؤاخذهم بجريمتهم، وإلَّا بقوا يعيثون في الأرض فسادًا، كما عاثوا من قبل، وكما عاث إخوانهم من قبل.

(١) انظر: تفسير الرازي (٤٩٧/١٥)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٠٢٨)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٦٦).
(٣) شرح النووي على مسلم (٩١/١٢).

QaradawiBooks.com

حفاظه على مبادئه الَّتي يدعو إليها:

هذه بعض جوانب قيادتــه الَّتي ينبغي أن يضعهــا كل قائد صغرت قيادته أو كبرت أمام عينيه.

وهو ﷺ القائد الفذ في كل جوانب القيادة، ومنها شــدَّة حفاظه على المبادئ الَّتي يدعو إليها، فكان شديد الحفاظ على أصالة الدين وروحه وتعاليمه في نفسه وفيمن حوله.

يقول العلّامة الشيخ أبو الحســن الندوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان رسول الله ﷺ على رفقه ولين كنفه وقوّة احتماله وتغاضيه عن سقطات النَّاس وزلّاتهم ـ على حدّ لا يتصوّر فوقه ـ شــديد الحفاظ على أصالة الدِّين، شــديد الغَيْــرة على رُوحه وتعاليمه وعلــى عقيدة التوحيد، شــديد الحذر ممَّا يعرِّض أمَّتَه لخطر التورُّط في الأوهام والمغالاة، وتقديس الأشــخاص، والعودة إلى الجاهليّة، لا تأخذه في ذلــك هوادة، ولا تمنعه من الإنكار عليه مصالح قياديّة أو اعتبارات سياسيّة، وكان في ذلك يختلف عن قادة الجماعات والزعماء السياسيين اختلافًا واضحًا.

ومن أوضح أمثلته ما وقع عند وفاة ابنه سيِّدنا إبراهيم[1]، فقد كسفت الشمس يوم موته، فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فخطب رســول الله ﷺ فقــال: «**إنَّ الشَّــمس والقمر آيتــان من آيــات الله** عَزَّوَجَلَّ **لا ينكســفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتُم ذلك فادعوا اللهَ وكبِّروا، وصلُّوا وتصدَّقوا**»[2].

(١) كان ذلك في العام العاشر من الهجرة، وكان ابن سنة ونصف السنة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (١٠٤٤)، ومسلم في الكسوف (٩٠١)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

ولو كان مكان رسول الله ﷺ في هذه المناسبة الحزينة العاطفيَّة أيّ داع من الدعاة أو زعيم من الزعماء، أو قائد دعوة وحركة وجماعة كان أقلّ مواقفه من هذا التعليق أو التفسير للحادث السكوت؛ لأنّه كان في صالح دعوته وحركته، ولأنّه يضفي على شخصه وأسرته ما يستطيع أن يستعين به في بسط نفوذه على قلوب النّاس وعقولهم، وتقوية ثقتهم به، وإعجابهم له، وذلك شيء يتمناه قادة الشعوب والجماعات، ومنشئو الدّول والحكومات، ويعملون له ألف حيلة، وقد هيّأ الله له ذلك من طريق الغيب، فلا عليه إن سكت.

ولكنّه ﷺ لم يحتمل سماع هذا الكلام، ولم يسكت عليه لدقيقة، بل بادر إلى إزالة هذا الوهم الَّذي يجرّ إلى إفساد العقيدة، وربط الحوادث الكونيّة وسنن الله تعالى في خلقه بما يقع لأفراد البشر، ولو كانوا من الأنبياء أو أولادهم وأفراد أسرهم من ولادة وموت وصحّة ومرض، وذلك مدخل قديم، دخل منه الشّرك وتقديس العباد في الأمم السابقة، فنفى هذا الأسلوب من التفكير الجاهليّ، وأوضح الحقيقة، وشرع لذلك صلاة مخصوصة، هي صلاة الخسوف، لتوثيق الصلة بالله تعالى وعبادته واقتلاع هذه الجرثومة الجاهليّة من النفوس والعقول.

وكذلك لم يسعه السكوت حين قال رجل: ما شاء الله وشئت. فقال ﷺ: «**أجعلتني لله ندًّا؟**»[1]. وقال رجل وهو يخطب: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى. فقال: «**بئس خطيبُ القومِ أنت**»[2].

(١) رواه أحمد (١٨٣٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٧٥٩)، وابن ماجه في الكفارات (٢١١٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في الجمعة (٨٧٠)، وأحمد (١٨٢٤٧)، عن عدي بن حاتم.

QaradawiBooks.com

وفي هذه المواقف يتجلَّى «الموقف النبـــويُّ»، وما يمتاز به الأنبياء عن القادة والزعماء وعظماء البشـــر، من تجرُّد عن الأنانيَّة، واســـتغلال الحوادث وضعف العقول في صالحهم، والسماح للمدح والإطراء، ولو تخطّى الحدود، وكان رســـول الله ﷺ إمـــام الأنبياء في ذلك والأســـوة الكاملة، وقد قال: «**لا تُطرونـــي كما أطرت النصارى ابنَ مريم، فإنَّما أنا عبده، فقولوا: عبدُ الله ورسوله**»[(١)]»[(٢)].

قيادته ﷺ لم تعرف لها البشريَّة مثلًا:

والحق أنَّنا مهما قربنا للنَّاس عوامل نجاح القيادة النبويَّة فلن نستطيع إلَّا أن نحيط بها، فعظمـــة النبي ﷺ في كل جانب مـــن جوانب العظمة لا تدانيها عظمة، وشمائله تنقطع دونها أعناق العظماء.

يقول أستاذنا الدكتور محمَّد عبد الله دراز رَحِمَهُ اللَّهُ: «حسْبك منه أنَّه ﷺ جمع خلالًا كل واحدة منها كانت عنصـــرًا فعالًا في هذا النجاح، خلالًا نعُدُّ منها ولا نعُدُّها، ونرسم شيئًا من جوانبها ولا نحُدُّها:

صبر ومصابرة، وجد ومثابـــرة، وحرص على بلـــوغ الغاية، والتزام لأدق حدود الصدق في الوسيلة وفي الغاية، تلطف في الدعوة وقصد في الحجة، وتعليم بالأســـوة والقدوة، وتأديب باللمحة والنظرة، وطهر في السيرة والسريرة، لا حقد ولا ضغينة، ولا ختل ولا مواربة، سخاء بما في اليد، وزهد فيما بيد الناس. تضحية بحظوظ نفســـه، وتنازل عن حقوق شـــخصه. أمَّا في تبليغ الرســـالة وإقامة العدالة، فعزيمة متوفرة لا تني، وصلابة في الحق لا تنثني.

---

(١) رواه البخاري في الأنبياء (٣٤٤٥)، عن عمر.

(٢) السيرة النبويَّة لأبي الحسن الندوي صـ ٥٨٩ ـ ٥٩١، نشر دار ابن كثير، دمشق، ط ١٢، ١٤٢٥هـ.

QaradawiBooks.com

هذه الخلال الفُضْلى، وأمثالها وأمثال أمثالها تنبع في نفس الرسول الكريم من ينبوع ذي ثلاث شُعَب: الإيمان، والحبِّ، والأمل.. إيمان بقدسيَّة الرسالة وضرورة حملها، وحبٍّ للإنسانيَّة، واهتمام بإنقاذها. وأمل في نجاح الدعوة وبلوغها أقصى غايتها.

نعم، إنَّ هذا القلب الَّذي يمتلئ إيمانًا وحكمة، يفيض في الوقت نفسه حنانًا ورحمة، ويطالع في الأفق دائمًا أملًا باسمًا في النجاح والفلاح..

لا أقول: إنَّه يفيض رحمة بأتباعه وحسْب، فإنَّه وإن كان لأتباعه من رحمته النصيب الأوفر، فهو كما وصفه الله رحمة للعالَمين، لأعدائه وأوليائه أجمعين، حريص على خيرهم وسعادتهم، مشفق على عنتهم وشقوتهم: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]!

ولا أقول: إنَّه كان يداعب أملًا في نجاح جزئي يخص عشيرته الأقربين. أو يخص أم القرى ومن حولها. ولكنَّه كان يحمل أملًا في نجاح محيط شامل بتنظيم البشريَّة كلها.

ألم تر كيف كان كل انتقاص من محيط هذا النجاح، انتقاصًا من طِيب نفسه ونعيمها، وزيادة في أحزانها وآلامها؟

هذا القلب الرحيم كيف يطيب له عيش وهو لا يزال يرى طائفة من إخوته في الإنسانيَّة يعيشون في ظلمة الضلالة والجهالة، أو في حمأة الفساد والرذيلة، أو تحت نير الذل والعبوديَّة لغير الله؟

كيف يطيب له عيش وهو كلَّما حاول استنقاذهم وتكريمهم وإعزازهم تفلتوا من يديه، وتردوا أمامه في الهاوية متهافتين ـ على ضعفهم ـ كما

QaradawiBooks.com

يتهافت الفراش على النار، لا بدَّ إذن أن يعيد الكَرَّة، وأن يجدِّد التجربة مرَّة بعد مرَّة، عسى أن يتحقَّق له هذا الأمل المنشود، فتشرق الأرض كلُّها بنور ربها، وتصبح وقد مُلئت بِرًّا وعدلًا، وسعادة وكرامة. إيمان قوي، وحب عميق، وحرص على اقتناص الأمل البعيد.. ذلك هو سر عزمه المتوقد وجهاده المتجدد الَّذي كان أوَّل عوامل النجاح»[1].

* * *

(١) نظرات في الإسلام لدراز صـ ٧ ـ ٩، نشر دار الأرقم، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الرسول الإنسان

محمد ﷺ آخر رسل الله، الَّذي كلَّفه الله أن يهدي البشريَّة كلَّها إلى طريق الله، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ مُّسْتَقِيمِ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

وإذا نظرنا إلى شخص محمَّد الَّذي اختاره الله للرسالة الخاتمة والَّذي كان في حياته وسيرته التطبيق العملي للإسلام، نستطيع أن نصفه بأنَّه «الرسول الإنسان».

إنَّ سيرة محمَّد ليست سيرة إلٰه، ولا بعض إلٰه، وليست سيرة ملاك متجرد من اللحم والدم، بل هي سيرة بشر من بني آدم يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، ليس إلهًا، ولا نصف إلٰه، ولا ابنًا لإله.

هو إنسان بما تحمله الكلمة من معان، عاش ومات، كما يعيش النَّاس ويموتون، باع واشترى، وصادق وعادى، وسالم وحارب، وتزوج وأنجب، وكان في حياته يَرْضى ويَسْخط، ويَفْرح ويَحْزن، ويُحِب ويَكْره.

والقرآن الكريم حريص كلَّ الحرص في شتَّى المناسبات على تأكيد إنسانيَّة الرسول ﷺ، بمثل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

QaradawiBooks.com

ومن المعالم الوضيئة في شخصيَّة الرسول الكريم ﷺ: أنَّه الرسول الإنسان.

صحيح أنَّ محمَّدًا هو النبيُّ الَّذي يوحى إليه من فوق السماوات العُلا، وينزل الروحُ الأمين جبريل بالقرآن على قلبه ليكون من المنذرين، بلسانٍ عربيٍّ مبين، وهكذا أنزل القرآن مكيه ومدنيه بوساطة الملك الأعظم جبريل، ويسمُّونه «الوحي الجليّ»، وهناك وحي آخر يُسمِّيه العلماء «الوحي الخفيّ»، وهو الَّذي يوحي اللهُ به إلى قلب رسوله، بواسطة رؤيا في نوْمه، أو نفْث في روعه في اليقظة، وهو طريقة من طرق الوحي غير القرآني، الَّذي أشار إليه القرآن في أواخر سورة الشورى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ [الشورى: ٥١].

ومن هذا الوحي الخفيِّ: الرؤيا كما قالت أُمُّنا عائشة: أَوَّلُ ما بُدِئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصَّادقة في النوم، فكان لا يَرَى رُؤْيا إِلَّا جاءت مثلَ فَلَقِ الصُّبح[1].

ومنه النفث في الروع، أي: أن يلقي الله معنًى يُفيضُه على قلب رسوله في حالة اليقظة، يستيقنُ أنَّه من عند الله ﷻ، بحيث لا يجد فيه شَكًّا، ولا يستطيع له دفعًا، كما في قوله ﷺ: «**إنَّ رُوحَ القُدُس نفث في رُوعي أنَّه لن تموت نفس حتَّى تستوفيَ رزقَها وأجلَها، فاتَّقوا الله وأجمِلوا في الطَّلَب**»[2].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠).

(٢) رواه ابن ماجه في التجارات (٢١٤٤)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٨/٣): إسناده ضعيف. ورواه ابن حبان في الزكاة (٣٢٤١)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. والحاكم في =

QaradawiBooks.com

ومع هذا التشريف بالوحي الإلٰهي رأينا محمدًا الرسول العظيم والنبيَّ الكريم يُمَثِّل المثل الأعلى «للإنسان»، هذا المخلوق الكريم على الله، الَّذي خلقه في أحسن تقويم، وصوَّره فأحسن صورته، خلقه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وميَّزه بالعلم والإرادة، وجعله خليفته في الأرض، ومحور النشاط في الكون، وسخَّر له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فكلُّ ما في الكون له ولخدمته. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

لذا فقد جعل الله محمدًا ـ ومثله كل الأنبياء ـ بشرًا، ليصلح أن يكون أسوة للناس، فلا يقولوا: هذه رسالة فوق طاقتنا، وفوق احتمالنا. بل هو رسول منكم، تتعلمون منه ما يعلِّمكم، وتحملون منه ما تقدرون عليه، وتقتدون به في شؤونكم.

تتمثل هذه الإنسانيَّة في حياة النبي ﷺ في جملة أمور:

وجانب الإنسانيَّة في شخص رسول الله ﷺ نراه بوضوح في عدَّة أمور يشهدها من يقرأ في كتب السنن وكتب السيرة، وهي:

١ ـ أنَّه يفرح كما يفرح البشر، ويحزن كما يحزنون:

يفرح بالنصر، ويحزن للهزيمة: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

= البيوع (٤/٢)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٤٢)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

يفرح بإقبال النَّاس عليه، ويحزن لإدبارهم عنه: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧] ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨].

يفرح بالقول الحسن، ويحزن للقول السيئ: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦]، ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [طه: ١٣٠].

يفرح بفرح أحبابه، ويحزن لحزنهم، ويأسى لفقدهم: كما حزن لموت زوجته وأم أولاده خديجة، ومات في العام نفسه عمه أبو طالب الَّذي كان يدافع عنه طوال حياته، ثمَّ توفي على الشرك، فذكر أنَّ النبيَّ ﷺ سمَّى عام وفاتهما عام الحزن[١].

وتُوُفِّي ابنه إبراهيم الَّذي جاء بعد شوق، وقدر الله أن يموت في صغره، فقال: «**إنَّ العينَ لتدمع، وإنَّ القلبَ ليحزن، ولا نقول إلَّا ما يُرضي ربَّنا، وإنَّا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[٢].

كما حزن الرسول على موت عمِّه البطل حمزة بن عبد المُطَّلِب سيِّد الشهداء، وقال لما رأى النساء يبكين مَن مات مِن أقاربهن: «**ولكنَّ حمزةَ لا بواكيَ له**»[٣].

لم يكن فرحه فرح أشَرٍ وبطر، كالَّذي حذَّر منه قوم قارون حين قالوا له: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، فهو الفرح بغير الحق

(١) انظر: ثمار القلوب لأبي منصور الثعالبي صـ ٦٤٤، نشر دار المعارف، القاهرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٣٠٣)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٥)، عن أنس بن مالك.

(٣) رواه أحمد (٥٥٦٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وابن ماجه في الجنائز (١٥٩١)، والحاكم في معرفة الصحابة (١٩٤/٣)، وصحَّحه على شرط مسلم. عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

الَّذي ذمَّه القــرآن: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥].

إنَّ فرحه هو الفــرح الطبيعي كفرحة الصائم عنــد فطره، حين يحل إفطاره من صومه اليومي، وينعم بكل ما كان محرمًا عليه في نهاره.

والفرح الشــرعي، مثل فرحه إذا وُفِّق لعمل صالح، كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

وحزنه كذلك لا يخرجه عن الرضا إلى السخط، ولا عن الصبر إلى الجزع، بل كما قال في وداع ابنــه إبراهيم: «**إنَّ العينَ لتدمع، وإنَّ القلب ليحزن، ولا نقول إلَّا ما يُرْضي ربَّنا**»[(١)].

٢ ـ أنَّه يضحك كما يضحك النَّاس، ويبكي كما يبكون:

كان ضحكه التبسُّــم، كانوا يقولون: ضحك حتَّى بدت نواجذه، أي أسنانه الأمامية.

قــال عبد الله بــن الحــارث رضي الله عنه: ما رأيــت أكثــر تبسُّــمًا مــن رسول الله ﷺ[(٢)].

ممَّ كان يضحك؟

كان يضحك من كلِّ أمرٍ غريــب، أو كلِّ كلامٍ فَكِه، يُضحك النَّاس أصحاب الفِطَر السليمة، ولا يَضحك من كلِّ شيء كالبُلَهاء.

---

(١) الحديث قبل السابق.

(٢) رواه أحمد (١٧٧٠٤)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. والترمذي في المناقب (٣٦٤٢)، وقال: صحيح غريب.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

عن سماكِ بن حربٍ قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنتَ تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم كثيرًا، كان لا يقوم من مصلاه الَّذي يصلي فيه الصبح، أو الغداة، حتَّى تطلع الشمس، فإذا طلعت الشمس قام، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهليَّة، فيضحكون ويتبسم[١].

ولم يكن ﷺ يكثر من الضحك ولا يبالغ فيه، كما جاء في حديث له: «**ولا تُكْثِرْ من الضحك؛ فإنَّ كثرةَ الضحك تميتُ القلب**»[٢]. وهذا شأن الإسلام في كلِّ شيء، وشأن المسلم مع كلِّ شيء، في الماديَّات وفي العواطف. وشأن المسلم أبدًا ألَّا يضحك ضحك السفهاء، بل ضحك المتقين العقلاء.

كان ينهى أصحابه عن ضحك السخرية بالناس، وخصوصًا الضعفاء والفقراء؛ فإنَّ كثرة الضحك عليهم تُذِلُّهم وتقهرهم، ويجب على المجتمع نصرهم والدفاع عنهم، وقد وعظ أصحابه يومًا في الضحك من الضرطة، لأنَّه يحرج صاحبها، فقال: «**إلامَ يضحك أحدكم ممَّا يفعل؟**»[٣]. وحذَّر ﷺ من الكذب والاختلاق لإضحاك الناس: «**ويلٌ للَّذي يُحدِّث فيكذب، ليُضحك القوم، ويلٌ له، ويل له، ويل له**»[٤].

---

(١) رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٧٠)، وأحمد (٢٠٨٤٤).

(٢) رواه أحمد (٨٠٩٥)، وقال مخرِّجوه: حديث جيد. والترمذي (٢٣٠٥)، وقال: حديث غريب. وابن ماجه (٤١٩٣)، كلاهما في الزهد، والبخاري في الأدب المفرد (٢٥٢)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٥٠٦)، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩٤٢)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٥٥)، عن عبد الله بن زمعة.

(٤) رواه أحمد (٢٠٠٢١)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الأدب (٤٩٩٠)، والترمذي في الزهد (٢٣١٥)، وقال: حسن. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٤٤)، عن معاوية بن حيدة.

QaradawiBooks.com

ممَّ كان يبكي ﷺ ؟

لا شكَّ أنَّ عليه الصلاة والسلام كان يبكي، لكن من أيِّ شيء كان بكاؤه؟

كان يبكي خوفًا من الله عز وجل، وكان يبكي في تلاوته، وفي صلاته، حتَّى كانت دموعه تبلل لحيته، تقول عائشة: لما كان ليلة من الليالي قال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة، ذريني أتعبد الليلة لربي**». قلت: والله إنِّي لأحبُّ قُرْبَك، وأحبُّ ما سرَّك. قالت: فقام فتطهَّر، ثمَّ قام يُصلِّي. قالت: فلم يزلْ يبكي حتَّى بلَّ حجْره. قالت: ثمَّ بكى، فلم يزل يبكي حتَّى بلَّ لحيته. قالت: ثمَّ بكى، فلم يزل يبكي حتَّى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلمَّا رآه يبكي قال: يا رسولَ الله، لِمَ تبكي وقد غفر الله لك ما تقدَّم وما تأخَّر؟ قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا، لقد نزلت عليَّ الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** [آل عمران: ١٩٠]»[(١)].

ويبكي حزنًا على موت حبيب، كما بكى موت ابنه إبراهيم، وبكى على موت ابن ابنته، ويبكي على مَن مات مِن أصحابه.

يروي أنس مشهد موت إبراهيم ابن رسول الله ﷺ فيقول: لقد رأيتُ الصبيَّ وهو يَكِيدُ بنَفْسه بين يدي رسول الله ﷺ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ، فقال: «**تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلَّا ما يُرْضي ربَّنا، والله يا إبراهيم، إنَّا بك لمحزونون**»[(٢)].

---

(١) رواه ابن حِبَّان في الرقائق (٦٢٠)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو الشيخ في أخلاق النبي (٥٤٤).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٣٠٣)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٥)، عن أنس.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه: إن ابنًا لي قُبض، فأْتنا. فأرسل يقرئ السلام، ويقول: «**إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلٌّ عنده بأجل مسمًّى، فلتصبر، ولتحتسب**». فأرسلت إليه تقسم عليه لَيأتينَّها، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال، فرُفع إلى رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تتقعقع كأنها في شَنٍّ، ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسولَ الله، ما هذا؟ فقال: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنَّما يرحم الله من عباده الرحماء**»[(١)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ نعى جعفرًا وزيدًا قبل أن يجيء خبرهم وعيناه تذرفان[(٢)].

وعن عائشة، أنَّ رسولَ الله ﷺ قبَّل عثمان بن مظعون وهو ميت وهو يبكي. أو: وعيناه تُهْرَاقان[(٣)].

ويبكي رقَّةً لموقفٍ إنساني، فهو يتأثُّر بالمواقف الإنسانيَّة.

عن ابن مسعود قال: لما قتل زيد بن حارثة أبطأ أسامة عن النبيِّ ﷺ، فلم يأته، ثمَّ جاءه بعد ذلك، فقام بين يدي النبي ﷺ، فدمعت عيناه، فبكى رسول الله ﷺ، فلمَّا نزفت عبرته، قال النبي ﷺ: «**لِمَ أبطأت عنَّا، ثمَّ جئت تحزننا؟**». قال: فلمَّا كان الغد جاءه، فلمَّا رآه النبيُّ ﷺ مقبلًا قال: «**إنِّي لَلَاقٍ منك اليوم ما لقيت منك أمس**». فلمَّا دنا دمعت عينُه فبكى رسول الله ﷺ[(٤)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣)، كلاهما في الجنائز، عن أسامة بن زيد.

(٢) رواه البخاري في المناقب (٣٦٣٠).

(٣) رواه أحمد (٢٥٧١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود (٣١٦٣)، والترمذي (٩٨٩)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٤٥٦)، ثلاثتهم في الجنائز.

(٤) رواه عبد الرزاق في الجنائز (٦٦٩٨).

QaradawiBooks.com

وكما كان يبكي خوفًا فيما سبق؛ فقد كان يبكي شُكْرًا لنعمة الله، عن عائشة: لما كان ليلة من الليالي، قال لي النبي ﷺ: «**يا عائشة، ذريني أتعبد الليلة لربِّي**». قلت: والله إنِّي أحب ما سرَّك. قالت: فقام فتطهر، ثمَّ قام يصلي. قالت: فلم يزل يبكي حتَّى بلَّ حجره. قالت: ثمَّ بكى، فلم يزل يبكي حتَّى بلَّ لحيته. قالت: ثمَّ بكى فلم يزل يبكي حتَّى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلمَّا رآه يبكي قال: يا رسولَ الله، لِمَ تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا، لقد نزلت علي الليلة آيةٌ ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكَّر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾** [آل عمران: ١٩٠]»[(١)].

٣ ـ أنَّه يمزح كما يمزح النَّاس، ويَجِدّ كما يَجِدُّون:

كان رسول الله ﷺ برغم همومه الكثيرة والمتنوعة يمزح مع من حوله من الآل والأصحاب، ويحيا معهم حياة فطرية عاديَّة، يشاركهم في ضحكهم ولعبهم ومزاحهم، كما يشاركهم آلامهم وأحزانهم ومصائبهم.

يقول زيد بن ثابت، وقد طلبوا إليه أن يحدِّثهم عن حال رسول الله ﷺ، فقال: كنتُ جاره، فكان إذا نزل عليه الوحي بعث إليَّ فكتبته له، فكان إذا ذكرنا الدُّنيا ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا. قال: فكلُّ هذا أُحَدِّثُكم عن رسول الله ﷺ[(٢)].

وقد وصفه أصحابه بأنَّه كان من أفكه النَّاس[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٨٢.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٤٠/٥)، والأوسط (٨٦٩٧)، والبيهقي في النكاح (٥٢/٧)، وحسَّن إسنادَه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤١٩٩).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٦٣٦١)، والصغير (٨٧٠)، والبزار (٦٤٤١)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وكان ﷺ في بيته يمازح أزواجه ويداعبهنَّ، ويستمع إلى أقاصيصهنَّ، كما في حديث أُمِّ زَرْعٍ الشهيرِ في صحيح البخاري[١].

وقد ذكرنا تسابقه مع أُمِّنا عائشة رضي الله عنها، حيث سبقته مرَّة، وبعد مدَّة تسابقا، فسبقها، فقال لها: «**هذه بتلك**»[٢].

وقد روي أنَّه وطَّأ ظهره لسبطيه الحسن والحسين في طفولتهما، ليركبا ويستمتعا دون تزمت ولا تحرج، وقد دخل عليه أحد الصحابة ورأي هذا المشهد فقال: نعم المركب ركبتما. فقال عليه الصلاة والسلام: «**ونعم الفارسان هما**»[٣].

وفي رواية: أنَّه ﷺ كان يرفع الحسن بن علي برجليه فيقول له:

«**حُزُقَّة حُزُقَّة تَرَقَّ عين بَقَّة**»[٤]

كان يمزح ولا يقول إلَّا حقًّا:

وكان ﷺ يمزح ولا يقول إلَّا حقًّا، فنراه يمزح مع تلك المرأة العجوز الَّتي جاءت تقول له: ادع الله أن يدخلني الجنَّة، فقال لها: «**يا أُمَّ فلان، إنَّ الجنَّة لا يدخلها عجوز**». فبكَتِ المرأةُ حيثُ أخذتِ الكلام على ظاهره، فأفهمها: أنَّها حين تدخل الجنَّة لن تدخلها عجوزًا، بل شابة حسناء، يجرى عليها تصنيع أو تحسين إلٰهي جديد.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٨٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٨)، عن عائشة.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٥٦.

(٣) رواه البزار (٢٩٣)، وأبو يعلى كما في المطالب العالية (٣٩٦٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٠٧٨): رواه أبو يعلى في الكبير، ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزار بإسناد ضعيف. عن عمر بن الخطاب.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في الفضائل (٣٢٨٥٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٦٥٣)، والطبراني (٤٩/٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٠٤٠): رواه الطبراني وفيه أبو مزرد ولم أجد من وثقه، وبقية رجاله رجال الصحيح. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وتلا عليها قول الله تعالى في نساء الجنَّة: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٧][(١)].

وجاء رجل يسأله ﷺ أنْ يحمله على بعيرٍ، فقال له ﷺ: «**إنَّا حامِلُوكَ على ولد الناقة!**». فقال: يا رسولَ الله، وماذا أصنع بولد الناقة؟! انصرف ذهنه إلى الحوار الصغير، فقال ﷺ: «**وهل تلد الإبل إلَّا النوق؟**»[(٢)].

وقال زيد بن أسلم: إن امرأةً يُقال لها: أم أيمن، جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: إن زوجي يدعوك. قال: «**ومن هو؟ أهو الَّذي بعينه بياض؟**». قالت: والله ما بعينه بياض. فقال: «**بلى، إنَّ بعينه بياضًا**». فقالت: لا والله. فقال ﷺ: «**ما من أحد إلَّا بعينه بياض**»[(٣)]. وأراد به البياض المحيط بالحدقة.

يقول العقاد: «من سعة النفس أن ينهض الرجل بعظائم الأمور، بل بأعظمها جدًّا ووقارًا، وهو إقامة الأديان وإصلاح الأمم وتحويل مجرى التاريخ، ثمَّ يطيب نفسًا للفكاهة، ويطيب عطفًا على المتفكهين، ويشركهم فيما يشغلهم من طرائف الفراغ، فللجِدِّ صرامة تستغرق بعض النفوس فلا تتسع لهذا الجانب اللطيف من جوانب الحياة ... ولكن النفوس لا تستغرق هذا الاستغراق إلَّا دلت على شيء من ضيق الحظيرة ونقص المزايا وإن نهضت بالعظيم من الأعمال.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٥٥٤٥)، والترمذي في الشمائل (٢٤٠)، والبيهقي في البعث والنشور (٣٣٥)، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٣٧٥)، عن عائشة.

(٢) رواه أحمد (١٣٨١٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأدب (٤٩٩٨)، والترمذي في البر والصلة (١٩٩١)، وقال: صحيح غريب. عن أنس.

(٣) قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (١٠١٩/١): رواه الزبير بن بكار في كتاب (الفكاهة والمزاح)، وابن أبي الدنيا من حديث عبيدة بن سهم الفهري مع اختلاف.

QaradawiBooks.com

فاستراحة محمَّد إلى الفكاهة هي مقياس تلك الآفاق النفسية الواسعة الَّتي شملت كل ناحية من نواحي العاطفة الإنسانيَّة، وهي المقياس الَّذي يبدي من العظمة ما يبديه الجِدُّ في أعظم الأعمال.

وكان محمَّد يتفكَّه ويمزح كما كان يستريح إلى الفكاهة والمزاح، وكان دأبه في ذلك كدأبه في جميع مزاياه: يعطي كلَّ مزية حقَّها ولا يأخذ لها من حق غيرها، أو يعطي الفكاهة حقها، ولا ينقص بذلك من حق الصدق والمروءة... فكان مزاحه آية من آيات النبوة؛ لأنَّه كان كذلك آية من آيات الإنسانيَّة، ولم يكن بالنقيض الَّذي يستغرب من نبي كريم»[(١)].

وهكذا كان النبيُّ ﷺ إذا فرح لم يفرح بغير الحقِّ، وإذا حزن لم يخرجه حزنه عن الصبر والرضا، ويشارك أصحابه في مسراتهم، ولا يخرجه ذلك عن الوقار، ويضحكه بعض أصحابه فيضحك، ويمزح أحيانًا، ولكن لا يقول إلاَّ حقًّا، ويأذن للحبشة أن يرقصوا بحرابهم في مسجده[(٢)]، ويعرف طبيعة الأنصار، فيقول في عرس لأحدهم: «**أمَّا كان معهم لهو؟ فإنَّ الأنصار يعجبهم اللهو**»[(٣)].

جِدُّ النبيِّ ﷺ:

لم تكن حياة النبيِّ ﷺ في مرحلة من مراحلها حياة هزل أو ترف، وإنَّما كانت حياته ﷺ منذ نشأته حياة جد وخشونة، فقد مات أبوه وهو في بطن أُمِّه، ثمَّ لحقته أمُّه، فجَدُّه، فكفله عمُّه أبو طالب إلَّا أنَّه كان فقيرًا كثير العيال، فرعى النبي ﷺ الغنم في هذه السن الصغيرة، وفي

(١) عبقرية محمد ﷺ موسوعة العقاد (١٥٤/٢، ١٥٥).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٩٤٩، ٩٥٠)، ومسلم (٨٩٢)، كلاهما في صلاة العيدين، عن عائشة.

(٣) رواه البخاري في النكاح (٥١٦٢)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

الحديث: «**ما من نبـــي إلَّا وقد رعى الغنم**». قالوا: وأنت يا رســـول الله؟ قال: «**وأنا رعيتها بقراريط لأهل مكَّة**»[١].

«ثم كان من بعد ذلك يتجر في قليل من المال، أو في مال غيره حتَّى اشتهرت أمانته، ثمَّ اتجر في مال خديجة، وضاعفت له الأجر لما اشتهر به من أمانة وصدق، ولأنَّ الربح تضاعف على يديه.

ثم كان الزواج، وكان المال الوفير، ولكنَّه لم يكن جمَّاعًا للمال كانزًا له، فلـــم يُعرف أنَّه تكونت لـــه ثروة قط تقدر رأس مـــال، بل كان ينفق ما يدخر في أوجه الخير، من صلة رحم، وإعانة محتاج، وإغاثة ملهوف، ومشاركة لذوي الحاجات في شدائدهم ومعاونتهم على نوائب الدهر»[٢].

ثم اختاره الله للرســـالة الخاتمة، فتحمل ما لا تستطيعه الجبال الشم في سبيل دعوته ورسالته.

وكانت جدية النبي ﷺ صفة ملازمة له في شأنه كله، فقد عاش ﷺ بعيدًا عن حياة المترفين ولو في الشكل والصورة، يجلس كما يجلس العبد، ويأكل كما يأكل العبد. وهو في بيته يكون في مهنة أهله، وكان يخصف نعله بيـــده، ويرقع ثوبه، ويحلب شـــاته، ويطحـــن بالرحا، ويمشـــي مع الجارية والغلام، ويعيش مع النَّاس في السفر والحضر كواحد منهم.

كان جادًّا في هيئته وحديثه، يصفه هند ابن أبي هالة ربيب النبي ﷺ فيقول: كان رســـول الله متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة،

(١) رواه البخاري في الإجارة (٢٢٦٢)، عن أبي هريرة.

(٢) خاتم النبيين (٢٠٩/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

طويل السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه باسم الله تعالى، ويتكلم بجوامع الكلم، كلامه فصل، لا فضول ولا تقصير[١].

جادًّا في مشيته: إذا مشى أسرع في مشيته، كأنَّما ينحط من صبب[٢].

جادًّا إذا خطب، إذا خطب: احمرت عيناه وعلا صوته، واشتد غضبه، حتَّى كأنَّه منذر جيش، يقول: «**صبَّحكم ومسَّاكم**»[٣].

وكان يذبح أضحيته بيده، في حجة الوداع نحر ثلاثًا وستين بدنة بيده، وأعطى عليًّا لينحر بقية المائة[٤].

٣ ـ أنَّه يرضى كما يرضى النَّاس، ويغضب كما يغضبون:

كان النبي ﷺ يرضى ويغضب ككل البشر، إلَّا أن رضاه وغضبه كانا في ذات الله.

وكان ﷺ في رضاه وغضبه لا يعدو الحقَّ والصدق والرشاد، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: كنتُ أكتب كلَّ شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه؟ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن

(١) رواه الترمذي في الشمائل (٢٢٦)، تحقيق سيد بن عباس الجليمي، نشر المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م. والطبراني (١٥٥/٢٢)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٥٦٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٠٢٦): رواه الطبراني، وفيه من لم يسم. وضعَّفه الألباني في فقه السيرة (٢٠٢)، عن هند بن أبي هالة التميمي.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٥٥.

(٣) رواه مسلم في الجمعة (٨٦٧)، وابن ماجه في المقدمة (٤٥)، عن جابر.

(٤) عن جابر، قال: نحر رسول الله ﷺ بيده ثلاثة وستين، ثم أعطى عليًّا فنحر ما غبر. رواه أحمد (١٤٤٤٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو يعلى (٢١٢٦).

QaradawiBooks.com

الكتاب ـ أي الكتابة ـ فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بإصبعه إلى فيه، فقال: «**اكتب فوالذي نفْسي بيده ما يخرج منه إلَّا حقٌّ**»(١).

نماذج من رضا النبي ﷺ:

لقد تمثل خُلُق الرضا في شخصيَّة النبي محمَّد ﷺ بأوفى معانيه؛ لأنَّه ﷺ أكمل النَّاس علمًا بالله تعالى، وأعظمهم إيمانًا به سبحانه وبقضائه وقدره وحسن تدبيره لمخلوقاته، وكان يترجم عن ذلك بأقواله وأفعاله ﷺ.

رضاه ﷺ عما كان يصيبه في الدعوة إلى دين الله:

لقد كان النبي ﷺ يُواجه من المشركين في دعوتهم إلى الله تعالى الصدَّ والإعراض وشدة الإيذاء له ولأصحابه الكرام رضي الله عنهم، ومع ذلك كان ﷺ كامل الرضا بقضاء الله تعالى له بذلك، ولم يختر غير ما أراده الله تعالى مع شدَّة البلاء الَّذي جرت به سنة الله للدعاة إليه؛ من الأنبياء والمرسلين، والدعاة المخلصين، مع طول المدة، وغرور الكفار، وقلة الناصر من الناس.

ومن أمثلة ذلك:

أنَّه لما قفل من الطائف وقد أوذي في الله أشد الإيذاء، حيث رد عليه ساداتها أشنع رد، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم فرموه حتَّى أدموا عقبيه الشريف، وقد كان لهذا أعظم وقع على نفسه وأشده، حتَّى عبر ﷺ عن ذلك كما في الصحيح عند البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت لرسول الله ﷺ: يا رسولَ الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟

(١) رواه أحمد (٦٥١٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في العلم (٣٦٤٦)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٥٣٢).

QaradawiBooks.com

فقال: «**لقد لقيت من قومك وكان أشــدُّ ما لقيت منهم يوم العقبة...**»[١]. ومع ذلك لم يزد على أن قال: «**اللهمَّ أشــكو إليــك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهوانــي علــى النَّاس، أنــت أرحــم الراحميــن، وأنت ربُّ المســتضعفين، وأنت ربِّي، إلى من تكلُني؟ إلى بعيد يتجهَّمني، أم إلى قريبٍ وكَّلته أمري؟! إن لــم يكن بك عليّ غضــب فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الَّذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمــر الدُّنيا والآخــرة من أن تُنزل بــي غضبَــك، أو أن يحلَّ عليّ سخطك. لك العُتبَى حتَّى ترضى**»[٢].

وهنا يتجلى لنا رضا النبي ﷺ الَّذي لم يجزع من ذلك، ولم يسخط ولم يتبرم، ولم يقل لن أصنع شيئًا بعد الآن، ولن أدعو النَّاس، ولم يدع على النَّاس ولم يدع على نفسه كما يحصل من النَّاس أحيانًا عندما تلم بهم هذه المشكلات، فيدعون على أنفسهم بالويل والثبور وعظائم الأمور بل كان التجاؤه إلــى الله ﷻ وتبتله إليه وإعلانه برضــاه عما يجري به قضاء الله وقدره، وإعلانه أن أهم شيء وأوكد أمر وأعظم عناية عنده إنَّما هي برضا الله ﷻ فإن كان الله راضيًا عنه فلا يبالي ما يلقى في الدُّنيا من أذى وعناء ومشقة وبلاء مهما كان عظيمًا.

رضاه ﷺ بشظف العيش وخشونة الحياة:

ومن الرضا في حياة النبي ﷺ رضاه بما اختاره الله تعالى له من ضيق ذات اليــد، وقلة الرزق، وشــظف العيــش، فقد كان يمــر ببيته الهلال

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٣١)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٩٥).

(٢) رواه الطبراني (٧٣/١٣)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٨٣٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨٥١): فيه ابن إسحاق، وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات. وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٢٩٣٣)، عن عبد الله بن جعفر.

QaradawiBooks.com

والهـــلالان والثلاثة ما يوقد في بيتـــه نار. يعني ليس هنـــاك طبخ، قيل لعائشة: فما كان طعامكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء[١].

والنبي ﷺ كما ورد في سنن الترمذي ما أكل من نخالة الدقيق ـ يعني خبزًا ـ قـــط[٢]. يعني الدقيق المنقى، وكانت حالـــه عليه الصلاة والسلام على هذا النحو، وكان بإمكانه أن يحوز ثروة الدُّنيا كلها، ولكنَّه كان يرضى بقسم الله عز وجل، وبما قُـــدِّر له من ذلك، كما في يوم الخندق حيـــن ربطوا الأحجار على بطونهم، قال جابر: فبدا بطن النبي ﷺ فإذا هو رابط حجرين عليه الصلاة والسلام[٣]، ثمَّ ماذا يقول ﷺ بعد ذلك كله؟ «**اللهمَّ اجعل رزق آل محمَّد قوتًا**»[٤].

ولما دخل عمر بن الخطاب مرَّة على النبي عليه الصلاة والسلام وكان مضطجعًا على حصير جاف فلمَّا استيقظ إذا بأثر الحصير على رقبته عليه الصلاة والسلام فبكى عمر، ثمَّ قال: ملوك فارس والروم في النعيم المقيم، ومحمد ﷺ ينام على حصير لا يجد له غطـــاء يقيه منه؟ فقال له النبي ﷺ: «**أولئـــك قومٌ عُجِّلت لهم طيِّباتهم في حياتهم الدنيا**»[٥].

رضاه ﷺ على مصائب الدنيا:

أمَّا رضاه بما يبتليه الله تعالى به من ابتلاءات الدُّنيا في النفس أو المال أو البنين أو الأقارب، فكان على ذلك النحو من الرضا كمالًا وتمامًا كما رأينا فيما ناله من الأذية في نفسه من جراء دعوته إلى الله تعالى.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الهبة وفضلها (٢٥٦٧)، ومسلم في الزهد (٢٩٧٢)، عن عائشة.

(٢) رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٨٥)، والترمذي في الزهد (٢٣٦٣)، عن أنس. بلفظ: ما أكل النبي ﷺ خبزًا مرققًا، ولا شاة مسموطة حتى لقي الله.

(٣) رواه أحمد (١٤٢٢٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٦٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٥٥)، عن أبي هريرة.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٦٨)، ومسلم في الطلاق (١٤٧٩)، عن عمر.

غير مراجعة للطباعة
نسخة علمية
QaradawiBooks.com

رضاه يوم وفاة ولده إبراهيم:

عندما مات ابنه إبراهيم، وكلنا نعلم كم يتعلق المرء بالأبناء سيَّما إن كانوا صغارًا وفي سن الرضاع، وكان ﷺ لم يرزق من الأبناء الذكور إلَّا القاسم وقد مات، وجاء إبراهيم من بعد وكان النبي عليه الصلاة والسلام قد بلغ من السنِّ مبلغًا كبيرًا، والتعلق حينئذ يكون أعظم وأكبر، وقدَّر الله عز وجل لحكمة بالغة يعلمها سبحانه وتعالى أن يموت إبراهيم، وأُخبر بذلك النبي ﷺ، ونحن نعرف رهبة الموت وعظمة تأثيره على النفوس، فكيف بـه في الأقربين؟ وكيف به في الأبناء؟ وكيف به في الصغار؟

الصغار ترقُّ لهم القلـوب، وتحزن لأجلهم لأنَّهـم يمثلون البراءة، ويرى المرء فيهم أملًا يذوي، ونورًا ينطفئ، وحينئذ قال النبي عليه الصلاة والسلام قولته المشـهورة المحفوظة: «**إنَّ العين تدمع، وإنَّ القلب يحزن، ولا نقول إلَّا ما يرضى ربنا، وإنَّا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[1].

وهذا من أعظم رضا النبي ﷺ فإنَّ الأبناء فلذة من الكبد، وثمرة في الفؤاد، ولا شـكَّ أنَّ الصابر المحتسـب فضلًا عن الراضي، ينال أعظم الأجر والمثوبة من الله عز وجل.

وقد أصيـب النبي ﷺ في بعـض أقاربه وهم حولـه وبين يديه يدافعون عنه وعن دعوته، فلم يتبـرم لذلك، بل جاء أنَّه قال في حق عمه أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المُطَّلِب رضي الله عنه الَّذي استشهد بأحد، ومُثِّل به أيَّما تمثيل، فما زاد على أن قال: «**رحمة الله عليك إن كنت ما علمتك إلَّا وصولًا للرحـم، فعولًا للخيرات، والله لولا حزنُ**

(١) سبق تخريجه صـ٣٧٩.

QaradawiBooks.com

مَنْ بعدك عليَّ لسرَّني أن أتركَكَ حتَّى يحشرك الله في بطون السباع...»[١].

رضاه ﷺ بعطاء الله له:

لقد أعطى الله تعالى رسوله ﷺ من كرامات الدُّنيا والآخرة بما يرضى به عن الله تعالى، كما قال الله تعالى له: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥].

أي من خيرات وفضائل ومقوِّمات حتَّى يرضى، بعضها يكون في الدُّنيا من كمال الدين، وظهور الأمر، وفي الآخرة بالشفاعة العظمى، والموقف المشهود، واللواء المعقود، والمقام المحمود، والحوض المورود، والشفاعة لعصاة المؤمنين، وألا يبقى أحد من أمته من أهل التوحيد في النار، للحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنَّ النبيَّ ﷺ: تلا قول الله ﷻ في إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦] الآية، وقول عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨]، فرفع يديه وقال: «**اللهمَّ أُمَّتي أُمَّتي**». وبكى، فقال الله: «**يا جبريل، اذهب إلى محمَّد، فقل: إنَّا سنرضيك في أمتك، ولا نسوؤك**»[٢].

وعن عبد الله بن أبي طلحة، عن أبيه، أنَّ رسولَ الله ﷺ جاء ذات يوم والبشر يُرى في وجهه، فقال: «**إنَّه جاءني جبرئيل، فقال: أمَّا يرضيك يا محمَّد ألَّا يصلي عليك أحدٌ من أُمَّتِك إلَّا صلَّيت عليه عشرًا، ولا يُسلِّم عليك أحدٌ من أُمَّتك إلَّا سلَّمتُ عليه عشرًا**»[٣].

---

(١) سبق تخريجه صـ٣١٨.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٢٠٢).

(٣) رواه أحمد (١٦٣٦٣)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والنسائي في السهو (١٢٩٥)، وابن حبان في الرقائق (٩١٥)، والحاكم في التفسير (٤٢٠/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

رضا النبي ﷺ عن أصحابه:

في غزوة العسرة غزوة تبوك، دعا النبي ﷺ أصحابه للبذل والإنفاق، فجاء عثمان بألف دينار فصبها في حجر رسول الله ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ، يدخل يده فيها ويقلبها ويقول: «**ما ضر ابن عفَّان ما عمل بعد اليوم. اللهمَّ لا تنس هذا اليوم لعثمان**»[١]. وفي رواية: «**اللهمَّ إنِّي قد رضيتُ عن عثمان فارض عنه**»[٢].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رضيتُ لأُمَّتي ما رضي لها ابن أمِّ عبدٍ**»[٣].

قال المناوي: وإنَّما رضي لأُمَّته ما رضيه لها لأنَّه كان يشبهه في مشيه وسمته وهديه[٤].

دعاؤه ﷺ أن يرزقه الرضا عن الله سبحانه:

ومع ما كان عليه ﷺ من كمال الرضا عن الله تعالى في كل أحواله، فقد كان دائب الدعاء أن يرزقه الله تعالى المزيد من الرضا والثبات الدائم عليه.

فكان من دعائه ﷺ: «**... وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذَّة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى**

---

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (٨٦٢)، عن ابن عمر.

(٢) رواه أبو نعيم في فضائل الخلفاء الراشدين (٣٢)، عن عائشة.

(٣) رواه البزار (١٩٨٦)، والطبراني في الأوسط (٦٨٧٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٥٦٨): رواه البزار، والطبراني في الأوسط باختصار الكراهة، ورواه في الكبير منقطع الإسناد. وفي إسناد البزار محمد بن حميد الرازي وهو ثقة، وفيه خلاف، وبقية رجاله وثقوا.

(٤) فيض القدير (٣٣/٤).

QaradawiBooks.com

لقائك، في غير ضرَّاء مُضِرَّة، ولا فتنة مُضِلَّة، اللهمَّ زيِّنَّا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»[١].

وكان ﷺ لا يغضب إلَّا لله، وإذا تعرض لما يغضِبه كظم غيظه وكفَّ نفسه، خدمه أنس بن مالك الأنصاري عشر سنين، والخادم هو أكثر من يتعرَّض لغضب سيده، فهو يعاشره الليل والنهار، فالمُصابحة والمُماساة جديرة بأن يكون فيها ما يغضب، وبأن يكون فيها ما يستفزُّ النفس، ولكن يقول أنس: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أف، ولا: لم صنعت؟ ولا: ألا صنعت[٢]، ولكن كان يقول: ما قُضي كان.

وقد وصفه هند بن أبي هالة فقال: لم يكن يغضب إلَّا لله، فإذا انتُهِكَت حرمات الله، لم يقم لغضبه شيء[٣].

وتقول عائشة رضي الله عنها: ما ضرب بيده امرأة له قط، ولا خادمًا له قط، ولا ضرب بيده شيئًا قط إلَّا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خُيِّر بين أمرين إلَّا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد النَّاس منه، وما انتقم لنفسه إلَّا أن تنتهك حرمة الله عزَّ وجلَّ، فينتقم لله[٤].

أغضبته جارية يومًا، فقال لها مهدِّدًا وقد أبطأت عليه في أمر يحتاجه: «**والله لولا القصاص يوم القيامة، لأوجعتُك بهذا السواك**»[٥]. بالسواك! لا بالسوط والعصا!

---

(١) سبق تخريجه صـ٢١١.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٣٨)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٩)، عن أنس.

(٣) سبق تخريجه صـ٣٨٩. وفيه: «يتكلم بجوامع الكلم».

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٢٦)، ومسلم الفضائل (٢٣٢٧).

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٨٤)، وأبو يعلى (٦٩٤٤)، والطبراني (٣٧٦/٢٣)، وجوَّد إسناده الهيثمي في المجمع (١٨٤١١)، وضعَّفه الألباني في الصحيحة (٤٣٦٣)، عن أم سلمة. ولكن القود (يوم القيامة) ثابت بأحاديث أخرى صحاح.

QaradawiBooks.com

يقول الأستاذ العقاد: «ولم يستبح في غضبه ما يستبيحه المعلم والوالد من ضرب وتعزير.. وربَّما كانت كلماته للخادم المخالف أقرب إلى الملاطفة منها إلى العقاب، ومن ذلك قصة الوصيفة الَّتي أرسلها فأبطأت في الطريق، فما زاد على أن قال لها حين عادت: «**لولا خوف القصاص لأوجعتك بهذا السواك**».

ضرب سواك لابن عزيز ليس بالشيء الكثير.

ولكن محمدًا يخشى القصاص إذا استباحه في معاملة وصيفة تهمل أمره، وهو الَّذي لا يُهْمَل له أمر عند سادة الشرفاء.

وروى أنس أنَّ النبيَّ أرسله في حاجة فانحرف إلى صبيان يلعبون في السوق:

وإذا رسول الله ﷺ قد قبض ثيابي من ورائي، فنظرت إليه ﷺ وهو يضحك، فقال: «**يا أُنَيْس، أذَهَبْتَ حيث أمرتك؟!**»[(١)]. كلمة أمر لا يقولها لخادمه إلَّا وقد ناداه مدلِّلًا، وقابله ضاحكًا كأنَّه يعتب على قرين، وقد يُلام القرين بأشدِّ من هذا الملام»[(٢)].

وجاءه رجل وهو يقسِّم الغنائم يومًا، وكان أعرابيًّا لم يُهذبه الإسلام، فقال: يا محمد! هذه قسمة ما أُريد بها وجه الله. فتغيَّر وجه النبي ﷺ، ثمَّ قال: «**رحم الله أخي موسى، لقد أُوذي أكثر من هذا فصبر**»[(٣)].

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٣١٠).

(٢) عبقرية محمد ضمن موسوعة عباس محمود العقاد (١٤١/٢، ١٤٢).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٠٥)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٢)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

وكان رسول الله ﷺ أبعد النَّاس غضبًا وأسرعهم رضًا، ﷺ، كما وصفه القاضي عياض[١].

مواقف غضب فيها النبيُّ ﷺ:

رأيناه ﷺ يغضب ممَّن يشدد على النَّاس، ولا يراعي ظروفهم المختلفة، كما فعل مع بعض الصحابة الَّذين كانوا يؤمُّون النَّاس، ويطيلون في الصلاة، طولًا اشتكى منه بعض مأموميهم.

عن أبي مسعود رضي الله عنه: أنَّ رجلًا قال: والله يا رسولَ الله، إنّي لأتأخَّر عن صلاة الغداة من أجل فلان، ممَّا يطيل بنا، فما رأيتُ رسول الله ﷺ في موعظة أشدَّ غضبًا منه يومئذ، ثمّ قال: «**إنَّ منكم منفِّرين، فأيُّكم ما صلَّى بالنَّاس فليتجوَّز، فإنَّ فيهم الضَّعيف والكبير وذا الحاجة**»[٢].

وأنكر على معاذ بن جبل تطويله، وقال له: «**أفتَّان أنت يا معاذ؟ أفتَّان أنت يا معاذ؟ أفتَّان أنت يا معاذ؟**»[٣].

وغضب النبي ﷺ لما علم بما أمر به خالد من قتل أسرى جذيمة حتَّى رفع يديه وقال: «**اللهمَّ إنِّي أبرأ إليك ممَّا صنع خالد**» مرَّتين[٤].

وكان يغضب لكل تنطع وتشدد يخرج الإسلام عن وسطيته، تقول عائشة رضي الله تعالى عنها: كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم أمرهم من الأعمال ما يطيقون. قالوا: إنَّا لسنا كهيئتك يا رسولَ الله، إنَّ الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/١١٠).
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٥٩)، ومسلم في الصلاة (٤٦٦).
(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٠٥)، ومسلم في الصلاة (٤٦٥)، عن جابر بن عبد الله.
(٤) رواه البخاري في المغازي (٤٣٣٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

وما تأخَّر، فيغضب حتَّى يعرف الغضب في وجهه، ثمَّ يقول: «**إنَّ أتقاكم وأعلمكم بالله أنا**»(١).

وغضب النبي ﷺ على الَّذين اختصموا في القرآن، وضربوا آياته بعضها ببعض، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: هجَّرت (أي بكرت) إلى رسول الله ﷺ يومًا، قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ، يُعرف في وجهه الغضب، فقال: «**إنَّما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب**»(٢).

كره رسول الله ﷺ أن يكون المراء واللدد في الخصومة حول (القرآن) الَّذي أنزله الله ليحكم بين النَّاس فيما اختلفوا فيه، فإذا أصبح هو مثارًا للاختلاف، فما المعيار الَّذي يحتكم النَّاس إليه؟ وما المرجع الَّذي يعولون عليه؟ ولا سيما إذا كان الاختلاف حول العقائد وأصول الدين.

عن أبي هُرَيْرة رضي الله تعالى عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتَّى احمرَّ وجهه، كأنَّما ألقي على وجهه حبّ الرمّان، حتَّى أقبل علينا فقال: «**أبهذا أُمرتم أم بهذا أُرسلت إليكم؟ هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألَّا تفعلوا**»(٣).

وغضب النبي ﷺ وفاء لزوجته خديجة الَّتي ماتت لكن ذكراها لم تمت في نفس رسول الله، لقد ظل وفيًّا لها طوال حياته، يحن لذكراها ويهش لأهلها، ويكرم صديقاتها، حتَّى إن عائشة أحبُّ أزواجه إليه بعدها

(١) رواه البخاري في الإيمان (٢٠)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في العلم (٢٦٦٦).

(٣) رواه الترمذي في القدر (٢١٣٣)، واستغربه، وأبو يعلى (٦٠٤٥)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترمذي (١٧٣٢).

QaradawiBooks.com

لتغار منها في قبرها. قالت: إنَّ رسول الله ﷺ ذكر خديجة، فقلت: لقد أعقبك الله ﷻ من امرأة من نساء قريش، حمراء الشِّدْقَيْن، هلكت في الدهر. قالت: فتمعرَّ وجهُه تمعُّرًا ما كنتُ أراه إلَّا عند نزول الوحي، أو عند المُخِيلة حتَّى ينظر أرحمةٌ أم عذاب[1].

وصف غضب النبي ﷺ وسروره:

وكان رسول الله ﷺ أبعد النَّاس غضبًا، وأسرعهم رضًا، ﷺ، وكان لطيف الظاهر والباطن يُعْرَفُ فِي وجهه غضبه ورضاه، إذا غضب احمرَّ وجهه كأنَّما فُقِئ في وجهه حبّ الرمّان، وإذا سرَّه الأمر استنار وجهه كأنَّه دارة القمر وبرقت أساريره.

وكان إذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غضَّ طرفَه.

٤ ـ أنَّه يأكل كما يأكل النَّاس، ويشرب كما يشربون:

اقتضت مشيئة الله أن يجعل في الأرض خليفة، وأن يكون هذا الخليفة بطبيعته قادرًا على تسخير الأرض والانتفاع بها وعمرانها، وإظهار حكمة الله فيها، بجوار قدرته على السجود والتحليق والاتصال بالملأ الأعلى، فلا غرو أن كانت طبيعة هذا الخليفة الإنسان مادية وروحية معًا، فله جسمه الكثيف، وله رُوحه الشفافة، له غرائزه الَّتي تهبط به إلى الأرض، وله أشواقه الَّتي تحلِّق به إلى

(١) والمخيلة هي السحابة التي يظن أنَّها ستمطر، كان النبي ﷺ إذا رآها تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت، سُرِّيَ عنه، فعرفت ذلك في وجهه. والحديث رواه أحمد (٢٥١٧١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٠٠٨)، عن عائشة. وأصل الحديث متَّفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٢١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣٧).

QaradawiBooks.com

السماء، له شهوته الَّتي تلحُّ عليه في الطعام والشراب، وله قلبه الَّذي يتطلَّع إلى نور الهداية.

ولم يكن من الحكمة أن يخلق الله الإنسان هكذا، جسمًا من طبيعته أن يأكل ويشرب وينكح، ثمَّ يقول للإنسان: لا تأكل ولا تشرب ولا تنكح. إن هذا ينافي الحكمة في خلق الإنسان على هذا الوجه، وتعالى الله أن ينافي حكمه حكمته، ويصادم تشريعه تكوينه، ويناقض أمره خلقه، وهو صاحب الخلق والأمر، تبارك الله ربُّ العالمين.

هذه الطبيعة واحدة في كل البشر حتَّى صفوتهم الأنبياء الَّذين يتصلون بالملأ الأعلى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨].

وقد أنكر الله في قرآنه على الَّذين عجبوا أن يأكل النبي الطعام، وما كان لهم أن يعجبوا ما دام النبي بشرًا كسائر بني آدم، ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

ولولا أنَّ النَّاس أفسدوا دين الله، وأدخلوا فيه ما ليس منه، وشوَّهوا فيه ما كان منه، ما كان لذكر هذه القضية ومثلها في الدين من وجه، فإنَّها من مقتضى الفطرة، وموجب الطبيعة الإنسانيَّة، وما كانت تحتاج إلى وحي سماوي، أو نداء تشريعي، فإنَّ الدِّين لا يدعو الإنسان إلى ما ينساق إليه بطبيعته، ويندفع إليه بحكم غريزته، وكفى بالطبع سائقًا، وبالغريزة دافعًا!

وقد اهتمَّت كتب السنن والسير بنقل هذه الخصيصة البشريَّة في رسول الله ﷺ، ونقل هديه في مطعمه ومشربه.

QaradawiBooks.com

هدي النبيِّ ﷺ في أكله وشربه:

كان يأكل بيمينه، ويشرب بيمينه، فقد كان يجعل اليسرى للاستنجاء ونحوه، واليمنى للأكل والشرب والمصافحة ونحوها. وهذا أدعى إلى المحافظة على النظافة.

وكان يحبُّ التيامن (البدء اليمين) في كلِّ شيء، في وضوئه إذا توضَّأ، وفي اغتساله إذا اغتسل، وفي ترجيل شعره إذا رجَّله، وفي لُبس نعله إذا تنعَّل[1]، تفاؤلًا بأن يكون من أصحاب اليمين لا من أصحاب الشمال.

وكان يأكل ولا يسرف، كما أمر الله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وكان ينصح الأُمة بذلك: «**كُلُوا واشربوا، والبسوا وتصدَّقوا، في غير إسراف ولا مَخِيلَةٍ**»[2]، فوضع قيدًا ظاهرًا، يتعلَّق بالكمِّ، للإسراف، وقيدًا باطنًا يتعلَّق بالكيف، فلا مَخِيلَةٍ، أي لا اختيال ولا كبر. بل يشكر الله تعالى على نعمته، ويسأله المزيد منها.

وكان من نصائحه الحكيمة للأمة: «**ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًّا من بطنه، فإن كان ولا محالة فاعلًا، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**»[3].

---

(١) عن عائشة، قالت: كان النبي ﷺ «يعجبه التيمن، في تنعله، وترجله، وطهوره، وفي شأنه كله» متَّفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (١٦٨)، ومسلم في الطهارة (٢٦٨).

(٢) ذكره البخاري معلقًا بصيغة الجزم (١٤٠/٧). وقد وصله أحمد (٦٦٩٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي في الزكاة (٢٥٥٩)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٣) رواه أحمد (١٧١٨٦)، وقال مخرّجوه: رجاله ثقات، غير أن يحيى بن جابر الطائي تكلموا في سماعه من المقدام، فإن صح سماعه منه فالحديث صحيح، وإلا فمنقطع. والترمذي في الزهد (٢٣٨٠)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٤٩)، والحاكم في =

QaradawiBooks.com

ويقول: «**المؤمن يأكل في مِعًى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء**»[١] كناية عن شرهه، وأنَّ همَّه في بطنه وشهوته.

وكانت حياته كلُّها حياة بسيطة سهلة، ليس فيها رفاهية ولا تكلُّف، كما ليس فيها مبالغة في التقشُّف. فكان يأكل على الأرض، ويجلس على الأرض، لا على خوان ـ أيْ مائدة مستطيلة أو مستديرة ـ وكان يأكل بيده، بلا ملعقة ولا شوكة. وكان يأكل بأصابعه الثلاثة لا بالخمسة. ولا يبقي في الصحفة شيئًا، بل يلعق أصابعه، ويأمر أصحابه بلعق الصحفة[٢]، وليس كالَّذين يتركون ربع صحونهم أو نصفها تلقى في القمامة.

وكان يحبُّ الطعام الطيِّب، ويقبل عليه، ولا يذمُّ ما ليس بطيِّب، والطيِّب غالبًا هو ما يستطيبه قومه ممَّا ذكر الله في سورة النحل، من لحوم الأنعام، وممَّا يصطاد من البحر، وممَّا يخرجه الله من بطون الأنعام بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين، ومن ثمرات النخيل والأعناب، وممَّا يخرجه الله من بطون النحل من شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس.

ولم يكن الضبُّ من المأكولات الشائعة في قريش، ولذلك حين قُدِّم له لم يأكل منه، وقد يترك الطعام لخُبْث رِيحِه، فكان لا يقرب البصل والثُّوم، فقيل له في ذلك، فقال: «**إنِّي أناجي من لا تناجون**»[٣].

= الرقاق (٣٣١/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٥٢٨/٩)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٢٦٥)، عن المقدام بن معديكرب.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٩٣)، ومسلم في الأشربة (٢٠٦٠، ٢٠٦١)، عن ابن عمر.

(٢) عن أنس، أنَّ النبي ﷺ كان يلعق أصابعه الثلاث إذا أكل، وقال: «**إذا وقعت لقمة أحدكم، فليمط عنها الأذى، وليأكلها، ولا يدعها للشيطان، وليسلت أحدكم الصحفة، فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة**». رواه مسلم في الأشربة (٢٠٣٤)، وأحمد (١٢٨١٥).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٣٥٩)، ومسلم في المساجد (٥٦٤)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

وكان يعجبه من لحم الشاة الذراع[١]، ويعجبه الدُّبَّاء (القرع) ويتتبعه في الصحفة[٢]، وكان يعجبه الحلو البارد ممَّا يتناوله النَّاس[٣].

قال ابن القيِّم: «كان هديه ﷺ وسيرتُه في الطعام: أن لا يردُّ موجودًا، ولا يتكلَّف مفقودًا، فما قُرِّب إليه شيء من الطيبات إلَّا أكله، إلَّا أن تعافَه نفسُه، فيتركَه من غير تحريم.

وما عاب طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإلا تركه، كما ترك أكل الضبِّ لمَّا لم يَعْتَدْه، ولم يحرمه على الأُمَّة، بل أكل على مائدته وهو ينظر.

وأكل ﷺ الحلوى والعسل، وكان يُحبهما، وأكل لحم الجزور والضأن، والدجاج ولحم الحُبارى، ولحم حِمار الوحش، والأرنب، وطعام البحر، وأكل الشواء. وأكل الرُّطب والتمرَ، وشرب اللبنَ خالصًا ومشوبًا [أي مخلوطًا بالماء]، والسويق[٤]، والعسل بالماء، وشرب نقيع التمر، وأكل الخَزِيرَة[٥]، وهي حَسَاء يتخذ من اللبن والدقيق، وأكل القِثَّاء بالرُّطَبِ، وأكل الأَقِطَ، وأكل التمر بالخبز، وأكل الخبز بالخل، وأكل الثريد وهو الخبز باللحم، وأكل الخبز بالإهالة ـ وهي الوَدَك، وهو الشحم المذاب ـ وأكل من الكَبِد المَشْوِيَّة، وأكل القَدِيْد، وأكل الدُّبَّاء

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٠)، ومسلم في الإيمان (١٩٤) (٣٢٨)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٠٩٢)، ومسلم في الأشربة (٢٠٤١)، عن أنس.

(٣) رواه أحمد (٢٤١٠٠)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي (١٨٩٥)، وصحَّح إرساله، والنسائي في الكبرى (٦٨١٥)، والحاكم (١٣٧/٤)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الأشربة، عن عائشة.

(٤) طعام متخذ من طعام يصنع من دقيق الحنطة أو الشَّعير.

(٥) لحم يقطع صغارًا ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذر عليه الدقيق.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(القرع) المطبوخة، وكان يحبها، وأكل المسلوقة، وأكل الثريد بالسمن، وأكل الجُبْن، وأكل الخبز بالزيت، وأكل البِطِّيخ بالرطب، وأكل التمر بالزُّبْد، وكان يحبه.

ولم يكن ﷺ يردُّ طيِّبًا، ولا يتكلفه، بل كان هديه أكلَ ما تيسر، فإن أعوزه، صَبَرَ حتَّى إنَّه ليربِط على بطنه الحجر من الجوع، ويُرى الهلالُ والهلالُ والهلالُ ولا يوقد في بيته نار.

وكان معظمُ مطعمه يُوضع على الأرض في السُّفْرة، وهي كانت مائدته.

وكان يأكل بأصابعه الثلاث، ويلعَقُها إذا فرغ، وهو أشرفُ ما يكون من الأكلة، فإنَّ المتكبِّر يأكل بأصبع واحدة، والجَشِعُ الحريصُ يأكل بالخمس، ويدفع بالراحة.

وكان لا يأكل مُتَّكِئًا، والاتكاء على ثلاثة أنواع، **أحدها**: الاتكاء على الجنب، **والثاني**: التربع، **والثالث**: الاتكاء على إحدى يديه، وأكله بالأخرى، والثلاث مذمومة.

وكان ﷺ يذكر الله تعالى في كل أوقاته، وكل أحواله، لا ينسى أنَّه يحمده على إحسانه، ويشكره على نعمائه، فكان يسمي الله تعالى على أوَّل طعامه، ويحمده في آخره، فيقول عند انقضائه: «**الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه غير مَكْفِيٍّ ولا مُوَدَّع ولا مُسْتَغْنًى عنه ربنا**»[1]. وربَّما قال: «**الحمد لله الَّذي يُطْعِم ولا يُطْعَم، منَّ علينا فهَدَانا، وأطعمنا وسقانا، وكُلَّ بلاء حَسَنٍ أبلانا، الحمد لله الَّذي أطعم من الطعام، وسقى من الشراب، وكسا من العُرْي، وهدى من**

(١) رواه البخاري في الأطعمة (٥٤٥٨)، عن أبي أمامة.

QaradawiBooks.com

الضلالة، وبصَّر من العَمَى، وفَضَّل على كثير ممَّن خلق تفضيلًا، الحمد لله رب العالمين»[(١)].

وربما قال: «**الحمد لله الَّذي أطعم وسقى، وسَوَّغه، وجعل له مخرجًا**»[(٢)].

[وعلَّم ربيبه عمر بن أبي سلمة فقال: «**سمِّ الله، وكُلْ ممَّا يليك**»][(٣)].

وكان إذا فرغ من طعامه لَعِق أصابعه، ولم يكن لهم مناديلُ يمسحون بها أيديهم، ولم يكن عادتهم غسلَ أيديهم كلما أكلوا.

وكان أكثرُ شربه قاعدًا، وشرب مرَّة قائمًا. فقيل: هذا نسخ لنهيه، وقيل: بل فعله لبيان جواز الأمرين.

روى البخاري من حديث عليٍّ رضي الله عنه، ولفظه: أتى عليٌّ رضي الله عنه على باب الرحبة، فشرب قائمًا، فقال: إنَّ ناسًا يكره أحدهم أن يشرب وهو قائم، وإنِّي رأيت النبي ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت[(٤)].

وكان ﷺ إذا شرب، ناول مَنْ على يمينه، وإن كان مَنْ على يساره أكبرَ منه»[(٥)].

---

(١) رواه النسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٠٦٠)، وابن حبان في الأطعمة (٥٢١٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. والحاكم في الدعاء (٥٤٦/١)، وصحَّحه على شرط مسلم. عن أبي هريرة.

(٢) رواه أبو داود في الأطعمة (٣٨٥١)، والنسائي في الكبرى في الأشربة المحظورة (٦٨٦٧)، وابن حبان في الأطعمة (٥٢٢٠)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الصحيح. عن أبي أيوب الأنصاري.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٧٦)، ومسلم في الأشربة (٢٠٢٢)، عن عمر بن أبي سلمة.

(٤) رواه البخاري في الأشربة (٥٦١٥).

(٥) زاد المعاد (١٤٤/١).

QaradawiBooks.com

وكان إذا فرغ من الشـــرب حمد الله تعالى، وقـــال: «**إنَّ الله تعالى ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها**»(١).

٥ ـ أنَّه ينام كما ينام البشر:

خلق الله الإنسان محتاجًا إلى النوم، وكذلك كل الأجناس الحية. وجعل هذا النوم ســباتًا، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا﴾ [الفرقـان: ٤٧]. وقـال: ﴿وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ۝ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا﴾ [النبـأ: ٩ ـ ١١]. ومعنـى سبات: قاطع للإنسان عن العمل المرتبط بحال اليقظة، ليأخذ جسمه حقَّه من الراحة.

هناك كائن أعلى لا تأخذه سِنَة ولا نوم، هو الله الَّذي خلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان، وجعله في الأرض خليفة، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال النبي ﷺ: «**إنَّ الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام**»(٢). كيف ينام وهو الَّذي يقيم السماوات والأرض؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٤١].

إن مقتضى حياة الله وقيوميته أن يظل راعيًا لهذا الكون، مدبِّرًا لأمره، كما في قوله تعالـــى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

---

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٤)، والترمذي في الأطعمة (١٨١٦)، عن أنس.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٧٩)، وأحمد (١٩٦٣٢)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

فالإنسان لا بدّ أن يقضيَ جزءًا يساوي ثلثَ يومه تقريبًا نائمًا، يفقد فيه بعض إحساسه، ويُغمض فيه عينيه، فلا يرى شيئًا ممَّا حوله، ولا يسمع ما يجرى من كلام النَّاس، ولا من أصوات الحيوانات والطيور، ولا من حركات الأشياء.

ومن رحمته تعالى: أنَّه جعل الكون مقسومًا بطبيعته الزمنيَّة ما بين نهار مشمس، يعين على اليقظة والحركة، ويظهر فيه الصباح، وتطلع فيه الشمس، والليل الَّذي ينتصف الكون حين تغيب عنه الشمس، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۞ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۞ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ٩ ـ ١١]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠].

وهكذا تنقسم حياة النَّاس بين نهار وليل، والنهار يقضيه الإنسان في طلب معيشته، وطلب العلم الَّذي ينفعه وينفع من حوله، والتعاون عليها مع النَّاس من حوله، كما أنَّهم يتعاونون في كل أمر تحتاج إليه الجماعة، و«**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»[(١)]، ومن ذلك ما يحتاج النَّاس لدينهم كصلاة الجماعة والجمعة، وبناء المساجد، وإقامة الأذان والإقامة والخطابة والتدريس والتعليم.

لم يخرج أنبياء الله ورسله عن هذه الطبيعة البشريَّة، وقد خاطب الله نبيه الخاتم ﷺ في أوَّل البعثة بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: ١] قال ابن عباس، والضحَّاك، والسُّدِّي: يعني: يا أيُّها النائم[(٢)].

(١) سبق تخريجه صـ٢٠٥.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٩/٢٣).

QaradawiBooks.com

غير أنَّ النبيَّ ﷺ مأمور من الله تعالى بقيام الليل إلَّا قليلًا هذا الأمر الَّذي نسخ عن أمته لكنَّه ثبت في حقه، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

يصف الإمام ابن القيِّم نوم النبي ﷺ فيقول: «كان ينامُ على الفراش تارة، وعلى النِّطع تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة بين رِمَالِه، وتارة على كساء أسود.

قال عباد بن تميم، عن عمه: رأيتُ رسول الله ﷺ مستلقيًا في المسجد واضعًا إحدى رِجليه على الأخرى[(١)].

وكان فراشه أَدَمًا حشوُه لِيف. وكان له مِسْحٌ ينام عليه يثنى بثَنيتين، وثُني له يومًا أربع ثنيات، فنهاهم عن ذلك وقال: «**رُدُّوه إلى حَالِه الأوَّلِ، فإنَّه مَنَعَنِي صلاتي الليلة**»[(٢)].

والمقصود أنَّه نام على الفراش، وتغطى باللِّحاف، وقال لنسائه: «**ما أتاني جبريل وأنا في لحاف امرأة منكن غير عائشة**»[(٣)].

وكانت وسادتُه أَدَمًا حشوها ليف.

وكان إذا أوى إلى فراشه للنوم قال: «**باسمك اللهمَّ أحيا وأموت**»[(٤)].

وكان يجمع كفَّيْه ثمَّ ينفُث فيهما، وكان يقرأُ فيهما: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١] ثمَّ يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأُ

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٧٥)، ومسلم في اللباس والزينة (٢١٠٠).

(٢) رواه الترمذي في الشمائل (٣٣٠)، وقال المناوي في الفيض: رمز المصنف (السيوطي) لحسنه وليس بجيد، فقد قال الحافظ العراقي: هو منقطع (١٧٢/٥). وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٤٢٢٣)، عن عائشة.

(٣) رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٧٧٥)، عن عائشة.

(٤) رواه البخاري في الدعوات (٦٣١٤)، عن حذيفة.

QaradawiBooks.com

بهما على رأســه، ووجهه، وما أقبلَ مِنْ جســده، يفعل ذلك ثلاث مرَّات[١].

وكان ينام على شِقِّه الأيمن، ويضع يده اليمنى تحت خده الأيمن، ثمَّ يقول: «**اللهمَّ قِنِيْ عذابك يوم تَبْعَثُ عبادك**»[٢]. وكان يقول إذا أوى إلى فراشه: «**الحمد لله الَّذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممَّن لا كافي له ولا مُــؤْوي**». ذكره مســلم[٣]. وذكر أيضًا أنَّه كان يقــول إذا أوى إلى فراشه: «**اللهمَّ ربَّ السماوات والأرض، وربَّ العرش العظيم، ربَّنا ورب كل شــيء، فالقَ الحَبِّ والنَّوَى، مُنْزِلَ التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذُ بك مِنْ شرِّ كل ذي شرٍّ أنت أخذ بناصيته، أنت الأوَّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر، فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عَنَّا الدَّيْن، وأغْنِنَا من الفقر**»[٤].

وكان إذا استيقظ من منامه في الليل قال: «**لا إلٰه إلَّا أنت سبحانك، اللهمَّ إنِّي أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهمَّ زِدْني عِلْمًا، ولا تُزِغْ قلبي بعد إذ هديتني، وهَبْ لي من لدنك رحمة، إنَّك أنت الوهاب**»[٥].

وكان إذا انتبه من نومه قال: «**الحمدُ لله الَّذي أحيانَا بعدما أماتنا وإليه النُّشُور**»[٦]. ثمَّ يتسوَّك، وربَّما قرأ العشر الآيات من آخر (آل عمران) من

---

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠١٧)، عن عائشة.

(٢) رواه أحمد (٢٦٤٦٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٥٠٤٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٥٦)، عن حفصة أم المؤمنين.

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٥)، وأحمد (١٢٥٥٢)، عن أنس.

(٤) رواه مسلم في الذكر (٢٧١٣)، وأحمد (٥٩٦٠)، عن أبي هريرة.

(٥) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٦١)، وابن حبان في الزينة والتطييب (٥٥٣١)، والحاكم في الدعاء والتكبير (٥٤٠/١)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن عائشة.

(٦) رواه البخاري في الدعوات (٦٣١٢) عن حذيفة. ورواه مسلم في الذكر والدعاء (١٨٦٠٣) عن البراء.

QaradawiBooks.com

قولـــه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمـــران: ١٩٠] إلـــى آخرهـــا [آل عمران: ١٩٠ ـ ٢٠٠][١].

وقال: «**اللهمَّ لك الحمد، أنت نُورُ الســـماوات والأرض ومَنْ فيهنَّ، ولك الحمد، أنتَ قَيِّمُ السماوات والأرضِ ومَنْ فيهنّ، ولك الحمد، أنت الحقُّ، ووَعْدُك الحَـــقُّ، ولقاؤُك حَقٌّ، والجنة حَقٌّ، والنـــار حَقٌّ، والنبيون حَقٌّ، ومحمد حَقٌّ، والساعة حَقٌّ، اللهمَّ لك أَسْلَمْتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكَّلْتُ، وإليـــك أَنَبْتُ، وبك خاصَمْـــتُ، وإليك حاكَمْـــتُ، فاغفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّـــرْتُ وما أَسْـــرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ، أنت إلٰهـــي، لا إلٰه إلَّا أنت**»[٢].

وكان ينام أوَّل الليل، ويقوم آخره، وربَّما سهر أوَّل الليل في مصالح المسلمين، وكان تنامُ عيناه، ولا ينامُ قلبُه. وكان إذا نام، لم يُوقظوه حتَّى يكونَ هو الَّذي يستيقظ. وكان إذا عرَّس بليل، اضطجع على شقه الأيمن، وإذا عرَّس قبيل الصبح، نصب ذراعه، ووضع رأســـه على كفه[٣]، هكذا قال الترمذي. وقال أبو حاتم في صحيحه: كان إذا عرَّس بالليل توسَّـــد يمينه، وإذا عرَّس قبيل الصبح، نصب ساعده. وأظن هذا وهمًا، والصواب حديث الترمذي.

وقال أبو حاتم: والتعريس إنَّما يكون قبيل الصبح.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (١٨٣)، ومســـلم في صلاة المســـافرين (٧٦٣)، عن ابن عباس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخـــاري في التهجد (١١٢٠)، ومســـلم في صلاة المســـافرين (٧٦٩)، عن ابن عباس.

(٣) رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٨٣)، وأحمد (٢٢٦٣٢)، عن أبي قتادة.

QaradawiBooks.com

وكان نومه أعــدلَ النوم، وهو أنفــع ما يكون من النــوم، والأطباء يقولون: هو ثلث الليل والنهار، ثمان ساعات»[١].

أكمل بني الإنسان:

والحقُّ أنَّ محمدًا وإن كان إنسانًا من النَّاس وبشرًا من البشر؛ إلَّا أنَّ الله زوَّده بكلِّ أنواع الكمالات البشــريَّة، الَّتي لم يرقَ إليها إنسان قبله، ولذا اســتحقَّ أن يحمل الرســالة العامَّة والأخيرة للبشر، ولا عجب أن خاطبه ربُّه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

لقد أثبتت كلُّ الدلائل أن محمدًا رسول الإسلام هو أعظم شخصيَّة عرَفها البشــر في تاريخهم الطويل، شــهد له بذلك المؤمنون به عن معرفة وصحبة.

وشهد له بذلك المعادون له، بعد معارك متَّصلة، والفضل ما شهدت به الأعداء.

وشهدت له بذلك سيرته العاطرة الحافلة، في سِلمه وفي حربه، وفي محنته وفي انتصاره، وفي شدَّته ورخائه.

وشهد له قبل ذلك ربَّه، الَّذي أرسله شاهدًا ومبشِّرا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

وشــهد له قرآنه، الَّذي جعله الله آية عظمى له: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

(١) زاد المعاد (١/١٤٩ ـ ١٥٣).

QaradawiBooks.com

وشهد له بذلك جيل من الأصحاب ربَّاهم على يديه، ونشَّأهم على طريقتــه، ليربُّوا العالم من بعــده، ويخرجوه من الظلمــات إلى النور، فكانوا مُثُلًا في العبادة، ومُثُلًا في البذل، ومُثُلًا في الأخلاق، وهم الَّذين أخذت الأمة عنهم القرآن، وروت عنهم الســنن، وفتح الله على أيديهم الفتوحات الإسلاميَّة.

يقول محمود تيمور: «كان مفتاح فهمي لرسالة الإسلام أنِّي تصفَّحت حياة الرسول جانبًا بعد جانب، فتجلَّت لي شخصيَّة عامرة بالعظائم في بناء كيان الأُمَّة، وفي تقويم خُلُق الفرد، وفي نهج الحياة لســالكيها من سائر الناس!

أخذت بيدي هذه الشــخصيَّة الفذة، تهديني طريــق الحق والدين، فوجدتُني أحب هذا الدين، وأحب فيه رسالته الَّتي جاء بها رحمة وهدى.

سبحانك اللهمَّ وتعاليت، فيما قدرت وفيما اخترت.

اصطفيت رسولك «محمدًا» لأداء رســالتك، فما كان اصطفاؤك إيَّاه لهذا الأمر العظيم إلَّا لأنَّه كفؤ له عظيم!

لعَمْر الحــق إنَّ «محمدًا» كان بشــخصيته وبخصائصــه قوة للدين، ومدادًا للإيمان، ومنارًا يرفع الغشاوات ويكشف الحجب!

أينبعث النور وضَّاحًا من مصباح أقتم أغبر؟

لقد حمل «محمد» شعلة الإســلام، فأضاءت في يده، وازدادت من توهج، وأشاعت من حوله الدفء والضياء!

QaradawiBooks.com

كانت حياة الرسول قبل مبعثه حياة تكمن فيها خصائص النبوة، وتتمثل أخلاق الرسالة، فلم يكن ـ بعد أن بُعث رسولًا إلى النَّاس ـ شخصًا جديدًا على النَّاس في الأخلاق والسلوك والأهداف!

ولو جاز لنا أن نستشف معالم الإسلام قبل الدعوة المحمَّديَّة إليه لتراءت لنا هذه المعالم من خلال «محمد»، قبل الإسلام!

إنَّ الله إذا أراد أمرًا هيَّأ له أسبابه. سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تحويلًا. فلا غرو أن يكون «محمد» هو الأفق الرفيع الَّذي صاغته يد العناية الإلٰهيَّة لكي يشرق من جانبه كوكب الدين باهر اللألاء!

شخصيَّة «محمد» ترجمة حية لكتاب الله، إذا قرأت قرآنه طالعتك الصحائف الغر من حياة رسوله ومن ميزاته، وكأنما شاء الله أن يسوق لنا منهج الدين في كتابه، وأن يتبعه تطبيقًا عمليًّا ونموذجًا بشريًّا في حياة «محمد»، وفيما أُثِرَ عنه من ألوان التصرفات في شتَّى شؤون الحياة!

كان «محمد» رجل دنيا ودين.

أحبَّ الطيبات من متاع العيش، وسعى إليها سعي الأخيار بوسائل الأخيار؛ لأنَّه كان يرى الله في كل ما يعمل، مقيمًا ضميره مقام الرقيب الساهر، وذلك جوهر الدين الخالص.. ذلك هو الإسلام!

يهيب بك الإسلام أن تستمتع بدنياك طولًا وعرضًا ما طاب لك، ويدفع بك إلى الضرب في مناكب الأرض استخلاصًا لما على ظهرها، وما في باطنها، من كل شيء.. فلتفعل ما تهفو إليه نفسك من مأكل ومشرب وملبس، ولتلتمس كل ملذة من وجهها المشروع، لا حرج عليك ولا تثريب، ما دام ذلك منك في غير عدوان ولا سَرَف.

QaradawiBooks.com

كان «محمد» إنسانًا قبل أن يكون نبيًّا، فلمَّا أظلَّته نبوَّته لم تبرحه إنسانيَّتُه، بل لقد زكت وتوهَّجت، وبقي إنسانًا في جوانب حياته، تتصل أرومته بأرض البشر، وتسمو روحه إلى الملإ الأعلى!

خالط «محمد» عشيرته، ودامج بيئته، فكان منها كما كان لها، لم تنكر منه نفرة، ولم تأخذ عليه جفوة، وإن كانت قد عرفت فيه زعيم انقلاب يكافح الغنى، ويعلي كلمة الحق!

أحبَّ «محمد» وأبغض، وأثاب وعاقب، وعامل النَّاس كما يحب أن يُعامَلوا، ولا رحمة في غير مَرْحم، ولا قسوة إلَّا حين تقتضيها حكمة! وهكذا عاش (محمد)، في دنياه فردًا منها، لا شذوذ ولا انفصام!

كذلك كان دين «محمد» إنسانيًّا مثله، من فهم أسراره من النَّاس لم يَرِبْه منه شيء، فإنَّه واجد فيه وشائج النفس البشريَّة في أطوارها ومنازعها، وواجد فيه مع ذلك سَمَوْا بهذه النفس البشريَّة إلى الأوج الرفيع!

لكل فرد من النَّاس على تفاوت درجاتهم من الغريزة والعقل والمعرفة مكان في ذلك الدين القيم يسعه، ويوفِّر له فيه طمأنينة العيش، وراحة النفس، وسكينة الضمير... وكيف لا يكون الأمر كذلك، وهذا دين الله الشامل لعباد الله، ومن أعرف بالناس واختلافهم في الغرائز والعقول والمعارف من رب الناس؟

ومن أخبر بالطبائع والنفوس من رب القلوب؟

ليصدق كل امرئ نفسه، وليقف موقف الاختبار والتمحيص في صراحة وإخلاص، وليضع نصب عينيه التوفيق بين ما للإنسان من طبع

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بشري متأصل، وما له فوق ذلك من طموح روحي إلى المثل العليا من فضيلة وعدالة وخير.

إنَّه لو فعل ذلك، لأيقن ـ مهما تكن عقيدته في نشـأته وبيئته ـ بأن هناك وشائج موصولة بينه وبين نفسـيَّة «محمد»، النبي الإنسان، وبينه وبين إسلام «محمد» دين الله!»[1].

* * *

غير مرخصة للطباعة

(١) من مقال النبي الإنسان، طبع مع مقالات أخرى تحت عنوان: (النبي الإنسان ومقالات أخر) صـ ١٢ ـ ١٥، نشر مكتبة الآداب.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الرسول صاحب الذوق السليم

من أهم ما يتصف به الرسول الكريم: صفة لم تعرف باسمها الَّذي عرفت به اليوم بين الناس؛ لأنَّه اسم لم يعرفه تراثنا اللغوي ولا معاجمنا بمعناه المستخدم اليوم، وإنَّما تسرب إلى العلماء والمفكرين الأدباء والكتاب والساسة والعامة من هنا وهناك.

إنَّها صفة الذوق السليم، تلك الصفة المحبَّبة إلى النَّاس، الَّتي يرضى عنها الجميع على تفاوت مراتبهم، وكلهم يجب أن ينتسب إليها، وأن يوصف بها، لتضيف إليه حُسْنًا، أو تزيد من محبَّة النَّاس له.

ونحن هنا نتحدث عن هذه الصفة باعتبارها من أعظم ما يوصف به النبي ﷺ، من حيث ما رُوِيت لنا صفاته وأخلاقه ومواقفه وتصرفاته، وألفاظه وعباراته، وعطاءاته وصِلاته، وإنصافاته وملاطفاته، وكذلك مقولاته وعقوباته، وشدائده ومغلّظاته، كلٌّ في موضعه، فيعطي في كل موضع ما لا بدَّ منه، ممَّا هو مطلوب، وما هو محظور.

لم أر من الأقدمين من اهتمَّ بالذوق، إلَّا رسالة مطبوعة نسبها محققها للإمام السيوطي، عنوانها: «صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم»، وإن كان القلب لا يطمئن لهذه النسبة، لما في هذه الرسالة من ركاكة وألفاظ عامية يأباها أسلوب السيوطي.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الذوق في اللغة:

إذا نظرنا في المعاجم القديمة وجدناهم يعرفون الذّوْق فيقولون: الذوق مصدر ذُقْتُ الشيءَ أذوقه ذَوْقًا، فَهُوَ مَذُوق وَأَنا ذائق. وَيُقال: مَا ذقت ذَواقًا، أَي مَا تطعّمت شَيْئًا، وَكثر ذَلِك حَتَّى قَالُوا: فلَان حسن الذَّوْق للشِّعر، إِذا كَانَ مطبوعًا عَلَيْهِ[1].

والذوق فِي الأَصْل: تعرف الطّعْم، ثمَّ كثر حَتَّى جعل عبارة عَن كل تجربة يُقَال (ذقت فلانا) و(ذقت مَا عِنْده)، وَقد اسْتعْمل الإذاقة فِي الرَّحْمَة والإصابة فِي مقابلتها، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾ [يونس: ٢١]، وقال: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ [الروم: ٣٦] تَنْبِيهًا على أَن الْإِنْسَان بِأَدْنَى مَا يعْطى من النِّعْمَة يبطر ويأشر.

والذوق والطبع قد يطلقان على الْقُوَّة المهيَّأة للعلوم من حَيْثُ كمالها فِي الْإِدْرَاك بِمَنْزِلَة الإحساس من حَيْثُ كَونهَا بِحَسب الْفطْرَة.

وَقد يخص الذَّوْق بِمَا يتَعَلَّق بلطائف الْكَلَام، لكَونه بِمَنْزِلَة الطَّعَام اللذيذ الشهي لروح الْإِنْسَان الْمَعْنَوِيّ والطبع بِمَا يتَعَلَّق بأوزان الشّعْر لكَونهَا بمحض الجبلة، بِحَيْثُ لَا ينفع فِيهَا أَعمال الجبلة إِلَّا قَلِيلًا.

والذوق بالفم فِيمَا يقل، فَإِن كثر قيل فيه: أكل وَشرب[2].

وقال الإمام ابن القيِّم: «والذوق مباشرة الحاسة الظاهرة والباطنة للملائم والمنافر، ولا يختص ذلك بحاسة الفم في لغة القرآن، بل

(١) جمهرة اللغة لابن دريد، مادة (ذ. ق. ه).

(٢) الكليات للكفوي صـ ٤٦٢، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.

QaradawiBooks.com

ولا في لغة العرب. قال الله تعالى: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وقال: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص: ٥٧]، وقال: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]. فتأمل كيف جمع بين الذوق واللباس، ليدل على مباشرة المذوق وإحاطته وشموله. فأفاد الإخبار عن إذاقته: أنَّه واقع مباشر غير منتظر. فإنَّ الخوف قد يتوقع ولا يباشر، وأفاد الإخبار عن لباسه: أنَّه محيط شامل كاللباس للبدن.

وفي الصحيح، عنه ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان: من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا**»[(١)]. فأخبر: أن للإيمان طعمًا، وأنَّ القلب يذوقه كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب»[(٢)].

الذوق في استخدامنا المعاصر:

هذا هو معنى الذوق في القرآن والسُّنَّة وفي معاجم اللغة القديمة، وليس هو المقصود لنا الآن ونحن نصف إنسانًا بأنَّه ذو ذوق أو أنَّه حسن الذوق، فهو استخدام حادث، توسعنا فيه في دلالة المعنى القديم، وقد ذكرت المعاجم الحديثة المعنى الَّذي نريده، ففي «معجم اللغة العربيَّة المعاصرة» يعرِّف الذوق بأنه: آدابُ السلوك الَّتي تقتضي معرفة ما هو لائق أو مناسب في موقف اجتماعيّ معيّن[(٣)].

وهو الَّذي نريده بقولنا: النبي صاحب الذوق السليم.

(١) رواه مسلم في الإيمان (٣٤)، وأحمد (١٧٧٨)، عن العباس بن عبد المطلب.

(٢) مدارج السالكين (٣/٨٦، ٨٧)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة مادة (ذوق)، رقم المادة (١٩٨٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

القرآن والسُّنَّة يعلماننا الذوق:

والذي ينظر إلى المنهج الَّذي بعث بـــه محمَّد ﷺ وجده يوجه إلى الأدب العالي والذوق الرفيع الَّذي يتحرك به المســـلم في كل المواقف وكل الحالات، فالقرآن بتعاليمه وآدابه يعلمنا الذوق، وسنة النبي صلى الله عليه القولية والعمليَّة تغرس فيمن يتبعها وينفذها الذوق الحسن.

إنَّ الآداب المبثوثة في القرآن والسُّـــنَّة ترتقي بشعور المسلم وذوقه، ليحب كل جمال، ويتطلع إلـــى كل فضيلة، وينبو عن كل قبيح مادي أو معنوي، في الأفكار والأخلاق، وفي المظهر والمخبر، في تعامله مع الله، أو مع نفســـه، أو مع غيره، هو في ذلك كله صاحب ذوق سليم، وخلق قويم، وإحساس رهيف.

الزيارة والاستئذان:

من ذلك أنَّ الكتاب والسُّـــنَّة يعلماننا الذوق في الزيارة والاستئذان، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النـــور: ٢٧] ومعنـــى الاســـتئناس: التعرف بالوســـائل الخاصَّة بظروف أهل البيت الماديَّة والنفسية.

ومن الذوق: اختيار الوقت المناسب للزيارة، فلا يجوز عرفًا ولا ذوقًا زيارة الإنسان دون ترتيب، خاصَّة إذا كان مسافرًا جاء يقضي الإجازة في بلده، فمثل هذا يعكر مزاج القادم، ويعطل مصالحه.

وينبغي أن تكون الزيارة في أحسن الأوقات الملائمة للمزور وأسرته، فلا يزورهم في وقت العمل الرســـمي، إلَّا إن كانت زيارة نسائية ملائمة لذلك، ومتفقًا عليها بين النساء، ولا تجوز الزيارة في وقت القيلولة إلَّا إذا كان متفقًا عليها.

QaradawiBooks.com

وقد وجه النبي ﷺ إلى أدب الاستئذان في زيارة صديق أو جار، سواء أكان بالكلام أم بدق الجرس أم بطرق الباب، فإن أذن له وإلا رجع. قال ﷺ: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يُؤذن له، فلْيرجع**»(١).

وإنَّما شرع الاستئذان ثلاث مرات؛ لتكون الأولى لإعلام صاحب الدار أن هناك من يود زيارته، والثانية: لاستعجاله إذا تأخر. والثالثة للإعلام بأنَّه سوف يغادر المكان. ثمَّ لا يزيد على ذلك، احترامًا لمشاعر صاحب الدار فقد يكون غير متهيئ للاستقبال، أو أن يكون غير موجود في المنزل، أو يكون له أو لأهله ظروف لا يحب اطلاع أحد عليها.

وفي حال الاستئذان للدخول ينبغي ألا يزعج صاحب البيت بالطَّرق على الباب، وارتفاع صوته بالنِّداء عليه، وغير ذلك ممَّا يَتنافى مع الذَّوق، وقد عاب القرآن على الأعراب نداءهم على رسول الله ﷺ من وراء حجرات نسائه فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤].

وعلى المُستأذن ألا يستقبل الباب بوجهِه، ولكن يَمينًا أو يَسارًا، فعن عبد الله بن بُسْر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم، لم يَستقبل الباب من تِلقاء وجهه، ولكن مِن ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: «**السلام عليكم**»(٢).

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٤٥)، ومسلم في الآداب (٢١٥٣)، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) رواه أحمد (١٧٦٩٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الأدب (٥١٨٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٣٨).

QaradawiBooks.com

فإنْ لم يؤذَن له فليرجع؛ فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا استأذَن أحدكم ثلاثًا فلم يُؤذَن له، فليرجع**»[(١)].

وفي الآية الكريمة قال تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨].

وقال قتادة: قال بعض المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتها: أن أستأذن على بعض إخواني، فيقول لي: «**ارجع**». فأرجع وأنا مغتبط[(٢)].

وأوجب الإسلام الاستئذان داخل البيت، ولو من الأولاد والخدم، في هذه الأوقات الثلاث كما بيَّنت ذلك سورة النور: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٨]. والآية الكريمة تضع هذه القواعد الَّتي ترشد الأبناء ألا يدخلوا على آبائهم وأمهاتهم في مخادعهم قبل الاستئذان. وحددت ثلاث مواقيت يحظر فيها على الابن الدخول على أمه أو أبيه في فراشهما إلَّا إذا أذنا له، وهي الفترة الَّتي تقع قبل صلاة الفجر. والفترة الَّتي يخلدان فيها إلى الراحة بعد الظهيرة. والفترة الَّتي تلي صلاة العشاء وتستمر طوال الليل.

وقد روى الإمام مالك في الموطأ، عن عطاء بن يسار مرسلًا: أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ، فقال: أستأذن على أمي؟ فقال رسول الله ﷺ:

(١) الحديث قبل السابق.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٥٠/١٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

«**نعم**». فقال الرجل: إنِّي معها في البيت. فقال رسول الله ﷺ: «**استأذنْ عليها**». فقال الرجل: إنِّي خادمها. فقال رسول الله ﷺ: «**استأذنْ عليها، أتحب أن تراها عُريانة؟!**». قال: لا. قال: «**فاستأذن عليها**»[1].

مراعاة الذوق في المجالس:

وممَّا أرشد إليه الإسلام مراعاة الذوق في المجالس والمحافل والضيافة بين الأصدقاء والإخوان.

قال تعالى مرشدًا إلى أدب التوسعة للقادم، هذا الأدب الَّذي يحرص عليه كل ذي ذوق سليم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة: ١١].

أخرج البيهقي في شعب الإيمان أنَّ رجلًا دخل إلى رسول الله ﷺ وهو في المسجد قاعد، فتزحزح له رسول الله ﷺ، فقال الرجل: يا رسولَ الله، إن في المكان سعة. فقال النبي ﷺ: «**إن للمسلم حقًّا إذا رآه أخوه أن يتزحزح له**»[2].

وفي أدب الاجتِماعات والتشاوُر وإدارة الجلَسات يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النور: ٦٢]

---

(١) رواه مالك في الاستئذان (٣٥٣٨)، تحقيق الأعظمي، وقال ابن عبد البر في الاستذكار (٤٧٣/٨): لا أعلم هذا الحديث يتصل بهذا اللفظ مسندًا بوجه من الوجوه وهو من صحاح المراسيل.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٨٥٣٤)، عن واثلة بن الخطاب.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

إذا ترك الرجل مجلسًا وعاد فهو أحق به[١].

ومن الذوق: ألا نفرق بين متجالسين إلَّا بإذنهما: «**لا يحلُّ لرجل أن يفرِّق بين اثنين إلَّا بإذنهما**»[٢].

ومن أدب المجالس: عدم التناجي بين اثنين بحضور ثالث: «**إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الثالث، فإن ذلك يحزنه**»[٣].

ومن الذوق: الجلوسُ حيث يُجلِسُه صاحِبُ البيت أو حيثُ ينتهِي به المجلِسُ حسب الأحوال.

وأهل المنزل أعلمُ بعورات بيوتِهم، ولا يُقيمُ أحدًا من مجلسِه ليجلِسَ فيه.

ومن أدب المجلس: كف التثاؤب وستر ما يؤذي الناظر، فإذا تثاءب غطَّى فمه، حتَّى لا يرى مفتوحًا أمام الناس.

وإذا امتخط وارى مخاطه، حتَّى لا يخالط النَّاس، وقد يؤذيهم.

ومن أدب المجالسة: مراعاة مشاعر الجالسين، والحلم وعدم المواجهة بما يسيء إليهم، والاستماع لكلامهم والإصغاء إليهم. وبعض النَّاس يكثرون الثرثرة في المجالس، ويبسُطون ألسِنَتهم بالسُّوء، ويتسقَّطون الأخبار، ويتتبَّعون العورات، ويهمزون ويلمزون.

كل هذه الآداب وغيرها أرشد إليها النبي صاحب الذوق السليم ﷺ.

---

(١) رواه مسلم في السلام (٢١٧٩)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٦٩٩٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود (٤٨٤٥)، والترمذي (٢٧٥٢)، وقال: حديث حسن. كلاهما في الأدب. والبخاري في الأدب المفرد (١١٤٢)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٨٧٥)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٩٠)، ومسلم في السلام (٢١٨٤)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

الذوق على مائدة الطعام:

وأرشد أيضًا إلى آداب المائدة والطعام، فمن ذلك: الإقلال من الطعام، وعدم النَّهَم. روى الترمذي في سُننه من حديث المِقدام بن معديكرب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا مِن بطن، بحسب ابن آدم أُكيلاتٌ يُقمْن صلبَه، فإن كان لا محالة فثلُثٌ لطعامِه، وثلُثٌ لشَرابه، وثلُثٌ لنفَسِه**»[1].

وكان النبي يُوجه الأطفال إذا ما وقعوا فيما يخالف (الذَّوق) وهم على الطعام، كما في حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كنتُ غلامًا في حجر النبي ﷺ، وفي رواية: كنتُ مع النبيِّ ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفَة، فقال النبي ﷺ: «**يا غلام، سمِّ الله، وكُلْ بيمينِك، وكُلْ ممَّا يَليك**». فما زالت تلك طِعمتي بعد[2].

ومن الذَّوق: مراعاة آداب الأكل من غسل اليدَين، والأكل ممَّا يلِيه، ولا ينفُخ في الطعام، ولا يتنفَّس في الإناء، ولا يفعَلُ ما يُستقذَرُ أو يُستنكَرُ أو يُستكرَه قولًا وفعلًا وإشارَة.. وكل هذا أرشدت إليه سنة النبي ﷺ القولية والعمليَّة.

الذوق مع الجار:

ومن ذلك الأدب مع الجار، قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ [النساء: ٣٦].

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٠٢.

(٢) سبق تخريجه صـ٤٠٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وعن ابن عمر[١] وعائشة[٢] رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**ما زال جبريل يُوصيني بالجار، حتَّى ظننتُ أنَّه سيُورِّثه**».

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذرٍّ، إذا طبَخت مَرقةً، فأكْثِر ماءَها وتَعاهَد جيرانك**»[٣].

وفي رواية قال: إنَّ خليلي ﷺ أوصاني: «**إذا طبَخَت مَرَقًا، فأكْثِر ماءَه، ثمَّ انظر أهلَ بيتٍ من جيرانك، فأصِبْهم منها بمعروفٍ**»[٤].

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**». قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأْمَن جاره بوائقه**». وفي رواية مسلم: «**لا يدخل الجنَّة مَن لا يأْمَن جاره بوائقه**»[٥].

ومن الذوق عدم رفع أصوات التلفاز أو الراديو، ومن الذوق أيضًا: عدم ترك الأولاد يلعبون، ويُزعجون، غير مهتمين براحة جيرانهم، وغير ناظرين إلى أنَّه قد يكون بالبيت مريضٌ يتألَّم، أو طالبٌ يجتهد ويذاكر.

ومن الذوق في آداب الجوار والجيران: ألا يطَّلِع على دارِه، ولا يُتبِع نظرَه فيما يحمِلُه، ويغُضّ طرفَه عن حرَمه، ويستُر ما ينكشِف من عورته.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري الأدب (٦٠١٥)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٢٥).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري الأدب (٦٠١٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٢٤).

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٢٥) (١٤٢).

(٤) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٢٥) (١٤٣).

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١٦)، ومسلم في الإيمان (٤٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الذوق في الضيافة:

أرشدت السُّنَّة النبويَّة إلى أنَّ حقَّ الضيافة ثلاثة أيام[١]، فما زاد عن ذلك ينبغي أن يكون له وجه آخر، بكراء بيت، أو سكن فندق، أو نحو ذلك.

وكان الرسول إذا دُعي، لا يصحب معه أحدًا، إلَّا بإذن الداعي[٢].

عن أبي مسعود البدري أنَّه قال: كان رجل من الأنصار يقال له: أبو شعيب، وكان له غلام لحام، فرأى رسول الله ﷺ فعرف في وجهه الجوع، فقال لغلامه: ويحك، اصنع لنا طعامًا لخمسة نفر، فإنِّي أريد أن أدعو النبي ﷺ خامس خمسة، قال: فصنع، ثمَّ أتى النبي ﷺ فدعاه خامس خمسة واتبعهم رجل، فلمَّا بلغ الباب، قال النبي ﷺ: «**إن هذا اتبعنا، فإن شئت أن تأذن له، وإن شئت رجع**». قال: لا، بل آذن له يا رسول الله[٣].

ومن الذوق: ألَّا يُطيل الضيوف الجلوس بعد الطعام.

وقال بعض السلف: في القرآن آية نزلت في «الثقلاء»: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١٩)، ومسلم في اللقطة (٤٨)، عن أبي شريح.

(٢) كما ورد في حديث أنس: أنَّ جارًا لرسول الله ﷺ فارسيًّا كان طيب المرق، فصنع لرسول الله ﷺ، ثم جاء يدعوه، فقال: «**وهذه؟**». لعائشة، فقال: لا. فقال رسول الله ﷺ: «**لا**». فعاد يدعوه، فقال رسول الله ﷺ: «**وهذه؟**». قال: لا. قال رسول الله ﷺ: «**لا**». ثم عاد يدعوه، فقال رسول الله ﷺ: «**وهذه؟**». قال: نعم. في الثالثة، فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله. رواه مسلم في الأشربة (٢٠٣٧).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٤٣٤)، ومسلم في الأشربة (٢٠٣٦).

QaradawiBooks.com

رعاية ظروف الناس:

ومن الـذوق: تخفيف عيادة المريـض كما جاء في السُّـنَّة، مُراعاةً لحاله، فلا يجوز للعقلاء أن يفرضوا ثقلهم على الناس.

ومن الذوق أيضًـا رعاية ظـروف: الكبير والمسـافر، وصاحب الحاجة، ولهذا غضب النبي غضبًا شـديدًا على مـن يصلون بالناس صلاة الجماعة، ويطولون على العامة، وقال: «**إذا صلَّى أحدُكم للناس، فليخفِّف**»(٤).

وكان ﷺ أطول النَّاس صلاة إذا صلى لنفسه، وأخفهم صلاة إذا صلى بغيره. وأنكر على معاذ الإطالة بالناس في صلاة العشـاء(٥)، وشدد مع أبي بن كعب حين شـدد على النَّاس، وهو يقرأ بهـم، وقال: «**إنَّ منكم مُنفِّرين، فأيُّكم ما صلَّى بالناس فليتجوّز، فإنَّ فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة**»(٦).

حُسن الذوق في أخلاق الرسول:

بيَّنَّا ببعـض الأمثلة أنَّ المنهج الَّذي أتى به النبي ﷺ بقرآنه وسـنته يربي المسلم على أن يكون ذا ذوق حسن، في كل شؤونه وتعاملاته.

ونبينا محمَّد ﷺ حجَّة في الكمال البشري، وقد بعثه الله ليتمِّم مكارم الأخلاق، وليكون أسـوة حسـنة للمؤمنين: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

---

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٠٣)، ومسلم في الصلاة (٤٦٧)، عن أبي هريرة.

(٥) سبق تخريجه صـ٣٩٨.

(٦) سبق تخريجه صـ٢٥٥.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكان من مكارم أخلاقــه، الَّتي عُرف بها بين النَّــاس، وربى عليها أصحابه، ودعا المؤمنين إلى التخلق بها: ما تعارف النَّاس على تســميته بـ «الذوق الحسن».

والذوق: أدب رفيع في التعامل مع النَّــاس، ينبع من رهافة الحسِّ، ورقة الشــعور، ويقظة العقل، ورفعــة الأدب عن كل ما يؤذي مشــاعر الآخرين.

وكان عليه الصلاة والسلام الغاية القصوى والقمة العليا في حسن ذوقه، وحسن أدبه، مع أصحابه، ومع أهل بيتــه، ومع خدمه، ومع خصومــه، ومع النَّاس أجمعين.

لا تصدر منه كلمة نابيــة، ولا موقف فيه جلافــة، ولا تصرف فيه مأخذ، ولا يحب أن ترى منه الأعين منظرًا يؤذي أو ينفِّر، ولا أن تسمع الآذان منه كلمة تبتعد عن الأدب الرفيع، ولا أن تشم الأنوف منه رائحة يتــأذى منها جليســه أو رفيقــه، ولا يحب ذلــك لأحد مــن أصحابه والمؤمنين به.

الذوق في سيرة الرسول:

عن أنس بن مالك: كان رســول الله ﷺ إذا صافح أو صافحه الرجل، لا ينزع يده من يده حتَّــى يكون الرجل ينزع يده، وإذا اســتقبله بوجهه لا يصرفه عنه، حتَّى يكون الرجل هو الَّذي يصرفــه عنه، ولم ير مقدِّمًا ركبتيه بين يدي جليس له[1].

(١) رواه الترمذي فــي صفة القيامة والرقائق (٢٤٩٠)، وقال: غريــب. وقال الألباني في ضعيف الترمذي (٤٤٤): ضعيف إلَّا جملة المصافحة فهي ثابتة.

QaradawiBooks.com

وعن أنس قال: ما رأيتُ رجلًا التقم أذن رسول الله ﷺ فينحي رأسه، حتَّى يكون الرجل هو الَّذي ينحي رأسه، وما رأيت رجلًا أخذ بيده فترك يده، حتَّى يكون الرجل هو الَّذي يدع يده[١].

وهذا لا يقتصر على كبار النَّاس أو حتَّى على الرجال الأحرار، بل كانت خصلة عامة له ﷺ، حتَّى مع الإماء والجواري. إذا أخذت بيده إحداهن لقضاء حاجة، يستحي أن ينزع يده من يدها، حتَّى تنزع هي.

عن أنس أيضًا قال: إن كانت الوليدة ـ يعني الأَمَة ـ من ولائد أهل المدينة لتجيء، فتأخذ بيد رسول الله ﷺ، فما ينزع يده من يدها حتَّى تذهب به حيث شاءت[٢].

وفي رواية أخرى لأنس، قال: إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة، لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت[٣].

عن أنس، أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسولَ الله، إن لي حاجة؟ فقال: «**يا أم فلان، انظري إلى أي الطريق شئت**». فقام معها يناجيها حتَّى قضت حاجتها[٤].

وعن عائشة قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكًا حتَّى أرى منه لهواته، إنَّما كان يتبسم[٥].

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٧٩٤)، وأبو يعلى (٣٤٧١)، وابن حبان في التاريخ (٦٤٣٥)، وقال الألباني في الصحيحة (٢٤٨٥): صحيح بطرقه.

(٢) رواه أحمد (١٢٧٨٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف، وقد صحَّ الحديث بغير هذا اللفظ. وابن ماجه في الزهد (٤١٧٧)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٣٦٧)، عن أنس بن مالك.

(٣) رواه البخاري في الأدب (٦٠٧٢).

(٤) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٢٦)، وأحمد (١٤٠٤٦).

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٢٨)، ومسلم في صلاة الاستسقاء (٨٩٩).

QaradawiBooks.com

يعني: أنَّه لم يكن يبالغ في الضحك، حتَّى ترى لهواته ـ واللهوات جمع لهاة، وهي: اللحمة المعلقة في الحلق ـ بل لم يكن يزيد على أن تبدو نواجذه، وهي الأسنان الأمامية.

وقال عبد الله بن الحارث بن جزء: ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلَّا تبسمًا[١].

عن أنس بن مالك، أنَّ النبيَّ ﷺ رأى على رجل صفرة فكرهها، قال: «**لو أمرتم هذا أن يغسل هذه الصفرة!**». قال أنس: وكان لا يكاد يواجه أحدًا في وجهه بشيء يكرهه[٢].

رهافة حسه ﷺ:

والذوق إنَّما يعبر عن أخلاق أصيلة، وطباع مركوزة في النفس البشريَّة، فهو يعبر عن رهافة الحس، وعن خلق الحياء، وعن خلق الأدب، وعن التواضع، وعن لطف الطبع وسماحته.

وهذه كلها كانت صفات وافية في شخصيَّة رسول الله ﷺ، كما حكى الصحابة الَّذين عاشروه، وخصوصًا الَّذين كانوا أكثر اختلاطًا به، مثل عائشة زوجه، وأنس خادمه، وأبي هُرَيْرة راوي أحاديثه، وغيرهم رضي الله عنهم.

يصفه أبو سعيد الخدري، يقول: كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، وإذا كره شيئًا عرف في وجهه[٣]. أي: كثيرًا ما يستحي أن يُعبِّر عن الشيء الَّذي يكرهه، وإنَّما تعبر عنه قسمات وجهه.

---

(١) رواه الترمذي في المناقب (٣٦٤٢)، وقال: صحيح غريب.

(٢) رواه أحمد (١٢٣٦٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الترجل (٤١٨٢).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٦٢)، ومسلم في الفضائل (٢٣٢٠).

QaradawiBooks.com

ومن أدبه وذوقه ﷺ: أنَّه لم تصدر عنه كلمة سوء أو فحش في حق أحد، مسلمًا كان أو كافرًا.

عن أبي عبد الله الجَدَلي قال: سألت عائشة، عن خُلُق رسول الله ﷺ فقالت: لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا، ولا صخَّابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح(١).

الصخَّاب: الَّذي يرفع صوته لغير حاجة. وقد ذكر القرآن من وصية لقمان لابنه: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

وعن عبد الله بن عمرو قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، وكان يقول: «**إنَّ من خياركم أحاسنكم أخلاقًا**»(٢).

وكذلك وصفه أبو هُرَيْرة فقال: «**بأبي هو وأمي، لم يكن فاحشًا، ولا متفحشًا، ولا صخابًا في الأسواق**»(٣).

وعن عائشة أن رجلًا استأذن على النبي ﷺ، فلمَّا رآه قال: «**بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة**». فلمَّا جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلمَّا انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسولَ الله، حين رأيت الرجل قلت له ـ أي: فيه ـ كذا وكذا، ثمَّ تطلَّقت في وجهه وانبسطت إليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة، متى عهدتني فحَّاشًا؟! إن شر النَّاس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه النَّاس اتقاء شره**»(٤).

---

(١) رواه أحمد (٢٥٩٩٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في البر والصلة (٢٠١٦)، وقال: حسن صحيح. وابن حبان في التاريخ (٦٤٤٣).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٣٥)، ومسلم في الفضائل (٢٣٢١).

(٣) رواه أحمد (٨٣٥٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٣٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٩١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وعن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا بلغه شيء عن رجل، لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا.

وقد قيل: إن حديث: «**إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[1]. وهو حديث صحيح متَّفق عليه: إنَّما قاله ﷺ في شأن رجل هاجر من أجل امرأة يحبها هاجرت، فهاجر وراءها ليتزوجها، وهذا ليس محظورًا، ولكن هجرته لا تعد في سبيل الله، وإنَّما هي في سبيل المرأة. ولكن الرسول الكريم أخرجها مخرج العموم، ليندرج صاحبها في ضمنها، دون أن يفضحه على الملأ، فهذا ممَّا يدخل في مراعاة الذوق والأدب.

ومن رفيع ذوقه ﷺ ما جاء عن المقداد: كنا نرفع لرسول الله ﷺ نصيبه من اللَّبَن، فيجيء من الليل، فيُسلِّم تسليمًا لا يوقظ النائم، ويُسمع اليقظان[2].

من الذوق النبوي التعبير عن العلاقات الجنسيَّة بما ليس بمكشوف:

ومن ذوقه ولطفه عليه السلام: أنَّه لم يكن يتحدَّث عن الأمور الجنسيَّة بطريقة مكشوفة، بل كان يكني عنها بما يفهمه السامع دون تصريح بها، اتِّباعًا لأدب القرآن الَّذي يستخدم أسلوب المجاز والكناية في التعبير عن هذا الأمر.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٩٦.

(٢) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٥٥)، وأحمد (٢٣٨١٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولذا قال ترجمان القرآن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: المس واللمس والملامسة في القرآن، كناية عن الجماع، ولكن الله حيِّي كريم، يكني عما يشاء بما يشاء[1].

فقولـه: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الأحـزاب: ٤٩] والمراد بالمـس هنا: الجماع والدخول بالمرأة، لكن كنى عنه بالمس. وقد تكرَّر ذلك في القرآن.

ومن ذلك قول النبي ﷺ للمطلقة ثلاثًا، لما أرادت أن تعود لزوجها الأوَّل بعد أن عقد عليها غيره: «**حتى تذوقي عُسَيْلَتَه ويذوق عسيلتك**»[2].

حسن المنظر:

كان ﷺ حريصًا على حسـن مظهره، حرصه على نقاء جوهره، فرغم كراهته للسَّرف والتَّرف، لم يكن يُرى إلَّا نظيف الجسم، نظيف الثياب، حسن الهندام.

كان يكره من المسـلم أن يصلي في ثياب مهنته، ولا سـيما صلاة الجماعة في المسجد، لما في ثياب المهنة من رائحة العرق، وآثار الغبار والزيوت ونحوها. وقد قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

وكان له ثياب خاصَّة جعلها لصلاة الجمعة، ولقاء الوفود.

وكان يهتم بصلاة الجمعة أكثر من غيرها، لما فيها من تجمع كبير، يجب أن يحرص كل فرد فيه ألا يكون مصـدر أذى لغيره، ولهذا ندب

(١) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٨٢٦).
(٢) سبق تخريجه صـ٢٠٣.

QaradawiBooks.com

إلى الغســل يوم الجمعة، حتَّى جاء في بعض الأحاديث: «**غسل الجمعة واجب على كل محتلم**»[١] أي كل بالغ. وفي الحديث المتَّفق عليه: «**حقٌّ على كل مسلم في كل سبعة أيام يوم يغسل فيه رأسه وجسده**»[٢] وأولى أيام الأسبوع بذلك هو يوم الجمعة لما فيه من ضرورة التقاء الناس.

ودخل عليه ﷺ رجل أشــعث الرأس، فقال: «**أما وجد هذا ما يُسَكِّنُ به شعره**». ورأى آخر عليه ثياب وسخة فقال: «**أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه**»[٣].

حسن الحديث من الذوق الرفيع:

كان رسول الله ﷺ من أرقِّ النَّاس وألطفهم مع من يحدثه.

ينادي المرء بأحب الأســماء الَّتي يحب أن ينادى بها، ويجعل ذلك من حق المسلم على المسلم.

ويخاطب الصبــي الصغير ابن أبي طلحــة الأنصــاري، فيقول له: «**يا أبا عمير، ما فعل النغير؟**»[٤]! والنغير: طائر كالعصفور كان يلعب به. فانظر كيف منح الطفل الصغير كنيته (يا أبا عميــر) كما يكني الرجال، تلطفًا به، وكان يسلم على الصبيان والنساء.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخــاري (٨٧٩)، ومســلم (٨٤٦)، كلاهما في الجمعة، عن أبي ســعيد الخدري.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٨٩٦، ٨٩٧)، ومسلم (٨٤٩)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (١٤٨٥٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده جيد. وأبو داود في اللباس (٤٠٦٢)، والنسائي في الزينة (٥٢٣٦) الشطر الأول منه، وأبو يعلى (٢٠٢٦)، والحاكم في اللباس (١٨٥/٤)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٧٤)، عن جابر.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٢٠٣)، ومسلم في الآداب (٢١٥٠)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

حسن الرائحة من سلامة الذَّوْق:

وكان ﷺ يحرص كل الحرص على أن يلتقي بالناس، وهو طيب الرائحة، لا يتأذَّى جليسه أو ينفر برائحة كريهة تخرج من جسده نتيجة العرق، أو من فمه نتيجة الطعام، ولا سيما إذا أكل الأشياء المعروفة بسوء الرائحة، مثل البصل والثوم والكرات ونحوها، وفي ذلك قال الرسول المعلم: «**من أكل ثومًا أو بصلًا فلا يقربنَّ مصلانا**»(١).

ولا غرو أن كان «الطِّيب» من أحب الأشياء إليه، ولهذا أيضًا دعا إلى التسوك في الوضوء، وعند الصلاة، وعند القيام من النوم، وعند تغيُّر الفم لأي شيء، مثل كثرة الكلام، أو كثرة الصمت، وقال: «**السواك مطيبة للفم، مرضاة للرب**»(٢).

ودعا إلى المضمضة، واعتبرها معظم الفقهاء والمذاهب سنة مؤكدة في الوضوء، واعتبرها الحنابلة جزءًا من غسل الفم، فهي فرض عند كل وضوء.

ذوقه في مأكله ومشربه:

ويتجلَّى الذوق واللطف والأدب الجم في مأكله ومشربه ﷺ، فهو يأكل ممَّا يليه، ويعلم المسلمين ذلك، كما علم ربيبه ابن أبي سلمة، حين كان غلامًا، وكانت يده تطيش في الصحفة: «**يا غلام، سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل ممَّا يليك**»(٣)، وكان ﷺ يأكل بثلاث أصابع، وليس بيده كلها.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٥٥)، ومسلم في المساجد (٥٦٤)، عن جابر.

(٢) علقه البخاري بصيغة الجزم قبل حديث (١٩٣٤)، ووصله أحمد (٢٤٣٣٢)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح لغيره. والنسائي في الطهارة (٥)، عن عائشة.

(٣) سبق تخريجه صـ٤٠٦.

QaradawiBooks.com

وكان لا يأكل بالشمال، ولا يشرب بالشمال؛ لأنَّها اليد الَّتي يستنجي بها، فلا يليق أن تكون هي نفس اليد الَّتي يأكل بها.

الذوق الرفيع في العطاس والتثاؤب والجشاء:

أمَّا العطاس، فهو أمر لا إرادي، لا يد للإنسان في كفه ومنعه، وقد أرشد الرسول الكريم إلى الوسيلة الَّتي تجعل صاحبه لا يخل بالذوق مع جلسائه، حين أمر العاطس بأن يضع يده، أو منديله، على فمه، وإذا أمكن أن يحول وجهه إلى جهة أخرى بحيث لا يكون في مواجهة الآخرين، فذلك خير، وبهذا السلوك يمنع خروج الرذاذ أو يمنع وصوله إلى الآخرين، كما يكون منه خفض للصوت.

وهكذا كان يفعل الرسول صلوات الله عليه: فعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده، أو ثوبه على فيه، وغض بها صوته[1]. وهذا من علو ذوقه ﷺ.

وأمَّا التثاؤب فحركة يبعثها الكسل، حيث يفتح الإنسان فمه فتحة كاملة أو شبه كاملة، وربَّما صدر منه صوت كما هو مشاهد. وقد يبدأ به واحد، فيعدي من حوله، وينشر جو الخمولة في المجلس، كما قال الشاعر[2]:

تثاءَبَ عمروٌ، إذ تثاءَبَ خالدٌ بعَدْوى، فما أعدتْنِيَ الثُّؤبَاءُ

(١) رواه أحمد (٩٦٦٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. وأبو داود (٥٠٢٩)، والترمذي (٢٧٤٥)، وقال: حسن صحيح. والحاكم (٢٩٣/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الأدب.

(٢) هو أبو العلاء المعري، اللزوميات (٣٤/١)، تحقيق أمين الخانجي، نشر مكتبة الخانجي.

QaradawiBooks.com

ولا ريب أن منظر التثاؤب غير مستحسن، ولهذا يرشد الرسول الكريم إلى إخفائه، وذلك بوضع اليد على الفم: قال ﷺ: «**إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه**»(١).

والتثاؤب غير العطاس، إذ يستطيع الإنسان أن يتخذ من الأسباب ما يرد به هذا التثاؤب، وهذا ما أرشد إليه الهدي النبوي. فقد جاء في الحديث الشريف: «**التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا قال: ها، ضحك الشيطان**»(٢). أي: لا يصدر منه صوت يزعج جليسه وصاحبه.

وبهذا المسلك يستر هذا المنظر.

وأمَّا الجُشاء، فهو كما قال صاحب القاموس: تنفُّس المعدة. ويسميه العامَّة «التكريع» وهو ناتج عن الشِّبَع الكامل الَّذي تمتلئ به المعدة، وهذه الطريقة في الأكل مخالفة للهدي النبوي: «**ما ملأ ابن آدم وعاء شرًّا من بطنه**»(٣).

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: تجشَّأ رجل عند النبي ﷺ فقال: «**كُفَّ عنَّا جشاءك، فإنَّ أكثرهم شبعًا في الدُّنيا أطولهم جوعًا يوم القيامة**»(٤). وكف الجشاء يمكن أن يكون بوضع اليد على الفم، وتحويل الوجه.

---

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩٥)، وأحمد (١١٣٢٣)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٨٩)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩٤)، عن أبي هريرة.

(٣) سبق تخريجه صـ٤٠٢.

(٤) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٧٨)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٥٠)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترمذي (٢٠١٥).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ورواية أبي جُحَيفة تلقي ضوءًا كافيًا على التصرُّف الصحيح لكف الجشاء، حيث قال: تجشأت عند رسول الله ﷺ فقال: «**أَقْصِرْ عنَّا من جشائك، إنَّ أطول النَّاس جوعًا يوم القيامة أكثرهم شبعًا في الدنيا**». قال: فما شبعت بعد[1].

فالتجشُّؤ ليس محرَّمًا، وإنَّما هو خلاف الأدب والذوق، لا سيَّما إن كان بحضرة الآخَرين؛ حتَّى لا يتأذَّوا من الصوت والرائحة، ولذا راعى النبي ﷺ هذا لعدم إيذاء الآخَرين ومُراعاةً للذَّوق معهم.

الذوق الاجتماعي:

يقول الأستاذ العقَّاد في «عبقريَّة محمد»: «وكان في آدابه الاجتماعيَّة قدوة الرجل المهذَّب في كل زمان. فلم يُر قط مادًّا رجليه بين أصحابه، وتعود كلما زار أحدًا ألَّا يقوم حتَّى يستأذنه، ولم يكن ينفخ في طعام ولا شراب، ولا يتنفس في إناء، وإذا أخذه العطاس وضع يده أو ثوبه على فيه، وربَّما نهض بالليل فيشوص فاه بالسواك، ولا يزال يستاك ويوصي بالاستياك بعد الطعام والتيقظ من النوم، وكان يتطيَّب ويتحرَّى النظافة ويقول لصحبه: «**اغتسلوا يوم الجمعة ولو كأسًا بدينار**».

وقد تختلف العادات الاجتماعيَّة بين جيل وجيل في شؤون عرضية لا تتصل بلباب الذوق والشعور، فيأكلون في جيل بأصابع اليد، ويأكلون في الجيل الآخر بالشوكة والسكين، ويخرج أناسٌ بالثياب السود، ويخرج غيرهم بالثياب البيض، وهي عَرَضيات يقاس بها عرف البيئة، ولا يقاس

(١) رواه البزار (٤٢٣٦، ٤٢٣٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٢٨١): رواه البزار بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات. وانظر: التربية الجمالية في الإسلام لصالح أحمد الشامي صـ ٩٨ ـ ١٠٠، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

QaradawiBooks.com

بها تهذيب الطبـــاع، فلا ضير على النَّاس أن تختلـــف عاداتهم باختلاف بيئاتهم من أمـــة لأمة، ومن جيل لجيل، وإنَّما الضيـــر فيما يتناول الطبع السليم والذوق الحسن، وهما الخصلتان اللتان كان عليه السلام قدوة فيهما لكل رجل مهذَّب في كل أمة وفي كل زمان، فلم يكن أحد يشكو من محضره بإنصاف، وذلك هو ملاك التهذيب الكامل في أصدق معانيه»[1].

* * *

(١) عبقرية محمد ضمن موسوعة عباس محمود العقاد (١٥٦/٢، ١٥٧).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الرسول الزوج

من المعالم الجليَّة الَّتي لا تخفى على ناظر: الحياة الأسرية لمحمد عليه الصلاة السلام، فكيف كانت حياته شابًّا عزبًا؟ وكيف كانت حياته زوجًا؟ وكيف كانت حياته أبًا؟ وكيف كانت حياته جَدًّا؟ وكيف كانت حياته مع سائر أقاربه؟

صلته بأقربائه:

من يتأمَّل حياة محمَّد الأسريَّة يُحس أنَّه ليس رجلًا ممَّن خُلِق ليعيش وحده، لا يهتم بقريب، ولا يبالي ببعيد، بل هو يعرف لكلِّ عُروة صلتها، ولكلّ قرابة قيمتها، ولكلِّ قريب حقُّه من قريبه، من العناية والرعاية واللطف والحنان.

وإذا كان محمَّد يعرف حق الفقراء، فكيف لا يعرف حق ذوي القربى، وإذا كان يعرف حقَّ الإنسان الكافر، فكيف لا يعرف حقَّ المؤمنين؟ بل إذا كان يعرف حقَّ الحيوان والطير والحشرات، حتَّى النحلة والنملة والبرغوث، فكيف لا يعرف حقَّ القريب؟ وكيف بمن هو أشد قرابة؟!

وقد كان محمَّد الرسول يعرف نفسه، ويعرف ربَّه، ويعرف نسبه من عرب الشمال المستعربة، عربيًّا عدنانيًّا مُضريًّا قرشيًّا مَنَافِيًّا هاشميًّا،

QaradawiBooks.com

ويعرف عشيرته الأقربين الَّذين أمره الله بإنذارهم خاصَّة في زمرة قريش العامة، فقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

ولا غرو أن ناداهم ﷺ بأسمائهم وأنسابهم من بطون قريش، يوم دعاهم عند الصفا، وقال لهم: «**إنَّ الرائد لا يكذب أهلَه، والله لو كذبتُ النَّاس جميعًا ما كذبتُكم، ولو غررتُ النَّاس جميعًا ما غررتُكم، والله لتمُوتُنَّ كما تنامون، ولتُبْعثُنَّ كما تستيقظون، ولتُحَاسبُنَّ بما تعملون، ولتجزوُنَّ بالإحسان إحسانًا، وبالسوء سوءًا، وإنَّها لجنَّة أبدًا، أو لنارٌ أبدًا**»[(١)].

وقال: «**يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عبَّاس بن عبد المُطَّلِب، عم رسول الله، لا أغني عنكَ من الله شيئًا، ويا صفيَّة عمَّة رسول الله، لا أغني عنكِ من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمَّد، سليني ما شئتِ من مالي، لا أغني عنكِ من الله شيئًا**»[(٢)].

وكان محمَّد ﷺ ينتمي إلى أسرته، ويعتز بجده الأوَّل عبد المُطَّلِب الَّذي عايشه وعرفه إلى أن أصبح عمره ثماني سنوات، وفي غزوة حُنين حينما استطاع خصومه أن يدبِّروا مكيدة لجيشه كبَّدته خسائر في أوَّل المعركة، وتفرَّق الجيش، وثبت الرسول ﷺ وثبت معه بعض الصحابة، ارتجز مناديًا من فرَّ ليعود للمعركة:

أنا النبيُّ لا كذبْ أنا ابن عبدِ المطَّلبْ[(٣)]!

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير (١٣٥/٢)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٥٣)، ومسلم في الإيمان (٢٠٤)، عن أبي هريرة.

(٣) سبق تخريجه صـ٣٠٨.

QaradawiBooks.com

واعتبر عمَّه حمزة البطل: سيِّد الشهداء.

وسمَّى عام موت زوجته الأولى خديجة: عام الحزن، مع موت عمه أبي طالب الَّذي دافع عنه.

عرف محمَّد أنَّه من العرب المستعربة، ولكنَّه لم يتنكر للعرب العَرْباء، الَّذين استمدَّ منهم العروبة، فلذلك كان يسعى إليهم، ويتجاوب معهم، ويضع يده في أيديهم: من هنا كان سعيه وحدبه إلى الأوس والخزرج من عرب يثرب، وهم من العرب اليمنيين من آل يعرب وقحطان، وهم الَّذين انشرحت صدورهم برسول الله من أوَّل لقائه بهم، وانتهى أمرهم إلى هجرة الرسول إليهم، وأمسوا هم الأنصار، وأهل مكَّة من المسلمين المهاجرين، وبهما قام المجتمع المسلم الأوَّل الَّذي بناه الرسول ﷺ على التوحيد والإيمان والأخوة، وقد امتدحه القرآن بقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ولهذا كانت الجزيرة العربيَّة كلها دار الإسلام، وعاصمة الإيمان.

حال الجاهليَّة العربيَّة:

لم تعرف الجزيرة العربيَّة نظام الرهبانيَّة، الَّذي انتشر كثيرًا في جاهليات مختلفة، ذكرها القرآن عن النصارى الَّذين ضيَّعوا حقيقة الدين، واستمسكوا بالصورة، وضيعوا التوحيد، وتشدَّدوا في صورة العبادة، قالوا: إنَّ الله ثالث ثلاثة، سمَّوهم: الأب، والابن، والروح القدس، وضيَّعوا نظام الفطرة الَّتي استمسك به النبيون، وابتدعوا فكرة الرهبانيَّة،

QaradawiBooks.com

كما قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧].

ولذلك لم يعش محمَّد ﷺ في شبابه حياة الرهبانيَّة الَّتي عرفتها الجاهليات المختلفة، وإنَّما عاش كما عاش الحنيفيون من العرب، الَّذين عملوا بما توارثوه وتعارفوه من بقايا دين إبراهيم، الَّذي وصفه الله بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

كانت الجاهليَّة العربيَّة من الناحية الاعتقادية وثنية مشركة، وكانت من ناحية السلوك بهيمية الشهوات، مرتكبة للمحرمات، ينكحون زوجات آبائهم، وينكحون بعض محارمهم، ويستحلون الفرج الحرام، والمال الحرام، ويأكلون أموال النَّاس بالباطل.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

ومعنى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] أي: لا يقتل بعضُكم بعضًا، لأن من يقتل أخاه، أو صاحبه، أو جاره كأنَّما يقتل نفسه، وهناك معنًى آخر يُلحظ في هذه الآية، هو: لا تقتلوا أرواحكم بالانتحار؛ فكل إنسان أمينٌ على نفسه.

محمد قبل زواجه:

عاش محمَّد ﷺ نحو عشر سنوات، مكتمل الرجولة، فارع الشباب، قويّ البنيان، ومثله عادة تلتفت إليه الفتيات الجميلات، ولا يشك دارس

QaradawiBooks.com

لسيرة محمَّد وشخصيَّة محمَّد أن مثله كان فارس أحلام لكثير من الفتيات والصبايا. ولكن الَّذين يعرفون حقائق السيرة، ووثائق المسيرة، يعلمون أن محمدًا ﷺ منذ بدأت تظهر نضارة شبابه، كان أبعد ما يكون عن الجوِّ النسائي والغنائي والموسيقي، جو اللهو واللعب والعبث، وكان له جو آخر احتضنه واستهواه، جو الرجوع إلى الله، والتحصُّن به، وبالخلق المتين، وممَّا حَكَوْه ما كان عليه أبوه عبد الله حين عرضت عليه بعض النساء قبل أن يتزوَّج سحر جمالها، فأعرض عنها، وقال لها:

أمَّا الحرامُ فالمماتُ دونهُ والحلُّ لا حلٌّ فأستبينَهُ
يحمي الكريمُ عِرضَهُ ودِينَهُ فكيفَ بالأمرِ الَّذي تَبغينَهُ؟![1]

كان الشباب الَّذين في سنِّ محمَّد ﷺ يعرفون ـ للأسف ـ طريقهم المعتاد إلى الشهوات، وهو طريق أصبح معروفًا، وخصوصًا لمن في مثل هذه السنِّ وما حولها. وقد تدرَّب كثيرون وكثيرات على الجري وراء فتنها، ليُلينوا أعنَّتها، ويحنوا ظهورها ليركبوها، ويصلوا بها إلى المشاوير الأبعد مسافة، ليقطعوا أوديتها: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

ولكن محمدًا ﷺ لم تكن تشغله هذه المفاتن، الَّتي تُهيَّأ لها الزينة والمحاسن، كان ﷺ الشاب الوحيد في مكَّة في سنِّه، الَّذي أفلت من هذه المشاغل المعدَّة بالفتن والشواغل، كان من الشباب المشغول عن هذا الهراء، البعيد عن الفتن ما ظهر منها وما بطن.

أراد الله لهذا الشاب أن يرث من أبيه وجَدِّه الطُّهرَ والصدق والشرف، وإن لم يرث المال، فلم يكن من الشباب الَّذين يرثون الخزائن الَّتي

(١) انظر: الشكوى والعتاب صـ ١٤٨، تحقيق د. إلهام عبد الوهاب، نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، والروض الأنف للسهيلي (٩١/٢).

QaradawiBooks.com

تفيض بالذهب، كما هو شأن بعض الشباب، ولم يكن ممَّن يمتلك المئات من الإبل، ولا الآلاف من الأغنام، ولا العشرات من الخيل المُسوَّمة، ولا الكثير من الأنعام والحرث.

أراد الله تعالى أن يحرمه من هذه الأشياء الَّتي يستمتع بها كثير من النَّاس على وفرة، حتَّى لا يقول النَّاس إذا دعاهم إلى حق أو خير: لماذا لا يدعو نفسه إلى ما يدعو إليه، وقد شبع من النِّعم، ورُبِّي في الرفاهية والتنعُّم؟!

أراد الله ألَّا يكون من ذوي المال، حتَّى لا يكون له من الدُّنيا ما يَعوقه، بل لا بدَّ له أن يبحث عمَّا يقوِّيه ويمده بما يحتاج إليه من أمور المعيشة الَّتي تستره أمام الناس.

رعيه الغنم واشتغاله بالتجارة:

كان ـ وهو ابن الكُبَراء القادة، والأشراف السَّادة ـ قد تعوَّد رعْي الأغنام، كما فعل الأنبياء من قبله، ليتعلَّم منها الصبر والرفق وحسن السياسة، والتعامل مع الضعفاء، والعطف عليهم.

ثم بدأ يتعامل مع النَّاس في شركات المضاربة، وماذا يَفعل في المضاربة من ليس له رأس مال؟! سيكون العامل الَّذي يضرب في الأرض يبتغي من فضل الله، وأصحاب الأموال الَّذين لا يحسنون الضرب في الأرض يعطون له أموالهم، ليتاجر فيها، على أن تعود الأموال إلى أصحابها لا تنقص شيئًا، وتقسم المكاسب بين العامل في المال ورب المال على النسبة الَّتي ارتضياها وفق الشروط والعادات.

كل ذلك والفتى مشغول بطلب المعيشة الحلال، في بلد قلَّ فيه من سلِم من الحرام، فمكة بلدُ المسجدِ الحرام والكعبةِ البيتِ الحرام،

QaradawiBooks.com

وموئلُ النَّاس في الحج والعمرة، قد أصبح النَّاس فيها أسرى العادات المحرَّمة، والمعاملات المحرَّمة، والمأكولات المحرَّمة كالميتة والدم ولحم الخنزير، والمشروبات المحرَّمة كالخمر وما يستخرج منها، وكل ما يجلب الرجس واللعنة.

تجارته بمال خديجة:

وفي معركة التعامل بين المؤتَمنين ممَّن يعرفون المعاملات والتجارات، ومن يملكون الأرصدة من الأموال الَّتي هي رؤوس التجارات، وقع تعارف بين امرأة معروفة بشرفها وحسن سيرتها، وما لديها من أموال موروثة؛ هي خديجة بنت خويلد، قرشية من بني أَسَد، المرأة الثيِّب ذات الأولاد، فقد تزوَّجت مرتين، أو ثلاثة، وأنجبت من زيجاتها ثلاثة أولاد.

سمعتْ خديجة بمحمد ومهارته، واستقامته وصدقه وأمانته ـ وهو ما اشتهر به في مكَّة طوال فترة شبابه ـ فوثقت به أن يكون هو من يشاركها في التجارة بأموالها، فهو مأمون تمامًا على ما يؤْتمن عليه، غير من عرفت قبله من العمال والأجراء، وظهر الكسب الكبير القائم على القوَّة والأمانة، كما فعلت ابنة الشيخ الكبير في مدين مع موسى الشاب: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

ويبدو أن مال خديجة كان ميراثها من هذا الزواج أو من أحد الزوجين، أو الأزواج، ولهذا كانت ذات مال في حياة والدها.

وكانت خديجة أرسلت مع محمَّد خادمها مَيْسرة، فلمَّا رجع قصَّ عليها ما رأى من جزئيات مسيرته من الخلائق والمكارم وكريم الخصال

QaradawiBooks.com

ما حَبَّبه إليها، وأكَّد قيمته لديها، ولم يكن محمَّد مشغولًا بالزواج، وما يلزمه من مهر ونفقات وإعداد بيت، بل كان يدع ذلك للمقادير الإلٰهيَّة، تصرِّفه في الوقت الَّذي تريد، وبالطريقة الَّتي تريد، وماذا يفعل من يريد أمرًا كهذا، وليس عنده من مالٍ ورثه، وما كسبه قليل، فهو ما زال في أوَّل الطريق؟!

ألا تصلح هذه المرأة الثيب النبيلة الجميلة الحنون النسيبة أم الأولاد، زوجًا للشاب النبيل الطاهر ذي الخلق، وإن كانت تكبره بعدة سنين؟ قالوا: إنَّها تكبره بخمسة عشر عامًا. ولكنها لم تزل في نضارتها وقوتها؟ ولكن من يحرك محمدًا لذلك، وهو مشغول بتجارته وكده واجتهاده، ربَّما لو فكَّر في ذلك محمَّد، لوجد الأمر يستحق التفكير. ولكن لا بدَّ من وسيط.

لكن ربَّما يقول بعض النَّاس الَّذين يغالون بقيمة الشباب والفتوة: إنَّ محمدًا شابٌّ بِكْر في الغاية من نضرة الشباب، وأوج القوة، ولا يجوز لمثله أن يضحِّي بشبابه مع امرأة تكبره ـ كما قيل ـ بخمس عشرة سنة.

ولكن محمدًا لم يكن من ذلك النوع الَّذي يجري وراء الجسد فقط، إنَّه شاب، ولكن غير شباب زمانه، صغير السنّ، ولكنَّه في هيبته وشمائله كبير، كان ينشد مع ذلك وقبل ذلك: الخُلُق الحسن، والوفاء والصدق، ومعرفة الحقوق، وأداء الواجبات، والحب المشترك، والعواطف الطيبة الَّتي ذكرها القرآن من السكن والمودة والرحمة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

QaradawiBooks.com

كان محمَّد يَنشد الخُلقَ الكريم قبل كلِّ شيء، وهو موجود في شريكته الجديدة، ولم يكن ينظر إلى الفروق في العمر، لكن ينظر إلى اللبّ والجوهر.

وسيط في الزواج:

كان الجو مهيئًا نفسيًّا واجتماعيًّا، ولكنَّه ـ كما قلنا ـ كان في حاجة إلى وسيط، يعرّف كل طرف بحاجته إلى الآخر، ومناسبته له، وقد هيَّأ الله هذا الوسيط، فأتته نفيسة بنت مُنْية، تسأله السؤال الَّذي يكاد يسأله له كل من يعرفه، تسأله عن الزواج، فإنَّ الخامسة والعشرين في البيئة العربيَّة تعتبر سنًّا متأخرة بالنسبة للشباب، ومحمد أهلٌ لأن يتزوج ويُزَوَّج، لذلك سألته نفيسة: ما يمنعك أن تتزوَّج؟ قال لها: «**ما بيدي ما أتزوج به**». فقالت له: فإن دُعيت وكُفيت إلى المال والجمال والكفاءة؟ قال: «**فمن؟**». قالت: خديجة شريكتك، ودعني أقم عنك باستكمال المهمة[1].

وشاء الله أن يلتقي محمَّد بخديجة الَّتي يحترمها، ولم يكن يفكر فيها زوجة، ولم تكن هي تفكر فيه زوجًا، إلَّا أنَّها بالمشاركة والمخالطة، لم ترَ رجلًا مثله في عفافه وطهره ونُبله ورقَّته وأمانته.

الزواج بخديجة:

وقد وافق محمَّد على الزواج، ووافقت خديجة على الزواج، وحضر ممثلون عن الطرفين، وعُقد عَقد الزواج، وحدثت المصاهرة الجميلة في مكَّة المكرمة، الَّتي وجد فيها الطرفان حياة موفقة سعيدة، عاشا فيها

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٣١/١).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أطيب ما يعيش زوجان، تنعُّمًا بالسكون النفسي، وانسجامًا بما بينهما من مودَّة ورحمة، وشعورًا بالسعادة، وأمنًا من المنغّصات، وأنجبا من البنين والبنات، ولم يُقدَّر لأحد من البنين أن يطول عمره، بينما تزوج كل البنات.

حياة زوجيَّة سعيدة:

لم يُعرف بيتٌ سَعِد بالحياة الزوجيَّة، كما سعد بيتُ محمَّد، ولم يُعرف رجل سعد بزوجته وأنس بها وسكن إليها، وكان بينها وبينه مودة ورحمة، كما سعد محمَّد بأول زوجة له، ولم تُعرف امرأة في ذلك الزمن سعدت بزوجها، وأنست به، واطمأنَّت إليه، وأحسَّت بحرارة المحبة له، كما أحسَّت خديجة بنت خويلد بزواجها من محمَّد.

لقد قالوا: إنَّها أكبر منه كثيرًا! ولكن ذلك لم يغيِّر ما بينهما، فقد تزوَّجته المرأة كما تتزوج البكر العذراء عروسها الشاب، كان كلُّها محبًّا عنده، وكله محبًّا عندها، ينبض بالحياة والحنان والبهجة والحب لمحمَّد، وكانت كل عواطفه المذخورة منذ أوَّل شبابه إلى يوم زواجهما مذخورة كلها لخديجة.

الأسرة في المجتمع الجاهلي:

كانت مكَّة في ذلك الوقت بلدًا يعيش الحياة الجاهليَّة العربيَّة عقيدةً وعبادةً، وأخلاقًا ومعاملات، جهل النَّاس عقيدة التوحيد الَّتي دعا إليها أبوهم إبراهيم عليه السلام، الَّذي بنى الكعبة البيت الحرام لهذه العقيدة، مع ابنه إسماعيل، وأصبح النَّاس مفتونين بهذه الآلهة المزعومة، أو هذه الأصنام المنحوتة، الَّتي يدعونها من دون الله، لتُجيب لهم طلباتهم، وتكشف عنهم

QaradawiBooks.com

ضرَّاءهم، ويسجدون لها على أم رؤوسهم، حين يتقربون إليها. يطلبون إليها ما يصعب أن يجدوه بسهولة، فمن يحب فتاة ولا يسمح أهلها بزواجها منه، ومن يريد أولادًا ولا يُعطى لا ذكرًا ولا أنثى، ومن يعطى إناثًا ولا يعطى ذكرًا، ومن يريد المال ولا يجد منه درهمًا ولا دينارًا، ولا نقيرًا ولا قطميرًا، ومن تتزوج ولا تجد حب زوجها لها، بل يحب ضرتها ولا يحبها، كل هؤلاء يذهبون إلى الآلهة المزعومة يشكون إليها همومهم، وللأسف قد نسوا أن هذه الآلهة لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، ولا تعطي ولا تمنع، كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥].

وهم يُؤدُّون لهذه الآلهة كل ما يقدِّمونه من العبادات الَّتي يعرفونها، من سجود هو من بقايا الصلاة، ومن قربان يقربونه إلى آلهتهم، أو يقدمونه إلى الكاهن، ومن كل ما يصلح أن يُهدى إلى الإلٰه أو إلى وليه.

والأخلاق أصبحت جاهليَّة، حتَّى الخُلُقان اللذان امتاز بهما العرب من قديم الزمان، وفاخروا بهما الأمم، وهما: **الشجاعة** وما يلحق بها من سلوكيات، كما قال ذلك عنترة:

ولَقَدْ شَفَى نَفْسِي وأَبْرَأَ سُقْمَها ... قِيلُ الفوارسِ وَيْكَ عَنْتَرُ أَقْدِمِ
مَا زِلْتُ أَرْمِيهم بثُغْرةِ نَحْرِه ... ولَبَانِه حتَّى تسربَّلَ بالدَّمِ
هلّا سألتِ الخيلَ يا ابْنَةَ مَالِكٍ ... إن كنتِ جاهلةً بما لم تَعْلَمي
يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقِيعَةَ أنّني ... أغشى الوغى وأعفُّ عند المَغْنَمِ
يدعون عَنْتَرَ والرِّمَاحُ كأنَّها ... أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ الْأَدْهَمِ[1]

(١) انظر: جمهرة أشعار العرب صـ ٣٦٤، ٣٧٣، تحقيق علي محمد البجادي، نشر نهضة مصر.

QaradawiBooks.com

والخلق الثاني: الجود وما يلحق به من معاني السخاء والبذل والإعطاء.

قال حاتم لمَّا لامته زوجه في ذبح فرسه لقومه ليطعمهم:

مهلًا نــوارُ أقلِّي اللَــوْمَ والعَذَلا ولا تقولي لشــيءٍ فاتَ مــا فَعَلَا
يرى البخيلُ ســبيلَ المالِ واحدةً إنَّ الجــوَادَ يَرَى في مَالِهِ سُــبُلا
إنَّ البخيــلَ إذا مــا مــات يتبعُه سوءُ الثناءِ ويحوي الوارثُ الإبِلَا
فاصْدُقْ حَدِيثَــكَ إنَّ المرءَ يَتْبَعُه ما كان يبني إذا ما نَعْشُــه حُمِلَا
لا تَعْذِلِيني علــى مالٍ وصلتُ به رَحِمًا وخيرُ ســبيلِ المالِ ما وَصَلَا[1]

وقد جمع الخُلُقين معًا حسَّان بن ثابت في قوله:

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وأَسْــيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْــدَةٍ دَمَا[2]

لكن حتَّى هذين الخُلُقين الفاضلين، نزلت بهما هذه الجاهليَّة، فلم تعد الشجاعة أمام أعدائهم الَّذين يُغيرون عليهم وعلى أراضيهم، وعلى كل من يحتمي بهم، وإنَّما أصبحوا يســتخدمون القوَّة أمام كل من يقف في ســبيلهم، وأضْحَوا يبذلون المال لكلِّ من يُسبِّح بحمدهم، كما نرى ذلك في قصيدة عمرو بــن كلثوم، من المعلقــات المعروفة، عند عرب الجاهليَّة، الَّــذي أصبح ينادي بالقوة الماديَّة، ويباهــي بالكثرة العددية، يواجه بهما العالم، ولا يبالي بما يمكن أن تصيبه به ســيوف عدوه، أو أسنَّة رماحهم، يقول:

---

(١) انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢٣٨/١)، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ، وديوان حاتم الطائي صـ ٣٩، شرح أحمد رشاد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٢م.

(٢) انظر: الكتاب لسيبويه (٥٧٨/٣)، تحقيق عبد الســلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م. والكامل في اللغة (١٤٢/٢)، وديوان حسان بن ثابت صـ ٢١٩، شرح عبد أ. مهنا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

لنا الدُّنيـا، ومَنْ أَضحَـى عليها ونَبطِـشُ حيـن نَبطِـشُ قَادِرِينا
بُغـاةً ظالِميـنَ ومـا ظُلِمْنـا ولكنّـا سـنَبدأُ ظالمينـا
ونشـرب إنْ شَـرِبْنا الماءَ صَفْوًا ويَشْـرَبُ غَيْرُنـا كَـدَرًا وطِينَا[1]

أو كما قال الآخر:

لَا يسْـأَلُون أَخَاهُم حِين يندبهم فِي النائبات على مَا قَـالَ برهانا[2]

إذا دعاه ابن القبيلة إلى الحرب اسـتجاب له، ولم يسأله عن السبب في ذلك، ولا من الظالم، ومن المظلوم!

كان المجتمـع مفعمًـا بالجاهليَّـة أفكـارًا، وبالجاهليَّـة اعتقادًا، وبالجاهليَّة أقوالًا، وبالجاهليَّة أعمالًا. والجاهليَّة مبادئُ يورثونها؛ الكبير للصغير، والأب للابن، والسلف للخلف.

ولكن محمدًا وأسـرته الجديدة، كانوا في حماية من هذه الجاهليَّة الَّتي تحاول أن تغزوهم في رؤوسهم، وفي ضمائرهم، وفي قلوبهم، وفي صدورهم، وفي ألسـنتهم، كانت هذه الأسـرة المؤمنـة، المعتزة بالله، والمطمئنة إلـى الله، متحابَّة فـي الله، متعاونة على البر، متشـاركة في المعروف، واثقة أن طريق الله مفروشـة بالخير، وإن كان الخير لا يخلو من شوك.

في السـنوات الأولى من زواجهما، رُزقا بالبنين: القاسم وعبد الله، وكُني محمَّد أبا القاسم، وأصبح النَّاس إلى اليوم في قطر وبلاد الخليج

(١) شـعر عمرو بن كلثوم في معلقته، انظر: ديوانه صـ ٩٠، ٩١، تحقيق إميل بديع يعقوب، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
(٢) شرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزي (٥/١).

QaradawiBooks.com

العربي يكنون من يُسمَّى محمدًا بأبي القاسم. ثمَّ رزق الزوجان بالبنات: زينب ورقيَّة وأم كلثوم، وفاطمة آخرهن وأصغرهن.

ولا شك أن هؤلاء البنات من هذه الأسرة الكريمة القريشية أبًا وأمًّا، الشـــريفة من جهة الأب والأم، الَّتي ورثت مع الثراء الاستقامة والطهر، فكانت تسمى: الطاهرة. قد كانت تسعى إليهن الأسر الكبيرة من قريش وكبار بطونها.

كان عم محمَّد الثري المستكبر، الَّذي اشتهر بكنية أبي لهب، لا يغفل عن مثل هذه الأسرة الأصيلة بنسبها، العريقة بفرعيها، العظيمة في تربيتها، الفاخرة بما تورثه لأبنائها وبناتها من طهارة واستقامة وإباء وعفاف.

خديجة ومكانتها عند رسول الله:

وممَّا يدل على أن محمدًا ﷺ كان ســعيدًا منبسط الأسارير بزواجه الأوَّل من خديجة: أنَّه كان متذكِّرًا لهذا الزواج، حتَّى إن عائشة لم تملك أن تأثرت بذلك، وهي تعلــم أنَّها اليوم أحب مخلوق إلى رســول الله، ولكن من كثرة ذكر هذه المرأة، أصبحت تغار منها كلما ذُكرت، مع أنَّها لم ترها فــي حياتها رضي الله عنها، وقد قالت كلمات شــديدة فــي حق خديجة، وقالت: كأن لم يكن في الدُّنيا إلَّا خديجة، هذه عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين[1]. لأنَّ الرســول كان دائمًا يذكرها، ويأتي بالشاة فتُذبَح فيبعث أوَّل ما يبعث لصديقات خديجة، وإذا جاءت هالة أخت خديجة، وسمع صوتها، وهو قريب من صوت خديجة، ارتاع لها، وقد سمع بعض كلام من عائشة عن خديجة، فتغير وجهه ﷺ كأنَّما ينزل عليه الوحي، أو

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٢١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣٧).

QaradawiBooks.com

يتوقع نزول شيء من السماء، وقالت له: أبدلك الله خيرًا منها. فقال لها: «**ما أبدلني الله خيرًا منها، صدَّقتنـــي إذ كذَّبني النَّاس، وآمنت بي إذ كفر بي النَّاس، وواســـتني بنفســـها ومالها إذ حرمني النَّاس، ورزقني الله ﷻ منها الولد إذ حَرَمني من أولاد الناس**»[1].

حتى كانت عائشة تخاف أن تتكلم إذا ذكر اسمها.

كل هذا يدلنا على مدى ما تركت خديجة في حياة محمَّد في أعماق قلبه وجوانبه، في الأزقة الداخلية لمشـــاعره، وهذا هو الحب الحقيقي، ولا مانـــع أن يجمع الله لرجل حـــب امرأتين، وخصوصًـــا إذا كانتا في فترتين مختلفتين.

محمد ﷺ بعد زواجه الأوَّل من خديجة:

ماذا يقول المـــؤرخ والمحلل والمنتقد المنصف بعـــد أن يقرأ قصة محمَّد في زواجه الأول؟

وبماذا يخرج من نتائج علمية ونفسية وواقعية بعد قصة هذا الزواج الحافل؟

لا شكَّ أنَّ كلَّ المؤرِّخين والمحلِّلين والمنتقدين ـ إذا كانوا ينظرون إلى القضية نظرة علمية بتأمُّل وإنصاف ـ سيُجمعون على أنَّ محمدًا ﷺ كان الإنســـان الموفَّق، والـــزوج الموفَّق، والأب الموفَّـــق، والاجتماعي الموفَّق، فقد رأينا من هو مثله وفي سنِّه مِن الشباب يرفضون الزواج من مثل هذه المرأة، لماذا؟

---

(١) رواه أحمد (٢٤٨٦٤)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والطبراني (١٣/٢٣)، وحســـن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢٨١). عن عائشة.

QaradawiBooks.com

• لأنَّها أكبر منهم سنًّا، ليس سنتين ولا ثلاثًا، ولكن بخمس عشرة سنة، وهو فرق كبير في العمر.

• ولأنَّه شابٌّ بِكر لم يعرف الزواج، ولم يعرف النساء قط، وهي امرأة مُسنَّة، عرفت الزواج مرَّة واثنتين وثلاثًا.

• ولأنَّها أنجبت من اثنين من أزواجها، وعاش أولادها معها، ولا شك أن لهم أثرهم في حياتها، شاءت أم أبت؛ فهي أم، والأمومة لها متطلباتها.

فما الَّذي يدعو شابًّا في نضرة محمَّد وقوته وينعه يتطلع إلى تلك المرأة من عجائز قريش، حمراء الشدقين، ويُضيع شبابه الخصب الدافئ ـ الَّذي لم يعرف امرأة قط لا في حلال ولا في حرام ـ مع هذه المرأة الَّتي جرَّبت حظها، وأخذت نصيبها، وآن لها أن تترك مثل هذا الشاب لغيرها؟

هذا هو تفكير الماديِّين، ولكنَّه لم يكن تفكير محمَّد ﷺ، إنَّه تعامل مع المرأة ولم يكن يفكر فيها إلَّا أنَّها شريكته الَّتي يتجر لها في مالها بأمانة وشرف، لم يفكر فيها زوجة، حتَّى جاءت نَفِيسة بنت مُنْيَة صديقتها، فتنبه إلى ذلك، وسرعان ما تنبَّه، وأيقن أنَّه في حاجة إلى المرأة، وأن هذه المرأة الَّتي يراها ويتفق معها على ما فيه الخير لهما، ويسلم لها أرباحها ورأس مالها، ويبدأ رحلة جديدة من رحلات الشتاء والصيف، الَّتي هيَّأها الله تعالى لقريش، ليعبدوا رب هذا البيت، الَّذي أطعمهم من جوع وآمَنَهم من خوف، تناسبه وتوافقه وتصلح له.

يقول الأستاذ محمَّد أبو زهرة: «وجدت خديجة في الشاب الهاشمي محمَّد ﷺ ما ليس في الرجال شيبًا وشبابًا، فرغبت في الإملاك منه في غير عشق ولا هيام، ولا رعونة وطيش، ولكن في إرادة مقدِّرة، وتفكير

QaradawiBooks.com

في الماضي والحاضر والقابل، فقد علت خديجة عن حال العشاق، ولم يكن سنها، ولا شـــرفها، ولا مكانتها في قريش لتســـمح أن يُغريها من الصفات ما يُغري الغريرات من النساء.

ولكن محمدًا ﷺ، هل طمع في الزواج منها أو من غيرها؟ أو هل حدثته نفســـه بمعنى من هذه المعاني، أو هاجسة من هذه الهواجس؟ إنَّه لم يثبت شـــيء من ذلك؛ لأن محمـــدًا ﷺ ما خلب كبده أمر من أمور اللذائذ والشهوات وما يتصل بها، ولكنَّه إذا نُبه يتنبه، فكان لا بدَّ من منبه.

أدركت بفطنتها وغريزتها أنَّـــه لا بدَّ من أن يُنبَّـــه، فتولَّت هي ذلك الأمر، وللنساء فيه قدرة، وإن كانت من مثل خديجة فيه مواجهة واحتشام من غير إسفاف.

أرســـلت نفيســـة بنت منية لتنبه محمـــدًا ﷺ ولتجـــس نبضه. وقد فعلت»[1].

فتجاوب محمَّد مع الوســـيطة المخلصة، ولم يهمه تلك التفاصيل الَّتي تهم الكثير من الشـــباب، وحســـبه أن يجد فيهـــا النصرة والقوة لأهدافه الكبيرة، ولم يجد فيها الفارق الكبير الَّذي يراه الآخرون. بل رآها المرأة الصالحة، كما قال في أحاديثه بعد ذلك: «**خير نساء ركبن الإبل صالحُ نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده**»[2].

(١) خاتم النبيين (١٤٣/١).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٨٢)، ومســـلم في فضائـــل الصحابة (٢٥٢٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

رَحَّب محمَّد ﷺ بهذا الزواج، واستقبله مع زوجته الجديدة بالحب والسكينة والرحمة، وأنجبا الأولاد والبنات، وعاشا أروع ما تكون الحياة الزوجية من المودة والإيثار، والتعاون على كل خير، لا تبخل عليه بمال، ولا تمنُّ عليه بعطاء، بل مالها هو ماله، وحالها هو حاله، وما يهمه يهمها.

عاشا خمسًا وعشرين سنة، على أحسن ما يعيش الأزواج، ما سمعنا أنَّه اشتكى منها، ولا أنَّها اشتكت منه، كأنَّ الله الَّذي يعدُّ مُحمّدَ بن عبد الله القرشي الهاشمي لرسالة كبرى ينهض بها لهداية العالم أهدى إليه هذه المرأة، الَّتي كلها حب وشوق له، لتعيش معه على السرَّاء والضرَّاء، وينالها ما يناله في سبيل نشر دعوته، فما أعظم ما يصنع القدر!

كانت خديجة هي المرأة الَّتي هيَّأها القدر الأعلى لمحمد ﷺ، لتتلقَّاه يوم يأتي من الغار الَّذي يأوي إليه كل عام، ليقول لها بصوته الحبيب: «**زَمِّلوني زمِّلوني**». ويحكي لها ما جرى له مع الملك الَّذي حَدَّثَه وجهًا لوجه، وقرأ عليه الفوج الأوَّل من الآيات: ﴿**ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ**﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

هنا تجلَّى دور هذه المرأة البصيرة الحانية، الَّتي ربطت على فؤاده الَّذي ملأه يقين مصحوب برهبة، وقالت له بكلماتها المؤمنة بالفطرة، الواثقة بالربِّ الأعلى: والله لا يخزيك الله أبدًا، فوالله إنَّك لتصلُ الرَّحِم، وتَصْدُقُ الحديث، وتَحْمِل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتَقْرِي الضيف، وتُعِينُ على نوائب الحق[1].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

هكذا قالت امرأة محمَّد بنفاذ بصيرتها، ونــور فطرتها، تُطمئنه إلى المصير المرتجى، بناء على قراءتها للماضي، مقســمةً بالله أنَّه لا يخزي مثله، وهكذا يهدي الله المؤمنين والمؤمنات إلى قول كلمات الحق، الَّتي تريح الأنفس، وتنير الطريق، وتساعد المبتدئ، وتؤيِّد المسترشد.

لو كانت من النساء الفارغات اللائي لا يبحثن إلَّا عن الزينة والبهرج، وعن الحلي والحلل، لربما استقبلته بالصُّراخ والعويل، والدعاء بالويل والثبور، وما يصدع الصدور.

لقد شــرح الله بهذه الكلمات صدر زوجها محمَّد، وأرادت أن تزيده طمأنينة وثقة بمــا آتاه، بأن تعرضه على رجل كبير مــن أبناء عمومتها، يعرف شيئًا عن الأديان وتاريخها، وما يجري فيها، وهو أهل أن يُستفتى في هذه القضية، فيفتي فيها، إنَّه وَرَقَة بن نَوْفَل.

وقد ذهبت معه إلى ورقة، وقصَّ عليه ما حــدث له، فقال له ورقة: هذا الناموس الَّذي أنزله الله على موســى، ليتنــي أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فأنصرك نصرًا مؤزَّرًا.

وهنا التفت محمَّــد إليه، وقال له مســتفهمًا: «**أومُخرجيَّ هم؟**». لم يتصور أن يأتيهم بالبينات والهدى ويحاربوه حتَّى يخرجوه من داره!

قال وَرَقَة: ما جاء أحد بمثل ما جئتَ به إلَّا عُودِيَ[1].

هذه هي الزوجة الأولى لمحمَّد ﷺ، الَّتي كانت النور الَّذي يهدي، والرُّوح الَّتي تُحيي، والنَّبت الَّــذي يُزهر، عاش معها قبل النبوة، وعاش معها بعد النبوة والرســالة عشر ســنوات، فلم تكن إلَّا الصدر الحنون،

(١) جزء من الحديث السابق.

QaradawiBooks.com

والقلب المليء بالحب أبدًا، حتَّى توفَّاها الله، وهي في سنِّ الخامسة والستين، وسُمِّيَ هذا العام عامَ الحزن.

وفاة خديجة وبعض مناقبها:

وقد ذكر الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» فصلًا عن وفاة خديجة بنت خويلد وذكر شيئًا من فضائلها ومناقبها، رضي الله عنها وأرضاها، وجعل جنات الفردوس مُنْقَلَبَها ومثواها، وقد فعل ذلك ـ أي رب العزة سبحانه ـ لا محالة بخبر الصادق المصدوق حيث بشَّرها ببيت في الجنَّة من قصب لا صخب فيه ولا نصب، قال ابن كثير: «قال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو صالح، حدثنا الليث، حدثني عُقَيل، عن ابن شهاب قال: قال عروة بن الزبير: وقد كانت خديجةُ تُوُفِّيَتْ قبل أن تُفْرَض الصلاة.

ثم رُوِيَ من وجه آخر عن الزهري أنَّه قال: تُوفِّيت خديجة بمكة قبل خروج رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقبل أن تفرض الصلاة»[(١)].

وقال محمَّد بن إسحاق: ماتت خديجة وأبو طالب في عام واحد[(٢)].

وقال البيهقي: «بلغني أنَّ خديجة تُوُفِّيت بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام. ذكره عبد الله بن منده في كتاب «المعرفة»، وشيخنا أبو عبد الله الحافظ. قال البيهقي: وزعم الواقدي أن خديجة وأبا طالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين، عام خرجوا من الشِّعْب، وأن خديجة توفيت قبل أبي طالب بخمس وثلاثين ليلة»[(٣)].

(١) المعرفة والتاريخ للفسوي (٣/٢٥٥، ٢٥٦)، تحقيق أكرم ضياء العمري، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(٢) سيرة ابن إسحاق صـ ٢٤٣.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٢/٣٥٢ ـ ٣٥٣)، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، نشر دار الكتب العلمية، ط ١، ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

قلت (ابن كثير القائل): مرادهم قبل أن تُفْرَض الصلوات الخمس ليلة الإسراء.

وقال البخاري: حدثنا قتيبة، حدثنا محمَّد بن فُضَيل بن غَزْوان، عن عمارة، عن أبي زُرعة، عن أبي هُرَيْرة قال: أتى جبرائيل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام ـ أو طعام، أو شراب ـ فإذا هي أَتَتْك، فاقرأ عليها السلام من رَبِّها ومِنِّي، وبَشِّرْها بِبَيْتٍ في الجنَّة من قَصَب، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَب[1].

وقد رواه مسلم من حديث محمَّد بن فضيل به.

وقال البخاري: حدثنا مسدَّد، حدثنا يحيى، عن إسماعيل قال: قلتُ لعبد الله بن أبى أوفى: بَشَّرَ النبي ﷺ خديجة؟ قال: نعم، ببيت من قَصَب، لا صخب فيه ولا نصب[2].

ورواه البخاري أيضًا ومسلم من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به[3].

قال السهيلي[4]: وإنَّما بَشَّرها ببيت في الجنَّة من قصب ـ يعني قصب اللؤلؤ ـ لأنَّها حازت قصب السَّبْق إلى الإيمان. لا صخب فيه ولا نصب؛ لأنَّها لم ترفع صوتَها على النبي ﷺ، ولم تُتعبه يومًا من الدهر، فلم تَصْخَبْ عليه يومًا، ولا آذته أبدًا.

وأخرجاه في «الصحيحين» من حديث هشام بن عُرْوَة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، أنَّها قالت: ما غِرْتُ على امرأة للنبيِّ ﷺ ما غِرْتُ على

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٢٠)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣٢) (٧١).
(٢) رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨١٩).
(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الحج (١٧٩٢)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣٣) (٧٢).
(٤) الروض الأنف (٢/٢٧٧، ٢٧٨).

QaradawiBooks.com

خديجة ـ وهلكت قبل أن يتزوجني ـ لما كنتُ أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يُبَشِّرها ببيت في الجنَّة من قَصَب، وإن كان ليذبح الشاة فيُهْدِي في خلائلها منها ما يسعهن[١]. لفظ البخاري. وفي لفظ عن عائشة: ما غِرْتُ على امرأة ما غِرْتُ على خديجة، من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إيَّاهَا. قالت: وتزوَّجني بعدها بثلاث سنين، وأمره ربه ـ أو جبرائيل ـ أن يبشِّرها ببيت في الجنَّة من قَصَب[٢].

وفي لفظ له: قالت: ما غِرْتُ على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتُها، ولكن كان يُكْثِر ذكرَها، وربَّما ذبح الشاة فيقطعها أعضاءً، ثمَّ يبعثها في صدائق خديجة. فربَّما قلت له: كأنَّه لم يكن في الدُّنيا امرأة إلَّا خديجة! فيقول: «**إنَّها كانت وكانت، وكان لي منها ولد**»[٣].

ثم قال البخاري: حدثنا إسماعيل بن خليل، أخبرنا علي بن مُسْهِر، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أختُ خديجة على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة، فارتاع، فقال: «**اللهمَّ هالة**». فغِرْتُ، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشِّدْقَين[٤]، هَلَكَتْ في الدهر، قد أبدلك الله خيرًا منها[٥]. وهكذا رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر به.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨١٦)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣٥).

(٢) رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨١٧).

(٣) رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨١٨).

(٤) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٤٠/٧): والذي يتبادر أنَّ المراد بالشدقين ما في باطن الفم، فكَنَّتْ بذلك عن سقوط أسنانها، حتى لا يبقى داخل فمها إلَّا اللحم الأحمر من اللثة وغيرها، وبهذا جزم النووي وغيره. انتهى.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٢١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣٧) (٧٨).

QaradawiBooks.com

هذا ظاهر في التقرير على أن عائشة خيرٌ من خديجة؛ إما فَضْلًا وإما عِشْرة. إذ لم ينكر عليها، ولا ردَّ عليها ذلك، كما هو ظاهر سياق البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولكن قال الإمام أحمد: حدثنا مؤمَّل أبو عبد الرحمٰن، حدثنا حماد بن سلمة، عن عبد الملك ـ هو ابن عمير ـ عن موسى بن طلحة، عن عائشة قالت: ذكر رسول الله ﷺ يومًا خديجة، فأطنب في الثناء عليها، فأدركني ما يُدْرِكُ النساء من الغَيْرة، فقلت: لقد أَعْقَبَكَ اللهُ يا رسولَ الله من عجوز من عجائز قريش حمراء الشِّدْقَيْن. قالت: فتغيَّر وجهُ رسول الله ﷺ تغيُّرًا لم أَرَه تغيَّر عند شيء قط، إلَّا عند نزول الوحي، أو عند المخِيلة، حتَّى يعلم: رحمةٌ أو عذابٌ[1]. وكذا رواه عن بهز بن أسد وعثمان بن مسلم، كلاهما عن حماد بن سلمة، عن عبد الملك بن عُمَيْر به، وزاد بعد قوله: حمراء الشدقين: هَلَكَتْ في الدهر الأول. قالت: فتمعَّر وجهُه تمعُّرًا ما كنتُ أراه إلَّا عند نزول الوحي، أو عند المَخِيلة حتَّى ينظر أرحمة أم عذاب[2]. تفرد به أحمد، وهذا إسناد جيد.

وقال الإمام أحمد أيضًا: ثنا علي بن إسحاق، أخبرنا عبد الله، أخبرنا مجالد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجةَ، أثنى عليها بأحسن الثناء. قالت: فغِرْتُ يومًا، فقلت: ما أكثر ما تذْكُرُها، حمراء الشِّدقين، قد أبدلك الله خيرًا منها! قال: «**ما أبدلني الله خيرًا منها، وقد آمنت بي إذ كفر بي النَّاس، وصدَّقَتْني إذ كذَّبَنِي النَّاس،**

(١) رواه أحمد (٢٥٢١٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه أحمد (٢٥١٧١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وواستني بمالها إذ حَرَمَني النَّاس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولادَ النساء»[1]. تفرَّد به أحمد أيضًا، وإسناده لا بأس به، ومجالد روى له مسلم متابعة، وفيه كلام مشهور. والله أعلم.

ولعل هذا ـ أعني قوله: «**ورزقني الله ولدها إذ حرَمَني أولاد النساء**». ـ كان قبل أن يولد إبراهيم بن النبي ﷺ من مارية، وقبل مَقْدَمِها بالكلية، وهذا متعَيَّن. فإن جميع أولاد النبي ﷺ كما تقدم وكما سيأتي ـ من خديجة، إلَّا إبراهيم فمن مارية القبطية المصرية، رضي الله عنها.

وقد استدلَّ بهذا الحديث جماعةٌ من أهل العلم على تفضيل خديجة على عائشة، رضي الله عنها وأرضاها، وتكلَّم آخرون في إسناده، وتأوَّله آخرون على أنَّها كانت خيرًا عِشْرَة، وهو محتمل أو ظاهر. وسببه أن عائشة سَمَتْ بشبابها وحُسْنِها وجميل عشرتها، وليس مرادها بقولها: «قد أبدلك الله خيرًا منها» أنَّها تزكي نفسها وتفضلها على خديجة، فإن هذا أمر مرجعه إلى الله عز وجل كما قال: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩].

وهذه مسألة وقَع النزاعُ فيها بين العلماء قديمًا وحديثًا، وتَجَاذَبَها طَرَفا نقيض: أهل التَّشيُّع وغيرهم لا يَعْدِلون بخديجة أحدًا من النساء، لسلام الرب عليها، وكون ولد النبي ﷺ جميعهم إلَّا إبراهيم منها. وكونه لم يتزوج عليها حتَّى ماتت، إكرامًا لها، وتقدُّمِ إسلامها، وكونها من الصدِّيقات، ولها مقامُ صِدْق في أوَّل البِعْثَة، وبَذَلَتْ نفسَها ومالَها لرسول الله ﷺ».

(١) سبق تخريجه صـ٤٥٥.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولا شك أنَّها أوَّل من أســلم من العالمين رجالًا ونساء، وهي الَّتي ثبَّتت رســول الله في أوَّل أمره، وقالت له: «والله لا يُخزيك الله أبدًا، إنَّك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ...»[1]، وهي الَّتي سمَّى العام الَّذي ماتت فيه عام الحزن، والَّتي يذكرها ﷺ بعد وفاتها طول عمره، برغم حبه لعائشة. وظل يكرم من يحبها من النســاء ويبعث إليهم بما يليق بهم من الطعام وغيره، وهذا لا يبخس حبيبته عائشة قدرها وفضلها وعلمها.

قال ابن كثير: «وأمَّا أهل السُّنَّة، فمنهم من يغلو أيضًا، ويُثْبِتُ لكل واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف، ولكن تَحْمِلهم قوةُ التَّســنُّن على تفضيل عائشة لكونها ابنة الصدِّيق، ولكونها أعلم من خديجة، فإنَّه لم يكن في الأمم مثل عائشــة في حفظها، وعلمها، وفصاحتها، وعقلها، ولم يكن الرسولُ ﷺ يُحِبُّ أحدًا من نسائه كمحبته إياها، ونزلت براءتُها من فوق سبعِ سماوات، ورَوَتْ بعده عنه عليه السلام علمًا جمًّا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه، حتَّى قد ذكر كثيرٌ من النَّاس الحديث المشهور: «خُذوا شَطْر دينكم عن الحُميراء»[2].

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٥٨.

(٢) قال ابن القيم فــي كتابه المنار المنيــف صـ ٦٠، ٦١: كل حديث فيــه: «يا حُمَيْراء» أو ذِكْر «الحُمَيْراء». فهو كَذِب مختلَق.
وعلَّق عليه صديقنا العلّامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله بقوله: هذه الكلية غير مسلَّمة، فقد صحَّت ثلاثة أحاديث جاء فيها ذكرُ الحميراء، قال الإمام بدر الدين الزركشي في كتابه: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة صـ ٦١، ٦٢ في أثناء تعداد خصائصها رضي الله عنها: السابعة والعشرون: جاء في حقّها: «خذوا شطر دينكم عن الحميراء». وسألتُ شيخنا الحافظ عمادَ الدين بنَ كثير رحمه الله عن ذلك، فقال: كان شيخنا حافظ الدنيا أبو الحجّاج المِزّي رحمه الله يقول: كلّ حديثٍ فيه ذكر (الحميراء) باطل إلَّا حديثًا في الصوم في (سنن النسائي).
قلت (القرضاوي): لم أقف عليه، وقال الألباني في الصحيحة (٣٢٧٧): وعقب عليه بعضهم بحديث آخر في الصوم، كما كنتُ نقلته في آداب الزفاف صـ ٢٧٢. وكان ذلك قبل طبع (السنن الكبرى) للنســائي، فافترضت يومئذٍ أنَّ الحديث الآخر فيه، والآن وقد طبعت هذه (السنن)، ولم أجد الحديث فيه، كما لم أجده من قبل في (الصغرى) وهي المسماة بـ(المجتبى)؛ فقد =

QaradawiBooks.com

والحق أن كلًّا منهما لها مـــن الفضائل ما لو نَظَرَ الناظـــر فيه لبَهَرَه وحَيَّره، **والأحسن التوقف في ذلك، وردُّ علم ذلك إلى الله** ﷻ، ومن ظهر له دليل يَقْطَع به، أو يغلب على ظنه في هـــذا الباب، فذاك الَّذي يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم، ومن حصل له توقف في هذه المسألة أو في غيرها، فالطريق الأقوم، والمسلك الأسلم، أن يقول: الله أعلم.

وقد روى الإمام أحمد والبخاري ومســـلم والترمذي والنســـائي من طرق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد**»[1]. أي خير نساء زمانهما.

= غلب على ظني خطأ هذا البعض، وأنَّه اشتبه عليه بحديث الترجمة، ولا سيما وأحفظ الحفاظ ـ وهو العسقلاني ـ ينفي ذلك، وهو متأخر عن ذاك البعض؛ والله أعلم.
قال ابن كثير: وحديث آخر في سنن النســـائي أيضًا عن أبي سلمة قال: قالت عائشة: دخل الحبشةُ المسجد يلعبون فقال لي: «يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم؟». وإسناده صحيح.
رواه النسائي في السنن الكبرى في عشرة النســـاء (٨٩٠٢)، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٤٤/٢): إسناده صحيح ولم أر في حديث صحيح ذكر الحميراء إلَّا في هذا.
وروى الحاكم في مستدركه (١١٩/٣) حديث أمّ سلمة رضي الله عنها قالت: ذكر النبي ﷺ خروجَ بعض أمهات المؤمنين، فضحكت عائشة، فقال: انظري يا حميراء، ألَّا تكوني أنتِ، ثم التفت إلى عليّ. وقال: «إن وَليتَ من أمرها شيئًا فارفق بها». قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وقال الذهبي: عبد الجبار لم يُخرجا له. انتهى بزيادة وتصويب.
قال العلّامة الزرقاني في شرح المواهب اللدنية (٢٥٧/٧) بعدَ ذكر القسطلاني حديثَ أم سلمة هذا من رواية الحاكم والبيهقي: (حديث صحيح فيـــه: يا حميراء، فيُرَدّ به على زاعم أنّ كل حديث فيه ذلك موضوع). انتهى. ويقصد الزرقاني بالزاعم المشار إليه الشيخ ابن القيم رحمه الله تعالى.
قال عبد الفتاح أبو غدة: ولعلّ حديثَيْ النســـائي المشـــار إليهما في سننه الكبرى، فإني لم أجدهما في الصغرى المطبوعة، ولا أشار إليهما النابلسي في (ذخائر المواريث)، فالله أعلم.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٣٢)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣٠)، كما رواه أحمد (٦٤٠)، والترمذي (٣٨٧٧)، والنسائي في الكبرى (٨٢٩٦)، كلاهما في المناقب.

QaradawiBooks.com

وروَى شعبة، عن معاوية بن قرة، عن أبيه قرة بن إياس، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كمُل من الرجل كثير، ولم يكمل من النساء إلَّا ثلاث: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد. وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**». رواه ابن مردويه في تفسيره[١]. وهذا إسناد صحيح إلى شعبة وبعده.

قالوا: والقدر المشترك بين الثلاث نسوة: آسية، ومريم، وخديجة؛ أن كلًّا منهن كَفَلَتْ نبيًّا مُرْسَلًا، وأحسنت الصحبةَ في كفالتها، وصدَّقَتْه؛ فآسية ربَّت موسى، وأحسنتْ إليه، وصدَّقَتْه حين بُعِثَ، ومريم كَفَلَتْ وَلَدها أتمَّ كفالةٍ وأعْظَمَها، وصدَّقَتْه حين أُرْسِل، وخديجة رغِبَتْ في تزويج رسول الله ﷺ بها، وبذلت في ذلك أموالَها كما تقدَّم، وصدَّقَتْه حين نزل عليه الوحيُ من الله عز وجل.

وقوله: «**وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**». هو ثابت في «الصحيحين» من طريق شعبة أيضًا، عن عمرو بن مُرَّة، عن مُرَّة الطيب الهَمْدَاني، عن أبي موسى الأشْعَرِي قال: قال رسول الله ﷺ: «**كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلَّا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[٢].

والثريد: هو الخبز واللحم جميعًا، وهو أفخر طعام العرب، كما قال بعض الشعراء:

إذا ما الخبزُ تأدِمُه بلَحْمٍ ... فذاك أمانةَ اللهِ الثريدُ[٣]

(١) ذكره المصنف ـ ابن كثير ـ في تفسيره (٣٢/٢). وعزاه لابن مردويه في تفسيره، من طريقة شعبة به.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤١١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣١).

(٣) البيت من غير نسبة في كتاب سيبويه (٦١/٣، ٤٩٨) واللسان مادة (أ. د. م).

QaradawiBooks.com

ويحتمل قولُه: «**وفضلُ عائشة على النساء**»، أن يكون عامًّا، فيعُمَّ النساءَ المذكوراتِ وغيرَهن، ويحتمل أن يكون عامًّا فيما عداهُنَّ، ويَبْقَى الكلام فيها وفيهن موقوفًا يحتمل التسوية بينهن، فيحتاج مُرَجِّحُ واحدةٍ منهن على غيرها إلى دليل من خارج، والله أعلم»[1].

أزواج محمَّد ﷺ بعد خديجة:

لم يتزوج النبي ﷺ مع خديجة غيرها، وبعد موتها تزوَّج **بسودة بنت زمعة**، مؤمنة من المؤمنات، هاجرت هي وزوجها إلى الحبشة، فمات زوجها، وأصبحت في حاجة إلى من يتزوَّجها، وكان الزواج الأوَّل بعد خديجة.

أمَّا الزواج الثاني **فعائشة بنت الصديق** الأوَّل والصاحب الأوَّل أبي بكر، تزوجها بعد موت خديجة بثلاث سنوات، وبذلك كان صديقه ووزيره الأوَّل صهره.

وبقي صديقه ووزيره الثاني عمر، فكانت الزوجة التالية حفصة بنت عمر، وكانت ثيِّبًا.

وطَّد آصرته بأقرب أصحابه إليه وخلفائه من بعده: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، عن طريق المصاهرة.

وأمَّا عثمان وعلي رضي الله عنهما فزوجهما النبي ﷺ بناته: زوج عثمان رقيَّة ثمَّ أم كلثوم، وتوفيت كلتاهما، فقال له الرسول: «**لو كانت عندنا ثالثة لزَوَّجْنَاكَها**»[2].

(١) البداية والنهاية (٣١٥/٤ ـ ٣٢٤).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٥٦/٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وبقيت ابنته الأخيرة وهي الصُّغرى، فاطمة، فزوَّجها ابن عمِّها عليًّا، أوَّل من آمن من الصبيان، والَّذي فدى النبي بنفسه يوم الهجرة فنام في فراشه، وكان نعْم الزوج، وأنجب منها سيِّدَيْ شباب الأمة: الحسن والحسين.

لقد ظل محمَّد ابن العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات، يعيش في غاية السعادة والحياة الزوجية الهنيئة، مع امرأة تكبره في السن، وتزوجت قبله أكثر من مرَّة، وينجب منها، ويعيشان معًا أهنأ ما يعيش الأزواج، ولا يفكر هذا الشاب في أيّ امرأة أخرى؛ لأنَّه كان مقتنعًا بها، ومبتهجًا بها، ومسرورًا منها، لم يتطلع يومًا ما إلى امرأة أخرى في حياته الزوجية مع خديجة.

وقد ظل مع ذكريات هذه الحياة السابقة قرير العين بها، وبما قدَّمت إليه من كل أولاده طوال حياته، إلَّا ابنه إبراهيم في الأعوام الأخيرة من حياته من الفتاة القبطية المصرية مارية، وقد مات رضيعًا.

فكيف يقال: إنَّه بعد أن ودَّع الشباب، وآل إلى الكهولة، ودخل في الشيخوخة يدع حياته الأولية، الَّتي يُعجب بها النَّاس، وبرقيها وفضائلها، حتَّى إذا اقترب من الستين، أسرف واشتهى، ودخل فيما يدخل فيه الداخلون بالباطل.

لا والله، ليس هذا شأن محمَّد، وقد رأيناه في شبابه قبل بعثته لم تُغْرِه الشهوة أو تَغُرَّه أو تدفعه إلى اتباع الهوى، ثمَّ رأيناه وهو في شرخ شبابه وفي عنفوان حياته ومقتبل عمره يتزوج امرأة تكبره بخمسة عشر عامًا. فقد كان في الخامسة والعشرين وتزوج خديجة في سن الأربعين، وقد تزوجت من قبله مرتين، ولها أولاد من غيره وعاش مع هذه المرأة الكبيرة شبابه كله أسعد ما يكون الأزواج، حتَّى

QaradawiBooks.com

سمى العام الَّذي ماتت فيه «**عام الحزن**»[١]، وظل يثني عليها حتَّى بعد موتها، ويذكرها بكل حب وتقدير، حتَّى غارت منها ـ وهي في قبرها ـ عائشة رضي الله عنها.

لقد تزوج من تزوج، ليُرضي القبائل الكبيرة بالزواج من بناتهم اللائي كنَّ متزوجات، ليُرضي أقوامهن وقبائلهن بهذه المصاهرة، تزوَّج **أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان**، الَّذي قاد قريشًا في عداوته سنوات طويلة، وحين تزوج ابنته، ووكَّل مَلِكَ الحبشة النجاشي في زواجه منها، ودفع لها أربعمائة دينار ذهبي، وأشياء أخرى، وسمع أبوها بهذا النكاح من محمَّد قال كلمته الشهيرة: هو الفحل الَّذي لا يقدع أنفه[٢]!

وتزوَّج **جُوَيْرية بنت الحارث** بن أبي ضرار سيِّد بني المُصْطَلِق، بعد أن حارب قومها بني المُصْطَلِق، ونصره الله عليهم، وغنم ما غنم منهم، وفق قوانين الحرب، ووقعت جُوَيْرِية بنت الحارث في سهم بعض الصحابة، فكاتبته على نفسها، وأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، قالت: يا رسولَ الله، أنا جُوَيْرِية بنت الحارث بن أبي ضرار سيِّد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك.. فجئتك أستعينك على كتابتي. قال: «**فهل لك في خيرٍ من ذلك؟**». قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «**أقضي كتابتَكِ وأتزوَّجك**». قالت: نعم يا رسول الله. قال: «**قد فعلتُ**». وخرج الخبر إلى النَّاس أنَّ رسولَ الله ﷺ تزوج جُوَيْرِية بنت الحارث،

(١) سبق تخريجه صـ٣٧٩.

(٢) انظر: عيون الأثر (٣٧٣/٢) نشر دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م. وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب مرتين مرة كما هنا (١٨٤٥/٤)، ومرة (١٨١٨/٤): أنَّ القائل ورقة بن نوفل حين خطب النبي خديجة. وكذا ابن الأثير في النهاية (٢٤/٤).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ. فأرسلوا ما بأيديهم، قالت عائشة: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهـل بيت من بني المصطلـق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها[1].

وأحيانًا كان الرسـول الكريم يتزوج المرأة ليتكفَّلهـا ويضمها إلى أسرته، كما فعل مع زوجته **أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومي**، الَّتي فقدت زوجها الَّذي هاجر في سبيل الله، وترك لها أولادًا صغارًا.

وأحيانًا يضم المرأة إلى نسائه، لئلا تضام عند غيره وهي من الأسر الكبيرة، كما فعل مع **صَفِيَّة بنت حُيَيٍّ بن أخطب**، الَّتي أعتقها وتزوَّجها، بعد أن ألب أبوها عليه العرب.

ومن الزواج النبوي الَّذي تحدَّث عنه القرآن به وأفصح عن الحكمة منه، زواجه بالسيدة **زينب بنت جَحْش الأسديَّة** الَّذي كانت علته إبطال ما عليه أهل الجاهليَّة من التبني وادعاء الرجل إلى غير أبيه، ومعاملة هذا المتبنى المدعى كما يعامل الابـن الصلبي، وقد زوَّجها الله لنبيه ﷺ من فوق سبع سماوات.

وسنفصل ذلك في حديثنا عن السيدة زينب بنت جحش.

- **سَوْدة بنت زَمْعة بن قيس العامريَّة**[2]:

هي أوَّل من تزوج بها النبـي ﷺ بعد خديجة، وانفردت به نحوًا من ثلاث سنين أو أكثر، حتَّى دخل بعائشة.

---

(١) رواه أحمد (٢٦٣٦٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في العتق (٣٩٣١)، وابن حبان في النكاح (٤٠٥٤)، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي. عن عائشة.

(٢) راجع ترجمتها في سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٦٥ ـ ٢٦٩) أشرف على التحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م. والبداية والنهاية لابن كثير (١٠/٢٠٧).

QaradawiBooks.com

وكانت سيدة جليلة نبيلة ضخمة، وهي الَّتي وهبت يومها لعائشة، رعاية لقلب رسول الله ﷺ، وكانت قد كَبِرت رضي الله عنها.

من فضائل سودة رضي الله عنها:

عن عروة، عن عائشة قالت: ما رأيت امرأة أحب إليَّ أن أكون في مِسلاخها من سودة من امرأة فيها حدَّة. فلمَّا كبِرَت، جعلت يومها من النبي ﷺ لعائشة. قالت: يا رسولَ الله، قد جعلت يومي منك لعائشة. فكان رسول الله ﷺ، يقسم لعائشة يومين، يومها ويوم سودة[١].

عن ابن سيرين: أن عمر بعث إلى سودة بغرارة دراهم، فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم. قالت: في الغرارة مثل التمر؟ يا جارية، بلِّغيني القنع[٢]، ففرقتها[٣].

وعن ابن عبَّاس قال: خشيت سودة أن يطلقها النبي ﷺ، فقالت: لا تطلقني وأمسكني، واجعل يومي لعائشة، ففعل. فنزلت: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز[٤].

الحكمة من زواجها:

تزوج النبي ﷺ السيدة سودة وهو في الثالثة والخمسين من عمره بعد أن توفيت خديجة كما يتزوَّج كل رجل فقد زوجته الَّتي كان يحبها ولا يتمنى فراقها.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢١٢)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٣).

(٢) القنع: الطبق.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٥٦/٨).

(٤) رواه الترمذي في التفسير (٣٠٤٠)، وقال: حسن صحيح غريب. وحسن إسناده ابن حجر في الإصابة (١٩٦/٨)، وصحَّحه الألباني في الإرواء (٢٠٢٠).

QaradawiBooks.com

والحكمة من زواج النبي إيَّاها «أنَّها كانت من المؤمنات المهاجرات الهاجرات لأهليهن خوف الفتنة والتعذيب لإرجاعها عن الإسلام، ولو عادت إلى أهلها لأكرهوها على الشرك أو عذَّبوها عذابًا نُكرًا، ليفتنوها عن الإسلام، فاختار ﷺ كفالتها، وفيه تأليف لبني عبد شمس أعدائه وأعداء بني هاشم، وتشريف لبني النجار أخوال عترته، وأكرم أنصاره، فإن أمها الشَّمُوس بنت قيس بن زيد الأنصارية من بني عدي بن النجار، وكانت أوَّل من ذُكر له مع عائشة، فكفلها ﷺ، وقد تزوجها بمكة قبل الهجرة في عامها.. فهو لم يجمع بمكة بين زوجين بالفعل»[1].

توفيت في آخر خلافة عمر بالمدينة رضي الله عنها.

• **عائشة أمُّ المؤمنين، الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق:**

والزوجة الثالثة لرسول الله ﷺ هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصِّدِّيق، وزوجة رسول الله ﷺ، وأحبُّ أزواجه إليه، المبرَّأة من فوق سبع سماوات، رضي الله عنها، وعن أبيها.

وأمها هي أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية، تكنى عائشة بأم عبد الله، قيل: كناها بذلك رسول الله ﷺ بابن أختها عبد الله بن الزبير، وقيل: إنَّها أسقطت من رسول الله ﷺ سقْطًا فسمَّاه: عبد الله.

قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة»: لم يثبت هذا[2].

ولم يتزوج رسول الله ﷺ بِكْرًا غيرها، ولم ينزل عليه الوحي في لحاف امرأةٍ غيرِها، ولم يكن في أزواجه أحب إليه منها، تزوَّجها بمكة

(١) نداء إلى الجنس اللطيف للشيخ رشيد رضا صـ ٧٢، ٧٣، نشر دار النشر للجامعات، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

(٢) الإصابة (٢٣٢/٨)

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بعد وفاة خديجـــة، وقد أتاه الملك بها في المنام في سَـــرَقة من حريرة، مرتين أو ثلاثًا، فيقول: هذه زوجتك. قال: «**فأكشِفُ عنك، فإذا هي أنت**». فأقول: «**إن يكن هـــذا من عند الله يُمْضِـــه**»[1]. فخطبَها مـــن أبيها فقال: يا رسولَ الله، أوَتَحِلُّ لك؟ قال: «**نعم**». قال: أو لستُ أخاك؟ قال: «**أنت أخي في ديـــن الله وكتابه، وهي لي حلال**»[2]. فتزوَّجها رســـول الله ﷺ، فحَظِيَتْ عنده. وكان ذلك قبل الهجرة بسنتين، وقيل بسنة ونصف، وقيل بثلاث سنين، وكان عمرها إذ ذاك سِتَّ ســـنين، ثمَّ دخل بها وهي بنتُ تسع سنين بعد بدر، في شوَّال من سنة ثِنْتَيْن من الهجرة، فأحبَّها.

ولما تكلَّم فيها أهل الإفك بالزُّور والبهتان غار الله الحليم لها، فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تُتْلى على تعاقب الأزمان...

وهذه الآيات العشر من سورة النور تبدأ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ۞ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۞ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ۞ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ۞ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٩٥)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣٨)، عن عائشة.

(٢) رواه البخاري في النكاح (٥٠٨١).

QaradawiBooks.com

حَكِيمٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ١٠ ـ ٢٠].

وقد أجمع العلماء على تكفير من قَذَفَهـا بعد براءتها، واختلفوا في بقيَّة أمَّهات المؤمنين، هل يَكْفُرُ من قذفهنَّ أم لا؟ على قولين، وأصحُّهما أنَّه يَكْفُرُ؛ لأنَّ المقذوفة زوجة رسول الله ﷺ، والله تعالى إنَّما غضب لها؛ لأنَّها زوجة رسول الله ﷺ، فهي وغيرها منهن سواء.

من خصائص عائشة:

ومن خصائصها رضي الله عنها: أنَّها كان لها في القَسْمِ يومان: يومُها، ويوم سَـوْدَة حين وَهَبَتْها ذلك تقرُّبًا إلى رسـول الله ﷺ[1]، وأنَّه مات في يومها وفي بيتها، وبين سَحْرِها ونَحْرِها، وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعة من سـاعاته من الدُّنيا، وأوَّل ساعة من الآخرة، ودُفِن في بيتها[2].

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن إسـماعيل، عن مصعب بن إسحاق بن طلحة، عن عائشـة، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إنَّه ليُهوِّنُ عليَّ أنِّي رأيت بياض كفِّ عائشة في الجنَّة**»[3]. وهذا في غاية ما يكون من المحبة العظيمة: أنَّه يرتاح؛ لأنَّه رأى بياضَ كَفِّها أمامه في الجنَّة.

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٧٢.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٤٤٩)، ومسـلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٣)، عن عائشة.

(٣) رواه أحمد (٢٥٠٧٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني في الأوسط (٣١٦١)، وقال الألباني في الصحيحة (٢٨٦٧): حسن بمجموع إسناده.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أعلم نساء الإسلام:

ومن خصائصها: أنَّها أعلمُ نساء النبي ﷺ، بل هي أعلم النساء على الإطلاق. قال الزهري: لو جُمِعَ علم النَّاس كلهم، ثمَّ علم أزواج النبي ﷺ لكانت عائشة أوسعهم علمًا(١).

وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقهَ النَّاس، وأعلمَ النَّاس، وأحسنَ النَّاس رأيًا في العامة(٢).

وقال عروة: ما رأيتُ أحدًا أعلم بفقهٍ ولا طبٍّ ولا شعرٍ من عائشة(٣).

ولم ترو امرأة ولا رجل غيرَ أبي هُرَيْرة عن رسول الله ﷺ من الأحاديث بقدر روايتها رضي الله عنها.

وقال أبو موسى الأشعري: ما أشكل علينا أصحاب محمَّد حديثٌ قط فسألْنا عائشةَ إلَّا وجدنا عندها منه علمًا(٤).

وقال أبو الضُّحى عن مسروقٍ: رأيت مَشْيَخَة أصحاب محمدٍ الأكابر يسألونها عن الفرائض(٥).

قال ابن كثير: «فأما ما يلهج به كثير من الفقهاء وعلماء الأصول من إيراد حديث: «**خُذوا شَطْر دينكم عن هذه الحميراء**»؛ فإنَّه ليس له أصل،

---

(١) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (١١/٤) وعنده: (علم الناس كلهم) بدل (علم جميع النساء)، وسكت عنه. وصحَّحه الذهبي على شرط الشيخين.

(٢) المصدر السابق (١٤/٤).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الأدب (٢٦٥٧١).

(٤) رواه الترمذي في المناقب (٣٨٨٣)، وقال: حسن صحيح.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في الفرائض (٣١٦٨٤).

QaradawiBooks.com

ولا هو مُثْبَتٌ في شيء من أصول الإسلام، وسألت عنه شيخنا أبا الحجاج المزي فقال: لا أصل له[١].

ثم لم يكن في النساء أعلم من تلميذاتها عَمْرةَ بنت عبد الرحمٰن، وحفصة بنت سيرين، وعائشة بنت طلحة.

وقد تفرَّدت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بمسائل عن الصحابة لم تُوجَد إلَّا عندها، وانفردت باختيارات أيضًا، ورَدَّتْ أخبارًا بخلافها بنوع من التأويل. وقد جمع ذلك غير واحد من الأئمة.

وقال الشعبي: كان مسروق إذا حدث عن عائشة قال: حدثتني الصِّدِّيقة بنت الصديق، حبيبة رسول الله، المبرَّأة من فوق سبع سماوات[٢].

وثبت في «صحيح البخاري» من حديث أبي عثمان النهدي، عن عمرو بن العاص قال: قلت: يا رسولَ الله، أي النَّاس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**». قلت: ومن الرجال؟ قال: «**أبوها**»[٣].

وفي صحيح البخاري[٤] أيضًا، عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**كمُل من الرجال كثير، ولم يَكْمُلْ من النساء إلَّا مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وآسية امرأة فرعون. وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[٥]. وقد استدلَّ كثير من

(١) سبق تخريجه صـ٤٦٥.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٦٦/٨).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٦٦٢)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨٤).

(٤) كذا في البداية والنهاية. ولفظ البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤١١): «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء: إلَّا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». بدون ذكر عائشة.

(٥) ذكره المصنف ـ ابن كثير ـ في تفسيره (٣٢/٢). وعزاه لابن مردويه.

QaradawiBooks.com

العلماء مِمَّنْ ذهب إلى تفضيل عائشة على خديجة، بهذا الحديث. قال: فإنَّه دخل فيه سائر النساء الثلاث المذكورات وغيرهن»[١].

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي: «السِّرُّ في المثَل أنَّ الثريد مع اللحم جامعٌ بين الغِذاء واللذة والقوة، وسهولة التناوُل، وقلة المؤونة في المَضْغ، وسرعة المرور في المَرِيء، فضرب به مثلًا ليُؤذن: أن عائشة رضي الله عنها أُعْطيتْ مع حُسْنِ الخُلُق والخَلْق وحلاوة النطق فصاحَةَ اللهجة، وجودةَ القريحة، ورزانةَ الرأي، ورصانَةَ العقل، والتحبُّبَ إلى البَعْل، فهي تصلح للتبعُّل، والتحدّث، والاستئناسِ بها، والإصغاء إليها. وحسبُك أنَّها عقَلت عن النبيِّ ﷺ ما لم يرْوِه مِثْلُها من الرجال»[٢].

وقال القاضي عياض: وبالجملة فالمثل إنَّما يدلُّ على أن لعائشة فضلًا كثيرًا على النساء، لا عموم النساء، وليس في هذا نص في بتفضيلها على مريم وآسيا وفاطمة...[٣].

ويعضدُ ذلك أيضًا الحديثُ الَّذي رواه البخاري: حدثنا إسماعيل بن خليل، ثنا علي بن مُسْهِر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: استأذنتْ هالةُ بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة، فارْتاع لذلك، فقال: «**اللهمَّ هالة**». قالت عائشة: فغِرْت. فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حَمْراء الشِّدْقَين، هَلَكَتْ في الدهر الأول، قد أبدلك الله خيرًا منها؟ هكذا رواه البخاري[٤]،

(١) البداية والنهاية (٣٣٩/١١، ٣٤٠).

(٢) تحفة الأحوذي (٢٦١/١٠)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٤٤١/٧)، تحقيق يحيى إسماعيل، نشر دار الوفاء، مصر، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٢١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣٧).

QaradawiBooks.com

فأما ما يُرْوَى فيه من الزيـــادة: «**والله ما أبدلني خيرًا منها**»[١] فليس يصح سندها...

وقال البخـــاري: حدثنا يحيى بن بُكير، ثنـــا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب قال أبو سلمة: إن عائشـــة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ يومًا: «**يا عائشُ، هذا جبريل يُقْرِئُك السلام**». فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى[٢].

وثبت في «صحيح البخـــاري» أنَّ النَّاس كانوا يتحرَّوْن بهداياهم يومَ عائشة، فاجتمع أزواجه إلى أم ســـلمة وقُلْنَ لها: قولي له يأمر النَّاس أن يُهْدُوا لـــه حيث كان. فقالت أم ســـلمة: فلمَّا دخل علـــيَّ قلت له ذلك، فأعرض عني، ثمَّ قلـــن لها ذلك، فقالت له، فأعـــرض عنها، ثمَّ لما دار إليها، قالت له. فقال: «**يا أمَّ سَلَمة، لا تؤذيني في عائشة، فإنَّه والله ما نزل عليَّ الوحيُ في بيتٍ وأنا في لحاف امرأة منكـــن غيرها**»[٣]. وذُكر أنهن بعثـــن فاطمة ابنتَـــه إليه، فقالت: إن نســـاءك يَنْشُـــدْنك العـــدل في ابنة أبي بكر بن أبي قحافة. فقال: «**يا بنية، ألا تُحبِّيـــن من أُحب؟**». قالت: قلت: بلى. قال: «**فأحبِّي هذه**». ثمَّ بَعَثْنَ زينبَ بنتَ جَحْش، فدخلتْ على رسول الله ﷺ وعنده عائشة، فتكلمت زينبُ، ونالت من عائشة، فانتصرت عائشة منها، وكلَّمَتها حتَّى أفحمتها، فجعل رسول الله ﷺ ينظر إلى عائشة ويقول: «**إنَّها ابنة أبي بكر**»[٤].

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٥٥.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخـــاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٧٦٨)، ومســـلم فـــي فضائل الصحابة (٢٤٤٧).

(٣) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٧٧٥)، عن عائشة.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الهبة (٢٥٨١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٢)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

وهذا عمَّارٌ لما جاء يستصرخ النَّاس، ويستنفرهم إلى القتال مع عليٍّ ضد طلحة والزُّبَيْر أيامَ الجَمَل، صَعِد هو والحسن بن عليٍّ على منبر الكوفة، فسمع عمَّارٌ رجلًا ينال من عائشة، فقال له: اسكتْ مقبوحًا منبوحًا، والله إنَّها لزوجة رسول الله ﷺ في الدُّنيا وفي الآخرة، ولكن الله ابتلاكم ليعلم إيَّاه تطيعون أو إياها[١].

الحكمة من زواج النبي ﷺ عائشة:

قال العلَّامة الشيخ رشيد رضا: «إن مصاهرة الرسول ﷺ لأول أصحابه، وأعلاهم قدرًا وإخلاصًا له ونصرًا، على ما كان من مودة بينهما قبل الإسلام، كانت أعظم منَّة ومكافأة وقرَّة عين له.

وكانت عائشة أذكى أمهات المؤمنين وأحفظهن، بل كانت أعلم من أكثر الرجال، فكانت خير وسيلة لنشر سنته وفضائله الزوجية وأحكام شريعته ولا سيما النسوية، ولم يرد في الصحيح عن أحد الرجال أكثر ممَّا روي عنها من الأحاديث إلَّا أبا هُرَيْرة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما»[٢].

• حَفْصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما[٣]:

حفصة بنت أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب، تزوَّجها النبي ﷺ في سنة ثلاث من الهجرة. وكانت لما تأيَّمت، عرضها أبوها على أبي بكر، فلم يجبه بشيء، وعرضها على عثمان، فقال: بدا لي ألَّا أتزوج اليوم. فوجد عليهما، وانكسر، وشكا حاله إلى النبي ﷺ فقال:

(١) رواه البخاري في الفتن (٧١٠٠).

(٢) نداء إلى الجنس اللطيف صـ ٧٤.

(٣) راجع ترجمتها في سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٢٧ ـ ٢٣١)، والبداية والنهاية لابن كثير (١١/١٧٢).

QaradawiBooks.com

«**يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة**». ثمَّ خطبها، فزوَّجه عمر. وزوَّج رسول الله عثمان بابنته رقيَّة بعد وفاة أختها. ولمَّا أن زوجها عمر، لقيه أبو بكر، فاعتذر، وقال: لا تجد عليَّ، فإن رسول الله ﷺ كان قد ذكر حفصة، فلم أكن لأفشيَ سرَّه، ولو تركها لتزوَّجتها[١].

ورُوِيَ أنَّ النبي ﷺ طلَّق حفصة تطليقة، ثمَّ راجعها بأمر جبريل عليه السلام له بذلك، وقال: إنَّها صوَّامة قوَّامة، وهي زوجتك في الجنَّة[٢].

وفي البخاري: وحفصة وعائشة هما اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ، فأنزل الله فيهما: ﴿**إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ ...**﴾ [التحريم: ٤] الآية[٣].

قالت عائشة: هي الَّتي كانت تُساميني من أزواج النبي ﷺ[٤].

الحكمة من زواجها:

قال الشيخ رشيد رضا: «لما توفي زوج حفصة بنت وزيره الثاني، رأى أن يساوي بينه وبين أبي بكر في تشريفهما بمصاهرته، ولم يكن في الإمكان أن يكافئهما في هذه الحياة بشرف أعلى من هذا، فتزوَّج حفصة في السنة الثالثة، وقيل في السنة الثانية، ولولا ذلك لكانت حسرة في قلب عمر.

---

(١) رواه البخاري في النكاح (٥١٢٢)، عن ابن عمر.

(٢) رواه الطبراني (٣٦٥/١٨)، والحاكم في معرفة الصحابة (١٥/٤)، وسكت عنه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٣٣٤): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. عن قيس بن زيد.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩١٥)، ومسلم في الطلاق (١٤٧٩)، عن ابن عباس.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤١٤١)، ومسلم في التوبة (٢٧٧٠)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

فما أجلَّ سياسته ﷺ! وما أعظم وفاءه للأوفياء له!

ويقابل ذلك إكرامه لعثمان وعليّ رضي الله عنهما بتزويجهما ببناته، وهؤلاء الأربعة أعظم أصحابه في حياته، وخلفاؤه في إقامة ملته ونشر دعوته بعد وفاته»[(١)].

توفيت حفصة رضي الله عنها: في عام الجماعة سنة إحدى وأربعين.

• **زينب بنت جحش الأسدية** رضي الله عنها[(٢)]:

ابنة عمَّة رسول الله ﷺ، وكانت من سادة النساء دينًا وورعًا وجودًا، ومعروفًا رضي الله عنها ومن المهاجرات الأُوَل، كانت عند زيد مولى النبي ﷺ، وهي الَّتي يقول الله فيها: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، فزوَّجها الله تعالى بنبيه بنصِّ كتابه، بلا وليّ ولا شاهد، فكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين، وتقول: زوَّجكن أهاليكن، وزوَّجني الله من فوق عرشه[(٣)].

كانت من فضليات أمهات المؤمنين، وكانت معروفة بالورع والبذل في سبيل الله، وكانت صَناع اليد، تعمل بيدها وتتصدَّق به، وكانت لها منزلة عند رسول الله ﷺ. ولذلك وجدنا عائشة تعترف بذلك وتقول: كانت هي الَّتي تُساميني عند رسول الله ﷺ[(٤)].

---

(١) نداء إلى الجنس اللطيف صـ ٧٥.

(٢) راجع ترجمتها في سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢١١ ـ ٢١٨)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٠/١٠٧ ـ ١٠٨).

(٣) رواه البخاري في التوحيد (٧٤٢٠)، عن أنس.

(٤) سبق تخريجه صـ٤٨١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وعن بَرْزة بنت رافع قالت: أرسل عمر إلى زينب بعطائها، فقالت: غفر الله لعمر، غيري كان أقوى على قسم هذا. قالوا: كله لك. قالت: سبحان الله، واستترت منه بثوب، وقالت: صبوه، واطرحوا عليه ثوبًا. وأخذت تفرِّقه في رحمها وأيتامها؛ وأعطتني ما بقي؛ فوجدناه خمسة وثمانين درهمًا. ثمَّ رفعت يدها إلى السماء، فقالت: اللهمَّ لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا[١].

وعن ابن عمر: لما ماتت بنت جحش، أمر عمر مناديًا: ألا يخرج معها إلَّا ذو محرم. فقالت بنت عميس: يا أمير المؤمنين، ألا أُريك شيئًا رأيت الحبشة تصنعه بنسائهم؟ فجعلت نعشًا وغَشَّته ثوبًا. فقال: ما أحسن هذا وأستره! فأمر مناديًا، فنادى: أن اخرجوا على أمكم[٢]. وهي الَّتي كان النبي ﷺ يقول: «**أسرعكن لحوقًا بي: أطولكن يدًا**».

وإنَّما عنى: طول يدها بالمعروف. قالت عائشة: فكُنَّ يتطاولن أيتهن أطول يدًا، وكانت زينب تعمل وتتصدق[٣].

وروي عن عائشة قالت: كانت زينب بنت جحش تُساميني في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ما رأيتُ امرأة خيرًا في الدين من زينب، أتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة رضي الله عنها[٤].

وعن عائشة تزعم أنَّ النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش، ويشرب عندها عسلًا. فتواصيتُ أنا وحفصة أنَّ أيتنا ما دخل عليها، فلتقل: إنِّي أجد منك ريح مغافير! أكلتَ مغافير!؟ فدخل على إحداهما، فقالت له ذلك. قال: «**بل شربت عسلًا عند زينب، ولن أعود له**». فنزل:

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٠٩/٨).

(٢) المصدر السابق (١١١/٨).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٢٠)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٥٢)، عن عائشة.

(٤) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٢).

QaradawiBooks.com

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ...﴾ [التحريم: ١] إلى قوله: ﴿إِن تَتُوبَآ﴾ يعني: حفصة وعائشة رضي الله عنهما. ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ﴾ قوله: بل شربت عسلًا[١].

عن عائشة قالت: يرحم الله زينب، لقد نالت في الدُّنيا الشَّرفَ الَّذي لا يبلغه شرف، إنَّ الله زوَّجها، ونطق به القرآن، وإن رسول الله قال لنا: «**أسرعكنَّ بي لحوقًا أطولكنَّ باعًا**». فبشَّرها بسرعة لحوقها به، وهي زوجته في الجنَّة[٢].

عن أنس: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لزيد: «**اذكرها عليَّ**». قال: فانطلقت، فقلت لها: يا زينب، أبْشري، فإنَّ رسول الله أرسل يذكرك. قالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتَّى أؤامر ربي. فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ، فدخل عليها بغير إذن[٣].

قال أنس: جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي ﷺ يقول: «**اتق الله، وأمسك عليك زوجك**». قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا لكتم هذه. قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوَّجكنَّ أهاليكن، وزوَّجني الله تعالى من فوق سبع سماوات[٤].

قال الذهبي: وأختها هي حمنة بنت جحش، الَّتي نالت من عائشة في قصة الإفك، فطفقت تحامي عن أختها زينب، وأمَّا زينب، فعصمها الله بورعها[٥]. وكانت صالحة، صوَّامة، قوَّامة، بارَّة، ويقال لها: أم المساكين[٦].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٢٦٧)، ومسلم (١٤٧٤)، كلاهما في الطلاق.

(٢) الطبقات الكبرى (١٠٨/٨).

(٣) رواه مسلم في النكاح (١٤٢٨)، وأحمد (١٣٠٢٥).

(٤) سبق تخريجه صـ٤٨٢.

(٥) سير أعلام النبلاء (٢١٥/٢).

(٦) المصدر السابق (٢١٧/٢).

QaradawiBooks.com

الحكمة من زواجها:

يقول السيد محمَّد رشيد رضا: «كان من عادات العرب الباطلة الَّتي اتُّخذت دينًا تقليديًّا: أنَّهم يتخذون لأنفسهم أبناء أدعياء يلصقونهم بأنسابهم، ويعطون الدَّعيَّ منهم جميع حقوق الأبناء حتَّى في المواريث ومحرَّمات النكاح، وما كان الإسلام ليُقرَّهم على باطل، فحرَّم الله التَّبنِّي وهو يعلم ما علق بالطباع ولصق بالوجدان من تأثير هذا النَّسب المفتعل، وأنَّ إبطاله وإبطال لوازمه ممَّا يثقل على النَّاس امتثاله كما هو شأن التقاليد العامَّة الراسخة، إلَّا على أصحاب الإيمان الكامل والعزائم المرهفة الحد، الَّذين لا يبالون بشعور الجماهير، ولا برميهم لمخالفهم بنعوت التحقير، وقليلٌ ما هم... وإنَّما طعن بعض النَّاس في إمارة زيد على السرايا؛ لأنَّه كان عتيقًا فكيف يُقدِّمه على كبراء المهاجرين والأنصار؟ وأمَّا طعنهم في إمارة ولده أسامة بعده فلأنه كان صغير السن لم يبلغ العشرين؛ ولكن هذا من أفضل سياسته ﷺ في خفض استعلاء العصبية وكبرياء النسب (الأرستقراطية).

بعد هذه المقدمة أقول [السيد رشيد رضا]: لما أراد الله تعالى أن يبطل دعاية التبنِّي وأحكامها الجاهليَّة، أمر رسوله ﷺ أن يُزَوِّج زينب بنت جحش بن رئاب بنت عمة النبي ﷺ أُمَيْمة بنت عبد المُطَّلِب، لزيد بن حارثة مولاه، وهو ﷻ يعلم أنهما لا يتفقان على هذه الزوجيَّة؛ لأنَّها تتكبَّر عليه بالطبع، وهو عزيز النفس لا يحمل ذل الكبرياء عليه.

فذهب ﷺ إلى زينب فقال: «**إنِّي أريد أن أزوجك زيد بن حارثة، فإنِّي قد رضيته لك**». قالت: يا رسولَ الله، ولكنِّي لا أرضاه لنفسي، وأنا أيِّمُ قومي وبنت عمتك، فلم أكن لأفعل. فنزلت الآية:

QaradawiBooks.com

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. فقالت زينب للنبيِّ ﷺ: قد أطعتك فاصنع ما شئت. فزوَّجها زيدًا، ودخل عليها[1]، فكانت تُغلظ له القول، وتتعظَّم عليه بالشرف، فيذهب إلى النبي ﷺ شاكيًا منها، ويستأذنه في طلاقها، فيقول له ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. وهو يعلم أنَّه لا بدَّ له من طلاقها، وأنَّ الله يأمره بالتزوج بها بعده إبطالًا لبدعة التَّبنِّي، وما كان من تحريم الجاهليَّة لامرأة الدعيِّ كامرأة الابن الحقيقي، ولكنَّه ﷺ لم يكن يُظهر له ولا لغيره، وكان بمقتضى الشعور الطبيعي يخشى ما يقوله النَّاس، ولا سيما المشركين: أنَّ محمدًا تزوَّج امرأة ابنه، فأنزل الله تعالى في ذلك قوله: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ أي: واذكر أيها الرسول إذ تقول للَّذي أنعَم الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه بالعِتق والإكرام: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في معاشرتها بالمعروف، ولا تطلقها ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أن يقولوا: تزوج امرأة ابنه أو متبناه ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ ولا تبال بما يقول النَّاس في تنفيذك لشرعه وإقامتك لدينه، ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾.

الوطر: الحاجة المهمة أو الَّتي ليس بعدها مأرب، وقضاؤه إيَّاه عبارة عن تطليقها بمحض إرادته ورغبته؛ لأنَّه لم يبق له حاجة فيها، ولا رجاء في معاشرتها بالمعروف، وتنكير «الوطر» هنا دون إضافته إلى زيد

(١) قال السيوطي في الدر المنثور (٦١٠/٦): أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

للدلالة على أنَّه شيء أراده الله تعالى منه وسخَّره له، وهذا من دقائق البلاغة في تحديد المعاني باللفظ المفرد النكرة، وقوله تعالى: ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ نصٌّ في أن هذا التزويج كان من الله تعالى لِمَا ذكر من حكمة التشريع فيه، ولم يكن برغبة النبي ﷺ وميله.

وقد صحَّ أنَّه ﷺ لم يعقد عليها كما عقد على سائر أزواجه؛ لأن تزويج ربه إيَّاه بها أقوى وأثبت، والعقد بعده لغو؛ لأنَّه تحصيل حاصل.

ثم قال: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ وهو تصريح بعلة تزويجه إيَّاها، أي: لأجل ألَّا يجد أحد من المؤمنين في نفسه أدنى ضيق صدر ولا مبالاة بلوم في التزوج بنساء أدعيائهم بالتبني، وكفى برسول الله ﷺ قدوة في ذلك: ﴿إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ فطلقوهن بإرادتهم لعدم بقاء شيء من الرغبة لهم فيهن كما فعل زيد ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧] أي: وكان قضاؤه في التكوين والتشريع نافذًا لا مرد له، ولا رأي لأحد فيه»[(١)].

توفيت زينب رضي الله عنها في سنة عشرين من الهجرة.

• هند أمُّ سَلَمة المخزوميَّة رضي الله عنها[(٢)]:

السيدة المحجَّبة الطاهرة، هند بنت أبي أمية المخزوميَّة، بنت عمِّ خالد بن الوليد سيف الله من المهاجرات الأُوَل، وهي أوَّل ظعينة دخلت المدينة مهاجرة.

---

(١) نداء إلى الجنس اللطيف صـ ٧٥ ـ ٧٩، بتصرف.

(٢) راجع ترجمتها في سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٠١ ـ ٢١٠)، والبداية والنهاية لابن كثير (١١/٦٠٥، ٦٠٦).

QaradawiBooks.com

كانت قبل النبي ﷺ عند أخيه من الرضاعة أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، الرجل الصالح. دخل بها النبي ﷺ في سنة أربع من الهجرة. وكانت من أجمل النساء وأشرفهنَّ نسبًا، وكانت آخر من مات من أمَّهات المؤمنين. عُمِّرت حتَّى بلغها مقتل الحسين الشهيد رضي الله عنهما وعن آل بيت النبوة، فوجمت لذلك، وغشي عليها، وحزنت عليه كثيرًا، لم تلبث بعده إلَّا يسيرًا، وانتقلت إلى الله.

ولها أولاد صحابيُّون: عمر، وسلمة، وزينب. وكانت تُعَدُّ من الفقيهات.

عن زياد بن أبي مريم قال: قالت أم سلمة لأبي سلَمة: بلغني أنَّه ليس امرأة يموت زوجها، وهو من أهل الجنَّة، ثمَّ لم تزوَّج، إلَّا جمع الله بينهما في الجنَّة، فتعال أعاهدك ألا تزوَّج بعدي، ولا أتزوَّج بعدك. قال: أتطيعينني؟ قالت: نعم.

قال: إذا متُّ تزوجي، اللهمَّ ارزق أم سلمة بعدي رجلًا خيرًا مني، لا يحزنها ولا يؤذيها. فلمَّا مات، قلتُ: مَنْ خير مِن أبي سلمة؟ فما لبثت، وجاء رسول الله ﷺ، فقام على الباب، فذكر الخطبة إلى ابن أخيها أو ابنها. فقالت: أردُّ على رسول الله، أو أتقدَّم عليه بعيالي! ثمَّ جاء الغد، فخطب[1].

عن عمر بن أبي سلمة: أن أم سلمة لما انقضت عدَّتها، خطبها أبو بكر، فردَّتْه، ثمَّ عمر، فردَّتْه. فبعث إليها رسول الله، فقالت: مرحبًا، أخبر رسول الله أنِّي غَيْرَى، وأنِّي مُصْبِية[2]، وليس أحد من أوليائي

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٨٩).

(٢) غيرَى: كثيرة الغيرة، ومُصْبِية: ذات صبيان وأولاد صغار.

QaradawiBooks.com

شـــاهدًا. فبعث إليها: «**أمَّا قولكِ: إنِّي مُصْبِية؛ فإنَّ الله سيكفيكِ صبيانكِ. وأمَّا قولكِ: إنِّي غَيْرى، فســأدعو الله أن يُذهب غَيْرتــك، وأمَّا الأولياء، فليس أحد منهم إلَّا سيرضى بي**». قالت: يا عمر، قم، فزوِّج رسول الله. وقال رسول الله ﷺ: «**أما إنِّي لا أنقصك ممَّا أعطيت فلانة**»[(١)].

عن أمِّ سلمة، أنَّ رسولَ الله ﷺ لما تزوَّج أم سلمة أقام عندها ثلاثًا، وقال: «**إنَّه ليس بكِ على أهلكِ هوانٍ، إن شئتِ سبَّعت لكِ، وإن سبَّعت لكِ، سبَّعت لنسائي**»[(٢)].

من فضائلها رضي الله عنها:

رؤيتهــا لجبريــل عليه السلام في صــورة دِحْية الكلبــي، قــال: أنبئت أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ وعنده أم ســلمة، فجعل يحدث ثمَّ قام. فقال النبي ﷺ لأم سلمة: «**من هذا؟**». أو كما قال. قال: قالت: هذا دحية. قالت أم سلمة: ايم الله ما حسبته إلَّا إياه، حتَّى سمعت خطبة نبي الله ﷺ يخبر جبريل[(٣)].

موقفها رضي الله عنها يومَ الحديبية:

وفي يوم الحديبية بعد أن فرغ رســول الله ﷺ من الكتاب بينه وبين قريش، قال لأصحابه: «**قومــوا فانحروا ثمَّ احلقوا**». فــوالله ما قام منهم رجل، حتَّى قال ذلك ثلاث مرات، فلمَّا لم يقم منهم أحد دخل على أم ســلمة، فذكر لها ما لقي من النَّاس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب

(١) رواه أحمد (٢٦٦٦٩)، وقال مخرِّجوه: بعضه صحيح، وهذا إسناد ضعيف. والحاكم في معرفة الصحابة (١٧/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٠)، وأحمد (٢٦٥٠٤).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٣٤)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٥١).

QaradawiBooks.com

ذلك؟ اخرج ثمَّ لا تُكلِّم أحدًا منهم كلمة، حتَّى تنحر بُدْنك، وتدعو حالقك فيحلقك! فخرج ﷺ فلم يكلم أحدًا منهم، حتَّى فعل ذلك؛ نحر بُدْنه، ودعا حالقه، فحلقه! فلمَّا رأوا ذلك قاموا، فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتَّى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا[1].

وهذا يدل على وفور عقلها، وصواب رأيها، رضي الله عنها.

الحكمة من زواجها:

كانت رضي الله عنها صاحبة علم ورأي وروية، وروى عنها كثيرون من الرجال والنساء، فهي تلي عائشة في كثرة الرواية والعلم.

وكان رسول الله ﷺ يريد أن يعوضها عن فقد زوجها الأوَّل وابن عمها الَّتي لم تكن تظن رجلًا يبلغ مبلغه من الطيبة والمنزلة! فلمَّا تُوُفِّي زوجها ظنت أنَّها لن تجد مثله، وقد تقدم إليها أبو بكر وعمر، فاعتذرت لهما، حتَّى تقدم إليها رسول الله، فحاولت الاعتذار، ولكن رسول الله رسول الله رد على كل ما عندها من أعذار، ولم تجد بُدًّا، ولا خيرًا من الزواج به ﷺ.

تُوُفِّيت أمُّ سلمة رضي الله عنها سنة إحدى وستين.

جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث رضي الله عنها[2]:

سبيت يوم غزوة المُرَيْسيع، في السنة الخامسة، وكان اسمها: بَرَّة، فغيَّره رسول الله ﷺ إلى جُوَيْرِيَة، وكانت من أجمل النساء. فأسلمت،

(١) رواه البخاري في الشروط (٢٧٣١)، عن المسور بن مخرمة، ومروان.

(٢) راجع ترجمتها في سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٦١ ـ ٢٦٥)، والبداية والنهاية لابن كثير (١١/٢٢٣ ـ ٢٢٤).

QaradawiBooks.com

وتزوَّج بها؛ وأطلق لها الأسارى من قومها، وكان أبوها سيِّدًا مُطَاعًا، وقد قدم على النبيِّ ﷺ، فأسلم.

عن عائشة قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق، وقعت جُوَيْرِيَة بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن شَمَّاس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة مُلَاحة، لا يراها أحد إلَّا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها. قالت عائشة: فوالله ما هو إلَّا أن رأيتها على باب حجرتي، فكرهتها، وعرفتُ أنَّه سيرى فيها ﷺ ما رأيت، فدخلتْ عليه فقالت: يا رسولَ الله، أنا جُوَيْرِية بنت الحارث بن أبي ضرار سيِّد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخفَ عليك، فوقعتُ في السهم لثابت بن قيس بن الشمَّاس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتي. قال: «**فهل لك في خير من ذلك؟**». قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «**أقضي كتابتك وأتزوَّجك**». قالت: نعم يا رسول الله. قال: «**قد فعلت**». قالت: وخرج الخبر إلى النَّاس أنَّ رسول الله ﷺ قد تزوَّج جُوَيْرِيَة ابنة الحارث بن أبي ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ. وأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أعتق لتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها[1].

قال الشعبي: أعتق رسول الله ﷺ جُوَيْرِيَة، واستنكحها، وجعل صداقها عتق كل مملوك من بني المصطلق[2].

(١) سبق تخريجه صـ٤٧١.

(٢) الطبقات الكبرى (١١٧/٨، ١١٨).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومن مناقبها أيضًا رضي الله عنها: أنَّها كانت من الذاكرات العابدات المكثرات للعبادة، فعن ابن عباس، عن جُوَيْرِية، أنَّ النبي ﷺ خرج من عندها بُكرة حين صلَّى الصبح، وهي في مسجدها، ثمَّ رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة، فقال: «**ما زلتِ على الحال الَّتي فارقتك عليها؟**». قالت: نعم. قال النبي ﷺ: «**لقد قلتُ بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وُزنت بما قلتِ منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**»[(١)].

عن أبي قلابة قال: أتى والد جُوَيْرِيَة، فقال: إنَّ بنتي لا يُسبى مثلها، فأنا أكرم من ذلك. فقال النبي ﷺ: «**أرأيتَ إن خيَّرناها**». فأتاها أبوها، فقال: إن هذا الرجل قد خيَّرك، فلا تفضحينا. فقالت: فإنِّي قد اخترته. قال: قد والله فضحتِنا[(٢)].

الحكمة من زواجها:

قال العلَّامة رشيد رضا: «لما أُسِرَتْ مع قومها، جاءت النبي ﷺ، فتعرَّفت إليه بأنها بنت سيِّد قومها، وذكرت له سَبْيها، واستعانته على كتابتها لتحرير نفسها، فقال: «**أوَخير من ذلك؟ أؤدّي عنك كتابتك وأتزوّجك**». قالت: نعم. ففعل، فقال المسلمون: أصهار رسول الله ﷺ، فأعتقوا جميع الأسرى والسبايا فأسلموا كلهم. فكانت أعظم امرأة بركة على قومها، وكان لهذا العمل أحسن التأثير في العرب كلها»[(٣)].

توفيت جُوَيْرِيَةُ رضي الله عنها في سنة خمسين.

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٦).

(٢) الطبقات الكبرى (١١٨/٨).

(٣) نداء إلى الجنس اللطيف صـ ٨٣ ـ ٨٤.

QaradawiBooks.com

• صفيَّة بنت حُيي رضي الله عنها[١]:

هي من سبط لاوي ابن نبي الله إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، ثمَّ من ذريَّة رسول الله هارون عليه السلام.

سُبِيَت يومَ خيبر، وصارت في سهم دِحْية الكلبي، فقيل للنبيِّ ﷺ عنها، وإنَّها لا ينبغي أن تكون إلَّا لك. فأخذها النبيُّ ﷺ من دِحْية بسبعة أرؤس، ودفعها إلى أمِّ سُلَيْم، حتَّى تُهَيِّئها وتصنعها، وتعتدُّ عندها. فكانت وليمته: السَّمن والأقِط والتمر، وَفُحِصَتِ الأرض أفاحيص، فجعل فيها الأنطاع[٢]، ثمَّ جعل ذلك فيها[٣].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدِمنا خيبر فلمَّا فتح الله عليه الحصن، ذكر له جمال صفيَّة بنت حُيي بن أخطب، وقد قتل زوجها وكانت عروسًا، فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه، فخرج بها حتَّى بلغنا سدَّ الصهباء، حلت، فبنى بها رسول الله ﷺ، ثمَّ صنع حَيْسًا في نِطَع صغير، ثمَّ قال لي: «**آذِنْ من حولك**». فكانت تلك وليمته على صفيَّة، ثمَّ خرجنا إلى المدينة، فرأيتُ النبيَّ ﷺ يُحَوِّي لها وراءه بعباءة، ثمَّ يجلس عند بعيره، فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها على ركبته حتَّى تركب[٤].

وعن صفية بنت حيي قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وقد بلغني عن حفصة وعائشة كلام، فذكرت ذلك له، فقال: «**ألا قلتِ: فكيف تكونان خيرًا مني، وزوجي محمَّد وأبي هارون وعمي موسى؟**». وكان الَّذي

---

(١) راجع ترجمتها في سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٣١ ـ ٢٣٨)، والبداية والنهاية لابن كثير (١١/٢٢٤ ـ ٢٢٥).

(٢) فحصت الأرض أفاحيص: أي حفرت، والأنطاع: جمع نطع، وهو بساط من جلد.

(٣) رواه مسلم في النكاح (١٣٦٥)، وأحمد (١٣٥٧٥)، عن أنس.

(٤) رواه البخاري في البيوع (٢٢٣٥).

QaradawiBooks.com

بلغها أنَّهم قالوا: نحن أكرم على رسول الله ﷺ منها، وقالوا: نحن أزواج النبي ﷺ وبنات عمه[١].

وعن صفية بنت حيي، أنَّ النبيَّ ﷺ حجَّ بنسائه، فلمَّا كان في بعض الطريق، نزل رجل، فساق بهن، فأسرع، فقال النبي ﷺ: «**كذاك سوقك بالقوارير!**». يعني النساء. فبينا هم يسيرون، برك بصفية بنت حيي جملُها، وكانت من أحسنهن ظَهْرًا، فبكت. وجاء رسول الله ﷺ حين أُخبِر بذلك، فجعل يمسح دموعها بيده، وجعلت تزداد بكاء، وهو ينهاها، فلمَّا أكثرت، زبرها وانتهرها، وأمر النَّاس بالنزول، فنزلوا، ولم يكن يريد أن ينزل[٢].

من فضائلها رضي الله عنها:

وصف النبي ﷺ لها بالصادقة: فعن زيد بن أسلم: أن نبي الله في وجعه الَّذي تُوفِّي فيه، قالت صفية بنت حُيي: والله يا نبيَّ الله، لوددتُ أنَّ الَّذي بك بي. فغمزها أزواجه؛ فأبصرهنَّ، فقال: «**مضمضن**». قلن: من أي شيء؟ قال: «**من تغامزكن بها، والله إنَّها لصادقة**»[٣].

ووجد رسول الله بخدها لَطْمة فقال: «**ما هذه؟**». فقالت: إنِّي رأيت كأن القمر أقبل من يثرب، فسقط في حجري، فقصصت المنام على ابن عمِّي، فلطمني وقال: تتمنين أن يتزوجكِ ملك يثرب؟ فهذه من لطمته[٤].

وكانت من سيدات النساء عبادة وورعًا وزهادة وبرًّا وصدقة، رضي الله عنها وأرضاها.

---

(١) رواه الترمذي في المناقب (٣٨٩٢)، وقال: وليس إسناده بذاك. والطبراني في الأوسط (٨٥٠٣)، وفي الكبير (٧٥/٢٤)، والحاكم في معرفة الصحابة (٢٩/٤)، وسكت عنه هو والذهبي.

(٢) رواه أحمد (٢٦٨٦٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٦٩١): رواه أحمد، وفيه سمية روى لها أبو داود، وغيره، ولم يضعفها أحد، وبقية رجاله ثقات.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٢٨/٨).

(٤) البداية والنهاية (٢٢٥/١١).

QaradawiBooks.com

الحكمة من زواجها:

قال الشيخ رشيد رضا: «كانت من بني النَّضير، وأُسِرتْ بعد قتل زوجها في غزوة خيبر، فأخذها دِحْية في سهمه، فقال أهل الرأي من الصحابة: يا رسولَ الله، إنَّها سيدة بني قريظة والنضير، لا تصلح إلَّا لك. فاستحسن رأيهم، وأبى أن تذل هذه السيدة بالرق عند من تراه دونها، فاصطفاها، وأعتقها، وتزوجها، كراهة لرق مثلها في نسبها وقومها، ووصل سببه ببني إسرائيل، لعلَّه يخفِّف ممَّا كان من عداوتهم له»[(١)].

توفيت رضي الله عنها سنة خمسين.

• أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الأموية رضي الله عنها[(٢)]:

السيدة المحجَّبة: رمْلة بنت أبي سفيان، وهي من بنات عمِّ الرسول ﷺ، ليس في أزواجه من هي أقرب نَسبًا إليه منها، ولا في نسائه من هي أكثر صَداقًا منها، ولا من تزوَّج بها وهي نائية الدار أبعد منها، عُقد له ﷺ بالحبشة سنة ست وأصدقها عنه صاحب الحبشة أربع مائة دينار، وجهَّزها بأشياء.

عن عبد الواحد بن أبي عون قال: لما بلغ أبا سفيان نكاح النبي ﷺ ابنته قال: ذاك الفحل لا يقرع أنفه[(٣)].

عن الزهري قال: لما قدم أبو سفيان المدينة، والنبي ﷺ يريد غزو مكَّة، فكلَّمه في أنْ يزيدَ في الهدنة، فلم يُقبل عليه، فقام، فدخل على

---

(١) نداء إلى الجنس اللطيف صـ ٨٤.

(٢) راجع ترجمتها في سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢١٨ ـ ٢٢٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (١١/١٦٦، ١٦٧).

(٣) سبق تخريجه صـ٤٧٠. وقوله: ذاك الفحل لا يقرع أنفه. أي أنَّه كفء كريم لا يرد.

QaradawiBooks.com

ابنته أم حبيبة، فلمَّا ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه. فقال: يا بُنَيَّة، أرغبتِ بهذا الفراش عني، أم بي عنه؟ قالت: بل هو فراش رسول الله، وأنت امرؤ نجس مشرك. فقال: يا بُنَيَّة، لقد أصابك بعدي شر[١].

عن عائشة تقول: دعتني أم حبيبة عند موتها، فقالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك. فقلتُ: غفر الله لك ذلك كله، وحلَّلتُكِ من ذلك. فقالت: سررتِني سرَّك الله. وأرسلت إلى أم سلمة، فقالت لها مثل ذلك[٢].

وقد كانت من سيدات أمهات المؤمنين، ومن العابدات الورعات، رضي الله عنها.

الحكمة من زواجها:

«كان تزوُّجه ﷺ بها تأليفًا لأبيها أبي سفيان ولقومه، وقد كانت أسلمتْ بمكة، وهاجرت مع زوجها عبد الله بن جحش إلى الحبشة، فتنصَّر زوجها هنالك وفارقها، فأرسل النبي ﷺ إلى النجاشي، فخطبها له، وأصدقها عنه أربعمائة دينار مع هدايا نفيسة، ولما عادت إلى المدينة بنى بها، ولما بلغ أبا سفيان الخبر قال: هو الفحل لا يقدع أنفه، فهو لم ينكر كفاءته ﷺ، بل افتخر به»[٣].

توفيت أم حبيبة رضي الله عنها في سنة أربع وأربعين.

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٩٩/٨).

(٢) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (٢٢/٤).

(٣) نداء إلى الجنس اللطيف صـ ٨٥.

QaradawiBooks.com

• ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها[١]:

ميمونة بنت الحارث بن حَزَن الهلالية. قال مجاهد: كان اسمها بَرَّة، فسمَّاها رسول الله: ميمونة[٢]، زوج النبي ﷺ، وأخت أم الفضل زوجة العباس، وخالة خالد بن الوليد، وخالة ابن عباس. تزوج بها النبي ﷺ في عمرة القضاء، سنة سبع، في ذي القعدة، وبنى بها بسَرِف. وكانت من سادات النساء.

عن علي بن عبد الله بن عبَّاس قال: لما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى مكَّة عام القضيَّة، بعث أَوْسَ بن خَوْلِيٍّ وأبا رافع إلى العباس، فزوَّجه بميمونة، فأضلَّا بعيريهما، فأقاما أيامًا ببطن رابغ، حتَّى أدركهما رسول الله ﷺ بقُدَيْد، وقد ضمَّا بعيريهما، فسارا معه، حتَّى قدم مكَّة. فأرسل إلى العباس، فذكر ذلك له، وجعلت ميمونة أمرها إلى النبي ﷺ. كذا قال، وصوابه: إلى العباس، فخطبها إلى النبي ﷺ، فزوَّجها إياه[٣].

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: تزوجها رسول الله ﷺ وهو محرم[٤]. وثبت عنها رضي الله عنها أنهما كانا حلاليـن[٥]. وقولها مقدم عند الأكثرين على قول ابن عباس.

---

(١) راجع ترجمتها في سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٣٨ ـ ٢٤٦)، والبداية والنهاية لابن كثير (١١/٢٥٠).

(٢) الطبقات الكبرى (٨/١٣٧).

(٣) المصدر السابق (٨/١٣٢).

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في جزاء الصيد (١٨٣٧)، ومسلم في النكاح (١٤١٠).

(٥) رواه مسلم في النكاح (١٤١١).

QaradawiBooks.com

من فضائلها رضي الله عنها:

وقد شهد لها رسول الله ﷺ بالإيمان، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الأخوات مؤمنات: ميمونة زوج النبي ﷺ، وأختها أم الفضل بنت الحارث، وأختها سلمى بنت الحارث امرأة حمزة، وأسماء بنت عميس أختهن لأمهن**»(٦).

قالت عائشة رضي الله عنها عن ميمونة: إنَّها كانت من أتقانا لله، وأوصلنا للرحم(٧).

ودخل ذو قرابة لميمونة عليها، فوجدت منه ريح شراب، فقالت: لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدوك، لا تدخل عليَّ أبدًا(٨).

توفيت ميمونة رضي الله عنها سنة إحدى وخمسين.

• الحكمة العامَّة لتعدد أزواج النبي ﷺ:

قال العلَّامة الشيخ محمَّد رشيد رضا: «إنَّ الحكمة العامَّة لهذا التعدُّد بعد الهجرة، في سنِّ الكهولة، والقيام بأعباء الرسالة، والاشتغال بسياسة البشر، ومصابرة المعادين، ومدافعة المعتدين، دون سنِّ الشباب وراحة البال؛ هي السياسة الرشيدة، وتربية الأمة، وضرب المثل الكامل لها في معاشرة النساء بالمعروف، والعدل بينهنّ، وتخريج بضع مُعلِّمات للنساء، يعلمنهنَّ الأحكام الشرعيَّة الخاصَّة بهنَّ، ممَّا كان ﷺ يستحي أن يخاطب

(٦) رواه النسائي في الكبرى في المناقب (٨٣٢٨)، والطبراني (٤١٥/١١)، والحاكم في معرفة الصحابة (٣٢/٤)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٧) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (٣٢/٤)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٨) رواه ابن سعد في الطبقات (١٣٩/٨).

QaradawiBooks.com

به النســاء فيما كان يخصهنَّ بــه أحيانًا من مواعظه، كمــا كان أكثرهنَّ يستحيين أن يسألنَه عن أحكام الزوجية والجنابة والطهارة، وقد كان نساء المهاجرين أشد حياء من نساء الأنصار في هذا، بل كان من نساء الأنصار من يهبنه أن يسألنه عما لا يُستحيا منه.

ومن الشــواهد عنهن في ذلك ما روي عن عائشــة رضي الله عنها أن امرأة من الأنصار سألت النبي ﷺ عن غســلها من المحيض، فأمرها كيف تغتسل ثمَّ قال: «**خذي فِرْصَة من مســك فتطهري بها**». قالت: كيف أتطهَّر بها؟ قال: «**تطهَّري بها**». قالت: كيف؟ قال: «**سبحان الله تطهَّري**». قالت عائشة: فاجتذبتها إليَّ، فقلت: تتبعي بها أثر الدم[١].

وفي رواية أخــرى أنَّه قال لها: «**خــذي فِرْصة مُمسَّــكة**[٢] **فتوضئي ثلاثًا**»[٣]. ثمَّ إنَّه ﷺ استحيا أو أعرض بوجهه حياء، أي منعه الحياء بأن يصرح لها بوضع القطنة المطيَّبة بالمســك في المكان الَّذي كان يخرج منه الدم إتمامًا للطهارة، فأخذتها عائشــة وأفهمتها المراد، والحديث في المسند والصحيحين وأكثر السنن.

وفي صحيح مسلم أن أسماء ـ وهي بنت شَكَل[٤] ـ سألت النبيَّ ﷺ عن غســل المحيض فقال: «**تأخذ إحداكــنَّ ماءَها وسِــدْرها**[٥]**، فتطهرُ**

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣١٤)، ومسلم (٣٣٢) (٦٠)، كلاهما في الحيض.

(٢) الفرْصة المُمَسَّكة: بتثليث الفاء قطنة أو صوفة مطيبة بالمسك.

(٣) رواه البخاري في الحيض (٣١٥).

(٤) هي أنصارية أيضًا، وقيل: إنَّها الأولى نفسها، وشكل بفتح المثلثة والكاف، وقيل: إنَّه محرَّف.

(٥) السدر: بالكسر شــجر النبق، وكانوا يدقون ورق البســتاني منه دون البري ويستعملونه في الغسل؛ لأنَّه نبات منظف كالصابون، وقوله: «فتطهرُ»، بفتح التاء أصله تتطهر وتحذف إحدى التاءين من مثله للتخفيف.

QaradawiBooks.com

فتحسن الطهور، فتصب على رأسها، فتدلكه دلكًا شديدًا، حتَّى يبلغ شؤون رأسها، ثمَّ تصبُّ عليها الماء، ثمَّ تأخذ فِرْصة مُمَسَّكة فتطهرُ بها». قالت أسماء: وكيف أتطهر بها؟ قال: «**سبحان الله! تَطَهَّرين بها**»[(١)]. سبَّح الله تعجبًا من عدم فهمها المراد بالإيماء والتعريض، وطلبِها للتصريح به والتكشيف، ومنعه الحياء منه، حتَّى كفته زوجته عائشة ذلك، وقد ورد في وصفه ﷺ: أنَّه كان أشد حياء من العذراء في خِدْرها[(٢)].

وكان المؤمنات يسألنه عن كل ما يعرض لهن على اختلاف درجاتهنَّ في الحياء حتَّى كان بعضهن يشكون إليه هجر بعولتهن لهنَّ اشتغالًا بالتعبد أو لغير ذلك، وكان لا بدَّ له من تعليمهن وإنصافهن من بعولتهن، وكان أزواجه خير مبلِّغ له عنهن، ولهن عنه في حياته، وخير مرجع في الاستفتاء النسوي بعد وفاته، ومن ذا الَّذي يقول إن زوجًا واحدة كانت تقوم بهذا الواجب وحدها؟ بل كان الرجال يرجعون بعده إلى أمهات المؤمنين في كثير من أحكام الدين، ولا سيما الزوجية، فمن كان له قرابة منهن كان يسألها دون غيرها، فكان أكثر الرواة عن عائشة أختها أم كلثوم، وأخوها من الرضاعة عوف بن الحارث، وابنا أخيها القاسم وعبد الله ابنا محمَّد بن أبي بكر، وحفصة وأسماء بنتا أخيها عبد الرحمٰن، وعبد الله وعروة ابنا عبد الله بن الزبير من أختها أسماء، وروى عنها غيرهم من أقاربها ومن الصحابة والتابعين، وهم كثيرون جدًّا.

---

(١) رواه مسلم في الطهارة (٣٣٢) (٦١).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٦٢)، ومسلم في الفضائل (٢٣٢٠)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

كذلك كان أكثر الرواة عن حفصة: أخوها عبد الله بن عمر وابنه حمزة وزوجه صفية بنت عبيد وأم بشر الأنصارية، إلخ، وأكثر الرواة عن ميمونة بنت الحارث: أبناء أخواتها، ولا سيما أعلمهم وأشهرهم عبد الله بن عباس، وأشهر الرواة عن رملة بنت أبي سفيان: ابنتها حبيبة وأخواها معاوية وعنبسة وابنا أخيها وأختها.

وهكذا نرى كل واحدة من أمهات المؤمنين قد روى عنها علم الدين كثير من أُولِي قرباها، ومن النساء والرجال الآخرين، حتَّى إن صفيَّة اليهودية كان لها ابن أخ مسلم روى عنها فيمن روى، فهل كان يمكن أن ينقل ذلك كله زوجٌ واحدة، يروي عنها كل مَن روَى عن أمهات المؤمنين؟ ولعل أكثر ما سمعه النساء منهن لم يصل إلى الَّذين دوَّنوا أحاديثهن.

وجملة القول: إنَّ أمَّهات المؤمنين التسع اللائي توفي عنهن رسول الله ﷺ كن كلهن معلِّمات ومفتيات لنساء أمته ولرجالها ما لم يعلمه عنه غيرهن من أحكام شرعية، وآداب زوجية، وحِكم نبويَّة، وكن قدوة صالحة في الخير وعمل البر»[1].

وقال أيضًا صاحب المنار: «إنَّه ﷺ راعى المصلحة في اختيار كل زوج من أزواجه عليهن الرضوان في التشريع والتأديب والمودة والتأليف وكفالة الأرامل والأيتام، فجذب إليه كبار القبائل بمصاهرتهم، وعلَّم أتباعه احترام النساء وإكرام كرائمهن والعدل بينهن، وقرر الأحكام بذلك، وترك من بعده تسع أمهات للمؤمنين يعلمن نساءهم من الأحكام ما يليق بهنَّ ممَّا ينبغي أن يتعلمنه من النساء دون الرجال، ولو ترك واحدة فقط لما كانت تُغني في الأمة غناء التسع.

(١) نداء للجنس اللطيف صـ ٧٠ ـ ٧٢.

QaradawiBooks.com

وأذكِّر القارئ بأنَّ تعدُّد الزوجات في ذلك العصر كان من الضروريات، لكثرة القتلى من الرجال، وحاجة نسائهم إلى من يكفلهن؛ لأن أكثر أهلهن من المشركين، فالمصلحة فيه للنساء لا للرجال، إما بالكفالة والنفقة، وإما بالشرف والتكرمة؛ ولذلك كنَّ يسعين أو يسعى الآباء أو غيرهن من الأقربين لمن يُقتل زوجها أو يموت بكفء يتزوجها، وإن كان له زوج أو أزواج غيرها، كما فعل عمر بعرض بنته حفصة على أبي بكر وعمر»[١].

سيرة النبي ﷺ في معاشرة نسائه:

قال العلَّامة الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ:

«كان رسول الله ﷺ المثل الكامل والأسوة الحسنة للرجال في حسن معاشرة أزواجه بالمعروف، والقسمة بينهن بالعدل في كلٍّ من المبيت والنفقة واللطف والتكريم، وفي احتمال غضبهن وغيرتهن وتنازعهن بالأناة والرفق والموعظة الحسنة، وكان يزورهن كلهن صباحًا للوعظ والتعليم، ومساء للمجاملة والمؤانسة، وكنَّ يجتمعن معه في بيت كل منهن، وكان يخدم في بيته ويقضي حوائجه بيده، قالت عائشة: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده امرأة له ولا خادمًا قط[٢].

وسُئلت: ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله؟ قالت: كان في مَهْنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة[٣].

---

(١) نداء إلى الجنس اللطيف صـ ٨٦.

(٢) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٢٨)، وأحمد (٢٤٠٣٤).

(٣) رواه البخاري في الأدب (٦٠٣٩).

QaradawiBooks.com

ولها أحاديث أخرى مفصلة في خدمته في بيته، وقيامه بحاجة نفسه، ومن وصْفها له: كان ألين النَّاس، وأكرم النَّاس، وكان رجلًا من رجالكم إلَّا أنَّه كان بسَّامًا[١].

وكان ﷺ إذا أراد السفر ضرب القرعة بينهنَّ، إذ لا يمكن السفر بهن كلهن، وترجيح إحداهنَّ يُسخط سائرهنَّ، وإن كان فيها من المرجِّحات ما يقتضي الترجيح، إذا لا يتساوى النساء في استعدادهنَّ للسفر ومشقَّاته؛ ولكنَّه لما حجَّ أخذهنَّ كلهن معه.

ولما مرض مرضه الأخير شقَّ عليه أن ينتقل بين بيوتهنَّ كل يوم كما كان يفعل في حال صحته، فكان يسأل: «**أين أنا غدًا؟ أين أنا غدًا؟**». يريد يوم عائشة، فأذنَّ له أزواجه كلهن أن يكون حيث شاء، فاختار بيت عائشة، وفيه تُوُفِّي[٢].

ورُوِيَ عنها أنَّه بعث في مرضه إلى نسائه، فاجتمعن، فقال: «**إنِّي لا أستطيع أن أدور بينكن، فإن رأيتُنَّ أن تأذنَّ لي أن أكون عند عائشة**». فأذِنَّ له[٣]. ومن حكمة ذلك: أن يُدفن في بيتها، وقد كان صرَّح بأنَّه يدفن حيث يموت.

ولما كبِرت سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة تبغي رضاء رسول الله ﷺ عنها[٤]. وفي رواية عنها: كان رسول الله ﷺ لا يفضِّل بعضنا

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٣٦٥/١).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢١٧)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٣).

(٣) رواه أحمد (٢٥٨٤١)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في النكاح (٢١٣٧)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٨٥٤).

(٤) سبق تخريجه صـ٤٧٢.

QaradawiBooks.com

على بعض في القسم من مكثه عندنا، وكان قلَّ يومٌ إلَّا وهو يطوف علينا جميعًا، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس، حتَّى يبلغ الَّتي هو يومها، فيبيت عندها. ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنَّتْ وفرقت ـ أي: خافت ـ أن يفارقها رسول الله ﷺ: يا رسولَ الله، يومي لعائشة. فقبل رسول الله ذلك منها[1].

وقد كان لعائشة بنت الصديق رضي الله عنهما من قلب رسول الله ﷺ ما لم يكن لأحد من نسائه بعد خديجة رضي الله عنها، فكانت الحبيبة بنت الحبيب، وكانت هي أكثرهن إدلالًا عليه، وفي الصحيحين عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**إنِّي لأعلم إذا كنتِ راضية عني، وإذا كنتِ عليَّ غضبى**». فقلت: من أين تعرف ذلك؟ قال: «**أمَّا إذا كنتِ عني راضية، فإنَّك تقولين: لا ورب محمَّد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم!**». قلت: أجل، والله يا رسول الله ما أهجر إلَّا اسمك[2].

وكان هذا الحب الطبعي الَّذي تعدَّدت أسبابُه أعظم دليل على عدله ﷺ بين أزواجه، فهو لم يكن يفضلها على أقلهنّ مزايا في الخَلْق والخُلق والذكاء والنسب بشيء من النفقة أو المبيت أو حسن العشرة، ولذلك كان يقول في قسمه بينهن بالعدل: «**اللهمَّ هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**»[3].

---

(١) رواه أبو داود (٢١٣٥)، والحاكم (١٨٦/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، كلاهما في النكاح، وحسنه الألباني في الإرواء (٢٠٢٠)، عن عائشة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٢٨)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣٩).

(٣) رواه أحمد (٢٥١١١)، وقال مخرِّجوه: هذا إسناد رجاله ثقات. وأبو داود (٢١٣٤)، والترمذي (١١٤٠)، وقال: روي مرسلًا وهو أصح. والنسائي في عشرة النساء (٣٩٤٣)، وابن ماجه (١٩٧١)، والحاكم (١٨٧/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، كلاهما في النكاح، وقال الألباني في مشكاة المصابيح (٣٢٣٥): جيد. عن عائشة.

QaradawiBooks.com

يعني الحب ولوازمه الطبيعيَّة غير الاختياريَّة، وما ابتلي الرجال بشيء أبعث على الجور والمحاباة كفتنة حب النساء؛ فإنَّ الرجل الضعيف الدين والإرادة ليظلم أولاده ونفسه مرضاة لمن يحبها ولو أجنبية، فكيف لا يظلم ضرتها؟

تغاير نسائه ﷺ وتحزبهن ومناشدتهن إيَّاه العدل:

لما كان من طباع البشر أنَّ العدل بينهم يغريهم بالمطالبة بأكثر من حقوقهم، والظلم يسكتهم على ما دونها، ولا سيما النساء، ورأى نساء النبي ﷺ أنَّه لا يفضِّل إحداهنَّ على غيرها بشيء ما، إلَّا أنَّ النَّاس يتحرَّون بهداياهم له يوم عائشة، رأين أن في هذا هضمًا لحقوقهن وكرامتهن، وإن كان هذا الهضْم ليس من فعله ﷺ، وكان ينالهن من الهدايا كلهن، فطالبنه بإنصافهن، وأغلظن في المطالبة، وألحفن حتَّى أسكتهن بما يكرهن.

قالت عائشة: إن نساء رسول الله ﷺ كنَّ حزبين، فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر: أم سلمة وسائر نساء النبي ﷺ، وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة، فإذا كان رسول الله ﷺ في بيت عائشة، بعث صاحب الهدية بها إلى رسول الله ﷺ في بيت عائشة، فكلَّم حزب أمِّ سلمة أمَّ سلمة، فقلن لها: كلِّمي رسول الله ﷺ يكلم النَّاس فيقول: من أراد أن يُهدي إلى رسول الله ﷺ هدية فليهدها إليه حيث كان من بيوت نسائه، فكلمته أم سلمة بما قلن، فلم يقل لهن شيئًا، فسألنها، فقالت: ما قال لي شيئًا. فقلن لها: كلِّمِيه. قالت: فكلمته حين دار إليها أيضًا، فلم يقل لها شيئًا، فسألنها، فقالت: ما قال لي شيئًا. فقلن لها: كلميه حتَّى يكلمك، فدار إليها، فكلمته، فقال

QaradawiBooks.com

لها: «**لا تؤذيني في عائشة، فإنَّ الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلَّا عائشة**». قالت: فقلت: أتوب إلى الله من أذاكَ يا رسول الله. ثمَّ إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تقول: إن نساءك يَنشُدنك الله العدل في بنت أبي بكر. فكلمته، فقال: «**يا بُنيَّة، ألا تحبين ما أُحب؟**». قالت: بلى. فرجعت إليهن فأخبرتهن، فقلن: ارجعي إليه، فأبت أن ترجع، فأرسلن زينب بنت جحش، فأتته، فأغلظت، وقالت: إن نساءك ينشدنك العدل في بنت أبي قحافة، فرفعت صوتها حتَّى تناولت عائشة وهي قاعدة، فسبَّتها، حتَّى إن رسول الله لينظر إلى عائشة هل تتكلَّمُ؟ فتكلمت عائشة ترد على زينب، حتَّى أسكتتها. قالت: فنظر النبي ﷺ إلى عائشة، وقال: «**إنَّها بنت أبي بكر**»[1]. يعني أنَّها مثل أبيها في الذكاء والعقل والحجَّة.

ورواية مسلم عنها: أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مِرْطي، فأذن لها، فقالت: يا رسولَ الله، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة. وأنا ساكتة، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أي بُنية، ألست تحبين ما أحب؟**». قالت: بلى. قال: «**فأحبِّي هذه**». فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ، فقلن: ما نراكِ أغنيتِ عنَّا من شيء، فارجعي إلى رسول الله ﷺ فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة، فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبدًا. قالت: فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش، وهي الَّتي كانت تُساميني منهن في المنزلة عند النبي ﷺ، ولم أرَ قط امرأة خيرًا في الدين من زينب، وأتقى لله،

(١) رواه البخاري في الهبة وفضلها (٢٥٨١)، عن عائشة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالًا لنفسها في العمل الَّذي تتصدَّق به، وتتقرب به إلى الله تعالى ما عدا سَوْرة من حدة كانت فيها، تسرع منها الفيئة[١] أي الرجعة إلى الحِلْم.

إنَّ الباعث الحقيقي لأم سلمة وحزبها لم يكن بشأن الهدايا، بل هو غبطتهن عائشة على منزلتها عند الرسول ﷺ.

يدلُّنا على ذلك جوابه ﷺ لأم سلمة، ومن بعدها لابنته رضي الله عنها، فقد بيَّن لأم سلمة مكانتها من خلال نزول الوحي عليه وهو معها في لحافها أو ثوبها.. الأمر الَّذي تميزت به عليهن.

وكان جوابه ﷺ لابنته فيه الإيحاء بأن أمر الحب ليس بيده، حتَّى يتحكَّم فيه.

ثم جاءت زينب وخرجت عن حدود المهمة الَّتي جاءت من أجلها، فسبَّت عائشة، وعائشة لا يد لها في الأمر الَّذي جاءت من أجله.

أمَّا الهدايا، فهي ليست من فعله حتَّى يُطالب بالتسوية فيها، وأمَّا طلبهن رضي الله عنهن إعلان ذلك للناس، فذلك أمر يحول دونه حياء الرسول ﷺ وعفته، إذ «ليس من كمال الأخلاق أن يتعرض الرجل إلى النَّاس بمثل ذلك، لما فيه من التعرض لطلب الهدية» كما قال الحافظ ابن حجر[٢].

غَيرة أزواجه ﷺ وصبره عليهن فيها:

الغَيرة الزوجية غريزة أو عاطفة في الرجال والنساء، وهي فيهنَّ أشد، ولا سيما إذا تعددن عند الرجل وكان يحابي بعضهنَّ على بعض، ولئن

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٢)، والنسائي في عشرة النساء (٣٩٤٤).
(٢) فتح الباري (٢٠٨/٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كان أزواج النبي ﷺ كلهن يغرن من عائشة لعلمهن بأنها أحب إليه، فلهي كانت أشدهن غَيْرة عليه، حتَّى كانت تغار من خديجة زوجه قبلها، وهي لم ترها كما تقدم، فكانت على شـدَّة ما ترى من عدله ومسـاواته بين نسائه تطيع ما يوسوس إليها الشـيطان إذا خرج من عندها في ليلتها أنَّه يذهب إلى غيرها، حتَّى تبعته مرَّة من حيث لا يشـعر، فإذا هو قد ذهب إلى البقيـع (مقبرة المدينة) يسـتغفر للمؤمنين والمؤمنات والشـهداء، قالت: فقلتُ: بأبي أنت وأمي! أنت في حاجة ربك، وأنا في حاجة الدنيا. فانصرفتُ فدخلـت حجرتي، ولي نفَسٌ عالٍ، ولحقني رسـول الله ﷺ، فقـال: «**ما هذا النَّفَس يا عائشـة؟**». فقالـت: بأبي أنت وأمـي، أتيتني فوضعتَ ثوبيك، ثمَّ لم تستتمَّ أن قمتَ فلبستهما، فأخذتني غَيْرة شديدة، ظننتُ أنَّك تأتي بعض صويحباتي، حتَّى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع. فقال: «**يا عائشة، أكنتِ تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟**»[1].

وخرج مرَّة، قالـت: فغرتُ عليه أن يكون أتى بعض نسـائه، فجاء، فرأى ما أصنع، فقال: «**أغرتِ؟**». فقلت: وهل مثلي لا يغار على مثلك؟ فقال: «**لقد جاءك شـيطانك**». قلت: أوَمعي شـيطان؟ قال: «**نعم**». قلت: ومع كل إنسـان؟ قال: «**نعم**». قلـت: ومعك؟ قال: «**نعـم، ولكن ربي أعانني عليه حتَّى أسلم**»[2]. يعني: أنني أَسلم من طاعة وسوسته، أو هو أسلم فلا يأمر بشرٍّ.

وقالت: ما رأيت صانعـة طعام مثل صفية، صنعتْ لرسـول الله ﷺ طعامًا، وهو في بيتي، فأخذني أفكل ـ هو بالفتح: الرِّعْدة والقُشَعْرِيرة ـ

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٥٥٦).

(٢) رواه مسلم في صفة القيامة والجنة والنار (٢٨١٥)، عن عائشة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فارتعدتُ من شدَّة الغَيْرة، فكسرتُ الإناء ثمَّ ندمتُ، فقلت: يا رسولَ الله، ما كفارة ما صنعت؟ قال: «**إناء مثل إناء، وطعام مثل طعام**»[١].

وقالت تعيب صفية لتغيُّرها منها: يا رسولَ الله، حسبك من صفيَّة قِصَرُها.

فقال لها: «**لقد قلتِ كلمةً لو مُزِجت بماء البحر لمزَجَته**»[٢]. أي: إن كلمتها في قبحها وخبثها لو ألقيت في البحر لأثَّرت فيه كله وخبُث بها.

تواطؤ أزواجه وتظاهرهنّ على الكيد له ﷺ:

شرب مرَّة عسلًا عند زينب كان أُهْدِيَ إليها، وكان يحبُّه، فأغرت عائشة به جميع نسائه، فتظاهرن على الكيد له، حتَّى لا يعود إلى شرب العسل عندها، بأن تواطأن على أن ينكرن رائحته ممَّا شرب، ففعلن، وكان شديد الكراهة للرائحة الخبيثة، فامتنع من شرب ذلك العسل عندها، وحرَّمه على نفسه، فلمَّا علم بكيدهنَّ وكذبهنَّ عليه غضب عليهن كلهن[٣].

وقيل: إن عائشة تواطأت مع حفصة في حادثة تحريم مارية القبطية، وكان سببه غضب حفصة لاجتماعه بها في بيتها، فاسترضاها بتحريمها عليه، وأمرها أن تكتم الخبر، فأفشته لعائشة[٤].

ورُوِيَ أنَّه أسرَّ إليها حديثًا آخر في مسألة الخلافة، وتظاهرتا ـ أي تعاونتا ـ عليه في ذلك[٥]، وفيهما نزل قوله تعالى معاتبًا له ومنذرًا لهن:

---

(١) رواه أحمد (٢٥١٥٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في البيوع (٣٥٦٨)، والنسائي في عشرة النساء (٣٩٥٧)، وحسن إسناده الحافظ في فتح الباري (١٢٥/٥)، عن عائشة.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٥٤.

(٣) القصة متَّفق عليها: رواها البخاري (٥٢٦٨)، ومسلم (١٤٧٤)، كلاهما في الطلاق، عن عائشة.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٤٧٥/٢٣ ـ ٤٨٠).

(٥) رواه ابن عدي في الكامل (٥٠٨/٤)، من طريق سيف بْن عُمَر. وقال: وله أحاديث غير =

QaradawiBooks.com

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۞ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۞ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۞ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ١ ـ ٥].

حاصل معنى الآيات: أنَّه لا ينبغي لك أيها النبي أن تبالغ في مرضاة أزواجك، فتبلغ منها أن تحرم لأجلهن ما أحلَّ الله لك، والله غفور رحيم، غفَر لك هذه، فلا تعودَنَّ إلى مثلها، وإنَّ الله قد شرع لكم كفَّارة أيمانكم، ومنها يمين تحريم المرأة أو الأمة، فهو كاليمين بالله تعالى، أي يكفره إطعام عشرة مساكين مرَّة واحدة، أو كسوة كل منهم ثوبًا، أو عتق رقبة، فمن لم يستطع إحدى هذه الثلاث وهو مخيَّر فيها، فصيام ثلاثة أيام، والله هو العليم بأفعالكم ونيَّاتكم فيها الحكيم بما يشرعه لكم فيما يعرض لكم من مقتضى الطباع البشريَّة، فيربِّيكم به ويزكّيكم.

ثم ذكر ذنب الَّتي أفشت سرَّه ﷺ، وهي حفصة بما هو ظاهر المعنى في الجملة، وأرشدها هي والَّتي أفشت لها السر، وهي عائشة، إلى التوبة من ذنبهما، وما صغت ـ أي مالت إليه ـ قلوبهما، ووافق أهواءهما من تلك الواقعة، وأنذرهما إن أصرَّتا على التظاهر، أي: التعاون والتمالؤ على الرسول ﷺ بأن الله هو مولاه الَّذي ينصره ويتولاه في كل أمر،

= ما ذكرت وبعض أحاديثه مشهورة وعامتها منكرة لم يتابع عليها، وَهو إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق.

QaradawiBooks.com

وكذلك جبريل وصالحو المؤمنين، والمراد بهم هنا: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، والملائكة بعد ذلك كله يظاهرونه ويؤيدونه ﷺ، ثمَّ هدَّدهما بأن الرسول إذا طلَّقهما وسائر أزواجه المتحزِّبات عليه، فإنَّ الله يبدله خيرًا منهن في كل ما يتفاضل به النساء عنده من صفات الكمال، ولو كان ﷺ يُهمه التمتع الجسدي لوصف الله البدل بصفات الحسن والجمال؛ ولكنَّه لم يكن يحفل به، ولو لم يكن نقصًا في نفسه.

غضبه ﷺ على أزواجه وإيلاؤه منهنَّ شهرًا فتخييره إيَّاهن بين الطلاق وبقاء الزوجيَّة المُرْضِية لله ولرسوله:

علمنا من الشواهد الصحيحة الَّتي رويناها في حُسن عشرة النبي ﷺ لأزواجه بما هو أعلى من المعروف من عدل وحلم ولطف، وصبر على تغايرهن وائتمارهن، ليكون أسوة حسنة لرجال أمته ـ ولا سيما المهاجرين ـ في ذلك، وعلمنا أنَّه آل أمرهن إلى الائتمار بينهن والتظاهر عليه واستباحة الكذب وإفشاء السر، وكدن يكنَّ أسوة سيئة لنساء المؤمنين، على خلاف ما يراد من تربية الرسول لهنَّ لِيَكُنَّ قدوة صالحة لهن، وكان قد اضطرب أمر النساء مع الرجال؛ إذ زادت جرأتهنَّ عليهم بتأثير ما أعطاهنَّ الإسلام من الحقوق، وما أوصى بهنَّ النبي ﷺ من التكريم، حتَّى إنَّه قد اجتمع عند نسائه ﷺ مرَّة سبعون امرأة كل تشكو زوجها.

فلما انتهى نساؤه معه إلى هذا الحد مع العدل الكامل، واللطف الشامل؛ غضب غضبة الحليم، وحلف ألا يقربهنَّ شهرًا، واعتزلهنَّ كلهنَّ تربية لهنَّ، ولا تتم التربية إلَّا بوضع الحلم في موضعه، والغضب في موضعه، وإنَّني أستخلص من الصحيحين خبر غضبه وحلفه هذا بما فيه

QaradawiBooks.com

زيادة البيان لما كان عليه حال النساء في أوَّل الإسلام، وأبدأ بسياق مسلم، فأقول:

روى مسلم في «صحيحه» أن عبد الله بن عبَّاس قال: مكثتُ سنة، وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية، فما أستطيع أن أسأله هيبة له، حتَّى خرج حاجًّا، فخرجتُ معه، فلمَّا رجع فكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له، فوقفتُ له، حتَّى فرغ، ثمَّ سرت معه، فقلت: يا أمير المؤمنين، مَن اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ من أزواجه؟ فقال: تلك حفصة وعائشة. قال: فقلت له: والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة، فما أستطيع هيبة لك. قال: فلا تفعل، ما ظننتَ أن عندي من علم فسلني عنه، فإن كنتُ أعلمه أخبرتك.

قال: وقال عمر: والله إن كنَّا في الجاهليَّة ما نعد للنساء أمرًا حتَّى أنزل الله تعالى فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم، قال: فبينما أنا في أمر أأتمره، إذ قالت لي امرأتي: لو صنعت كذا وكذا! فقلت لها: وما لكِ أنتِ ولما هاهنا؟ وما تكلفك في أمر أريده؟ فقالت لي: عجبًا لك يا ابن الخطاب، ما تريد أن تُراجع أنت، وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتَّى يظل يومه غضبان! قال عمر: فآخذ ردائي، ثمَّ أخرج مكاني، حتَّى أدخل على حفصة، فقلت لها: يا بُنيَّة، إنَّك لتراجعين رسول الله ﷺ حتَّى يظل يومه غضبان؟ فقالت حفصة: والله إنَّا لنراجعه. فقلت: تعلمين أنِّي أحذِّرك عقوبة الله وغضب رسوله، يا بُنيَّة لا يغرنَّكِ هذه الَّتي قد أعجبها حُسنُها وحبُّ رسول الله ﷺ إياها. ثمَّ خرجت حتَّى أدخل على أم سلمة لقرابتي منها، فكلمتها، فقالت لي أم سلمة: عجبًا لك يا ابن الخطاب، قد دخلت في كل شيء حتَّى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ

QaradawiBooks.com

وأزواجه؟ قال: فأخذتني أخذًا كسرتني عن بعض ما كنتُ أجد. فخرجت من عندها[١].

هذه مقدمة مسلم لحديث عمر[٢]، وأذكر تتمته من رواية البخاري، عنه قال: ثمَّ استقبل عمر الحديث يسوقه، قال: كنتُ أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهم من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ، فينزل يومًا، وأنزل يومًا، فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك، وكُنَّا معشر قريش نغلب النساء[٣]، فلمَّا قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار، فصخبتُ على امرأتي، فراجعتني، فأنكرتُ أن تراجعني. قالت: ولِمَ تنكر أن أراجعك؟! فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعْنَه، وإن إحداهن لتهجرُه اليوم حتَّى الليل. فأفزعني ذلك، وقلت لها: قد خاب من فعل ذلك منهن. ثمَّ جمعتُ عليَّ ثيابي، فنزلت، فدخلتُ على حفصة، فقلت لها: أي حفصة، أتغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتَّى الليل؟ قالت: نعم. فقلت: قد خبتِ وخسرتِ، أفتأمنين أن يغضب اللهُ لغضب رسوله ﷺ فتهلكي، لا تستكثري النبي ﷺ[٤]، ولا تراجعيه في شيء، ولا تهجريه، وسليني ما بدا لك، ولا يغرَّنَّك أن كانت جارتكِ أوضأَ منك، وأحب إلى النبي ﷺ. يريد عائشة.

---

(١) أي كسرتْ ما أجده في نفسي ودفعتني عنه، حتى لم أقله لها. وفي رواية لابن سعد: أنَّها قالت له: أي والله إنا لنكلِّمه، فإن تحمَّل ذلك فهو أولى به، وإن نهانا عنه كان أطوع عندنا منك. انظر: الطبقات الكبرى (١٨٨/٨).

(٢) رواه مسلم في الطلاق (١٤٧٩).

(٣) وفي رواية: كنا ونحن بمكة لا يكلم أحد امرأته إلَّا إذا كانت له حاجة. وفي رواية: كنا لا نعتد بالنساء، ولا ندخلهن في أمورنا. انظر: فتح الباري (٢٨١/٩).

(٤) أي لا تطلبي منه الشيء الكثير.

QaradawiBooks.com

قال عمر: وكنا قد تحدَّثنا أن غَسَّان تُنْعِل الخيل لغزونا، فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته، فرجع إلينا عشاء، فضرب بابي ضربًا شديدًا، وقال: أثَمَّ هو؟ ففزعت، فخرجت إليه، فقال: قد حدث اليوم أمر عظيم. قلت: ما هو؟ أجاء غسان؟ قال: لا، بل أعظم من ذلك وأهول، طلَّق النبيُّ ﷺ نساءه. فقلت: خابت حفصة وخسرت، قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون، فجمعت عليَّ ثيابي، فصليت صلاة الفجر مع النبيِّ ﷺ، فدخل النبي ﷺ مشرُبة[1] له، فاعتزل فيها، ودخلت على حفصة فإذا هي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ ألم أكن حذرتك هذا؟ أطلقكن النبي ﷺ؟ قالت: لا أدري، ها هو ذا معتزل في المشرُبة. فخرجت فجئتُ إلى المنبر، فإذا حوله رهط يبكي بعضهم، فجلستُ معهم قليلًا، ثمَّ غلبني ما أجد، فجئتُ المشرُبة الَّتي فيها النبي ﷺ، فقلت لغلام له أسود: استأذن لعمر، فدخل الغلام، ثمَّ كلَّم النبيَّ ﷺ. ثمَّ رجع فقال: كلمتُ النبي ﷺ وذكرتك له، فصمت، فانصرفتُ حتَّى جلستُ مع الرهط الَّذين عند المنبر، ثمَّ غلبني ما أجد، فجئت، فقلتُ للغلام: استأذنْ لعمر. فدخل ثمَّ رجع، فقال: قد ذكرتك له، فصمت. فرجعت، فجلست مع الرهط الَّذين عند المنبر، ثمَّ غلبني ما أجد، فجئت الغلام، فقلت: استأذن لعمر. فدخل ثمَّ رجع إليَّ، فقال: قد ذكرتك له، فصمت. فلمَّا ولَّيْتُ منصرِفًا. قال: إذا الغلام يدعوني، فقال: قد أذن لك النبي ﷺ، فدخلتُ على رسول الله ﷺ، فإذا هو مضطجع على رِمَال حصير[2] ليس بينه وبينه فراش، قد أثَّر الرمال بجنبه، متكئًا على وسادة من أَدَم حشوها ليف، فسلمتُ عليه، ثمَّ قلت وأنا قائم: يا رسولَ الله،

(١) المشربة: بضم الراء الغرفة أو العلية.

(٢) وفي رواية: رمال سرير، والرمال اسم لضلوع الحصير التي ينسج بها، فتكون متداخلة كالخيوط في الثوب.

QaradawiBooks.com

أطلَّقت نساءك؟ فرفع إليَّ بصره فقال: «**لا**». فقلت: الله أكبر. ثمَّ قلت وأنا قائم أستأنس: يا رسولَ الله، لو رأيتَني وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلمَّا قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم. فتبسم النبي ﷺ، ثمَّ قلت: يا رسولَ الله، لو رأيتَني ودخلتُ على حفصة، فقلت لها: لا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك، وأحب إلى النبي ﷺ (يريد عائشة). فتبسَّم النبي ﷺ تَبَسُّمة أخرى، فجلست حين رأيته تبسَّم، فرفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيت في بيته شيئًا يردُّ البصر، غير أَهَبَة ثلاثة[1]، فقلت: يا رسولَ الله، ادع الله فليوسع على أمَّتك، فإن فارس والروم قد وُسِّع عليهم وأُعطُوا الدُّنيا، وهم لا يعبدون الله[2]، فجلس النبي ﷺ وكان متكئًا، فقال: «**أوَفي هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم عُجِّلوا طيباتهم في الحياة الدنيا**». فقلت: يا رسولَ الله، استغفر لي. فاعتزل النبي ﷺ نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعًا وعشرين ليلة، وكان قال: «**ما أنا بداخل شهرًا**». من شدَّة موجدته عليهن، حين عاتبه الله تعالى. قالت عائشة: ثمَّ أنزل الله تعالى آية التخيير، فبدأني أوَّل امرأة من نسائه، فاخترته، ثمَّ خيَّر نساءه كلهن، فقلن مثل ما قالت عائشة[3].

اتفقت الروايات على أن تخيير النبي ﷺ أزواجه بين تطليقهن وإبقائهن على عصمته على الوجه الَّذي يريده منهن، وهو أن يكن قدوة

---

(١) الأهبة: بفتحتين وبضمتين أيضًا الجلود المدبوغة أولًا، واحدها إهاب.

(٢) وفي رواية: فبكيت، فقال: ما يبكيك يا بن الخطاب؟ فقلت: وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلَّا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الأنهار والثمار وأنت رسول الله وصفوته.
وأمَّا الذي رآه في خزانته فهو قدر صاع من شعير ومثله قرظ مجموع في ناحية الغرفة، والقرظ حب شجر يدبغ به الجلود.

(٣) رواه البخاري في النكاح (٥١٩١).

QaradawiBooks.com

صالحة للنســـاء في الدين بعد حادثة غضبه وهجره لهن شهرًا، ثمَّ رضاه عنهن، وقد صح أنَّــه حدث في أثناء ذلك ســبب آخــر للتخيير، وهو إلحافهن بطلب التوسعة في النفقة والزينة.

مطالبة أزواجه ﷺ إيَّاه بسعة النفقة والزينة:

كان من الســهل على النبي ﷺ أن يعيش مع نســائه عيشــة الترف والنعمة، وأن يمتعهن بما أحببن من اللباس والحلي والزينة، بما كان له من الحق في خُمس الغنيمة، ومنها غنائم بني النضير، ثمَّ بما كان له من الأرض في خيبر، وكانت غاية توسعته عليهن إعطاؤهن مؤنة سنة كاملة من التمر والشــعير الَّذي كان يتَّخذ منه الخبز في الغالــب، وكان ربَّما يتصدَّق ببعــض ما آتاهن، أو به كلــه إذا وجد من هو أحــوج إليه من الفقراء، بل ذبح مرَّة شاة، فتصدَّق بها كلها، فقالت له عائشة: هلَّا أبقيت لنا قطعة منها نفطر عليها؟ قال: «**لو ذكرتِني لفعلتُ**». وقد وقع لها بعده مثل ذلك بعينه، فقالت لها مولاة لها كما قالت للنبيِّ ﷺ، فأجابتها بما أجابها به[1]، فهذه هــي التربية المحمَّديَّة لأمهــات المؤمنين، ولو اتَّبع أهواءهن في الترف والزينــة والأمة في طور التأســيس، لعُدِمْنَ فضائل الدين، على ذم القرآن للمترفين المسرفين.

ولقد بشَّــر النبي ﷺ أصحابــه بفتح بلاد الشــام والفــرس ومصر والاستيلاء على خزائن كســرى وقيصر والســيادة فيها، وفي غيرها من الأرض، وحذَّرهم من الإســراف فيما أباح الله لهم فــي كتابه من الزينة والطيبات، وقال: «**ما تركتُ بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء**»[2].

(١) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (١٣/٤)، وسكت عنه هو والذهبي.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٩٦)، ومسلم في الذكر (٢٧٤٠)، عن أسامة بن زيد.

QaradawiBooks.com

ومن هذه الفتنة أنهن الداعيات إلى الإسراف في النفقة والزينة، فلمَّا أراد نساؤه ذلك جعل الله تعالى له مخرجًا منه بتخييرهن بين بقائهن على عصمته إيثارًا لحظ الآخرة، وبين تمتيعه لهن بما يطلبن، مع طلاقة لهن، وتسريحه لهن بإحسان إيثارًا منهن لمتاع الحياة الدُّنيا وزينتها، فلو أن نساءه ﷺ غلب عليهن التمتع بالنعمة والزينة والترف لاقتدى بهن جميع النساء من ذلك العهد، ولما استطاع الرجال صرفهن عنه، ولما قامت للأمة قائمة، فإنَّ الإسراف في الترف والزينة يهلك الأمم الغنية، فكيف تقوى به الأمم الفقيرة؟ أم كيف يمكن أن تؤسس أمة قوية عزيزة مُصلحة لفساد البشر وظلمهم، بتنشئتها على التنافس في الشهوات والزينة؟!

وإنَّما أباح الله الزينة والطيبات في حال السعة والثروة، بدون إسراف ولا بطر ولا مَخِيلة.

والغرض من كثرة أزواجه أن يكن قدوة للنساء في الفضائل النسائية، كما أنَّه هو القدوة العليا والأسوة الحسنى للأمة كلها في معاملة النساء وفي سائر الأمور، وملاك ذلك كله إيثار سعادة الآخرة على متاع الدنيا.

تخييره ﷺ لأزواجه بين الدُّنيا والآخرة:

قد ثبت أنَّه كان لهذا التخيير سببان: أحدهما غضبه وموجِدتُه عليهن فيما كان من تظاهرهن عليه، وقد ذكرنا أصح الروايات فيه.

وأمَّا السبب الآخر، وهو مطالبتهن له بالتوسع في النفقة والزينة، فهو ما دلت عليه الآية الأولى من آيتي التخيير الآتيتين، وذكر بعض المفسرين بعض ما طلبن من ذلك، وإنَّني أختار من الروايات الصريحة فيه حديث جابر من صحيح مسلم وهذا نصه:

QaradawiBooks.com

عن جابر بن عبد الله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد النَّاس جلوسًا ببابه، لم يؤذن لأحد منهم. قال: فأذن لأبي بكر، فدخل، ثمَّ أقبل عمر، فاستأذن، فأذن له، فوجد النبي ﷺ جالسًا حوله نساؤه واجمًا ساكتًا. قال: فقال أبو بكر: لأقولن شيئًا أُضحك النبي ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، لو رأيتَ بنت خارجة سألتْني النفقة، فقمت إليها، فوجأت عنقها[1]، فضحك رسول الله ﷺ وقال: «**هن حولي كما ترى، يسألنني النفقة**». فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده؟ فقلن: لا، والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئًا أبدًا ليس عنده. ثمَّ اعتزلهن شهرًا أو تسعًا وعشرين، ثمَّ نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب: ٢٨] حتَّى بلغ: ﴿لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٢٩].

قال فبدأ بعائشة فقال: «**يا عائشة، إنِّي أريد أن أعرض عليك أمرًا أحب ألا تعجلي فيه حتَّى تستشيري أبويك**». قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أَبَوَيَّ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك ألا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت. قال: «**لا تسألني امرأة منهن إلَّا أخبرتها، إنَّ الله لم يبعثني معنِّتًا ولا متعنِّتًا؛ ولكن بعثني معلِّمًا ميسرًا**». ثمَّ خيَّرهن كلهن، فاخترن ما هو خير لهن[2].

اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، وهذا نص آيتي التخيير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩].

---

(١) بنت خارجة زوجته، ووجأ عنقها: لكزه بجمع يده، أو لواه إظهارًا للإنكار لا لأجل الإيلام.

(٢) رواه مسلم في الطلاق (١٤٧٨)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

خلاصة معنى الآيتين:

قل لهن: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ﴾ من حياتكن الزوجية حظوظ الدُّنيا وشهواتها وزينتها، فإنني لم أُبعث لذلك، ولا تزوجتكن لذلك، فتعالين أعطكن المتعة الماليَّة الَّتي شرعها الله للمطلقات، وأسرحكن إلى أهليكن سراحًا جميلًا، لا إهانة فيه، ولا إساءة، كما أمر الله كل من احتاج إلى تطليق امرأته، لعدم استطاعته أن يعيش معها عيشة راضية مرضية لله، ثمَّ له ولها، وهو دليل على أنَّه ﷺ لا يستطيع أن يقوم بوظيفة نبوته مع نساء همهن من حياتهن النعيم والزينة.

وإن كنتن تُردْن من هذه الزوجية مرضاة الله تعالى ومرضاة رسوله بالقيام بأعباء الدين، وإصلاح أمور المؤمنات والمؤمنين، وثواب الدار الآخرة، تؤثرنه على نعمة الدُّنيا العاجلة، فإنَّ الله قد أعدَّ للمحسنات منكن في ذلك أجرًا عظيمًا، هو أعظم وأكبر ممَّا أعده للمحسنات من سائر المؤمنات، وقد بيَّن هذا في الآيات الَّتي بعد هذه، وهي وما سبق من أسباب نزولها تدل على افتراء أعداء الإسلام الَّذين يقولون: إن همَّ محمَّد من حياته التمتع باللذات والشهوات، وأنَّه لذلك أكثر من الزوجات.

تأديب الله لأزواج نبيه ﷺ وتعليمهن ما يُراد منهن:

أمر الله تعالى رسوله أن يبلغ أزواجه ما ذكر من التخيير على أنَّه من ربه لا من عند نفسه، ووصل الأمر بمواعظ وحكم عرَّفهن بها منزلتهن وتفضيلهن على سائر النساء بجعلهن قدوة لهن في التقوى وحسن معاملة الأزواج، بما أتاحه لهن من معاشرة مُصلح البشر الأعظم محمَّد رسول الله وخاتم النبيين، وما يتلقينه عنه من آيات الله والحكمة،

QaradawiBooks.com

وما يُشاهدنه من معاملته وعلوِّ أخلاقه من الأسوة الحسنة، وأن مقتضى ذلك أن يكـــون أجرهن على العمـــل الصالح مضاعفًـــا، وعقابهن على الأعمال الفاحشة مضاعفًا، على قاعدة الغرم والغنم، وكون الَّذي يُقتدى به في الخير له أجره، ومثل أجور من يقتـــدون به فيه، والَّذي يُقتدى به في الشر عليه وزره، ومثل أوزار الَّذين يقتدون به فيه، وفي ذلك حديث نبوي في صحيح مســـلم معروف[1]، ولو كانت سيرة أزواج الرسول ﷺ فاسدة لفسدت ســـيرة ســـائر المؤمنات، بل لكان ذلك من أسباب فساد اعتقاد كثير من الرجال، قـــال الله ﷻ مخاطبًا لهن: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ۞ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ۞ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ۞ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٠ ـ ٣٤].

الفاحشـــة المبيِّنة هي الفعلـــة الظاهرة القبح ـ كالكذب في مســـألة العســـل ـ دون الهفوة واللمم، بما قد يخفى قبحه على فاعله، والقنوت لـــزوم الطاعة مع الخضوع وإذعـــان النفس، والعمل الصالـــح أعمُّ منه،

(١) إشارة إلى الحديث: «من سَنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شـــيء، ومن سَنَّ في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شـــيء». رواه مســـلم في الزكاة (١٠١٧)، عن جرير بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

والتقوى اتقاء مخالفة الله ورسوله، وكل ما تسوء عاقبته، والخضوع بالقول لين الكلام الأنثوي، الَّذي يُطمع الرجلَ الخبيث الضعيف الإيمان في المرأة، لارتيابه في عفَّتها.

والقول المعروف هو الحسن البريء من الرِّيبة، الَّذي لا ينكر نزاهةَ قائلته من يسمعه.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣] أمر من القرار، أي: الْزَمْنَ بيوتكن فلا تخرجن منها لغير حاجة. والتبرج: التبختر مع إظهار الزينة لجذب الأبصار، وهو من منكرات الجاهليَّة القديمة. والرجس: الدنس المعنوي، وهو كل ما يمس الدين أو الشرف.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ [الأحزاب: ٣٣] تعليل لهذه الأوامر والنواهي كلها؛ فإن امتثالها ينافيه، وتتم به الطهارة بأكمل معانيها، وذكر الضمير ﴿عَنكُمُ﴾ ليشمل صاحب البيت صلوات الله وسلامه عليه، فإنَّ شرف أزواجه شرف له، فإن علق بإحداهن رجس أصابه ألمه وعاره ـ أعلى الله كرامته ونزَّه ساحته ـ وقد يشمل بعمومه سائر أهل بيته غير نسائه المقصودات بالذات، وتؤيده بعض الروايات، وآيات الله كتابه وبراهينه، والحكمة: المعارف المعقولة المُرَقِّيَة للعقول المزكِّية للنفوس، الحاملة لها على معالي الأمور.

توسعة الله على نبيه ﷺ بما تكمل به تربية أزواجه:

بالغ أزواج النبي ﷺ في التضييق عليه بباعث الغَيْرة، وجرَّأهن عليه حِلْمه الواسع ولطفه، واعتقادهن أنَّ المساواة بينهن واجبة عليه، وتوهمهن

QaradawiBooks.com

أن منها المساواة في الحب، وفي أمره النَّاس بأن يهدي إليه من شاء منهم، حيث كان من بيوتهن! فكان من تربية الوحي لهن ما ذكرنا آنفًا من تهديد زعيمتيهن عائشة وحفصة وإنذارهن الطلاق، وإبدال ربه إيَّاه خيرًا منهن، ثمَّ ما خاطبه به في الآية الخمسين من سورة الأحزاب، من أنَّه أحلَّ له أزواجه اللائي تزوجهن بمهورهن، وغيرهن من قريباته المهاجرات، وما أفاء عليه من مِلْك اليمين، ومن تهبه نفسها ليتزوجها بدون مهر، خاصًّا به، مع بقاء ما فرضه على سائر المؤمنين من المهور، وتقييد الزواج بألا يزيد على أربع نسوة، في حال القدرة مع العدل والمساواة، وعلى واحدة عند الخوف من الظلم، وكان بعض النساء يهبن أنفسهن له ﷺ، وبعضهن يعرضن عليه قريباتهن، حتَّى نهاهن عن ذلك[1].

ثمَّ أفتاه الله تعالى في الآية الَّتي بعدها برفع الحرج عنه في معاملة أزواجه كلهن، بما يشاء، ليعلمن أن مساواته بينهن فضل منه ﷺ عليهن وإحسان بهن، لا واجب عليه من الله تعالى لهن، لئلا يعدن إلى مثل ما كان منهن، قال تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١].

(١) روى البخاري في النكاح (٥١٢٠) عن ثابت، قال: كنتُ عند أنس وعنده بنت له، فقال: جاءت امرأة تعرض نفسها على رسول الله ﷺ، فقالت: ألكَ بي حاجة؟ فقالت بنت أنس: ما أقل حياءها، وا سوأتاه وا سوأتاه! فقال: هي خير منك، رغبت في رسول الله ﷺ فعرضت نفسها عليه.

وروى البخاري وغيره أن خولة بنت حكيم كانت من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل. رواه في النكاح (٥١١٣). وروى أن أم حبيبة عرضت عليه أختها ليتزوجها فتشاركها في خيرها، فأخبرها بعدم حلها له معها وقال: «فلا تعرضوا عليَّ بناتكن ولا أخواتكن». متَّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٠١)، ومسلم في الرضاعة (١٤٤٩).

QaradawiBooks.com

رفع الله عن نبيه بهذه الآية ما فرضه على أُمَّته من القَسْـــم والمساواة بين الأزواج، وأباح له ما يشـــاء، من إرجاء نوبة بعضهن ـ أي تأخيرها ـ وإيواء من شاء إليه متى شاء، وعزل من شاء وإبعادها.

ولكنَّه ﷺ ظل على ما كان من مساواته بينهن بالعدل، فرضين منه؛ لأنَّه بمحض الفضل، ولم يتزوج عليهن أحدًا ممَّن أبيح له في الآية الَّتي قبلها، ولو كانت رغبته في تعدد الأزواج للاستمتاع بهن لفعل، ولاختار حِسان الأبكار على الثيبات.

ولما نزلت هذه الآية قالت عائشة له كلمة شاذَّة، لعلها أشذُّ ما صدر عنها من إدلال وحب الزوجية وغـــرارة الحداثة، قالت له: ما أرى إلَّا أن ربك يسارع في هواك[1].

تعني بهواه: رغبته وميله النفســـي، فقابل ﷺ هـــذه الكلمة الجريئة النابية عن الأدب بحلمه الواســـع، حتَّى علمت عائشة وغيرها أنَّه ﷺ لم يكن له أدنى هوًى نفسي في هذه التوسعة عليه، فإنَّه لم يعمل بها، وإنَّما كانت لأجل تربيتها هي وســـائر أزواجه، وإقناعهـــن بكمال عدله فيهن، وفضله عليهن فيما لم يوجبه ربه عليه.

وكانت عائشـــة رضي الله تعالى عنها على حداثتهـــا قوية الإيمـــان والإجلال له ﷺ، ولكن الغَيْرة النسائية كانت تغلب على وجدانها، ولقد أقنعتها حفصة في سفر لهما مع النبيِّ ﷺ بأن تســـتبدل بعيرها ببعيرها، ففعلت، فرأته ﷺ يكلِّم حفصة ظانًّا أنَّها عائشـــة رضي الله تعالى عنها، فاشـــتعلت نار غَيْرتهـــا، فلمَّا نزلت وضعت رجلها في الإذْخِر (نبات معطر معروف)، وصارت تدعو الله أن

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٨٨)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٤).

QaradawiBooks.com

يرسل عليها حية أو عقربًا تلدغها، وتقول: إنَّه نبيُّك، ولا أستطيع أن أقول له شيئًا[١].

روت مُعاذة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: إن رسول الله كان يستأذن في يوم المرأة منَّا بعد أن أنزلت هـذه الآية: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ ...﴾ [الأحزاب: ٥١] إلخ، فقلت لها: ما كنتِ تقولين؟ قالت: كنت أقول له إن كان ذلك إليَّ، فإنِّي لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحدًا[٢].

وفي رواية: لـم أوثر أحدًا على نفسـي[٣]. فأين هـذا الجواب من إنكارها عليه مدَّ يده إلى زينب لمصافحتها في بيتها، ومن تجسسها عليه إذ أبطأ في زيارته لها يوم شُرب العسل عندها؟»[٤].

* * *

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢١١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٥)، عن عائشة.
(٢) رواه البخاري في التفسير (٤٧٨٩).
(٣) رواه مسلم في الطلاق (١٤٧٦).
(٤) نداء للجنس اللطيف للشيخ رشيد رضا صـ ٨٧ ـ ١٠٤.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الرسول الأب والجد

لقد أُوتي الرسول ﷺ في أوَّل شبابه وفي بداية زواجه ابنيه العزيزين: القاسم وعبد الله، وبالأول كان يُكنَى ويُنادَى بأبي القاسم، ولكن القدر الأعلى عجَّل بالولدين في الصِّغر، ولله في خلقه شؤون يجريها كما يشاء.

ورُزق عليه السلام بأربع بنات من خِيرة منْ تنجب الأسر الكريمة: زينب ورقيَّة وأم كلثوم وفاطمة، وكان له مع كل واحدة وقفات، وله معهنَّ نفحات، وخصوصًا مع ابنته الصُّغرى: فاطمة الَّتي زوجها عليّ ابن عمه، وهي أم الحسن والحسين ريحانتيه من الدُّنيا، والَّتي له معها مواقف خالدة، في قمة المحبَّة الأبوية، لا بدَّ أن نمرَّ بها ولو مرور الكرام. وكل هؤلاء الأولاد الستة كانوا من أبناء زوجته الأولى: خديجة بنت خويلد.

كان لا بدَّ للرسول ﷺ باعتباره رجلًا من خيرة الرجال: أن يحنَّ إلى الذكور مرَّة أخرى من نسائه، وفيهنَّ أكثر من واحدة صالحة لذلك، ولكن يبدو أن نظام الليالي الرتيب للنساء المتزوِّجات، وعددهن تسع، جعل الفرصة للحمل للواحدة منهن نادرة، ولذلك كانت فرصة الإماء أو أمهات الأولاد، كما كانوا يسمونهنّ أفضل من الأزواج المحصورات في الفرصة الَّتي لا تتهيَّأ.

نسخة مجانية

ولهذا حين تهيَّأت الفرصة بإهداء مارية القبطية للرسول الكريم من المقوقس حاكم مصر من قبل الرُّوم، هيَّأ الله تعالى الجولة لمارية المصرية، وأنجبت آخر ابن للنبيِّ ﷺ، وهو إبراهيم.

كم فرح به النبي الكريم! وكم قرَّت به عينُه، وكم انشرح له صدره، وكم، وكم! ولكن الرسول على كل حال إنَّما هو بشر، يجري عليه القدر كما يجري على غيره.

كل ما نستطيع أن نقوله ما علَّمه لنا ربنا في قرآنه، ورسولنا في سنته، فقد قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

لقد شاء الله أن يموت إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، في يوم كسوف الشمس، وقال النَّاس ما قالوا في هذه المناسبة، كان النَّاس يقولون: إنَّ الشمس لا تنكسف وإنَّ القمر لا ينخسف إلَّا لموتِ عظيم أو ميلاد عظيم، أو حادثٍ خطير يحدث، وقد أراد أهل المدينة أن يربطوا موت إبراهيم بهذا الكسوف، ولكن الرسول الكريم أبى أن يُروِّج هذا الباطل، ورفضه رفضًا حاسمًا، وقال: «**إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته**»(١).

وهكذا يمضي الرسول العظيم مُقِرًّا لنواميس الله في الكون، وسنَّته في الخلق الَّتي لا تتبدل ولا تتعطَّل: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

(١) سبق تخريجه صـ٢٧٥.

QaradawiBooks.com

عن أنس بن مالك صاحب رسول الله وخادمِه قال: لما قُبض إبراهيم ابن النبي ﷺ قال لهم النبي ﷺ: «**لا تُدْرجوه في أكفانه حتَّى أنظر إليه**». فأتاه، فانكب عليه، وبكى[1].

كان الرسول الكريم يحبُّ أولاده، كل أولاده، الذكور والإناث، فهم جزءٌ منه، وكل منهم فلذة من كبده، وقطعة من قلبه، الابن والبنت، وقد قال القرآن الَّذي أنزل عليه: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

اقتضت إرادة الله أن يموت الأبناء جميعًا في الصغر وتبقى بناته إلى أن يتزوجن ويمتن جميعًا في حياته إلَّا فاطمة فقد ماتت بعده بستة أشهر.

وقد تقبَّل الرسول أقدارَ الله الَّتي تجري عليه وعلى أولاده بالصبر والرضا، كما يفعل الآباء الحكماء الصابرون، الَّذين ينظرون إلى الدُّنيا نظرة حقيقة، لا يجعلونها أكبر همهم، ولا مبلغ علمهم، ولكنَّه لم يكن يضخم هذه الأحداث المؤلمة، ولا ييأس من رَوْح الله أبدًا: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] كما قال يعقوب لبنيه بعد فقْده لابنه يوسف ومرور عشرات السنين على فقده، ثمَّ بعد مدة طويلة فقد شقيقه بنيامين.

يقول الدكتور محمَّد حسين هيكل في كتابه الشهير «حياة محمد» الَّذي كتب مقدمته الإمام الأكبر الشيخ محمَّد مصطفى المراغي شيخ الأزهر، عن أبناء الرسول ﷺ: «تعاقبت السنون ومحمد يشارك أهلَ مكَّة في حياتهم العامَّة، ويجد في خديجة خير النساء حقًّا: الوَدود والوَلُود الَّتي وهبتْ نفسها له، والَّتي أنجبت له من الأبناء: القاسم وعبد الله

(١) رواه ابن ماجه في الجنائز (١٤٧٥)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢٧/٢): إسناده ضعيف.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الملقب بالطاهر وبالطيِّب، ومن البنات: زينب ورُقيَّة وأم كلثوم وفاطمة. أمَّا القاسم وعبد الله، فلم يُعرف عنهما إلَّا أنهما ماتا طفلين في الجاهليَّة، لم يتركا على الحياة أثرًا يبقى أو يُذكر، لكنهما ـ من غير شك ـ قد ترك موتهما في نفس أبويهما ما يتركه موت الابن من أثر عميق، وترك موتهما ـ من غير شك ـ في نفس خديجة ما جرح أمومتها جُرحين داميين!

وقد شعر معها زوجها ﷺ ـ لا ريب ـ بالألم لوفاة ابنيه، كما حزّ في قلبه هذا الألم الحيّ ممثلة صورته في زوجه، يراه كلما عاد إلى بيته وجلس إليها. وليس يتعذَّر علينا أن نقدِّر عمق هذا الحزن السحيق في عصر كانت البنات يُوأدْن فيه، وكان الحرص على العقب الذكر يوازي الحرص على الحياة بل يزيد عليه.

وبحسْبك مظهرًا لهذا الألم أن لم يطق محمَّد على الحرمان صبرًا، حتَّى إذا جيء بزيد بن حارثة يُشترى، طلب إلى خديجة أن تبتاعه، ففعلت، ثمَّ وهبته له، ثمَّ أعتقه وتبنَّاه، فكان يُدعى زيد بن محمَّد، واستبقاه ليكون من بعدُ من خيرة أتباعه وصحبه. ولقد حزن محمَّد من بعدُ حينَ مات ابنه إبراهيم أشد الحزن.

فلا ريب ـ إذن ـ أن قد كان أصاب محمدًا في بنيه ما هو جدير بأن يترك في حياته وتفكيره أثره.

ولا ريب في أنَّه استوقف تفكيره ولفت نظره في كل واحدة من هذه الفواجع ما كانت خديجة تتقرّب به إلى أصنام الكعبة، وما كانت تنحر لهُبل وللَّات والعُزَّى ولمناة الثالثة الأخرى، تريد أن تتفادى ما ألمَّ بها من ألم الثُّكل، فلا تفيد القرابين، ولا تُجْدي النحور»[1].

(١) حياة محمد لمحمد حسين هيكل صـ ١٤٣ ـ ١٤٤، نشر دار المعارف المصرية، ط ١١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ونقول هنا للدكتور هيكل: «إنَّ خديجة الَّتي اختارت محمدًا زوجًا لها، عرفت عزوفه عن الوثنيَّة والأصنام، وكانت تراه كل عام في رمضان وهو يذهب إلى غار حراء، يتحنَّث ويتعبد الليالي ذوات العدد، ولا ريب أنَّها كانت تسمع إلى بعض كلماته وتسابيحه الموحدة لله، ولم تكن تنكر عليه هذه الحياة، وتتطلع إلى هبل ومناة واللات والعزى، بل كانت معه فيما هو فيه، ولكنها لا تحس بكل ما يحس، حتَّى فاجأها في أحد الرمضانات بما رآه من الملك جبريل وما قرأه عليه من أوَّل آيات سورة العلق: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١ ـ ٥]، وقد كانت الكلمات الأولى الَّتي سمعها محمَّد بعد الآيات الَّتي قرأها عليه جبريل هي كلمات خديجة: «والله لا يخزيك الله أبدًا، إنَّك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتَقري الضيف، وتعين على نوائب الحقِّ»[1].

حبُّ النبي ﷺ لأبنائه:

كان رسول الله ﷺ رحيمًا عطوفًا بالخلق جميعًا، عاطفته شملت القريب والبعيد، فكيف تكون عاطفته تجاه أبنائه، فمن النَّاس من لا يكون صديقًا صالحًا، ولا سيدًا صالحًا، ولا زوجًا صالحًا، ولكنَّه أب صالح بر ببنيه؛ لأنَّ الرحم بين الآباء والأبناء أدنى الأرحام إلى المودة، وأحراها بتحريك الشفقة فيمن لا يشفق على أحد، فكيف تكون الأبوة في نفس امتلأت بعطف يعم القريب والغريب، ويشمل القوي والضعيف؟

يقول أنس بن مالك: ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ. قال: كان إبراهيم مُسْتَرْضَعًا له في عوالي المدينة، فكان ينطلق ونحن معه،

(١) سبق تخريجه صـ٤٥٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فيدخل البيت وإنَّه ليُدَخَّن، وكان ظِئْرُه قَيْنًا[١]، فيأخذه فيقبله، ثمَّ يرجع. قال عمرو: فلمَّا توفي إبراهيم قال رسول الله ﷺ: «**إن إبراهيم ابني، وإنَّه مات في الثدي، وإن له لظئرين تُكَمِّلان رَضَاعه في الجنَّة**»[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القَيْن، وكان ظئرًا لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم، فقبَّله، وشمَّه، ثمَّ دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «**يا ابن عوف، إنَّها رحمة**». ثمَّ أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: «**إنَّ العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلَّا ما يُرضي ربَّنا، وإنَّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[٣].

عن عائشة أم المؤمنين قالت: كن أزواج النبي ﷺ عنده، لم يغادر منهن واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي، ما تخطئ مِشيتُها من مِشية رسول الله ﷺ شيئًا، فلمَّا رآها رحَّب بها، فقال: «**مرحبا بابنتي**» ثمَّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثمَّ سارَّها فبكت بكاءً شديدًا، فلمَّا رأى جزعها سارَّها الثانية فضحكت، فقلت لها: خصك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسرار، ثمَّ أنت تبكين؟ فلمَّا قام رسول الله ﷺ، سألتها ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما كنت أفشي على رسول الله ﷺ سره. قالت: فلمَّا توفي رسول الله ﷺ قلت: عزمت عليك، بما لي عليك من الحق، لما حدثتني ما قال لك رسول الله ﷺ، فقالت: أمَّا الآن، فنعم، أمَّا حين

(١) الظئر: المرضعة وزوجها، وهو هنا الزوج. والقين: الحداد.

(٢) رواه مسلم في الفضائل (٢٣١٦)، وأحمد (١٢١٠٢).

(٣) سبق تخريجه صـ٣٧٩.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

سارَّني في المرة الأولى، فأخبرني «**أنَّ جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرَّة أو مرتين، وإنَّه عارضه الآن مرتين، وإنِّي لا أرى الأجل إلَّا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإنَّه نعم السلف أنا لك**». قالت: فبكيت بكائي الَّذي رأيت، فلمَّا رأى جزعي سارَّني الثانية فقال: «**يا فاطمة أمَّا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة**». قالت: فضحكت ضحكي الَّذي رأيت»[(١)].

هكذا ينبغي أن نتعلم من الأحداث الكبار الَّتي تمر بالرجال والنساء، فنتخذ منها السيرة والأسوة، فهذه أمُّنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، تتخذ من سيرة فاطمة ما تجعله عظة لها، وأخذت عبرة مهمة من حياتها، فقد رأت فيها تصرُّفين في وقت واحد، واحد أبكاها كثيرًا، والثاني أضحكها. قالت: كنتُ أظن أنَّها من أعقل نسائنا، فإذا هي من النساء، فلمَّا سألتها عن موقف البكاء الشديد، وموقف الضحك السريع في الوقت نفسه، عرفتُ منها سر البكاء وسر الضحك، وهكذا الإنسان العاقل يجب ألَّا يتصرف في الأمور بسرعة؛ قبل أن يتعرَّف على حقيقتها.

موقف النبيِّ ﷺ من رغبة علي في الزواج على فاطمة:

عن المِسْور بن مَخْرَمة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: «**إنَّ بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن، ثمَّ لا آذن، ثمَّ لا آذن، إلَّا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلّق ابنتي، ويَنْكح ابنتهم، فإنَّما هي بَضْعة مِنِّي، يُريبني ما أرابها، ويُؤْذيني ما آذاها**»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٦٠.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٣٠)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٩).

QaradawiBooks.com

وفي هذا الحديث المتفق على صحته، يقف النبي ﷺ مدافعًا عن ابنته وحرمتها، ويتصدى العلماء للشرح والبيان:

قول النووي في شرح مسلم:

ممَّا قاله الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: «قال العلماء: في هذا الحديث تحريم إيذاء النبي ﷺ، بكل حال وعلى كل وجه، وإن تولد ذلك الإيذاء ممَّا كان أصله مباحًا، وهو حيّ، وهذا بخلاف غيره. قالوا: وقد أعلم ﷺ بإباحة نكاح بنت أبي جهل لعلي، بقوله ﷺ: «**لست أحرِّم حلالًا**». ولكن نهى عن الجمع بينهما لعلتين منصوصتين إحداهما: أن ذلك يؤدِّي إلى أذى فاطمة، فيتأذى حينئذٍ النبي ﷺ، فيهلك من آذاه، فنهى عن ذلك، لكمال شفقته على عليٍّ وعلى فاطمة.

والثانية: خوف الفتنة عليها بسبب الغيرة، وقيل: ليس المراد به النهي عن جمعهما؛ بل معناه: أعلم من فضل الله أنهما لا تجتمعان، كما قال أنس بن النضر: والله لا تكسر ثنية الرُّبَيِّع[1].

ويحتمل أنَّ المراد تحريم جمعهما، ويكون معنى: «**لا أحرِّم حلالًا**»، أي: لا أقول شيئًا يخالف حكم الله، فإذا أحلَّ شيئًا لم أحرمه، وإذا حرَّمه لم أحلِّلْه، ولم أسكت عن تحريمه، لأنَّ سكوتي تحليل له. ويكون من جملة مُحَرَّمات النكاح: الجمع بين بنت نبيِّ الله وبنت عدوِّ الله»[2].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٧٠٣)، ومسلم في القسامة (١٦٧٥).
(٢) شرح مسلم (٢/١٦ ـ ٤).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قول ابن حجر في الفتح:

وممَّا قاله العلَّامة الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «والذي يظهر لي أنَّه لا يبعد أن يعد في خصائص النبي ﷺ: ألَّا يُتزوج على بناته، ويحتمل أن يكون ذلك خاصًّا بفاطمة عليها السلام»[1].

قول الشيخ أحمد شاكر:

ومن أقوال كبار العلماء المعاصرين: ما قاله العلَّامة المحدِّث الكبير الشيخ أحمد محمَّد شاكر في شرح الحديث: «فهذا رسول الله ﷺ، المبلغ عن الله، والَّذي كلمته الفصل في بيان الحلال والحرام، يصرح باللفظ العربي المبين ـ في أدقّ حادث يمس أحبَّ النَّاس إليه، وهي ابنته الكريمة السيدة الزهراء ـ بأنَّه لا يحل حرامًا، ولا يحرِّم حلالًا، ولكنَّه يستنكر أن تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله في عصمة رجل واحد.

وعندي وفي فهمي (أي شاكر): أنَّه ﷺ لم يمنع عليًّا من الجمع بين بنته وبنت أبي جهل، بوصفه رسولًا مبلغًا عن ربه حكمًا تشريعيًّا، بدلالة تصريحه بأنَّه لا يحرِّم حلالًا ولا يحل حرامًا، وإنَّما منعه منعًا شخصيًّا بوصفه رئيس الأسرة الَّتي منها عليّ ابن عمه، وفاطمة ابنته، بدلالة أن أسرة بنت أبي جهل هي الَّتي جاءت تستأذنه فيما طلب إليهم عليٌّ رضي الله عنه. وكلمة رئيس الأسرة مطاعة من غير شك، خصوصًا إذا كان ذلك الرئيس هو سيِّد قريش، وسيِّد العرب، وسيِّد الخلق أجمعين، ﷺ»[2].

---

(١) فتح الباري (٣٢٩/٩).

(٢) حكم الجاهلية صـ ٢٥٦، نشر مكتبة السنة، القاهرة.

QaradawiBooks.com

اهتمامه بدين أبنائه:

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. قال: «**يا معشرَ قريش** ـ أو كلمة نحوها ـ **اشتروا أنفسَكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبدِ مَنَافٍ، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عبَّاس بن عبد المُطَّلِب، لا أغني عنكَ من الله شيئًا، ويا صفيَّة عمَّة رسولِ الله، لا أغني عنكِ من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمَّد، سليني ما شئتِ من مالي، لا أغني عنكِ من الله شيئًا**»[(١)].

وعن عليٍّ بن أبي طالب: أنَّ النبيَّ ﷺ طرقه وفاطمة ابنة النبيِّ ﷺ ليلة، فقال: «**ألا تصليان؟**». فقلت: يا رسولَ الله، إنَّما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلت ذلك، ولم يرجع إليَّ شيئًا، ثمَّ سمعته وهو مُوَلٍّ يضرب فخذه يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤][(٢)].

أمر النبي ﷺ عثمان برعاية زوجته رقية بنت رسول الله:

روى الحاكم في المستدرك من طريق حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه قال: خلَّف النبي ﷺ عثمان وأسامة بن زيد على رقيَّة في مرضها لما خرج إلى بدر، فماتت رقيَّة حين وصل زيد بن حارثة بالبشارة، وكان عمر رقيَّة لما ماتت عشرين سنة[(٣)].

قال الداودي: «كان هذا من خواصه عليه السلام. ولعلَّه يريد أن تخلفه بسبب ابنته، وإلا فمن تخلَّف لمنفعة الجيش، ورجع من عندهم لما يصلحهم، ثمَّ غنموا في غيبته فله سهمه، هذا مشهور مذهب مالك.

(١) سبق تخريجه صـ٤٤٢.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٢٧)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٧٥).

(٣) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (٤٧/٤)، وسكت عنه هو والذهبي. عن عروة مرسلًا.

QaradawiBooks.com

وكان الَّذين غابوا في مصلحة الجيش عشرة، منهم عثمان، فضرب رسول الله لهم، وهذا من فضائل عثمان. وأهل البدع يعيبونه بذلك، وبئس ما صنعوا. وكانت زوجته هذِه رُقَيَّة، تُوُفِّيت ورسول الله ﷺ في بدر، ثمَّ زوَّجه أم كلثوم، فتوفيت تحته سنة تسع، وهي الَّتي غسلتها أمُّ عطية»[١].

وقال ابن حجر في «الفتح»: «قوله: وأمَّا تغيبه عن بدر؛ فإنَّه كان تحته بنت رسول الله ﷺ. هي رقيَّة»[٢].

قال ابن إسحاق: ويقال إن ابنها عبد الله بن عثمان مات بعدها سنة أربع من الهجرة، وله ست سنين[٣].

قمْ أبا تراب:

وعن سهل بن سعد قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة، فلم يجد عليًّا في البيت، فقال: «**أين ابن عمك؟**». قالت: كان بيني وبينه شيء، فغاضبني، فخرج، فلم يقِل عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان: «**انظر أين هو؟**». فجاء فقال: يا رسولَ الله، هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه، وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه، ويقول: «**قمْ أبا تراب، قمْ أبا تراب**»[٤].

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٤٧٤/١٨، ٤٧٥)، تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، نشر دار النوادر، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٥٩/٧).

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٤١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٩).

QaradawiBooks.com

حثُّ النبيِّ فاطمة على الزهد في الدنيا:

وعن عليِّ بن أبي طالب أنَّ فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرَّحى، فأتى النبيَّ ﷺ سبيٌ، فانطلقت فلم تجده، فوجدت عائشة فأخبرتها، فلمَّا جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبيُّ ﷺ إلينا، وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت لأقوم، فقال: «**على مكانكما**». فقعد بيننا، حتَّى وجدت برد قدميه على صدري، وقال: «**ألا أعلِّمكما خيرًا ممَّا سألتماني، إذا أخذتما مضاجعكما تكبِّرا أربعًا وثلاثين، وتسبِّحا ثلاثًا وثلاثين، وتحمدا ثلاثًا وثلاثين، فهو خيرٌ لكما من خادم**»[(١)].

قلادة زينب بنت رسول الله:

وعن عائشة، زوج النبي ﷺ قالت: لما بعث أهل مكَّة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت لخديجة، أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها. قالت: فلمَّا رآها رسول الله ﷺ، رقَّ لها رقة شديدة، وقال: «**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الَّذي لها، فافعلوا**». فقالوا: نعم يا رسولَ الله، فأطلقوه، وردوا عليها الَّذي لها[(٢)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٧٠٥)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٧).

(٢) رواه أحمد (٢٦٣٦٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الجهاد (٢٦٩٢)، والحاكم في المغازي والسرايا (٢٣/٣)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وحسَّن إسناد أبي داود ابن الملقن في البدر المنير (١١٧/٩)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤١).

QaradawiBooks.com

وعن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ حين توفيت ابنته، فقال: «**اغْسِلْنها ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك إن رأيتُنَّ ذلك، بماءٍ وسِدْر، واجعلْنَ في الآخرة كافورًا** ـ أو شيئًا من كافور ـ **فإذا فرغتُنَّ فآذِنَّني**». فلمَّا فرغنا آذنَّاه، فأعطانا حِقْوه، فقال: «**أشعِرْنها إيَّاه**»[1].

الرسول الجد:

وممَّا يتعلق بهذه الأبوة النبويَّة، وبحنو النبي ﷺ على أبنائه، حنوه على أحفاده، فقد كان محمَّد مثال الأب حيثما كان له نسل قريب أو بعيد، وذكر أو أنثى، وصغير أو كبير.

كان رسول الله ﷺ، في شوق إلى الأبناء الذكور، إن لم يكن منه فمن بناته، وخصوصًا إذا كان أزواج بناته من أقرب العصبات كعليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ولهذا فرح النبي الكريم حينما وُلد له من ابنته الصغرى ـ أحب بناته إليه ـ طفل صغير من البنين، فسمَّاه عليّ على عادة العرب في ذلك الزمان: حربًا، كما سمى أمية ابن عبد مناف ابنه حربًا، وهو أبو أبي سفيان بن حرب، فلمَّا رآه الرسول وقبَّله، وسأل ابن عمه وزوج ابنته: ما سَمَّيْتِه؟ قال: سميته حربًا. يبدو أن عليًّا رضي الله عنه من مغالبته للحروب، ومن تطلُّعه إلى قيادتها، ومن حب تربية أبنائه على خوضها، سمَّاه بهذا الاسم (حرب)، ولكن الرسول محمدًا الَّذي بُعِث أوَّل ما بُعِثَ ليبني الحياة بالسلم والأمن، ويعمرها بالزراعة والصناعة، ويقيمها على الحق والخير والسلام، أراد أن يتخذ لحفيده

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٢٥٣)، ومسلم (٩٣٩)، كلاهما في الجنائز.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

اســمًا غير الَّذي اتخذه عليٌّ ثلاثَ مــرات، اتخذ له اســمًا معبرًا عن الحسن والإحسان، والله قد كتب الإحسان على كل شيء، فسمَّى الابن الصبي الأوَّل حسنًا، وسمَّى الابن الثاني حسينًا، وسمَّى الثالث محسنًا، وقد توفي صغيرًا.

روى الإمام أحمد في مسنده، عن عليّ رضي الله عنه قال: لما وُلِدَ الحسن، سميته حربًا، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: «**أروني ابني، ما سميتموه؟**». قال: قلت: حربًا. قال: «**بل هو حســن**». فلمَّا وُلد الحســين، سميته حربًا، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: «**أروني ابني، ما سميتموه؟**». قال: قلت: حربًا. قال: «**بل هو حســين**». فلمَّا وُلِد الثالث، ســميته حربًا، فجاء النبي ﷺ، فقال: «**أروني ابني، ما سميتموه؟**». قلت: حربًا. قال: «**بل هو محسن**». ثمَّ قال: «**سميتُهم بأسماء ولد هارون: شَبَّر، وشَبِير، ومُشَبِّر**»[(١)].

وقد عقَّ رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين رضي الله عنهما بكبشين كبشين[(٢)].

تلطُّفه مع أحفاده:

وكان النبي ﷺ في غاية التلطُّف مــع الصبية الصِّغار، يتلهَّف عليهم، يخاف أن يصيبهم شيء يؤذيهم أو يعوقهم أو يوجعهم وهو لا يدري، كان يطأطئ لهم ظهره وهو في ســجوده ليركب الطفل، ويجلس ويطمئن في

(١) رواه أحمد (٧٦٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والبخاري في الأدب المفرد (٨٢٣)، وابن حبان في مناقب الصحابة (٦٩٥٨)، والحاكم في معرفة الصحابة (١٦٥/٣)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه النسائي في العقيقة (٤٢١٩)، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (٣٤٠/٩)، والألباني في الإرواء (١١٦٤)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

جلوســه، وهو يطيل السجود، وهو لا يميل رأســه أو ركنه، لينزله رغمًا عنه، حتَّى ترك الصبي ظهر جده بعد أن شبع من الاستمتاع واللعب على ظهر الجد.

ولما سلم النبي وفرغ من الصلاة، قال له بعض أصحابه: يا رسولَ الله، قد أطلت سجودك! قال: «**إن ابني ارْتَحَلَني فكرهت أن أُعْجِله**»(١).

لم يرد أن يقطع على الطفل لذةَ الركــوب، فيُنزِله عن ظهره بحركة عنيفة، بل تركه يستمتع بالركوب، حتَّى شبع وملَّ وانصرف من نفسه!

ورأى مرَّة وهو على المنبر الحسنَ والحسينَ عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل من المنبر، فحملهما، فوضعهما بين يديه، ثمَّ قال: «**صدق الله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾** [التغابن: ١٥] **نظرتُ إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتَّى قطعتُ حديثي ورفعتُهما**»(٢).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: رأيت الحســن والحسين رحمة الله عليهما على عاتقي النبي ﷺ فقلت: نِعْم الفرس تحتكما! قال ﷺ: «**ونِعْم الفارسان هما!**»(٣).

انظر إلى عمر رضي الله عنه، هذا الرجل الجليل، كيف نظر إلى الرسول وهو يحمل سبطيه الصغيرين من تحته، فقال: نِعْم الفرس تحتكما! فردَّ النبي على عمر قائلًا: «**ونعم الفارسان هما!**».

---

(١) رواه أحمد (١٦٠٣٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والنسائي في التطبيق (١١٤١)، والحاكم في معرفة الصحابة (١٦٥/٣)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، عن شداد بن الهاد.

(٢) رواه أحمد (٢٢٩٩٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. وأبو داود في الصلاة (١١٠٩)، والترمذي في المناقب (٣٧٧٤)، وقال: حسن غريب. والنسائي في صلاة العيدين (١٥٨٥)، وابن ماجه في اللباس (٣٦٠٠)، عن بُرَيْدة الأسلمي.

(٣) سبق تخريجه صـ٣٨٥.

QaradawiBooks.com

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: كان النبي ﷺ يصلي، فجاء الحسن والحسين، أو أحدهما، فركب على ظهره، فكان إذا سجد رفع رأسه، قال بيده فأمسكه، أو أمسكهما. ثمَّ قال: «**نعم المطيَّة مطيتكما**»[(١)].

وفي رواية عند الطبراني، عن أبي هُرَيْرة قال: سمعت أذناي هاتان وأبصرت عيناي هاتان رسول الله ﷺ وهو آخذ بكفيه جميعًا حسنًا أو حسينًا، وقدماه على قدمي رسول الله ﷺ، وهو يقول:

«**حُزُقَّة حُزُقَّة تَرقَّ عينَ بَقَّة**»

فيرقى الغلام حتَّى يضع قدمه على صدر رسول الله ﷺ ثمَّ قال له: «**افتحْ فاك**». قال: ثمَّ قبله، ثمَّ قال: «**اللهمَّ أحبَّه، فإنِّي أحبُّه**»[(٢)].

وعن يعلى بن مُرَّة ﷺ أنَّه قال: خرجنا مع النبيِّ ﷺ، ودُعينا إلى طعام، فإذا حُسَيْنٌ يلعب في الطريق، فأسرع النبيُّ ﷺ أمام القوم، ثمَّ بسط يديه، فجعل يمر مرَّة هاهنا، ومرة هاهنا، يضاحكه حتَّى أخذه، فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى في رأسه، ثمَّ اعتنقه فقبله، ثمَّ قال النبي ﷺ: «**حُسَيْنٌ مِنِّي وأنا منه، أحبَّ اللهُ من أحبَّ الحسن والحُسَين، سبطان من الأسباط**»[(٣)].

وعن أبي هُرَيْرة ﷺ قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٣٩٨٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٠٨٠): رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٨٥. وفيه: تَرَقَّ عين بَقَّة.

(٣) رواه الترمذي في المناقب (٣٧٧٥) مختصرًا، وحسنه. وابن ماجه في المقدمة (١٤٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٦٤)، والطبراني (٣/٣٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٠٧٥): وإسناده حسن. وحسنه الألباني في الصحيحة (١٢٢٧).

QaradawiBooks.com

ما قبلت منهم أحـدًا، فنظر إليه رسـول الله ﷺ ثمَّ قـال: «**من لا يرحم لا يُرْحم**»[١].

بيَّن الرسـول لهذا الزعيم البدوي الَّذي أعطاه الله من الأولاد عشرة كاملة، ولكنَّه لم يتعامل معهم بحنان الأب وعاطفته، حتَّى إنَّ السنين تمر عليه ولا يحنُّ قلبه على ولد من أولاده بقُبلة، هكذا يتعامل مع بنيه بهذه القسوة، والقسوة لا تنتج إلَّا النفرة.

أمامة بنت زينب بنت رسول الله:

وعن أبي قتـادة رضي الله عنه قـال: خـرج علينـا النبـيُّ ﷺ وأُمامة بنت أبي العاص على عاتقه، فصلَّى، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها[٢].

وفي رواية لأبـي داود: بينا نحن ننتظر رسـول الله ﷺ في الظهر أو العصر، وقـد دعاه بـلال إلى الصـلاة، إذ خـرج علينـا وأُمامة بنت أبي العاص بنت بنته على عاتقه، فقام رسـول الله ﷺ في مصلاه، وقمنا خلفه، وهي فـي مكانها الَّـذي هي فيه، فكبَّـر وكبَّرنا، حتَّـى إذا أراد رسـول الله ﷺ أن يركع، أخذها فوضعها، ثمَّ ركع وسجد، حتَّى إذا فرغ من سجوده وقام، أخذها فردها في مكانها، فما زال رسول الله ﷺ يصنع بها ذلك في كل ركعة، حتَّى فرغ من صلاته[٣].

فهذه أُمامة بنت ابنته زينب رضي الله عنها، وأبوهـا أبو العاص، يحملها على عاتقه في صلاته، فإذا ركع وضعها، وإذا ارتفع رفعها.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٧)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٨).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٦)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٤٣).

(٣) رواه أبو داود في الصلاة (٩٢٠).

QaradawiBooks.com

وعن عائشة رضي الله عنها، أنَّ رسولَ الله ﷺ أهديت له قلادة جَزْع[١]، فقال: «**لأدفعنَّها إلى أحبِّ أهلي إليَّ**». فقالت النساء: ذهب بها إلى ابنة أبي قُحَافة، فعلَّقها في عنق أُمَامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ[٢].

النبيُّ ﷺ جَدُّ الأطفال:

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تُلُقِّيَ بصبيان أهل بيته. قال: وإنَّه قدِم من سفر فسبق بي إليه، فحملني بين يديه، ثمَّ جيء بأحد ابني فاطمة، فأردفه خلفه. قال: فأدخلنا المدينة، ثلاثة على دابّة[٣].

عبد الله هو ابن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما، أمير المهاجرين إلى الحبشة، وثاني أحد قادة سرية مؤتة لمقاتلة الروم وأعوانهم، وقد استشهد في المعركة، وأصبح النبي الكريم بمثابة الجد لأولاده، فهو يعاملهم كما يعامل أبناء فاطمة وشقيقه عليّ.

وعن عائشة رضي الله عنها، أن أسامة بن زيد رضي الله عنه، عثر بأُسْكُفَّة ـ أو عتبة ـ الباب، فشُجَّ في جبهته، فقال لي رسول الله ﷺ: «**أميطي عنه** ـ أو نحِّي عنه ـ **الأذى**». قالت: فتقذَّرْتُه. قالت: فجعل رسول الله ﷺ يمُصُّه ثمَّ يمُجُّه. وقال رسول الله ﷺ: «**لو كان أسامة جارية لكسوته وحَلَّيْته حتَّى أنفِّقه**»[٤]. يعني حتَّى أروِّجه للزواج.

---

(١) جزع: بفتح الجيم وسكون الزاي خرز فيه بياض وسواد الواحدة جزعة.

(٢) رواه أحمد (٢٦٢٤٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو يعلى (٤٤٧١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٣٩١): إسناده حسن.

(٣) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٢٨).

(٤) رواه أحمد (٢٥٨٦١)، وقال مخرِّجوه: حسن بطرقه. وابن ماجه في النكاح (١٩٧٦)، وابن حبان =

QaradawiBooks.com

وعن عائشة بنت طلحة، عن عائشة، أمِّ المؤمنين قالت: أراد النبيُّ ﷺ أن يُنَحِّيَ مُخاط أسامة. قالت عائشــة: دعني حتَّى أكون أنا الَّذي أفعل. قال: «**يا عائشة، أحبِّيه، فإنِّي أحبُّه**»(١).

فلم يكن ﷺ جدًّا لأولاد بناته فحَسْب، ولم يَبْقَ لأحد منهن أولاد، إلَّا فاطمة، ولكنَّه ﷺ كان يشعر بأنَّه جَدٌّ لكلِّ صبي له به صلة نسب أو ولاء، كما كانت صلة أســامة بن زيد رضي الله عنه، فكان زيد معروفًا بأنَّه حِبُّ رســول الله، وكذلك عرف أســامة بن زيد رضي الله عنه بأنَّه حِبُّ رسول الله ﷺ وابنُ حِبِّه.

* * *

= في مناقب الصحابة (٧٠٥٦)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١١٧/٢): إسناده صحيح إن كان البهي سمع من عائشة. وفي سماعه كلام. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٠١٩).

(١) رواه الترمذي (٣٨١٨)، وقال: حسن صحيح. وابن حبان (٧٠٥٨)، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم. كلاهما في المناقب.

QaradawiBooks.com

الرسول ذو الخلق العظيم

مواجهة المجتمع الوثني:

من المعالم الأساسيَّة لشخصيَّة الرسول الكريم، الَّتي أثنى عليها ونوَّه بها القرآن، أنَّه ذو الخلق العظيم، كما ذكر ذلك القرآن المكِّيُّ في أوائل السُّور الَّتي واجه بها الرسول المجتمعَ الوثنيَّ المستكبِر في مكَّة، والَّذي يزعم أنَّه على الحقِّ الَّذي ورثه عن آبائه وأجداده، الَّذين كانوا يفاخرون بقِرَى الضيف، وذبح النوق النفيسة عندهم لإطعامه، كما كانوا يدافعون عن الجار الَّذي يستجير بهم، ولا يبالون بما يقع في سبيل ذلك من القتلى الأبطال، ويفاخرون بأنَّهم سدنة البيت الحرام المختصون بشؤونه من الحجابة والسقاية والرفادة.

يقول الشاعر الجاهلي:

تُعَيِّرنا أنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنا ... فقلتُ لها: إنَّ الكرامَ قَلِيلُ
وما ضرَّنا أنَّا قَلِيلٌ، وجارُنا ... عزيزٌ، وجارُ الأكثرين ذَلِيلُ[1]

في هذا المجتمع الَّذي يزهى بالجود، ويتميز بالشجاعة، ويضيف الضيف، كما قال الشاعر مفتخرًا:

(١) من شعر السموءل بن عادياء اليهودي. انظر: البيان والتبيين (١٢٨/٣)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ. وانظر: ديوانه صنعة أبي عبد الله نفطويه صـ ٦٧.

QaradawiBooks.com

إنَّـــا، إذا اشـــتـــدَّ الـــزَّمـــا نُ ونَـــابَ خَطْـــبٌ وادْلَهَـــمّْ
ألـفـيـــتَ حـــولَ بيوتِنا عُـــدَدَ الشَّـــجَاعَةِ والكَـــرَمْ
لِلِقَـــا العِـــدَا بِيـــضُ السّـــيُو فِ، وَللنّـــدَى حُمْـــرُ النَّعَمْ[1]

فهذا المجتمع الَّذي ذهبت به الجاهليَّـة مذاهب بعيدة، في العقيدة انحرف عـــن (التوحيد) الَّذي دعـــا إليه إبراهيم، الَّـــذي حطَّم الأصنام، واتهمه قومه بإيذاء آلهتهم، وقرروا أن يعاقبوه على فعلته: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبيـاء: ٦٨]. فجمعـوا لـه مـن الجـذوع والأخشاب والمشاعل ما يشـعل نارًا هائلة، ثمَّ رموه بمقلاعهم، وقذفوه في قلب النَّار المتوهجـة، وهم يقولون للنار: اقتليـه حرقيه. والله يقول للنار: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

اتَّخذ العرب من نسـل إبراهيم الأحجار أوثانًا يعبدونها من دون الله، ويتقربون بها إلى الله، ويحاربون بها سـنن الله في الكون، وسنن الله في المجتمعات.

ولم تستطع هذه الوثنيَّة العربيَّة المحطِّمة للإنسان أن تضع لمُعتقِدِها مصيرًا أبديًّا يرتبط بعقيدته وعمله حسنًا كان أو سيئًا، فإنْ صحت عقيدته وحسـن عمله انتهى إلى المصير الطيب، وإلا ساء مصيره وكان هلاكه، بل كان مشركو الجاهليَّة ينكرون البعث والحساب، وقال قائلهم وقد جاء بعظم قد رمَّ وبَلِي إلى النبي ﷺ: أتزعم يا محمَّد أنَّ الله يبعث هذا بعدما رمَّ وبَلِي؟ قال: «**نعم، ويبعثـك ويُدخِلك النار**»[2]. ونـزل قوله تعالى:

(١) من شـعر أبي فراس الحمداني، كما في ديوانه صـ ٢٨٥، شـرح خليل الدويهي، نشـر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) رواه الإسماعيلي في معجم شـيوخه (٣٥٩)، والحاكم في التفسير (٤٢٩/٢)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧ ـ ٧٩].

لكن مع هذا كانت هناك تقاليد قبليَّة، ومواريث خُلُقيَّة، ورثها العربي عن آبائه، وتغنَّى بها في شعره وأدبه، وتمتدَّح بها كل قبيلة سادتها وأشرافها، وقد وُجِدَ في المجتمع العربي من يُقدِّر القيم والأخلاق، ويحسب لها حسابها، ويراعي ما تُوجبه على الإنسان من حقوق، يصون بها الحُرمات، ويحفظ بها الحريات، ولا يسمح لقوي أن يأكل الضعيف بقوته، كما يأكل السمك الكبير الصغير، أو كما تفترس السَّباع القوية الحيوان الضعيف.

كما قال جسَّاس بن مُرَّة:

نحمي الذِّمارَ ونحمي كلَّ أَرْمَلَةٍ حقًّا وندفعُ عنها مَنْ يُعَادِيها[1]

ووجدنا السموءل بن عادياء يقول:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ[2]

وافتخروا بالشجاعة والإقدام والاستبسال في الحروب والغزو، هكذا رأينا البطل العربي الشاعر عنترة بن شدَّاد العبسي يقول لابنة عمه عن معاركه في حروبه المتعددة:

---

(١) انظر: شعراء النصرانية للأب لويس شيخو (٢٥٠/١)، نشر مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٠م.

(٢) انظر: ديوان السموءل صـ ٦٧، تحقيق د. واضح الصمد، نشر دار الجيل بيروت، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

هلَّا سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ إن كُنْتِ جاهلةً بما لم تَعْلَمِي!
يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقِيعَةَ أَنَّنِي أَغْشَى الْوَغَى وأَعِفُّ عِنْدَ المَغْنَمِ[1]!

ومن مواقف عنترة في جاهليته: أنَّ ما يعلنه في شعره، يظهر في ظلمات هذه الجاهليَّة كأنَّه نجوم السماء الَّتي تهدي أو الشموع الَّتي يقتبس النَّاس منها قال[2]:

أَغْشَى فَتَاةَ الْحَيِّ عِنْدَ حَلِيلِهَا فَإِذَا غَزَا فِي الْجَيْشِ لَا أَغْشَاهَا
وَأَغُضُّ طَرْفِي إِنْ بَدَتْ لِي جَارَتِي حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي مَأْوَاهَا!

وأشهر فضائل العرب الخلقيَّة: الجود والكرم، الَّذي بلغوا فيه حدًّا لم يُعرف لدى أمَّة من الأمم، وقد تمدَّحوا به، وعدُّوه من دلائل الشرف وأصالة المعدن، ومن لوازم السيادة على القبيلة، والزعامة في القوم.

يقول حاتم الطائي الَّذي ضُرب به المثل في الكرم والجود والسخاء[3]:

يقولون لي: أهلكتَ مَالَكَ، فاقْتَصِدْ وَمَا كنتُ لَوْلَا ما تقولونَ سَيِّدَا

وتزداد قيمة الكرم، وترتفع منزلة الكريم، إذا أجدبت الأرض، وقلَّ الماء والطعام، وتَبَارى الكرماء في تقديم ما يملكونه، ولو كانوا في حاجة إليه، كما حكي عن حاتم: أنَّه حين أجدب قومه، ذَبَح فرسه، ودعاهم فأكلوا وشبعوا، وما ذاق لحمًا.

(١) جمهرة أشعار العرب صـ ٣٦٤، ٣٧٣.
(٢) شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي صـ ٢٠٨، تحقيق مجيد طراد، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
(٣) ديوانه صـ ١٨.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ووجدنا منهم من سُـمِّي بزاد الركب، لأنَّه كان إذا سافر أبى إلَّا أن يطعم كل من في القافلة.

ومنهم من أطعم طير السماء كابن جدعان، غير أن هذه الأخلاق كان دافعها المباهاة والمفاخرة والبعد عن المذمَّة، كما قال قائلهم:

أَصُـونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أُدَنِّسُـهُ لَا بَارَكَ اللهُ بَعْدَ الْعِـرْضِ بِالْمَالِ[1]

وكما قال حاتمٌ الطائي:

ذريني يَكُنْ مالـي لعِرْضِيَ جُنَّةً يَقي المالُ عِرضـي قَبلَ أَن يَتَبَدَّدَا[2]

لم تكن أخلاقهم تلك نابعة من إيمان بالله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد، الَّذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، ولم تكن نابعة من خشـية الله وخوف الوقوف بين يديه، وإنَّما كانت فلتات طبع، وخطرات فكر، ونخوة، وخوف معرة.

وقد سألت عائشةُ رسولَ الله ﷺ عن ابن جُدْعان قالت: يا رسولَ الله، إنَّ ابن جُدْعان كان في الجاهليَّة يصل الرحم، ويطعم المسـكين، ويفكُّ العاني، ويعتق الرقاب، ويحمل على إبله لله، فهل ينفعه ذلك شيئًا؟ قال: «**لا، إنَّه لم يَقُلْ يومًا: ربِّ اغفرْ لي خطيئتي يومَ الدِّين**»[3].

لم يذكر ربَّه في يوم من الأيام، عملُهُ غير مؤسَّـس على الإيمان. لم يقـل: ربِّ اغفر لي خطيئتـي يوم الديـن، لأنَّه لا يؤمن بـالله العظيم، ولا يؤمن بيوم الدين.

---

(١) من شعر حسان بن ثابت، انظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي (٥٨/٢). وهو في ديوان حسان صـ ١٩٢.

(٢) انظر: ديوانه صـ ١٧.

(٣) رواه مسلم في الإيمان (٢١٤)، وأحمد (٢٤٦٢١).

QaradawiBooks.com

ومن هنا كان اعتبار الإسلام للنِّيَّة، وأنَّها سبيل قبول الأعمال، فعن أبي موسى الأشعري، عن النبيِّ ﷺ أنَّه سئل: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل حميَّة، والرجل يقاتل رياء: أيهم في سبيل الله؟ فقال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»(١).

لذا كانت «النيَّة» كلمةً كبيرة في الجهاد، وفي كل العبادات، وفي كل المعاملات.

الجهاد عمل فارغ في نظر الإسلام إذا لم تكن فيه النيَّة الصالحة الملازمة له، الَّتي تحوِّله من عمل عسكري إلى عمل دينيٍّ وأخلاقي في الدرجات العليا.

والعبادة لا تقبل عند الله إذا لم تصحبها نيَّة العبادة لله، المتجرِّدة له، الَّتي تجعل القليل منها ذا قيمة عند من عُمِلت له.

حول العظمة الممدوح بها محمَّد في خُلُقه:

وممَّا مدح الله به خاتم أنبيائه، وخير رسله محمد: ما أنزله عليه في سورة من أوائل السور القرآنية نزولًا، في الآيات الكبيرة في معناها، المختصرة في ألفاظها من سورة القلم: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ١ ـ ٤].

بدأت السورة بالحرف «نون» وهي السورة الوحيدة الَّتي بدئت بهذا الحرف، ومهما قلنا، فلا بدَّ لنا أن نقول: الله أعلم بمراده.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢٣)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ثم كان القسم: ﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أقسم الله بالقلم الَّذي يعرفه النَّاس أداة للكتابة، وينقل العلم من فرد إلى آخر، ومن أمّة إلى أمّة، ومن جيل إلى جيل.

وقد تطورت الكتابة بالقلم إلى الكتابة بالمطبعة تطورًا غريبًا، وأصبحت الكتب والصحف والرسائل تنقل في أقل ما يمكن من الوقت. وتنقل إلى كل مكان في العالم بالوسائل الجديدة الَّتي جعلت العالم للإنسان كأنَّه غرفة يعيش فيها.

وبعد إقسامه بالقلم، ضمَّ إليه ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ وأعظم ما يسطر بالقلم هنا هو القرآن، وكأن في «واو الجماعة» إشارة إلى الصحابة كُتَّاب الوحي، الَّذين كانوا يسارعون بأقصى ما يمكن من المسارعة لكتابة ما ينزل من القرآن، فيما يمكنهم من الوسائل الَّتي تحفظ كلام الله المقدَّس.

فما يسطرون راجع إلى غير مذكور، ولكنَّه معروف بأشخاصه وأسمائه وحُفَّاظه ومعلميه.

ويمكن أن تطلق هذه الكلمة ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ على الأمم الَّتي سيخلقها الله، وتتعاون فيما بينها على نقل الكلمة القرآنية ومعانيها إلى اللغات الأخرى، وتنقل أهم ما تجده لها من تفسيرات واستنباطات.

ثم يأتي المقسم عليه: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ ينفي الله تبارك وتعالى ما ردَّده المشركون من زعمهم أنَّ الَّذي دفع محمدًا ﷺ إلى هذه الدعوى الكبيرة ـ دعوى النبوَّة والرسالة ـ إنَّما هو الجنون، وهي التهمة الَّتي اتهم بها كثير من النبيين قبله، من عهد نوح عليه السلام أوَّل رسل الله، والله

QaradawiBooks.com

تعالى ينفي بصريح العبارة هذه التهمة العليا، الَّتي لا تليق بدعوة محمَّد ﷺ، الَّتي تحرك العقول، وتخاطب الأفكار، وتطارد الشياطين، وخصوصًا أنَّ محمدًا ﷺ قد أنزل عليه من نعمة ربه ما يتنافى منافاة تامَّة مع الجنون.

كيف يستطيع المجنون أن يخاطب أذكياء القوم وأدباءهم وحكماءهم، ويبيِّنَ لهم الدلائل العقليَّة، وجوامع الكلم، وجواهر الحكم، وأعظم ما آتى الله عبدًا من عباده من البيان والحجَّة، والحكمة البالغة، والموعظة الحسنة، والجدال بالَّتي هي أحسن؟

ثم المقسم عليه الثاني ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ يبين للرسول ﷺ ما أعدَّه الله له من أجر عظيم وثواب جسيم، على تبليغ هذه الدعوة إلى هذا المجتمع المغلق، الَّذي أغلق على نفسه كل أبواب الإدراك، فاستغشى ثيابه لئلا يرى من يخاطبه، وسدَّ آذانه لئلا يسمعه، ولكن إصرار محمَّد على أن يذيع كلمة الحق، وأن يشيع دعوة النور، ليقيم الحُجَّة على الناس.

إنَّه لأجر غير ممنون، وثوابٌ غير ممنوع ولا مقطوع.

ثم يأتي بالمقسم عليه الثالث ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾: ختم هذه الفقرة بهذه الجملة النيّرة والمنيرة، الَّتي تمدح هذا الرسول الكبير، الَّذي يحمل أعظم رسالات الله إلى الناس: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

QaradawiBooks.com

هذا ثناء عظيم من ربِّ العالمين، الَّذي خلق محمدًا وصوَّره، ومدحه بهذه المدحة الكبرى، حين وصفه بهذا الوصف الَّذي لا يُقادَر قَدْره، ولا يصل مخلوق إلى ما يدانيه، هذا أعظم ما مدح الله به محمدًا ﷺ، فلم يقل له: إنَّك كثير الصلاة، أو كثير الصيام، لا، وإنَّما مدحه وأثنى عليه بعظمة الخُلق، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ويكفي في هذا المدح أنَّ الله العظيم سبحانه وصف خلقه بهذه الصفة الَّتي لها شأنها «العظمة».

لو قال هذا أستاذ لتلميذه، أو أب لابنه، أو قائد لجُنديِّه، أو شيخ لمريده، لقلنا له: ما أعظم ما أثني به عليك! فكيف وقائل هذا هو الله تبارك وتعالى، وقاله له في محكم كتابه الَّذي لا ينسخه ناسخ، ولا يعطِّله معطِّل، ولا يلغيه مُلغٍ، بل هو الحق الَّذي لا يعتريه بطلان، والَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميد، فعِظَم هذا الخُلق لا يُدرِك شَأْوَه أحدٌ من الخلق، ولهذا تحمَّل معهم ما لا يكاد يتحمَّلُه البشر.

وفي صحيح مسلم: أنَّ أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها سألها سعد بن هشام بن عامر عن خُلُقه ﷺ، فقالت: ألستَ تقرأ القرآن؟ قال: بلى. قالت: «فإن خُلُق نبيِّ الله ﷺ كان القرآن»[1].

وقد ذكر العلَّامة ابنُ كثير في تفسيره تكرُّر هذا عن عائشة لأكثر من سائل، فقال: «وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود، حدثنا شريك، عن قيس بن وهب، عن رجل من بني سُوَاءة[2]، قال: سألتُ عائشةَ عن خُلق رسول الله ﷺ، فقالت: أمَّا تقرأُ القرآن: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾؟ قال: قلتُ: حدثيني عن ذاك. قالت: صنعتُ له طعامًا، وصنعتْ له حفصةُ طعامًا،

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأحمد (٢٤٢٦٩).

(٢) في المطبوعة التي بين أيدينا من ابن كثير: سواد. والمثبت الصواب.

QaradawiBooks.com

فقلتُ لجاريتي: اذهبي فإن جاءت هي بالطعام فوضعتْه قبلُ فاطرحي الطعام! قالت: فجاءت بالطعام. قالت: فألقتِ الجارية، فوقعت القصعة فانكسرت ـ وكان نِطَع[١] ـ قالت: فجمعه رسول الله وقال: «**اقتصوا** ـ أو: اقتصي. شكَّ أسود ـ **ظرفًا مكان ظرفك**». قالت: فما قال شيئًا[٢].

وقال ابن جرير: حدثنا عُبيد بن آدم بن أبي إياس، حدثنا أبي، حدثنا المبارك بن فَضَالة، عن الحسن، عن سعد بن هشام: قال: أتيتُ عائشة أم المؤمنين، فقلت لها: أخبريني بخُلق النبي ﷺ. فقالت: كان خلقُه القرآن. أمَّا تقرأ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣]. وقد روى أبو داود والنسائي من حديث الحسن نحوه[٤].

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، وأخبرني معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية، عن جبير بن نفير قال: حَجَجْتُ، فدخلت على عائشة رضي الله عنها، فسألتها عن خُلُق رسول الله ﷺ. فقالت: كان خُلُق رسول الله ﷺ القرآن[٥]. وهكذا رواه أحمد، عن عبد الرحمٰن بن مهدي[٦].

ورواه النسائي في التفسير، عن إسحاق بن منصور، عن عبد الرحمٰن بن مهدي، عن معاوية بن صالح، به[٧].

---

(١) النِّطَع: بساط من جلد، وكان هنا تامة، أي: وجد نطع.

(٢) رواه أحمد (٢٤٨٠٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في الأحكام (٢٣٣٣)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٤٦/٣): إسناده ضعيف للجهالة بالتابعي.

(٣) رواه أحمد (٢٤٦٠١)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وابن جرير في تفسيره (٥٢٩/٢٣).

(٤) رواه ابن جرير في التفسير (٥٢٩/٢٣)، وأبو داود في الصلاة (١٣٥٢)، والنسائي في قيام الليل (١٦٠١)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٢٢٣).

(٥) رواه ابن جرير في التفسير (٥٢٩/٢٣).

(٦) رواه أحمد (٢٥٥٤٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح.

(٧) رواه النسائي في الكبرى في التفسير (١١٠٧٣).

QaradawiBooks.com

ومعنى هذا: أنَّه عليه السلام صار امتثالُ القرآن أمرًا ونهيًا سجيَّةً له، وَخُلُقًا تَطَبَّعَه، وترك طَبْعَه الجِبِلِّي، فمهما أمره القرآن فعلَه، ومهما نهاه عنه تركَه.

هذا مع ما جبله الله عليه من الخُلُق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة، والصفح والحلم، وكل خُلُق جميل»[1].

من أراد أن يعرف خُلُق محمَّد ﷺ فليقرأ القرآن، كل ما في القرآن من دعوة إلى الحق والخير، والجمال والصدق، والأمانة والثبات، والشجاعة والحياء، وكل فضائل الحق والخير، من الأخلاق الربَّانية، والأخلاق الإنسانيَّة.

الأخلاق الربانية، مثل: التوبة إلى الله، والرجاء في رحمة الله، والخشية من عذاب الله، والتوكُّل على الله، والشكر لنعمة الله، والصبر على ابتلاء الله، والحياء من الله، واليقين بما عند الله، والإخلاص لله، إلخ.

والأخلاق الإنسانيَّة، وهي الَّتي يتعامل بها الإنسان مع النَّاس مثل: الصدق، والأمانة، والسخاء، والشجاعة، والتواضع، والعفة، وحب الخير، والمعاونة على البر والتقوى، إلخ.

وكل من الأخلاق الربانية والأخلاق الإنسانيَّة، تتجسَّد أعلى ما تكون، وأظهر ما تكون، وأقوى ما تكون، في محمَّد ﷺ، فهو المثلُ الأعلى الَّذي يمثِّل الكمال الإنساني.

كلام الإمام القرطبي في معنى الخلق العظيم:

وقد نقل القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾: «عن عليّ رضي الله عنه قال: الخُلُق العظيم هو أدب القرآن.

(١) تفسير ابن كثير (١٨٨/٨، ١٨٩).

QaradawiBooks.com

وقيل: هو رفْقه بأمَّته وإكرامه إيَّاهم.

وقال قتادة: هو ما كان يأتمر به من أمـــر الله، وينتهي عنه ممَّا نهى الله عنه.

وقيل: أي إنَّك على طبْع كريم. قال الماوردي: وهو الظاهر»[١].

ثم قال: «وحقيقة الخُلُق في اللغة: هو ما يأخذ به الإنســان نفسه من الأدب. يُسمَّى خُلُقًا؛ لأنَّه يصير كالخِلقة فيه. وأمَّا ما طُبِع عليه من الأدب فهو الخِيم (بالكسر)، أي: السَّجيَّة والطبيعة، لا واحد له من لفظه. وخِيم: اسم جبل. فيكون الخُلُق الطبعَ المتكلَّف. والخِيمُ الطبعَ الغريزي.

وقد أوضح الأعشى ذلك في شعره فقال:

وإذا ذو الفُضــول ضنَّ على المو لى وعادت لِخِيمِهــا الأخلاقُ[٢]

أي: رجعت الأخلاق إلى طبائعها.

قلتُ ـ أي القرطبي ـ: ما ذكرتُه عن عائشــة في صحيح مسلم أصحُّ الأقــوال. وسُــئلت أيضًا عن خُلقــه ﷺ، فقــرأت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] إلى عشر آيات[٣]. ولم يُذكر خُلُق محمود، إلَّا وكان للنبيِّ ﷺ منه الحظُّ الأوفر.

---

(١) تفسير القرطبي (٢٢٧/١٨) تحقيق حمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، القاهــرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م. وانظر: النكت والعيون للماوردي (٦١/٦)، تحقيق الســيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) ديوان الأعشى الكبير صـ ٢١٣، شرح د. م. محمد حسن، نشر مكتبة الآداب، القاهرة.

(٣) رواه النسائي في الكبرى في السهو (١١٢٨٧)، والحاكم في التفسير (٣٩٢/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

وقال الجُنيْد: سُمِّي خُلُقه عظيمًا؛ لأنَّه لم تكن له همَّة سوى الله تعالى.

وقيل: سُمِّي خُلُقه عظيمًا لاجتماع مكارم الأخلاق فيه، يدلُّ عليه قوله ﷺ: «**إنَّ الله بعثني لأتمِّم مكارم الأخلاق**»(١).

وقيل: لأنَّه امتثل تأديب الله تعالى إيَّاه بقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقد رُوِيَ عنه ﷺ أنَّه قال: «**أدَّبني ربي تأديبًا حسنًا**(٢)، **إذ قال**: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، **فلمَّا قَبِلتُ ذلك منه قال**: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾»(٣).

مسائل ثلاث للإمام الرازي في الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾:

وقد ذكر الإمام الرازي في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ مسائل ثلاثًا لها دلالتها:

المسألة الأولى: قال فيها: «اعلم أن هذا كالتفسير لما تقدَّم من قوله: ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾، وتعريفٌ لمن رماه بالجنون بأنَّ ذلك كذِبٌ وخطأ؛ وذلك لأنَّ الأخلاق الحميدة، والأفعال المرْضِيَّة، كانت ظاهرةً منه، ومن كان موصوفًا بتلك الأخلاق والأفعال، لم يجُز إضافة الجنون إليه؛ لأن أخلاق المجانين سيئة، ولما كانت أخلاقه الحميدة كاملة، لا جَرَم وَصَفَها الله

(١) رواه البزار (٨٩٤٩)، وتمام في الفوائد (٢٧٦)، والقضاعي في الشهاب (١١٦٥)، والبيهقي في الشهادات (١٩١/١٠)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥)، عن أبي هريرة.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤/١)، وقال ابن تيمية: المعنى صحيح لكن لا يعرف له إسناد ثابت. مجموع الفتاوى (٣٧٥/١٨).

(٣) تفسير القرطبي (٢٢٧/١٨، ٢٢٨).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بأنهـا عظيمـة، ولهـذا قـال: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]. أي: لستُ متكلِّفًا فيما يظهر لكم من أخلاقي؛ لأنَّ المتكلِّف لا يدوم أمرُه طويلًا، بل يرجع إلى الطبع.

وقال آخرون: إنَّما وُصِف خُلُقُه ﷺ بأنَّه عظيم؛ وذلك لأنَّه تعالى قال لـه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وهذا الهدى الَّذي أمر الله تعالى محمدًا بالاقتداء به، ليس هـو معرفة الله؛ لأن ذلك تقليد، وهو غير لائق بالرسول، وليس هو الشرائع؛ لأنَّ شريعته مخالفة لشرائعهم. فتعيَّن أنْ يكون المراد منه أمره ﷺ بأنْ يقتدي بكل واحد من الأنبياء المتقدِّمين، فيما اختُصَّ به من الخُلُـق الكريم، فكأن كل واحد منهم كان مختصًّا بنـوع واحد، فلمَّا أُمِر محمَّد ﷺ بـأنْ يقتدي بالكل، فكأنه أُمِر بمجموع ما كـان متفرِّقًا فيهم، ولما كان ذلك درجة عالية، لم تتيسَّر لأحد من الأنبياء قبله، لا جرم وصف الله خُلُقه بأنَّه عظيم.

وفيه دقيقة أخـرى وهي قولـه: ﴿لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وكلمة (على) للاسـتعلاء، فدلَّ اللفظ على أنَّه مسـتعلٍ على هذه الأخلاق، ومستولٍ عليها، وأنَّه بالنسـبة إلى هذه الأخلاق الجميلة، كالمَوْلَى بالنسـبة إلى العبد، وكالأمير بالنسبة إلى المأمور.

المسـألة الثانية: الخُلُق: مَلَكَة نفسـانيَّة، يسـهل على المتَّصف بها الإتيان بالأفعـال الجميلة. واعلـم أنَّ الإتيان بالأفعـال الجميلة غير، وسـهولة الإتيان بها غير، فالحالة الَّتي باعتبارها تحصل تلك السهولة هي الخُلُق.

ويدخل في حسـن الخُلُق: التَّحرُّز من الشـحّ والبخـل والغضب، والتشـديد في المعاملات، والتحبُّب إلى النَّـاس بالقول والفعل، وترك

QaradawiBooks.com

التقاطع والهجران، والتساهل في العقود كالبيع وغيره، والتسمُّح بما يلزم من حقوق من له نسب، أو كان صهرًا له وحصل له حق آخر.

ورُوِي عن ابن عبَّاس أنَّه قال: معناه: وإنَّك لعلى دين عظيم[١].

وروي أنَّ الله تعالى قال له: «**لم أخلق دينًا أحب إليَّ ولا أرضى عندي من هذا الدين الَّذي اصطفيته لك ولأمتك**».

يعني الإسلام، واعلم أن هذا القول ضعيف، وذلك لأنَّ الإنسان له قوتان، قوة نظريَّة وقوة عمليَّة، والدين يرجع إلى كمال القوَّة النظريَّة، والخلق يرجع إلى كمال القوَّة العمليَّة، فلا يمكن حمل أحدهما على الآخر...

المسألة الثالثة: أنَّ الله تعالى وصف ما يرجع إلى قوَّته النظريَّة بأنَّه عظيم، فقال: ﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**﴾ [النساء: ١١٣]. ووصف ما يرجع إلى قوته العمليَّة بأنَّه عظيم، فقال: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾، فلم يبق للإنسان بعد هاتين القوتين شيء، فدل مجموع هاتين الآيتين على أن رُوحَه فيما بين الأرواح البشريَّة كانت عظيمة عالية الدرجة، كأنها لقوتها وشدَّةِ كمالها كانت من جنس أرواح الملائكة»[٢].

كمال الخلق النبوي:

لقد تجسَّد الكمال الخلقي في هذا الرسول ﷺ، فقد أخذ عن الرسل من قبله، واقتدى بهم وبأخلاقهم وبهداهم، فقد ذكر الله له مجموعة من

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٥٢٩/٢٣).

(٢) تفسير الفخر الرازي (٦٠١/٣٠، ٦٠٢).

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

الرسل، ثمَّ قال له: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، اقْتدِ بهدي النبيِّين والمرسلين السابقين، فاقتبس منهم أفضل ما عندهم، ولذلك تجمَّعت فيه أخلاق النبوَّات جميعًا.

وقد ذكرنا قبل ترجيح الإمام الرازي في ما ذهب إليه من أنَّ المقصود بأمر الله له اقتداؤه بهم في محاسن الأخلاق، وقوله: «فكأنه سبحانه قال: إنَّا أطلعناك على أحوالهم وسيرهم، فاختر أنت منها أجودها وأحسنها وكن مقتديًا بهم في كلها، وهذا يقتضي أنَّه اجتمع فيه من الخصال المرضية ما كان متفرقًا فيهم، فوجب أن يكون أفضل منهم»[1].

وقال في موضع آخر من تفسيره: «احتج العلماء بهذه الآية على أن رسولنا ﷺ أفضل من جميع الأنبياء عليهم السلام، وتقريره: هو أنَّا بيَّنَّا أنَّ خصال الكمال، وصفات الشرف كانت مفرقة فيهم بأجمعهم، فداود وسليمان كانا من أصحاب الشكر على النعمة، وأيُّوب كان من أصحاب الصبر على البلاء ويوسف كان مستجمعًا لهاتين الحالتين.

وموسى عليه السلام كان صاحب الشريعة القويَّة القاهرة والمعجزات الظاهرة.

وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كانوا أصحاب الزهد، وإسماعيل كان صاحب الصدق، ويونس صاحب التضرع.

فثبت أنَّه تعالى إنَّما ذكر كل واحد من هؤلاء الأنبياء؛ لأنَّ الغالب عليه كان خصلة معينة من خصال المدح والشرف، ثمَّ إنَّه تعالى لما ذكر الكل أمر محمدًا عليه الصلاة والسلام بأن يقتدي بهم بأسرهم، فكان التقدير كأنَّه تعالى أمر محمدًا ﷺ أن يجمع من خصال العبوديَّة والطاعة كل الصفات الَّتي

(١) تفسير الفخر الرازي (٥٢٢/٦).

QaradawiBooks.com

كانت مفرَّقة فيهم بأجمعهم، ولمـــا أمره الله تعالى بذلك، امتنع أن يقال: إنَّه قصَّر في تحصيلها، فثبت أنَّـــه حصَّلها، ومتى كان الأمر كذلك، ثبت أنَّه اجتمع فيه من خصال الخير ما كان متفرِّقًا فيهم بأسرهم، ومتى كان الأمر كذلك، وجب أن يقال: إنَّه أفضل منهم بكليتهم. والله أعلم»[1].

محمد بن عبد الله المثل الأعلى للإنسان الكامل:

كان رسول الله ﷺ الإنسان الكامل الَّذي صنعه الله على عينه، واختصه لنفسه، وأكرمه برسالته، وبعثه إلى خلقه، واختصه بكرامته، وجعله أمينًا بينه وبين عباده، وارتضاه دون غيره للرســـالة الخاتمة، فهدى به البشريَّة من بعد ضلالها، وجعل أُمَّته خير أُمَّـــة أُخرجت للناس: تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

فكان ﷺ المثل الأعلى للإنســـانيَّة كلها، يؤثر مرضاة ربه على هواه، ويتحبب إليه بجهده وطاقته، ويُحســـن إلى خلقه ما استطاع، فيفعل بهم ما يحب أن يفعلوا به، ويعاملهم بما يحـــب أن يعاملوه به، ويدعهم ممَّا يحب أن يدعوه منه.

ينصحهم بما يحب أن ينصح به نفســـه، ويحكـــم لهم بما يحب أن يُحكم به.

يحمل أذاهم ولا يُحملهم أذاه، ويكف عن أعراضهم ولا يقابلهم بما نالوا من عرضه.

إذا رأى لهم حُســـنًا أذاعه، وإذا رأى ســـيئًا كتمـــه، ويقبل أعذارهم ما استطاع فيما لا يبطل شريعته، ولا يناقض لله أمرًا ولا نهيًا.

(١) تفسير الفخر الرازي (٥٧/١٣).

QaradawiBooks.com

يقول الحسن بن علي رضي الله عنهما: «سألت أبي عن سيرة النبي ﷺ في جلسائه، فقال: «كان النبي ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يؤيس منه، ولا يجيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: الرياء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك النَّاس من ثلاث: لا يذم أحدًا، ولا يعيبه، ولا يطلب عورته، لا يتكلم إلَّا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنَّما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتَّى يفرغ، حديثهم عنده حديث أوليتهم، يضحك ممَّا يضحكون منه، ويتعجب ممَّا يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، حتَّى إن كان أصحابه لَيستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه، ولا يقبل الثناء إلَّا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتَّى يجوز، فيقطعه بنهي أو قيام»[1].

قال الأستاذ أحمد حسن الزيات رحمه الله (ت: ١٩٦٨م): «كان محمَّد بن عبد الله مثَلَ اللهِ الأعلى للإنسان الكامل، صوَّره خلقًا سويًّا ليرسم الأخلاق بالمَثَل، ويُعلِّم الدين بالعمل، ويُنظِّم الحياة بالقدوة. وإلَّا فكيف اجتمع فيه ما تفرق في جميع النَّاس من خصال الرجولة، وخلال البطولة، وخلائق النبل، وبيئته لا تملك من بعض ذلك ما تعطيه؟

رعى على بعض أهله، وسعى لبعض قومه، واتَّجر بمال زوجه، فكان في جليل الأمر كما كان في ضئيله صادق العزم، كريم العهد، وثيق

(١) رواه الترمذي في الشمائل (٣٥٢)، والطبراني (١٥٥/٢٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٨٨/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٠٢٦): رواه الطبراني، وفيه من لم يسم.

QaradawiBooks.com

الذمَّة، راجح الحُلُم، شـاهد اللب، لين العِطف، حلو المعاشرة، «يحمل الكَلَّ، ويَكْسِب المعدوم، ويُعين على نوائب الحقِّ»[١].

ثم اصطنعه الله لحقِّه، وحمَّله الرسالة إلى خلقه، فكان في غار حراء، وفـي دار الأرقم، وفي جبل ثَـور، وفي دار أبي أيوب، وفي المسـجد الجامع، ثمَّ في الرفيق الأعلى، مَظهرًا صحيحًا لروح الله، وإعلانًا صريحًا لسر الدين، ومثالًا عاليًا لصدق الجهاد، واحتمالًا ساميًا لمكاره الدعوة، وأسوة حسنة لجميع الناس!

جهر الرسـول بالدعوة بعد أن خَافَتَ بها في قريش ثلاث سـنين، فضلَّل الأقوام، وسـفَّه الأحلام، وهاجم الشـرك في معقله، وليس وراء ظهره إلَّا عمُّه! فتألَّبت عليه عناصر الشـر جمعاء، فما أفكَّتْه عن عزمه، ولا خلجته عن همِّه. ثمَّ تجلَّت فيه مواهب الكمال الإنسـاني، فحشـد للخصومة قُوى النفس، وقوى الحس، فجاهد بالصدق، وجالد بالصبر، وجادل بالمنطق، وصاول بالرأي، وأثَّر باللسان، وقهر باليد، وتلك مزيَّته الظاهرة على النبيِّين والرسل، فكل نبي وكل رسول إنَّما بان شأوه على قومه في بعض المزايا، إلَّا الرسول العربي فقد تم فيه ما نقص في غيره من معجزات الرجولة، فكان رسـولًا فـي الدين، وعلَمًا فـي البلاغة، ودستورًا في السياسة، وإمامًا في التشريع، وقائدًا في الحرب.

إن حياة الرسول قانون إلٰهي خالد لصاحب الدين وصاحب الدُّنيا، وإن وسائل الجهاد الَّتي جدَّد بها أسـلوب العيش، وأقام بها ميزان المجتمع، لا تزال عناوينَ ضخمةً في صفحات العلم والسياسة والخُلُق»[٢].

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٥٨.

(٢) وحي الرسالة لأحمد حسن الزيات (١/١٣٤ ـ ١٣٥)، نشر دار نهضة مصر، ط ٨.

QaradawiBooks.com

الإقرار بعظمة أخلاقه:

وقد اعترف بعظمة أخلاقه ﷺ كلُّ من عرفه، حتَّى أعداؤه، حتَّى المشركون أنفسهم، كانوا يسمُّونه قبل الإسلام: «الأمين»، وبعد الإسلام كانوا يُودِعون عنده الودائع النفيسة، الَّتي يخشون عليها الضياع والسرقة، من كان عنده جواهر أو أشياء ثمينة أو أموال يخشى عليها، يضعها عند محمَّد ﷺ، هو يدعوهم، وهم يرفضون دعوته، ومع ذلك لا يشكُّ أحد منهم في أمانته.

وحينما هاجر النبي ﷺ خلَّف بعده عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وأمره أن يرد الودائع إلى أهلها، لم يقل محمَّد ﷺ: هؤلاء أخرجوني من بلدي واضطروني للهجرة، وآذوني وعذَّبوني، فلا عليَّ أن آخذ أموالهم، لا، بل ردَّ إليهم ودائعهم كاملة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]. وهو ﷺ القائل: «**أدِّ الأمانة إلى مَن ائتمنك، ولا تخُن من خانك**»(١).

الأخلاق العظيمة تظهر في أوقات الشدائد، وقد ذكرنا شجاعته في غزوة حنين، حين كمنت هوازن للمسلمين في الشعاب والمضايق، وقد تهيَّؤوا لينفروا جميعًا، ولم يُرَعْ أصحاب رسول الله ﷺ إلَّا والكتائب قد شدَّت عليهم شدَّة رجل واحد، فشمَّر الصحابة راجعين، لا يلوي منهم أحد على أحد، وانحاز رسول الله ذات اليمين، بقي ثابتًا وهو يقول: «**إليَّ أيُّها النَّاس، هلموا إليَّ أنا رسول الله**»(٢). ويقول:

«**أنا النبيُّ لا كذِبْ أنا ابن عبد المطَّلبْ**»(٣)

(١) رواه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤)، وقال: حسن غريب. والحاكم (٤٦/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في البيوع، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٣٠١٩)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٥٠٢٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وابن حبان في السير (٤٧٧٤)، عن جابر بن عبد الله.

(٣) سبق تخريجه صـ٣٠٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولما قيل لبعض الصحابة: قد فرَرْتم عن رسول الله ﷺ، وأنتم أصحابه! قال البراء: إنِّي لأشهد على رسول الله ﷺ، ما فرَّ يومئذٍ[١].

وإنَّ التاريخ ليروي أن أبا سفيان، وقد كان زعيم الشرك في الوقت الَّذي جرى فيه حديث بينه وبين هرقل ملك الروم عن النبيِّ ﷺ، وقد سأله عنه ﷺ: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا... قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها. قال أبو سفيان: فوالله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه[٢].

أخلاقه شملت محاربيه وأعداءه:

وأخلاقه ﷺ يعامل بها كل النَّاس حتَّى أعدى أعدائه، روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ما منعني أن أشهد بدرًا إلَّا أنِّي خرجت أنا وأبي حسيلٌ. قال: فأخذَنا كفارُ قريش، قالوا: إنكم تريدون محمدًا؟ فقلنا: ما نريده، ما نريد إلَّا المدينة. فأخذوا منَّا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ، فأخبرناه الخبر، فقال: «**انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم**»[٣].

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله: «**انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم**». ما هذا؟! كلمة يقولها مسلم لا ترى الدولة أن تُخجله فيها،

(١) جزء من الحديث السابق.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٧)، ومسلم في المغازي (١٧٧٣)، عن أبي سفيان بن حرب.

(٣) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٨٧)، وأحمد (٢٣٣٥٤)، عن حذيفة بن اليمان.

QaradawiBooks.com

ولا أن تردَّه عنها، بل تـــرى أن تصون كرامتـــه، وأن تحترم عدته. ذلك والمسلمون في معركة بدر ثلث عدوهم، وحاجتهم إلى كل رجل منهم ظاهرة، ومع ذلك لا يأمرهما النبي ﷺ بالاشتراك في المعركة إلى جانب دينهم وإخوانهم، بل يقول لهما: انصرفا.. ثمَّ لا يجعل هذا الوفاء مسلكًا شخصيًّا لهما وانتهى الأمر. كلا، إنَّه يجعل هذا الوفاء خلق الدولة نفسها، فيقول: نفي ـ نحن ـ لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم»[1].

كلام ابن القيِّم في مكارم أخلاقه ﷺ:

قال ابن القيِّـــم: «وممَّا يحمد عليه ﷺ ما جبلـــه الله عليه من مكارم الأخلاق، وكرائم الشـــيم، فإن من نظر في أخلاقه وشيمه ﷺ علم أنَّها خير أخلاق الخلق، وأكرم شـــمائل الخلق، فإنَّه ﷺ كـــان أعلم الخلق، وأعظمهم أمانـــة، وأصدقهم حديثًـــا، وأحلمهم وأجودهم وأســـخاهم، وأشـــدهم احتمالًا وأعظمهم عفوًا ومغفرة، وكان لا يزيده شـــدَّة الجهل عليـــه إلَّا حلمًا. كمـــا روى البخاري فـــي «صحيحه» عـــن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنَّه قال في صفة رســـول الله ﷺ في التـــوراة: «**محمد عبدي ورسولي، سميته المتوكِّل، ليس بفظٍّ، ولا غليظ، ولا صخاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن أقبضه حتَّى أقيم به الملَّة العوجاء، بـــأن يقولوا: لا إله إلَّا الله. وأفتح بـــه أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا**»[2].

وأرحم الخلـــق، وأرأفهم بهـــم، وأعظم الخلق نفعًا لهـــم في دينهم ودنياهم، وأفصح خلق الله وأحسنهم تعبيرًا عن المعاني الكثيرة بالألفاظ

(١) هذا ديننا صـ ١٤٠، ١٤١، نشر دار نهضة مصر، ط١.

(٢) رواه البخاري في التفسير (٤٨٣٨).

QaradawiBooks.com

الوجيزة الدالة على المراد، وأصبرهم في مواطن الصبر، وأصدقهم في مواطن اللقاء، وأوفاهم بالعهد والذمة، وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه، وأشدهم تواضعًا، وأعظمهم إيثارًا على نفسه، وأشد الخلق ذبًّا عن أصحابه، وحماية لهم، ودفاعًا عنهم، وأقوم الخلق بما يأمر به، وأتركهم لما ينهي عنه، وأوصل الخلق لرحمه، فهو أحق بقول القائل[1]:

بَرْدٌ عَلَى الْأَدْنَى وَمَرْحَمَةٌ وعَلَى الأَعَادِي مَارِنٌ جَلْدُ[2]

كلام الشيخ رشيد رضا حول أخلاقه ﷺ:

وقال العلَّامة الشيخ محمَّد رشيد رضا رحمه الله تعالى (١٩٣٥م) كلمة موجزة عن أخلاق سيِّد الخلق ﷺ: «كان ﷺ أكرم الخلق أخلاقًا، وأعلاهم فضائل وآدابًا، امتاز بذلك في عهد الجاهليَّة، فكيف يُدرَك كنهه بعد النبوة، وقد خاطبه العلي العظيم، بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. وكان جامعًا بين اللُّطف والتواضع والدماثة، وبين العزة والوقار والمهابة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفةً أحبَّه، وجامعًا بين الرأفة والرحمة والحياء، وبين الشجاعة والحزم والمِضاء، فكان في حومة الوَغى أثبت النَّاس، وكانوا يلوذون به إذا اشتد البأس، حتَّى إنَّه ثبت وحده في يوم أُحد، ولكنَّه لم يقتل بيده غير أُبي بن خلف، وإنَّما كان يدافع عن نفسه وغيره دفاعًا، ويرشد المقاتلين بالتدبير والتثبيت إرشادًا، ولم يكن ينتقم لنفسه، ولا يُحابي في الحق عشيرته ولا أبناء جنسه، وكان على حلمه

(١) بيت من القصيدة اليتيمة المنسوبة لكلٍّ من ذي الرُّمَّة ودوقلة المنبجي، انظر: القصيدة اليتيمة برواية القاضي التنوخي صـ ٣٦، تقديم صلاح الدين المنجد، نشر دار الكتاب الجديد، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣م.

(٢) جلاء الأفهام صـ ١٨٢، ١٨٣، نشر دار العروبة، الكويت، ط ٢، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

QaradawiBooks.com

الواسع لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان أجود من الريح المرسلة والسحب المنهملة، وكان أعظم النَّاس صبرًا، وأحسنهم لله وللناس شكرًا، وكان يحب اليُسر ويأمر به، ويكره العُسر ويَنهى عنه، يأكل من الطعام ما وجد، لا يأبى المستلَذ منه نُسُكًا، ولا يتحرَّاه تنعُّمًا وترفًا، ولكنَّه كان يعتني بأمر الماء، ويحب الطِّيب والنساء، وكان يُكثر الوصية بهن وباليتامى والأرقّاء، ليمحو من أنفس النَّاس احتقار الضعفاء»[1].

صفات الإنسان العظيم:

قال الأستاذ الأديب مصطفى صادق الرافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٣٧م): «من أوصاف النبي ﷺ أنَّه كان متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، طويل السكت، لا يتكلم في غير حاجة، ليس بالجافي ولا المهين، يُعظم النعمة وإن دقَّت لا يذم منها شيئًا، ولا تُغضبه الدُّنيا ولا ما كان لها، فإذا تُعُدِّي الحقُّ لم يقم لغضبه شيء حتَّى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، وكان خافض الطَّرْف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، ولا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه، ولا يطوي عن أحد من النَّاس بشره، قد وَسِع الناسَ بسْطُه وخُلقه، فصار لهم أبًا، وصاروا عنده في الحق سواء، يُحسِّن الحسن ويقوِّيه، ويُقبِّح القبيح ويوهِّيه، معتدل الأمر غير مختلف؛ وكان أشد النَّاس حياءً، لا يثبت بصره في وجه أحد، له نور يعلوه كأنَّ الشمس تجري في وجهه، لا يُؤيس راجيه، ولا يُخيِّب عَافِيه[2]، ومن سأله حاجة لم يردّه إلَّا بها أو بميسور من القول، أجود النَّاس بالخير.

---

(١) خلاصة السيرة المحمدية صـ ٦٢ ـ ٦٣، نشر دار المنار، ط ٤، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م.

(٢) العافي: الضيف.

QaradawiBooks.com

صلى الله وسلم على صاحب هذه الصفات، الَّتي لا يجد الكمال الإنساني مذهبًا عنها ولا عن شيء منها، ولا يجد النقص البشري مساغًا إليها ولا إلى شيء منها؛ ففيها المعنى التام للإنسانيَّة، كما أنَّ فيها المعنى التام للحق، ومن اجتماع هذين يكون فيها المعنى التام للإيمان.

هي صفات إنسانها العظيم، وقد اجتمعت له لتأخذ عنه الحياة إنسانيتها العالية، فهي بذلك من برهانات نبوته ورسالته»[(١)].

كمال الخلق:

قال العلَّامة الشيخ محمَّد أبو زهرة رحمة الله (ت: ١٩٧٤م): «قال الله ﷻ لنبيه الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ولقد قال ﷺ فيما رواه الإمام أحمد في مسنده: «**إنَّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[(٢)]. ولقد قال ﷺ: «**أدَّبني ربى فأحسن تأديبي**»[(٣)].

وكمال الخُلُق لفظ قصير يتناول في معناه كثيرًا، فهو يشمل حب الفضيلة والتمسك بها والقيام بحقها، ويشمل حسن العشرة ولُطْف المودة، ويشمل صلة الرحم والإحسان إلى الجار القريب والبعيد، ويشمل حب النَّاس والرفق بهم، ويشمل التواضع، وتوطئة الكَنَف لهم، ويشمل البشر، ولقاء النَّاس به، ويشمل الأناة والحلم، ومنع الجفوة، ويشمل كظم النفس واجتناب الغيظ، ويشمل الحياء وإقراء السلام على من عرف ومن لم يعرف، ويشمل الجود بما عنده، والزهد فيما ليس عنده، ويمنع الغلظ والفظاظة، ويشمل العفو عن المسيء، وإقالة عثرته،

(١) وحي القلم للرافعي (٣٢/٢)، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٠٢.

(٣) سبق تخريجه صـ٥٥٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ويشمل الرد على المسيء بالإحسان، ويشمل تخليص القلب من الإحَنِّ، ويشـــمل الإعراض عن الجاهليَّة، وترك المهاترة، والمماراة والمجادلة، ويشمل التيسير، وترك التعسير والتبشير دون التنفير.

وفي الجملة الخُلُق الحسن يشـــمل تهذيب النفس، وتربية الوجدان، والتآلف مع النَّاس، والتقرب إليهم، وتوطـــيء الكَنَف لهم، والتواضع، والرفق بالضعفاء، والقرب منهم، والألم لآلامهم، والســـرور لسرورهم، والاندماج فيهم من غير تأثُّم، ولا تجانف لإثم.

وإنَّ الخُلق الحســـن يؤثر في الدعوة إلى الحق، بما لا يؤثر البرهان وضروب الأقيسة.

وإنَّه من أوصـــاف النبوة، ولقد قـــال الله تعالى في ثمـــرات الخلق المحمَّدي: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]»[(١)].

من جوانب العظمة في خُلُق النبي ﷺ:

وقد تحدثنا في فصول هذا الكتاب عن بعض من جوانب أخلاقه ﷺ، في طيات حديثنا عن زهـــده وجهاده وذوقه، وسنشـــير هنا إلى جوانب أخرى من عظيم خلقه، أجملها ابن ســـيِّد النَّاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ فـــي كتابه عيون الأثر، يقول: «قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: كان خُلُقه القرآن[(٢)]. يعني التأدب بآدابه، والتخلُّق بمحاسنه، والالتزام بأوامره وزواجره.

(١) خاتم النبيين (١/١٧٤، ١٧٥).

(٢) سبق تخريجه صـ١٨٠.

QaradawiBooks.com

وقد قال ﷺ: «**إنَّما بُعِثْتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاق**»[١].

وقال أنس: كان النبيُّ ﷺ أحسن النَّاس خُلُقًا[٢]، وكان عليه السلام أرجح النَّاس حُلُمًا.

وروي أنَّه لما كُسرت رَبَاعِيَته وشُجَّ وجهه يوم أُحُد شقَّ ذلك على أصحابه وقالوا: لو دعوت عليهم، فقال: «**إنِّي لم أُبْعَث لعَّانًا، ولَكِنِّي بُعِثْتُ داعيًا ورحمة**[٣]، **اللهمَّ اهدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون**»[٤].

وكان ﷺ أعظم النَّاس عفوًا، لا ينتقم لنفسه[٥].

ولما تصدَّى له غَوْرَثُ بن الحارث ليقتله والسيف بيده، وقال لرسول الله ﷺ: من يمنعك مِنِّي؟ قال له: «**الله**». فسقط السيف من يده، فقال له عليه السلام: وقد أخذ السيف: «**من يمنعك مِنِّي؟**». فقال: كن خير آخذ. فتركه وعفا عنه، فجاء إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير النَّاس[٦].

وعفا عليه السلام عن اليهودية الَّتي سمته في الشاة بعد اعترافها على

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٠٢.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٢٠٣)، ومسلم في الآداب (٢١٥٠).

(٣) روى مسلم في البر والصلة (٢٥٩٩)، عن أبي هريرة، قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين قال: «**إنِّي لم أبعث لعانًا، وإنَّما بعثت رحمة**».

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٧)، ومسلم في الجهاد (١٧٩٢)، عن ابن مسعود. ولفظ البخاري: كأني أنظر إلى النبي ﷺ، يحكي نبيًّا من الأنبياء، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

(٥) روى مسلم في الفضائل (٢٣٢٨)، عن عائشة، قالت: ما نيل منه شيء قط، فينتقم من صاحبه، إلَّا أن يُنتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله عزوجل.

(٦) رواه أحمد (١٤٩٢٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وابن حبان في الصلاة (٢٨٨٣)، عن جابر بن عبد الله. وأصل الحديث في الصحيحين.

QaradawiBooks.com

الصحيح[١]، ولم يؤاخذ لَبِيد بن الأعصم إذ سحره[٢]، ولا عبد الله بن أُبَيٍّ وأشباهه من المنافقين بعظيم ما نُقل عنهم قولًا وفعلًا[٣].

وكان ﷺ أسخى النَّاس كفًّا، ما سئل شيئًا فقال: لا. وأعطى صفوان بن أمية غنمًا ملأت واديًا بين جبلين. فقال: أرى محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر[٤].

وردَّ على هوازن سباياهم، وكانت ستَّة آلاف[٥]، وأعطى العبَّاس من الذهب ما لم يُطِقْ حَمْلَه[٦].

وحُملت إليه تسعون ألف درهم فوُضِعَتْ على حصير، ثمَّ قام إليها يقسمها، فما ردَّ سائلًا حتَّى فرغ منها[٧].

وذكر عن الرَّبِيعِ بنت مُعَوِّذ بن عَفْراء قالت[٨]: أتيتُ النبيَّ ﷺ بقناعٍ من رُطَب ـ يعني: طبقًا ـ وأَجْر زُغْب ـ يريد قثَّاء ـ فأعطاني ملء كفي حليًا وذهبًا[٩].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الهبة وفضلها (٢٦١٧)، ومسلم في السلام (٢١٩٠)، عن أنس بن مالك.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٦٨)، ومسلم في السلام (٢١٨٩)، عن عائشة.

(٣) حديث عبد الله بن أبيّ متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩٠٥)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٤)، عن جابر بن عبد الله.

(٤) رواه مسلم في الفضائل (٢٣١٢)، عن أنس بن مالك.

(٥) رواه البخاري في المغازي (٤٣١٨)، عن مروان، والمسور بن مخرمة. وانظر: سيرة ابن هشام (٤٨٨/٢ ـ ٤٩٠).

(٦) رواه البخاري في الصلاة (٤٢١)، عن أنس.

(٧) ذكره القاضي عياض في الشفا (١١٣/١).

(٨) في الأصل: وذكر عن معوذ بن عفراء قال. والمثبت من مسند أحمد. وفي الشمائل للترمذي (٢٠٣): عن الربيع بنت معوذ بن عفراء، قالت: بعثني معاذ بن عفراء.

(٩) رواه أحمد (٢٧٠٢٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (٢٧٣/٢٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤١٨٣): رواه الطبراني وأحمد وإسنادهما حسن.

QaradawiBooks.com

وروينا عن الشافعي قال: حدثنا الحسين بن عبد الله القطان بالرقة، قال: حدثنا عمر بن حفص، قال: حدَّثنا أبو عبد الصمد العَمِّي، قال: حدثنا أبو عمران الجوني، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذَرٍّ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**إذا طبختَ فأكثرِ المَرَقَ، واقسمْ في أهلكَ وجيرانك**».

رواه مسلم عن أبي كامل، وإسحق بن إبراهيم عن عبد العزيز بن عبد الصمد عن أبي عمران به[١].

وكان ﷺ أشجع النَّاس، سئل البراء: أفررتم يوم حنين؟ قال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر. وفيه: فما رئي يومئذ أَحَدٌ كان أشدَّ منه[٢].

وقال ابن عمر: ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله ﷺ[٣].

وعن أنس: كان النبيُّ ﷺ أحسن النَّاس، وأجود النَّاس، وأشجع النَّاس[٤].

لقد فزع أهل المدينة ليلة، فانطلق ناس قِبَل الصوت، فتلقَّاهم رسول الله ﷺ راجعًا قد سبقهم إلى الصوت، واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه، وهو يقول: «**لن تُرَاعُوا، لن تُرَاعُوا**»[٥].

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٢٥)، وأحمد (٢١٣٢٦).

(٢) سبق تخريجه صـ٣٠٨.

(٣) رواه الدارمي في المقدمة (٦٠)، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (١٧٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢٤٤/٧).

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٣٣)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٧).

(٥) جزء من الحديث السابق.

QaradawiBooks.com

وقال عمران بن حصين: ما لقي النبي ﷺ كتيبة إلَّا كان أوَّل من يضرب[١].

وقال علي بن أبي طالب: كنا إذا حَمِيَ أو اشتدَّ اليأس واحمرَّت الحِدَق اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه[٢]. وقال: ولقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد النَّاس يومئذ بأسًا[٣].

وقيل: كان الشجاع هو الَّذي يقرب منه ﷺ بقربه من العدو[٤].

وكان ﷺ أشد النَّاس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وعن أبي سعيد الخدري كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خِدْرها، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه.. الحديث[٥].

وعن عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل: ما بال فلان يقول كذا، ولكن يقول: «**ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا؟**»[٦]. ينهى عنه ولا يسمي فاعله.

---

(١) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في أخلاق النبي (١٠٩)، وقال العراقي في تخريج الإحياء صـ ٨٦٧: فيه من لم أعرفه.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٠٦.

(٣) سبق تخريجه صـ٣٠٦.

(٤) رواه مسلم في اللقطة (١٧٧٦)، وابن أبي شيبة في السير (٣٣٢٨٢)، عن البراء.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٦٢)، ومسلم في الفضائل (٢٣٢٠).

(٦) رواه أبو داود في الأدب (٤٧٨٨)، والطحاوي في مشكل الآثار (٥٨٨١)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٠٦٤).

QaradawiBooks.com

وعن أنس في حديث أنَّه ﷺ كان لا يواجه أحدًا بما يكره[١].

وعن عائشة: لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًّا ولا صخَّابًا بالأسواق، ولا يجزي بالسيِّئة السيِّئة، ولكن يعفو ويصفح[٢].

وعنها: ما رأيتُ فَرْج رسول الله ﷺ قطُّ[٣].

وروى عنه أنَّه كان في حيائه لا يثبت بصره في وجهه أحد، وأنَّه كان يكني عما اضطره الكلام إليه ممَّا يكره.

وكان ﷺ أوسع النَّاس صدرًا، وأصدق النَّاس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، هذا من كلام عليّ في صفته[٤].

وعن قيس بن سعد قال: زارنا رسول الله ﷺ، فلمَّا أراد الانصراف قرَّب له سعد حمارًا وطَّأ عليه بقطيفة، فركب رسول الله ﷺ، ثمَّ قال سعد: يا قيس، اصحبْ رسول الله ﷺ. قال قيس: فقال لي رسول الله ﷺ: «**اركبْ**». فأبيت، فقال: «**إمَّا أن تركب، وإمَّا أن تنصرف**». فانصرفت، وفي رواية: اركب أمامي فصاحب الدابة أحق بمقدمها[٥].

---

(١) رواه أحمد (١٢٥٧٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الترجل (٤١٨٢)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (٩٩٩٤).

(٢) رواه أحمد (٢٥٤١٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في البر والصلة (٢٠١٦)، وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه أحمد (٢٤٣٤٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لإبهام الراوي عن عائشة. وابن ماجه في الطهارة (٦٦٢)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٨٥/١): إسناده ضعيف. وانظر كتابنا: فتاوي معاصرة (٣٨٣/٢ ـ ٣٨٩)، فتوى: ماذا يحل للزوج من زوجته؟ التستر عند الجماع، نشر المكتب الإسلامي بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٤) رواه الترمذي في المناقب (٣٦٣٨)، وقال: هذا حديث ليس إسناده بمتصل. وابن أبي شيبة في الفضائل (٣٢٤٦٥).

(٥) رواه أحمد (١٥٤٧٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. وأبو داود في الأدب (٥١٨٥)، قال عقبه: رواه عمر بن عبد الواحد، وابن سماعة، عن الأوزاعي مرسلًا ولم يذكرا قيس بن سعد.

QaradawiBooks.com

وعن عائشة في حديث عنه ﷺ أنَّه ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلَّا قال: «**لبَّيك**»[١].

وقال جرير: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلَّا تبسَّم[٢].

وكان ﷺ يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم، ويداعب صبيانهم، ويجلسهم في حِجْرِه، ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين، ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر.

قال أنس: ما التقم أحد أذن النبي ﷺ فينحي رأسه حتَّى يكون الرجل هو الَّذي ينحي رأسه، وما أخذ بيده فيرسل يده حتَّى يرسلها الآخذ[٣].

وكان يبدأ من لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة، لم ير قط مادًّا رجليه بين أصحابه حتَّى يضيِّق بهما على أحد، يكرم من يدخل عليه، وربَّما بسط له ثوبه، ويؤثره بالوسادة الَّتي تحته، ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى، ويكني أصحابه، ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم، ولا يقطع على أحد حديثه.

وروي أنَّه كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلَّا خفَّف صلاته وسأله عن حاجته، فإذا فرغ عاد إلى صلاته، وكان أكثر النَّاس تبسُّمًا، وأطيبهم نفسًا ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب.

---

(١) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١١٩)، وقال العراقي في تخريج الإحياء صـ ٨٦٨: فيه حسين بن علوان متهم بالكذب.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٣٥)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٧٥).

(٣) رواه أبو داود في الأدب (٤٧٩٤)، وأبو يعلى (٣٤٧١)، وابن حبان في التاريخ (٦٤٣٥)، وقال الألباني في الصحيحة (٢٤٨٥): صحيح لغيره.

QaradawiBooks.com

قال عبد الله بن الحارث: ما رأيت أحدا أكثر تبسمًا من رسول الله ﷺ[١].

وأمَّا شفقته ﷺ على خلق الله ورأفته بهم ورحمته لهم، فقد قال الله تعالى فيه: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] قال بعضهم: من فضله عليه السلام أنَّ الله أعطاه اسمين من أسمائه فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومن ذلك تخفيفه وتسهيله عليهم، وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم، كقوله: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء**»[٢].

وخبره في صلاة الليل[٣]، ونهيهم عن الوصال[٤]، وكراهية دخول الكعبة لئلاَّ يعنت أمته[٥]، ورغبته لربِّه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة[٦]، وأنَّه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته[٧].

ولما كذَّبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال: إنَّ الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم،

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٨٠.

(٢) سبق تخريجه صـ٨١.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٩٢٤)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦١)، عن عائشة.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٢٢)، ومسلم (١١٠٢)، كلاهما في الصيام، عن ابن عمر.

(٥) سبق تخريجه صـ٨٢. وفيه: «ولو اسْتقبلتُ من أمرِي ما استدبرْتُ ما دخلْتُها».

(٦) متَّفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٦١)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٠١)، عن أبي هريرة.

(٧) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٠٩)، ومسلم في الصلاة (٤٧٠)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

فناداه ملك الجبال وسلم عليه، وقال: مُرني بما شئت، وإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين! قال النبي ﷺ: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا**»(١).

وروى ابن المنكدر أن جبريل عليه السلام قال للنبيِّ ﷺ: إنَّ الله أمر السماء والأرض والجبال أن تطيعك، فقال: «**أؤخِّرُ عن أُمَّتي، لعلَّ الله أن يتوب عليهم**»(٢).

قالت عائشة: ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلَّا اختار أيسرهما(٣).

وقال ابن مسعود: كان رسول الله ﷺ يتخوَّلنا بالموعظة مخافة السآمة علينا(٤).

وروى أنَّه عليه السلام قال: «**لا يُبلغني أحدٌ منكم عن أحدٍ من أصحابي شيئًا، فإنِّي أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**»(٥).

وكان ﷺ أوصل النَّاس لرحم، وأقوامهم بالوفاء وحسن العهد.

وروينا من طريق أبي داود، قال: حدثنا محمَّد بن سنان، قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن بديل عن عبد الكريم، عن عبد الله بن شقيق، عن أبيه، عن عبد الله بن أبي الحمساء قال: بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٣١)، ومسلم في الجهاد (١٧٩٥)، عن عائشة.

(٢) رواه ابن إسحاق في السير والمغازي صـ ٢٠٩، والقاضي عياض في الشفا (١٢٥/١).

(٣) سبق تخريجه صـ٨٥.

(٤) سبق تخريجه صـ٢٧١.

(٥) رواه أحمد (٣٧٥٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٤٨٦٠)، والترمذي في المناقب (٣٨٩٦)، واستغربه، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٣٢٢)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

يبعث، وبقيت له بقية، فوعدتـــه أن آتيه بها في مكانه، ثمَّ نســـيت، ثمَّ ذكرت بعد ثلاث، فجئته فإذا هو في مكانه، فقال: «**يا فَتَى، لقد شـــققتَ عليَّ، أنا هاهنا منذ ثلاثٍ أنتظرك**»(١).

وعن أنسٍ: كان النبيُّ ﷺ إذا أُتي بهديـــة، قال: «**اذهبوا بها إلى بيـــت فلانـــة، فإنَّها كانـــت صديقة لخديجـــة، إنَّهـــا كانت تحبُّ خديجة**»(٢).

ودخلت عليه امرأة فهشَّ لها، وأحســـن الســـؤال عنها، فلمَّا خرجت قال: «**إنَّها كانت تأتينا أيام خديجة، وإنَّ حُسن العهد من الإيمان**»(٣).

وقـــال عليه السلام: «**إنَّ آل أبي فلانٍ ليســـوا لي بأولياء، غيـــر أنَّ لي رَحِمًا سأبُلُّها ببِلَالها**»(٤).

وعن أبي قتادة: وفَد وفدٌ للنجاشي، فقام النبيُّ ﷺ يخدمهم، فقال له أصحابه: نكفيك، فقال: «**إنَّهم كانوا لأصحابنا مُكرمين، وإنِّي أحبُّ أن أكافئهم**»(٥).

---

(١) رواه أبو داود فـــي الأدب (٤٩٩٦)، وقال المنذري في مختصر ســـنن أبـــي داود (٣٦٩/٣): عبد الكريم المعلـــم ـ أحد رواته ـ: هـــو ابن أبي المخارق، ولا يحتـــج بحديثه. وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (١٧٧٦).

(٢) رواه البخـــاري في الأدب المفـــرد (٢٣٢)، وابن حبان في مناقب الصحابـــة (٧٠٠٧)، وقال الأرناؤوط: حسن لغيره. والحاكم في البر والصلة (١٧٥/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه الحاكم في الإيمان (١٥/١)، وقال: هذا حديث صحيح على شـــرط الشيخين، فقد اتفقا على الاحتجاج برواته في أحاديث كثيرة، وليس له علة. ووافقه الذهبي. عن عائشة.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخـــاري في الأدب (٥٩٩٠)، ومســـلم في الإيمـــان (٢١٥)، عن عمرو بن العاص.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٣٦٧)، والطبراني في الأحاديث الطوال (١٥).

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

ولمَّا جيء بأخته من الرضاعة الشيماء في سبي هوازن بسط لها رداءه، وخيَّرها بين المقام عنده والتوجه إلى أهلها، فاختارت قومها، فمتَّعها[١].

وكان ﷺ أشد النَّاس تواضعًا على علو منصبه، فمن ذلك أنَّ الله خيَّره بين أن يكون نبيًّا ملكًا أو نبيًّا عبدًا، فاختار أن يكون نبيًّا عبدًا[٢]، فقال له إسرافيل عند ذلك: فإنَّ الله قد أعطاك بما تواضعت أنَّك سيِّد ولد آدم يوم القيامة، وأوَّل من تنشق عنه الأرض، وأوَّل شافع[٣].

وخرج على قوم من أصحابه فقاموا له، فقال: «**لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضًا**»[٤].

وقال: «**إنَّما أنا عبدٌ آكلُ كما يأكلُ العبد، وأجلس كما يجلس العبد**»[٥].

وكان يركب الحمار، ويُردف خلفه، ويعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطًا بهم، حيث ما انتهى به المجلس جلس[٦]، وقال لامرأة أتته في حاجة:

---

(١) السيرة النبويَّة لابن هشام (٤٥٨/٢).

(٢) سبق تخريجه صـ٩٩.

(٣) رواه مسلم في الفضائل (٢٢٧٨)، عن أبي هريرة. ولفظه: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع.

(٤) رواه أحمد (٢٢١٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٥٢٣٠)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٣٦)، وقال ابن حجر في فتح الباري (٤٩/١١ ـ ٥٠): قال الطبري: حديث ضعيف مضطرب السند فيه من لا يعرف. عن أبي أمامة.

(٥) رواه أبو يعلى (٤٩٢٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٢١٠): إسناده حسن. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٥٤٤)، عن عائشة.

(٦) رواه الترمذي في الشمائل ضمن حديث طويل (٣٣٧)، عن عليّ.

QaradawiBooks.com

«**اجلسي يا أمَّ فلان في أيِّ طرق المدينة شئتِ أجلس إليك حتَّى أقضي حاجتك**». فجلست وجلس[١].

وكان يُدعى إلى خبز الشعير والإهالة السَّنِخة، فيجيب[٢].

وحج على رحل رثٍّ عليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم[٣]، وأهدى في حجه ذلك مائة بدنة[٤].

وكان يبدأ من لقيه بالسلام.

وروينا عن أبي بكر الشافعي: قال: حدثنا أبو جعفر محمَّد بن حماد بن ماهان، قال: حدثنا محمَّد بن عبد الرحمٰن بن بكر، قال: حدثنا محمَّد بن سواء، عن سعيد عن قتادة، عن أنس أنَّ رسولَ الله ﷺ مر على صبيان فسلَّم عليهم[٥].

وكان في بيته في مهنة أهله[٦]، يَفْلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخصف نعله، ويخدم نفسه[٧]، ويعلف ناضحه، ويقُمُّ البيت،

---

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٢٦)، عن أنس.

(٢) رواه البخاري في البيوع (٢٠٦٩)، عن أنس.

(٣) رواه ابن ماجه في المناسك (٢٨٩٠)، والترمذي في الشمائل (٣٣٥)، وابن أبي شيبة في الحج (١٦٠٥٣)، وضعَّف إسناد ابن ماجه ابن حجر في فتح الباري (٣٨١/٣)، وصحَّحه الألباني في مختصر الشمائل (٢٨٨)، عن أنس.

(٤) رواه البخاري في الحج (١٧١٨)، عن على بن أبي طالب.

(٥) رواه أبو بكر الشافعي في الغيلانيات (٨١٢). والحديث متَّفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٤٧)، ومسلم في السلام (٢١٦٨).

(٦) رواه البخاري في الأذان (٦٧٦)، عن عائشة. ولفظه: كان يكون في مهنة أهله ـ تعني خدمة أهله ـ فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة.

(٧) عن عائشة، قالت: سئلت ما كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته؟ قالت: كان بشرًا من البشر يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه. رواه أحمد (٢٦١٩٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح. =

QaradawiBooks.com

ويعقل البعير، ويأكل مع الخـادم[١]، ويعجن معها، ويحمل بضاعته من السوق[٢].

وعن أنس إن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسـول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت حتَّى يقضي حاجتها[٣].

وكان ﷺ يُسمَّى الأمين قبل النبوة، لِمَا عرفوا من أمانته وعدله. وعن الرَّبِيع بـن خُثَيْم: كـان يُتحاكم إلى رسـول الله ﷺ فـي الجاهليَّة قبل الإسلام[٤].

وقال النضر بن الحارث لقريش: قد كـان محمَّد فيكم غلامًا حدثًا، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثًا، وأعظمكم أمانـة، حتَّى إذا رأيتم في صُدْغيه الشـيب، وجاءكم بما جاءكـم به قلتم: سـاحر! لا والله ما هو بساحر[٥].

= والبخاري فـي الأدب المفرد (٥٤١)، وابـن حبان في الحظر والإباحـة (٥٦٧٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٦٧١).

(١) عن أبي ذر مرفوعًا: «إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه ممَّا يأكل، وليلبسـه ممَّا يلبس». متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١)، كلاهما في الإيمان.

(٢) عن أبي هريرة في حديث طويل قال: دخلت يومًا السـوق مع رسول الله... وفيه: «صاحب الشـيء أحق بشـيئه أن يحمله، إلَّا أن يكون ضعيفًا يعجز عنه فيعينه أخوه المسلم». رواه أبو يعلى (٦١٦٢)، والطبراني في الأوسط (٦٥٩٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٥١٠): رواه أبو يعلى، والطبراني في الأوسط، وفيه يوسف بن زياد البصري، وهو ضعيف. وضعفه الملّا علي القاري في شرح الشفاء (٣٠١/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

(٣) سبق تخريجه صـ٥٨٠.

(٤) رواه أحمد في الزهد (١٩٨١).

(٥) رواه ابن إسحاق في السير والمغازي صـ ٢٠٠، وانظر: وابن هشام في السيرة (٢٩٩/١).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفي الحديث عنه: ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقَّها[١]. وقال: «**ويحك فمن يعدل إن لم أعدل**»[٢].

وعن الحسن: ما كان رسول الله ﷺ يأخذ أحدًا بقَرَف أحد، ولا يصدق أحدًا على أحد[٣].

وكان أوقر النَّاس في مجلسه، لا يكاد يُخرج شيئًا من أطرافه[٤].

وكان ﷺ يحب الطيب والرائحة الحسنة، ويستعملها كثيرًا، ويحض عليها، ومن مروءته ﷺ نهيه عن النفخ في الطعام والشراب، والأمر بالأكل ممَّا يلي، والأمر بالسواك، وإنقاء البراجم والرواجب[٥]، واستعمال خصال الفطرة»[٦].

ثم تحدث ابن سيِّد النَّاس عن زهد النبي وعبادته أغنى عن نقله ما ذكرناه قبل.

رسالة محمَّد ﷺ رسالة خلقية:

إنَّ الرسالة الَّتي أرسل بها محمَّد ﷺ رسالة أخلاقيَّة في الدرجة الأولى، حتَّى صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّما بُعثتُ لأتمِّم مكارم الأخلاق**»[٧].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٩١)، ومسلم في الإمارة (١٨٦٦)، ولفظ البخاري: ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلَّا امرأة يملكها. عن عائشة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣١٥٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٢)، عن ابن مسعود.

(٣) رواه أبو داود في المراسيل (٥١٤)، والبيهقي في قتال أهل البغي (١٦٧/٨).

(٤) رواه أبو داود في المراسيل (٥٠٥)، عن خارجة بن زيد.

(٥) البراجم: جمع برجمة، وهي ظهور مفاصل الأصابع، والرواجب جمع راجبة وهي: بطونها.

(٦) عيون الأثر (٣٩٨/٢ ـ ٤٠٣).

(٧) سبق تخريجه صـ٢٠٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فحصر رسالته في هذه المهمَّة الأخلاقيَّة، ولا غرو أن ربط الإسلام الأخلاق بالعقيدة، حتَّى نفى الإيمان عمَّن لا أمانة له[١]، وعمَّن بات شبعان وجاره إلى جنْبه جائع[٢]، وعمَّن زنى أو سرق أو شرب الخمر[٣].

وجعل من لوازم الإيمان: صلة الرحم، وإكرام الجار، وقول الخير: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقُل خيرًا أو ليصمت**»[٤].

كما ربط الأخلاق بالعبادات، وجعلها من ثمراتها وفوائدها: فإقامة الصلاة: ﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. والزكاة: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. والصيام: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. والحج: لا ينال اللهَ منه هَدْيٌ ولا لحم ولا دم، ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

وإذا لم تؤْتِ هذه العبادات أُكُلها في الأخلاق والسلوك، فقد فقدت قيمتها عند الله: «**رُبَّ قائم ليس له من قيامه إلَّا السهر، ورُبَّ صائمٍ ليس**

---

(١) رواه أحمد (١٢٣٨٣)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وأبو يعلى (٢٨٦٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤١): رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط، وفيه أبو هلال، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٠٤). عن أنس.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٣٧.

(٣) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن». رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٧٥)، ومسلم في الإيمان (٥٧)، عن أبي هريرة.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١٨)، ومسلم في الإيمان (٤٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

له من صيامه إلَّا الجوع»[١]. **«مَن لم يَدَع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يَدَع طعامه وشرابه»**[٢].

كما ربط الإسلام المعاملات بالأخلاق أيضًا، من الصدق والأمانة، والعدل والإحسان، والبر والصلة والمرحمة.

وربط الحياة كلَّها بالأخلاق، فلا انفصال بين العلم والأخلاق، ولا بين السياسة والأخلاق، ولا بين الاقتصاد والأخلاق، ولا بين الحرب والأخلاق، فالأخلاق لُحْمَة الحياة الإسلاميَّة وسَدَاها.

وكان قد وعى المسلمون على اختلاف تخصصاتهم أهمية الأخلاق في الرسالة الإسلاميَّة الَّتي أرسل بها محمَّد ﷺ، فأدخلوا الأخلاق في كل معارفهم، بحيث لا يحصل علم ولا عمل، دينيٌّ أو دنيويٌّ، فرديٌّ أو اجتماعيٌّ، ماديٌّ أو روحيٌّ، إلَّا إذا اكتنفته الأخلاق ووجَّهته، وكان لها هدايتها وتأثيرها فيه.

وجدنا من الصوفية من وجَّه التصوُّف كلَّه إلى الأخلاق، فنجد من شيوخهم من نقل عن المعروفين والموثقين منهم: أنَّ التصوُّف هو الخُلُق، فمن زاد عليك في الخُلُق، فقد زاد عليك في التصوُّف[٣].

وعقَّب على ذلك الإمام ابن القيِّم وهو يشرح رسالة «منازل السائرين إلى مقامات إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين» للهروي، في كتابه الشهير: «مدارج

---

(١) رواه أحمد (٩٦٨٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي في الكبرى (٣٣١٩)، وابن ماجه (١٦٩٠)، كلاهما في الصيام، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٨٨)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في الصوم (١٩٠٣)، عن أبي هريرة.

(٣) مدارج السالكين (٤٦٣/١).

QaradawiBooks.com

السالكين»، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الدِّين كلُّه خُلُق، فمن زاد عليك في الخُلُق، فقد زاد عليك في الدين»[١].

وعرَّف بعض العلماء من الصوفية التصوف، فحرَّره في عبارة وجيزة جامعة، فقال: التصوُّف هو الصدق مع الحق، والخُلُق مع الخَلْق[٢].

وهذا التعريف الثنائي يمكن أن يتوحَّد؛ لأنَّ «الصدق» ما هو إلَّا خُلُق من الأخلاق، فالصدق لم يخرج عن الأخلاق، وبهذا يدخل التصوُّف كله في الأخلاق.

والإسلام يُضفي على التوحيد صِبغة خُلُقية، فيعتبره من باب العدل، وهو فضيلة خُلُقية، كما يعتبر الشرك من باب الظلم، وهو رذيلة خلقية، يقول تعالى على لسان لقمان الحكيم: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. وذلك لأنَّه وضْعٌ للعبادة في غير موضعها، وتوجُّهٌ بها إلى مَن لا يستحقها.

بل اعتبر القرآن الكفر بكلِّ أنواعه ظُلْمًا، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

والإيمان الإسلامي حين يتكامل ويُؤْتي أُكُلَه، يَتَجسَّد في فضائل أخلاقيَّة فاضت بها آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ.

---

(١) مدارج السالكين (٢/٢٩٤).

(٢) من كلمات الإمام عَليّ بن عبد الْكَافِي السُّبْكِيّ. انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٠/٢٩٥)، تحقيق د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٣هـ.

QaradawiBooks.com

نقرأ في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٨].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۞ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ۞ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۞ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۞ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۞ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٦٨].

والأحاديث النبويَّة كذلك تربط الفضائل الأخلاقيَّة بالإيمان، وتجعلها من لوازمه وثمراته:

يقول رسول الله ﷺ: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقُلْ خيرًا أو ليصمت**»[(١)].

(١) سبق تخريجه صـ٥٨٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

«الإيمان بضعٌ وستُّون شُـعْبة، أعلاها: لا إلٰه إلَّا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق. والحياء شُعْبة من الإيمان»[١].

«لا يزنـي الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يسـرق السـارقُ حينَ يسرق وهو مؤمنٌ، ولا يشربُ الخمرَ حين يشربُها وهو مؤمن»[٢].

«الإيمانُ قَيْدُ الفَتْكِ، لا يَفْتِكُ مؤمن»[٣].

الفتك: الغِيلة، وهي القتل مكـرًا وخديعة. ويريد النبي ﷺ بذلك أنَّ الإيمان يمنع المؤمن عن الفتك ظلمًا، كما يمنع القَيْدُ الدابةَ عن الحركة، والمقيَّدَ عن التصرُّفِ.

إنَّنا نستطيع أن نقول: إنَّ الأخلاق تسري في كيان الإسلام كلِّه، وفي تعاليمه كلِّهـا، حتَّى في العقائـد والعبادات والمعامـلات، وتدخل في السياسة والاقتصاد، والسِّلْم والحرب.

أخلاقه ﷺ دليل صدقه:

لقد كان من أعظم دلائل نبوتـه ﷺ الكثيرة، عظمة أخلاقه ﷺ، لأنَّه لم يكن في عصره وما دانـى طرفيه، من قاربه في فضلـه ولا داناه في كماله خَلْقًا وخُلُقًا، وقولًا وفعلًا. وبذلك وصفه الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤]. وحقيـق لمـن بلغ من الفضائـل غايتها، واسـتكمل لغايات الأمور آلتها، أن يكون لزعامة العالم مؤهلًا، وللقيام

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري مختصرًا (٩)، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.
(٢) سبق تخريجه صـ٥٨٣.
(٣) رواه أبو داود في الجهاد (٢٧٦٩)، والحاكم في الحدود (٣٥٢/٤)، وقال: على شرط مسلم. ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٠٢). عن أبي هريرة.
(٤) أعلام النبوة للماوردي صـ ٢١٥.

QaradawiBooks.com

بمصالح الخلق موكلًا، ولا غاية بعد النبوة أن يعم له صلاح، أو ينحسم به فساد، فاقتضى أن يكون لها أهلًا وللقيام بها مؤهلًا[١].

فإن قيل: فليست فضائله دليلًا على نبوّته، ولم يُسمع بنبي احتج بها على أمته، ولا عوّل عليها في قبول رسالته، لأنَّه قد يشارك فيها حتَّى يأتي بمُعْجِز يخرق العادة، فَيُعْلِم بالمُعْجِز أنَّه نبيٌّ لا بالفضل.

قيل: الفضل من أماراتها، وإن لم يكن من معجزاتها، ولأنَّ تكامل الفضل معوز، فصار كالمعجز، ولأنَّ من كمال الفضل اجتناب الكذب، وليس من كذب في ادعاء النبوَّة بكامل الفضل، فصار كمال الفضل موجبًا للصدق، والصدق موجبًا لقبول القول، فجاز أن يكون من دلائل الرسل[٢].

يقول ابن حزم: «إنَّ سيرة محمَّد ﷺ لِمَن تدبَّرها تقتضي تصديقَه ضرورةً، وتشهد له بأنَّه رسولُ الله ﷺ حقًّا، فلو لم تكن له معجزةٌ سوى سيرته ﷺ لكفى»[٣].

ويقول العلَّامة سعد الدين التفتازاني: «وأمَّا الاستدلال على نبوة محمَّد بما شاع من أخلاقه وأحواله فهو عائد إلى المعجزة»[٤].

ويقول الإمام أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أنَّ من شاهد أحواله ﷺ، وأصغى إلى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجاياه، وسياسته لأصناف الخلق، وهدايته إلى ضبطهم، وتألفه أصناف

(١) أعلام النبوة صـ ٢٣٢.

(٢) المصدر السابق صـ ٢١٥.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٧٣/٢)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

(٤) شرح المقاصد في علم الكلام لسعد الدين التفتازاني (١٨٠/٢)، نشر دار المعارف النعمانية، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخلق، وقودهم إياهم إلى طاعته مــع ما يُحكَى من عجائب أجوبته في مضايق الأسئلة، وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق، ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع، الَّذي يعجز الفقهاء والعقلاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم؛ لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسَبًا بحيلة تقوم بها القوَّة البشريَّة، بل لا يُتصوَّر ذلك إلَّا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوة إلٰهيَّة، وأن ذلك كله لا يتصور لكذَّاب ولا مُلَبِّس، بل كانت شــمائله وأحواله شــواهد قاطعة بصدقه، حتَّى إنَّ العربي القُحَّ كان يراه فيقول: والله ما هذا وجه كذَّاب. فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله، فكيف مَن شاهَد أخلاقه ومارَس أحوالَه في جميع مصادره؟!»[1]

الدلائل العمليَّة من أخلاقه ﷺ على صدق نبوته:

ولقد كانت أخلاقه ﷺ العظيمة الدليل الأوَّل الَّذي دلَّ أولي الألباب والنهى على صدق نبوَّته ﷺ، كما تشهد لذلك دلائل كثيرة منها:

موقف أمِّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها حيث استدلَّت بكرم أخلاقه ﷺ على أنَّ الله قد هيَّأه بتلــك الفضائل الخلقيَّة لما هو أعظــم منها وهي النبوة، فإنَّها ما إن سمعت ما قصَّه عليها من لقائه بالمَلَك بغار حراء، وما جرى له عليه من ضغط، وما تخوفه على نفســه، ما إن ســمعت بذلك حتَّى بشَّــرته بالخير فاســتدلت على ذلك بما هو عليه من مكارم الأخلاق، فقالت له: أبشــر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنَّك لتصلُ الرحم، وتصدُق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتَكْسب المعدوم، وتَقري الضيف، وتُعين على نوائب الحقِّ[2].

(١) إحياء علوم الدين (٣٨٣/٢).

(٢) سبق تخريجه صـ٤٥٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفي رواية قالت له: أبشرْ يا ابنَ العمِّ، واثبُتْ له، فوالذي يُحلَف به إنِّي لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمة[١].

ثم أرادت أنْ تطمئن على صحة فراستها، وصدق استدلالها، فذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان عنده علم من الكتاب الأول، فلمَّا قص عليه ﷺ ما رأى، بشره بما بشرته به خديجة رضي الله عنها، فقال له: هذا الناموس الَّذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جَذَعًا، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «**أَوَمخرجيَّ هم؟**». قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت بـه إلَّا عُودي (وفي روايـة: أوذي)، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثمَّ لم ينشب ورقة أن توفي[٢].

ولذلك سارعت خديجة رضي الله عنها، إلى تصديق النبي ﷺ، فكانت أوَّل من آمن به على الإطلاق.

ومن الشواهد على ذلك أيضًا: استدلال هرقل ملك الروم على نبوة رسول الله ﷺ بما يعلمه من أخلاق الأنبياء وصفات تعاملهم مع النَّاس، والَّتي سـأل ألدَّ أعدائه ﷺ عنها: أبا سفيان بن حرب فأجابه بما لم يقدر على نكرانه من مكارم الأخلاق وجميل السـلوك، فعلم من ذلك صدق دعواه الرسالة، فقد سأله عن صدقه فقال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال أبو سفيان: لا.

وسأله عن وفائه وقال له: هل يغدر؟

فقال أبو سفيان: لا،...

(١) السيرة النبويَّة لابن هشام (٢٣٧/١ ـ ٢٣٨).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

وسأله عما يأمر به؟

فقال أبو سفيان: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة، والصدقة (وفي رواية: والصدق)، والعفاف، [والصلة]، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة.

فقال بعد ذلك وهو يستعرض أسئلته، وإجابات أبي سفيان له، وما تدل عليه تلك الأحوال الَّتي كان عليها رسول الله ﷺ، قال: سألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فعرفت أنَّه لم يكن ليدع الكذب على النَّاس ويكذب على الله.

وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت أن لا، وكذلك الرسل لا يغدرون.

وسألتك: بماذا يأمركم؟ فزعمت أنَّه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، ويأمركم بالصلاة، والصدقة (وفي رواية: والصدق)، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة؛ قال: وهذه صفة النبي، قد كنت أعلم أنَّه خارج، ولكن لم أكن أظن أنَّه منكم، وإن يك ما قلت حقًّا؛ فيوشك أن يملك موضع قدميَّ هاتين، ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت لقيه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه[1].

فهكذا استدل هرقل بما يعرفه من أخلاق النبيين وصفاتهم على صحة رسالة رسول الله ﷺ وصدق دعوته، حيث وافق واقع حاله ﷺ مع ما كان يعلمه من أحوال الأنبياء وصفاتهم، فصدق دعوته، وعلم أنَّه سيملك موضع قدميه، وتمنَّى أن يحظى بالقرب منه ﷺ ليتشرف بغسل قدميه، وهو ملك قومه. ومن تأمل ما استقرأه هرقل من هذه الأوصاف

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٧)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٧٣)، عن أبي سفيان.

QaradawiBooks.com

تبيَّن له حسن ما استوصف من أمره واستبرأه من حاله، ولله دره من رجل ما كان أعقله لو ساعدته المقادير بتخليد ملكه والاتباع، غير أنَّه آثر مداراة قومه وشعبه فظل على شركه وكان من الخاسرين.

ومن الدلائل أيضًا: أن أهل الكتاب كانوا يختبرون أحوال النبي ﷺ الخُلُقية فيجدونها فيه كما هو موصوف بها في التوراة والإنجيل فما يسعهم إلَّا التسليم والإذعان وإعلان الإسلام كما حدث مع «زيد بن سَعْنة» الَّذي اختبر النبيَّ ﷺ في سعة حَلْمَه وعفوه فأسلم لذلك[1]. وما حدث من سلمان رضي الله عنه في قصة إسلامه، فإنَّه لمَّا قدم رسولُ الله ﷺ المدينة أراد أن يكشف ما هو عليه من دلائل النبوة، والَّتي كان منها الصدقة الَّتي هي أوساخ النَّاس، فأراد أن يستدل على نبوته بذلك. قال سلمان: «فاحتطبت حطبًا فبعته، وصنعت طعامًا، فأتيت به النبي ﷺ وكان يسيرًا، فوضعته بين يديه، فقال: «**ما هذا؟**». قلت: صدقة، قال: فقال لأصحابه: «**كلوا**». ولم يأكل، قال: قلت هذا من علامته. ثمَّ مكثت ما شاء الله أن أمكث، ثمَّ قلت لمولاتي: هبي لي يومًا، قالت: نعم، فانطلقت فاحتطبت حطبًا فبعته بأكثر من ذلك، وصنعت به طعامًا، فأتيت به بين يديه، فقال: «**ما هذا؟**». قلت: هدية، فوضع يده وقال لأصحابه: «**خذوا باسم الله**». وقمت خلفه، فوضع رداءه، فإذا خاتم النبوة، فقلت: أشهد أنَّك نبي الله[2].

(١) انظر قصة إسلامه في معرفة الصحابة لأبي نعيم (١١٨٤/٣)، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، نشر دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٢) رواه أحمد (٢٣٧١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده محتمل للتحسين. وابن حبان في مناقب الصحابة (٧١٢٤)، والطبراني (٢٥٩/٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٨٩٩): رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات.

QaradawiBooks.com

وهذا ما كان من أكثم بن صيْفِيٍّ، عندما بلغه مخرج النبي ﷺ أراد أن يأتيه، فأبى قومه أن يدعوه وقالوا: أنت كبيرنا لم تكن لتخفَّ إليه، قال: فليأته من يبلغه عني ويبلغني عنه، فانتدب رجلان فأتيا النبي ﷺ فقالا: نحن رسل أكثم بن صيفي، وهو يسألك من أنت، وما أنت؟ فقال النبي ﷺ: «**أمَّا من أنا، فأنا محمَّد بن عبد الله، وأمَّا ما أنا؟ فأنا عبد الله ورسوله**». قال: ثمَّ تلا عليهم هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ الآية». قالوا: اردد علينا هذا القول، فردَّده عليهم حتَّى حفظوه، فأتيا أكثم فقالا: أبى أن يرفع نسبه، فسألنا عن نسبه فوجدناه زاكي النسب وسطًا في مضر ـ أي شريفًا ـ وقد رمى إلينا بكلمات قد سمعناها، فلمَّا سمعهن أكثم قال: إنِّي أراه يأمر بمكارم الأخلاق، وينهى عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رؤوسًا ولا تكونوا أذنابًا، فلم يلبث أن حضرته الوفاة، فقال: أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم»[1].

فقد استدل أكثم على صدق رسالة رسول الله ﷺ بما علمه عنه من مكارم الأخلاق سلوكًا وتشريعًا، لأنَّه يعلم أن ذلك منهج الأنبياء وتلك صفاتهم، وما كان محمَّد ﷺ أن يهتدي لذلك إلَّا أن يكون نبيًّا منهم.

ونحو هذا ما كان من الجُلندي ملك عُمان حينما استقرأ من مبعوث رسول الله ﷺ ما يأمر به وما ينهى عنه، فلم يتردد في تصديقه والإيمان به، وقال كلمته المشهورة: «لقد دلَّني على هذا النبيِّ الأميِّ أنَّه لا يأمر بخير إلَّا كان أوَّل آخذ به، ولا ينهى عن شرٍّ إلَّا كان أوَّل تارك له، وأنَّه يغلب فلا يبطر، ويغلب فلا يهجر، وأنَّه يفي بالعهد، ويُنْجز الوعد، وأشهد أنَّه نبيٌّ». ثمَّ أنشد أبياتًا منها:

(١) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٤٢/١).

QaradawiBooks.com

أتاني عمرٌو[١] بالَّتي ليس بَعْدَها ... من الحَقِّ شـــيءٌ والنَّصِيحُ نَصِيحُ
فقلت له: ما زدتَ أن جِئْتَ بالَّتي ... جُلْنَدَى عُمَانٍ فـــي عُمَانَ يَصِيحُ
فيـــا عَمْرُو قد أســـلمتُ لله جَهْرَةً ... ينادي بها فـــي الواديَيْنِ فَصِيحُ[٢]

وهكذا كانت أخلاقه ﷺ إحدى دلائل صدقه الدالَّة على نبوَّته، يعرفها بها من عرف أخلاق الأنبيـــاء ودلائل نبوَّتهم، ومن تجـــرَّد عن حظوظ النفس وشهوات الحياة، وأنصف الحقَّ من نفسه، فاهتدى وهدى، ونجا من مهاوي الردى، وفاز بعيش السعداء في الآخرة والأولى.

قال الغزالي: «فأَعْظِمْ بغباوةِ من ينظـــر في أحواله، ثمَّ في أفعاله، ثمَّ في أخلاقه، ثمَّ في معجزاته، ثمَّ في اســـتمرار شـــرعه إلى الآن، ثمَّ في انتشاره في أقطار العالم، ثمَّ في إذعان ملوك الأرض له في عصره وبعد عصره، مع ضعفه ويتمه، ثمَّ يتمارى بعد ذلك في صدقه!»[٣].

حثُّه ﷺ أُمَّتَه على حُسْن الخُلُق:

وأسوق هنا بعض الأحاديث المرغِّبة في حسن الخُلُق:

عن النوَّاس بن سَـــمْعَانَ الأنصاري رضي الله عنه، قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن البرِّ والإثم، فقال: «**البرُّ حُسْـــنُ الخُلُق، والإثـــمُ ما حاكَ في صدرِكَ وكرِهْتَ أن يطّلِعَ عليهِ الناسُ**»[٤].

---

(١) يعني عمرو بن العاص الذي أوفده النبي ﷺ إليه بكتابه.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٦٣٧/١)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٣) إحياء علوم الدين (٣٨٧/٢).

(٤) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٥٣)، وأحمد (١٧٦٣١).

QaradawiBooks.com

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ لم يكن فاحشًا ولا متفحِّشًا، وكان ﷺ يقول: «**إنَّ من خياركم أحسنَكم أخلاقًا**»[١].

وعن أبي ثَعْلَبة الخُشَني رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ أحبَّكم إليَّ، وأقربَكم مِنِّي في الآخرة: محاسنُكم أخلاقًا. وإنَّ أبغضَكم إليَّ، وأبعدَكم مِنِّي في الآخرة: مساوئكم أخلاقًا، الثَّرثارون المُتَفَيْهِقون المتشَدِّقون**»[٢].

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا، وخيارهم خيارهم لنسائهم وألطفُهم بأهلِه**»[٣].

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «**إنَّ الله كريمٌ يحبُّ الكرم، ويحبُّ معاليَ الأخلاق، ويكرهُ سفسافَها**»[٤].

* * *

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٥٩)، ومسلم في الفضائل (٢٣٢١).

(٢) رواه أحمد (١٧٧٣٢)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وابن حبان في حسن الخلق (٤٨٢)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢٧٧/٣): رواه أحمد ورواته رواة الصحيح، وكذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٦٦٥)، عن أبي ثعلبة الخشني.

(٣) رواه أحمد (٧٤٠٢)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والترمذي في الرضاع (١١٦٢)، وقال: حسن صحيح.

(٤) رواه الطبراني في الكبير (١٨١/٦)، والأوسط (٢٩٤٠)، والحاكم في الإيمان (٤٨/١)، وقال: صحيح الإسناد، وقال الذهبي: تفرد به أحمد بن يونس، وعِلَّته أن ابن المبارك رواه عن الثوري عن أبي حازم عن طلحة ابن كريز مرسلًا. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٦٨٧): رواه الطبراني في الكبير والأوسط بنحوه إلَّا أنَّه قال: «يحب معالي الأخلاق». ورجال الكبير ثقات. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٣٧٨).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الرسول رياضي الجسم والرُّوح والفِكْر

هل كان الرسول رياضيًّا، بمعنى الرياضة المزدوجة، أي: من هذا النوع الَّذي يجمع بين الجسم والقلب، وبين الروح والمادة؟

أحببت هنا أنْ أتحدَّث عن أمرٍ لا يهتمُّ به كثيرًا أهلُ الدين، وأمَّا أهل الدُّنيا المهتَّمون به فلا يعلمون أنَّ الدِّين له علاقة برياضة الأجسام، وكمال الأبدان، وأنَّ العناية بها شيء مادي خالص، ليس له شأن بالرُّوحيات والعلويَّات، ويرون أنَّنا يجب أنْ نفصل الأشياء بعضها من بعض، نفصل الدِّين عن الدُّنيا، كما نفصل الدُّنيا عن الدِّين، ونفصل الرُّوح عن المادَّة، كما نفصل المادَّة عن الرُّوح، ونفصل دار الآخرة عن دار الدُّنيا، ونضع لكلِّ واحدةٍ من هؤلاء رجالها وأهدافها وموازينها ووسائلها، وبذلك لا تختلط الأشياء في أذهان النَّاس وموازينهم، ولا يصطدم بعضها ببعض، ولا يتعالى بعضها على بعض.

ربما كانت هذه المعاني مفهومة كذلك في بعض الأديان، وربَّما كان لها دعاتها من أهل الأديان أنفسهم.

ولكن الدِّين السماوي الخاتم، الَّذي بعث الله به آخر رسله محمدًا: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وأنزل عليه آخر كتبه: القرآن العظيم، الَّذي وضع فيه كل

QaradawiBooks.com

ما يحتاج إليه الخلق من البشر، الَّذين يملؤون هذه الكرة الأرضية، الَّتي نعيش فوقها، والَّتي سخَّرها الله بكلِّ ما فيها لمنفعة الإنسان، وبكلِّ ما حولها من شمس وقمر ونجوم لها بها شأن واتصال.

هذا الإسلام الَّذي هو رسالة الله تعالى الأخيرة للبشر، أرسل بها محمَّد بن عبد الله العربي القرشي، الَّذي اتَّخذ اللهُ تعالى ربًّا، والإسلام دينًا، والقرآن منهاجًا، هذا الإسلام له موقف آخر من الحياة، لا يعرف هذا الفِصَام بين الدُّنيا والآخرة والغيب والشهادة والجسد والرُّوح.

كان محمَّد الرسول العالمي الَّذي جعل الله من رسالته نورَ العالم كلِّه، يجمع بين المختلفات، ويقارب بين المبتعدات، ويوازن بين المتقابلات، فلا يترك لخط واحد أن يطغى على جميع الخطوط، ولا لدائرة أن تغطي جميع الدوائر، ولا لناحية أن تطغى على سائر النواحي الأخرى، بل يبرز كلُّ شيء بأزهى ما هو فيه، وبأنفع ما هو فيه، ويجمع بينه وبين ما هو قريب منه، ويجمع بين المتقاربات، ليتحدى في تماسك وتعاضد: القوى المضادة للحركة الأولى في اتجاهها إلى الحق والخير والرشد، ويدعو إلى الربانية المقترنة بالإنسانيَّة، وإلى الإنسانيَّة الملتبسة بالربانية.

وهذا ما يتميَّز به الإسلام: أنَّه الدين الَّذي يهدي للتي هي أقوم، ويرشد إلى الَّتي هي أوسع وأمثل، يدعو إلى العقل المنير بالإيمان، وإلى الإيمان المهتدي بالعلم، وإلى العلم المزوَّد بالعمل، وإلى العمل المزكَّى بالتقوى والأخلاق. كما قال تعالى لرسوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

لم تغفل رسالة محمَّد ﷺ الَّتي بعثه الله بها أمر الجسم، كما أغفلته الأديان الَّتي تقوم على المبالغة في التنسك والتزهد، والَّتي ترى تعذيب

QaradawiBooks.com

الجسد، لترقى الروح، كما في البرهمية الهندية، والرواقية اليونانية، والمانوية الفارسية، والرهبانيَّة النصرانية.

بل رأى الإسلام العناية بالإنسان كلِّه: جسمه وروحه، وعقله ووجدانه، وأن لا بدَّ من تربيته تربية متكاملة، حتَّى يستطيع أن يقوم بما هو واجب عليه في عبادة الله تعالى، وفي خلافته في الأرض، وفي عمارتها بالحق والعدل.

والَّذي ينظر في شخص النبيِّ ﷺ يجده يحمل رُوح الرياضي، من الحفاظ على الصحَّة، والبعد عن كلِّ ما يضرُّ بها، والنشاط والجِدِّ، والقوَّة البدنيَّة، يظهر ذلك في شأنه كلِّه، ويجد منهجه في ذلك هو المنهج المتوازن الَّذي كما يعني بالروح يُعني بالجسد، الَّذي أسمع النَّاس للمرة الأولى في تاريخ الأديان هذه الكلمة النبويَّة: «**إنَّ لجَسَدِكَ عليك حقًّا**»[1]. من حقِّ جسدِكَ عليك أنْ تقوِّيَه إذا ضعف، وأنْ تطعمه إذا جاع، وأنْ تسقيه إذا ظمئ، وأنْ تحافظ على نظافته، وأن تريحه إذا تعب، وأن تعالجه إذا مرض، بل أن تقيه ما استطعتَ من الأمراض، فالوقاية خيرٌ من العلاج.

ونستطيع أن نُحَدِّد أهم جوانب الشخصيَّة المتَّسمة بالرُّوح الرياضيَّة:

١ ـ الحفاظ على الصحَّة واتباع وسائل الوقاية من الأمراض.

٢ ـ المرونة والقدرة على الحركة والسرعة.

٣ ـ القوَّة والتحمُّل والإخشيشان، وهو خاص بالرجال.

وهذه الجوانب جميعًا كان رسول الله ﷺ متصفًا بها، ويحث أمته عليها.

---

(١) سبق تخريجه صـ٧٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهو ما سنتناوله معتمدين على ما سطره ابن القيِّم في كتابه القيم «زاد المعاد» مع حذف وإضافة وتعليق.

الهدْي النبوي في حفظ الصحَّة:

لقد كان النبي ﷺ حريصًا على معرفة نِعَمِ ربه كلِّها عليه، وعلى عباده، ليعمل على حفظها وشكرها سواء كانت كبيرة أم صغيرة، وسواء كانت نِعَمًا مادِّيَّة كالصحة والشباب والقوة والطعام والشراب، أم نعمًا روحيَّة كالإيمان والعلم والأخلاق والاستقامة وأداء الصلاة والصيام والذكر وتلاوة القرآن، وكان يرى اعتدال القوتين الرُّوحيَّة والماديَّة مطلوبًا دائمًا، فقِوَام كلِّ واحدة منهما بصاحبتها، وقِوام الإنسان بها جميعًا.

العافية المطلقة أجلُّ النعم:

«ولمَّا كانت الصحَّةُ والعافيةُ من أجَلِّ نعم الله على عبده، وأجزل عطاياه، وأوفر مِنحه، بل العافيةُ المطلقة أجلُّ النِّعَمِ على الإطلاق، فحقيقٌ لمن رُزِقَ حظًّا مِن التوفيق مراعاتها وحِفظها وحمايتُها عما يُضادها، وقد روى البخاري في «صحيحه»، من حديث ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**نِعْمتان مَغْبُونٌ فيهما كثير من الناس: الصحَّة والفراغ**»[1].

وفي الترمذي وغيره من حديث عُبَيْد الله بن مِحْصَن الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أصبحَ معافًى في جسده، آمنًا في سِرْبه، عنده قُوتُ يومه، فكأنما حِيزَتْ له الدنيا**»[2].

---

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤١٢).

(٢) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٤٦)، وقال: حديث حسن غريب. وابن ماجه في الزهد (٤١٤١)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٢٣١٨).

QaradawiBooks.com

وفي الترمذي أيضًا من حديث أبي هُرَيْرة، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أوَّل ما يُسأل عنه العبدُ يوم القيامة من النعيم أن يُقال له: ألم نُصِحَّ لك جِسْمَك، ونُروِّك من الماء البارد**»(١).

ومن هاهنا قال من قال من السلف في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ** ﴾ [التكاثر: ٨]، قال: عن الصحَّة(٢).

وفيه عن أبي بكر الصديق، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**سلوا الله اليقينَ والمُعَافاةَ، فما أوتي أحدٌ بعد اليقين خيرًا من العافية**»(٣)، فجمع بين عافيتي الدينِ والدنيا، ولا يَتِمُّ صلاح العبد في الدارين إلَّا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدُّنيا في قلبه وبدنه.

وفي «سنن النسائي»، من حديث أبي هُرَيْرة يرفعه(٤): «**سلوا اللهَ العفوَ والعافيةَ والمعافاةَ، فما أوتي أحدٌ بعد يقينٍ خيرًا من معافاة**»(٥).

وهذه الثلاثة تتضمَّن إزالة الشرور الماضية بالعفو، والحاضرة بالعافية، والمستقبلة بالمعافاة، فإنَّها تتضمن المداومة والاستمرار على العافية.

وإذا كان هذا شأنَ العافية والصحة، فنذكر من هديه ﷺ في مراعاة هذه الأمور ما يتبيَّن لمن نظر فيه أنَّه أكملُ هدي على الإطلاق ينال به

---

(١) سبق تخريجه صـ١٢٧.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٥٨٢/٢٤)، عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد.

(٣) رواه أحمد (٣٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الدعوات (٣٥٥٨)، وقال: حسن غريب. وقال الألباني في صحيح الترغيب (٣٣٨٧): حسن صحيح.

(٤) رواه النسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٦٥٨) بلفظ: «يا أيها الناس سلوا الله العافية، فإنه لم يعط أحد شيئًا، يعني خيرًا من العافية ليس اليقين».

(٥) رواه النسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٦٥١) بهذا اللفظ، عن أبي بكر الصديق.

QaradawiBooks.com

حفظَ صحة البدن والقلب، وحياة الدُّنيا والآخرة، والله المستعان، وعليه التُّكْلان، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

هدي النبي ﷺ في طعامه:

خلق الله الإنسان من جنس الحيوان الَّذي له معدة تغتذي بالأطعمة والأشربة المصنوعة من النباتات والأشجار، ومن لحوم الحيوانات الَّتي يستأنسها الآدميُّون، ويأكلون لحومها، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨]. ومن لحوم البحر الحيوانية، وعلى رأسها السمك، الَّذي سمَّاه القرآن لحما طريًّا. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: ١٤]، وقال: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦].

وكان سيدُ النَّاس في أكله وشربه محمدًا ﷺ، فكان أكله وشربه يمتاز بالاعتدال واليسر والنظافة، ولم يكن من عادته ﷺ حبسُ النفس على نوع واحد من الأغذية لا يتعدَّاه إلى ما سواه، فإنَّ ذلك يضرُّ بالطبيعة جدًّا، وقد يتعذَّر عليها أحيانًا، فإن لم يتناول غيره، ضعف أو هلك، وإن تناول غيره، لم تقبله الطبيعة، واستضرَّ به، فقصرها على نوع واحد دائمًا ـ ولو أنَّه أفضل الأغذية ـ خطر مضرٌّ.

بل كان يأكل ما جرت عادةُ أهل بلده بأكله من اللحم والفاكهة والخبز والتمر، وغيره ممَّا ذكر العلماء في هديه في المأكول.

وإذا كان في أحد الطعامين كيفيةٌ تحتاجُ إلى كسر وتعديل، كسرها وعدلها بضدها إن أمكن، كتعديل حرارة الرُّطَبِ بالبِّطيخ، وإن لم يجد ذلك، تناوله على حاجة وداعيةٍ من النفس من غير إسراف، فلا تتضرَّر به الطبيعة».

QaradawiBooks.com

ما عافته النفس لا يأكله:

قال ابن القيِّم: «وكان الرسول الكريم إذا عافت نفسُه الطعامَ لم يأكله، ولم يُحمِّلْها إيَّاه على كُره، وهذا أصل عظيم في حفظ الصحَّة، فمتى أكل الإنسان ما تعافه نفسه، ولا يشتهيه، كان تضرُّره به أكثر من انتفاعه.

قال أبو هُرَيْرة: ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإلا تركه ولم يأكل منه[١].

ولما قُدِّم إليه الضَّبُّ المشويُّ لم يأكل منه، فقيل له: أهو حرام؟ قال: «**لا، ولكن لم يكُنْ بأرض قومي، فأجدني أَعَافُه**»[٢]. فراعى عادته وشهوته، فلمَّا لم يكن يعتادُ أكله بأرضه، وكانت نفسُه لا تشتهيه، أمسك عنه، ولم يمنع مِنْ أكله مَنْ يشتهيه، ومَنْ عادته أكله.

وكان يحبُّ اللَّحم، وأحبُّه إليه الذراعُ، ومقدَّم الشاة، ولذلك سُمَّ فيه، وفي الصحيحين: أُتي رسولُ الله ﷺ بلحم، فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه[٣].

وذكر أبو عبيدة وغيره عن ضُباعة بنت الزبير أنَّها ذبحت في بيتها شاة، فأرسل إليها رسول الله ﷺ أن أطعمينا من شاتكم، فقالت للرسول: ما بقي عندنا إلَّا الرقبة، وإنِّي لأستحيي أن أرسل بها إلى رسول الله ﷺ، فرجع الرسول فأخبره، فقال: «**ارجعْ إليها فقلْ لها: أرسلي بها، فإنَّها هَادِيَة الشاة، وأَقْرَب إلى الخير، وأَبْعَدُها من الأذى**»[٤]».

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٤٠٩)، ومسلم في الأشربة (٢٠٦٤)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٩١)، ومسلم في الصيد (١٩٤٦)، عن خالد بن الوليد.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٠)، ومسلم في الإيمان (١٩٤)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أحمد (٢٧٠٣١)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والنسائي في الكبرى في الوليمة (٦٦٢٤)، والطبراني (٣٣٧/٢٤).

QaradawiBooks.com

قال ابن القيِّم:

«ولا ريب أن أخفَّ لحم الشاة لحمُ الرقبة، ولحمُ الذراع، والعَضُد، وهو أخَفُّ على المعدة، وأسرع انهضامًا.

وفي هذا مراعاة الأغذية الَّتي تجمع ثلاثة أوصاف:

أحدها: كثرة نفعها وتأثيرها في القوى.

الثاني: خفَّتها على المعدة، وعدمُ ثقلها عليها.

الثالث: سرعة هضمها.

وهذا أفضل ما يكون من الغذاء، والتغذِّي باليسير من هذا أنفع من الكثير من غيره.

أكل الخبز مأدومًا:

والمقصود ـ كما يقول ابن القيِّم ـ أنَّ أكل الخبز مأدومًا من أسباب حِفظ الصحَّة، بخلاف الاقتصار على أحدهما وحده. وسمِّيَ الأدم أُدمًا؛ لإصلاحه الخبز، وجعله ملائمًا لحفظ الصحَّة».

قال ابن القيِّم: «وكان ﷺ يأكل من فاكهة بلده عند مجيئها، ولا يحتمي عنها، وهذا أيضًا من أكبر أسباب حفظ الصحَّة، فإنَّ الله سبحانه بحكمته جعل في كل بلدةٍ من الفاكهة ما ينتفِعُ به أهلُها في وقتِهِ، فيكون تناوله من أسباب صحَّتهم وعافيتهم، ويُغنِي عن كثير من الأدوية، وقلَّ من احتمى عن فاكهة بلده خشيةَ السُّقم إلَّا وهو مِن أسقم النَّاس جسمًا، وأبعدهم من الصحَّة والقوة.

QaradawiBooks.com

وما في تلك الفاكهة من الرطوبات، فحرارةُ الفصل والأرض، وحرارةُ المعدة تُنْضِجُها وتدفع شرَّها، إذا لم يُسْرِفْ في تناولها، ولم يُحمِّل منها الطبيعةَ فوق ما تحتمله، ولم يُفسد بها الغذاء قبل هضمه، ولا أفسدها بشرب الماء عليها، وتناول الغذاء بعد التحلي منها، فإنَّ القُولنج كثيرًا ما يحدث عند ذلك، فمن أكل منها ما ينبغي في الوقت الَّذي ينبغي على الوجه الَّذي ينبغي، كانت له دواءً نافعًا».

في هديه ﷺ في هيئة الجلوس للأكل:

قال ابن القيِّم: «صحَّ عنه أنَّه قال: «**لا آكُلُ مُتَّكِئًا**»[(١)]، وقال: «**إنَّما أَجْلِسُ كما يَجلِس العبدُ، وآكل كما يأكُلُ العبد**»[(٢)].

وروى ابن ماجه في «سننه»، أنَّه نهى أن يأكل الرجلُ وهو منبطحٌ على وجهه[(٣)].

وقد فُسِّر الاتِّكاء بالتربُّع، وفسِّر بالاتِّكاء على الشيء، وهو الاعتماد عليه، وفسِّر بالاتِّكاء على الجنب. والأنواعُ الثلاثة من الاتكاء، فنوع منها يضر بالآكل، وهو الاتكاء على الجنب، فإنَّه يمنع مجرى الطعام الطبيعي عن هيئته، ويعوقه عن سرعة نفوذه إلى المعدة، ويضغطُ المعدة فلا يستحكم فتحُها للغذاء، وأيضًا فإنَّها تميل ولا تبقى منتصبة، فلا يصل الغذاء إليها بسهولة.

---

(١) رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٩٨)، عن أبي جُحَيفة.

(٢) رواه أبو يعلى (٤٩٢٠)، وضعف إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ ٨٥٣. وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٢١٠)، عن عائشة.

(٣) رواه ابن ماجه في الأطعمة (٣٣٧٠)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٧١٦)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

وأمَّا النوعان الآخران: فمن جلوس الجبابرة المنافي للعبوديَّة، ولهذا قال: «**آكل كما يأكل العبد**». وكان يأكل وهو مُقْعٍ[١]، ويُذكر عنه أنَّه كان يجلس للأكل متوَرِّكًا على ركبتيه، ويضع بطنَ قدمه اليسرى على ظهر قدمه اليمنى، تواضعًا لربِّه ﷻ، وأدبًا بين يديه، واحترامًا للطعام وللمؤاكِل، فهذه الهيئة أنفع هيئات الأكل وأفضلها؛ لأنَّ الأعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعي الَّذي خلقها الله سبحانه عليه، مع ما فيها من الهيئة الأدبيَّة! وأجود ما اغتذى الإنسان إذا كانت أعضاؤه على وضعها الطبيعي، ولا يكون كذلك إلَّا إذا كان الإنسان منتصبًا الانتصاب الطبيعي، وأردأ الجلسات للأكل: الاتكاءُ على الجنب، لما تقدم من أنَّ المريء وأعضاء الازدراد تضيقُ عند هذه الهيئة، والمعِدَة لا تبقى على وضعها الطبيعي؛ لأنَّها تنعصر ممَّا يلي البطن بالأرض، وممَّا يلي الظهر بالحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات التنفس.

وإن كان المراد بالاتِّكاء الاعتماد على الوسائد والوطاء الَّذي تحت الجالس، فيكون المعنى أنِّي إذا أكلت لم أقعد متكئًا على الأوطية والوسائد، كفعل الجبابرة، ومن يُريد الإكثار من الطعام، لكنِّي آكل بُلْغَةً كما يأكل العبد.

صورة الأكل النبوي:

وكان يأكُلُ بأصابعه الثلاث، وهذا أنفعُ ما يكون من الأكلات، فإنَّ الأكل بأصبع أو أصبعين لا يستلِذُّ به الآكل، ولا يمريه، ولا يشبعه إلَّا بعدَ طول، ولا تفرحُ آلات الطعام والمعدة بما ينالها في كل أكلة،

(١) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٤٤)، عن أنس، بلفظ: رأيت النبي ﷺ مقعيًا يأكل تمرًا. والإقعاء: أن يجلس على أليتيه ناصبًا ساقيه.

QaradawiBooks.com

فتأخذها على إغماضٍ، كما يأخذ الرجل حقَّه حبة أو حبتين أو نحوَ ذلك، فلا يلتذُّ بأخذه، ولا يُسَرُّ به. والأكل بالخمسة والراحةِ يُوجب ازدحامَ الطعام على آلاته، وعلى المعدة، وربَّما انسدَّت الآلات فمات، وتُغصب الآلات على دفعه، والمعدة على احتماله، ولا يجد له لذَّة ولا استمراء! فأنفعُ الأكل أكلُه ﷺ، وأكلُ من اقتدى به بالأصابع الثلاث».

أقول (القرضاوي): ولا يزال بعض النَّاس يأكل الثريد والأرز ونحوه باليد وبالأصابع، ويتلذذ به، وأجد كثيرًا من أهل الخليج العربي والهنود وغيرهم لا يزال على هذه العادة، ولا حرج في ذلك ما دام يستعملها بآدابها وبضوابطها، إن لم يكن يتقزز من ذلك أو يتقزز غيره من فعله، وإلا فيستطيع أن يستعمل ما يستعمل أهل الحضر من أدوات الطعام ولا حرج، وكثيرًا ما استعملناها وأعاننا عليها أهل البلاد.

المأكولات الَّتي جُمعت للنبيِّ ﷺ:

يقول ابن القيِّم: «ومن تدبَّر أغذيته ﷺ، وما كان يأكله، وجده لم يجمع قط بين لبن وسمك، ولا بين لبن وحامض، ولا بين غذاءين حارَّين، ولا باردين، ولا لَزِجَين، ولا قابضين، ولا مُسهلين، ولا غليظين، ولا مُرخيين، ولا مستحيلين إلى خلط واحد، ولا بين مختلفين، كقابض ومسهل، وسريع الهضم وبطيئه، ولا بين شَوِيٍّ وطبيخ، ولا بين طري وقديد، ولا بين لبن وبيض، ولا بين لحم ولبن، ولم يكن يأكل طعامًا في وقت شدَّة حرارته، ولا طبيخًا بائتًا يُسخَّن له بالغد، ولا شيئًا من الأطعمة العَفِنَة والمالحة، كالكوامخ والمخلَّلات والملوحات، وكل هذه الأنواع ضار مولِّد لأنواعٍ من الخروج عن الصحَّة والاعتدال.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكان يصلح ضرر بعض الأغذية ببعض إذا وجد إليه سبيلًا، فيكسر حرارة هذا ببرودة هذا، ويُبوسة هذا برطُوبة هذا، كما فعل في القثاء والرطب، وكما كان يأكل التمر بالسمن، وهو الحَيْسُ، ويشربُ نقيع التمر يُلطِّف به كَيموسات الأغذية الشديدة».

وذكر أبو نعيم عنه أنَّه كان ينهى عن النوم على الأكل، ويذكر أنَّه يُقسِي القلب.

ولهذا ذكر ابن القيِّم أنَّ في وصايا الأطباء لمن أراد حفظ الصحَّة: أن يمشي بعد العشاء خُطواتٍ ولو مائة خطوة، ولا ينام عقبه، فإنَّه مضر جدًّا، وقال مسلموهم: أو يُصلي عَقِيبَه ليستقر الغذاء بقعرِ المعدة، فيسهلَ هضمه، ويجودَ بذلك.

قال ابن القيِّم: «ولم يكن من هديه أن يشربَ على طعامه فيفسده، ولا سيما إن كان الماء حارًّا أو باردًا، فإنَّه رديء جدًّا. قال الشاعر:

لا تكُنْ عند أكْلِ سُخْنٍ وبَرْدٍ ... ودخول الحمام تشرب ماءَ
فإذا ما اجتنبت ذلك حقًّا ... لم تَخَفْ ما حَيِيتَ في الجَوْفِ داءَ

ويُكره شرب الماء عَقِيبَ الرياضة والتعب، وعقيب الجماع، وعقيب الطعام وقبله، وعقيب أكل الفاكهة، وإن كان الشربُ عقيب بعضها أسهلَ من بعض. وعقب الحمام، وعند الانتباه من النوم، فهذا كُلُّه منافٍ لحفظ الصحَّة، ولا اعتبار بالعوائد، فإنَّها طبائع ثوانٍ».

الهدْي النبوي في الشراب:

قال ابن القيِّم: «وأمَّا هديه في الشراب، فمن أكمل هدي يحفظ به الصحَّة، فإنَّه كان يشرب العسل الممزوجَ بالماء البارد، وفي هذا من حفظ

QaradawiBooks.com

الصحَّة ما لا يهتدي إلى معرفته إلَّا أفاضل الأطباء، فإن شُربَه ولعقَه على الرِّيق يُذيب البلغم، ويغسِلُ خَمْل المعدة، ويجلو لُزوجتها، ويدفع عنها الفضلات، ويُسخنها باعتدال، ويفتحُ سددها، ويفعل مثل ذلك بالكبد والكُلى والمثانة، وهو أنفع للمعدة من كل حلو دخلها، وإنَّما يضر بالعَرَض لصاحب الصفراء، لحدَّته وحدَّة الصفراء، فربَّما هيَّجها، ودفعُ مضرته لهم بالخلِّ، فيعودُ حينئذٍ لهم نافعًا جدًّا، وشربه أنفع من كثير من الأشربة المتخذة من السكر أو أكثرها، ولا سيما لمن لم يعتد هذه الأشربة، ولا ألفها طبعه، فإنَّه إذا شربها لا تلائمه ملاءمة العسل، ولا قريبًا منه، والمحكَّم في ذلك العادة، فإنَّها تهدم أصولًا، وتبني أصولًا.

وأمَّا الشراب إذا جمع وَصْفي الحلاوة والبرودة، فمن أنفع شيء للبدن، ومن أكبر أسباب حفظ الصحَّة، وللأرواح والقوى، وللكبد والقلب عشقٌ شديد له، واستمداد منه، وإذا كان فيه الوصفان، حصلت به التغذية، وتنفيذُ الطعام إلى الأعضاء، وإيصاله إليها أتم تنفيذ.

والماء البارد رطب يقمع الحرارة، ويحفظ على البدن رطوباته الأصلية، ويرد عليه بدل ما تحلل منها، ويُرقِّق الغِذاء، ويُنفذه في العروق.

والمقصود: أنَّه إذا كان باردًا، وخالطه ما يُحليه كالعسل أو الزبيب، أو التمر أو السكر، كان من أنفع ما يدخل البدن، وحفظ عليه صحته، فلهذا كان أحب الشراب إلى رسول الله ﷺ الباردَ الحلوَ. والماء الفاتِرُ ينفخ، ويفعل ضد هذه الأشياء.

ولما كان الماء البائت أنفعَ من الَّذي يُشرب وقت استقائه، قال النبي ﷺ وقد دخل إلى حائط أبي الهيثم بن التيهان رضي الله عنه: «**هل من ماء بات في شَنَّة؟**».

QaradawiBooks.com

فأتاه به، فشرب منه. رواه البخاري، ولفظه: «**إن كان عندك ماء باتَ في شَنَّة وإلا كَرَعْنا**»[١].

والماء البائت بمنزلة العجين الخمير، والَّذي شرب لوقته بمنزلة الفطير، وأيضًا فإنَّ الأجزاء الترابيَّة والأرضيَّة تفارقه إذا بات، وقد ذكر أنَّ النبيَّ ﷺ كان يُسْتَعْذَبُ له الماء، ويختار البائت منه. وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يُستقى له الماء العذب مِن بئر السقيا[٢].

والماء الَّذي في القِرَب والشِّنَان ألذُّ من الَّذي يكون في آنية الفخار والأحجار وغيرهما، ولا سيما أسقية الأدم، ولهذا التمس النبيُّ ﷺ ماء بات في شَنَّة دون غيرها من الأواني، وفي الماء إذا وضع في الشِّنان، وقِرَب الأدم خاصَّة لطيفة لما فيها من المسام المنفتحة الَّتي يرشَح منها الماء، ولهذا كان الماء في الفخار الَّذي يرشح ألذ منه وأبردُ في الَّذي لا يرشَح، فصلاة الله وسلامه على أكمل الخلق، وأشرفهم نفسًا، وأفضلهم هديًا في كل شيء، لقد دلَّ أمته على أفضل الأمور وأنفعها لهم في القلوب والأبدان، والدنيا والآخرة.

قالت عائشة: كان أحبُّ الشراب إلى رسول الله ﷺ الحلو البارد[٣]. وهذا يحتمل أن يريد به الماء العذب، كمياه العيون والآبار الحلوة، فإنَّه كان يُستعذب له الماء. ويحتمل أن يريد به الماءَ الممزوجَ بالعسل، أو الَّذي نُقِع فيه التمر أو الزبيب. وقد يُقال وهو الأظهر: يعمهما جميعًا.

---

(١) رواه البخاري في الأشربة (٥٦١٣)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) رواه أحمد (٢٤٦٩٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده جيد كما قال الحافظ في الفتح (٧٤/١٠). وأبو داود (٣٧٣٥)، وابن حبان (٥٣٣٢)، كلاهما في الأشربة، عن عائشة.

(٣) سبق تخريجه صـ٤٠٤.

QaradawiBooks.com

الهدي النبوي الشرب قاعدًا:

وكان من هديه الشربُ قاعدًا، هذا كان هديه المعتاد، وصحَّ عنه أنَّه نهى عن الشُّرب قائمًا، وصحَّ عنه أنَّه أمر الَّذي شرب قائمًا أن يستقيءَ[١]، وصحَّ عنه أنَّه شرب قائمًا[٢].

قالت طائفة: هذا ناسخ للنهي، وقالت طائفة: بل مبيِّن أنَّ النهيَ ليس للتحريم، بل للإرشاد وترك الأولى، وقالت طائفة: لا تعارُضَ بينهما أصلًا، فإنَّه إنَّما شَرِبَ قائمًا للحاجة، فإنَّه جاء إلى زمزم، وهم يستقون منها، فاستقى فناولوه الدلو، فشرب وهو قائم، وهذا كان موضعَ حاجة.

وللشرب قائمًا آفات عديدة منها: أنَّه لا يحصل به الرِّيُّ التام، ولا يستقرُّ في المعدة حتَّى يَقْسِمه الكبد على الأعضاء، وينزل بسرعة وَحِدَّة إلى المعدة، فيُخشى منه أن يبرد حرارتها ويُشوِّشها، ويُسرع النفوذ إلى أسفل البدن بغير تدريج، وكل هذا يضُرُّ بالشارب، وأمَّا إذا فعله نادرًا أو لحاجة لم يضره، ولا يُعترض بالعوائد على هذا، فإنَّ العوائد طبائع ثوان، ولها أحكام أخرى، وهي بمنزلة الخارج عن القياس عند الفقهاء»[٣].

هديه ﷺ في الركوب:

ذكر ابن القيِّم أنَّ الرسول ﷺ: ركب الخيلَ والإبل والبغال والحمير، وركب الفرس مُسْرَجَةً تارة، وَعَرِيًّا أخرى، وكان يُجريها في بعض الأحيان، وكان يركب وحده، وهو الأكثر، وربَّما أردف خلفه على البعير،

(١) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٢٦)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الحج (١٦٣٧)، ومسلم في الأشربة (٢٠٢٧)، عن ابن عباس.

(٣) زاد المعاد (١٩٥/٤ ـ ٢١٠) بتصرف، وزيادة ونقصان.

QaradawiBooks.com

وربَّما أردف خلفه، وأركب أمامه، وكانوا ثلاثة على بعير، وأردف الرجال، وأردف بعضَ نسائه، وكان أكثر مراكبه الخيل والإبل[١].

هديه ﷺ في مشيه وحده ومع أصحابه:

«كان إذا مشى، تكفَّأ تكفُّؤًا، وكان أسرَعَ النَّاس مِشيةً، وأحسنَها وأسكنها، قال أبو هُرَيْرة: ما رأيت شيئًا أحسنَ من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيتُ أحدًا أسرَعَ في مِشيته من رسول الله ﷺ، كأنَّما الأرضُ تُطوى له، وإنَّا لَنُجْهِدُ أنفسَنا وإنَّه لغير مُكْتَرِث[٢]. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفَّأ تكفُّؤًا كأنَّما ينحطُّ من صَبَبٍ[٣]. وقال مرة: إذا مشى، تقلَّع.

قلت ـ ابن القيِّم ـ: والتقلُّع: الارتفاعُ من الأرض بجُملته، كحال المنحطِّ من الصَّبب، وهي مِشيَة أولي العزم والهمَّة والشجاعة، وهي أعدلُ المِشيات وأروحُها للأعضاء، وأبعدُها من مِشية الهَوَج والمهانة والتماوت، فإنَّ الماشيَ إما أن يتماوت في مشيه ويمشي قطعة واحدة، كأنَّه خشبة محمولة، وهي مِشية مذمومة قبيحة، وإمَّا أن يمشي بانزعاج واضطراب مشي الجمل الأهوج، وهي مِشْية مذمومة أيضًا، وهي دالَّة على خِفَّة عقل صاحبها، ولا سيما إن كان يُكثِر الالتفات حال مشيه يمينًا وشمالًا، وإمّا أن يمشي هَوْنًا، وهي مِشية عبادِ الرحمن كما وصفهم بها

---

(١) زاد المعاد (١/١٥٣).

(٢) رواه أحمد (٨٦٠٤)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. والترمذي في المناقب (٣٦٤٨)، وقال: غريب. وابن حبان في التاريخ (٦٣٠٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. وانظر فصل: في هديه ﷺ في مشيه وحده ومع أصحابه من كتاب زاد المعاد للإمام ابن القيم (١/١٦١ ـ ١٦٣).

(٣) أي: كأنّه ينزل مرتفع إلى منحدر. والحديث سبق تخريجه صـ٣٥٥.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

في كتابه فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان: ٦٣]. قال غير واحد من السلف: بسكينة ووقار من غير تكبُّر ولا تماوت، وهي مِشية رسول الله ﷺ، فإنَّه مع هذه المِشية كان كأنَّما ينحطُّ من صبَب، وكأنَّما الأرضُ تُطوَى له، حتَّى كان الماشي معه يُجْهِد نفسَه ورسولُ الله ﷺ غيرُ مُكْترِث، وهذا يدل على أمرين: أن مِشيته لم تكن مِشية بتماوت ولا بمهانة، بل مشية أعدل المشيات.

والمشيات عشرة أنواع: هذه الثلاثة منها[١]، **والرابع**: السعي، **والخامس**: الرَّمَل، وهو أسرعُ المشي مع تقارب الخُطا، ويسمَّى: الخَبَب، وفي الصحيح من حديث ابن عمر أنَّ النبيَّ ﷺ خَبَّ في طَوَافِه ثلاثًا، ومشى أربعًا[٢].

السادس: النَّسَلان، وهو العَدْوُ الخفيف الَّذي لا يُزعج الماشي، ولا يَكْرِثُه[٣]. وفي بعض المسانيد أنَّ المشاة شَكَوْا إلى رسول الله ﷺ من المشي في حجة الوداع، فقال: «**استعينوا بالنَّسَلان**»[٤].

والسابع: الخَوْزَلى، وهي مِشية التمايل، وهي مِشية يقال: إن فيها تكسرًا وتخنُّثًا.

والثامن: القهقرى، وهي المشية إلى وراء.

والتاسع: الجَمَزَى، وهي مِشية يَثِبُ فيها الماشي وثبًا.

---

(١) وهي: مشية الاعتدال، ومشية التماوت، ومشية الهون.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٦١٧)، ومسلم (١٢٦١)، كلاهما في الحج.

(٣) يعني: يتعبه ويشق عليه.

(٤) رواه ابن خزيمة في المناسك (٢٥٣٧)، والطبراني في الأوسط (٨١٠٢)، والحاكم في الجهاد (٤٤٣/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن جابر.

QaradawiBooks.com

والعاشر: مِشية التبختر، وهي مِشية أولي العُجب والتكبُّر، وهي الَّتي خَسَفَ الله سبحانه بصاحبها لما نظر في عِطْفَيْه وأعجبته نفسُه، فهو يتجلجلُ في الأرض إلى يوم القيامة[١].

وأعدلُ هذه المِشيات مِشية الهَوْنِ والتكفُّؤ.

وأمَّا مشيه مع أصحابه، فكانوا يمشون بين يديه وهو خلفهم، ويقول: «**دعوا ظهري للملائكة**»[٢]. ولهذا جاء في الحديث: وكان يسوقُ أصحابه[٣]. وكان يمشي حافيًا ومنتعلًا، وكان يماشي أصحابه فُرادى وجماعة، ومشى في بعض غزواته مرَّة، فدميت أصبُعُه وسال منها الدمُ، فقال:

هل أنتِ إلَّا أُصْبُعٌ دميتِ ... وفي سبيلِ اللهِ ما لَقِيتِ[٤]

وكان في السفر ساقَة أصحابِه: يُزجي الضعيفَ[٥] ويُردفه، ويدعو لهم[٦].

---

(١) الأولى: مِشْية التقلُّع أو التكفُّؤ. والثانية: مشية الانزعاج والاضطراب. والثالثة: مشية الهون.

(٢) رواه أحمد (١٤٢٣٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٢٤٦)، وابن حبان في التاريخ (٦٣١٢)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣٦/١): إسناده صحيح رجاله ثقات. عن جابر بن عبد الله.

(٣) جزء من حديث هند بن أبي هالة الطويل في وصف النبي ﷺ رواه الطبراني (١٥٥/٢٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٠٢٦): فيه من لم يسم.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري (٢٨٠٢)، ومسلم (١٧٩٦)، كلاهما في الجهاد والسير، عن جندب بن سفيان.

(٥) أَي يَسُوقُه سوقًا رفيقًا لِيُلْحِقه بالرِّفاق.

(٦) رواه أبو داود (٢٦٣٩)، والحاكم (١١٥/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، كلاهما في الجهاد، وحسَّن إسناده النووي في رياض الصالحين (٩٧١)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢١٢٠)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

هديه ﷺ في جلوسه واتكائه:

كان يجلس على الأرض، وعلى الحصير، والبساط، وقالت قَيْلَة بنت مَخْرَمَة: أتيتُ رسول الله ﷺ وهو قاعد القُرفصاء، قالت: فلمَّا رأيت رسول الله ﷺ كالمتخشِّع في الجِلسة، أُرعِدتُ من الفَرَق[١].

ولما قدم عليه عديُّ بنُ حاتم، دعاه إلى منزله، فألقت إليه الجاريةُ وِسادة يجلِس عليها، فجعلها بينه وبين عدي، وجلس على الأرض. قال عدي: فعرفتُ أنَّه ليس بملك[٢].

وكان يستلقي أحيانًا، وربَّما وضع إحدى رجليه على الأخرى، وكان يتكئ على الوسادة، وربَّما اتكأ على يساره، وربَّما اتكأ على يمينه. وكان إذا احتاج في خروجه توكأ على بعض أصحابه من الضعف.

هديه ﷺ عند قضاء الحاجة:

كان إذا دخل الخلاء قال: «**اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الخُبُث والخبائث**»[٣]. الرجس النجس الشيطان الرجيم.

وكان إذا خرج يقول: «**غفرانك**»[٤].

وكان يستنجي بالماء تارة، ويستجمِر بالأحجار تارة، ويجمع بينهما تارة.

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٨٤٧)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٧٨)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٤٠٥٧).

(٢) رواه الطبري في تاريخه (١١٢/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (١٤٢)، ومسلم في الحيض (٣٧٥)، عن أنس.

(٤) سبق تخريجه صـ٥١.

QaradawiBooks.com

وكان إذا ذهب في سفره للحاجة، انطلق حتَّى يتوارَى عن أصحابه، وربَّما كان يبعُد نحو الميلين.

وكان يستَتِر للحاجة بالهَدَف تارة، وبحائش النخل تارة، وبشجر الوادي تارة.

وكان إذا أراد أن يبول في عزاز من الأرض ـ وهو الموضع الصلب ـ أخذ عودًا من الأرض، فنكت به حتَّى يُثَرَّى ثمَّ يبول.

وكان يرتاد لبوله الموضع الدَّمِث ـ وهو اللين الرخو من الأرض ـ وأكثر ما كان يبول وهو قاعد، حتَّى قالت عائشة: مَنْ حدَّثكم أنَّه كان يبول قائمًا، فلا تُصدِّقوه، ما كان يبول إلَّا قاعدًا[1].

وقد روى مسلم في «صحيحه» من حديث حذيفة أنَّه بال قائمًا[2].

فقيل: هذا بيان للجواز. وقيل: إنَّما فعله من وجع كان بمَأْبِضَيْه[3]. وقيل: فعله استشفاءً.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: والعرب تستشفي من وجع الصُّلب بالبول قائمًا[4].

---

(١) رواه أحمد (٢٥٠٤٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والترمذي (١٢)، وقال: حديث عائشة أحسن شيء في الباب وأصح. والنسائي (٢٩)، وابن ماجه (٣٠٧)، والبيهقي (١٠١/١)، جميعهم في الطهارة، وقال النووي في المجموع (٨٤/٢): إسناده جيد وهو حديث حسن. وقال الألباني في الإرواء (٥٧): سنده صحيح على شرط مسلم.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (٢٢٤)، ومسلم في الطهارة (٢٧٣).

(٣) أي: باطني ركبتيه.

(٤) شرح مسلم للنووي (١٦٥/٣).

QaradawiBooks.com

قال ابن القيِّم: «والصحيح أنَّــه إنَّما فعل ذلك تنزهًا وبُعْدًا من إصابة البول، فإنَّه إنَّمــا فعل هذا لما أتى سُــباطة قوم، وهو مَلقى الكناســة، وتســمَّى المزبلة، وهي تكون مرتفعة، فلو بال فيها الرجل قاعدًا لارتد عليه بولُه، وهو ﷺ اســتتر بها، وجعلها بينه وبين الحائط، فلم يكن بدٌّ من بوله قائمًا، والله أعلم».

قال القرضــاوي: وهنا تنبيه لا بدّ منــه، وهو يدل علــى أنَّ الدُّنيا تغيَّرت، فلم يعد يمكــن للنَّاس أن يعتمدوا في بولهــم وبرازهم على الخلاء خارج البيوت، ولم يعد ذلك ســهلًا ولا ممكنًا، كما كان ذلك في الزمن الماضي، ولم يعد يطيق أحد أن يتبرز خارج بيته، ويستعمل الأحجار ويســتجمر بها، كل ذلك لــم يعد ممكنًا، ولــم تعد البيوت تستقذر بسبب البول والتبرز بها، بل أصبح الحمام في البيت أو المنزل ضرورة أساســيَّة لا يمكن الاســتغناء عنها، وغدت تكلف كثيرًا. وقد توسعت المساكن، فلم تعد لصيقة الخلاء والمزارع والصحارى، فيجب أن نفهــم ما قرأناه من ذلك علــى حاجة الزمان إلــى ذلك، وحاجات الزمان تتغير، والأحكام الشرعية تتغير تبعًا لذلك. ولا أتصور بدويًّا أو فلاحًا يدرس الحديث، ويقول: السُّــنَّة أن تفعل كما كان يفعل الرسول والصحابة، فهــذا أبعد ما يكون عن فقه الإســلام، وأبعــد عن هدْي الرسول وأصحابه.

قال ابن القيِّم: «وكان الرسول يخرج من الخلاء، فيقرأ القرآن، وكان يستنجي، ويستجمِر بشماله.

وكان إذا استنجى بالماء، ضرب يده بعد ذلك على الأرض، وكان إذا جلس لحاجته، لم يرفع ثوبَه حتَّى يدنُوَ من الأرض».

QaradawiBooks.com

هديه ﷺ في الفطرة وتوابعها:

ثم ذكر ابن القيِّم هديه في سنن الفطرة نقتصر منه على ما هو له ارتباط بموضوعنا وهو الرياضة وما يتعلق بها من الحفاظ على الصحَّة، وأهم وسائلها النظافة والتطهر، قال ابن القيِّم: «وكان يُعجبه التَّيمُّن في تنعُّلِه وترجُّلِه وطهورِه وأخذه وعطائه[١]، وكانت يمينُه لطعامه وشرابه وطهوره، ويساره لِخَلائه ونحوه من إزالة الأذى...

وكان يُحب السِّواك، وكان يستاك مفطرًا وصائمًا، ويستاك عند الانتباه من النوم، وعند الوضوء، وعند الصلاة، وعند دخول المنزل، وكان يستاك بعُود الأراك.

وكان يُكثر التطيبَ ويحب الطِّيب، وذُكِر عنه أنَّه كان يَطَّلي بالنَّوْرة[٢]...

ولم يدخل حمَّامًا قطُّ، ولعلَّه ما رآه بعينه، ولم يصحَّ في الحمَّام حديث[٣].

---

(١) عن عائشة، قالت: كان النبي ﷺ «يعجبه التيمُّن، في تنعُّله، وترجُّله، وطهوره، وفي شأنه كلِّه» متَّفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (١٦٨)، ومسلم في الطهارة (٢٦٨).

(٢) رواه ابن ماجه في الأدب (٣٧٥١)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٢١/٤): رجاله ثقات وهو منقطع؛ حبيب بن أبي ثابت لم يسمع من أم سلمة. وضعَّفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٨٢٢).

(٣) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في تعليقه على زاد المعاد: لقد أخطأ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا النفي، فقد ورد في الباب ثلاثة أحاديث صحيحة، الأول حديث جابر مرفوعًا: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يُدخل حليلته الحمام، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يدخل الحمام إلَّا بمئزر، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يجلس على مائدة يُدار عليها الخمر». رواه الترمذي في الأدب (٢٨٠١)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الغسل والتيمم (٤٠١) الشطر الأول منه. والحاكم في الأدب (٢٨٨/٤)، وصحَّحه على شرط مسلم، =

QaradawiBooks.com

الهدي النبوي في تدبيره لأمر النوم واليقظة:

قال ابن القيِّم: «من تدبَّر نومه ويقظته ﷺ وجده أعدلَ نوم، وأنفعَه للبدن والأعضاء والقوى، فإنَّه كان ينام أوَّل الليل، ويستيقظ في أوَّل النصف الثاني، فيقوم ويستاك، ويتوضأ ويصلي ما كتب الله له، فيأخذ البدن والأعضاء والقوى حظَّها من النوم والراحة، وحظَّها من الرياضة، مع وفور الأجر، وهذا غاية صلاح القلب والبدن، والدنيا والآخرة.

ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج إليه، ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج إليه منه، وكان يفعله على أكمل الوجوه، فينام إذا دعته

= ووافقه الذهبي. وجوَّد إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢٥٠/٩)، وله شواهد كثيرة، انظرها في الترغيب والترهيب (٨٨/١ ـ ٩١) في الطهارة: باب الترهيب من دخول الرجال الحمام بغير أزر، ومجمع الزوائد (٢٧٧/١ ـ ٢٧٩) فهو صحيح.

الثاني: حديث أم الدرداء، رواه أحمد (٢٧٠٣٨)، والدولابي في الكنى والألقاب (١٨٩١) بإسنادين أحدهما صحيح، وقوّاه المنذري، قالت: خرجت من الحمام، فلقيني رسول الله ﷺ، فقال: من أين يا أم الدرداء؟ قالت: من الحمام، فقال: «والذي نفسي بيده ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت أحد من أمهاتها إلَّا وهي هاتكة كل ستر بينها وبين الرحمن». وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥١٧)، وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح.

الثالث: حديث أبي المليح، قال: دخل نسوة من أهل الشام على عائشة رضي الله عنها فقالت: ممن أنتن؟ قلن: من أهل الشام، قالت: لعلكن من الكورة (بلدة) التي تدخل نساؤها الحمامات؟ قلن: نعم، قالت: أمَا إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها إلَّا هتكت ما بينها وبين الله تعالى». رواه أبو داود (٤٠١٠)، والترمذي (٢٨٠٣)، وحسَّنه، وابن ماجه (٣٧٥٠)، وصحَّحه الحاكم (٢٨٨/٤)، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا. وفي هذه الأحاديث تأكد مشروعية اتخاذ الحمامات في البيوت. ورواه الحاكم (٢٨٨/٤) من حديث ابن عباس مرفوعًا: «اتقوا بيتًا يقال له الحمام». قالوا: يا رسول الله، إنَّه يذهب الدرن، وينفع المريض. قال: «فمن دخله، فليستتر». وصحَّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، ورواه الطبراني (٢٥/١١)، والضياء المقدسي في المختارة (٦١).

زاد المعاد (١٦١/١ ـ ١٦٨) بتصرف مع زيادة ونقصان.

QaradawiBooks.com

الحاجة إلى النوم على شقه الأيمن، ذاكرًا الله حتَّى تغلبه عيناه، غير ممتلئ البدن من الطعام والشراب، ولا مباشر بجنبه الأرض، ولا متَّخذ للفرش المرتفعة، بل له ضجاع من أَدَم حشوه ليف، وكان يضطجع على الوسادة، ويضع يده تحت خده أحيانًا.

وللنوم فائدتان جليلتان، إحداهما: سكون الجوارح وراحتها ممَّا يعرض لها من التعب، فيُريح الحواس من نصب اليقظة، ويزيل الإعياء والكلال.

والثانية: هضم الغذاء، ونضج الأخلاط؛ لأنَّ الحرارة الغريزية في وقت النوم تَغور إلى باطن البدن، فتُعين على ذلك، ولهذا يبرد ظاهره ويحتاج النائم إلى فضل دِثَار.

والنوم المعتدل ممكِّن للقوى الطبيعية من أفعالها، مريح للقوة النفسانيَّة، مُكثر من جوهر حاملها، حتَّى إنَّه ربَّما عاد بإرخائه مانعًا من تحلل الأرواح.

ونوم النَّهار رديء يُورث الأمراض الرطوبيَّة والنوازلَ، ويُفسد اللون، ويورث الطِّحال، ويُرخي العصب، ويكسل، ويُضعف الشهوة إلَّا في الصيف وقت الهاجرة، وأردؤه نومُ أوَّل النهار، وأردأ منه النوم آخره بعدَ العصر، ورأى عبد الله بن عبَّاس ابنًا له نائمًا نومة الصُّبْحَة، فقال له: «قم، أتنام في الساعة الَّتي تقسم فيها الأرزاق»[1]؟

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إذا أتيتَ مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثمَّ اضطجع على شقك الأيمن،**

(١) رواه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٢٢١/٥)، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.

QaradawiBooks.com

ثمَّ قل: اللهمَّ إنِّي أسلمتُ نفسي إليك، ووجَّهت وجهي إليك، وفوَّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلَّا إليك، آمنتُ بكتابك الَّذي أنزلتَ، ونبيِّك الَّذي أرسلتَ. واجعلهنَّ آخر كلامك، فإنْ مُتَّ من ليلتك، مُتَّ على الفطرة»[1].

وفي «صحيح البخاري»، عن عائشة، أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا صَلَّى ركعتي الفجر ـ يعني سنتها ـ اضطجع على شِقِّه الأيمن[2].

وقد قيل: إنَّ الحكمة في النوم على الجانب الأيمن ألَّا يستغرق النائم في نومه؛ لأنَّ القلب فيه ميل إلى جهة اليسار، فإذا نام على جنبه الأيمن، طلب القلبُ مستقره من الجانب الأيسر، وذلك يمنع من استقرار النائم واستثقاله في نومه، بخلاف قراره في النوم على اليسار، فإنَّه مستقرُّه فيحصُل بذلك الدعة التامَّة، فيستغرق الإنسان في نومه ويستثقل، فيفوتُه مصالح دينه ودنياه.

ولما كان النائمُ بمنزلة الميت، والنومُ أخو الموت ـ ولهذا يستحيل على الحيِّ الَّذي لا يموت، وأهل الجنَّة لا ينامون فيها ـ كان النائمُ محتاجًا إلى من يحرس نفسَه، ويحفظُها ممَّا يَعْرِض لها من الآفات، ويحرُسُ بدنه أيضًا من طوارق الآفات، وكان ربُّه وفاطره تعالى هو المتولي لذلك وحدَه. علَّم النبي ﷺ النائمَ أن يقول كلماتِ التفويضِ والالتجاء، والرغبة والرهبة، ليستدعي بها كمال حفظ الله له، وحراسته لنفسه وبدنه، وأرشده مع ذلك إلى أن يستذكِرَ الإيمان، وينامَ عليه، ويجعل التكلُّم به آخر كلامه، فإنَّه ربَّما توفَّاه الله في منامه، فإذا كان

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (٢٤٧)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٠).
(٢) رواه البخاري في الأذان (٦٢٦).

QaradawiBooks.com

الإيمان آخر كلامه دخل الجنَّة، فتضمن هذا الهديُ في المنام مصالحَ القلب والبدن والرُّوح في النوم واليقظة، والدنيا والآخرة، فصلواتُ الله وسلامه على من نالت به أمَّتُه كلَّ خير.

وقوله: «**أسلمتُ نفسي إليك**»، أي: جعلتها مسلَمَة لك تسليمَ العبد المملوك نفسه إلى سيده ومالكه. وتوجيهُ وجهه إليه يتضمَّن إقبالَه بالكليَّة على ربه، وإخلاص القصد والإرادة له، وإقراره بالخضوع والذل والانقياد، قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران: ٢٠]. وذكر الوجه إذ هو أشرفُ ما في الإنسان، ومجمعُ الحواس، وأيضًا ففيه معنى التوجه والقصد من قوله:

أستغْفِرُ اللهَ ذَنْبًا لستُ مُحْصِيَه ربُّ العبادِ إليه الوجْهُ والعملُ[1]

وتفويض الأمر إليه ردُّه إلى الله سبحانه، وذلك يُوجبُ سكون القلب وطمأنينته، والرضا بما يقضيه ويختارُه له ممَّا يحبه ويرضاه، والتفويضُ من أشرف مقامات العبوديَّة، ولا علة فيه، وهو من مقامات الخاصَّة خلافًا لزاعمي خلاف ذلك.

وإلجاء الظهر إليه سبحانه يتضمَّن قوةَ الاعتماد عليه، والثقة به والسكونَ إليه، والتوكلَ عليه، فإنَّ مَن أسند ظهره إلى ركن وثيق، لم يخف السقوط.

ولما كان للقلب قوّتان: قوة الطلب، وهي الرغبة، وقوة الهرب، وهي الرهبة، وكان العبد طالبًا لمصالحه، هاربًا مِن مضارِّه، جمع الأمرين في

(١) ذكره من غير نسبة: سيبويه في الكتاب (٣٧/١)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

هذا التفويض والتوجه، فقال: رغبة ورهبة إليك، ثمَّ أثنى على ربه، بأنَّه لا ملجأ للعبد سواه، ولا منجا له منه غيره، فهو الَّذي يلجأ إليه العبدُ ليُنْجِيَه من نفسه، كما في الحديث الآخر: «**أعوذ برضاك من سَخَطِك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك**»[(١)]، فهو سبحانه الَّذي يُعيذ عبده ويُنجيه من بأسه الَّذي هو بمشيئته وقدرته، فمنه البلاء ومنه الإعانة، ومنه ما يطلب النجاة منه، وإليه الالتجاء في النجاة، فهو الَّذي يُلجأ إليه في أن يُنجيَ ممَّا منه، ويُستعاذ به ممَّا منه، فهو ربُّ كل شيء، ولا يكون شيء إلَّا بمشيئته: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧] ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧]، ثمَّ ختم الدعاء بالإقرار بالإيمان بكتابه ورسوله الَّذي هو مَلاك النجاة، والفوز في الدُّنيا والآخرة، فهذا هديه في نومه.

لو لم يقل إنِّي رسولٌ لَكَا نَ شاهِدٌ في هَدْيِه يَنْطِقُ

قلت (القرضاوي): وهذه الأدعية، وتلك الصلة بالله لها أثرها في الصحَّة النفسية للإنسان، وللصحة النفسية أثرها في صحة الجسد واعتدال المزاج، حتَّى وجدنا الدكتور كارل بانج في كتابه «الإنسان العصري يبحث عن نفسه» يقول: «إن كلَّ المرضى الَّذين استشاروني خلال الثلاثين سنة الماضية، من كلِّ أنحاء العالم، كان سبب مرضهم هو نقص إيمانهم، وتزعزع عقائدهم، ولم ينالوا الشفاء إلَّا بعد أن استعادوا إيمانهم»[(٢)].

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٦)، وأحمد (٢٥٦٥٥)، عن عائشة.

(٢) انظر: «الإسلام يتحدى» لوحيد الدين خان صـ ٢٨١، ترجمة ظفر الإسلام خان، نشر دار البحوث العلمية، بيروت، ط ١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

QaradawiBooks.com

الهدْي النبوي في اليقظة:

«وأمَّا هديُه في يقظته، فكان يستيقظ إذا صاح الصَّارخُ وهو الدِّيك، فيحمَدُ اللهَ تعالى ويكبِّره، ويُهلِّله ويدعوه، ثمَّ يستاك، ثمَّ يقوم إلى وضوئه، ثمَّ يقفُ للصلاة بين يدَيْ ربِّه، مناجيًا له بكلامه، مُثنيًا عليه، راجيًا له، راغبًا راهبًا، فأيُّ حفظ لصحة القلب والبدن، والروح والقُوى، ولنعيم الدُّنيا والآخرة فوقَ هذا.

الهديُ النبوي في تدبير أمر الرياضة:

وأمَّا تدبيرُ الحركة والسكون، وهو الرياضة، فنذكر منها فصلًا يعلم منه مطابقة هديه في ذلك لأكمل أنواعها وأحمدها وأصوبها، فنقول:

من المعلوم افتقارُ البدن في بقائه إلى الغذاء والشراب، ولا يصير الغذاء بجملته جزءًا من البدن، بل لا بدَّ أن يبقى منه عند كل هضم بقية ما، إذا كثُرت على ممر الزمان اجتمع منها شيء له كمية وكيفية، فيضُرُّ بكميته بأنْ يسدَّ ويثقل البدن، ويوجب أمراضَ الاحتباس، وإن استفرغ تأذَّى البدن بالأدوية، لأن أكثرها سُمِّيَّةٌ، ولا تخلو من إخراج الصالح المنتفع به، ويضر بكيفيته، بأن يسخن بنفسه، أو بالعفن، أو يبرد بنفسه، أو يضعف الحرارة الغريزية عن إنضاجه.

وسدد الفضلات لا محالة ضارة، تُركَت أو استفرغت، والحركة أقوى الأسباب في منع تولدها، فإنَّها تُسخن الأعضاء، وتُسيل فضلاتها، فلا تَجتَمِعُ على طول الزمان، وتُعوِّدُ البدن الخفةَ والنشاط، وتجعلُه قابلًا للغذاء، وتُصلِّب المفاصِل، وتُقوي الأوتار والرباطات، وتُؤمن جميع الأمراض الماديَّة، وأكثر الأمراض المزاجية إذا استُعملَ القدر المعتدل منها في وقته، وكان باقي التدبير صوابًا».

QaradawiBooks.com

أوقات الرياضة المعتدلة وممارساتها:

يقول ابن القيِّم: «ووقت الرياضة بعد انحدار الغذاء، وكمال الهضم.

والرياضة المعتدلة هي الَّتي تحمرُّ فيها البشرة، ويتندى بها البدن، وأمَّا الَّتي يلزمُها سيلان العرق فمُفرِطة، وأي عضو كثرت رياضتُه قوي، وخصوصًا على نوع تلك الرياضة، بل كل قوة فهذا شأنها، فإن من استكثر من الحفظ قويت حافِظَتُه، ومن استكثر من الفكر قويت قُوَّتُه المفكِّرة، ولكل عضوٍ رياضة تخصُّه، فللصدر القراءة، فليبتدئ فيها من الخفيَّة إلى الجهر بتدريج، ورياضة السمع بسمع الأصوات والكلام بالتدريج، فينتقل من الأخف إلى الأثقل، وكذلك رياضةُ اللسان في الكلام، وكذلك رياضة البصر، وكذلك رياضة المشي بالتدريج شيئًا فشيئًا.

وأمَّا ركوب الخيل، ورمي النُّشاب، والصِّراع، والمسابقة على الأقدام، فرياضة للبدن كله، وهي قالعة لأمراض مزمنة، كالجُذام والاستسقاء والقَوْلُنج.

ورياضة النفوس بالتعلم والتأدب، والفرح والسرور، والصبر والثبات، والإقدام والسماحة، وفِعل الخير، ونحو ذلك ممَّا ترتاض به النفوسُ، ومن أعظم رياضتها: الصبر والحب، والشجاعة والإحسان، فلا تزال ترتاض بذلك شيئًا فشيئًا حتَّى تَصيرَ لها هذه الصفاتُ هيئاتٍ راسخة، وملكاتٍ ثابتة.

وأنت إذا تأمَّلتَ هديَه ﷺ في ذلك، وجدتَه أكمل هدي حافظ للصحة والقوى، ونافع في المعاش والمعاد.

QaradawiBooks.com

ولا ريبَ أنَّ الصلاة نفسَها فيها من حِفظ صحَّة البدن، وإذابة أخلاطه وفضلاته ما هو من أنفع شيء له سوى ما فيها مِن حفظ صحة الإيمان، وسعادة الدُّنيا والآخرة، وكذلك قيامُ الليل مِن أنفع أسباب حفظ الصحَّة، ومن أمنع الأمور لكثير من الأمراض المزمنة، ومن أنشط شيء للبدن والروح والقلب، كما في الصحيحين عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**يَعْقِدُ الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقَدٍ يَضْرِب على كل عُقْدَة: عليك لَيْلٌ طويل، فارْقُدْ، فإن هو استيقظ، فذكر الله انْحَلَّتْ عُقْدةٌ، فإن توضَّأَ انحَلَّتْ عُقْدَةٌ ثانية، فإن صلى انحلت عُقَدُهُ كلُّها، فأصبح نشيطًا طيِّبَ النَّفْسِ، وإلَّا أصبح خبيثَ النَّفْسِ كسلان**»[1].

وفي الصوم الشرعي من أسباب حفظ الصحَّة ورياضة البدن والنفس ما لا يدفعه صحيحُ الفطرة.

وأمَّا الجهاد وما فيه مِنَ الحركات الكلية الَّتي هي من أعظم أسباب القوة، وحفظ الصحَّة، وصلابة القلب والبدن، ودفع فضلاتهما، وزوالِ الهم والغم والحزن، فأمر إنَّما يعرفه من له منه نصيب.

وكذلك الحج، وفعل المناسك، وكذلك المسابقة على الخيل، وبالنِّصال، والمشي في الحوائج، وإلى الإخوان، وقضاء حقوقهم، وعيادة مرضاهم، وتشييع جنائزهم، والمشي إلى المساجد للجُمعات والجماعات، وحركة الوضوء، والاغتسال، وغير ذلك.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٤٢)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٧٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وهذا أقلُّ ما فيه الرياضة المعينة على حفظ الصحَّة، ودفع الفضلات، وأمَّا ما شرع له من التوصل به إلى خيرات الدُّنيا والآخرة، ودفع شرورهما، فأمر وراء ذلك.

فعلمتَ أنَّ هديه فوق كل هدي في طبِّ الأبدان والقلوب، وحفظ صحَّتها، ودفع أسقامهما، ولا مزيد على ذلك لمن قد أحضر رشده، وبالله التوفيق»[١].

حث النبي ﷺ أصحابه على القوَّة البدنيَّة

وقد حفظت لنا دواوين السُّنَّة عشرات الأحاديث الَّتي تحث على القوَّة البدنيَّة، فعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القويّ خير وأحبّ إِلَى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنِّي فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[٢].

وهناك أحاديث لرسول الله ﷺ في ميادين عديدة من الرياضة:

في رياضة الرمي وهي من ألوان ألعاب القوَّة: عن عقبة بن عامر أنّ رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية على المنبر: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ...﴾ [الأنفال: ٦٠]. قال: «**ألا إنَّ القوَّة الرمي**» ثلاث مرات[٣]. «**ألا إنَّ الله سيفتح لكم الأرض، وستُكْفَون المؤونة، فلا يعجزن أحدكم أن يلهو بأَسْهُمِه**»[٤].

---

(١) زاد المعاد (٤/٢١٨ ـ ٢٢٧) بتصرف.

(٢) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٨٢٩).

(٣) رواه مسلم في الإمارة (١٩١٧)، أحمد (١٧٤٣٢)، عن عقبة بن عامر.

(٤) رواه مسلم في الإمارة (١٩١٨)، وأحمد (١٧٤٣٣)، عن عقبة بن عامر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة يتترَّس مع النبيِّ ﷺ بتُرس واحد، وكان أبو طلحة حسنَ الرمي، فكان إذا رمى تشرَّف النبيُّ ﷺ ينظر إِلَى موضع نَبْله[١].

عن سعد بن أبي وقَّاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالرمي فإنَّه خير لعبكم**»[٢].

عن يزيد بن أبي عبيد قال: سمعت سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: مرّ النبي على نفر من أسلم ينتضلون، فقال النبي ﷺ: «**ارموا بني إسماعيل فإنَّ أباكم كان راميًا**»[٣].

وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: علِّموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل[٤].

وعن جابر بن عبد الله، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**كلّ شيء ليس من ذكر الله لهوٌ ولعبٌ، إِلَّا أن يكون أربعة: ملاعبةُ الرجلِ امرأتَه، وتأديبُ الرجلِ فرسَه، ومشيُ الرجلِ بين الغرضين، وتعليمُ الرجلِ السباحة**»[٥].

---

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٠٢).

(٢) رواه البزار (١١٤٦)، وقال: وهذا الحديث هو عند الثقات موقوف. والطبراني في الأوسط (٣٠٤٩)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢٠١٢): إسناده جيد قوي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٣٨٢): رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار رجال الصحيح، خلا حاتم بن الليث وهو ثقة وكذلك رجال الطبراني. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٦٦).

(٣) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩٩).

(٤) رواه أبو يعقوب القراب في فضائل الرمي في سبيل الله (١٥)، تحقيق مشهور حسن محود سلمان، نشر مكتبة المنار، الأردن ـ الزرقاء، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(٥) رواه النسائي في الكبرى في عشرة النساء (٨٨٩٠)، والطبراني (١٩٣/٢)، وقال المنذري في الترغيب (٢٠١٤): إسناد جيد. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٣٧١): رجال الطبراني رجال الصحيح، خلا عبد الوهاب بن بخت، وهو ثقة. وصحَّح إسناده ابن حجر في الإصابة (٥٥٠/١).

QaradawiBooks.com

صور الرياضة في حياة النبي ﷺ والصحابة:

قد عُرف في عهد الرسول أنواع من الرياضة، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتسابقون، وكان رسول الله يُقرّهم على ذلك.

ومن أمثلة ذلك:

• **الرماية والفروسيَّة وركوب الخيل:**

ففي حديث أبي هُرَيْرة، أنَّ النبيّ قال: «**لا سَبْقَ إِلَّا في خُفٍّ أو حافرٍ أو نَصْلٍ**»(١).

• **السباحة:** قال عمر بن الخطاب: علِّموا أولادكم السباحة والرماية، ومرُوهم فليثبوا على ظهور الخيل وثبًا(٢).

• **المصارعة:** وقد كانت المصارعة زمن الرسول منافسة تظهر قوَّة الرجال بحيث يلقي أحد المنافسين الآخر أرضًا دون إيذاء أو ضرر أو سخرية منه، كما فعل الرسول مع ركانة، حيث كان رجلٌ اسمه ركانة بن زيد صارع الرسول ﷺ، وكان أقوى الرجال في المدينة، فصرعهُ النبيُّ ﷺ(٣).

• **سباق الإبل والخيل:** ففي صحيح البخاري: حدثنا عبد الله بن محمَّد، حدثنا معاوية، حدثنا أبو إسحاق، عن موسى بن عقبة، عن نافع،

---

(١) رواه أحمد (١٠١٣٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٢٥٧٤)، والترمذي (١٧٠٠)، كلاهما في الجهاد، والنسائي في الخيل (٣٥٨٦)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٧٨)، وأعلَّه الدارقطني في العلل (٣٠١/٩) بالوقف.

(٢) سبق تخريجه صـ٦٢٧.

(٣) عن أبي جعفر بن محمد بن علي بن ركانة، عن أبيه، أن ركانة صارع النبي ﷺ فصرعه النبي ﷺ. رواه أبو داود (٤٠٧٨)، والترمذي (١٧٨٤)، وقال: حديث غريب، وليس إسناده بالقائم. كلاهما في اللباس، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٣٧٨).

QaradawiBooks.com

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سابق الرسول ﷺ بين الخيل الَّتي أُضمرت، فأرسلها من الحَفْياء، وكان أمدها ثنية الوداع ـ قال [أبو إسحاق الفزاري]: فقلت لِموسى [ابن عقبة]: فكم كان بين ذلك؟ قال: ستَّة أميال أو سبعة ـ وسابق بين الخيل الَّتي تضمَّر، وأرسلها من ثنية الوداع، وكان أمدها مسجد بني زُريق. قلت: فكم بين ذلك؟ قال: ميل أو نحوه، وكان ابن عمر مِمّن سابق فيها[(١)].

وروى أيضًا عن ابن عمر قال: سابق بين الخيل وأعطى السابق[(٢)].

عن أنس رضي الله عنه: كان للنبيِّ ﷺ ناقة تسمَّى العَضْباء، لا تسبق. قال حميد [الراوي عن أنس]: أو لا تكاد تُسبق. فجاء أعرابي على قَعود فسبقها، فشقّ ذلك على المسلمين، حتَّى عرف النبيُّ ﷺ فقال: «**حقٌّ على الله ألَّا يرتفع شيء من الدُّنيا إلَّا وضعه**»[(٣)].

موافقة الرسول على اللعب:

وقد روت عائشةُ زوج النبيِّ ﷺ: كان الحبشُ يلعبون بحرابهم، فسترني رسول الله ﷺ وأنا أنظر، فما زلت أنظر حتَّى كنت أَنا أنصرف[(٤)]»[(٥)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٧٠)، ومسلم في الإمارة (١٨٧٠).

(٢) رواه أحمد (٥٦٥٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال البوصيري في الإتحاف (٤٨٠٨): وفي الإسناد عبد الله بن عمر العامري، وهو ضعيف. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٣٩٠).

(٣) في الجهاد والسير (٢٨٧٢).

(٤) رواه البخاري في النكاح (٥١٩٠).

(٥) الرياضة والترفيه أحكام وضوابط، ضمن أعمال ندوة تطور العلوم الفقهية (الفقه الحضاري، فقه العمران) صـ ١٥١ ـ ١٥٣، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عمان، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الرسول المبعوث إلى العالم

اقتضت حكمته تعالى أن تكون شرائع الرسل الَّذين سبقوا محمدًا عليهم جميعًا السلام شرائع محدودة موقوتة في زمنها وفي المخاطبين بها، فهي لأقوام معينين، في مرحلة زمنية خاصة، وكان هذا هو الموافق للحكمة والمصلحة، فلم تكن البشريَّة في طور يسمح لها بتقبل شريعة عامة خالدة.

كان سيِّدنا إبراهيم عليه السلام الملقَّب بـ «أبي الأنبياء» مبعوثًا إلى قوم معيَّنين، وزمان محدَّد، ونجد في عصره ابن أخيه لوط، أرسله الله إلى القرية الَّتي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قومًا فاسقين، وقد أرسل الله بعد إبراهيم ابنيه إسماعيل وإسحاق، إسماعيل في مكَّة وبين العرب، وإسحاق في الشام وما حولها، ثمَّ يعقوب ثمَّ يوسف، وهكذا كل نبي محدود الرسالة من حيث الزمان والمكان.

وقبل إبراهيم: نوح عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ [نوح: ١]، وظل داعيًا في قومه ألف سنة إلَّا خمسين عامًا، فما آمن معه إلَّا قليل، وانتهى الأمر بإهلاكهم بدعوة نبيِّهم: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧].

وموسى عليه السلام من أعظم رُسُل بني إسرائيل والرسول الأعظم بين إبراهيم ومحمد عليهما السلام، أرسله الله إلى فرعون وقومه، وإلى بني إسرائيل.

QaradawiBooks.com

والمسيح عيسى بن مريم عليه السلام، آخر الأنبياء قبل محمَّد ﷺ، أرسله الله إلى قومه، إلى بني إسرائيل، قال تعالى عن المسيح: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران: ٤٩]. فالمسيحية في أصلها الَّذي بعث بها المسيح عليه السلام لم تكن رسالة عالميَّة، وقد بيَّن المسيح عليه السلام، في الإنجيل، أنَّه لم يبعث إلَّا إلى خراف بني إسرائيل الضالَّة[١].

وقال تعالى في «سورة الصف» المدنيَّة: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [الصف: ٦].

فلما بلغت البشريَّة طورها الأخير، وعلم الله جلَّ شأنه أنَّها أصبحت صالحة لأن تتنزل عليها الرسالة العامَّة العالميَّة الأخيرة، بعث محمدًا ﷺ ليكون رحمة للعالمين، ورسوله إلى النَّاس جميعًا، كما قال تعالى يخاطبه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال ﷺ مُعَدِّدًا خصائص رسالته، وما منَّ الله عليه من فضل: «**أُعطيت خمسًا لم يُعْطَهُنَّ أحد قبلي**». وفيه: «**وكان النبيُّ يُبعث إلى قومه خاصَّة، وبُعثتُ إلى النَّاس كافَّة**»[٢]. ومقتضي هذا العموم: أن تكون هذه الرسالة لكلِّ قومٍ ولكلِّ بيئةٍ ولكلِّ مكانٍ وزمانٍ من بعثته ﷺ إلى أن تقوم الساعة.

بُعِث محمَّد ﷺ وقد مضت قرابة ستَّة قرون على رفع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وكثُرَت الضلالات والمآثم والشرور في الأرض كلِّ الأرض،

(١) إنجيل متَّى (١٥: ٢٤) و(١٠: ٦ ـ ٧).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التيمم (٣٣٥)، ومسلم في المساجد (٥٢١)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

وبغى النَّاس بعضهم على بعض، فكان لا بدَّ من نجْدة سماوية للبشريَّة المبثوثة في كل آفاق الأرض، غَلَبت الوثنيّةُ على التّوحيد، وغَلَبت النجاسةُ على الطهارة، وغلبت الشهوات على الضمائر، وغلبت القوَّة الطاغية على الحقِّ المبين، وصارت الشياطين تقود النَّاس في أنحاء الأرض.

ولا نجاة من هذه الأوضاع إلَّا بدِينٍ من الله، ورسولٍ من الله، يُخرِجهم من الظُّلُمات إلى النُّور، ويَهْدِيهم إلى صِراط العزيز الحميد.

هنا كان محمَّد، وكانت رسالة محمَّد، وكان إنقاذ محمَّد ﷺ للبشر من الهلاك الوشيك.

محمد ﷺ هو صاحب الرسالة الكبرى الأخيرة من الله إلى العالَم، مع أنَّ العالَم قد اكْتُشِفَت آفاقه، واتَّسعت أجناسه وألوانه، وانضمت أو تنازعتْ كل طبقاته واتجاهاته!

بعث الله محمدًا آخرَ الرسل برسالة عامة جامعة لكل النَّاس، ينادي الناسَ جميعًا: أبيضَهم وأسودَهم وملوَّنهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

تميزت رسالة محمَّد عن غيرها من النبوات والرسالات بميزات كبرى أعلنها صاحب الرسالة محمَّد ﷺ في القرآن كتاب الإسلام الأول، وفي السنة المصدر الثاني لحقائق الإسلام.

عالميَّة الرسالة:

الميزة الأولى: عالميّة هذه الرسالة، فهذه ليست رسالةً لقوم دون قوم، ولا لجنس دون جنس، ولا لِلُغة دون لغة، ولا قارة دون قارة، بل هي

QaradawiBooks.com

للنَّاس كل الناس. ولهذا كان من أوائل النداءات الكبرى في هذه الرسالة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ومثلها أو قريب منهـــا: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾، وفي معناها يقول الله: ﴿يَٰعِبَادِ﴾.

قال تعالى في القرآن الَّذي أنزله الله في السَّنَوَات الأولى لبعثة محمَّد في مكَّة، ويُسمِّيه المســلمون القرآنَ المكيَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر: ٣].

وقال تعالـــى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

لأوَّل مرَّة يعلن رسول يبلِّغ الناسَ رسالات الله أنَّه مبعوث إلى النَّاس كافّة، برسالة كاملة، تشمَل أوَّل ما تشـــمَل: توحيد الله، بما يعني: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلٰهيَّة؛ فالله هو ربّ الجميع، وخالق الجميع، كل هذا الكون من فوقنا ومن تحتنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ومن أمامنا ومن خلفنا، كله خَلْق الله وحـــده. ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١].

﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩].

وكل هذا العالَم علويِّه وســفليِّه، ما نُبصــره وما لا نُبصره، ما نعلمه وما لا نعلمه، كله مربوبٌ لربّ، ومخلوق لخالق، يدبر كل شيء فيه بما يرى، يَجْرِي بإرادته، ويدور بحكمه، يَسِير كما يريد، وينتهي إلى ما يريد،

QaradawiBooks.com

لا يَخرُج شيء صغُر أو كبُر، ظهُر أو خفِي، طال أو قصُر، عاش أو مات، إلَّا عن قهره وقوته وإرادته: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس: ٨٢، ٨٣].

أعلن الله تعالى في القرآن المكّي عالَميَّة هذه الرسالة، فقال لرسوله محمَّد ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

وقال ﷻ في آخر سورة «ص» المكِّيَّة عن القرآن: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾ [الآيتان: ٨٧، ٨٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ۝ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ۝ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ۝ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ۝ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢٩].

ويقول تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ۝ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القلم: ٥١، ٥٢].

QaradawiBooks.com

وفي الحديث المتَّفق عليه: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي**»، وذكر أولهن: «**كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود**»(١).

وعن ثوبان أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الله زوى لي الأرض** ـ أي جمعها وضمَّها ـ **فرأيت مشارقها ومغاربها، وإنَّ أُمَّتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**ليبلغنَّ هذا الأمر** ـ يعني الإسلام ـ **ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخله اللهُ هذا الدِّينَ، بعِزِّ عزيزٍ، أو بذُلِّ ذَلِيلٍ، عزًّا يُعِزُّ الله به الإسلام، وذلًّا يُذِلُّ اللهُ به الكفر**»(٣).

وهي الرسالة الأخيرة من الله للبشر:

الميزة الثالثة: وأعلن الرسول الخاتم: أنَّه جاء بالرسالة الخاتمة، الَّتي ختم الله بها كل الرسالات، فهي ناسخة لكل ما قبلها من رسالات.

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال ﷺ عن نفسه: «**أنا خاتم النبيين، فلا نبي بعدي**»(٤).

وقال: «**إنَّ مَثَلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمَثَل رجلٍ بنى بيتًا، فأحسنه وأجمله، إلَّا موضعَ لبنة من زاوية، فجعل النَّاس يطوفون به،**

(١) سبق تخريجه صـ٦٣١.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٠٩.

(٣) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والحاكم في الفتن والملاحم (٤/٤٣٠)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٣)، عن تميم الداري.

(٤) سبق تخريجه صـ١٨٦.

QaradawiBooks.com

ويعجبون له، ويقولون: هلَّا وُضِعت هــذه اللبنة!». قال: «**فأنا اللبنةُ، وأنا خاتم النبيِّين**»[1].

فكلُّ الرسالات قبل الإســلام كان فيها أشياء لا يجوز أن تبقى باقية أبد الدهر، فقد وُجِّهت إلى قوم معينيــن، اقتضاها الزمن وأحداثه، ولم تعد صالحة للاستمرار عليها أبد الدهر.

وكل قارئ لكتب الله القديمة لا شك أنَّه يتأكد ويستوثق من أن هذا الحكم القديم لم يعُدْ صالحًا للاســتمرار، ويقيد البشــر في سائر أنحاء الأرض، وسائر أزمان العصر أو العصور.

ولهذا نجد القرآن يقول لبني إسرائيل في كتابه: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۞ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۞ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣ ـ ٩٥].

فمحمد خاتم الرسل بُعث بالإسلام ـ دين الرسل جميعًا ـ مصدقًا لما بين يديه ـ أي ما تقدِّمه ـ مــن الأديان، ومؤكِّدًا لمــا تضمَّنته كتبها من حقائق الدين، وقواعد السلوك، كما جاء القرآن مهيمنًا على تلك الكتب، مصحِّحًا لما أصابها من تحريف لفظي أو معنوي لكلمات الله فيها، متمِّمًا لمكارم الأخلاق الَّتي جاء بها رسل الله من قبل، حتَّى تبلغ غايتها بعد أن بلغت البشريَّة أشدَّها، واستكملت رشدها.

(١) سبق تخريجه صـ١٨٦.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يقول تعالى مخاطبًا رسوله محمَّد عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

وكان من أوصاف النبي ﷺ عند أهل الكتاب أنَّه ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وهي رسالة جامعة شاملة:

الميزة الثانية: أعلن الرسول الخاتم ﷺ مقولة مهمة أخرى تتعلق بهذه الرسالة المبعوث بها، هي أنَّها رسالة جامعة شاملة، جاءت لتصلح كل فاسد، وتعمِّر كل مخرَّب، وتبني كل مُهدَّم، وتُحيي كل ميِّت، وتعيد الصحَّة إلى كل مريض، والقوة إلى كل ضعيف: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

جاءت هذه الرسالة لتصلح الإنسان من حيث هو إنسان، أيْ من حيث عقلُه الَّذي ميّزه الله به، ومن حيث شعورُه الَّذي ميَّزه عن الحيوان الأعجم، ومن حيث إرادتُه الَّتي يتميز بها ويتحكَّم، ومن هنا قال ﷺ: «**ألا إنَّ في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[1]. والقلب: هو الَّذي يفقه ويشعر ويريد.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

هذه الرسالة الجامعة، جاءت للإنسان الفرد لإصلاحه من داخله، ولبنائه بناءً مبنيًّا على العقل والإرادة، فلا إنسان بلا إرادة، ولا تكليف بلا إرادة، ولا جنة بلا إرادة، ولا دنيا بلا إرادة، ولا آخرة بلا إرادة.

إنَّما يصلح الإنسان إذا صلحت إرادته، واتجهت إلى ما يريد الإنسان، لا ما يريده غيره: هواه أو شيطانه أو رفقاؤه أو حزبه أو قبيله، الَّذين يسلبون منه الإرادة، ويصبح جسدًا يحكي ويتكلم، ولكنَّه في يد الشيطان، ينطق على لسانه، ويأكل بأسنانه، ويعمل ببنانه، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

فلهذا لا بدَّ لنا من الجهاد الكبير، ليخلص الإنسان ممَّا أَسَره وسار به في مهاوي الشيطان، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله. قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

وهذه الرسالة الجامعة جاءت أولًا للفرد، ثمَّ للأسرة، فهي رسالة تنظِّم الأسرة، وتقيمها على الحق والخير والرشد، فيلتقي الرجل والمرأة، تكون المرأة لرجل واحد، هو زوجها، ورب بيتها، وأبو أولادها، هو المسؤول الأوَّل عن طعامهم وشرابهم وكسوتهم وتعليمهم وتدريبهم حتَّى يستكملوا طوْرهم، ويؤدُّوا دورهم، ثمَّ يقوموا بالوظيفة نفسها مع من بعدهم، فإن مات أو عجز أو لم يستطعه ساعده المجتمع على ذلك، قال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

والأم مسؤولة عن الحمل والرضاع ثمَّ التربية والتنشئة خاصَّة في سني الطفل الأولى.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وعلى الأبناء أن يبَـرُّوا آباءهـم وأمَّهاتهم، وأجدادهـم وجَدَّاتهم؛ يأخذون منهم تجاربهم وثقافتهم، ويضيفون عليها ما اكتسـبوه من ثقافة عصرهم، ويورثون ذلك لمن يأتي بعدهم، لتستمر أجيال الأمة تتوارث الإيمان والعمل الصالح والخير.

ثم إنَّ رسالة محمَّد هي خطاب للمجتمع بأسره والأمة بأكملها، تدعو الأفراد والأسر إلى التعاون مع جيرانهم ومواطنيهم، ليقيموا ما لا بدَّ منه لعيشهم جميعًا، من ماء وأنهار وترع ومساقٍ وآبار، وممَّا خلق الله لهم من أرض واسـعة، ومن أنهار كبيرة، ومن أشـجار وارفة، وزراعات شاسعة، وحبوب وفواكه وخضراوات، وحيوانات وطيـور ودواجن، من خلق الله تعالى. ومن مـدارس يتعلمون بها، وجامعات يـزدادون فيها علمًا، ومن مصانع للمأكولات والمشـروبات والملبوسات، وسـائر الحاجات الَّتي تحتاج إلى تركيب وتصنيع، وبهذا تتعقد الحياة، وتكثر متطلباتها، وتزيد نفقاتها، وتتفاقـم أمورها، من صغير إلى كبير إلـى أكبر، ومن قليل إلى كثير إلى أكثر، ومن بسـيط إلى دقيق إلى أدق، حتَّـى صناعة الحروب وما تتطلبه من سلاح متنوع بري وبحري وجوي ومتنوع ومتطور، يتسابق النَّاس فيه، حتَّى يكـاد يُهلك بعضهم بعضًا. لـو قامت حرب بين مُلاك القنابل الذرية والهيدوروجية وغيرها يمكن أن يبيد العالَم، إلَّا أن يرحمه الله بفضل منه. كل هذا يوجب عليهم أن يتعاونوا ويتعايشوا.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، فهي رسالة للإنسان في كلِّ مجالات الحياة، وفي كلِّ ميادين النشاط البشري.

QaradawiBooks.com

فهي رسالة جامعة، جاءت للأسر، وجاءت للمجتمعات، لتقفهم عند الحق، ولتربطهم بالخير، وتدلهم على الرشد، وتدفعهم عن الشر والصدام، فلا يبغي بعضهم على بعض، وفي الحديث: «**إنَّ الله أوحى إليَّ أن تواضعوا، حتَّى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد**»[1].

الدين هنا يعلم المجتمعات الكبيرة: أنَّ بعضها في حاجة إلى بعض، وأن من واجبهم أن يتعاونوا على البر والتقوى، ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان، وأن يقفوا ضدّ الظلم حتَّى لا يطغى ويتكبر، وأن يساعدوا الضعيف حتَّى يأخذ حقه، وأن يعطوا فقيرهم ممَّا ملكت أيديهم، فإنَّ المال مال الله، والعيال عيال الله، فهم أحق بضيافة الله، وبمال الله.

وقد تضمنت هذه الرسالة الجامعة حقوق المكلَّفين وواجباتِهم، ووسَّعت في ذلك بما يعرف كل منهم ما هو مطلوب منه، وما هو مطلوب له، ولكل أجره، وعليه فرضه، وبهذا تنهض المجتمعات إذا قام كلُّ واحد فيها بأداء ما عليه من حق.

رسالة بين الحاكم والمحكوم:

وهذه الرسالة الجامعة يفترض فيها: أنْ تنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، فلا بدَّ للنَّاس من حكم، ومن حاكم يقوم بالحكم، ومن محكوم ينقاد للحكم. وكل منهما يقوم بما أمر الله به، فلا ينضم لأحد الطرفين ضد الآخر، فإذا كان الحاكم قويًّا لأنَّ السلطة الشرعية في يديه، فالمحكوم قوي؛ لأنَّه هو الأساس، هو الشعب الَّذي من أجله قامت السلطة، ووُجد الجنود، ووجدت الأسلحة والأعوان.

---

(١) رواه مسلم في صفة الجنة (٢٨٦٥)، وأبو داود في الأدب (٤٨٩٥)، وابن ماجه في الزهد (٤١٧٩)، عن عياض بن حمار.

QaradawiBooks.com

العدل هو الَّذي يوازن بين الأقوياء والضعفـاء، ولهذا أُمر النَّاس أن يطيعوا الحكام في أداء أعمالهم، وإمضاء سلطتهم بالحق، ويتحرَّوا إقامة العدل ما استطاعوا، وعلى كل الأفراد أن تراعي ذلك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩].

ولا بد أن تكون هنـاك فئة فوق الجميـع إذا اختصمت الحكومات بعضها مع بعض، واختصمت السـلطات بعضها مـع بعض، فلا بدَّ من سـلطة فوق الجميع، يختارها الجميع بالتراضي، أو بقواعد يحتكمون إليها، وتُعطى هذه سـلطات عليا تحكم بين الجميع بالحق، وتكون من أكثر النَّاس التزامًا بالحقوق، واعترافًا بالضعفاء، وفي الغالب: يختارهم النَّاس لما يعرفـون عنهم من الأمانـة والمحافظة علـى الحق والخير، والحق لـه علامات وأمارات تـدلُّ عليه، وعلى النَّـاس أن يهتدوا بها، ويختاروا بإرادتهم.

هذه الرسالة العالميَّة العامَّة الجامعة الأخيرة من عند الله، الَّتي تحوي كل ما يحتاج إليه البشـر من حقائق ودقائق، وقواعد وأحكام، ومقاصد كليَّة وجزئيَّة، يقوم المسـلمون الملتزمون بتطبيقها على أنفسـهم، فعلًا وتركًا، إباحـة وحظرًا، منتظريـن المعونة والتيسـير والأجر من الله في الدُّنيا، وراجين الثواب العظيم من الله في الآخرة.

وهي تدفـع عن النَّاس شـرورًا في حياتهم الزوجيـة، وفي حياتهم الاجتماعيَّة، وفي حياتهم التشريعية، وسيجد كثيرون ـ ممَّن يَشكُون في حياتهم من عُقد ـ في دينهم وتشريعهم الديني، إذا أحسنوا تطبيق دينهم الَّذي جاءهم من عند الله، ولم يصيبوه بالجمود الَّذي أورثهم الخلل في تفكيرهم، والتأخر في حياتهم.

QaradawiBooks.com

وسيجدون في التشريعات الإسلاميَّة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة ما يساعدهم على التحرر من مشكلاتهم الَّتي ظلوا سنين عددًا ولم يجدوا لهم حلًّا.

سيجد المتحلل الَّذي لا يشبع من الحرام، ويذهب إلى كل مكان لا يبالي بمن هتك عرضه، ومن استباح حرمته.

سيجد المسرف الَّذي لا يبالي أين يضع ماله، وازعًا نفسيًّا بين جنبيه، يقول له: هذا حلال فلا بأس به، وهذا حرام فلا يحل لك: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٨، ٥٩].

رسالة محمَّد العالميَّة الوحيدة:

رسالة محمَّد هي الرسالة العالَميّة الوحيدة، الَّتي تخلَّصت من العُنصرية والجزئيّة والزمنيّة، لتخاطب الإنسان من حيث هو إنسان، تُخاطِبه فردًا، وتخاطبه جنسًا، وتخاطبه مخلوقًا لله ﷻ.

كل الرُّسل الكِبار والأنبياء العِظَام، مثل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، كانوا عالِمين بأنَّهم مُرسَلون إلى قومهم، وليسوا مرسَلين إلى أُمم أخرى، وليس لرسالتهم إمكانيّة التطلُّع إلى الأبد من ناحية الزمن، ولا توسيع الأفق ليُخَاطِبوا أهل الأرض جميعًا.

وهذا ما هو واضح في أسفار التوراة، وهو واضح كذلك في الأناجيل الَّتي نَصَّت في داخلها على أنَّ المسيح لم يُبعَث إلَّا إلى «خراف بني إسرائيل الضالّة»[1]. بهذا الأسلوب الجلِيّ.

(١) انظر: إنجيل متَّى (١٠: ٦).

QaradawiBooks.com

ولذلك أعجب من دعاة «التنصير» الَّذين يجدون هذه الفقرة الإنجيليَّة في «إنجيل مَتَّى» وغيره، في الباب (١٥)، الفصل الرابع والعشرين، أو يعرفونها ثمَّ يزعمون أن دينهم دين عالَميّ، بُعِث به المسيح لكل النَّاس، وكلِّ الألوان والأجناس.

إنَّ على هؤلاء أن يخجلوا من مواجهة الحقائق الناصعة، وأن يتجاهلوا الأمور الَّتي بلغت من الوضوح مبلغ الشمس في رابعة النهار، تراها طالعة ساطعة لا غيم يحجبها، ولا سحاب، ولا غُبار، ولا أمطار.

وماذا في المسيحية الحالية من علامات الاتساع العالَمي، وعلامات الاتساع الزمني والاتساع الموضوعي الَّذي عبر عنه الإمام حسن البنا وهو يعرِّف بدعوة محمَّد ورسالته الشاملة الجامعة العامَّة الخالدة، فقال: «بعث الله محمدًا بالرسالة العامة، الَّتي امتدَّت طولًا حتَّى شملت آباد الزمن، وامتدَّت عرضًا حتَّى انتظمت آفاق الأمم، وامتدَّت عمقًا حتَّى استوعبت شؤون الدُّنيا والآخرة»[1].

وصدق الإمام في قوله، فهي رسالة قدَّمت للإنسانيَّة نظرتها في كل شيء، في الأصول والفروع، والظواهر والبواطن، والأحكام والقواعد، واللباب والمقاصد، وإلى شؤون الفرد، وشؤون الأسرة، وشؤون المجتمع، وشؤون الأمة، وشؤون الدولة، وشؤون المجتمعات والدول بعضها إلى بعض، ووضعت لذلك أعدل الأحكام، وأحكم القواعد، وأوضح المقاصد، تفصِّله تفصيلًا فريدًا، جلَّى أسسه العليم

(١) مقال من وحي حراء للإمام حسن البنا، جريدة الإخوان المسلمون اليومية، السنة الأولى، العدد (١٦٨)، صـ ١، ٢٧ ذو الحجة ١٣٦٥هـ ـ ٢١ نوفمبر ١٩٤٦م، وانظر: سلسلة من تراث الإمام لجمعة أمين عبد العزيز (١٨١/٥).

QaradawiBooks.com

الحكيم، ووضحه سيِّد الرسل بأسلوبه المتين، وترك له المنظمات والهيئات والجامعات والمرجعيات ما يجلب لها كل مصلحة، ويدرأ عنها كل مفسدة.

إنَّ رسالة الله إلى محمَّد هي الرسالة الفذَّة الَّتي تحتاج إليها البشريَّة في عصرنا هذا، لتحل بها مشكلاتها، وتداوي بها أدواءها، وتطفئ بها نارها، وتنتصر على شياطينها، إذ تستجيب لنداء الله لها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

فإذا استجابت البشريَّة إلى هذا النداء الَّذي خاطب بشريتها وآدميتها بهذا اللقب العام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وجَّه إليها نداء أخص بمن آمن بالله منهم، فقال في آخر سورة الحج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨].

خاطب القرآن وهو الكتابُ الَّذي بعث الله به محمدًا للبشريَّة كلها شرقًا وغربًا، وعجمًا وعربًا: أن قوموا بدعوة الله الَّتي وُجِّهت إليكم باعتباركم أهل الإيمان الَّذي استنارت بصائرهم، واستجابت لنداء ربهم، فكان عليهم أن يستجيبوا لله تعالى فيما دعاهم إليه جميعًا من نواحٍ ثلاث:

الناحية الأولى: أن يعترفوا بالعبوديَّة لله وحده، ويركعوا ويسجدوا ويعبدوا ربهم، وبذلك تكون الصلاة لربهم وحده لا يشركون به شيئًا، ولا يحنون جباههم إلَّا ساجدين لله تعالى.

QaradawiBooks.com

والناحية الثانيــة: تتجه إلى المجتمع الَّذي ينطلقــون منه، ومهمتهم الأولى في هذا المجتمع: أن يفعلوا الخير. والخير كلمة لا توضع مكانها كلمة تغني عنها. فكل ما ينفــع النَّاس صغارًا وكبارًا، ورجالًا ونســاءً، وعلماء وجهَّــالًا، وأغنياء وفقراء، فــي دينهم ودنياهم، في أجســامهم وأرواحهم، فــي عقولهم وضمائرهــم، في أفرادهــم ومجتمعاتهم، في اقتصادهم وسياســتهم، فــي أخلاقهــم وأعمالهم، هو خيــر يجب أن يقتنصوه، ومشــروع يجب أن يتقدَّموا إليه ويملؤوه بمــا يحقق آمالهم، ويؤدي مطالبهم، ويقضــي حوائجهم بلا محاباة ولا ظلــم، بل بالعدل والبر، لعلهم يفلحون في الدُّنيا، ويفلحون في الآخرة.

والناحيــة الثالثة: قولــه تعالــى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [الحج: ٧٨].

هنا يكلِّف الله عباده من البشــر أن يكون منهم حمــاة لهذه الحقائق الَّتي بعث الله بها محمدًا: توحيد الله تعالى وعبادته بالقلب والبدن، وفعل الخير، بأوسع معاني هذه الكلمات، أن يفعلوا الخير لكل البشر، من كان معك، ومن كــان عليك، ازرع الخيــر زرعًا، فإذا أصابــك نفعك، وإذا أصاب خصمك، فإن لم ينفعك لم يضرك.

ثم كن (أنت وإخوانك) ممَّن اســتجاب لدينك، حراسًــا على هذه العقائد والحقائــق والقواعد الَّتــي تحفظ على النَّاس دينهم وأنفســهم ونسلهم وعقولهم وأعراضهم وأموالهم، وأن يضحوا بأنفسهم وأرواحهم وأموالهم في سبيل الحفاظ على حياة النَّاس وحقوقهم وحرماتهم.

وبهذا يقوم الدين الحق، وينتصر أهله، وهم أهل الحق وحرَّاسه، وهم حرَّاس العالَم ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

QaradawiBooks.com

لا بدّ للبشـــريَّة بعد أنْ ذاقت الحروب، وخصوصًا الحروب العالَميَّة الأولى والثانية، وجربت الأسلحة الحديثة في أوَّل استعمالاتها، وعرفت أهدافها وخرابها ودماراتها الهائلة في الأرواح والأموال، كيف هدَّت مدنًا كبرى، وقتلت ملايين، بل أكثر من ملايين، وكم من أولاد عاشوا بلا آباء ولا أمهات، وكم بيوت دمِّرت، ولم يُعرف مَنْ أهلها، وكم؟! وكم؟!

وكانت البشريَّة في ذلك الوقت تجرب أوَّل ثمرات النضوج العلمي الَّذي اكتســبه العالم، نتيجة ســقوط الطاغيــة أودلف هتلــر، وذهاب الشــخصيات العلمية الكبرى، وخصوصًا في المجال العســكري، إلى الحليفين الخصمين: أمريكا وروسيا.

ماذا يصنع العالم اليوم إذا ســوَّلت له نفســه الأمَّارة بالســوء، وخطا الخطوة الأولى، وأعلن الحرب؟! ماذا سيكون أمر العالم في اليوم التالي؟!

اللهمَّ لا حول لنا ولا قوة إلّا بك يا الله.

لا حلّ إلّا بالعــودة إلى الدين، والاســتجابة إلى الدعــوة العالَميَّة الربّانيّة الإنســانيّة الأخلاقيّة الجديدة، الَّتي هي الإســلام، ولا شيء إلَّا الإسلام، هي الَّتي تنجينا من عذاب أليم، ومن الشيطان الرجيم، وتهدينا جميعًا إلى صراطٍ مستقيم، ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

لم يعد ينفع اليوم ما تدعو إليه أمريكــا، وقد أصبحت تدعو النَّاس إلى القوَّة العظمى الَّتي تملكها، وليس وراء هذه القوَّة إلَّا الموت والدمار للبشر وللعالم، فإنَّ العالم بغير دين لا ضمان له، ولا بقاء له، وليس وراء البشر الَّذين يملكون قنابل الموت إلَّا أن يطلقوها يومًا.

QaradawiBooks.com

ولم يعد ينفع اليوم ما تدعو إليه القوى الأخرى المعاديَّة للأمريكان، أو المواجهة لهم والمتربصة بهم، إنهم الصينيون ومن معهم، الَّذي يملكون من الأسلحة والقوى والأموال ما يقدرون أن يواجهوا به الأمريكان ومن معهم.

وهنا تتواجه القوى المجتمعة بكل ما أعدَّته في سنواتها، وما تخفيه في سراديبها، وما تجبرها الأيام على إظهاره.

وهنا تكون المصيبة الكبرى للبشر، الَّتي يجب أن يحترزوا منها من الآن، بالرجوع إلى مالك هذا الكون، وخالق كلّ ما فيه، ومعلم الإنسان هذه المخترعات والأدوات.

هنا تكون النجاة للبشريَّة، ولا نجاة غيرها ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]. ربنا اغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين.

واجب العرب في إبراز عالميَّة رسالة النبي ﷺ:

وأكبر واجب في تبليغ الرسالة المحمَّديَّة هو واجب العرب بما امتازوا به من موقع جغرافي ومؤهلات كثيرة، وبكون الرسالة الخاتمة نزلت بلسانهم، والمؤمنون الأولون بها هم من العرب.

قال العلَّامة الشيخ أبو الحسن الندوي: «إنَّ العالم العربي له أهمية كبيرة في خريطة العالم السياسيَّة؛ وذلك لأنَّه وطن أمم لعبت أكبر دور في التاريخ الإنساني، ولأنَّه يحتضن منابع الثروة والقوة الكبرى: الذهب الأسود الَّذي هو دم الجسم الصناعي والحربي اليوم؛ ولأنَّه صلة بين أوربا وأمريكا، وبين الشرق الأقصى، ولأنَّه قلب العالم الإسلامي النابض يتَّجه إليه روحيًّا ودينيًّا ويدين بحبه وولائه، ولأنَّه

QaradawiBooks.com

ـ لا قدر الله ـ قد يكون ميدان الحرب الثالثة، ولأنَّ فيه الأيدي العاملة، والعقول المفكرة، والأجسام المقاتلة، والأسواق التجارية، والأراضي الزراعية... ولكن المسلم ينظر إلى العالم العربي بغير العين الَّتي ينظر بها الأوربي، وبغير العين الَّتي ينظر بها الوطني العربي، إنَّه ينظر إليه كمعهد الإسلام ومشرق نوره ومعقل الإنسانيَّة، وموضع القيادة العالميَّة، ويعتقد أنَّ سيِّدنا محمدًا العربي هو روح العالم العربي وأساسه وعنوان مجده، وأنَّ العالم العربي بما فيه من موارد الثروة والقوة وبما فيه من خيرات وحسنات؛ جسم بلا روح، وخط بلا وضوح، إذا انفصل ـ لا سمح الله بذلك ـ عن سيِّدنا رسول الله ﷺ، وقطع صلته عن تعاليمه ودينه، وأن سيِّدنا رسول الله ﷺ هو الَّذي أبرز العالم العربي للوجود، فقد كان هذا العالم وحدات مفكَّكة، وقبائل متناحرة، وشعوبًا مستعبدَة ومواهب ضائعة، وبلادًا تتسكع في الجهل والضلالات، فكان العرب لا يحلمون بمناجزة الدولة الرومية والفارسية، ولا يخطر ذلك منهم على بال، ولا يصدقون بذلك إذا قيل لهم في حال من الأحوال، وكانت سورية الَّتي تكون جزءًا مهمًّا من العالم العربي مستعمرة رومية تعاني الملكية المطلقة، والحكم الجائر المستبد، لا تعرف معنى الحرية والعدل، وكان العراق مطية لشهوات الدولة الكيانية مثقلة بالضرائب المجحفة والإتاوات الفادحة، وكانت مصر قد اتخذها الرومان ناقة حلوبًا ركوبًا، يجزون صوفها ويظلمونها في علفها، ثمَّ إنَّها تعاني الاضطهاد الديني مع الاستبداد السياسي، فما لبث هذا العالم المفكك المنحل، المظلوم المضطهد، أن هبت عليه نفحة من نفحات الإسلام الَّذي جاء به محمَّد ﷺ، أدرك رسول الله هذا العالم وهو ضائع هالك وأخذ بيده وهو ساقط متهالك، فأحياه بإذن الله

QaradawiBooks.com

وجعل له نورًا يمشـــي به في النَّاس، وعلَّمه الكتاب والحكمة وزكَّاه، فكان هذا العالم بعد البعثة المحمَّديَّة ســفير الإسلام، ورسول الأمن والسلام، ورائد العلم والحكمة، ومشعل الثقافة والحضارة. كان غوثًا للأمم، غيثًا للعالم، هنالك كانت الشـــام وكان العراق، وكانت مصر، وكان العالم العربي الَّذي نتحدث عنه، فلولا محمَّد ﷺ، ولولا رسالته، ولولا ملته، لما كانت ســورية، ولا كـــان العـــراق، ولا كانت مصر، ولا كان العالـــم العربي، بـــل ولا كانت الدُّنيا كما هـــي الآن حضارة وعقلًا، وديانة وخلقًا، فمن استغنى عن دين الإسلام من شعوب العالم العربي وحكوماته، وولى وجهه شطر الغرب أو أيام العرب الأولى، أو استلهم قوانين حياته أو سياســته من شرائع الغرب ودساتيره أو أسَّس حياته على العنصرية أو العروبة الَّتي لا شأن لها بالإسلام، ولم يرض برسول الله قائدًا ورائدًا وإمامًا وقدوة، فليرد على محمَّد بن عبد الله ﷺ نعمته ويرجع إلى جاهليته الأولى، حيث الحكم الروماني والإيراني، وحيث الجهل والضلالـــة، وحيث الغفلة والبطالـــة وحيث العزلة عن العالم، والخمول والجمود، فـــإن هذا التاريخ المجيد، وهذه الحضارة الزاهية، وهذا الأدب الزاخر، وهذه الدول العربيَّة، ليست إلَّا حسنة من حسنات محمَّد ﷺ.

فالإسلام هو قوميَّة العالم العربي، ومحمد ﷺ هو روح العالم العربي وإمامة وقائـــده، والإيمان هو قوة العالم العربي الَّتـــي حارب بها العالم البشري كله فانتصر عليه، وهو قوته وسلاحه اليوم كما كان بالأمس، به يقهر أعداءه، ويحفظ كيانه، ويؤدي رسالته»[1].

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي حسن الندوي صـ ٢٤٢.

QaradawiBooks.com

واجبُ الأمة الإسلاميَّة دعوةُ الأمم الأخرى إلى الإسلام:

والواجب على الأمة الإسلاميَّة كلها بمختلف أجناسها وألوانها وطبقاتها واتجاهاتها: أن تقوم بدورها الأساسيّ في إنقاذ العالم من الشرور الَّتي تتربص به من نفسه وعلى يديه، على أمتنا الكبرى أن تقوم بواجبها من دعوة الأمم الأخرى إلى الإسلام، وتنظم هذا الأمر تنظيمًا حسنًا بما ينبغي له، من الإعداد والترتيب والتهيئة، الَّتي تلزم العاملين في هذا المجال.

لا بدّ أن تعلم الأمة **أولًا**: أن هذا واجب عليها شرعًا من ربها، فمعلوم أنَّ الأمّة الإسلاميَّة أُمَّتان: **أمة الإجابة**، وهؤلاء هم المسلمون، الَّذين رضوا بالله تعالى ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا ورسولًا، وبالقرآن إمامًا ومنهاجًا، وآمنوا بأصول الإيمان الَّتي اتفق عليها المسلمون، وهي خمسة ذكرها الله تعالى في آية البقرة: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وجاءت السُّنَّة النبويّة، فأكَّدت الإيمان بهذه الأصول الخمسة، وزادت عليها واحدًا هو في الحقيقة جزء منها، وهو الإيمان بالقدر خيرِه وشرِّه، وهو جزء من الإيمان بالله تعالى، فليس في السنة زيادة على هذه الأصول في الحقيقة.

ثم إنَّ هذه الأمة آمنت بالأصول الخمسة العمليَّة الَّتي بني عليها الإسلام، وهي: بعد الشهادتين، إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا.

QaradawiBooks.com

هذه الفرائض الدينيَّة الَّتي يفرضها الإسلام على من رضي به ودخل فيه، وقبل أن يتبعه.

الأمة الإسلاميَّة ـ كما قلنا ـ أُمَّتان: أُمَّة إجابة، وهي الأمة الإسلاميَّة، الَّتي استجابت إلى دعوة رسول الله، وآمنت به، ودخلت في دينه، وطبَّقتْه على نفسها وعلى أولادها وأسرها، وكل من تملك توصيل الدعوة إليه.

والأمَّة الأخرى: أُمَّة الدعوة، وهي كل غير المسلمين، في أنحاء العالم، من عرب وعجم وأتراك وهنود وأفغان وماليزيين وإندونيسيين وأفريقيين وصينيين وكوريين وإنكليز وألمان وفرنسيِّين وإسبان وإيطاليِّين وروس، وغيرهم.

سواء من كان من هؤلاء كتابيًّا، انتهى أجل الكتاب الَّذي أُنزل إليه، ولم يُعلن أنَّه آخر الكتب، وليس في طبيعته ومضمونه أنَّه يحمل كلماتِ الله الأخيرة للبشر، ولم يكن النبيّ الَّذي أُرسِل بهذا الكتاب مبعوثًا إلى العالَم، ولم يوجِّهْ رسائله إلى ملوك الأرض من الأباطرة والأكاسرة والقياصرة والرؤساء والأمراء، ليدعوهم إلى الله سبحانه، وينذرهم وأقوامهم خواطر الانحراف عن دعوته، وما وراءها من ضياع الدُّنيا وخسارة الآخرة. كما فعل محمَّد رسول الله حيث وجه رسائله إلى أشهر ملوك الأرض.

فهؤلاء هم أوَّل من بُعِث إليهم محمَّد برسالته العالَميّة الخالدة: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

QaradawiBooks.com

فكل يهودي أو نصراني توجه إليه دعوة الرسول محمَّد إلى هذا الدين، الَّذي يدعوهم أوَّل ما يدعوهم ليصحِّحوا أغلاطهم العقدية، في المعرفة بالله تعالى ووحدانيته، وأنَّه متصف بكل كمال، ومنزه عن كل نقص، وأنَّه ختم الرسالات برسالة محمَّد النبي العربي: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

يجب أن ينظر كل يهودي وكل نصراني أرثوذكسي أو كاثوليكي أو بروتستانتي إلى الإسلام أنَّه الدين النموذجي الَّذي ضمَّنه الله كل ما يصلح العقائد، وما يصلح الشرائع، وما يصلح الأخلاق، ويجمع الأمم كلها على صراط الله المستقيم: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

وعلى الأُمَّة الإسلاميَّة: أن تقدِّم رسالتَها إلى الملاحدة، الَّذين وُلِدوا في أُسَر نصرانيَّة أو غير نصرانيَّة، ولكنَّهم لم يجدوا في أديانهم ما يخاطِب عقولَهم المفتوحة، ويقنعهم بما يُقدم إليهم من عقائد لا تخاطب عقولهم، ولا تحل مشاكلهم، ولا تتجاوب مع أسئلتهم، ولا ترد على ما يعترضون به على رؤسائهم الدينيين في كنائسهم، ولا يجدون في هذه المعتقدات الغامضة المتناقضة ما يشفي صدورهم، ويطمئنُّ صدورهم، ويجيب عن اعتراضاتهم.

هؤلاء الملاحدة الَّذين يملؤون بلاد أوربا وأمريكا الشماليَّة وأمريكا الجنوبية وأستراليا، وكثير من بلاد آسيا وأفريقيا تلقت ما يقال: إنَّه رسالة المسيح، في عصور النشاط الصليبي الَّذي ملأ الأرض بمن سمّوهم (المبشِّرين) من الكاثوليك والبروتستانت، الَّذين قتل بعضهم بعضًا بالملايين، ثمَّ أخيرًا اتفقوا فيما بينهم أن يعقدوا صلحًا، ويقيموا سلامًا

QaradawiBooks.com

بلا سيف، ويذهبوا إلى كل العالم بأسلحتهم الجديدة، الَّتي تنقل الإنسان من دينه، وتنزعه من عقيدته، وتدخله في عبوديَّة جديدة لا يُعرف لها أوَّل من آخِر.

كما تقدم الأمة الإسلاميَّة رسالتها العالميَّة الشاملة إلى الوثنيِّين المنتشرين في أنحاء العالَم وخاصّة في قارتيْ آسيا وأفريقيا، الَّذين لا يعرفون الله إلهًا واحدًا، لا شريك له، ولا مساعد له، ولا نظير له، ولا مثيل له، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

على أُمَّة الإسلام أن تعرِّف النَّاس الألوهية العظمى في ربوبيتها الخالقة، الَّتي تقول للشيء: كُنْ، فيكون، والَّتي تكبِّر الصغير، وتعظِّم الهين، وتُشيخ الشابّ، وتُحْيِي الميت، وتميت الحيّ، وتضر وتنفع، وتخفض وترفع، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

لا بدّ أن تعيد الدعوة الإسلاميَّة الجديدة إلى الإنسان فكرة الألوهية الخالقة الَّتي تتمثل في صفتين أساسيتين بعد التوحيد، هما: القدرة والعلم، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

إنَّ النَّاس ألَّهوا كل ما يعتقدونه نافعًا لهم في الكون من شمس وقمر ونجوم، ثمَّ نزلوا من السماء إلى الأرض، فعبدوا الأنهار، وعبدوا الجبال، وعبدوا الحيوانات، كالبقر الَّتي تُعبد حتَّى اليوم في بلاد الهند وما تفرع

QaradawiBooks.com

عنها، وكالعجول مثل عجل أبيس الَّذي كـــان يعبده المصريون القدماء، ومِن النَّاس مَن يعبدون الفروج الآدمية لقدرتها على الجماع والإنجاب، ومن النَّاس من عبدوا الشـــياطين لقدرتهم على التأثير في بني الإنسان، وإبعادهم عن معرفة الحق واتّباعه.

ومِن النَّاس مَنْ عبـــدوا الأحجار، الَّتي نحتوهـــا وصوّروها بصورة الإنسان، ومنهم مَن صوّر إلهًا كبيرًا؛ لأنَّه معبود جماعة أو أمّة صغيرة أو كبيرة، ومنهـــم مَنْ يحمل إلهًا صغيـــرًا يأخذه في حِضْنـــه أو يحمله في خُرْجه[1] في سفره.

وحين بُعث محمَّد وجـــد العرب في مكَّة وما حولهـــا يعبدون هُبل الصنم الكبير، والـــلات والعزى ومناة الثالثة الأخـــرى، حتَّى كان حول الكعبة الَّتي بناها الخليل إبراهيم للتوحيد (٣٦٠) إلهًا أو صنمًا.

من هنا أركز ندائي في أواخر حياتي إلى أمّتي الإسلاميَّة الَّتي توشك أن تســـتكمل ملياري (٢٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) إنسان مســـلم في العالم: أن تُعِدّ العُدّة، وتهيئ الأســـباب المطلوبة، من تهيئة الأمة لهـــذه الغاية، وإعداد الجماعة العالَميَّة المأمولة لهذه الرسالة الكبرى.

وهذه الجماعة ينبغي أن تكون جماعة علمية دعوية خيرية اجتماعيَّة، لا علاقة لها بالاستعمار والسيطرة على الأمم، فهي ليست جماعة دنيوية بشكل من الأشـــكال، ولا تبتغي لنفســـها أيّ ربح من هذه الدنيا. وهذه الدُّنيا في نظرها لا تساوي شيئًا بالنســـبة للآخرة، فالآخرة عمرها الأبد الَّذي لا ينقضـــي ولا يزول ولا ينقـــص، بل هي دار الخلود والســـعادة

(١) وعاء من عدلين يوضع على ظهر الدابة لوضع الأمتعة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأبديَّة لمن ظفر بها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۞ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧، ٨].

على هذه الجماعة أنْ تحاول بقدرِ ما في وسعها أن تكوِّن جماعات من كل البلاد، ممَّن وصلوا إلى إتقان لغة البلد الَّذي يدعون فيه، وأحسنوا التأليف فيها، وفهموا الدين الإسلامي فهمًا حسنًا في عقائده وعباداته وأخلاقه وتشريعاته الفردية والأسرية والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة والعمرانية المختلفة، وتجمع من هؤلاء العلماء في كل التخصصات الَّتي يطلبها العلماء الدعاة، من كل رجال العلم والأدب والتربية والعلوم المختلفة.

على هؤلاء العلماء في كل بلد له لغة مختلفة عن لغة غيره: أن يتعاونوا مع غيرهم من العلماء المهتمين الاهتمام نفسه، والتفاهم على الأشياء الأساسيَّة في البدء: أن يبدؤوا بالعقائد الإسلاميَّة، وأن يتقوا الله في الخلافات، وأن يحاولوا أن يقربوا ولا يبعدوا، وأن يُيَسِّروا ولا يُعَسِّروا، وأن يتطاوَعوا، ولا يختلفوا، كما أوصاهم رسولهم محمَّد ﷺ.

ثم تبدأ بعد العقيدة في الشعائر التعبدية ـ الأربعة بعد الشهادتين ـ: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان من كل عام، وحجّ البيت لمن استطاع إليه سبيلًا. وهذه هي الأركان العمليَّة الَّتي بني عليها الإسلام.

ثم عليهم بعد ذلك: أن يسيروا على منهج الإسلام في أسرهم وأولادهم، وفي معاملاتهم الَّتي لا بدَّ لهم منها، حتَّى تستمر حياتهم ناهضة

QaradawiBooks.com

عاملة، لا تستغني عن الترويح ممَّا يرفه عنهم من العناء وما لا بدَّ منه، ولا بد للحياة من ترفيهات تزيل عن النَّاس متاعبهم، وما ينغصُّ عليهم.

ولا بدّ لهم أن يتعاون بعضهم مع بعض، وفق ما شرع الله، ويبتعدوا عما حرم الله، وسيجدون في الفقه الإسلامي الَّذي يقوم عليه المجتهدون الَّذين يعرفون مصادره وأصوله من الكتاب والسُّنَّة وفقه الصحابة ومن تبعهم بإحسان، ويجتهدون للأمة فيما تحتاج إليه، ويتعاونون في كل ما ينفع الأمة، ويهديها إلى شريعة ربها، بفضل الله تعالى ثمَّ باجتهاد أهل العلم والفقه من رجالها، ويتعاون هؤلاء الرجال العلماء في كل البلاد، فيما يجب عليهم أن يقوموا به، ويستفيد بعضهم من بعض، وينصح بعضهم بعضًا، فإنَّ الدين النصيحة. قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

(**أمة الاستجابة**) مطلوب منها أن تؤدِّي مهمتها في قيادة هذا العمل الَّذي ليس فيه مناصب دنيوية، ولا شارات ولا رتب ولا ألقاب، إلَّا ما ينالونه من مكانة معنويَّة من إخوانهم ومن الشعوب الَّتي يعملون لنقلها من درجة إلى ما هو أعلى منها.

وأن تستفيد من كل من سبقوها في هذا الميدان من الجهات والفئات العلمية والدعويَّة، مثل الأزهر، وكل الجامعات الإسلاميَّة الكبرى في العالم، ورابطة العالم الإسلامي في مكَّة، ودار الإفتاء والدعوة والإرشاد، وجامعات العالَم العربي والعالَم الإسلامي الَّتي تهتم بجانب الدعوة والإرشاد، ومجامع الفقه الإسلامي في عدد من البلاد

QaradawiBooks.com

الإســلاميَّة، ووزارات الثقافة والأوقاف والتوجيه والدعوة في عدد من البلاد الإسلاميَّة، وكثير من المؤسَّســات الدعويَّة القائمة على التأليف والنشر والترجمة.

ودور النشــر والثقافة الكبرى في العالَم العربي والإســلامي، الَّتي تنشــر الموســوعات والترجمات. وأنا في أعوامي الأخيرة أجد نفسي مضطرًّا فــي لقائي الســنوي لمجلس أمنــاء الاتحاد العالمــي لعلماء المسلمين في كل أربع سنوات، كلما التقيتُ بالجمعية العمومية للاتحاد العالمي، أحدثهم عن هذا الأمر، وعن ضرورة الاهتمام به، وعن وجوب تفريغ بعض منَّا للقيام به، وعن أهميــة الاتصال بالجهات القادرة على التمويل، وهي كثيرة، ولكنها في حاجة إلى من يُعرِّفها بهذا الأمر، وهذا كله يضاعف من قيمة هــذا العمل، ومن فرضية الدعــوة إليه، ويجمع القُوَى العاملة عليه.

ولا تزال البشــريَّة بعد أن وصلت فــي تفوقها العلمــيّ والصناعيّ والإنتاجيّ إلــى ما وصلتْ إليه من تقــدُّم في كل المجــالات الحيوية والعمرانية والعسكريَّة والطبية والفلكية والبحرية والجيولوجية والفيزيائية والكيمائية وغيرها، ما لم يكن يخطر على بــال، لا تزال تعبد آلهةً ممَّا تصنعه بأيديها، وتنحته بأدواتها، ويَخِرُّ الإنســان الَّذي صنع هذه الآلات الجبارة أمام هذا الشــيء البسيط أو التّافِه ســاجدًا، يطلب منه الشفاء أو البركة أو القــدرة، الَّتي حُرمها مع قوتــه العلمية، ويجــد أن هذا الإلٰه المزعوم هو الَّذي يملكها، ويمكن أن يُهيِّئَها له.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

QaradawiBooks.com

إن هناك بلادًا كبيرة في قارة آسيا، زاد عدد سكَّانها على المليارات، وما زال أغلب هؤلاء السكان ممَّن يعبدون الأصنام والأوثان والآلهة الصغيرة في هذه البلاد الكبيرة الهند والصين، وما حولهما، لا تزال هذه البلاد سجينة الفكر الوثني، والعبادة الوثنيَّة، والتقاليد الوثنيَّة، وترى فيهم رجال الفكر والعلم والأدب والسياسة والاقتصاد من فطاحل العلماء والأساتذة الَّذين يُخرِّجون كل سنة من تحت أيديهم كبار المعلمين والقادة والسادة والحكام والملوك والأباطرة، فإلى متى يظل الإنسان الَّذي تطور إلى ما تطور إليه، ويريد أن ينتقل من الأرض السفلى إلى السماء العليا، باحثًا هناك عن مساكن للإنسان، بعد أن ضاقت عليه الأرض بما رحُبت.

آن لنا يا بني الإسلام أن نغار على قومنا من بني آدم، ونحاول أن نرفع رؤوسهم إلى أعلى، لا تركع ولا تسجد إلَّا لله، ولا تسأل أحدًا في هذه الدُّنيا إلَّا الله ربَّ العالمين:

اللهمَّ اهْدِنا فيمن هَدَيت، وعافِنا فيمن عافيت، وتولَّنا فيمن تَولَّيت، واصرِف عنّا شرّ ما قَضَيت، فإنَّك تقضي ولا يُقضَى عليك، إنّه لا يذِلّ من واليت، ولا يَعِزّ من عاديت، تباركتَ ربَّنا وتعاليتَ.

اللهمَّ إنَّا نستعينك ونستهديك، ونستغفرك ونتوب إليك، ونؤمن بك ونتوكل عليك، ونثني عليك الخير كله، نشكرك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهمَّ إيّاك نعبد، ولك نصلى ونسجد، وإليك نسعى ونحفِد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك، إن عذابك الجِدّ بالكفار ملحق.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

QaradawiBooks.com

كلمات مضيئة للسيد سليمان الندوي:

وأختم هذا المبحث بما سطره السيد سليمان الندوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في محاضراته في السيرة النبويَّة الَّتي سمَّاها «الرسالة المحمَّديَّة» يقول: «العالم لا يمكن أن تكون هدايته إلَّا بالمصلح الأخير للدّنيا، وهو خاتم رسل الله محمَّد ﷺ؛ الَّذي اجتمعت فيه خلال الإرشاد كلّها، وخصال الإصلاح للنوع البشري بأجمعه، ولذلك قال له الله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] فوجَّه الرسول ﷺ الدّعوة إلى كلّ من يدّعي محبة الله بأن يتبعه، ويطيع أمره، ونادى الملوك في ممالكهم، والرّعاع في شوارعهم، والمعلمين في مدارسهم، والتلاميذ في فصولهم، والفقراء في أكواخهم، والأغنياء في قصورهم، كما دعا المظلومين، والمقهورين، والمخذولين، بل أهاب بالعالم كلّه أن يتبعوا سبيله، ويقتفوا أثره؛ لأن سيرته الشريفة هي المثل الأعلى، وفيها الأسوة الكاملة لكلّ من يحبّ الخير، ويبتغي الصلاح لنفسه»[1].

* * *

(١) الرسالة المحمدية للسيد سليمان الندوي الحسيني صـ ١٤٥، نشر دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

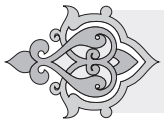
الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية



فهرس الآيات القرآنية الكريمة



الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	١	١٨، ١٦١
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٢	١٨، ١٦١
﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	٣	١٨
﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾	٤	١٨
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	٥	١٨
﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾	٦	١٨، ٦٥٢
﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾	٧	١٨، ١٦٠، ٦٥٢
سورة البقرة		
﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾	٨ ـ ١٠	٣١٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾	٢١	١٧٩، ٦٣٢
﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾	٢٢	٦٣٢
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾	٣٠	١٨٧
﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾	٤٣	٢٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾	٦٠	٣٢٠
﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾	١٠٠	٣٦٩
﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾	١١٤	٢٦
﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ﴾	١٢٩	١٦٧
﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا﴾	١٥١	١٦٧
﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾	١٥٢	٣٦
﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾	١٥٤	٣١٢
﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ﴾	١٥٥ ـ ١٥٧	٥٢٦
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾	١٦٥	٧٣
﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾	١٧٧	٦٥٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾	١٨٣	٥٧، ٥٨٣
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾	١٨٦	٨٠
﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾	١٩٠	٣١٥
﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾	١٩٣	٣١٢
﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾	١٩٨ ـ ٢٠٠	٣٧
﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾	٢٠١	٩٣
﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾	٢٠٣	٣٦
﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ﴾	٢٠٥	٣٢٠
﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾	٢٣٣	٦٣٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	٢٥٤	٥٨٥
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾	٢٥٥	١٦٦، ٢٥٧، ٤٠٧
﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾	٢٦٩	١٦٧
﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾	٢٨٦	٦٥٨
سورة آل عمران		
﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾	٢٠	٦٢١
﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾	٢٦، ٢٧	٦٥٣
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾	٣١	٦٥٩
﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	٤٩	٦٣١
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾	٦٤	١٨، ٢٣، ١٨١، ١٩٠، ١٩١، ٣٣٣
﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾	٦٧	٤٤٤
﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾	٧٩	٢٣٤
﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾	٩٣ ـ ٩٥	٦٣٦
﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	١٠١	٦٤٧
﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾	١٠٦	٤١٩
﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	١٣٩	٣٧٨
﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ﴾	١٥٢، ١٥٣	٣٥٩
﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ﴾	١٥٧، ١٥٨	٣١٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾	١٥٩	٢٤٤، ٣٤٥، ٣٦٦، ٥٦٩
﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾	١٦٤	١٦٧
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾	١٦٩، ١٧١	٣١٣
﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ ﴾	١٧٢، ١٧٣	٣٦١
﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ ﴾	١٩٠	٢٤، ٣٤، ٤١، ٣٨٢، ٣٨٤، ٤١١
﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾	١٩١	٢٤، ٣٤
﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾	١٩٢	٣٤
﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ ﴾	١٩٣	٣٤
﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾	١٩٤	٣٤
سورة النساء		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾	١	٦٤٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾	٢٩	٤٤٤
﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾	٣٦	٤٢٥
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾	٤٩	٤٦٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾	٥٨	٥٦٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾	٥٩	٦٤١
﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ ﴾	٧٥	٣١١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	٧٧	٣٣٧
﴿ فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٨٤	٣٠٧، ٣٤٠
﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾	١٠٣	٢٤
﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾	١١٣	٥٥٨
﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾	١١٩	٧٦
﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾	١٢٨	٤٧٢
﴿ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾	١٣٥	٢٨٧
﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾	١٣٦	٦٥٠
﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ ﴾	١٦٦	٤١٢
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾	١٧٤	١٦٢
سورة المائدة		
﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ﴾	٨	٢٨٧
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾	١٥	١٦٢، ٦٥١
﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾	١٦	١٦٢، ٦٥١
﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾	٢٤	٣٤٢
﴿ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾	٣٨	٢٧٤
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾	٤٨	٣١١، ٦٣٧
﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾	٥٠	١٦٩
﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾	٥٤	٧٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ﴾	٦٤	٣٢١
﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾	٦٧	٣٥٦
﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾	٧٨	٢٣٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾	٨٧، ٨٨	٩٠
﴿أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾	٩٦	٦٠١
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾	١٠٤	٢٩٥
﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَ﴾	١١٨	٣٩٤
سورة الأنعام		
﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾	١٧	٦٢١
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾	٢١	٣٣١
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾	٦٠	٤٠٨
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ﴾	٩٠	٨٧، ٥٥٧، ٥٥٩
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾	١١٢	٢٩٢
﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗا﴾	١١٤	١٩١
﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾	١٢٢	٦٣٧
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾	١٥٣	١٠، ٢٧٦
﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	١٦٢	٢٤، ١٦٤
﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾	١٦٣	١٦٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأعراف		
﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾	٣١	٩٠، ٩٤، ٤٠٢، ٤٣٤
﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾	٣٢	٩٠
﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾	٣٤	٣٥٦
﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾	٥٦	٣٢٠
﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗا﴾	٥٨	١٨٦
﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾	١٥٧	١٥٤، ٦٣٧
﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾	١٥٨	١٨٠، ١٨٣ ٥٥١، ٦٣١، ٦٣٤
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ﴾	١٩٤	١٨٩، ٢٩٥، ٦٥٧
﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ﴾	١٩٥	٢٩٥
﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾	١٩٩	٥٥٦
﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾	٢٠٥	٧٩
سورة الأنفال		
﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾	٢ ـ ٤	٥٨٦
﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾	٥٠	٤١٨
﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾	٥٥ ـ ٥٧	٣٦٩
﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾	٥٨	٣٢٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾	٦٠	٣٠٤، ٦٢٦
﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾	٦١	٣٢٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾	٦٥	٣٠٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾	٧٠	٣٢٧
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾	٧٢	٣١٩
سورة التوبة		
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾	٤	٣١٩
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾	٦	٣٢٢
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ﴾	٧	٣١٩
﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾	١٣	٣١٢
﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾	١٨	٢٦
﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾	٢٥، ٢٦	٣٦١
﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾	٣١	١٩٠
﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾	٣٣	٣٠٨
﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٣٤	٦٤
﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾	٤٠	٣٠٢
﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾	٧١	٦٥٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾	٧٣	٢٩٤، ٣٦٦
﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾	٨١	٣٥١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾	١٠٠	١٢٤، ٤٤٣
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾	١٠٣	٦٥، ٥٨٣
﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾	١٢٨	٢٤١، ٥٧٦
﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	١٢٨	٣٧٤، ٥٧٦
سورة يونس		
﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾	٢١	٤١٨
﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾	٢٤	٨٩
﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾	٣١	٤٠٧
﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾	٥٨	٣٨٠، ٦٤٢
﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾	٥٩	٦٤٢
سورة هود		
﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	١	١٦٠
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾	١١٤، ١١٥	٢٥، ٣٢
سورة يوسف		
﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾	٣١	١٥٧
﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	٨٧	٥٢٧
﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	٩٢	٣٦٧
﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾	١٠٨	١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ٣١١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الرعد		
﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾	٢٤	١٣٦
سورة إبراهيم		
﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾	١	١٦٢
﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ﴾	٣٦	٣٩٤
سورة الحجر		
﴿ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾	٧٢	٤٤٥
﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾	٩٤	٢٩١، ٢٩٥، ٣٣٥
﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾	٩٥	٢٩٥
﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾	٩٦	٢٩٥
سورة النحل		
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا ﴾	١٤	٦٠١
﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾	٣٦	٢٣، ١٧٨
﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ ﴾	٧٥	٤٥٠
﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾	٨٩	١٨١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾	٩٠	٥٩٣
﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾	١١٢	٤١٩
﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ﴾	١١٤	٩٠
﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾	١٢٥	١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ...﴾	١٢٦	٣١٨
﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾	١٢٧	٣٧٩
سورة الإسراء		
﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾	٥٦	١٨٩، ١٩١
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾	٥٧	١٩١
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾	٧٠	١٨٧، ٣٧٨
﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾	٧٩	٢٣، ٤٠٩
﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾	٨٠	١٢١
﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾	٨١	١٢١، ١٨٨، ٣٦٢
﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾	١١٠	٧٩
سورة الكهف		
﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾	٥٤	٥٣٤
﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾	١١٠	٣٧٦
سورة طه		
﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾	١٤	٣٦
﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾	٥٥	٣٠١
﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾	١٣٠	٣٧٩
﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ﴾	١٣٢	٢٣٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنبياء		
﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴾	٨	٤٠١، ٦٠١
﴿ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾	٦٨	٥٤٥
﴿ يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾	٦٩	٥٤٥
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٧	٤، ٧، ٩، ١٨٠، ٥٥١، ٥٧٦، ٦٣١، ٦٣٤
سورة الحج		
﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾	٢٨	٣٦
﴿ وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾	٣٧	٥٨٣
﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾	٣٩	٧٢، ٣٠٢، ٣٢٩، ٣٣٩
﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾	٤٠	٧٢، ٣٠٢، ٣١١، ٣٢٩
﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	٤١	١٢٢، ٣١١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ﴾	٧٣، ٧٤	١٨٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾	٧٧	٧٢، ٦٤٤
﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾	٧٨	٧٢، ٦٤٤، ٦٤٥
سورة المؤمنون		
﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾	١ ـ ٨	٥٥٥، ٥٨٦
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾	٥٧	٧٤
﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾	٥٨	٧٤

QaradawiBooks.com



الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾	٥٩	٧٤
﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾	٦٠	٧٤، ٧٥
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾	٦١	٧٤، ٧٥
﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٨٤ ـ ٨٩	٦٣٣
سورة النور		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ ﴾	١٠ ـ ٢٠	٤٧٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴾	٢٧	٤٢٠
﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾	٢٨	٤٢٢
﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ﴾	٣٥	١٦٢، ٢٠٧
﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾	٣٦، ٣٧	٢٤، ٢٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾	٥٨	٤٢٢
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾	٦٢	٤٢٣
سورة الفرقان		
﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾	١	١٨٠، ١٨٣، ٥٥١، ٦٣١، ٦٣٤
﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾	٧	٤٠١
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾	٢٠	٤٠١
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾	٤٧	٤٠٧
﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾	٥١	٢٩٤
﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ ﴾	٥٢	٢٩٤، ٦٣٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾	٦٣	٦١١
﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾	٦٣ ـ ٦٨	٥٨٦
سورة الشعراء		
﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾	٢١٤	١٧٤، ٢٩٥، ٤٤١، ٥٣٤
سورة النمل		
﴿أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ ﴾	١٩	٣٧
﴿إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ ﴾	٣٤	٣٢٠
﴿ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴾	٧٩	٧٦
سورة القصص		
﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾	٢٦	٤٤٧
﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾	٧٦	٣٧٩
﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾	٧٧	٩٢
سورة العنكبوت		
﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾	١ ـ ٦	٢٩٢، ٣٠٠
﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴾	٤٣	١٦٨
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾	٤٥	٣٦، ٥٨٣
﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾	٤٨ ـ ٥٠	١٩٥
﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾	٥١	١٩٣
﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾	٦٩	٢٩٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الروم		
﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾	١٧، ١٨	٢٤، ٣٢
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾	٢١	٤٤٨
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾	٣٠	١٦٣
﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ ﴾	٣٦	٤١٨
سورة لقمان		
﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾	١١	٦٣٣
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ ﴾	١٢	١٦٧
﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	١٣	٥٨٥
﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾	١٩	٤٣٢
سورة السجدة		
﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾	١٦	٢١٦
﴿ يَعْمَلُونَ ﴾	١٧	٢١٧
سورة الأحزاب		
﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾	١٠	١٢٠، ٣٦٨
﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾	١١	١٢٠
﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾	١٧	٦٢٢
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾	٢١	٩٣، ٣٣١، ٤٢٨
﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾	٢٥	٣٢٢، ٣٢٣
﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾	٢٦	٣٧٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا ﴾	٢٨	١٢٣، ٢٥٣، ٥١٨، ٥١٩
﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾	٢٩	١٢٣، ٢٥٣، ٥١٨، ٥١٩
﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ﴾	٣٠	١٢٣، ٥١٩
﴿ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ ﴾	٣١	١٢٣، ٥١٩
﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ ﴾	٣٢	١٢٣، ٥١٩
﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ ﴾	٣٣	١٢٣، ٥١٩، ٥٢١
﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ ﴾	٣٤	١١٢، ١٢٣، ٥١٩
﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾	٣٥	٣٦
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ ﴾	٣٦	٤٨٦
﴿ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ ﴾	٣٧	٤٨٢، ٤٨٦، ٤٨٧
﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾	٤٠	١٥٤، ١٨٤، ١٨٦، ٥٩٦، ٦٣٥، ٦٥٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾	٤١، ٤٢	٣٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ ﴾	٤٥ ـ ٤٨	١٦٠
﴿ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾	٤٩	٤٣٤
﴿ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ ﴾	٥١	٥٢١، ٥٢٤
﴿ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ ﴾	٥٣	٤٢٧، ٥٧٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة سبأ		
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾	٢٨	١٨٣، ٦٣٤
﴿بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴾	٤١	١٨٧
سورة فاطر		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم ﴾	٣	٦٣٣
﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ﴾	٨	٣٧٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾	١٥	٦٣٣، ٦٣٤
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ ﴾	٤١	٤٠٧
﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا ﴾	٤٣	٥٢٦
سورة يس		
﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾	٢٠ ـ ٢٧	١٥٩
﴿ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾	٧٦	٣٧٩
﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴾	٧٧ ـ ٧٩	٥٤٦
﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	٨٢، ٨٣	٦٣٣
سورة ص		
﴿ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴾	٥٧	٤١٩
﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴾	٨٦	٢٢٧، ٥٥٧
﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴾	٨٧، ٨٨	٦٣٤
سورة غافر		
﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ﴾	٧٥	٣٨٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة فصلت		
﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ ﴾	٥	٢٩٥
﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴾	١٣	٢٩٧
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ ﴾	٣٧	١٨٨
﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾	٤٢	١٥٧
﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَ ﴾	٤٣	٢٩٢
﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾	٤٦	٩٧
﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ ﴾	٥٣	١٨٤
سورة الشورى		
﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾	١١	٦٥٣
﴿ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا ﴾	٤٩، ٥٠	٥٢٧
﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾	٥١	٣٧٧
﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾	٥٢، ٥٣	٤، ١٨، ٣٧٦، ٦٤٦
سورة الجاثية		
﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ ﴾	١٣	١٨٧
سورة الأحقاف		
﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾	٢٩ ـ ٣١	٣٠٠
سورة محمد		
﴿ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾	٤	٣٣٠

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفتح		
﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾	١	٧٧، ٣٢٣
﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾	٢	٧٧
﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾	٣	٧٧
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾	٢٤	٣٢٣
﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾	٢٩	٣٣٤
سورة الحجرات		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	٤	١١١، ٤٢١
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٥	١١١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾	١٣	١٧٩، ٣٦٦
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾	١٥	٥٨٦
سورة الذاريات		
﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾	٥٢، ٥٣	٢٩٢
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	١٥
سورة النجم		
﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾	٢٣	٢٩٥
﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾	٣٢	٤٦٤
سورة الرحمن		
﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾	١ ـ ٩	١٧
﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾	٧٨	١٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الواقعة		
﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۞ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴾	٣٥ ـ ٣٧	٣٨٦
سورة الحديد		
﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ ﴾	٢٠	٨٩
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾	٢٥	٦٣٩
﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ ﴾	٢٧	١٤٦، ٤٤٣
سورة المجادلة		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ ﴾	١١	٤٢٣
سورة الحشر		
﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾	٨ ـ ١٠	١٤٧، ١٤٨
سورة الممتحنة		
﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾	٤، ٥	٣٣
سورة الصف		
﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ ﴾	٦	٦٣١
سورة الجمعة		
﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾	٢	١٦٨، ٢٣٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾	٩	٢٥، ٥٢
﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾	١٠	٢٥، ٣٦
سورة المنافقون		
﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾	١١	٣٥٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة التغابن		
﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾	٣	١٨٧
﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾	٨	١٦٢
﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾	١٥	٥٣٩
سورة الطلاق		
﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ﴾	٣	٧٦
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾	١٢	١٦، ٦٥٣
سورة التحريم		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ﴾	١	٤٨٣، ٥١٠
﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾	٢	٥١٠
﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾	٣	٤٨٤، ٥١٠
﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾	٤	٤٨١، ٤٨٤، ٥١٠
﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾	٥	٥١٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾	٦	٢٣٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾	٩	٢٩٤، ٣٦٦
﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾	١٢	٧٤
سورة القلم		
﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾	١	٥٤٩، ٥٥٠
﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾	٢	٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾	٣	٥٤٩، ٥٥١
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	١٧٩، ٤١٢، ٥٤٩، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٦٦، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٨٧، ٥٩٧
﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾	٨ ـ ١٣	٣٣٦
﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٤٤، ٤٥	٣٣٦
﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾	٥١، ٥٢	٦٣٤
سورة نوح		
﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾	١	٦٣٠
﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾	٢ ـ ٢٨	١٥٩
﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾	٢٦، ٢٧	٦٣٠
سورة الجن		
﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾	١، ٢	٣٠٠
سورة المزمل		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾	١ ـ ٥	٤، ٢١، ٣٣، ٤٠٨
﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾	٦	٢٢
﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾	٧	٢٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ﴾	٨	٢٢، ٣٦
﴿ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ۞ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴾	١١ ـ ١٣	٣٣٦
﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾	٢٠	٢٢
سورة المدثر		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۞ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴾	١ ـ ٤	٢٩١
﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ۞ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ۞ وَبَنِينَ شُهُودٗا ﴾	١١ ـ ١٤	٣٣٦
سورة الإنسان		
﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ ﴾	١	٥٤
﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ ﴾	٨، ٩	٣٢٦
﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۞ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ ﴾	٢٥، ٢٦	٣٦
سورة النبأ		
﴿ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ۞ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۞ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴾	٩ ـ ١١	٤٠٧، ٤٠٨
سورة التكوير		
﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۞ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۞ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴾	١٩ ـ ٢٩	٦٣٤
سورة الضحى		
﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾	٥	٣٩٤
﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴾	٦، ٧	٢٩٣
﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴾	٨	١١٨
﴿ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ ﴾	١١	٥٥٦

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشرح		
﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾	٧	٢٢
سورة التين		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	٤	١٨٧
سورة العلق		
﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾	١ ـ ٥	٢٠، ٤٥٨، ٥٢٩
﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	٥	١٨٧
سورة البينة		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾	٧، ٨	٦٥٤
سورة التكاثر		
﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾	١	١٢٩
﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾	٨	٦٠٠
سورة الهمزة		
﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۞ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾	١ ـ ٣	٣٣٦
سورة المسد		
﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾	١	١٧٥، ٢٩٥، ٣٣٦
﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾	٢	١٧٥، ٣٣٦
﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾	٣	٣٣٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

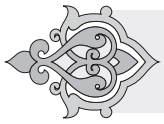
الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾	١٤	٣٣٦
﴿ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴾	٥	٣٣٦
سورة الإخلاص		
﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾	١	٤٠٩
سورة الفلق		
﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴾	١	٤٠٩
سورة الناس		
﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾	١	٤٠٩

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية



فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



غير مسموح بطباعة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
آذِنْ من حولك	٤٩٣
آكل كما يأكل العبد	٦٠٥
أبدعوى الجاهليَّة وأنا بين أظهركم	٢٥٥
أبْشِرُوا، فإنَّه سيأتي عليكم زمان يُغدى على أحدكم بالقصعة من الثريد	١٣٤
أبشروا وأمِّلوا، فوالله ما الفقرَ أخشى عليكم	٩٠
أبشرْ يا ابنَ العمِّ، واثبُتْ له، فوالذي يُحلَف به إنِّي لأرجو أن تكون نبيَّ	٥٩٠
ابْغُونِي ضعفاءَكم، فإنَّما تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم	١٤٥
أَبْلِي وأَخْلِقِي	٤٩
أبهذا أُمرتم أم بهذا أُرسلت إليكم؟ هلك من كان قبلكم حين تنازعوا	٣٩٩
أتدرون من المفلس؟. قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع	٢٨٦
أتشفعُ في حدٍّ من حدود الله يا أسامة؟	٢٧٤
اتَّق الله حيثما كنت، وأتْبع السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالق النَّاس بخُلق حسن	٢٦٥
اتق الله، وأمسك عليك زوجك	٤٨٤
أتى جبرائيل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، هذه خديجة قد أتت	٤٦١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أُتي رسولُ الله ﷺ بلحم، فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه	٦٠٢
أتيتُ رسول الله ﷺ وهو قاعد القُرفصاء	٦١٤
أتيتُ النبيَّ ﷺ بقناعٍ من رُطَب وأَجْر زُغْب	٥٧١
اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسولَ الله، وما هي؟ قال: الشرك بالله	٢٢٤
أجديدٌ هذا أم غسيل؟. فقال: بل غسيل. فقال: البَسْ جديدًا، وعِشْ حميدًا	٤٩
أجعلتني لله ندًّا؟	٣٧٢
اجلسي يا أمَّ فلان في أيِّ طرق المدينة شئتِ أجلس إليك حتَّى أقضي حاجتك	٥٨٠
أحبُّ الأديان إلى الله الحنيفيَّة السمحة	٢٠٢
أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قَلَّ	٢٠٢
احتَجَّت الجنَّة والنار، فقالت النار: فيَّ الجبَّارون والمتكبِّرون	١٤٢
أحسنوا إسارهم وقيِّلوهم واسقوهم، حتّى يبردوا، فتقتلوا من بقي	٣٢٩
أحيانًا يأتيني في مثلِ صَلْصَلة الجرس، وهو أشدُّه عَلَيَّ، فَيَفْصِمُ عني	١٩٤
اختبر النبيَّ ﷺ في سعة حَلْمَه وعفوه	٥٩٢
الأخوات مؤمنات: ميمونة زوج النبي ﷺ، وأختها أم الفضل بنت الحارث	٤٩٨
أدِّ الأمانة إلى مَن ائتمنك، ولا تخُن من خانك	٥٦٣
أدَّبني ربى فأحسن تأديبي	٥٦٨
أدَّبني ربي تأديبًا حسنًا	٥٥٦، ٥٦٦
ادعهم إلى شهادة أن لا إلٰه إلَّا الله، وأنِّي رسول الله	٢٢٦
ادْنُه. فدنا، فقال: أتحبُّه لأمِّك؟. قال: لا والله، جعلني الله فداك	١٧٣، ٢٤٨
إذا أتيتَ مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثمَّ اضطجع على شقك الأيمن	٦١٩
إذا أحبَّ الله ﷻ عبدًا حماه الدُّنيا، كما يظلُّ أحدكم يحمي سقيمَه الماء	١٣٦
إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يُؤذَن له، فلْيرجع	٤٢١، ٤٢٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إذا أصبح أحدكم، فليقل: أَصْبَحْنا وأصبح الملك لله ربِّ العالمين	٤٦
إذا أيقظ الرجل أهله من الليل مصليًا، فصلَّى ـ أو صلَّيَا ـ ركعتين جميعًا	٣٥
إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه	٤٣٨
إذا ترك الرجل مجلسًا وعاد فهو أحق به	٤٢٤
إذا جمع الله الأوَّلين والآخرين يوم القيامة: يُرفع لكلِّ غادر لواء	٣١٩
إذا دخل أحدُكم المسجدَ فليسلِّمْ على النبيِّ ﷺ	٤٣
إذا دخل الرجلُ بيتَه فذكر الله عند دخوله وعند طعامه	٥٠
إذا دخَلْتَ على أهلك، فسلِّم؛ يكُنْ بركة عليك وعلى أهلك	٤٩
إذا صلَّى أحدُكم للناس، فليخفِّف	٤٢٨
إذا طبختَ فأكثرِ المَرَقَ، واقسمْ في أهلكَ وجيرانك	٥٧٢
إذا طبَخَت مَرَقًا، فأكْثِر ماءَه، ثمَّ انظر أهلَ بيتٍ من جيرانك	٤٢٦
إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الثالث، فإن ذلك يحزنه	٤٢٤
إذا لم تستحِ فاصنعْ ما شئت	١٩٧
إذا وقعت لقمة أحدكم، فليمط عنها الأذى، وليأكلها، ولا يدعها للشيطان	٤٠٣
إذا وَلَجَ الرجل بيته، فليقل: اللهمَّ إنِّي أسألك خير المَوْلِجِ، وخير المَخْرَجِ	٥٠
أذكر الحال الَّتي فارق عليها رسول الله ﷺ الدُّنيا، والله ما شبع من خبز	١٠١
اذهبوا بها إلى بيت فلانة، فإنَّها كانت صديقة لخديجة، إنَّها كانت تحبُّ خديجة	٥٧٨
أرأيتَ إن خيَّرناها	٤٩٢
أرأيتكم لو أخبرتكم أنَّ خيلًا بالوادي تريد أنْ تغير عليكم أكنتم مصدقي؟!	٢٩٦
أربع في أمتي من أمر الجاهليَّة لا يتركونهن: الفخر في الأحساب	٢٢٢
أربعٌ من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح	٢٢٢
أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومَن كانت فيه خصلة منهنَّ كانت فيه خصلة	٢٢٢، ٣١٨

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ارجعْ إليها فقلْ لها: أرسلي بها، فإنَّها هَادِيَة الشاة، وأَقْرَب إلى الخير	٦٠٢
ارجعْ فصَلِّ، فإنَّك لم تُصَلِّ	١٧٥
أرحم أُمَّتي بأُمَّتي أبو بكر، وأشدُّهم في الله عمر	٢٥٩، ٣٤٦
أرِحْنا بها يا بلال!	٣٠
أرسل إلينا آل أبي بكر بقائمة شاة ليلًا، فأمسكتُ، وقطع النبيُّ ﷺ	١٠٦
اركبْ. فأبيت، فقال: إمَّا أن تركب، وإمَّا أن تنصرف	٥٧٤
ارْمِ فداكَ أبي وأمي	٢٥٨
ارموا بني إسماعيل فإنَّ أباكم كان راميًا	٦٢٧
أروني ابني، ما سميتموه؟. قال: قلت: حربًا. قال: بل هو حسن	٥٣٨
استرضى حفصة بتحريم مارية القبطية عليه	٥٠٩
استعينوا بالنَّسَلان	٦١٢
استقبلهم النبي ﷺ على فرس عري ما عليه سرج في عنقه سيف	٣٥٥
أسرَّ إليها حديثًا آخر في مسألة الخلافة، وتظاهرتا ـ أي تعاونتا ـ عليه في ذلك	٥١٠
أسرعكنَّ بي لحوقًا أطولكنَّ باعًا	٤٨٤
أسرعكن لحوقًا بي: أطولكن يدًا	٤٨٣
أسلم. قال: أجدني كارهًا. قال: أسلم، وإن كنتَ كارهًا	١٧٧
اشتكت النَّار إلى ربها فقالت: ربِّ أكل بعضي بعضًا	٢٠٤
أشيروا عليَّ أيها الناس	٣٤٣
أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبيِّنا محمَّد ﷺ	٤٧
أَصْبَحْنا وأَصْبَحَ الملك لله، والحمدُ لله، ولا إلٰه إلَّا الله، وحده لا شريك له	٤٤
اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنَّة: اصْدُقُوا إذا حدَّثتم	٢٢٤
اطَّلَعْتُ في الجنَّة، فرأيت أكثرَ أهلِها الفقراء	١٣٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أظنُّكم سمعتم أنَّ أبا عُبَيدة قدم بشيءٍ من البحرين؟. قالوا: أجلْ يا رسول الله	١٣٢
اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر	٧١
أعطى العبَّاس من الذهب ما لم يُطِقْ حَمْلَه	٥٧١
أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي	٥، ٦٣١، ٦٣٥
أعفُّ النَّاس قِتْلةً: أهلُ الإيمان	٣١٧
اعلموا أنَّ الجنَّة تحت ظلال السيوف	٢٠٥
أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم	٤٣
أعوذ برضاك من سَخَطِك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك	٦٢٢
أعيذك بكلمات الله التامَّة، من كلِّ شيطانٍ وهامَّة، ومن كلِّ عينٍ لامَّة	٢١٣
اغتسلوا يوم الجمعة ولو كأسًا بدينار	٤٣٩
اغتنمْ خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك	٢٢٣
اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله	
اغزوا ولا تغلُّوا ولا تغدِروا ولا تمثِّلوا	٣١٧
اغْسِلْنها ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك إن رأيتُنَّ ذلك، بماءٍ وسِدْر	٥٣٧
أفتَّان أنت يا معاذ؟ أفتَّان أنت يا معاذ؟ أفتَّان أنت يا معاذ	٣٩٨، ٤٢٨
افتحْ فاك. قال: ثمَّ قبله، ثمَّ قال: اللهمَّ أحبَّه، فإنِّي أحبُّه	٥٤٠
أفرغتَ يا أبا الوليد؟	٢٩٧
أفضلُ الصدقةِ ما أبقت غِنًى	١٩٨
أفلا أكون عبدًا شكورًا	٢٣، ٣٨٢
أَقْصِرْ عنَّا من جشائك، إنَّ أطول النَّاس جوعًا يوم القيامة أكثرهم شبعًا في الدنيا	٤٣٩
اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: «لا»	٩٧
اكتب فوالذي نفْسي بيده ما يخرج منه إلَّا حقٌّ	٣٩٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا، وخيارهم خيارهم لنسائهم وألطفُهم بأهلِه	١٩٧، ٥٩٥
ألا أُخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة: إذا نظر إليها سرَّته	٢١٥
ألا أخبركم بأفضلَ من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟. قالوا: بلى	٢١٨
ألا أخبركم بأهل الجنَّة؟ كل ضعيف مستضعَف، لو يقسم على الله لأبرَّه	١٤١
أَلَا أدلُّك على ملاك ذلك كلِّه؟. قال: بلى. قال: كُفَّ عليك هذا	٢٧٩
ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟	٢٦٧
ألا أُعَلِّمُك كلامًا إذا قلتَه أذهبَ الله همَّك، وقَضَى عنك ديْنك؟	٤٦
ألا إنَّ الله سيفتح لكم الأرض، وستُكْفَون المؤونة	٦٢٦
ألا إنَّ سلعة الله غالية، ألا إنَّ سلعة الله هي الجنَّة	٢١٠
ألا إنَّ في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله	٦٣٧
ألا إنَّ القوَّة الرمي	٦٢٦
ألا أُنَبِّئكم بأكبر الكبائر؟. ثلاثًا. قالوا: بلى يا رسول الله	٢١٨
ألا تجيبونه؟. قالوا: يا رسولَ الله، ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجلُّ	٣٦٠
ألا قلتِ: فكيف تكونان خيرًا مني، وزوجي محمَّد وأبي هارون وعمي موسى؟	٤٩٤
ألا هل بلغت؟. فتَجاوبت معه الأصوات من كل جانب: أن نعم.	٢٨٢
الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم	٣٥٠
اللهمَّ اجعل رزق آل محمَّد قوتًا	٣٩٢
اللهمَّ اجْعل في قلبي نورًا، واجْعل في لساني نُورًا	٤٢، ١٦٣
اللهمَّ اجعله حجًّا لا رياء فيه ولا سمعة	٧٠
اللهمَّ أحيني مسكينًا، وتوفَّني مسكينًا، واحشرني في زُمْرة المساكين	١٤٠، ٢٢٦
اللهمَّ ارزقْ آلَ محمَّد قوتًا وفي رواية: كَفَافًا	١١٧
اللهمَّ أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على النَّاس	٣٩١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
اللهمَّ أصلحْ لي ديني الَّذي هو عِصْمة أمري، وأصلحْ لي دُنْيَايَ الَّتي فيها معاشي	٣٨، ٢١١
اللهمَّ أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك	٢١١
اللهمَّ اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري	٣٨، ٢١٢
اللهمَّ اغفرْ لي ذنوبي، وافتحْ لي أبواب رحمتك	٤٣
اللهمَّ اغفر لي ما قدمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ	٢١٢
اللهمَّ أُمَّتي أُمَّتي. وبكى، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمَّد	٣٩٤
اللهمَّ إنَّا نجعلك في نحورهم، ونعوذُ بك من شرورهم	٣٠٧
اللهمَّ إنَّا نستعينك ونستهديك، ونستغفرك ونتوب إليك	٣٩
اللهمَّ أنت ربي، لا إلٰه إلَّا أنت، خلقتني وأنا عبدك	٣٧
اللهمَّ إنِّي أبرأ إليك ممَّا صنع خالد	٣٩٨
اللهمَّ إنِّي أسألك العافية في الدُّنيا والآخرة	٤٦
اللهمَّ إنِّي أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملًا متقبَّلًا	٤٧
اللهمَّ إنِّي أشكو إليك ضعف قوَّتي، وقلَّة حيلتي، وهواني على النَّاس	٢٩٩
اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الخُبُثِ والخبائث	٥٠، ٦١٤
اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق	٢١٣
اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع	٢١٣
اللهمَّ إنِّي عبدك، ابنُ عَبْدِك، ابن أمَتِكَ، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حُكْمك	٣٨
اللهمَّ إنِّي قد رضيتُ عن عثمان فارض عنه	٣٩٥
اللهمَّ اهدني فيمن هديتَ، وعافني فيمن عافيتَ، وتولَّني فيمن توليتَ	٣٩
اللهمَّ اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلَّا أنت	٢١٢
اللهمَّ بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيِني ما علمتَ الحياة خيرًا لي	٢١١
اللهمَّ بك أَصْبَحْنا، وبك أَمْسَيْنا، وبك نَحْيا، وبك نموت، وإليك النشور	٤٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
اللهمَّ ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السماوات والأرض	٤١
اللهمَّ ربَّ السماوات والأرض، وربَّ العرش العظيم، ربَّنا ورب كل شيء	٤١٠
اللهمَّ ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما شئتَ من شيء بعد	٣١
اللهمَّ قِنِيْ عذابك يوم تَبْعَثُ عبادك	٤١٠
اللهمَّ لك الحمد أنت كَسَوْتَنِيه، أسألُك خيرَه، وخير ما صُنِعَ له	٤٨
اللهمَّ لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومَن فيهن	٤١، ٤١١
اللهمَّ لك ركعتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، خشع لك سمعي وبصري	٣١
اللهمَّ لك سجدتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ	٣١
اللهمَّ منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازمَ الأحزاب؛ اهزمهم وانْصرنا عليهم	٣٠٧
اللهمَّ هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك	٥٠٥
أمَّا إنِّي أخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنِّي أقوم وأنام، وأصوم وأُفطر	٢٥٦
أمَّا بعد	٥٥
أمَّا بعدُ، فإنَّه لم يخفَ عليَّ مكانُكم، لكنِّي خشيتُ أن تُفْرَض عليكم	٨٢
أمَّا كان معهم لهو؟ فإنَّ الأنصار يعجبهم اللهو	٣٨٧
إما لا، فاصبروا حتَّى تلقوني، فإنَّه سيصيبكم بعدي أَثَرَة	٩٨
أمَّا من أنا، فأنا محمَّد بن عبد الله، وأمَّا ما أنا؟ فأنا عبد الله ورسوله	٥٩٣
أما وجد هذا ما يُسَكِّنُ به شعره. ورأى آخر عليه ثياب وسخة	٤٣٥
أمتهوِّكون ـ أي: أمتَحيِّرون ـ فيها يا ابنَ الخطَّاب؟ واللهِ لو كان موسى حيًّا	٢٥٥
أمر بالقدور الَّتي طُبخت من النُّهْبَى فأُكفئت	٣٢٤
أمر الداخل وهو يخطب أن يصلي ركعتين	٥٦
أمر الَّذي شرب قائمًا أن يستقيءَ	٦١٠
أمر من صلاها أن يصلِّي بعدها أربعًا	٥٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدُّور، وأن تُنَظَّف وتُطَيَّب	٢٧
أميطي عنه ـ أو نحِّي عنه ـ الأذى. قالت: فتقذَّرْتُه	٥٤٢
إنَّ آل أبي فلانٍ ليسوا لي بأولياء، غير أنَّ لي رَحِمًا سأبُلُّها بِبلَالها	٥٧٨
إن إبراهيم ابني، وإنَّه مات في الثدي، وإن له لظئرين تُكَمِّلان رَضَاعه في الجنَّة	٥٣٠
إن ابني ارْتَحَلَني فكرهت أن أُعْجِله	٥٣٩
إنَّ أحبَّ الصيام إلى الله صيامُ داود، وأحبَّ الصلاة إلى الله صلاةُ داود عليه السلام	٣٥
إنَّ أحبَّكم إليَّ، وأقربَكم مِنِّي في الآخرة: محاسنُكم أخلاقًا	٥٩٥
إنَّ أخوف ما أخاف على أُمَّتي كل منافق عليم اللسان	٢٠٠
إنَّ الله أوحى إليَّ أن تواضعوا، حتَّى لا يبغي أحد على أحد	٦٤٠
إنَّ الله بعثني لأتمِّم مكارم الأخلاق	٥٥٦
إنَّ اللهَ تعالى رَضِيَ لهذه الأمَّة اليسير، وكره لها العسير	٨٥
إنَّ الله تعالى ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها	٤٠٧
إنَّ الله تعالى يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سنة من يجدِّد لها دينها	١٨٥
إنَّ الله حرَّم عليكم: عقوقَ الأمهات، ووأدَ البنات، ومنعًا وهاتِ	٢١٣
إنَّ الله زوى لي الأرض ـ أي جمعها وضمَّها ـ فرأيت مشارقها ومغاربها	٦٣٥
إنَّ الله عزَّ وجلَّ ليحمي عبده المؤمن الدُّنيا وهو يحبُّه	١٣٦
إنَّ الله كريمٌ يحبُّ الكرم، ويحبُّ معاليَ الأخلاق، ويكرهُ سفسافَها	٥٩٥
إنَّ الله لا يملُّ حتَّى تملُّوا	١٩٧
إنَّ الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام	٤٠٧
إنَّ الله لا ينظر إلى أجسامكم وصُوَركم، ولكنْ ينظرُ إلى قلوبكم وأعمالكم	٧٥، ١٩٧
إنَّ الله لم يبعثني معنِّتًا ولا متعنِّتًا، ولكن بعثني معلِّمًا ميسِّرًا	٨٥، ٢٣٥
إنَّ الله وملائكته، وأهل السماوات والأرض، حتَّى النَّمْلة في جُحْرها	٢٣٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إن أوَّل ما يحاسب النَّاس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة	٢٥
أن بابه عليه السلام كان يقرع بالأظافر	١١٣
إنَّ بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب	٥٣١
إنَّ بين أيديكم عقبة كؤودًا، لا ينجو منها إلَّا كل مخفٍّ	١٣٤
إنْ تقرَّب إليَّ بشبرٍ تقرَّبت إليه ذراعًا، وإن تقرَّب إلي ذراعًا تقرَّبتُ إليه باعًا	٢٠٤
أنَّ جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرَّة أو مرتين	٦٠، ٥٣١
إنَّ حوضي ما بين عَدَن إلى عَمَّان، أكوابه عدد النجوم	١٣٧
إنَّ خليلي ﷺ عهد إليَّ أنَّ دون جسر جهنم طريقًا ذا دَحْض ومَزِلَّة	١٣٥
إنَّ خيرَ دِينِكم أيسرُه، إنَّ خيرَ دِينِكم أيسرُه	٨٥، ١٩٨
إنَّ دماءكم وأموالَكم حرامٌ عليكم، كحُرْمة يومكم هذا، في شهركم هذا	٦٩
إنَّ الدُّنيا حُلوة خَضِرة، وإنَّ الله تعالى مستخلفكم فيها	١٢٥
إنَّ الدُّنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلَّا ذكرُ الله، وما والاه، وعالم أو متعلِّم	١٣٠
إنَّ الدِّينَ يُسر، ولن يشادَّ الدّينَ أحدٌ إلَّا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا وأبْشروا	٨٣، ١٩٩
إنَّ دينَ الله عز وجل في يسر، إنَّ دينَ الله عز وجل في يسر، إنَّ دينَ اللهِ عز وجل في يُسْر	٨٥
إنَّ الرائد لا يكذب أهلَه، والله لو كذبتُ النَّاس جميعًا ما كذبتُكم	٤٤٢
إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الَّذي لها، فافعلوا	٥٣٦
إنَّ رجلًا أتاني وأنا نائم، فأخذ السيف، فاستيقظت وهو قائم على رأسي	٣٥٧
أنَّ رسولَ الله ﷺ حج على رَحْل	٧٠
إنَّ رسول الله ﷺ ذكر خديجة، فقلت: لقد أعقبك الله عز وجل من امرأة من نساء قريش	٤٠٠
أنَّ رسولَ الله ﷺ قبَّل عثمان بن مظعون وهو ميت وهو يبكي	٣٨٣
أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا صَلَّى ركعتي الفجر اضطجع على شِقِّه الأيمن	٦٢٠
أنَّ رسولَ الله ﷺ لم يَجتمع له غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلَّا على ضَفَف	١٠٤

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أنَّ رسولَ الله ﷺ مر على صبيان فسلَّم عليهم	٥٨٠
إن رسول الله كان يستأذن في يوم المرأة منَّا بعد أن أنزلت هذه الآية	٥٢٤
أن ركانة صارع النبي ﷺ فصرعه النبي ﷺ	٦٢٨
إنَّ رُوحَ القُدُس نفث في رُوعي أنَّه لن تموت نفس حتَّى تستوفيَ رزقَها وأجلَها	٣٧٧
إنَّ الشاهد يرى ما لا يرى الغائب	١٩٩
إنَّ الشَّمس والقمر آيتان من آيات الله ﷻ لا ينكسفان لموت أحدٍ	٣٧١
إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته	٥٢٦
إنَّ الشيطان يجري من ابنِ آدم مجرى الدم	١٩٩
إنَّ الصبر عند الصدمة الأولى	١٩٩
إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مَئِنَّةٌ من فقهه، فأطيلوا الصلاة	٥٥
إنَّ الظلم ظُلُمات يوم القيامة	١٩٩
إنَّ عثمان رجلٌ حَيِيٌّ	٢٦٨
إنَّ العينَ لتدمع، وإنَّ القلبَ ليحزن، ولا نقول إلَّا ما يُرضي ربَّنا	٣٧٩، ٣٨٠، ٣٩٣
إنَّ في الليل لساعةً لا يوافقها رجلٌ مسلمٌ يسأل الله خيرًا	٣٥
إن كانت الأَمَة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله	٤٣٠، ٥٨١
إن كان ليُوحَى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته، فتضرب بِجِرَانِها	١٩٤
إنْ كنَّا لننظر إلى الهلال، ثمَّ الهلال، ثلاثة أهلَّة في شهرين	١٠٢، ٣٩١، ٣٩٢
إنَّ لجَسَدِكَ عليك حقًّا	٥٩٨
إنَّ لصاحب الحق مقالًا	١٩٨
إنَّ لكل أمَّةٍ فتنةً، وفتنة أمَّتي المال	١٣٢
إنَّ للإسلام ضوءًا ومنارًا كمنار الطريق	٢٠٧
إن للمسلم حقًّا إذا رآه أخوه أن يتزحزح له	٤٢٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلٌّ عنده بأجل مسمًّى، فلتصبر، ولتحتسب	٣٨٣
إنَّ مَثَلي ومَثَلَ الأنبياء من قبلي، كمثلِ رجلٍ بنى بيتًا، فأحسنه وأجمله	٥، ١٨٦، ٦٣٥
إنَّ مَطْعم ابن آدم جُعِلَ مثلًا للدنيا، وإن قَزَّحَه وملَّحه، فانظر إلى ما يصير	١٣٠
إنَّ ممَّا أخاف عليكم ما يفتح الله عليكم من زهرة الدُّنيا وزينتها	١٣٤
إنَّ من أعظم الفِرى: أن يُري الرجلُ عينَه ما لم تَرَ	٢٠٤
إنَّ من أفضل أيامِكم يومَ الجمعة، فيه خَلَقَ اللهُ آدم، وفيه قُبِضَ	٥٤
إنَّ من أمَّتي من لو جاء أحدكم يسأله دينارًا لم يُعْطِه، ولو سأله درهمًا لم يعطِه	١٤٦
إنَّ من خياركم أحاسنكم أخلاقًا	٤٣٢، ٥٩٥
إنَّ من الشجر شجرةً لا يسقط ورقها، وإنَّها مَثَل المسلم، فحدِّثوني ما هي؟	٢٠٧، ٢٨٥
إنَّ منكم منفِّرين، فأيُّكم ما صلَّى بالنَّاس فليتجوَّز	٣٩٨، ٤٢٨
أنَّ نبيَّ الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كُلِّ جبَّار	١٧٦
أنَّ النبي ﷺ بعث بسيسة عينًا ينظر ما صنعت عير أبي سفيان	٣٥٠
أنَّ النبي ﷺ طلَّق حفصة تطليقة، ثمَّ راجعها بأمر جبريل عليه السلام له بذلك	٤٨١
أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا تكلَّم بكلمة أعادها ثلاثًا حتَّى تُفهم عنه	٢٨٩
أنَّ النبي ﷺ نعى جعفرًا وزيدًا قبل أن يجيء خبرهم وعيناه تذرفان	٣٨٣
إنَّ النُّهبة ليست بأحلَّ من الميتة، أو إنَّ الميتة ليست بأحلَّ من النُّهبة	٣٢٤
إن هذا اتبعنا، فإن شئت أن تأذن له، وإن شئت رجع	٤٢٧
إنَّ هذا الدِّين متين، فأَوغِلوا فيه برفق	٧٩
إنَّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام النَّاس	١٧٢، ٢٥٢، ٢٥٣
إنَّ وراءكم عقبةً كؤودًا لا يجوزها المُثْقِلون	١٣٥
إن يكن عند أحد من القوم خيرٌ فهو عند صاحب الجمل الأحمر	٣٤٩
أن يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله ﷺ	٣٧٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّا حامِلُوكَ على ولد الناقة!. فقال: يا رسولَ الله، وماذا أصنع بولد الناقة؟!	٣٨٦
أنا خاتم النبيين، فلا نبي بعدي	٦٣٥
أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابن عبد المُطَّلِب	٣٦٢
أنا وكافلُ اليتيم في الجنَّة هكذا	٢٧٩
إناء مثل إناء، وطعام مثل طعام	٥٠٩
أنتم الَّذين قُلتم كذا وكذا، أمَّا والله إنِّي لأخشاكم لله وأتقاكم له	٩١
أُنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي، فكادت تَرُضُّ فَخذي	١٩٤
انصرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا	٢١٥، ٢١٩، ٢٨٧
انطلقوا باسم الله وبالله، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا	٣١٥، ٣٢١
انظرْ أرفعَ رجلٍ في المسجد. قال: فنظرتُ، فإذا رجل عليه حُلَّة	١٤٤
إنَّك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فادعُهم إلى شهادة أن لا إلٰه إلَّا الله	١٧٧، ٢٦١، ٣٤٨
إنَّكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة، وخيرُ دِينِكم أيسرُه	٨٤
إنَّما أَجْلِسُ كما يَجلِس العبدُ، وآكل كما يأكُلُ العبد	٦٠٤
إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى	١٩٦، ٢٥١، ٤٣٣
إنَّما أنا رحمة مهداة	٢٠٢
إنَّما أنا عبدٌ آكلُ كما يأكلُ العبد، وأجلس كما يجلس العبد	٥٧٩
إنَّما أنا لكم مثلُ الوالد لولده	٢٤٢
إنَّما أهلك من كان قبلكم الدينار والدرهم، وهما مهلكاكم	١٣٣
إنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّم صالحَ الأخلاق	٢٠٢
إنَّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	٥٦٨، ٥٧٠، ٥٨٢
إنَّما بُعثتم ميسِّرين، ولم تُبعثوا معسِّرين	٢٠٢، ٢٥٠
إنَّما تُنْصَرُ هذه الأُمَّة بضعيفها: بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم	١٤٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّما الدُّنيا لأربعةِ نفرٍ: عبد رزقه الله مالًا وعلمًا، فهو يتَّقي فيه ربَّه	٢٢٢
إنَّما كان فراش رسول الله ﷺ الَّذي ينام عليه أَدَمًا حشوه ليف	١١٤
إنَّما مثلي ومثل النَّاس كمثل رجل استوقد نارًا	٢٨٣
إنَّما النَّاس كالإبل المائة، لا تكاد تجدُ فيها راحلة	٢٠٦
إنَّما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب	٣٩٩
إنَّما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتابَ الله بعضه ببعض	٢٥٦
إنَّما يكفي أحدُكم كزاد الراكب	١٥٣
أنَّه أتى النبيَّ ﷺ فأسلم على أنَّه لا يصلي إلَّا صلاتين	١٧٧
أنَّه بال قائمًا	٦١٥
أنَّه عليه السلام كان لا يواجه أحدًا بما يكره	٥٧٤
إنَّه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة	١٤٢
إنَّه ليس بكِ على أهلكِ هوانٍ، إن شئتِ سبَّعت لكِ، وإن سبَّعت لكِ	٤٨٩
إنَّه ليُهوِّنُ عليَّ أنِّي رأيت بياض كفِّ عائشة في الجنَّة	٤٧٥
أنه ما ضرب بيده شيئًا قط: لا امرأة، ولا خادمًا...	٨٥، ٢٤٥، ٣٩٦، ٥٠٢، ٥٧٧
إنِّي أريد أن أزوجك زيد بن حارثة، فإنِّي قد رضيته لك	٤٨٦
إنِّي أُمِرْتُ بالعفو، فلا تقاتلوا القوم	٣٣٧
إنِّي أناجي من لا تناجون	٤٠٣
إنِّي دخلْتُ الكعبة، ولو اسْتقبلتُ من أمرِي ما استدبرْتُ ما دخلْتُها	٨٢
إنِّي ذاكرٌ لكِ أمرًا، فلا عليك أن لا تعجلي حتَّى تستأمري أبويك	١٢٣
إنِّي قد عرفت أنَّ ناسًا من بني هاشمٍ وغيرهم قد أُخرجوا كُرْهًا	٣٤٩
إنِّي لأشهد على رسول الله ﷺ، ما فرَّ يومئذٍ	٥٦٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنِّي لا أستطيع أن أدور بينكن، فإن رأيتُنَّ أن تأذنَّ لي أن أكون عند عائشة	٥٠٣
إنِّي لم أُبْعَث لعَّانًا، ولَكِنِّي بُعِثْتُ داعيًا ورحمة	٥٧٠
إنِّي والله ما آمنُ يهودَ على كتابي	٣٤٨
أؤخِّرُ عن أُمَّتي، لعلَّ الله أن يتوب عليهم	٥٧٧
أوصاني رسولُ الله ﷺ بخصال من الخير	١٤١
أوصى ﷺ صحابته بالإكثار من صيام شهر الله المحرَّم	٦٣
أوصى ﷺ صحابته بصيام ثلاثة أيام من كلِّ شهر	٦٣
أوَفي هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم عُجِّلوا طيباتهم في الحياة الدنيا	٥١٦
أَوَّلُ ما بُدِئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصَّادقة في النوم	٣٧٧
أوَّل ما يُحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له: ألم أُصِحَّ لك جسمَك	١٢٧
أوَّل ما يُسأل عنه العبدُ يوم القيامة من النعيم أن يُقال له: ألم نُصِحَّ لك جِسْمَك	٦٠٠
أولئك قومٌ عُجِّلت لهم طيِّباتهم في حياتهم الدنيا	٣٩٢
أوْلِمْ ولو بشاة	١٤٩
أوَليس قد جعل الله لكم ما تصدَّقون؟ إنَّ لكم بكلِّ تسبيحة صدقة	٢١٥
أي بلد أعظم حرمة؟. قالوا: بلدنا هذا. قال: فإنَّ دماءكم وأموالكم	٧٠
أي بُنية، ألست تحبين ما أحب؟. قالت: بلى. قال: فأحبِّي هذه	٥٠٧
أيُّ الخلق أعجب إليكم إيمانًا؟. قالوا: الملائكة	٢٨٥
إيَّاك والتنعُّمَ؛ فإنَّ عباد الله ليسوا بالمتنعِّمين	٩١
إيَّاكم والغلوَّ في الدِّين، فإنَّما أهلك من كان قبلكم الغلوَّ في الدِّين	٨١
أيُّكم يحبُّ أنَّ هذا له بدرهم؟. فقالوا: ما نحب أنَّه لنا بشيء، وما نصنع به؟	١٢٩، ٢٧٧
أيُّكم يحبُّ أن يغدو إلى بُطحانَ أو العقيق	٢١٨
إيمانٌ بالله، وجهاد في سبيله	٣١٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
الإيمان بضعٌ وستُّون شُعْبة، أعلاها: لا إلٰه إلَّا الله، وأدناها: إماطة الأذى	٥٨٧
الإيمانُ قَيْدُ الفَتْكِ، لا يَفْتِكُ مؤمن	٥٨٧
أيها النَّاس، ارْبَعوا على أنفسكم، فإنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا	٨٠
أيُّها النَّاس، إنَّ الشمسَ والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموتِ أحدٍ	٢٧٥
أيها النَّاس، لم تراعوا، لم تراعوا. ثمَّ قال لأبي طلحة: إنا وجدناه بحرًا	٣٠٨
أيُّ يوم أعظم حرمة؟. فقالوا: يومنا هذا. قال: فأيُّ شهر أعظم حرمة؟	٦٩
أيُّ يوم هذا؟. فسكتْنا حتَّى ظننَّا أنَّه سيُسمِّيه سوى اسمه. فقال: أليس يوم النحر	٢٨١
ب	
بأبي هو وأمي، لم يكن فاحشًا، ولا متفحشًا، ولا صخابًا في الأسواق	٤٣٢، ٥٧٤
باسم الله، توكَّلْتُ على الله، اللهمَّ إنِّي أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ	٤٢
البرُّ حُسْنُ الخُلُق، والإثمُ ما حاكَ في صدرِكَ وكرهْتَ أن يطّلِعَ عليهِ الناسُ	٥٩٤
بَشَّرَ النبي ﷺ خديجة؟ قال: نعم، ببيت من قَصَب	٤٦١
بُعثت أنا والساعةَ كهاتين	٢٧٨
بعثنا رسول الله ﷺ، وأمَّر علينا أبا عبيدة	١٥١
بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا	٥٧٧
بل عبدًا رسولًا	٩٩، ٥٧٩
بل هو الرأيُ والحربُ والمكيدة	٣٤٤
بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إلٰه إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله	٢٢٣
بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة	٤٣٢
بئس خطيبُ القومِ أنت	٣٧٢
بينا نحن ننتظر رسول الله ﷺ في الظهر أو العصر، وقد دعاه بلال إلى الصلاة	٥٤١
البيِّنة على المدَّعي، واليمين على من أنكر	٢٠١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ت	
تأخذ إحداكنَّ ماءَها وسِدْرها، فتطهرُ فتحسن الطهور، فتصب على رأسها	٥٠٠
تأخذ فوق يديه، أو تمنعه من الظلم، فذلك نصرك إيَّاه	٢٢٠
تبسُّمك في وجه أخيك صدقة	٢٠٠
التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع	٤٣٨
تُخرج الزكاةَ من مالك؛ فإنَّها طُهْرة تُطَهِّرُكُ، وتصلُ أقرباءك	٦٥
تدرون من المُفْلس؟. قالوا: المفلس فينا ـ يا رسول الله ـ من لا درهم له ولا متاع	٢١٤
تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلَّا ما يُرْضي ربَّنا	٣٨٢
ترك الاعتكاف في شهر رمضان، حتى اعتكف في العشر الأول من شوال	٥٩
تزوجها رسول الله ﷺ وهو حلال	٤٩٧
تزوجها رسول الله ﷺ وهو محرم	٤٩٧
تزوَّجوا، فإنِّي مُكاثر بكم الأمم، ولا تكونوا كرهبانيَّة النصارى	٩٣
تُطعم الطعام، وتَقْرأ السلام على مَنْ عرفت ومَن لم تعرف	٢٦٦
تعبدُ الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيمُ الصَّلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرَّحم	٢٦٤
تَعِس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة	٢٠٣
تعوَّذوا بالله من جَهد البلاء، ودَرَك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء	٢١٣
التقى مؤمنان على باب الجنَّة: مؤمن غنيٌّ، ومؤمن فقير، كانا في الدُّنيا	١٣٩
تمنعُه من الظلم؛ فذلك نصرٌ له	٢٨٧
توضَّؤوا باسم الله	٥١
تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي	١١٧، ١١٩
تُوفي رسول الله ﷺ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد	١١٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ث	
ثلاث لا يؤخَّرْن: الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت، والأيِّم إذا وجدت	٢٢١
ثلاث من الفواقر: إمام إن أحسنتَ لم يشكر وإن أسأتَ لم يغفر	٢٢٢
ثلاث مهلكات وثلاث منجيات، فأما المهلكات: فشحٌّ مطاع	٢٢١
ثلاثة كلهم ضامِنٌ على الله: رجلٌ خرج غازيًا في سبيل الله	٥٠
ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرًا	٢٠٣
ثلاثةٌ لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وأدرك النبيَّ ﷺ فآمن به	٢٣٦
ج	
جئتُ رسول الله ﷺ يومًا، فوجدته جالسًا، وقد عصب بطنه بعصابة	١٠٥
ح	
حتى استأمر السُّعود	٣٤٦
حتَّى تذوقي عُسَيْلَتَه ويذوقَ عُسَيْلَتَكِ	٢٠٣، ٤٣٤
حج على رحل رثٍّ عليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم	٥٨٠
الحَجَرُ الأسود من الجنَّة	٢١٠
حديث أصحاب الأخدود	٢٢٥
حديث الأعمى والأبرص والأقرع	٢٢٥، ٢٨٤
حديث أُمِّ زَرْعٍ	٣٨٥
حديث توبة من قتل تسعة وتسعين نفسًا	٢٢٥
حديث الدابة	٢٢٥
حديث هرقل	٥٩٠، ٥٩١
حُسَيْنٌ مِنِّي وأنا منه، أحبَّ اللهُ من أحبَّ الحسن والحُسَين، سبطان من الأسباط	٥٤٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
حفظتُ عن رسول الله ﷺ عشر ركعات: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها	٣٢
حقٌّ على الله ألَّا يرتفع شيء من الدُّنيا إلَّا وضعه	٦٢٩
حقٌّ على كل مسلم في كل سبعة أيام يوم يغسل فيه رأسه وجسده	٤٣٥
الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما أمورٌ متشابهاتٌ لا يعلمهنَّ كثيرٌ من النَّاس	٢١١
الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه غير مَكْفِيٍّ ولا مُوَدَّع ولا مُسْتَغْنًى عنه ربنا	٤٠٥
الحمد لله الَّذي أحيانَا بعدما أماتنا وإليه النشور	٤٠، ٤١٠
الحمد لله الَّذي أذهب عني الأذى، وعافاني	٥١
الحمد لله الَّذي أطعم وسقى، وسَوَّغه، وجعل له مخرجًا	٤٠٦
الحمد لله الَّذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممَّن لا كافي له ولا مُؤْوي	٤١٠
الحمد لله الَّذي كفاني وآواني، والحمد لله الَّذي أطعمني وسقاني	٤٩
الحمد لله الَّذي يُطْعِم ولا يُطْعَم، منَّ علينا فهَدَانا، وأطعمنا وسقانا	٤٠٥
الحمد لله، ما دخل بطني طعامٌ سُخْنٌ منذ كذا وكذا	١٠١
حُملت إليه تسعون ألف درهم فوُضِعَتْ على حصير، ثمَّ قام إليها يقسمها	٥٧١
الحياء لا يأتي إلَّا بخير	١٩٧
خ	
خَبَّ في طَوَافِه ثلاثًا، ومشى أربعًا	٦١٢
خبره في صلاة الليل	٥٧٦
خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أف	٣٩٦
خُذوا شَطْر دينكم عن هذه الحميراء	٤٧٦
خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود فبدأ به	٢٥٨، ٣٤٧
خذوا من العمل ما تُطيقون؛ فإنَّ الله لا يَمَلُّ حتَّى تَملُّوا	٧٨

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
خذي فِرْصة مُمسَّكة فتوضئي ثلاثًا	٤٩٩
خذي فِرْصَة من مسك فتطهري بها. قالت: كيف أتطهَّر بها؟ قال: تطهَّري بها	٤٩٩
خرج رسول الله ﷺ من الدُّنيا، ولم يشبع من خبز الشعير	١٠٢
خرج رسول الله ﷺ من الدُّنيا، ولم يشبع هو ولا أهله من خبز الشعير	١٠١
خرج علينا النبيُّ ﷺ وأُمامة بنت أبي العاص بنت بنته على عاتقه	٥٤١
خَصلتان ـ أو خَلتان ـ لا يُحافِظ عليهما عبدٌ مسلم إلَّا دخل الجنَّة	٢٢٠
خلَّف النبي ﷺ عثمان وأسامة بن زيد على رقيَّة في مرضها	٥٣٤
خمسُ خصالٍ إذا ابتليتم بهن، وأَعوذ بالله أَن تدركوهن	٢٢٣
خمسُ صلواتٍ في اليوم والليلة. فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: لا	١٧٦
خيرُ الصَّدَاق أيسرُه	١٩٨
خير النَّاس أنفعهم للناس	٢٠٠
خير النَّاس من طال عمره، وحَسُن عمله	٢٠٣
خير نساء ركبن الإبل صالحُ نساء قريش، أحناه على ولد في صغره	٤٥٧
خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد	٤٦٦
خيرُ النِّكاح أيسرُه	١٩٨
خيرُ يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق الله آدم	٥٣
خيرُكم خيرُكم لأهلِه	٢٠٠
خيركُم من تعلَّم القرآنَ وعلَّمه	٢٣١
الخيلُ معقودٌ بنواصيها الخير	٢١٠
د	
دَبَّ إليكم داءُ الأمم من قبلكم: الحَسَدُ والبغضاء	٢٠٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
دخل رسول الله ﷺ مكَّة يوم الفتح وذقنُه على رَحْله مُتخشِّعًا	٣٦٣
دخل على ابنة عمِّه أمِّ هانئ بنت أبي طالب، فاغتسل وصلَّى ثماني ركعات	٧٣، ٣٦٤
دعْ ما يَريبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ	١٩٨
دعوا ظهري للملائكة	٦١٣
الدُّنْيا حُلوة خَضِرة، فمن أخذها بحقِّها بارك الله له فيها	١٢٥
الدنيا دارُ مَن لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له	١٣٢
الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة	١٩٩
الدين النصيحة	١٩٨
ذ	
ذاق طعم الإيمان: من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا	٤١٩
ذاك شهرٌ يَغْفُل النَّاس عنه بين رجبٍ ورمضانَ، وهو شهر تُرْفَعُ فيه الأعمال	٦٢
ذكر رسول الله ﷺ يومًا خديجة، فأطنب في الثناء عليها	٤٦٣
ذلك يومٌ وُلِدْتُ فيه، ويومٌ بُعِثْتُ ـ أو أنزل عليَّ ـ فيه	٦٤
ذمَّ النبي ﷺ في حديث له صنفًا من الأئمة إنْ أحسنتَ لم يشكر	٢٥٩
ر	
رأيتُ رسول الله ﷺ مستلقيًا في المسجد واضعًا إحدى رِجليه على الأخرى	٤٠٩
رأيت النبي ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت	٤٠٦
رأيت النبي ﷺ مقعيًا يأكل تمرًا	٦٠٥
رأيتم لو أنَّ نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات	٢٠٧
رُبَّ أشعثَ أغبر، مدفوعٍ بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرَّه	١٤٦
رباط يوم في سبيل الله خير من الدُّنيا وما عليها	٣١٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه	٣١٤
رب اغفر لي وارحمني، واجبرني وارفعني، وارزقني واهدني	٣١
ربِّ اغفرْ لي وتبْ عليَّ، إنَّك أنت التوَّاب الغفور	٣٧
رُبَّ حامل فقه إلى مَنْ هو أفقه منه	٢٠١
ربَّ صائم ليس له من صيامه إلَّا الجوع، وربَّ قائم ليس له من قيامه إلَّا السهر	١٩٩
رُبَّ قائم ليس له من قيامه إلَّا السهر، ورُبَّ صائمٍ ليس له من صيامه إلَّا الجوع	٥٨٣
ربَّ مبلَّغ أوعى من سامع	٢٠١
رحم الله أخي موسى، لقد أُوذي أكثر من هذا فصبر	٣٩٧
رحمة الله عليك، إن كنت ما علمتُ لوصولًا للرحم، فعولًا للخيرات	٣١٨، ٣٩٣
ردَّ رسولُ الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتُّل	٩٤
ردَّ على هوازن سباياهم، وكانت ستَّة آلاف	٥٧١
رُدُّوه إلى حَالِه الأوَّلِ، فإنَّه مَنَعَنِي صلاتي الليلة	٤٠٩
رضيتُ لأُمَّتي ما رضي لها ابن أمِّ عبدٍ	٣٩٥
رغبته لربِّه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة	٥٧٦
ز	
زادك الله حرصًا ولا تعد	٢٥١
زُويت لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ مُلك أُمَّتي ما زُوِي	٣٠٩
س	
سابق بين الخيل وأعطى السابق	٦٢٩
سابق الرسول ﷺ بين الخيل الَّتي أُضمرت، فأرسلها من الحَفْياء	٦٢٩
سأفعل إن شاء الله. قال عِتْبان: فغدا رسولُ الله ﷺ وأبو بكر حين ارتفع النهار	٢٨
سبحان الله وبِحَمْدِهِ عشرًا، سبحان الملك القدوس عَشْرًا	٤٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
سبحان ربي العظيم، فكان ركوعه نحوًا من قيامه	٣٤
سبحانك وبحمدك لا إلٰه إلَّا أنت	٧٨
سبحان الملك القدوس	٤٢
سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه: إمام عادل	٢٢٤
سبق درهمٌ مائة ألف درهم!. فقال رجل: وكيف ذاك يا رسول الله؟	٢١٩
سبُّوح قدُّوس ربُّ الملائكة والروح	٣١
سُبِيَت صفية يومَ خيبر، وصارت في سهم دِحْية الكلبي، فقيل للنبيِّ ﷺ عنها	٤٩٣
ستر ما بين الجن وعَوْرات بني آدم إذا دخل أحدكم الكنيفَ أن يقول: باسم الله	٥١
السفر قطعةٌ من العذاب	١٩٩
سلوا اللهَ العفوَ والعافيةَ والمعافاةَ، فما أوتي أحدٌ بعد يقينٍ خيرًا من معافاة	٦٠٠
سلوا الله اليقينَ والمُعَافاةَ، فما أوتي أحدٌ بعد اليقين خيرًا من العافية	٦٠٠
سمِّ الله، وكُلْ ممَّا يليك	٤٠٦
سمعتَ بلالًا نادى ثلاثًا؟. قال: نعم. قال: فما منعك أن تجيء به؟	٣٢٦
سمى العام الَّذي ماتت فيه عام الحزن	٣٧٩، ٤٧٠
السواك مطيبة للفم، مرضاة للرب	٤٣٦
سيتصدَّقون ويجاهدون إذا أسلموا	١٧٧
سيِّدُ الاستغفار أن يقول العبد: اللهمَّ أنت ربي، لا إلٰه إلَّا أنت	٤٧
سيروا وأبشروا، فإنَّ الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين	٣٤٣
سُئلت أيضًا عن خُلقه ﷺ، فقرأت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾	٥٥٥
ش	
شرب قائمًا	٦١٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
شرب مرَّة عسلًا عند زينب كان أُهْدِيَ إليها، وكان يحبُّه	٥٠٩
شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع، ورفعنا عن بطوننا عن حَجَرٍ حجر	٣٤١
ص	
صبرًا آل ياسر، فإنَّ موعدكم الجنَّة	٣٣٨
صدق الله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ نظرتُ إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران	٥٣٩
صلاةُ الرجلِ في جماعة تزيد عن صلاته في بيته	٢٧
الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان	٥٣
صليتُ مع النبيِّ ﷺ ليلة، فلم يزل قائمًا حتَّى هممت بأمر سوء	٣٥
صُمْ وأفطرْ، ونمْ وقمْ؛ فإنَّ لجسدِكَ عليكَ حقًّا، وإنَّ لعَيْنِكَ عليكَ حقًّا	٧٨
صنفان من أهل النَّار لم أرَهما: قومٌ معهم سياطٍ كأذناب البقر	٢٠٦، ٢٢١
ض	
الضيافة ثلاثة أيام	٤٢٧
ط	
الطَّهور شطر الإيمان، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء	٢٠١
طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه مغبرة قدماه	١٣٨
طوبى للغرباء. قيل: مَن الغرباء؟ قال: أناس صالحون قليلٌ في ناسٍ سوء كثير	١٣٩
طوبى لمن هُدي للإسلام، وكان عيشه كَفافًا وقنع	١٢٨
ع	
عفا عليه السلام عن اليهودية الَّتي سمته في الشاة	٥٧٠
عقَّ رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين رضي الله عنهما بكبشين كبشين	٥٣٨
علِّموا ولا تعنِّفوا، فإنَّ المعلِّم خيرٌ من المُعنِّف	٢٤٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
علِّموا، ويَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنفِّروا، وإذا غضب أحدكم فليسكتْ	٢٤٣
على كلِّ مسلم صدقة. قالوا: يا رسولَ الله، فإن لم يجد؟ قال: يعمل بيده	٢١٥
عليكم بالرمي فإنَّه خير لعبكم	٦٢٧
عَهِدَ إلينا أنَّه يكفي أحدُكم مثل زاد الراكب	١٢٧
عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله	٣١٤
غ	
غسل الجمعة واجب على كل محتلم	٤٣٥
ف	
فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له به	٣٤٤
فإذا كان العامُ المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع	٦١
فأعطاني النبي ﷺ سبع تمرات لكلِّ إنسانٍ تمرة	١٥٠
فأكشِفُ عنك، فإذا هي أنت. فأقول: إن يكن هذا من عند الله يُمْضِه	٤٧٤
فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطِّي رأسه، وأن نجعل على رجليه من الإذْخِر	١٥٣
فإنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ كحُرمة يومكم هذا	٢٨١
فإنَّ فساد ذات البَيْن هي الحالقة	٢٠٩
فإنَّك لا تستطيع ذلك، فصمْ وأفطرْ، وقمْ ونمْ، وصمْ من الشهر ثلاثة أيام	٦٣
فإنِّي قد فعلت، ولا تعجلي بخروج حتَّى تجدي من قومك من يكون لك ثقة	٣٢٩
فبدا بطن النبي ﷺ فإذا هو رابط حجرين !	٣٩٢
الفرات والنيل كلٌّ من أنهار الجنَّة	٢١٠
فرأته ﷺ يكلِّم حفصة ظانًّا أنَّها عائشة	٥٢٤
الفقراء المهاجرون الَّذين تُسدُّ بهم الثغور، وتُتَّقى بهم المكاره	١٣٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
فقضى الله بينهما: إنَّك الجنَّة رحمتي أرحم بك من أشاء	١٤٢
فما سئل النَّبِيُّ صلى الله عليه عن شيء قُدِّمَ ولا أُخِّرَ إِلَّا قال: افعلْ ولا حَرَجَ!	٨٣
فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه	٥٧٣
فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد	١٨٥
فهل لك في خيرٍ من ذلك؟. قالت: وما هو يا رسول الله؟	٤٧٠، ٤٩١
في كل ذات كبد رطبة أجر	٢٠٠، ٢٠٤، ٢٨٤
ق	
قال: ائتني بها. فأتيته بها، فقال لها: أين الله؟. قالت: في السماء	١٧٢
قال الشيطان لعنه الله: لن يسلم مِنِّي صاحب المال من إحدى ثلاثٍ	١٣٣
قُبِض رسولُ الله ﷺ في هذين	١١٥
قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنَّما شفاء العِيِّ السؤال	٨٦
قد أفلح من أسلم، ورُزِق كَفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه	١٢٨
قد كان محمَّد فيكم غلامًا حدثًا، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثًا	٥٨١
قصَّة الثلاثة أصحاب الغار	٢٨٤
قل: آمنت بالله ثمَّ استقم	٢٠٠، ٢١٦، ٢٦٥
قل: اللهمَّ فاطرَ السماوات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة	٤٤
قمتُ على باب الجنَّة، فكان عامَّة من دخلها المساكين	١٤٠
قوموا فانحروا ثمَّ احلقوا	٤٩٠
ك	
كان أبو طلحة يتترَّس مع النبيِّ ﷺ بتُرس واحد، وكان أبو طلحة حسنَ الرمي	٦٢٧
كان أحبُّ الشراب إلى رسول الله ﷺ الحلو البارد	٤٠٤، ٦٠٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
كان أحبَّ العمل إليه أدومه وإن قلَّ	٧٩
كان إذا أراد الاعتكاف صلَّى الفجر، ثمَّ دخل خباءه	٥٩
كان إذا خرج لحاجته، مرَّ بالمريض وهو في طريقه	٦٠
كان إذا دخل العشر شدَّ مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله	٥٨
كان إذا صلَّى الصُّبح، جَلَس في مُصلَّاه حتَّى تطلع الشمس يذكر الله ﷻ	٤٤
كان إذا عرَّس بليل، اضطجع على شقه الأيمن، وإذا عرَّس قبيل الصبح	٤١١
كان اسمها بَرَّة، فسمَّاها رسول الله: ميمونة	٤٩٧
كان أكثر مراكبه الخيل والإبل	٦١١
كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غيره، وكان عرشُه على الماء، وكتب في الذِّكْر كلَّ شيء	١٥
كان ألين النَّاس، وأكرم النَّاس، وكان رجلًا من رجالكم إلَّا أنَّه كان بسَّامًا	٥٠٣
كان أوقر النَّاس في مجلسه، لا يكاد يُخرج شيئًا من أطرافه	٥٨٢
كان بشرًا من البشر يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه	٥٨٠
كان بعض أزواجه تزوره وهو معتكف، فإذا قامت تذهب، قام معها يوصلها	٦٠
كانت وسادة رسول الله ﷺ الَّتي ينام عليها بالليل من أَدَم حشوها ليف	١١٤
كان الحبشُ يلعبون بحرابهم، فسترني رسول الله ﷺ وأنا أنظر	٦٢٩
كان خُلُقه القرآن	١٨٠، ٢٩٣، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٦٩
كان ربَّما صلى قبل الظهر أربعًا	٣٢
كان رسول الله ﷺ إذا صافح أو صافحه الرجل، لا ينزع يده من يده	٤٢٩
كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده، أو ثوبه على فيه	٤٣٧
كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تُلُقِّيَ بصبيان أهل بيته	٥٤٢
كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفَّأ تكفُّؤًا كأنَّما ينحطُّ من صَبَبٍ	٣٥٥، ٣٨٩، ٦١١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خِدْرها	٥٧٣
كان رسول الله ﷺ لا يفضِّل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا	٥٠٤
كان رسول الله ﷺ يبيت اللَّيَالِي المتتابعة طاويًا	١٠٠
كان رسول الله ﷺ يتخوَّلنا بالموعظة، مخافةَ السآمة علينا	٢٧١، ٥٧٧
كان رسول الله ﷺ يُستقى له الماء العذب مِن بئر السقيا	٦٠٩
كان رسول الله ﷺ يصنع ذلك	٥٧
كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي	٥٨
كان رسول الله ﷺ، يقسم لعائشة يومين، يومها ويوم سودة	٤٧٢
كان رسول الله متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة	٣٨٨
كان رسول الله يحدثنا ونحدِّثه، فإذا حضرت الصلاة، فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه	٣٠
كان ﷺ أجود النَّاس، وكان أجود بالخير من الريح المُرْسَلة	٦٦
كان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة	٣٣
كان ﷺ إذا شرب، ناول مَنْ على يمينه	٤٠٦
كان ﷺ أوسع النَّاس صدرًا، وأصدق النَّاس لهجة	٥٧٤
كان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان	٥٩
كان الشجاع هو الَّذي يقرب منه ﷺ بقربه من العدو	٥٧٣
كان عليه السلام أرجح النَّاس حُلُمًا	٥٧٠
كان في السفر ساقَة أصحابِه: يُزجي الضعيفَ ويُردفه، ويدعو لهم	٦١٣
كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود	٦٣٥
كان كلام رسول الله ﷺ كلامًا فصْلًا يفهمه كل من يسمعه	٢٨٩
كان لا يتركها هي والوتر في سفر ولا إقامة	٣٣
كان لا يدخل بيته إلَّا لحاجة الإنسان	٦٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
كان لا يقوم من مصلاه الَّذي يصلي فيه الصبح، أو الغداة، حتَّى تطلع الشمس	٣٨١
كان محمَّد فيكم غلامًا حدثًا، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثًا	٥٨١
كان من أفكه النَّاس	٣٨٤
كان النبيُّ ﷺ أحسن النَّاس خُلُقًا	٥٧٠
كان النبيُّ ﷺ أحسن النَّاس، وأجود النَّاس، وأشجع النَّاس	٥٧٢
كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها	٤٣١، ٥٠٠، ٥٧٦
كان النبي ﷺ دائم البشر، سهل الخلق	٥٦١
كان النبيُّ ﷺ يحبُّ هذا	١٠٧
كان النبي ﷺ يعجبه التيمن، في تنعله، وترجله، وطهوره، وفي شأنه كله	٤٠٢، ٦١٧
كان نبيٌّ من الأنبياء يخطُّ، فمن وافق خطَّه فذاك	١٧٢
كان نبيُّكم ﷺ أزهد النَّاس في الدُّنيا، وأصبحتم أرغب النَّاس فيها	١١٠
كان يجمع كفَّيْه ثمَّ ينفُث فيهما، وكان يقرأُ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾	٤٠٩
كان يخطب إلى جذع	٥٦
كان يُدعى إلى خبز الشعير والإهالة السَّنِخة، فيجيب	٥٨٠
كان يذكر الله على كل أحيانه	٢٤
كان يرفع قدمه فيرفعها تقلعًا كأنَّما ينشط بجملة جسمه	٣٥٥
كان يستسقي إذا قحط المطر في خطبته	٥٦
كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته	٥٧٦
كان يسوقُ أصحابه	٦١٣
كان يشير في خطبته بإصبعه السبابة عند ذكر الله ودعائه	٥٦
كان يصوم الاثنين والخميس	٦٣
كان يصوم التسع من ذي الحجَّة	٦١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
كان يصوم حتَّى نقول: لا يفطر، ويفطر حتَّى نقولَ: لا يصوم	٦٤
كان يَطَّلي بالنَّوْرة	٦١٧
كان يعارضه جبريل بالقرآن	٦٠
كان يعتكف في العشر الأوسط من رمضان	٥٩
كان يعجبه من لحم الشاة الذراع	٤٠٤
كان يُعطي عطاء من لا يخشى الفاقة	٦٦، ٥٧١
كان يُكْثِر ذكرَها، وربَّما ذبح الشاة فيقطعها أعضاءً، ثمَّ يبعثها في صدائق خديجة	٤٦٢
كان يكون في مهنة أهله، فإذا سمع الأذان خرج	٢٩، ٥٠٢، ٥٨٠
كان ينهى أن يركب الرجل دابَّةً من الفيء	٣٢٤
كذاك سوقك بالقوارير!	٤٩٤
كُفَّ عنَّا جشاءك، فإنَّ أكثرهم شبعًا في الدُّنيا أطولهم جوعًا يوم القيامة	٤٣٨
كفى بالمرء إثمًا أنْ يُحدِّث بكل ما سمع	٢٧٠
كلّ شيء ليس من ذكر الله لهوٌ ولعبٌ، إلَّا أن يكون أربعة: ملاعبةُ الرجلِ امرأتَه	٦٢٧
كلُّ معروفٍ صدقةٌ	٢٠٠
كِلا المجلسين على خير، وأحدهما أفضلُ من صاحبه	٢٣٥
كلا والَّذي نفسي بيده، إنَّ الشملة الَّتي أخذها يوم خيبر من الغنائم	٣٢٥
كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان	٢١٣
الكلمةُ الطيِّبةُ صدقةٌ	٢٠٠
كُلُوا واشربوا، والبسوا وتصدَّقوا، في غير إسراف ولا مَخِيلَةٍ	٤٠٢
كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلَّا آسية امرأة فرعون	٤٦٧، ٤٧٧
كنا نرفع لرسول الله ﷺ نصيبه من اللَّبَن، فيجيء من الليل	٤٣٣
كنتُ أدخل بيوت النبي عليه السلام وأنا غلام مراهق، فأنال السقف بيدي	١١٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْدٌ نَجْراني غليظُ الحاشية	١٧٤
كُنْتُ أنَبِّلُ على أعمامي	٣٥١
كنتُ جاره، فكان إذا نزل عليه الوحي بعث إليَّ فكتبته له	٣٨٤
ل	
لا أحرِّم حلالًا	٥٣٢
لا أُلفينَّ أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثُغاء، وعلى رقبته فرس له حَمْحَمة	٣٢٥
لا إلٰه إلَّا الله وحده، أعزَّ جُنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده	٧٢، ١٢١، ٢١٤، ٣٦٤
لا إلٰه إلَّا أنت سبحانك، اللهمَّ أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك	٤٠، ٤١٠
لا، إنَّه لم يَقُلْ يومًا: ربِّ اغفرْ لي خطيئتي يومَ الدِّين	٥٤٨
لا تؤذيني في عائشة، فإنَّ الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلَّا عائشة	٥٠٦
لا تتركوه ولو رأيتمونا تخطَفُنا الطير	٣٥٩
لا تُدْرجوه في أكفانه حتَّى أنظر إليه	٥٢٧
لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الإفطار، وأخروا السحور	٥٨
لا تُزْرِموه، دعوه. فتركوه حتَّى بال، ثمَّ إنَّ رسول الله ﷺ دعاه	١٧٢، ١٧٣
لا تُشدِّدوا على أنفسكم فيشدِّد الله عليكم	٨١
لا تُطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم، فإنَّما أنا عبده، فقولوا: عبدُ الله ورسوله	٣٧٣
لا تغضبْ	٢٦٥
لا تغُلُّوا ولا تغدروا ولا تُمثِّلوا	٣١٩
لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضًا	٥٧٩
لا تكن عونًا للشيطان على أخيك	٢٤٩
لا تكونوا عوْنًا للشيطان على أخيكم	٢٥٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لا تلعنه، فإنَّه يحبُّ الله ورسوله	٢٥٠
لا تواصلوا، فأيكم إذا أراد أن يواصل، فليواصل حتى السحر	٥٨
لا حسدَ إلَّا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فَسلَّطه على هلَكَته في الحقّ	٢٣٢
لا سَبْقَ إلَّا في خُفٍّ أو حافرٍ أو نَصْلٍ	٦٢٨
لا صومَ فوقَ صوم داود عليه السلام، شطر الدهر	٦٣
لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه	٥٢
لا يؤمِنُ منْ لا يأمن جارُه بوائقَه	٢٨٨
لا يُبلغني أحدٌ منكم عن أحدٍ من أصحابي شيئًا	٥٧٧
لا يحلُّ لرجل أن يفرِّق بين اثنين إلَّا بإذنهما	٤٢٤
لا يخزيك الله أبدًا، إنَّك لتصل الرحم، وتصدق الحديث	٢١، ٤٥٨، ٤٦٥، ٥٢٩، ٥٦٢، ٥٨٩
لا يدخر شيئًا إلَّا قوت سنة لنسائه	٦٦
لا يزال لسانك رطْبًا من ذكر الله	٢١٦
لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر	٥٨
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يسرق السارقُ حينَ يسرق وهو مؤمنٌ	٥٨٧
لا يعجز أحدُكم إذا دخل مَرْفِقَه أن يقول: اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الرِّجْسِ	٥١
لا يغتسلُ رجلٌ يومَ الجمعة، ويتطهَّرُ ما استطاع من الطُّهور	٥٣
لأدفعنَّها إلى أحبِّ أهلي إليَّ	٥٤٢
لأنْ يهديَ الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حمْر النَّعَم	٢٣٣
لتتبعُنَّ سَنَنَ مَن قَبْلَكم شِبْرًا بشبر، وذراعًا بذراع	٢١٠
لست أحرِّم حلالًا	٥٣٢
لستُ كهيئتكم، إنِّي أبيت عند ربِّي يُطعمني ويسقيني	٥٨

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لقد أُخِفْتُ في الله وما يخاف أحد، ولقد أُوذيت في الله وما يؤذى أحد	١٠٩
لقد أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل	٣٥٠
لقد أصبحتم وأمسيتم ترغبون فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه	١١٠
لقد أُوتيت مزمارًا من مزامير آل داود	٢٥٧
لقد تَحجَّرتَ واسعًا. فلم يلبث أن بال في المسجد، فأسرع النَّاس	١٧٣، ٢٤٧، ٢٥٠
لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يظلُّ اليومَ يلتوي، ما يجد من الدَّقَل ما يملأ بطنه	١٠٥، ١٠٦
لقد رأيتني يوم بدر، ونحن نلوذ بالنبي عليه السلام، وهو أقربنا إلى العدو	٣٠٦، ٥٧٣
لقد سألتَ عن عظيمٍ، وإنَّه ليسير على من يسَّره الله عليه	٢١٦
لقد سهُل لكم من أمركم	٣٥٠
لقد قلتِ كلمةً لو مُزِجت بماء البحر لمزَجَته	٥٠٩
لقد كان من قبلكم ليمشط بمِشَاط الحديد ما دون عظامه من لحم	٣٣٧
لقد كنَّا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلَّا ورق الحُبْلة	١٥٠
لقد لقيتُ من قومك ما لقيتُ، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يوم العقبة	١٧٧، ٣٩١
لقد مات رسولُ الله ﷺ وما شبع من خبزٍ وزيتٍ في يوم واحدٍ مرَّتين	١٠١، ١٠٧
لكلِّ غادر لواءٌ يوم القيامة، يُعرَف به، يقال: هذه غَدْرة فلان	٣١٩
لكن رسول الله ﷺ لم يفر	٣٦٢، ٥٧٢
لِمَ أبطأت عنَّا، ثمَّ جئت تحزننا؟. قال: فلمَّا كان الغد جاءه	٣٨٣
لم أخلق دينًا أحب إليَّ ولا أرضى عندي من هذا الدين الَّذي اصطفيته لك ولأمتك	٥٥٨
لم يأكل خبزًا مرققًا حتَّى مات	١٠٩
لم يأكل النبي ﷺ على خِوَان حتَّى مات	١٠٩
لم يُجِب أبا ذر إلى طلبه حين سأله أن يولِّيه	٢٦٩
لم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلَّا ورَّى بغيرها	٣٥١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًّا ولا صخَّابًا بالأسواق	٤٣٢، ٥٧٤
لم يكن النبيُّ ﷺ يصوم في شهرٍ أكثر من شعبان، فإنَّه كان يصومه كله	٦٢
لم يكن يصوم شهرًا كاملًا إلَّا رمضان	٦٢
لم يكن يصوم من السنة شهرًا تامًّا إلَّا شعبان، يصله برمضان	٦٢
لم يكن يغضب إلَّا لله، فإذا انتُهِكَت حرمات الله، لم يقم لغضبه شيء	٣٩٦
لم يؤاخذ عبد الله بن أُبَيٍّ وأشباهه من المنافقين	٥٧١
لم يؤاخذ لَبِيد بن الأعصم إذ سحره	٥٧١
لما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى مكَّة عام القضيَّة، بعث أَوْسَ بن خَوْلِيٍّ	٤٩٧
لما جهَّز رسول الله ﷺ فاطمة إلى عليٍّ بعث معها بخميل	١١٦
لمَّا جيء بأخته من الرضاعة الشيماء في سبي هوازن بسط لها رداءه، وخيَّرها	٥٧٩
لما قدم عليه عديُّ بنُ حاتم، دعاه إلى منزله، فألقت إليه الجاريةُ وِسادة	٦١٤
لمَّا قدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب	٣٠٤
لن يضرب خياركم	٢٤٦
لو اتَّفَقْتما على رأي ما خالفتكما	٣٤٤
لو أمرتم هذا أن يغسل هذه الصفرة	٤٣١
لوةُ الدُّنيا مُرَّةُ الآخرةِ، ومرُّةُ الدُّنيا حلوةُ الآخرة	١٣١
لو ذكرتِني لفعلتُ	٥١٦
لو رأيتَنا ونحن مع نبيِّنا ﷺ لحسبت أنما ريحُنا ريح الضأن	١٥٢
لو رأيتَني وأنا أستمعُ لقراءتك البارحة	٢٥٧
لو كانت الدُّنيا تعدلُ عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء	١٣٠
لو كانت عندنا ثالثة لزَوَّجْنَاكَها	٤٦٨
لولا أن أشقَّ على أُمَّتي لأمرتهم بالسواك عند كلِّ وُضوء	٨١، ٨٢، ٥٨٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لولا أن أشقَّ على أمَّتي، ما قعدت خلف سرية أبدًا	٨٢، ٣٠٧
لولا أنَّ قومك حديثٌ عهدُهم في الجاهليَّة فأخاف أن تنكر قلوبهم	١٧٠
لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت، ثمَّ لَبَنَيْتُه على أساس إبراهيم عليه السلام	١٧٠
لولا خوف القصاص لأوجعتك بهذا السواك	٣٩٧
ليبلغنَّ هذا الأمر ـ يعني الإسلام ـ ما بلغ الليل والنهار	٦٣٥
ليس بمؤمن من بات شبعان وجارُه إلى جَنْبه جائعٌ وهو يعلم	٢٣٧، ٥٨٣
ليس الشديد بالصُّرَعة، إنَّما الشديد الَّذي يملك نفسه عند الغضب	٢١٤
ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض، إنَّما الغنى غِنَى النفس	٢١٤
ليس لابن آدم حقٌّ في سوى هذه الخصال: بيت يُكِنُّه	١٢٦
ليس المسكينُ الَّذي يطوف على النَّاس، تردُّه التمرة والتمرتان	٢١٤
ليُعلِّمَنَّ قومٌ جيرانهم وليعظُنَّهم وليأمرُنَّهم وليَنهَوُنَّهم	٢٣٨
لئن أقصرت الخطبةَ لقد أعرضت المسألة، أعتق النَّسَمة، وفُكَّ الرَّقَبة	٢١٦
م	
ما أبدلني الله خيرًا منها، صدَّقتني إذ كذَّبني النَّاس، وآمنت بي إذ كفر بي النَّاس	٤٦٣، ٤٥٥
ما أتاني جبريل وأنا في لحاف امرأة منكن غير عائشة	٤٠٩
ما أحد يدخل الجنَّة يحب أن يرجع إلى الدُّنيا، وأن له ما على الأرض من شيء	٣١٣
ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟. قالا: الجوع يا رسول الله	١٠٧
ما أخشى عليكم الفقرَ، ولكنْ أخشى عليكم التكاثر، وما أخشى عليكم الخطأ	١٣٣
ما أدري ما تقولون، ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم	٩٨
ما أرى إلَّا أن ربك يسارع في هواك	٥٢٣
ما أقلَّت الغبراء، ولا أظلَّت الخضراء، أصدق لهجة من أبي ذرٍّ	٣٤٧
ما أكل من نخالة الدقيق قط	٣٩٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ما أكل النبي ﷺ خبزًا مرققًا، ولا شاة مسموطة حتى لقي الله	٣٩٢
ما التقم أحد أذن النبي ﷺ فينحي رأسه حتَّى يكون الرجل هو الَّذي ينحي رأسه	٥٧٥
ما أنا في الدُّنيا إلَّا كراكب استظلَّ تحت شجرة، ثمَّ راح وتركها	١١٤
ما أنتما بأقوى مِنِّي، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما	٣٤١
ما أنزل الله داء إلَّا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله	٢١١
ما بال أقوام لا يُفقِّهون جيرانَهم، ولا يعلِّمونهم، ولا يعظونهم	٢٣٧
ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا؟	٥٧٣
ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا؟	٢٥١
ما بالكم تأتوني قُلْحًا لا تَسوَّكُون؟ لولا أن أشقَّ على أُمَّتي لفرضتُ عليهم السِّوَاكَ	٨١
ما بيدي ما أتزوج به. فقالت له: فإن دُعيت وكُفيت إلى المال والجمال	٤٤٩
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنَّة	٢١٠
ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا ولا درهمًا، ولا شاة ولا بعيرًا	١١٧
ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا ولا درهمًا، ولا عبدًا ولا أمة، إلَّا بغلته البيضاء	١١٦
ما تركتُ بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء	٥١٧
ما ترون في هؤلاء الأسارى	٣٤٥
ما ترى يا ابن الخطاب	٣٤٥
ما تعدون الصُّرَعَة فيكم؟. قالوا: الَّذي لا تصرعه الرجال. قال: ليس ذلك	٢٨٦
ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلَّا تبسَّم	٥٧٥
ما خُيِّرَ النبي ﷺ بين أمرين إلَّا اختار أيسرهما	٨٥، ٥٧٧
ما دخل جوفي ما يدخل جوف ذاتِ كبد منذ ثلاث	١٠٣
ما ذئبان ضاريان جائعان باتا في زَريبة غنمٍ أغفلها أهلها يفترسان ويأكلان	١٣١
ما رأى رسول الله ﷺ النَّقِيَّ من حين ابتعثه الله تعالى حتَّى قبضه الله	١٠٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ما رأيت أحدا أكثر تبسمًا من رسول الله ﷺ	٣٨٠، ٥٧٦
ما رأيتُ أحدًا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ	٣٤٢
ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله ﷺ	٥٧٢
ما رأيت أكثر تبسُّمًا من رسول الله ﷺ	٣٨٠
ما رأيتُ رجلًا التقم أذن رسول الله ﷺ فينحي رأسه	٤٣٠
ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكًا حتَّى أرى منه لهواته، إنَّما كان يتبسم	٤٣٠
ما رأيت شيئًا أحسنَ من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه	٦١١
ما رأيتُ فَرْج رسول الله ﷺ قطُّ	٥٧٤
ما رأيك في هذا؟. قال: رجل من أشراف النَّاس	١٤٢، ٢٧٩
ما رُفِعَتْ مائدةُ رسول الله من بين يديه ولديها فَضْلة من طعامٍ قط	١٠٢
ما زال جبريل يُوصيني بالجار، حتَّى ظننتُ أنَّه سيُورِّثه	٢٣٦، ٤٢٦
ما زال يوصيني بالجار، حتَّى ظنوا أنَّه سُيورِّثه	٢٣٦
ما زالت قريش كاعةً حتَّى تُوُفِّي أبو طالب	٢٩٨
ما زلتِ على الحال الَّتي فارقتك عليها؟. قالت: نعم	٤٩٢
ما شبع آل محمَّد ﷺ من طعامٍ ثلاثةَ أيامٍ تباعًا حتَّى قُبض	١٠٠
ما شبع آل محمَّد من خبز الشعير يومين متتابعين حتَّى قبض رسول الله ﷺ	١٠١
ما شبع نبي الله ﷺ ثلاثة أيام تباعًا من خبز حِنْطة حتَّى فارق الدنيا	١٠٠
ما صام النبي ﷺ شهرًا كاملًا قط غير رمضان	٦٢
ما ضر ابن عفَّان ما عمل بعد اليوم. اللهمَّ لا تنس هذا اليوم لعثمان	٣٩٥
ما ضرب بيده امرأة له قط، ولا خادمًا له قط، ولا ضرب بيده شيئًا قط	٣٩٦
ما ضرب رسول الله ﷺ بيده امرأة له ولا خادمًا قط	٥٠٣
ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط، إن اشتهاه أكله	٦٠٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ما عندك يا ثُمَامة؟. فقال: عندي خير يا محمَّد	١٧١، ٣٢٧
ما عندي شيء أعطيك، ولكن استقرض حتى يأتينا شيء فنعطيك	٦٦
ما غِرْتُ على امرأة للنبيِّ ﷺ ما غِرْتُ على خديجة لما كنتُ أسمعه يذكرها	٤٦١
ما غِرْتُ على خديجة ـ وهلكت قبل أن يتزوجني ـ لما كنتُ أسمعه يذكرها	٤٦١
ما كانت هذه لتقاتل!. ثمَّ نظر في وجوه القوم، فقال لأحدهم: الحق خالدًا	٣١٦
ما كان رسول الله ﷺ يأخذ أحدًا بقَرَف أحد	٥٨٢
ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلَّا تبسمًا	٤٣١
ما كان لنبيٍّ لبس لأْمته أن يضَعَهَا حتَّى يحكمَ اللهُ بينه وبين أعدائه	٣٤٥
ما كان يبقى على مائدة رسول الله من خبز الشعير قليل ولا كثير	١٠٢
ما كان يصوم في شهر ما كان يصوم في شعبان، كان يصومه إلَّا قليلًا	٦٢
ما كان يفضل من أهل بيت رسول الله ﷺ خبز الشعير	١٠٣
ما كنَّا لنجمعَ عليك أن نَصرعك ونُغرمك، خذْ غنمك	٣٠٦
ما لقي النبي ﷺ كتيبة إلَّا كان أوَّل من يضرب	٥٧٣
ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدُّنيا إلَّا كراكب استظلَّ تحت شجرة، ثمَّ راح وتركها	١١٤
ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها	٥٨٢
ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًّا من بطنه، فإن كان ولا محالة فاعلًا	٤٠٢، ٤٢٥، ٤٣٨
ما من الأنبياء من نبيٍّ إلَّا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر	١٩٣
ما من رجلٍ لا يؤدي زكاة ماله، إلَّا جُعل يوم القيامة صفائح من نار	٦٥
ما من عبدٍ ولا أمَة إلَّا وله ثلاثة أخلَّاء	١٢٨
ما من عبدٍ يقول في صباحِ كلِّ يومٍ ومساءِ كلِّ ليلةٍ	٤٥
ما منكم من أحد، إلَّا وقد وكل به قرينه من الجن. قالوا: وإياك؟	٢٩٤
ما من نبي إلَّا وقد رعى الغنم. قالوا: وأنت يا رسول الله؟	٣٨٨

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ما نيل منه شيء قط، فينتقم من صاحبه، إلَّا أن يُنتهك شيء من محارم الله	٥٧٠
ما هممت بقبيح ممَّا كان أهل الجاهلية يهمون به، إلَّا مرتين من الدهر	٢٩٣
ما يُبكيك يا ابنَ الخطَّاب؟. فقلت: يا نبيَّ الله، وما لي لا أبكي	١١٥
ما يسرُّني أن لي أُحُدًا ذهبًا يبيت عندي منه دينار إلَّا دينار أرصده لدين	١١٩
ما يكون منَّا أحد أدنى من القوم منه	٣٠٦، ٥٧٣
ما يمنعكِ أن تسمعي ما أوصيكِ به: أن تقولي إذا أصبحتِ وإذا أمسيتِ	٤٧
مات في يومها وفي بيتها، وبين سَحْرِها ونَحْرِها، وجمع الله بين ريقه وريقها	٤٧٥
مَثَل ابنِ آدم ومالِه وأهلِه وعملِه كرجل له ثلاثة إخوة ـ أو ثلاثة أصحاب ـ	١٢٩
مَثَل الَّذي يُعلِّم النَّاس الخير وينسى نفسه، مَثَل الفتيلة، تضيء للناس	٢٨٢
مَثَلُ أُمَّتي مَثَل المطر: لا يُدرى أوَّله خيرٌ أو آخِره	٢٠٩
مَثَلُ الجليسِ الصالح والجليس السوء، كمثل صاحب المِسْكِ	٢٠٨
مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهَموا على سفينة	٢٠٨، ٢٨٣
مَثَلُ ما بعثني الله به من الهُدى والعلم، كمَثَل الغيث الكثير أصاب أرضًا	٢٠٨، ٢٣٣
مثل المنافق كمثل الشاة العائرة (المتردِّدة المتحيِّرة) بين الغنمين	٢٨٣
مثل المؤمن مثل النَّحلة: إن أكلتْ أكلت طيِّبًا، وإن وضعتْ وضعت طيِّبًا	٢٨٣
مثلي ومَثَل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله	٢٠٨، ٢٨٣
محمد عبدي ورسولي، سميته المتوكِّل، ليس بفظٍّ، ولا غليظ	٥٦٥
مر بالقدور الَّتي طُبخت من النُّهْبَى فأُكفئت	٣٢٤
مر الداخل وهو يخطب أن يصلي ركعتين	٥٦
مرحبا بابنتي	٥٣٠
مرحبًا بطالب العلم، إنَّ طالبَ العلم تَحفُّه الملائكة بأجنحتها	٢٤٠
مروهم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين	٢٤٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه	٢٠٢
مضمضن. قلن: من أي شيء؟ قال: من تغامزكن بها، والله إنَّها لصادقة	٤٩٤
من استيقظ من الليل فقال: لا إلٰه إلَّا الله، وحده لا شريك له، له الملك	٤١
مَن أصبحَ معافًى في جسده، آمنًا في سِرْبه، عنده قُوتُ يومه	٥٩٩
من اغتسل يومَ الجمعة، ومسَّ من طِيبٍ إن كان عنده	٥٣
من أكل ثومًا أو بصلًا فلا يقربنَّ مصلانا	٤٣٦
مَن انتهَبَ نُهبةً فليس منَّا	٣٢٤
من بنى لله مسجدًا ولو كمِفْحَصِ قَطَاةٍ، بنى الله له بيتًا في الجنَّة	٢٦
من توضَّأ فأحسن الوضوء، ثمَّ أتى الجمعة فاستمع وأنصت	٥٣
من جعل الهموم همًّا واحدًا كفاه الله هم دنياه	١٢٥
من جهَّز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزا	٣١٤
مَن حجَّ ولم يرفثْ ولم يفسقْ، رجعَ من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه	٦٩
مَنْ حدَّثكم أنَّه كان يبول قائمًا، فلا تُصدِّقوه، ما كان يبول إلَّا قاعدًا	٦١٥
من حُسن إسلامِ المرءِ تركه ما لا يَعْنِيه	١٩٧
من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل	٢٠١، ٢١٠
من دعا إلى هدًى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه	٢٣٣
من دلَّ على خير فله مثلُ أجر فاعله	٢٣٣
من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه	٣١٤
مَنْ سرَّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنَّة فلينظر إلى هذا	٢٦٩
من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنَّة	٢٤٠
من سلِم المسلمون من لسانِه ويده	٢٦٦
منْ سنَّ في الإسلام سُنَّة حَسنة فله أجرُها، وأجرُ مَن عمل بها مِن بعده	٢٧٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
مَن صام رمضان، ثمَّ اتبعه ستًّا من شوال، كان كصيام الدهر	٦٠
من عادى لي وليًّا، فقد آذنته بالحرب	٣٢
من غش فليس منا	٢٠٢
مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله	٢١٧، ٥٤٩
مَنْ قال إذا خرج من بيته: باسم الله، توكَّلْتُ على الله	٤٢
من قال حين يُصْبِح: اللهمَّ ما أَصْبَحَ بي من نعمة أو بأحدٍ من خَلْقِك	٤٥
من قال حين يصبح عشر مرات: لا إلٰه إلَّا الله، وحده لا شريك له	٤٨
من قال حين يُصبحُ وحين يُمْسِي: اللهمَّ إنِّي أصبحتُ أُشْهِدُك	٤٥
من قال حين يُصْبِح وحين يُمْسِي: رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا	٤٥
من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر	٥٧، ٥٩
من كانت الدُّنيا همَّه فرَّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه	١٢٤
مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه	٥٨٦
مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه	٥٨٣
من لا يرحم لا يُرْحم	٥٤١
من لبس ثوبًا، فقال: الحمد لله الَّذي كَسَاني هذا ورَزَقَنِيه من غير حول مني	٤٩
من لغا فلا جمعة له	٥٦
من وافدك؟. قالت: عدي بن حاتم. قال: الفارُّ من الله ومن رسوله	٣٢٩
من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنَّة	٢٠٣
المؤمن القويّ خير وأحبّ إِلَى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير	٦٢٦
المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضًا	٢٠٥، ٤٠٨
المؤمن من أمنه النَّاس على دمائهم وأموالهم	٢٠٢
المؤمنُ يأكل في مِعًى واحد، والمنافق ـ أو الكافر ـ يأكل في سبعةِ أَمْعَاء	٢٠٥، ٤٠٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ن	
نادِ بوَضوء. فجيء بالماء، فقال: خُذْ يا جابر فصُبَّ عليَّ، وقل: باسم الله	٥٢
الناسُ مَعَادن	١٩٨
نحر رسول الله ﷺ بيده ثلاثة وستين، ثم أعطى عليًّا فنحر ما غبر	٣٨٩، ٥٨٠
نِعْمَ الإدامُ الخَلُّ	٣٦٥
نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد، وسيف من سيوف الله	٣٤٨
نعم. فقال الرجل: إنِّي معها في البيت. فقال رسول الله ﷺ: استأذنْ عليها	٤٢٣
نعم، في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبة أجرٌ	٢٠٤
نعم. قال: أو لسْتُ أخاك؟ قال: أنت أخي في دين الله وكتابه، وهي لي حلال	٤٧٤
نِعْم المال الصالح للرجل الصالح	١٤٠، ٢٠٣
نعم المطيَّة مطيتكما	٥٤٠
نعم، ويبعثك ويُدخِلك النار	٥٤٥
نِعْمتان مَغْبُونٌ فيهما كثير من الناس: الصحَّة والفراغ	٥٩٩
نفى الإيمان عمَّن لا أمانة له	٥٨٣
نهى أن يأكل الرجلُ وهو منبطحٌ على وجهه	٦٠٤
نهيهم عن الوصال	٥٧٦
هـ	
هذا أمين هذه الأُمَّة	٢٥٨
هذا أوَّل طعامٍ أَكَلَه أبوك منذ ثلاثة أيام	١٠٠
هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا	٢٨٠
هذا سبيل الله مستقيمًا. وخطَّ عن يمينه وشماله، ثمَّ قال: هذه السُّبل	٢٧٦، ٢٧٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
هل تدرون أوَّل منْ يدخل الجنَّة من خلق الله ﷻ ؟	١٣٦
هل تُنصرون وترزقون إلَّا بضعفائكم؟	١٤٤
هل عندكِ طعام آكله؟. وكان جائعًا، قالت: فقلت: إن عندي لكِسَرًا يابسة	٧٣، ١٢٢، ٣٦٥
هل من ماء بات في شَنَّة؟. فأتاه به، فشرب منه. رواه البخاري	٦٠٨
هلك المُتَنَطِّعون	٨٠، ٢٠١
هو الفحل الذي لا يقرع أنفه	٤٧٠، ٤٩٥
هوِّن عليك، فإنَّما أنا ابن امرأةٍ من قريش تأكلُ القَدِيد	٣٦٤
هي الَّتي تُساميني عند رسول الله ﷺ	٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣
و	
وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت	٣٩٥
والَّذي نفسي بيده لتُسألُنَّ عن هذا النعيم يوم القيامة	١٠٨
والذي نفسي بيده، وددت أنِّي أقاتل في سبيل الله، فأقتل، ثمَّ أحيا	٣٠٧
والله، إنَّك لأحبُّ بلاد الله إلى الله، وأحبُّ بلاد الله إليَّ	٣٠٢
والله إنِّي لأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه في اليوم أكثر من سبعين مرَّة	٣٧
والله لا أعطيكما وأدعُ أهل الصُّفَّة تُطوى بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم	٣٤٢
والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن!	٢١٩، ٢٨٨، ٤٢٦
والله لا يُخزيك الله أبدًا، إنَّك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ	٤٦٥، ٥٢٩
والله لَلدُّنيا أهونُ على الله من هذا عليكم	٢٧٨
والله لولا القصاص يوم القيامة، لأوجعتُك بهذا السواك	٣٩٦
والله ما أبدلني خيرًا منها	٤٧٩
والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُبسط الدُّنيا عليكم	٢٢٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
وإن كانت إبلًا إلَّا بُطَحَ لها بقاعٍ قَرْقَر في يومٍ كان مقداره خمسين ألفَ سنة	٦٥
وأيُّكم مثلي؟ إنِّي أبيت يطعمني ربِّي ويَسْقِينِي	٧٧
وجُعِلَت قرَّةُ عيني في الصلاة	٣٠
وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا	٢٣
ورزقني الله ولدها إذ حرَمَني أولاد النساء	٤٦٤
وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام	٤٦٧، ٤٦٨
ولا تُكْثِرْ من الضحك؛ فإنَّ كثرةَ الضحك تميتُ القلب	٣٨١
ولا رأى شاة سميطًا بعينه قط	١٠٩
ولا يدخر شيئًا إلَّا قوت سنة لنسائه	٦٦
ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشديد البرد	١٩٤
ولقد كنَّا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلَّا ورق الحُبْلة	١٥٠
ولكنَّ حمزةَ لا بواكيَ له	٣٧٩
ولكنْ يا حنظلةُ، ساعةً وساعة	٧٩
وما زال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أُحبَّه، فإذا أحبَبْتُه كنتُ سمعَه	٧٤
ومال من لا مال له	١٣٢
ومثل ذلك قوله: إذا التقى المسلمان بسيفيْهِما، فالقاتل والمقتول في النار	٢٢٠
ومن قال حين يُصْبِحُ وحين يُمْسِي: سبحان الله وبحمده. مائة مرَّة	٤٨
ومن هو؟ أهو الَّذي بعينه بياض؟. قالت: والله ما بعينه بياض. فقال: بلى	٣٨٦
ونعم الفارسان هما	٣٨٥، ٥٣٩
ويحك فمن يعدل إن لم أعدل	٥٨٢
ويلٌ للَّذي يُحدِّث فيكذب، ليُضحك القوم، ويلٌ له، ويل له، ويل له	٣٨١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ي	
يا أبا بكر، لعلك أغضبتَهم، لئن كنتَ أغضبتَهم لقد أغضبتَ ربَّك	١٤١
يا أبا ذَرٍّ، أترى كثرةَ المالِ هو الغِنَى؟. قلت: نعم، يا رسولَ الله	١٤٣
يا أبا ذرٍّ، إذا طبَخت مَرقةً، فأكْثِر ماءَها وتَعاهَد جيرانك	٤٢٦
يا أبا ذرٍّ. قلت: لبَّيْك يا رسول الله. قال: ما يسرُّني أنَّ عندي مثل أُحد هذا ذهبًا	٦٦، ١١٨
يا أبا عمير، ما فعل النغير	٤٣٥
يا أبا المنذر، أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟	٢٥٧
يا ابن عوف، إنَّها رحمة. ثمَّ أتبعها بأخرى، فقال ﷺ	٥٣٠
يا أمَّ سَلَمة، لا تؤذيني في عائشة	٤٧٩
يا أمَّ فلان، إنَّ الجنَّة لا يدخلها عجوز	٣٨٥
يا أم فلان، انظري إلى أي الطريق شئت	٤٣٠
يا أمَّ فلان، انظري أيّ السِّكَك شئتِ حتَّى أقضي لك حاجتك	٥
يا أُنَيْس، أذَهَبْتَ حيث أمرتك	٣٩٧
يا أهلَ مكَّة، اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء	٣٦٧
يا أيَّها النَّاس، إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد	٧٠
يا أيُّها الناس إنَّما أنا رحمة مهداة	٥
يا أيُّها النَّاس، إنَّ منكم مُنفِّرين، فمن صلَّى بالناس، فلْيُخفِّف	٨٠، ٢٥٥
يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عبَّاس بن عبد المُطَّلِب	٤٤٢
يا بني فِهْر، يا بني عَدِيٍّ.... لبطون قريش، حتَّى اجتمعوا	١٧٤، ٢٩٥
يا بنية، ألا تُحبِّين من أُحب؟. قالت: قلت: بلى. قال: فأحبِّي هذه	٤٧٩، ٥٠٦
يا حسان، أجب عن رسول الله ﷺ، اللهم أيِّدْه بروح القدس	٢٦٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
يا رسولَ الله، إنَّا إذ كنا بأرض فارس وتخوَّفْنا الخيل خندقنا علينا	٣٤٥
يا عائشُ، هذا جبريل يُقْرِئُك السلام	٤٧٩
يا عائشة، أحبِّيه، فإنِّي أحبُّه	٥٤٣
يا عائشة، أفلا أكون عبدًا شكورًا	٧٧
يا عائشة، إنَّ الله لم يبعثني مُعنِّتًا ولا مُتعنِّتًا، ولكن بعثني معلِّمًا مُيسِّرًا	٢٥٣
يا عائشة، إنِّي أريد أن أعرض عليك أمرًا أحب ألا تعجلي فيه	٥١٩
يا عائشة، ذريني أتعبد الليلة لربي	٣٨٢، ٣٨٤
يا عائشة، لقد قلتِ كلمة لو مُزِجت بماء البحر لمَزَجَتْه	٢٥٤
يا عائشة، متى عهدتني فحَّاشًا؟! إن شر النَّاس عند الله منزلة يوم القيامة	٤٣٢
يا عبادي، كلُّكم ضالٌّ إلَّا من هديته، فاستهدوني أهدِكم	٢١٢
يا عبدَ الله، ألم أُخْبَرْ أنَّك تصوم النَّهار وتقوم الليل؟. فقلتُ: بلى يا رسول الله	٨٥
يا عثمان، إنَّ الله قد أبدلنا بالرهبانيَّة الحنيفيَّة السَّمْحة	٩٤
يا علي، ألا تقْلب ابنيَّ قبل أن يشتد الحر؟	١٠٨
يا غلام، سمِّ الله، وكُلْ بيمينِك، وكُلْ ممَّا يَليك	٤٢٥، ٤٣٦
يا فَتَى، لقد شققتَ عليَّ، أنا هاهنا منذ ثلاثٍ أنتظرك	٥٧٨
يا معاذَ بن جبل. قلت: لبَّيْك رسول الله وسعديك. ثمَّ سار ساعة	٢١٨
يا معشرَ قريش، إنَّ الله قد أذهب عنكم نخوةَ الجاهليَّة، وتَعَظُّمَها بالآباء	٣٦٥
يا معشرَ قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسَكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا	٥٣٤
يا معشر قريش، ما تظنون أنّي فاعلٌ بكم؟. قالوا: خيرًا، أخٌ كريمٌ	٣٦٤
يأتي قومٌ يومَ القيامةِ نورُهم كنور الشمس	١٣٨
يأذن للحبشة أن يرقصوا بحرابهم في مسجده	٣٨٧
يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة	٤٨١

QaradawiBooks.com

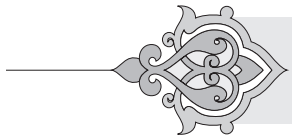
الحديث	رقم الصفحة
يجلس بين أصحابه مختلطًا بهم، حيث ما انتهى به المجلس جلس	٥٧٩
يخبر أنَّ الرجل إذا قال لصاحبه: أنصت. فقد لغا	٥٦
يخرج رأسه إلى بيت عائشة فترجِّله وهي حائض	٦٠
يدخل فقراء أمتي الجنَّة قبل أغنيائهم بأربعين خريفًا. فقيل: صفهم لنا؟	١٣٨
اليدُ العُلْيا خيرٌ من اليد السفلى	١٩٨
يرفع قدمه فيرفعها تقلعًا كأنَّما ينشط بجملة جسمه	٣٥٥
يَسِّرا ولا تُعسِّرا وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا	٨٤، ٢٤٣
يسِّروا، ولا تعسِّروا، وبشِّروا، ولا تنفِّروا	١٩٩
يعتكف في كُلَّ رمضان عشرةَ أيام، فلمَّا كان العام الَّذي قبض فيه، اعتكف عشرين يومًا	٦٠
يعجبه الدُّبَّاء (القرع) ويتتبعه في الصحفة	٤٠٤
يُعطُون الَّذي عليهم، ولا يُعْطَون الَّذي لهم	١٣٨
يَعْقِدُ الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقَدٍ	٦٢٥
يقول العبد: مالي مالي. وإنَّما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى	٨٨، ١٢٩
يكفِّر السنة الماضية والباقية	٦١
يوشك أن تدَاعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلةُ على قصعتها	٢٠٦
يؤمِّر أسامةَ بن زيد على بعثه	٣٤٩

* * *

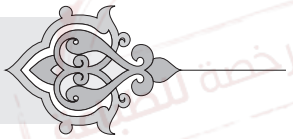
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com



فهرس الموضوعات



❖ **من الدستور الإلٰهي للبشرية** **٤**

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** **٥**

• **مقدمة** **٧**

❖ **الرسول العابد** **١٥**

عبادة الرسول ربَّه في شبابه ١٨

محمَّد ﷺ قبل البَعثة ١٩

اختلاؤه في غار حراء ونزول الوحي ٢٠

مُحَمَّد بعد البعثة ٢١

من الَّذي تُوَجَّه له العبادة؟ ٢٣

أين كان النبيُّ يعبد الله تعالى؟ ٢٣

متى كان النبيُّ ﷺ يعبد الله جَلَّ جلالُه؟ ٢٩

صلاة النبي ﷺ في ليله ونهاره ٢٩

أدعيته وأذكاره في صلاته ﷺ ٣٠

التقرب إلى الله بالنوافل لبلوغ مقام الحب ٣١

قيامه لليل ٣٣

دعوته لقيام الليل ٣٥

ذكر النبيِّ ﷺ ودعاؤه واستغفاره ٣٥

أدعيته الخاصَّة ٣٧

QaradawiBooks.com

الإمام ابن القيِّم يصف ذِكْرَ النبيِّ ﷺ ربه ٣٩
الذكر بعد الاستيقاظ أو النهوض من الليل ٤٠
ذكر الخروج من البيت ٤٢
ذكْر دخول المسجد ٤٣
ذكره في الصباح وفي المساء ٤٤
ذكر الله عند لُبس الثوب ونحوه ٤٨
ذكر ما يقوله لابس الثوب الجديد ٤٩
دعاؤه عند دخوله إلى منزله ٤٩
الذكر عند دخول الخلاء ٥٠
دعاء الخروج من الخلاء ٥١
هديُه ﷺ في أذكار الوضوء ٥١
عبادته يوم الجمعة ٥٢
عبادته في رمضان ٥٧
صيام النوافل ٦١
عبادة الزكاة ٦٤
صدقات النبيِّ ﷺ ٦٦
الحج آخر عبادات الإسلام ٦٧
عبادة الهجرة والجهاد ٧١
العبادات القلبيَّة من الحب والرجاء والخشية لله والتوكُّل على الله ٧٣
منهج النبيِّ ﷺ في العبادة ٧٨
دعوته إلى الاعتدال في العبادة ٧٩

❖ **الرسول الزاهد** **٨٧**
حقيقة الحياة الدنيا ٨٩
الزهد الَّذي يدعو إليه محمَّد ﷺ ٩٠
ربَّى محمَّد أصحابه على رفض الرهبانيَّة والنَّهبانيَّة ٩٣

QaradawiBooks.com

زهده ﷺ ٩٨
طعام النبي ﷺ وآل بيته رضوان الله عليهم ١٠٠
معيشة النبيِّ وأهل بيته ١٠٧
مائدة النبي ﷺ ١٠٩
صبر الرسول الكريم على خشونة العيش ١٠٩
المسكن النبوي ١١١
بعض محتويات بيوت النبيِّ ﷺ ١١٤
ثياب النبيِّ ﷺ الَّتي توفِّي فيها، وثياب أزواجه ١١٥
جهاز السيدة فاطمة ابنة رسول الله ١١٦
تَرِكة الرسول بعد وفاته وديونه ١١٦
أحاديث نبويَّة في الزهد ١١٧
هل كانت خشونة عيش النبي ﷺ عن عوز وضيق ذات يد؟ ١١٨
النبي القائد المنتصر الزاهد يوم فتح مكَّة ١٢٠
صلاة الفتح ١٢٢
موقفه من طلب أزواجه التوسعة وزيادة النفقة ١٢٣
تربية رسول الله ﷺ أصحابه على الزهْد في الدنيا ١٢٤
تحذير النبيِّ ﷺ صحابته من التنافس على الدنيا ١٣٢
الترغيب في اجتياز العقبة الكؤود الَّتي لا يقطعها إلَّا المخِفُّون من الفقراء والمستضعفين ١٣٤
مدح النبيِّ ﷺ فقراء المهاجرين ١٣٦
أكابر النَّاس عند الرسول الفقراء والمستضعفون ١٤٠
اقرأ هذه الأحاديث ١٤٠
منهج الصحابة في الزهد ١٤٦
الإخاء بين المهاجرين والأنصار ابن عوف وابن الربيع نموذجًا ١٤٧
صور لزهد الصحابة وصبرهم ١٥٠

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الرسول.. الداعية ﷺ ١٥٤
آخر الأنبياء ١٥٤
دعوة الرسول إلى التوحيد ١٥٥
تصحيح الأديان الكتابية ١٥٨
الدعوة هي مهمة المرسلين جميعًا ١٥٨
محمد خاتم رسل الله ١٦٠
هذه سبيلي ١٦٠
ولكن إلامَ يدعو؟ ١٦٥
نماذج من دعوته ﷺ ١٦٩
مُمَيِّزات دعوة محمَّد عن غيرها من الدعوات ١٧٨
ثمار الدعوة المحمَّديَّة ١٨٦

❖ **الرسول البليغ ١٩٣**
جوامع الكلم ١٩٦
الكنايات في كلام النبي ﷺ ٢٠٣
التشبيهات النبويَّة ٢٠٥
الأمثال النبويَّة ٢٠٨
المجازات والاستعارات ٢٠٩
المقابلة ٢١٠
السجع غير المتكلَّف ٢١٣
مفاهيم وتفسيرات جديدة لكلمات قديمة ٢١٤
الأجوبة الحاسمة ٢١٦
الحوارات الرائعة ٢١٧
التقسيمات الحكيمة ٢٢٠
أدعية النبي وخطبه وقصصه ٢٢٤
الألفاظ الملائمة للمعاني ٢٢٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأفكار المترابطة ٢٢٥
قول القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) في أوجه بلاغة النبيِّ ﷺ ٢٢٦
أرباب البلاغة يشهدون بتقدم النبي ﷺ على العالمين في بلاغته ٢٢٧
❖ **الرسول المعلِّم ٢٢٩**
١ ـ العناية بالمعلم والتنويهُ بقدره ٢٣١
٢ ـ تكافل المجتمع في تعليم أبنائه ٢٣٥
٣ ـ الترحيب بالمتعلِّم والبشاشة له ٢٣٩
٤ ـ الرِّفق بالمتعلِّم والحُنوُّ عليه ٢٤١
٥ ـ الإشفاق على المُخطئ ٢٤٦
الأعرابي الَّذي بال في المسجد ٢٤٧
شابٌّ يطلب الإذن بالزنى! ٢٤٨
الرفق بالمُصِرِّين على المعصية ٢٤٩
تَنْبيهُ المخطئ على خطئه ٢٥٠
التنبيه على الخطأ في غاية الرفق «زادك الله حرصًا ولا تعد» ٢٥١
الرفق بالجديد على الإسلام ومجتمعه ٢٥٢
موقف الرسول مع نسائه في قصة تخييرهن المعروفة ٢٥٣
زجر عائشة في بعض المواقف لحاجة ٢٥٤
اشتداد النكير على ما يبدو انحرافًا في الاتجاه ٢٥٥
اشتداد الإنكار حين يكون الانحراف جماعيًّا ٢٥٥
٦ ـ تشجيع المُحسن والثناء عليه ٢٥٧
إشادة المعلم بمواقف تلاميذه والتنويه بالمتميِّزين منهم ٢٥٩
٧ ـ التدرُّج في التعليم ٢٦٠
التدرُّج ذو شقَّين ٢٦٢
الشقُّ المتعلِّق بالكم ٢٦٢
الشقُّ المتعلِّق بالكيف ٢٦٢

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٨ ـ رعاية الفروق الفرديَّة ٢٦٣
اختلاف وصاياه ﷺ باختلاف الأشخاص الَّذين طلبوا منه الوصيَّة ٢٦٤
اختلاف أجوبته وفتاواه عن السؤال الواحد باختلاف أحوال السائلين ٢٦٥
اختلاف مواقفه وسلوكه باختلاف الأشخاص الَّذين يتعامل معهم ٢٦٧
اختلاف أوامره وتكليفاته باختلاف مَن يُكلِّفهم من الأشخاص واختلاف قدراتهم ٢٦٨
قَبولُه من بعض الأفراد موقفًا أو سلوكًا لا يقبله من غيره لاختلاف الظروف .. ٢٦٩
٩ ـ الاعتدال وعدم الإملال ٢٧١
١٠ ـ استغلال المواقف العمليَّة للتربية والتوجيه ٢٧٣
١١ ـ استخدام الوسائل المُعينة ٢٧٦
١٢ ـ تَخيُّر أحسن الأساليب ٢٨٠
١٣ ـ إثارة الانتباه بالسؤال والحوار ٢٨٤

❖ **الرسول المجاهد** **٢٩١**
مراتب جهاده ٢٩٢
النبي ﷺ جاهد نفسه في سبيل الله ٢٩٣
جهاد في كل ميدان وبكل سلاح ٢٩٤
لم تكن مجابهة المجتمع الجامد بالأمر السهل ٢٩٤
معركة بين الرسول ﷺ وقومه ٢٩٦
قريش تقاطع محمدًا وأصحابه مقاطعة اقتصاديَّة واجتماعيَّة ٢٩٧
عام الحزن ٢٩٨
رحلة الطائف ٢٩٨
بعد المحنة منحة ٣٠٠
الجهاد الكبير طوال ثلاثة عشر عامًا ٣٠٠
الهجرة إلى المدينة ٣٠١

QaradawiBooks.com

تهيئة المدينة لإقامة المجتمع المسلم الجديد على الصلاة والإخاء
والجهاد المتواصل ٣٠٣
مرحلة الجهاد المسلح ٣٠٤
هيَّأه الله ليكون المجاهد الأول ٣٠٥
هذا الدِّين لم يأتِ إلينا عفوًا صفوا ٣٠٩
جبهات المواجهة والقتال ٣١٠
النبي ﷺ ربَّى أمَّة المجاهدة في سبيل الحق ٣١١
أحاديث النبي ﷺ الَّتي تحثُّ على الجهاد ٣١٣
أخلاقيات النبي ﷺ في الجهاد ٣١٤
التفرقة بين المحاربين وغير المحاربين ٣١٥
عدم التمثيل بالقتلى ٣١٧
الوفاء بالعهد وعدم الخيانة ٣١٨
جواز نقض العهد في حالة واحدة ٣٢٠
عدم الإفساد في الأرض ٣٢٠
إعطاء الأمان لمن طلبه أثناء الحرب ٣٢٢
التوقف عن الحرب إذا توقف العدو ٣٢٢
النَّهْي عن النُّهبة والغلول ٣٢٣
حسن معاملة الأسرى ٣٢٦

❖ **الرسول القائد ٣٣١**
شمول الأسوة والقدوة في حياة رسول الله ﷺ ٣٣١
القائد الأعلى للأُمَّة ٣٣٣
لا تجوز التضحية بالرجال والجنود من أجل عمل جنوني ٣٣٥
الحرص على الأتباع ٣٣٨
سمات القائد الفذِّ الموفَّق من سيرة رسول الله ﷺ ٣٤٠
١ ـ أن يكون كواحد منهم ٣٤١
٢ ـ أن يشاورهم في الأمر ٣٤٢

QaradawiBooks.com

٣ ـ أن يعرف خصائص جنوده وقدرات عدوه ٣٤٦
٤ ـ عبقريَّة القيادة والخبرة الحربيَّة ٣٥١
٥ ـ أن يكون قويَّ الجسم قويَّ النفْس شجاعًا ٣٥٥
٦ ـ لا يستخفُّه النصرُ إذا انتصر، ولا تزلزله الهزيمة إذا انكسر ٣٥٩
٧ ـ يعفو وقتما ينفع العفو، ويقسو حين لا تنفع إلَّا الشدَّة ٣٦٦
حفاظه على مبادئه الَّتي يدعو إليها ٣٧١
قيادته ﷺ لم تعرف لها البشريَّة مثلًا ٣٧٣

❖ **الرسول الإنسان** **٣٧٦**
١ ـ أنَّه يفرح كما يفرح البشر، ويحزن كما يحزنون ٣٧٨
٢ ـ أنَّه يضحك كما يضحك النَّاس، ويبكي كما يبكون ٣٨٠
ممَّ كان يضحك؟ ٣٨٠
ممَّ كان يبكي ﷺ؟ ٣٨٢
٣ ـ أنَّه يمزح كما يمزح النَّاس، ويَجِدّ كما يَجِدُّون ٣٨٤
كان يمزح ولا يقول إلَّا حقًّا ٣٨٥
جِدُّ النبيِّ ﷺ ٣٨٧
٣ ـ أنَّه يرضى كما يرضى النَّاس، ويغضب كما يغضبون ٣٨٩
نماذج من رضا النبي ﷺ ٣٩٠
رضاه ﷺ عما كان يصيبه في الدعوة إلى دين الله ٣٩٠
رضاه ﷺ بشظف العيش وخشونة الحياة ٣٩١
رضاه ﷺ على مصائب الدنيا ٣٩٢
رضاه يوم وفاة ولده إبراهيم ٣٩٣
رضاه ﷺ بعطاء الله له ٣٩٤
رضا النبي ﷺ عن أصحابه ٣٩٥
دعاؤه ﷺ أن يرزقه الرضا عن الله سبحانه ٣٩٥
مواقف غضب فيها النبيُّ ﷺ ٣٩٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وصف غضب النبي ﷺ وسروره ٤٠٠
٤ ـ أنَّه يأكل كما يأكل النَّاس، ويشرب كما يشربون ٤٠٠
هدي النبيِّ ﷺ في أكله وشربه ٤٠٢
٥ ـ أنَّه ينام كما ينام البشر ٤٠٧
أكمل بني الإنسان ٤١٢

❖ **الرسول صاحب الذوق السليم ٤١٧**
الذوق في اللغة ٤١٨
الذوق في استخدامنا المعاصر ٤١٩
القرآن والسُّنَّة يعلماننا الذوق ٤٢٠
الزيارة والاستئذان ٤٢٠
مراعاة الذوق في المجالس ٤٢٣
الذوق على مائدة الطعام ٤٢٥
الذوق مع الجار ٤٢٥
الذوق في الضيافة ٤٢٧
رعاية ظروف الناس ٤٢٨
حُسن الذوق في أخلاق الرسول ٤٢٨
الذوق في سيرة الرسول ٤٢٩
رهافة حسه ﷺ ٤٣١
من الذوق النبوي التعبير عن العلاقات الجنسيَّة بما ليس بمكشوف ٤٣٣
حسن المنظر ٤٣٤
حسن الحديث من الذوق الرفيع ٤٣٥
حسن الرائحة من سلامة الذَّوْق ٤٣٦
ذوقه في مأكله ومشربه ٤٣٦
الذوق الرفيع في العطاس والتثاؤب والجشاء ٤٣٧
الذوق الاجتماعي ٤٣٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

❖ **الرسول الزوج** **٤٤١**
صلته بأقربائه ٤٤١
حال الجاهليَّة العربيَّة ٤٤٣
محمد قبل زواجه ٤٤٤
رعيه الغنم واشتغاله بالتجارة ٤٤٦
تجارته بمال خديجة ٤٤٧
وسيط في الزواج ٤٤٩
الزواج بخديجة ٤٤٩
حياة زوجيَّة سعيدة ٤٥٠
الأسرة في المجتمع الجاهلي ٤٥٠
خديجة ومكانتها عند رسول الله ٤٥٤
محمد ﷺ بعد زواجه الأوَّل من خديجة ٤٥٥
وفاة خديجة وبعض مناقبها ٤٦٠
أزواج محمَّد ﷺ بعد خديجة ٤٦٨
من فضائل سودة رضي الله عنها ٤٧٢
الحكمة من زواجها ٤٧٢
من خصائص عائشة ٤٧٥
أعلم نساء الإسلام ٤٧٦
الحكمة من زواج النبي ﷺ عائشة ٤٨٠
• حَفْصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها ٤٨٠
الحكمة من زواجها ٤٨١
• زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها ٤٨٢
الحكمة من زواجها ٤٨٥

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• هند أمُّ سَلَمة المخزوميَّة رضي الله عنها ٤٨٧
من فضائلها رضي الله عنها ٤٨٩
موقفها رضي الله عنها يومَ الحديبية ٤٨٩
الحكمة من زواجها ٤٩٠
جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث رضي الله عنها ٤٩٠
الحكمة من زواجها ٤٩٢
• صفيَّة بنت حُيي رضي الله عنها ٤٩٣
من فضائلها رضي الله عنها ٤٩٤
الحكمة من زواجها ٤٩٥
• أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الأموية رضي الله عنها ٤٩٥
الحكمة من زواجها ٤٩٦
• ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها ٤٩٧
من فضائلها رضي الله عنها ٤٩٨
• الحكمة العامَّة لتعدد أزواج النبي ﷺ ٤٩٨
سيرة النبي ﷺ في معاشرة نسائه ٥٠٢
تغاير نسائه ﷺ وتحزبهن ومناشدتهن إيَّاه العدل ٥٠٥
غَيرة أزواجه ﷺ وصبره عليهن فيها ٥٠٧
تواطؤ أزواجه وتظاهرهنّ على الكيد له ﷺ ٥٠٩
غضبه ﷺ على أزواجه وإيلاؤه منهنَّ شهرًا فتخييره إيَّاهن بين الطلاق وبقاء
الزوجيَّة المُرْضِية لله ولرسوله ٥١١
مطالبة أزواجه ﷺ إيَّاه بسعة النفقة والزينة ٥١٦
تخييره ﷺ لأزواجه بين الدُّنيا والآخرة ٥١٧
خلاصة معنى الآيتين ٥١٩

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تأديب الله لأزواج نبيه ﷺ وتعليمهن ما يُراد منهن ٥١٩
توسعة الله على نبيه ﷺ بما تكمل به تربية أزواجه ٥٢١

❖ **الرسول الأب والجد ٥٢٥**
حبُّ النبي ﷺ لأبنائه ٥٢٩
موقف النبيِّ ﷺ من رغبة علي في الزواج على فاطمة ٥٣١
قول النووي في شرح مسلم ٥٣٢
قول ابن حجر في الفتح ٥٣٣
قول الشيخ أحمد شاكر ٥٣٣
اهتمامه بدين أبنائه ٥٣٤
أمر النبي ﷺ عثمان برعاية زوجته رقية بنت رسول الله ٥٣٤
قمْ أبا تراب ٥٣٥
حثُّ النبيِّ فاطمة على الزهد في الدنيا ٥٣٦
قلادة زينب بنت رسول الله ٥٣٦
الرسول الجد ٥٣٧
تلطُّفه مع أحفاده ٥٣٨
أمامة بنت زينب بنت رسول الله ٥٤١
النبيُّ ﷺ جَدُّ الأطفال ٥٤٢

❖ **الرسول ذو الخلق العظيم ٥٤٤**
مواجهة المجتمع الوثني ٥٤٤
حول العظمة الممدوح بها محمَّد في خُلُقه ٥٤٩
كلام الإمام القرطبي في معنى الخلق العظيم ٥٥٤
مسائل ثلاث للإمام الرازي في الآية الكريمة ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ٥٥٦
كمال الخلق النبوي ٥٥٨
محمد بن عبد الله المثل الأعلى للإنسان الكامل ٥٦٠

QaradawiBooks.com

الإقرار بعظمة أخلاقه ٥٦٣
أخلاقه شملت محاربيه وأعداءه ٥٦٤
كلام ابن القيِّم في مكارم أخلاقه ﷺ ٥٦٥
كلام الشيخ رشيد رضا حول أخلاقه ﷺ ٥٦٦
صفات الإنسان العظيم ٥٦٧
كمال الخلق ٥٦٨
من جوانب العظمة في خُلُق النبي ﷺ ٥٦٩
رسالة محمَّد ﷺ رسالة خلقية ٥٨٢
أخلاقه ﷺ دليل صدقه ٥٨٧
الدلائل العمليَّة من أخلاقه ﷺ على صدق نبوته ٥٨٩
حثُّه ﷺ أُمَّتَه على حُسْن الخُلُق ٥٩٤

❖ **الرسول رياضي الجسم والرُّوح والفِكْر ٥٩٦**

الهدْي النبوي في حفظ الصحَّة ٥٩٩
العافية المطلقة أجلُّ النعم ٥٩٩
هدي النبي ﷺ في طعامه ٦٠١
ما عافته النفس لا يأكله ٦٠٢
أكل الخبز مأدومًا ٦٠٣
في هديه ﷺ في هيئة الجلوس للأكل ٦٠٤
صورة الأكل النبوي ٦٠٥
المأكولات الَّتي جُمعت للنبيِّ ﷺ ٦٠٦
الهدْي النبوي في الشراب ٦٠٧
الهدي النبوي الشرب قاعدًا ٦١٠
هديه ﷺ في الركوب ٦١٠
هديه ﷺ في مشيه وحده ومع أصحابه ٦١١
هديه ﷺ في جلوسه واتكائه ٦١٤

QaradawiBooks.com

هديه ﷺ عند قضاء الحاجة ٦١٤
هديه ﷺ في الفطرة وتوابعها ٦١٧
الهدي النبوي في تدبيره لأمر النوم واليقظة ٦١٨
الهدْي النبوي في اليقظة ٦٢٣
الهديُ النبوي في تدبير أمر الرياضة ٦٢٣
أوقات الرياضة المعتدلة وممارساتها ٦٢٤
حث النبي ﷺ أصحابه على القوَّة البدنيَّة ٦٢٦
صور الرياضة في حياة النبي ﷺ والصحابة ٦٢٨
موافقة الرسول على اللعب ٦٢٩

❖ **الرسول المبعوث إلى العالم ٦٣٠**
عالميَّة الرسالة ٦٣٢
وهي الرسالة الأخيرة من الله للبشر ٦٣٥
وهي رسالة جامعة شاملة ٦٣٧
رسالة بين الحاكم والمحكوم ٦٤٠
رسالة محمَّد العالميَّة الوحيدة ٦٤٢
واجب العرب في إبراز عالميَّة رسالة النبي ﷺ ٦٤٧
واجبُ الأمة الإسلاميَّة دعوةُ الأمم الأخرى إلى الإسلام ٦٥٠
كلمات مضيئة للسيد سليمان الندوي ٦٥٩

❖ **فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٦٦٣**

❖ **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٦٨٩**

❖ **فهرس الموضوعات ٧٣٧**

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com